جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامي

السيرة النبوية

سبل الهدى والرشاد
في سيرة خير العباد

للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة ٩٤٢ هـ

الجزء الأول

تحقيق
الدكتور مصطفى عبد الواحد

القاهرة
١٤١٨هـ/١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

قال سيدنا ومولانا وشيخنا شيخ الإسلام خاتمة المحدثين والأعلام ، أبو عبد الله محمد ابن يوسف الشاميّ ، رحمه الله تعالى ورحمنا به ، وجزاه خيرا عن تعبه ونَصَبِه . آمين .

الحمد لله الذى خصَّ سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بأَسْنَى المَناقِب ، ورفَعه فى الشرف إلى أعلى المراتب ، وأيده بالمعجزات الباهرات العجائب ، التى فاقتْ ضَوْء النيِّرين وزادت على عدد النجوم الثَّواقب ، وجعل سيرته الزكيّة أَمْنًا لمن تمسَّك بها ونجاةً من المعاطب أَحمَده سبحانه وتعالى حمدًا أنال به رضاه وبلوغَ المآرب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربُّ المشارِق والمَغَارب ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله المبعوث بالدين الواصِب[1] ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين نالوا أشرف المَناصب .

أمّا بعد :

فهذا كتابٌ اقتضَبْتُه[2] من أكثر من ثلاثمائة كتاب ، وتحرَّيتُ فيه الصواب ، ذكرت فيه قطرات من بحار فضائل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من مبدأ خلقه قبل خَلْق سيدنا آدم صلى الله عليه وسلم وأعلام نبوّته وشمائله وسيرته وأفعاله وأحواله وتقلباته ، إلى أن نقَله الله تعالى إلى أعلى جناته ، وما أعدَّه له فيها من الإنعام والتعظيم، عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

ولم أذكر فيه شيئا من الأحاديث الموضوعات ، وختمتُ كلَّ باب بإيضاح ما أُشْكل فيه وبعض ما اشتمل عليه من النفائس المستجادات ، مع بيان غريب الألفاظ وضبط المشكلات ، والجمع بين الأحاديث التى يظن بها انها من المتناقضات .

---

(١) الواصب : الواجب طاعته .

قال فى اللسان ٢٩٧/٢ : قال أبو إسحق : قيل فى معناه : دائباً ، أى طاعته دائمة واجبة أبداً . قال سهل : ويجوز – والله أعلم – أن يكون « وله الدين واصباً » : أى له الدين والطاعة ، رضى العبد بما يؤمر به أو لم يرضبه ، سهل عليه أو لم يسهل فله الدين وإن كان فيه الوصب ، والوصب شدة التعب .

(٢) ص ت م : اقتضيته .

وإذا ذكرت حديثا من عند أحد من الأئمة فإنى أجمع بين ألفاظ رواته إذا اتفقوا ، وإذا عزوته لمخرجيْن فأكثر فإنى أجمع بين ألفاظهم إذا اتفقوا ، فلا يعترض علىّ إذا عزوتُ الحديث للبخارى ومسلم وذكرت معهما غيرهما،فإن ذلك لأجل الزيادة التى عندهما غالبا .

وإذا كان الراوى عن النبى صلى الله عليه وسلم صحابيا قلت : رضى الله تعالى عنه . وإن[1] كان تابعيًا أو من أتباع التابعين قلت : رحمه الله تعالى .

وإذا أطلقت الشيخين : فالبخارى ومسلم ، أو قلت : متفقٌ عليه : فما روياه ، أو الأربعة : فأبو داود والترمذى وابن ماجه والنسائى ، أو الستة : فالشيخان والأربعة ؛ أو الخمسة فالستة إلا ابن ماجه أو الثلاثة : فالأربعة إلا هو ؛ أو الأئمة : فالإمام مالك والإمام الشافعى والإمام أحمد والستة والدارقطنى .

ولم أقف على شئ من الأسانيد المخرَّجة للإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان رضوان الله تعالى عليه ، فلذلك لم أذكره .

أو : الجماعة : فالإمام أحمد والستة . أو : أبو عمر[2] : فالحافظ يوسف بن عبد البرّ[3] أو القاضى : فأبو الفضل عِياض[4] ، أو الأمير : فالإمام الحافظ أبو نصر علىّ بن هبة الله ، الوزيرىّ البغدادى المعروف بابن ماكُولَا[5] . أو السهيلى : فالإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن

---

(١) ت م : فإن . (٢) ت م : أو أبو عمرو - محرفة .

(٣) ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبى المالكى أبو عمر من كبار حفاظ الحديث ، ويقال له حافظ المغرب ، ولد بقرطبة سنة ٣٦٨ هـ وولى قضاء لشبونة وشنترين . وتوفى بشاطبة سنة ٤٦٣ هـ . ومن كتبه « الاستيعاب » و « الدرر فى اختصار المغازى والسير » و « جامع بيان العلم وفضله » و « بهجة المجالس » وغير ذلك . انظر : بغية الملتمس ٤٧٤ . ووفيات الأعيان ٣٤٨/٢ . وجمهرة الأنساب ٢٨٥ .

(٤) القاضى عياض : أبو الفضل ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبى السبتى ، عالم المغرب وإمام أهل الحديث فى وقته ولد بسبتة سنة ٤٧٦ هـ ، وولى قضاءها ثم قضاء غرناطة ، وتوفى بمراكش سنة ٥٤٤ هـ . ومن أشهر كتبه « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » و « مشارق الأنوار » و « الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع » ، وقد جمع المقرى سيرته وأخباره فى كتاب : « أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض » .

وانظر : وفيات الأعيان ٣٩٢/١ . وقلائد العقيان ٢٢٢ ومفتاح السعادة ١٩/٢ . وأزهار الرياض ٢٣/١ .

(٥) ابن ماكولا : على بن هبة الله بن على بن جعفر ، من ولد أبى دلف العجلى أصله من جرباذقان من نواحى أصبهان ، ولد فى عكبرا قرب بغداد سنة ٤٢١ هـ ، وسافر إلى الشام ومصر والجزيرة وما وراء النهر وخراسان . وقتله غلمان له من الترك بخوزستان خارجا من بغداد طمعاً فى ماله . من كتبه : « الإكمال » و « الوزراء » . انظر : فوات الوفيات ٩٣/٢ ، وكشف الظنون ١٦٣٧ .

عبد الله الخَثْعمى[1] . أو الروض . فالروض الأُنف له . أو : أبو الفرَج[2] : فالحافظ عبد الرحمن بن الجَوْزى[3] . أو أبو الخطاب : فالحافظ عمر بن الحسن بن دِحْيَة[4] . أو : أبو ذَرّ : فالحافظ أبو ذر [مُصْعَب[5]] بن محمد بن مسعود الخُشَنِىّ[6] ، أو الإملاء : فما أملاه على سيرة ابن هشام . أو زاد المعاد : فزاد المعاد فى هَدْى خير العباد ، للإمام العلامة أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن القيمّ[7] . أو أبو الرَّبيع :فالثقة الثَّبْت سليمان بن سالم الكلاَعِىّ[8] ؛ أو الاكتفاء : فكتاب « الاكتفاء » له . أو : أبو الفتح : فالحافظ محمد

---

(١) السهيلى : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمى ، حافظ عالم باللغة والسير ، ولد فى مالقة سنة ٥٠٨ ﻫ وعمى وعمره سبع عشرة سنة ، ينسب إلى سهيل من قرى مالقة ، وتوفى سنة ٥٨١ ﻫ .

ومن كتبه : « الروض الأنف » و « التعريف والإعلام فيما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام » . و« الأمالى » وغير ذلك . انظر : و فيات الأعيان ٢٨٠/١ ، ونكت الهميان ١٨٧ ، والمغرب فى حلى المغرب ٤٨٨/١ ، وتذكرة الحفاظ ١٣٧/٤ .

(٢) ت م : أو أبا الفرج .

(٣) ابن الجوزى : عبد الرحمن بن على بن محمود بن على بن عبد الله بن حمادى ، القرشى التيمى البكرى البغدادى ، الفقيه الحنبلى ، الواعظ ، الملقب جمال الدين الحافظ . والجوزى : نسبة إلى فرضة الجوز ، أو إلى محلة الجوز بالبصرة . ولد سنة ٥١٠ ﻫ ، واتجه إلى الوعظ منذ صغره كما برع فى الحديث ولقب فيه الحافظ وصنف فيه الكثير ، وألف فى مختلف فروع الثقافة الإسلامية وله ما يقرب من مائة وخمسين كتاباً ، أكثرها فى الحديث والوعظ والتاريخ ، وتوفى ببغداد سنة ٥٩٧ﻫ.

وانظر : شذرات الذهب ٣٢٩/٤ ، ووفيات الأعيان ٣٢١/٢ ، وتذكرة الحفاظ ١٣٥/٤ ، ومرآة الزمان ٤٨١/٨ .

(٤) ابن دحية : عمر بن الحسن بن على بن محمد ، أبو الخطاب ، ابن دحية الكلبى : حافظ مؤرخ أديب ، من أهل بلنسية بالأندلس ولد سنة ٥٤٤ . ورحل إلى الشام والعراق وخراسان واستقر بمصر ، وتوفى بها سنة ٦٣٣ ﻫ ، ومن كتبه « التنوير فى مولد السراج المنير » و « نهاية السول فى خصائص الرسول » . وانظر : وفيات الأعيان ٣٨١/١ . ونفح الطيب ٣٦٨/١ ، وميزان الاعتدال ٢٥٢/٢ ولسان الميزان ٢٩٢/٤ ، وشذرات الذهب ١٦٠/٥ ، وحسن المحاضرة ٢٠١/١ .

(٥) زيادة من المراجع .

(٦) أبو ذر : مصعب بن محمد بن مسعود الخشنى الجيانى الأندلسى ، أصله من مدينة جيان ولد ونشأ فيها ، ولا تعرف سنة مولده ، وولى القضاء فى جيان أيام المنصور ، وتوفى بفاس سنة ٦٠٤ ﻫ . ومن كتبه : « شرح السيرة النبوية » و « شرح الإيضاح » و « شرح الجمل » . انظر : خزانة الأدب للبغدادى ٥٢٩/٢ ، وتاج العروس ١٩٢/٩ ، وزاد المسافر ١٠٥ .

(٧) ابن القيم ، أو ابن قيم الجوزية : محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد الزرعى الدمشقى ، أبو عبد الله شمس الدين ، ولد بدمشق سنة ٦٩١ ﻫ ، وتتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وانتصر لآرائه ، وهذب كتبه ونشر علمه ، وسجن معه فى قلعة دمشق ، وأطلق بعد موته ، وتوفى ابن القيم بدمشق سنة ٧٥١ ﻫ . وله كتب كثيرة منها « إعلام الموقعين » و « شفاء الغليل » و « زاد المعاد » و « طريق الهجرتين » وغير ذلك . انظر : الدرر الكامنة ٤٠٠/٣ ، وبغية الوعاة ٦٢/١ ترجمة رقم «١١١» وجلاء العينين ٢٠ ، وشذرات الذهب ١٦٨/٦ ، والنجوم الزاهرة ٢٤٩/١٠ .

(٨) الكلاعى : سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن أحمد الحميرى ، ينتهى نسبه إلى ذى الكلاع ، ويكنى أبا الربيع ، ويعرف بابن سالم . ولد سنة ٥٦٥ ﻫ فى بلنسية بالأندلس ، وأصله من ثغورها الشرقية . سمع من كبار الشيوخ وطلب الحديث حتى صار من الحفاظ المبرزين فى نقده ، تام المعرفة بطرقه ضابطا لأحكام أسانيده . كما كان أديبا كاتباً بليغاً شاعراً خطيباً بجامع بلنسية . وأكثر كتبه فى الحديث ، وتوفى سنة ٦٣٤ ﻫ شهيداً فى موقعة (أنيشة) ، وترجمته فى تذكرة الحفاظ ٢٠٩/٤ ، وطبقات الحفاظ ٥٦/٣ ، والديباج المذهب .

ابن محمد بن سيد الناس[1] ؛ أو العيون : فعيون الأثر له . أو القُطْب : فالحافظ : قطب الدين الحلبي[2] ؛ أو المَوْرِد : فالمورد العَذْب له. أو الزهر : فالزَّهْر الباسم . أو الإشارة : فالإشارة إلى سيرة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلاهما للحافظ علاء الدين مُغَلْطَاى[3] أو الإمتاع : فكتاب : إمتاع الأسْماع للإمام العلامة مؤرخ الديار المصرية الشيخ تقيّ الدين المَقْرِيزىّ[4] . أو المصباح : فالمصباح المنير للإمام العلامة أبي العباس أحمد ابن محمد بن على الفيومىّ[5] ، أو التقريب : فالتقريب فى علم الغَرِيب لولده محمود الشهير بابن خطيب الدَّهْشة[6] . أو الحافظ : فشيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن على

---

(١) ابن سيد الناس : محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ، ابن سيد الناس ، اليعمرى الربعى ، أبو الفتح ، فتح الدين : مؤرخ ومحدث ، أصله من أشبيلية ، ولد بالقاهرة سنة ٦٧١ هـ ، وتوفى بها سنة ٧٣٤ هـ . ومن كتبه : « عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير » جزءان وهو مطبوع ، ومختصره : « نور العيون » و « تحصيل الإصابة فى تفضيل الصحابة » ، وترجمته فى : فوات الوفيات ١٦٩/٢ ، وذيل تذكرة الحفاظ ١٦ ، ٣٥٠ ، والبداية والنهاية ١٦٩/١٤ ، والدرر الكامنة ٢٠٨/٤ .

(٢) قطب الدين الحلبي : عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي ، من حفاظ الحديث ، ولد بحلب سنة ٦٦٤ هـ ، وأقام بمصر وتوفى بها سنة ٧٣٥ هـ ، ومن كتبه : « شرح السيرة للحافظ عبد الغنى » مجلدان و « الاهتمام بتلخيص الإلمام » فى الحديث . وترجمته فى حسن المحاضرة ٢٠٢/١ ، والبداية والنهاية ١٧١/١٤ ، والنجوم الزاهرة ٣٠٦/٩ .

(٣) مغلطاى بسكون الغين وبفتحها : أبو عبد الله علاء الدين مغلطاى بن قليج بن عبد الله البكجرى المصرى الحنفى ، من حفاظ الحديث ، ومن المؤرخين والعارفين بالأنساب ، تركى الأصل ولد سنة ٦٨٩ هـ ، وولى تدريس الحديث بالمدرسة المظفرية بمصر ، وتوفى سنة ٧٦٢ . ومن كتبه غير ما ذكر المؤلف : « شرح البخارى » عشرون مجلداً ، و « إكمال تهذيب الكمال فى أسماء الرجال » . وترجمته فى شذرات الذهب ١٩٧/٦ ، والنجوم الزاهرة ٩/١١ ، والدرر الكامنة ٣٥٢/٤ . وذيل طبقات الحفاظ للسيوطى ٣٦٥ .

(٤) المقريزى : أحمد بن على بن عبد القادر ، أبو العباس الحسينى العبيدى ، أصله من بعلبك ، وينسب إلى حارة المقارزة من حارات بعلبك فى أيامه ، ولد بالقاهرة سنة ٧٦٦ هـ . وولى فيها الخطابة والإمامة والحسبة ، واتصل بالملك الظاهر برقوق . وتوفى بالقاهرة سنة ٨٤٥ هـ . ومن كتبه : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .

(٥) الفيومى : أحمد بن محمد بن على الفيومى ثم الحموى ، أبو العباس ، لغوى ولد بالفيوم ونشأ بها ، ثم رحل إلى حماة فأقام بها ، وتولى الخطابة فى جامع الدهشة الذى بناه الملك المؤيد إسماعيل . وقد اشتهر بكتابه « المصباح المنير » وفرغ من تأليفه سنة ٧٣٤ هـ . وتوفى حوالى سنة ٧٧٠ هـ . وترجمته فى الدرر الكامنة ٣١٤/١ ، وبغية الوعاة ١٧٠ ، وكشف الظنون ١٧١٠ .

هذا وفى الأصل بعد الفيومى : الشهير بابن خطيب الدهشة . وهو خطأ ، إنما ذلك ابنه محمود . وقد نقلت هذه الجملة إلى موضعها الصحيح .

(٦) ابن خطيب الدهشة : محمود بن أحمد بن محمد الهمذانى الفيومى الأصل ، الحموى الشافعى ، أبو الثناء نور الدين ، مولده بحماة سنة ٧٥٠ هـ ، وولى قضاء حماة ، وكان من علماء الحديث ، وتوفى بحماة سنة ٨٣٤ . ومن كتبه « تهذيب المطالع لترغيب المطالع » و « تحفة ذوى الأرب فى مشكل الأسماء والنسب » وتكملة شرح المنهاج للسبكى وشرح ألفية بن مالك . وترجمته فى الضوء اللامع ١٢٩/١٠ ، والرسالة المستطرفة ١١٨ ، والبدر الطالع للشوكانى ٢٩٣/٢ .

وفى الأصل تحريف ينقل جملة « ابن خطيب الدهشة بعد كلمة « الفيومى » أبيه .

ابن حجر[1] أو الفتح : ففتح البارى له . أو شرح الدُّرَر[2] : فشرحه على أَلْفِيَّةِ السِّيرة لشيخه العِراقى[3] . أو النُّور : فنور النِّبْراس للحافظ بُرْهان الدين الحلبى[4] . أو الغُرر : فالغرر المضيَّة للعلامة محب الدين بن الإمام العلامة شهاب الدين ابن الهائم[5] أو السيّد : فشيخ الشافعية بطَيْبة نور الدين السَّمْهُودِىّ[6] أو : الشيخ ، أو : شيخنا : فحافظ الإسلام بقية المجتهدين من الأعلام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر السُّيوطى[7] . رحمهم الله تعالى .

وحيث أطلقت الموحّدة : فهى ثانى الحروف . أو المثلَّثة : فهى الرابعة . أو التحتيّة : فهى آخر الحروف .

---

(١) ابن حجر : أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى ، أبو الفضل شهاب الدين ، أصله من عسقلان ومولده بالقاهرة سنة ٧٧٣ . ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما للسماع من الشيوخ ، وعلت شهرته فى الحديث فقصده الناس وأصبح حافظ الإسلام فى عصره . وتوفى بالقاهرة سنة ٨٥٢ هـ . وله مصنفات جليلة انتشرت فى حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر أشهرها : « فتح البارى فى شرح صحيح البخارى » و « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » و « الإصابة فى تمييز أسماء الصحابة » و « تهذيب التهذيب » و « تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة » و « بلوغ المرام من أدلة الأحكام » و « تبصرة المنتبه فى تحرير المشتبه » و « إنباء الغمر بأبناء العمر » وغير ذلك . وقد ترجم له السخاوى فى كتاب سماه « الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » ، وترجمته أيضاً فى : الضوء اللامع ٣٦/٢ . والبدر الطالع ٨٧/١ . والتبر المسبوك ٢٣٠ .

(٢) فى ص ت م : الدرى محرفة .

(٣) الحافظ العراقى : عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن أبو الفضل ، من كبار حفاظ الحديث ، أصله من الكرد ومولده فى رازنان سنة ٧٢٥ هـ ، ثم تحول صغيراً مع أبيه إلى مصر فتعلم فيها ورحل إلى الحجاز والشام ، ثم عاد إلى مصر فتوفى فى القاهرة سنة ٨٠٦ هـ . ومن كتبه : « المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار » فى تخريج أحاديث إحياء علوم الدين . و « الألفية » فى مصطلح الحديث ، و « نظم الدرر السنية » وهى ألفية السيرة التى يشير إليها المؤلف . و « القرب فى محبة العرب » و « شرح التقريب » وغير ذلك .

(٤) برهان الدين الحلبى : إبراهيم بن محمد بن خليل ، الطرابلسى الأصل ، الشامى المولد والدار ، الشافعى ولد بحلب سنة ٧٥٣ هـ ، ونشأ بها وتلقى العلم عن جملة من الشيوخ منهم ابن العجمى الذى تلقى عنه الفقه ، ولذلك يقال له : « سبط ابن العجمى » ، وكتابه « نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس » فى مجلدين ، وله كتب أخرى ، مات مطعوناً بحلب سنة ٨٤١ . انظر البدر الطالع ٢٨/١ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠٥/٥ .

(٥) ابن الهائم : محمد بن أحمد بن محمد بن عماد ، أبو الفتح ، محب الدين ابن الهائم ، مصرى الأصل ، ولا يعرف تاريخ مولده على وجه التحديد ، انتقل إلى بيت المقدس ، فأقام بها حتى مات سنة ٧٩٨ هـ . وكتابه : « الغرر المضية فى شرح نظم الدرر السنية » ، وهو شرح لألفية العراقى فى نظم السيرة النبوية ، ترجمته فى شذرات الذهب ٣٥٥/٦ .

(٦) السمهودى : على بن عبد الله بن أحمد الحسنى الشافعى نور الدين أبو الحسن ، فقيه المدينة ومؤرخها ، ولد فى سمهود بصعيد مصر سنة ٨٤٤ هـ ونشأ فى القاهرة ثم رحل إلى المدينة المنورة سنة ٨٧٣ هـ ، وأقام بها إلى أن توفى سنة ٩١١ هـ . ومن أشهر كتبه : « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » و « خلاصة الوفا » و « الفتاوى » . ترجمته فى الضوء اللامع ٢٤٥/٥ . والنور السافر ٥٨ ، ومعجم المطبوعات ١٠٥٢ .

(٧) السيوطى : عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى السيوطى ، جلال الدين ، الإمام الحافظ ، =

وسميت هذا الكتاب : « سُبُل الهُدى والرَّشاد فى سِيرة خَيْر العِبَاد ، وذكر فضائله وأعلام نبوّته وأفعاله وأحواله فى المَبْدأ والمعَاد » .

وإذا تأملت هذا الكتاب[1] علمتَ أنه نتيجة عُمْرى وذخيرة دَهْرى ، والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يَمُنَّ علىّ بالنظر إليه فى دار النعيم ، وهو حسبى ونعم الوكيل ، ما شاء الله كان وما لم يشأْ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم .

وقبل[2] الشروع فى مقاصد الكتاب أُثْبتُ ما فيه[2] من الأَبواب ، وهى نحو ألف باب . والله الهادى للصواب .

= له ما يقرب من ستمائة مصنف فى مختلف فروع الثقافة الإسلامية ، ولد بالقاهرة سنة ٨٤٩ ونشأ بالقاهرة ، وأقبل على الدراسة والتحصيل ، ولما بلغ أربعين سنة اعتكف فى روضة المقياس على النيل متخلياً عن الناس مقبلا على الكتابة والتأليف ، وانصرف عن المناصب وتجافى عن الولاة ورد هدايا السلطان ، ولم يجب طلبه فى حضوره إليه وبقى على ذلك إلى أن توفى سنة ٩١١ هـ . ومن أشهر كتبه : « الإتقان فى علوم القرآن » و « الأشباه والنظائر » فى الفقه و « اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة » و « المزهر » فى علوم اللغة و « بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة » و « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » وغير ذلك كثير جداً .

(١) ص ت م : وإذا تأملته . وما أثبته من ط .

(٢) لم يذكر فى « ط » تراجم الأبواب ، وإنما الموجود منها فى صدر الجزء الأول فهرس مفصل لأبواب هذا الجزء كتب سنة ١٢٢٠ هـ على يد محمد سليمان بن عبد الرحمن بن صالح ، وفى هذا الفهرس يذكر جماع الأبواب ثم عددها على وجه الإجمال فيقول : وفيه أحد عشر باباً – مثلا – ثم يقول : الباب الأول فى كذا .

ويظهر الاختلاف بين النسخ : ص من جهة وت م من جهة أخرى فى ترتيب الأبواب وفى عددها وتراجمها فى بعض الأحيان .

جماع أبواب بعض الفضائل والآيــات
الواقعة قبل مولده صلى الله عليه وسلم

جماع أبواب فضائل بلده المنيف
ومسقط رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم

جماع[1] أبواب نسبه الشريف
صلى الله عليه وسلم

---

(١) ت م : ما فيها .

جماع أبواب مولده الشريف صلى الله عليه وسلم

جماع أبواب رضاعه صلى الله عليه وسلم

جماع أبواب أسمائه صلى الله عليه وسلم وكناه

جماع أبواب صفات جسده الشريف صلى الله عليه وسلم

---

(١) ص ت م : كالمقدمات .

(٢) ت م : وطرقه .

(٣) ص : باب الآية فى سمعه الشريف .

باب : طوله واعتدال خَلْقه ورقَّة بشَرته صلى الله عليه وسلم .

باب : عرقه وطيب ريحه[1] صلى الله عليه وسلم .

باب : مشيه وأنه لم يكن يرى له ظل صلى الله عليه وسلم .

باب : الآية فى صوته وبلوغه حيث لا يبلغ صوته غيره . صلى الله عليه وسلم .

باب : فصاحته صلى الله عليه وسلم .

باب : معرفة أسماء الذين كانت صفات أجسادهم[2] تَقْرب من صفات جسده صلى الله عليه وسلم .

جماع أبواب الأمور الكائنة بعد مولده وقبل بعثته صلى الله عليه وسلم

باب : وفاة أمه آمنة بنت وهب وحضانة أم أيمن له صلى الله عليه وسلم .

باب : كفالة عبد المطلب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ومعرفته بشأنه .

باب : استسقاء أهل مكة بجَدّه وهو معهم وسُقْياهم ببركته صلى الله عليه وسلم .

باب : ما حصل له فى سنة سَبْع من مولده صلى الله عليه وسلم .

باب : وفاة عبد المطلب ووصيته لأبى طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم وما ظهر فى ذلك من الآيات .

باب : استسقاء أبى طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم وعطش أبى طالب وشكواه ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم .

باب : سَفره صلى الله عليه وسلم مع عمه الزُّبير بن عبد المطلب إلى اليمن .

باب : سَفره صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب إلى الشام .

باب : فى حفظ الله إياه فى شبابه عما كان عليه أهل الجاهلية واشتهاره بالأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة قبل بعثته ، وتعظيم قومه له ، صلى الله عليه وسلم .

باب : شهوده صلى الله عليه وسلم حرب الفِجَار .

باب : شهوده صلى الله عيه وسلم حِلْف الفضول .

---

(١) ط : وطيبه.

(٢) ط : صفات أخبارهم

جماع أبواب مبعثه صلى الله عليه وسلم

---

(١) ص ت م : رعيته .
(٢) ت م : إنزال القرآن . وص : إنزال وحى القرآن . وما أثبته من ط .
(٣) كذا فى ط . وفى ص ت م : وتشريف الله تعالى لنبيه محمد بالرسالة .

جماع أبواب بعض الأمور الكائنة بعد بعثته صلى الله عليه وسلم

---

(١) ط : بإظهار الإسلام .

(٢) ص ت م : لأبى طالب . وما أثبته من ط .

---

(١) ص ت م : بما .
(٢) ط : وإلى المدينة .
(٣) ص ت م : قصة . وما أثبته من ط .
(٤) ص ت م : الأواسى محرفة . وما أثبته من ط .

جماع أبواب معراجه صلى الله عليه وسلم

جماع أبواب بدء إسلام الأنصار رضى الله تعالى عنهم أجمعين

(١) ط : فى إسلام الجن .

(٢) ط : فى بعض فوائد قوله تعالى .

باب : بيعة العقبة الثانية .

باب : إسلام عمرو بن الجَمُوح - بفتح الجيم وبالحاء المهملة - رضى الله عنه .

جماع أبواب الهجرة إلى المدينة الشريفة

باب : إذن النبي صلى الله عليه وسلم فى الهجرة إلى المدينة للمسلمين .

باب : سبب هجرته[1] بنفسه الكريمة وكفاية الله ورسوله مَكْر المشركين حين أرادوا به ما أرادوا .

باب : قَدْر إقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة ورؤياه صلى الله عليه وسلم الأَرض التى يهاجر إليها[2] .

باب : هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة وما وقع فى ذلك من الآيات .

باب : تلقِّى أَهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزوله بُقُبَاء وتأْسيسه لمسجد قباء .

باب : قدومه صلى الله عليه وسلم باطن المدينة وسُكْناه بدار أَبى أَيوب .

جماع أبواب بعض فضائل المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

جماع أبواب بعض فضائل المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

باب : بدء نشأَتها[3] .

باب : سَرْد أَسمائها مرتبة على حروف العجم .

باب : النهى عن تسميتها يثرب .

باب : فى محبته صلى الله عليه وسلم ودعائه لها ولأَهلها ورفع الوباء عنها بدعائه .

باب : عصمتها من الدجال والطاعون ببركته صلى الله عليه وسلم .

باب : الحث على الإقامة بها والموت بها والصبر على لأْوائها ونفيها الخبث والذنوب واتخاذ الأُصول بها والنهى عن هدم بنيانها .

باب : وعيد من أَحْدث بها حدثا أَو آوى بها مُحْدثا أَو أَرادها وأَهلَها بسوء أَو أخافهم والوصية بهم .

---

(١) ت م : هجرة النبي . (٢) ص : الذى هاجر إليها . (٣) ص : بدء شأنها .

جماع أبواب بعض حوادث من السنة الأولى والثانية من الهجرة

جماع أبواب أمور دارت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اليهود والمنافقين . ونزول صدر سورة البقرة وغيرها[2] من القرآن فى ذلك

---

(١) ت م : بين أصحابه.　(٢) ص : وغيره.
(٣) الأصل : شأس بن القيس . والتصويب من ابن هشام .

باب : سبب نزول قوله تعالى ؛ « لقد سَمِع الله قولَ الذين قالوا إن الله فقير » . الآية .

باب : سؤالهم إياه عن أَشياء لا يعرفها إلا نبى ، وجوابه لهم وتصديقهم إياه .

باب : اخبارهم إياه بأَنه أَصاب ، وتمرّدهم عن الإِيمان به صلى الله عليه وسلم .

باب : رجوعهم إليه فى عقوبة الزانى منهم وما ظهر فى ذلك من كتمانهم ما أَنزل الله عز وجل فى التوراة من حكمه وصفة نبيه صلى الله عليه وسلم .

باب : سؤاله لهم أَن يتمنَّوا الموت إن كانوا صادقين فى دعاوى ادَّعَوْها .

باب : سِحْرهم إياه وإعلام الله له بذلك وإنزال[1] سورة الفلق والناس .

باب : معرفة صفات المنافقين الذين انضافوا[2] ليهود وبعض أُمور دارت بين النبى صلى الله عليه وسلم وبينهم .

جماع أبواب المغازى التى غزا[3] فيها صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريم صلى الله عليه وسلم

باب : الإذن بالقتال[4] ونَسْخ العفو عن المشركين وأَهل الكتاب .

باب : اختلاف الناس فى عَدد المغازى التى غزا فيها بنفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم

باب : غزوة الأَبواء وهى وَدَّان .

باب : غزوةُ بواط .

باب : غزوة سَفْوان ، وهى بَدْر الأُولى .

باب : غزوة العشيرة .

باب : غزوة بَدْر الكبرى .

باب : غزوة بنى سُلَيْم ويقال لها قَرْقرة الكُدْر .

باب : غزوة السَّويق .

باب : غزوة غَطَفان ، وهى ذوأَمَرَ .

باب : غزوة الفُرُع .

---

(١) ت م : ونزول .

(٢) ص : لما انضافوا .

(٣) تم : التى غزاها .

(٤) ت م : فى القتال .

باب : غزوة بنى قَيْنقاع .

باب : غزوة أُحد .

باب : غزوة حمراء الأَسد .

باب : غزوة بنى النَّضِير .

باب : غزوة بَدْر الموْعِد .

باب : غزوة دَوْمة الجَنْدَل .

باب : غزوة الخندق ، وهى الأَحزاب .

باب : غزوة بنى المصْطَلق وهى المُرَيْسيع .

باب : غزوة بنى قُرَيْظة .

باب : غزوة بنى لَحْيان .

باب : غزوة الحُدَيْبية .

باب : غزوة ذى قَرد وهى الغابة .

باب : غزوة خيبر ووادى[1] القُرَى .

باب : غزوة ذات الرِّقَاع .

باب : غزوة عمرة القَضِيّة .

باب : غزوة الفتح الأَعظم فتح مكة شرفها الله تعالى .

باب : غزوة حُنَين وهى هَوازن .

باب : غزوة الطائف .

باب : غزوة تبوك .

جماع أبواب بعض سراياه وبعوثه وبعض فتوحاته صلى الله عليه وسلم

باب : عدد سراياه وبعوثه ومعنى السَّرية .

باب : أَى وقت كان يبعث سراياه ووداعه إِياهم ومَشْيه مع بعضهم وهو راكب إلى خارج المدينة صلى الله عليه وسلم ، ووصيته لأَمير السرايا .

---

(١) ص : وهى وادى القرى .

باب : عذره عن تخلُّفه عن صُحبة السرايا .

باب : سرية عُبيدة بن الحارث بن المطلب رضى الله عنه إلى بطن رابغ .

باب : سرية حمزة بن عبد المطلب إلى سِيف البحر[1] .

باب : سرية سعد بن أبى وقاص إلى الخرار .

باب : سرية سعد بن أبى وقاص أيضا إلى بنى كنانة .

باب : سرية أمير المؤمنين المجدَّع فى الله ، عبد الله بن جحش إلى نخلة .

باب : بعث عمير بن عَدِى الخطمى رضى الله عنه إلى عصماء بنت مروان .

باب : بعث سالم بن عمير رضى الله عنه إلى أبى عَفك اليهودى .

باب : سرية محمد بن مَسْلمة رضى الله عنه إلى كعب بن الأَشْرف .

باب : سرية زيد بن حارثة إلى القَرْدَة .

باب : سرية أبى سلَمة عبد الله بن عبد الأَسد رضى الله عنه إلى [ذى[2]] قطَن .

باب : بعثه عبدَ الله بن أُنَيْس رضى الله عنه إلى سفيان بن خالد الهُذَلى .

باب : سرية مَرْثَد بن أبى مرثد الغنَوى رضى الله عنه إلى الرَّجيع .

باب : سرية المنذر بن عمرو رضى الله عنه إلى بئر مَعُونة ، وهى سرية القُرَّاء .

باب : سرية محمد بن مَسْلمة رضى الله عنه إلى القُرَطاء .

باب : سرية عُكَّاشة بن مِحْصَن رضى الله عنه إلى غَمْر مرزوق .

باب : سرية محمد بن مسلمة إلى بنى معاوية وبنى عَوَال بذى القَصَّة .

باب : سرية أبى عبيدة بن الجراح إلى ذى القَصَّة أيضا .

باب : سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه إلى بنى سليم بالجَمُوم .

باب : سرية زيد أيضا إلى العِيص .

باب : سرية زيد أيضا إلى الطَّراف[3] .

باب : سرية زيد أيضا إلى حُسْمَى .

---

(١) هناك اختلاف فى ترتيب الأبواب بين نسخة « ص » ونسختى « ت م » فى هذا الموضع .

(٢) زيادة من الباب نفسه . (٣) ت م : إلى الطوق .

باب : سرية زيد أيضا إلى وادى القُرى[1] .

باب : سرية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه إلى دَوْمة الجَنْدل .

باب : سرية زيد بن حارثة إلى مَدْين .

باب : سرية أمير المؤمنين على بن أبي طالب إلى بنى سعد بن بكر بفَدَك .

باب : سرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه إلى بنى فزَارة بناحية وادى القرى .

باب : سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه إلى بنى فَزارة .

باب : سرية عبد الله بن عَتِيك رضى الله عنه إلى أبى رافع بن الحُقَيْق .

باب : سرية عبد الله بن رَواحة رضى الله عنه إلى أُسَيْر[2] بن رزَام بخيبر .

باب : سرية كُرْز بن جابر أو سعيد بن زيد رضى الله عنه إلى العُرَنيّين .

باب : بعثه صلى الله عليه وسلم عمرو بن أُمية الضَّمْرىّ رضى الله عنه ليفتك بأبى سفيان .

باب : سرية أبَان بن سعيد رضى الله عنه قِبلَ نَجْد .

باب : سرية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى تُرَبة .

باب : سرية أمير المؤمنين أبى بكر الصديق رضى الله عنه إلى بنى كِلَاب بنجد .

باب : سرية بَشِير بن سعد رضى الله تعالى عنه إلى بنى مُرة بفدَك .

باب : سرية غالب بن عبد الله رضى الله عنه إلى مِيْفَعة[3] .

باب : سرية بشير بن سعد إلى يَمْن وجَبَار[4] .

باب : سرية الأَحزم بن أبى العَوْجاء السُّلَمى رضى الله عنه إلى بنى سُلَيْم .

باب : سرية غالب بن عبد الله رضى الله عنه إلى بنى المُلَوِّح بالكَدِيد .

باب : سرية غالب بن عبد الله أيضا إلى مُصاب أصحاب بشير بن سعد بفَدك .

باب : سرية شُجَاع بن وهب رضى الله عنه إلى بنى عامر .

باب : سرية كعب بن عمير الغِفَارى رضى الله عنه إلى ذات أطلاح .

---

(١) هذا الباب مؤخر فى الكتاب عن هذا الموضع .

(٢) أو يسير بن رزام كما فى موضعه من الكتاب .

(٣) فىالقاموس بفتح الميم وقال شارحه: قال السهيلى فى الروض: قيده رواة السيرة بكسر الميم والقياس الفتح لأنه اسم موضع من البقاع وهو المرتفع من الأرض .

(٤) جبار : ضبطه الزرقانى بفتح الجيم وضبط فى معجم البلدان بضمها .

باب : سرية[1] مؤتة من عمل البَلْقاء .

باب : سرية عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى ذات السلاسِل .

باب : سرية أَبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه إلى حىّ من جهينة ، وتعرف بسريّة الخبَط .

باب : سرية أَبى قَتادة الأَنصارى إلى خضِرة وقصة ابن أَبى حَدْرَد .

باب : سرية أَبى قتادة أَيضا رضى الله عنه إلى بطن إِضَم .

باب : بعث أُسَامة بن زيد رضى الله عنهما إلى الحرقات .

باب : سرية خالد بن الوليد رضى الله عنه لهدم العُزَّى .

باب : سرية عمرو بن العاص لهدم سُوَاع

باب : سرية سعيد بن زيد الأَشهلى رضى الله عنه لهدم مَنَاة

باب : سرية خالد بن الوليد إلى بنى جذِيمَة بناحية يلَمْلَم .

باب : سرية أَبى عامر الأَشعرى إلى أَوْطَاس .

باب : سرية الطُّفيل بن عمرو الدَّوسى لهدم ذى الكَفَّيْن .

باب : سرية قيس بن سعد بن عبادة إلى ناحية اليمن لصداء .

باب : سرية عُيَيْنة بن حِصْن الفَزارى إلى بنى تميم .

باب : بعثه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عَوْسَجة رضى الله عنه إلى بنى حارثة بن عمرو .

باب : سرية قُطْبة بن عامر رضى الله عنه إلى خَثْعَم

باب : سرية الضحَّاك بن سُفيان الكلاَبى رضى الله عنه إلى بنى كِلَاب .

باب : سرية عَلْقمة بن مجَزّز المدْلجى رضى الله عنه إلى الحبشة .

باب : سرية أَمير على بن أَبى طالب لهدم الفُلْس[2] .

باب : بعث عُكَّاشة بن مِحْصن رضى الله عنه إلى الجباب .

باب : سَرية خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى أُكَيْدر بن بن عبد الملك .

---

(١) ص : غزوة مؤتة . وما أثبته من ت م .

(٢) الأصل : لهدم القليس ، محرفة ، والتصويب من الباب نفسه فى الكتاب . والفلس بضم الفاء واللام وهو ما رجحه ياقوت نقلا عن الجمهرة عن ابن الكلبى فيما رواه السكرى عن حبيب عنه : صنم لطيء ، وضبطه القاموس بكسر الفاء وسكون اللام .

جماع أبواب بعض الوفود إليه صلى الله عليه وسلم

(١) سيرد فى الكتاب : إلى أبنى وهى أرض الشراة بناحية البلقاء .
(٢) ت م : وإجازة بعضهم .

باب : وفود بنى أسد إليه صلى الله عليه وسلم .

باب : وفود أشجع إليه صلى الله عليه وسلم .

باب : وفود الأشعريين إليه صلى الله عليه وسلم .

باب : وفود أعشى بن مازن[1] عليه .

باب : وفود أعشى بن قيس عليه .

باب : وفود بارِق إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

باب : وفود باهِلة إليه .

باب : وفود بنى البكَّاء إليه صلى الله عليه وسلم .

باب : وفود بنى بكر بن وائل إليه .

باب : وفود بَلِىّ إليه صلى الله عليه وسلم .

باب : وفود بَهْراء إليه صلى الله عليه وسلم .

باب : وفود تَجِيب[2] إليه صلى الله عليه وسلم .

باب : وفود بنى ثعلبة إليه صلى الله عليه وسلم .

باب : وفود بنى تميم إليه صلى الله عليه وسلم .

باب : وفود بنى ثَقِيف إليه صلى الله عليه وسلم .

باب : وفود ثُمالة والحُدّان إليه صلى الله عليه وسلم .

باب : وفود الجارود بن المعلَّى إليه .

باب : وفود جُذَام إليه صلى الله عليه وسلم .

باب : وفود جِرْم إليه صلى الله عليه وسلم .

باب : وفود جرير بن عبد الله إليه صلى الله عليهُ وسلم .

باب : وفود جَعْدة إليه صلى الله عليه وسلم .

باب : وفود جُعْفِىّ إليه صلى الله عليه وسلم .

باب : وفود جُهَيْنة إليه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ت ، م : قدوم أعشى بن مازن .

(٢) فى القاموس : بالضم ويفتح : بطن من كندة

(١) من أسد الغابة ١٣٦/٢ .

(١) تم : عامر
(٢) ص : ابن عامر ، محرفة ، وانظر أسد الغابة ٤/١٧٨ .

(١) هذا الباب غير موجود فى الكتاب فى موضعه ، وليس فيه إلا الترجمة . وفى الأصل : قرد بن عامر . والتصويب من أسد الغابة ٤/٢٠٠ . وهو قدد بن عمار السلمى .

باب : ما قيل فى اجتماع الياس به ، إن صح الخبر بذلك صلى الله عليه وسلم .
باب : ما روى من اجتماع الخَضِر به ، إن صح الخبر صلى الله عليه وسلم .
باب : ما روى من قدوم هامة بن الهِيم[1] بن لاقِيس بن إبليس وإسلامه إن صح الخبر .
باب : وفود السِّباع إليه صلى الله عليه وسلم .

جماع أبواب صفاته المعنوية عليه الصلاة والسلام

باب : وفور عَقْله عليه السلام .
باب : حسن خلقه[2] صلى الله عليه وسلم .
باب : حلمه وعفوه مع القدرة .
باب : حيائه صلى الله عليه وسلم .
باب : مداراته وصبره على ما يكره .
باب : بِرّه وشفقته ورحمته صلى الله عليه وسلم .
باب : تواضعه صلى الله عليه وسلم .
باب : كراهيته للإطراء وقيام الناس له .
باب : شجاعته وقوته عليه السلام .
باب : كَرمه وجُوده صلى الله عليه وسلم .
باب : خوفه وتضرّعه عليه السلام .
باب : استغفاره وتوبته صلى الله عليه وسلم .
باب : قِصَر أمله عليه السلام .
باب : إعطائه القَوْد من نفسه الكريمة .
باب : بكائه عليه السلام .
باب : زهده وورعه صلى الله عليه وسلم .
باب : اقتناعه باليسير .
باب : ما جاء أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يدَّخر شيئًا لغد . وما جاء أنه كان يدخر قوت سنةٍ لعياله صلى الله عليه وسلم .

(١) ت م : بن هيم (٢) ت م : حسن عقله .

جماع أبواب سيرته فى أكله وذكر مأكولاته عليه الصلاة والسلام

باب : آداب جامعة وفيه أنواع .

باب : صفة خبزه وأمره بإكرام الخبز ونهيه عن إلقائه .

باب : ما أكله صلى الله عليه وسلم من لحوم الحيوانات وفيه أنواع .

باب : ما أكله صلى الله عليه وسلم من أطعمة مختلفة وفيه أنواع .

باب : ما أكله صلى الله عليه وسلم من الفواكه والقِلْويّات[1] وفيه أنواع .

باب : ما أكله صلى الله عليه وسلم من الخضراوات وفيه أنواع .

باب : فيما كان أحب الطعام إليه صلى الله عليه وسلم وفيه أنواع .

باب : ما كان يعافه صلى الله عليه وسلم من الأطعمة وفيه أنواع .

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم فى مشربه وذكر مشروباته

باب : ما جاء أنه كان يُسْتعذب له الماء ، وذكر الآبار التى شرب منها وبصَق فيها ودعا فيها بالبركَة وفيه أيضا أنواع .

باب : الآنية التى شرب منها[2] . وفيه أنواع .

باب : شُرْبه قاعدا أو قائما . وفيه أنواع .

باب : آدابه صلى الله عليه وسلم فى شُربه .

باب : ذكر مشروباته صلى الله عليه وسلم وفيه أنواع .

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم فى نومه وانتباهه

باب : سِيرته قبل نومه وفيه أنواع .

باب : ما كان رسول الله يقوله ويفعله إذا أراد النوم .

باب : ما كان صلى الله عليه وسلم يقوله إذا أصبح وإذا أمسى .

باب : ما كان يقوله ويفعله إذا استيقظ .

---

(١) ص : والنيونات . والقلويات لعلها جمع قلوى . والقلو : شىء يتخذ من حريق الحمض .

(٢) ت م : فيها .

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم فى الرؤيا وذكر بعض مناماته

باب : تفسيره عليه السلام الرؤيا وأن الرؤيا الصالحة جزء من أجزاء من النبوة وأنها من المبشِّرات وما يتعلق بذلك من الآداب وفيه أنواع .

باب : ما عبَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرؤيا أو عبِّر بين يديه وأقرَّه .

باب : ذكر بعض مناماته .

جماع أبواب سيرته فى لباسه وذكر ملبوساته صلى الله عليه وسلم

باب : آدابه صلى الله عليه وسلم فى لباسه وفيه أنواع .

باب : سيرته صلى الله عليه وسلم فى العمامة والعَذبة والتلحِّى وفيه أنواع .

باب : قلنسوته عليه السلام .

باب : تقنُّعه وقِنَاعه صلى الله عليه وسلم .

باب : قميصه وإزاره وجيبه .

باب : لبسه الجبة وفيه نوعان .

باب : لبسه الحُلَّة وفيه نوعان .

باب : لبسه العَباء وفيه نوعان .

باب : إزاره وكسائه وردائه وبُرْدته وخَمِيصته وشَمْلته صلى الله عليه وسلم .

باب : سراويله صلى الله عليه وسلم .

باب : أنواع من ملابسه غير ما تقدم وفيه أنواع .

باب : ألوان الثياب التى لبسها صلى الله عليه وسلم وفيه أنواع .

باب : ما كرهه صلى الله عليه وسلم من الألوان والملابس .

باب : خُفَّيه ونَعْليه صلى الله عليه وسلم وفيه نوعان .

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم فى خاتمه الذى فى يده

باب : فى أمر الله تعالى له باتخاذ الخاتم إن صح الخبر بسبب اتخاذه الخاتم .

باب : فى لبسه صلى الله عليه وسلم خاتم الذهب ثم تركه له وتحريم لبسه .

باب : فى أىّ يد كان يتختّم صلى الله عليه وسلم .

باب : فيما روى فى أى جهة من يده صلى الله عليه وسلم كان يجعل فص خاتمه .

باب : فيما قيل إنه صلى الله عليه وسلم إنما لبس الخاتم يومًا واحدا ثم تركه .

باب : فى آداب تتعلق بالخاتم .

جماع أبواب سيرته فى زينته وخصال الفطرة

باب : خاتمه صلى الله عليه وسلم وفيه أنواع غير ما تقدم .

باب : استعماله صلى الله عليه وسلم الطِّيب ومحبته له وفيه أنواع .

باب : خِضَابه صلى الله عليه وسلم وفيه نوعان .

باب : استعماله صلى الله عليه وسلم المشط وادّهانه ونظره فى المرآة واكتحاله .

باب : قَصّه ظُفْره وشاربه وكذا أخذه من لحيته الشريفة إن صح الخبر وسيرته فى شعر رأسه .

باب : تفلية أُم حرام رضى الله عنها رأسَه صلى الله عليه وسلم .

باب : استعماله النُّوْرة صلى الله عليه وسلم .

جماع أبواب آلات بيته صلى الله عليه وسلم وزاده تشريفا وفضلا

باب : سريره وكرسيّه صلى الله عليه وسلم .

باب : حَصِيره وفراشه ولحافه وقطيفته ووسادته صلى الله عليه وسلم .

باب : كراهيته صلى الله عليه وسلم ستر الجدار أو الباب[1] بشيء فيه صورة حيوان .

باب : آنيته وأثاثه صلى الله عليه وسلم .

جماع أبواب آلات حروبه صلى الله عليه وسلم

باب : قِسيّه صلى الله عليه وسلم وفيه نوعان .

باب : سيوفه صلى الله عليه وسلم وفيه نوعان .

باب : رماحه صلى الله عليه وسلم وحرابه وعَنزته ومِحْجنه وقضيبه ومِخْصرته وعصاه[2] وفيه أنواع[3] .

---

(١) ت م : وكذا الباب .

(٢) ت م : وعصاته

(٣) ت م : وفيه نوعان .

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم فى ركوبه

جماع أبواب دوابه صلى الله عليه وسلم

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم فى السفر والرجوع منه

---

(١) المثيرة : هنة كهيئة المرفقة تتخذ للسرج كالصفة .

باب : ما كان يقوله ويفعله إذا رجع من سفره ، وما كان يفعله إذا قدم ، وما كان يقوله إذا دخل على أهله صلى الله عليه وسلم .

باب : آداب متفرقة تتعلق بالسفر ، وفيه أنواع .

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم فى الطهارة للصلاة[1]

باب : المياه التى توضأ أو اغتسل منها صلى الله عليه وسلم وفيه أنواع .

باب : آدابه صلى الله عليه وسلم عند قضاء الحاجة وفيه أنواع .

باب : إزالته النجاسة وفيه أنواع .

باب : سِوَاكه صلى الله عليه وسلم وفيه أنواع .

باب : آدابه صلى الله عليه وسلم فى وضوئه وفيه أنواع .

باب : مسحه على الخفين والجبائر وفيه أنواع .

باب : تيممه صلى الله عليه وسلم وفيه أنواع .

باب : غسله صلى الله عليه وسلم وفيه أنواع .

باب : استمتاعه بما بين السُّرة والركبة من امرأته الحائض واستخدامه ومجالسته لها .

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم فى صلاة الفرائض[2]

باب : اختلاف العلماء فيما كان يتعبد[3] به قبل البعثة : هل كان بِشْرع من تقدّم أم لا ؟

باب : مواقيت صلواته الفرائض صلى الله عليه وسلم وفيه أنواع .

باب : امتناعه صلى الله عليه وسلم من الصلاة فى الأوقات المكروهة .

باب : ما جاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى بعد العصر ركعتين .

باب : سيرته فى الأذان والإقامة .

باب : ما ورد أنه صلى الله عليه وسلم أَذَّن مرةً وذكر مؤذنيه وما كان يقوله إذا سمع الأذان والإقامة وآدابه فى ذلك وفيه أنواع .

باب : آدابه صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالمساجد وفيه أنواع .

---

(١) ت : والصلاة

(٢) ت م : فى صلاة الفرض .

(٣) ت م : متعبدا .

باب : سيرته صلى الله عليه وسلم فى صلاة الجمعة وفيه نوعان .

باب : سيرته بعد الخروج من الصلاة صلى الله عليه وسلم .

جماع أبواب سيرته فى صلاة الفرض فى السفر[1] صلى الله عليه وسلم

باب : إباحته صلى الله عليه وسلم القَصْر وأنه رخصة .

باب : تقديره مسافة القصر وابتدائه والقصر[2] مع الإقامة ببلد الحاجة .

باب : جَمْعه صلى الله عليه وسلم بين الصلاتين وفيه أنواع .

باب : صلاته صلى الله عليه وسلم النوافل فى السفر وفيه نوعان .

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم فى صلاة الخوف

باب : بيان عدد المرات والكيفيات التى صدرت منه صلى الله عليه وسلم لصلاة الخوف على سبيل الإجمال .

باب : صلاته صلى الله عليه وسلم النوافل فى السفر وفيه نوعان .

باب : كيفية صلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف .

باب : كيفيات صلاته صلى الله عليه وسلم لصلاة الخوف على سبيل التفصيل .

باب : فوائد وتنبيهات تتعلق بصلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف .

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم فى صلاة النوافل التى لم تشرع لها الجماعة

باب : صلاته صلى الله عليه وسلم السنن المقرونة بالفرائض وفيه نوعان .

باب : صلاته صلى الله عليه وسلم الصبح ومحافظته عليها .

باب : صلاته قبل الظهر والعصر وبعدهما .

باب : صلاته بعد المغرب والعشاء وفيه أنواع .

باب : صلاته صلاة الاستخارة .

باب : أحاديث جامعة لرواتب مشتركة .

باب : صلاته صلى الله عليه وسلم الوتر وفيه أنواع .

---

(١) ص : فى صلاة السفر .

(٢) ت م : وابتدائه القصر .

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم فى صلاة الليل

باب : شدة اجتهاده فى العبادة .

باب : إيقاظه أهله لصلاة الليل .

باب : وقت قيامه لصلاة الليل وقَدْره وقدر نومه وصفة قراءته .

باب : افتتاحه صلاة الليل ودعائه قبل تهجّده .

باب : صفة صلاته بالليل .

باب : بيان عدد ركعات صلاته بالليل .

باب : دعائه صلى الله عليه وسلم بعد تهجده .

باب : قيامه الليل بآية يرددها ، وقضائه له إذا تركه .

باب : قيامه صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان[1] .

جماع أبواب سيرته فى صلاة الضحى وصلاة الزوال

باب : استنباط صلاة الضحى من القرآن وبعض ما ورد فى فضلها والأمر

باب : صلاته صلاة الضحى وفيه نوعان .

باب : الجواب عما ورد أنه لم يصلها .

باب : فوائد تتعلق بصلاة الضحى .

باب : صلاته صلى الله عليه وسلم قبيل[2] الزوال وبعده[3] .

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم فى صلاة العيدين

باب : آدابه قبل الصلاة وفيه أنواع .

باب : آدابه صلى الله عليه وسلم فى صلاة العيدين وفيه أنواع .

باب : آدابه صلى الله عليه وسلم فى خطبة العيدين وفيه أنواع .

باب : آدابه فى رجوعه وفيه أنواع .

باب : آداب متفرقة تتعلق بالعيدين وفيه أنواع .

---

(١) ت م : فى غير رمضان .

(٢) ت : قبل الزوال .

(٣) ص : وعنده .

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم فى صلاة الكسوف

باب : آداب متفرقة .

باب : بيان كيفيات صلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف .

باب : صفة قراءته فى كسوف الشمس وفيه نوعان .

باب : صلاته صلى الله عليه وسلم فى خسوف القمر[1] .

جماع أبواب سيرته فى الاستسقاء والمطر والريح والسحاب والرعد والصواعق

باب : آدابه صلى الله عليه وسلم قبل الصلاة وفيه أنواع .

باب : استسقائه صلى الله عليه وسلم بخطبتين على المنبر وصلاة ركعتين بلا أذان وبلا إقامة وفيه أنواع .

باب : استسقائه صلى الله عليه وسلم فى خطبة الجمعة وبالدعاء بغير صلاة .

باب : استسقائه لأهل إقليم آخر [بالدعاء من غير صلاة[2]] .

باب : سيرته صلى الله عليه وسلم فى المطر والسحاب والريح والرعد والصواعق .

جماع أبواب سيرته فى المرضى والمحتضرين والموتى

باب : سيرته فى عِيَادة المرضى .

باب : سيرته فى المحتضَرين .

باب : حزنه وبكائه إذا مات أحد من أصحابه .

باب : سيرته فى غسل الميت وتكفينه وفيه نوعان .

باب : سيرته صلى الله عليه وسلم فى الجنازة وفيه أنواع .

باب : سيرته فى الصلاة على الميت وفيه أنواع .

باب : من كان يصلى عليه وفيه أنواع .

باب : مَنْ تَرك الصلاة عليه وفيه أنواع .

باب : سيرته فى دفن الميت وما يلتحق بذلك وفيه أنواع .

---

(١) ت م : لخسوف القمر .

(٢) زيادة من الباب نفسه .

باب : سيرته فى زيارة القبور وفيه أنواع .

باب : سيرته فى الشهداء والموتى .

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم فى الصدقة

باب : بعثه العمال لأخذها من الأغنياء وردها على الفقراء ووصيته عماله بالعدل .

باب : وصيته لأرباب الأموال ودعائه لمن أحسن وعلى من أساء فى الصدقة .

باب : فى الحول .

باب : أفرضة الزكاة المالية وأنواعها على التعيين وفيه أنواع .

باب : أخذه الزكاة ممّن عجلها .

باب : سيرته صلى الله عليه وسلم فى زكاة الفطر .

باب : سيرته فى المُدّ والصاع والوسق .

باب : من حُرم الصدقة ومن أُحلت[1] له وفيه أنواع .

باب : حثه على صدقة التطوع إذا نظر المحتاجَ .

باب : تصدّقه بقليل وكثير .

باب : أوقافه وصدقاته صلى الله عليه وسلم .

باب : سيرته فى السائلين وفيه أنواع .

جماع أبواب سيرته فى الصوم والاعتكاف

باب : ابتداء فرضه ودعائه ببلوغ رمضان وبشارة أصحابه[2] بقدومه .

باب : فرحه[3] صلى الله عليه وسلم برؤية الهلال وما كان يقول إذا رآه وصومه بشهادة عَدْلٍ واحد .

باب : وقت إفطاره وما كان يُفْطر عليه وما كان يقول عند إفطاره وما كان يقول إذا أفطر عند أحد وسحوره وإتمامه للصوم إذا رأى الهلال يوم الثلاثين نهارا .

باب : ما كان يفعله صلى الله عليه وسلم وهو صائم وفيه أنواع .

باب : إفطاره صلى الله عليه وسلم فى السفَر وصومه فيه .

---

(١) ت م : ومن أحلها له .

(٢) ت م : وبشارة الكافة .

(٣) ت م : باب صيامه .

جماع أبواب حجه وعمره صلى الله عليه وسلم

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم فى قراءة القرآن

جماع أبواب أذكاره ودعواته صلى الله عليه وسلم

جماع سيرته في المعاملات وما يلتحق بها

باب : الكلام على النقود التي كانت تُستعمل في أيامه صلى الله عليه وسلم .

باب : شرائه وبيعه وفيه أنواع .

باب : إيجاره واستئجاره وفيه نوعان[1] .

باب : استعارته وإعارته وفيه نوعان[2] .

باب : مشاركته صلى الله عليه وسلم .

باب : وكالته وتوكيله .

باب : شرائه بالثمن الحالّ والمؤجَّل .

باب : استدانته برهن وبغيره .

باب : ضمانه وفيه أنواع .

جماع أبواب سيرته في الهدايا والعطايا والإقطاعات

باب : سيرته في الهدية وفيه أنواع .

باب : سيرته في العطايا وفيه أنواع .

باب : سيرته صلى الله عليه وسلم في الإقطاع وفيه أنواع .

جماع أبواب سيرته في النكاح والطلاق والإيلاء

باب : آداب متفرقة وفيه أنواع .

باب : سيرته في الصَّدَاق وفيه أنواع .

باب : سيرته في الولائم وفيه أنواع .

باب : طلاقه وإيلائه .

باب : محبته صلى الله عليه وسلم للنساء .

باب : عَدْله صلى الله عليه وسلم بين نسائه .

باب : حُسْن خُلقه معهن ومداراته لهن وحثِّه على بِرّهن والصبر عليهن .

---

(١) ت م : وفيه أنواع .
(٢) ت م : وفيه أنواع .

جماع أبواب سيرته فى الصيد والذبائح

جماع أبواب سيرته فى الأَيمان والنذور

جماع أبواب سيرته فى الجهاد وما يلحق به

---

(١) ص : وتركه .

باب : أخذه الجِزْية ممن أبَى الإسلامَ .

جماع أبواب سيرته فى العلم وذكر بعض مروياته وفتاويه

باب : آدابه فى العلم وفيه أنواع .

باب : بعض ما فسّره من القرآن .

باب : بعض مروياته عن ربه تبارك وتعالى ، وتسمّى الأحاديث القدسية .

باب : روايته عن أبيه إبراهيم الخليل عليه السلام .

باب : روايته عن بعض أصحابه قصة مشاهدة الدجال والدابّة .

جماع أبواب سيرته فى أحكامه وأقضيته وفتاويه

باب : أحكامه وأقضيته فى المعاملات وما يتعلق بها وفيه أنواع .

باب : أحكامه وأقضيته فى الفرائض والوصايا .

باب : أحكامه وأقضيته فى النكاح والطلاق والخُلْع والرَّجْعة والإيلاء والظِّهار واللِّعان وإلحاق الولد ، وغير ذلك مما يُذكر وفيه أنواع .

باب : أحكامه وأقضيته فى الحدود وفيه أنواع .

باب : أحكامه فى الجنايات والقِصَاص والدِّيات والجراحات وفيه أنواع .

باب : سيرته فى الدعاوى والبينات وفصل الخصومات [1]

باب : أحكامه وأقضيته فى قضايا شتى غير ما سبق .

باب : فتاويه صلى الله عليه وسلم وفيه أنواع .

جماع أبواب سيرته فى الشعر عليه الصلاة والسلام

باب : مَدْحه لحسَنه وذمّه لقبيحه وتنفيره من الإكثار منه .

باب : استماعه شِعر بعض أصحابه فى المسجد وخارجه .

باب : أمره بعض أصحابه بهجاء المشركين .

باب : ما تمثّل به من الشعر .

باب : ما طلب إنشاده من غيره صلى الله عليه وسلم .

(١) ت م : المخاصمات .

جماع أبواب هديه وسمته ودله غير ما سبق

باب : استحبابه صلى الله عليه وسلم التَّيامُن[1] .

باب : محبته للفَأْل الحسن وتركه الطِّيَرة .

باب : سيرته فى الأَسماء والكُنَى وتسميته بعضَ أَولاد أَصحابه وتغييره الاسمَ القبيح . وفيه أَنواع .

باب : آدابه عند العُطَاس والبزاق والتثاؤب .

باب : سيرته فى الأَطفال ومحبته لهم ومداعبته[2] إياهم وسيرته فى النساء غير نسائه صلى الله عليه وسلم وفيه أَنواع .

باب : سيرته عند الغضب وفيه أَنواع .

باب : شفاعته والشفاعة إليه وفيه أَنواع .

باب : زيارته أَصحابه وإصلاحه بينهم .

باب : سؤاله الدعاء من بعض أَصحابه وتأْمينه على دعاء بعضهم .

باب : تهنئته وفيه أَنواع .

باب : سيرته فى الاعتذار والعُذر وفيه أَنواع .

باب : سيرته فى دخوله بيته وخروجه منه ومخالطته للناس وفيه أَنواع .

باب : وفائه بالعهد والوعد صلى الله عليه وسلم .

باب : إكرامه من يستحق إكرامه وتأَلُّفه أَهلَ الشَّرف .

باب : ربطه الخيط فى إصبعه أَو خاتمه إذا أَراد أَن يتذكر حاجة إن صح الخبر .

باب : احتياطه فى نفْى التهمة عنه .

باب : خروجه لبساتين بعض أَصحابه ومحبته لرؤية الخضرة وإعجابه النظر للأُتْرج والحمام الأَحمر . إن صح الخبر .

باب : عَوْمه عليه السلام .

باب : مسابقته على الأَقدام بنفسه .

---

(١) ص : التيمن .

(٢) ت م : وملاعبته .

جماع أبواب معجزاته السماوية صلى الله عليه وسلم

جماع أبواب معجزاته فى المياه وعذوبة ما كان منها مالحا

جماع معجزاته صلى الله عليه وسلم فى الأطعمة

جماع أبواب معجزاته صلى الله عليه وسلم فى الأشجار

جماع أبواب معجزاته صلى الله عليه وسلم في الجمادات

جماع أبواب معجزاته صلى الله عليه وسلم في الحيوانات

---

(١) ت م : أدمن .

باب : شكوى الحُمّرة إليه صلى الله عليه وسلم .

باب : قصة مجيء الشاة فى البرّية إليه صلى الله عليه وسلم .

باب : قصة الكلب الأسود معه صلى الله عليه وسلم .

باب : بركته فى فرس جُعَيْل وفرس أبى طلحة رضى الله عنهما .

باب : بركته فى حمارَىْ عصمة بن مالك وأبى طلحة رضى الله عنهما .

باب : قصة الطائر الذى حلّق بإحدى خفيه صلى الله عليه وسلم .

باب : ازدلاف البُدْنات إليه لما أراد نَحْرهن .

جماع أبواب معجزاته فى رؤيته المعانى فى صورة المحسوسات

باب : رؤيته الرحمةَ والسَّكِينة وإجابة الدعاء .

باب : رؤيته الحمّى وسماع كلامها .

باب : رؤيته الفِتَن .

باب : رؤيته الدنيا وسماع كلامها .

باب : رؤية الجمعة والساعة[1] .

جماع أبواب معجزاته صلى الله عليه وسلم فى انقلاب الأعيان له

باب : انقلاب الماء لبناً وزُبدا ببركته صلى الله عليه وسلم .

باب : انقلاب العصا سيفاً ببركته صلى الله عليه وسلم .

باب : انقلاب العُرْجون سيفاً ببركته صلى الله عليه وسلم .

جماع أبواب معجزاته فى تجلى ملكوت السموات والأرض واطلاعه على أحوال البرزخ والجنة والنساء وأحوال يوم القيامة

باب : تجلّى ملكوت السموات والأرض له صلى الله عليه وسلم .

باب : ما اطلع عليه من أحوال البرزخ فى الجنة والنار .

جماع أبواب معجزاته[2] فى إحياء الموتى وإبراء المرضى

باب : معجزاته فى إحياء الموتى وسماع كلامهم .

---

(١) ت م : والساعات

جماع أبواب معجزاته فى أثر يده الشريفة وريقه الطيب غير ما تقدم

جماع أبواب معجزاته فى إضاءة العرجون والعصا والأصابع والبرقة

جماع أبواب معجزاته فى رؤية بعض أصحابه الجنَّ والملائكة وسماع كلامهما

باب : معجزاته فى رؤية بعض أَصحابه الملائكة وسماع كلامهم إكراما له صلى الله عليه وسلم

باب : معجزاته فى رؤية بعض أَصحابه الجن وسماع كلامهم إكراما له .

جماع أبواب معجزاته فى إخباره رجالا بما حدثوا به أنفسهم وغير ذلك

باب : إخباره من حدَّث نفسه بالفتك به صلى الله عليه وسلم .

باب : إخباره من حدث نفسه بأَنه ليس فى القوم أَحد خير منه وما وقع فى ذلك من الآيات .

باب : إخباره وابصة بن مَعْبد بأَنه جاء يسأل عن البرّ والإثم .

باب : إخباره الثقفى والأَنصارى بما جاءا يسأَلان عنه .

باب : أَمره صلى الله عليه وسلم أَبا سعيد الخدرى بالاستعفاف لمّا أَراد أَن يسأله شيئا من الدنيا وما وقع فى ذلك من الآيات .

باب : إخباره من قال فى نفسه شعرا به .

باب : إخباره بالشاة التى أُخذت بغير إذن أَهلها .

باب : إخباره بنزول جماعة بالجابية وأَخذ الطاعون إياهم فكان كما أَخبر .

باب : إخباره شَدَّاد بن أَوس بأَنه يعافَى من مرضه وأَنه يسكن الشام . فكان كما قال (١) صلى الله عليه وسلم .

باب : إخباره من أَرسله إلى ابنته بما حبَسه .

باب : إخباره صلى الله عليه وسلم عمن قاتَل الكفار قتالا شديدا أَنه من أَهل النار، فقتل نفسه .

باب : إخباره بسبب اللحم الذى صار حجَرا .

باب : إخباره بما سُحر به صلى الله عليه وسلم .

باب : إخباره معاذا بأَن ناقته تَبْرك بالجند .

باب : إخباره من سأَل أَهلَ رجل عن حاله بما سأَل (٢) عنه .

---

(١) ت م : فكان كذلك .

(٢) ص : بما يسأله .

باب : إخباره بأن الأرضة أكلت الصحيفة الظالمة التى كتبتْها قريش .

باب : إخباره قريشا ليلة الإسراء بصفة بيت المقدس ، ولم يكن رآه قبل ليلة الإسراء .

باب : إخباره نوفل بن الحارث بماله الذى خبأه بجدة .

باب : إخباره بقتل الحارثِ بن نوفل مُجَذَّذَ بنَ زياد .

باب : إخباره بقتل أصحابه يوم الرَّجيع .

باب : إخباره بقتل أصحابه يوم بئر معُونة .

باب : إخباره بأن خيبر تُفتح على يد على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

باب : إخباره عن رجل قاتل[1] الكفار قتالا شديدا أنه من أهل النار فمات فوجدوه قد غَلَّ من الغنيمة وما فى ذلك من الآيات .

باب : إخباره بقتل من قُتل فى غزوة مُؤْتة يومَ أُصيبوا .

باب : إخباره بكتاب حاطب إلى أهل مكة .

باب : إخباره الأنصار بما قالوه يوم غزوة الفتح .

باب : إخباره عثمان بن طلحة بأنه سيصير مفتاح البيت إليه يضعه حيث شاء .

باب : إخباره شيبة بن عثمان بأنه لم يسلم بعدُ .

باب : إخباره عُيَيْنَةَ بن حِصْن بما قال لأهل[2] الطائف .

باب : إخباره بقتل كسرى يوم قُتل .

باب : إخباره صلى الله عليه وسلم بأَنْ جُعل بأْس هذه الأُمة بَيْنها .

باب : إخباره صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن بُسرْ أنه يعيش قرنا .

باب : إخباره صلى الله عليه وسلم أبا ركانة بما[3] ...

باب : إخباره بأناس يُسمّون الخَمْر بغير اسمها .

باب : إخباره أن الأذان فى آخر الزمان يليه سَفَلة الناس ويَرْغب عنه سادتهم .

باب : إخباره أن الأمر سيعود فى حِمْير .

باب : إخباره بحال الدجال .

---

(١) ص : بمن قاتل الكفار .

(٢) ت م : مما قال أهل الطائف .

(٣) بياض بالأصل .

جماع أبواب معجزاته فيما أخبر به من الكوائن بعد ، فكان كما أخبرت ، غير ما تقدم

(١) ت : ما أمر به .

(٢) ص : وأنهما

(١) ص : فى حال .

باب : إخباره بأن طائفة من أُمته لا تزال على الحق حتى تقوم الساعة لا يردها عنه شيء.

باب : إخباره بمن يجدد لهذه الأُمة أَمر دينها كل مائة سنة .

باب : إخباره بأَنه لا يأْتي زمان إلا والذى يليه شرّ منه .

باب : إخباره بأَن الخطباء يَغْفلون عن ذكر الدجال على المنابر .

باب : إخباره بالكذابين بعده وبالحجاج .

باب : إخباره بكذابين فى الحديث وشياطين يحدّثون الناس .

باب : إخباره بأَول الأَرض خرابا وأَول الناس هلاكا .

باب : إخباره بظهور المعْدِن بأَرض[1] بنى سليم .

باب : إخباره بصفة رجال ونساء يكونون فى آخر الزمان .

باب : إخباره بأَقوام يأْكلون بأَلسنتهم كما تأْكل البقر .

باب : إخباره بذهاب العلم والخشوع وعلم الفرائض ورفع الأَمانة .

باب : إخباره بأَن محمد بن مسلمة لا تضره الفتنة .

باب : إخباره بموت أَبى الدرداء قَبْل الفتنة .

باب : إخباره بفتح القسطنطينية وأَنها تُفتح قبل رومية .

باب : إخباره بحال القرّاء فى آخر الزمان فكان كما أَخبر .

باب : إخباره بأَن المساجد والبيوت ستزخرف والمباهاة بها .

باب : إخباره صلى الله عليه وسلم عن مكان سيصير سوقا .

باب : إخباره بإتيان قوم يقرأون القرآن يسأَلون به الناس .

باب : إخباره بزخرفة البيوت .

باب : إخباره بأَنه سيكون فى أُمته رجال نساؤهم على رءوسهن كأَسنمة البُخْت كاسيات عاريات .

باب : إخباره بأَن السلطان والقرآن سيفترقان .

---

(١) ت م : فى أرض .

باب : إخباره بحال الولاة بعده .

باب : ما أخبر به صلى الله عليه وسلم على سبيل الإجمال .

جماع أبواب معجزاته فى إخباره بالفتن والملاحم الواقعة بعده

باب : إخباره بالفتن وإقبالها ونزولها كمواقع القطر والظُّلَل ومن أَين تجىء، وفيه أنواع .

باب : إخباره عن بدء دوران رحى الإسلام .

باب : إخباره بأَن الرجل يمرّ بقبر أَخيه فيقول : « ياليتنى مكانَك » من كثرة الفتن .

باب : إخباره بأَنه ستكون فتنٌ النائم فيها خيرٌ من اليقظان والقاعد فيها خير من القائم وفى ذلك أَنواع .

باب : إخباره بمن[1] يبيع دينه فى الفتنة بعَرَض يسير .

باب : إخباره صلى الله عليه وسلم بكثرة الهرج .

باب : إخباره بأَن مبدأ الفتنة قتل عمر رضى الله عنه .

باب : إخباره بقتل عمر رضى الله عنه .

باب : إخباره بقتل عثمان رضى الله عنه .

باب : إخباره بوقعة الجمل وصِفِّين والنهروان وقتال عائشة والزبير عليا رضى الله تعالى عنهم وبعث الحكمين .

باب : إخباره بقتل عمار بن ياسر رضى الله عنه .

باب : إخباره بقتل على رضى الله عنه .

باب : إخباره بأَن الحسن بن على سيد يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .

باب : إخباره بقتل الحسين بن على رضى الله عنهما .

باب : إخباره بأُغَيْلمة من قريش وبرأس الستين وبأَن هذا الحى من مضر لا يدع مصليا إلا قتله[2] .

باب : إخباره بقتل أَهل الحيرة .

باب : إخباره بالمقتولين ظُلما بعذراء من أَرض دمشق .

---

(١) ت : عن من يبيع

(٢) فى م فى موضع الباب من الكتاب : إلا فتنه .

باب : إخباره بقتل عمرو بن الحمق رضى الله عنه .

باب : إخباره بأئمة[1] يصلُّون الصلاة فى غير وقتها فكان كما قال[2] وذلك فى زمن بنى أُمية .

باب : إخباره بالخوارج فكان كما أخبر .

باب : إخباره بالرافضة والقدَرية والمرجئة والزنادقة .

باب : إخباره بافتراق أُمته على ثلاث وسبعين فرقة .

باب : إخباره بأن الناس يُغَرْبلون ويتغير حالهم .

باب : إخباره بأن الله تعالى جعل بأس هذه الأُمة بينها .

باب : إخباره بظهور كنز الفرات[3] .

باب : إخباره بنقض عُرَى الإسلام[4] وأنه سيعود غريبا كما بدأ وأنه يَدْرس كما يدرس وشْى الثوب .

باب : بإخباره باحراق البيت العتيق .

باب : إخباره بأن الإيمان بالشام حين تقع الفتن[5] .

باب : إخباره بملاحم الروم وتواترها وأن الساعة لاتقوم حتى تكون الروم ذات قرون وتداعى الأُمم على أهل الإسلام .

باب : إخباره بتكليم السباع الإنس وغير ذلك مما يذكر .

باب : إخباره بأنه ستكون هجرة بعد هجرة إلى مُهَاجَر إبراهيم عليه السلام .

باب : إخباره بأنه لاتقوم الساعة حتى لا يُحج البيت ويرتفع الركن والمقام .

باب : إخباره بأن أُمته تفتح عليهم مشارق الأَرض ومغاربها .

باب : إخباره بأن مجىء الفتن من قِبَل المشرق .

باب : فى بعض ما أخبر به من الشدائد والفتن .

---

(١) ص : بمن يصلون .

(٢) ت م : فكان كما أخبر .

(٣) فى م ، فى موضع الباب من الكتاب : « كنز القرآن » ، محرفة .

(٤) ت م : عرى الإيمان .

(٥) ت م : الفتنة .

جماع أبواب معجزاته فى بعض ما أخبر به من علامات الساعة وأشراطها غير ما تقدم

باب : أَحاديث جامعة لأَشراط الساعة أَخبر بها صلى الله عليه وسلم وجد غالبها وفيه أَنواع .

باب : إخباره بخروج المهدىّ عليه السلام .

باب : إخباره بخروج الدجال وفيه أَنواع .

باب : إخباره بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام .

باب : إخباره بخروج يأجوج ومأجوج وفيه أَنواع .

باب : إخباره صلى الله عليه وسلم بأَن الحبشة تهدم الكعبة .

باب : إخباره صلى الله عليه وسلم بخروج الدابة وفيه أَنواع .

باب : إخباره بطلوع الشمس والقمر من المغرب .

باب : إخباره بأَنه سيقع فى هذه الأُمة مَسْخ وخسف وقذف وإرسال صواعق وشياطين وغير ذلك مما يذكر وفيه أَنواع .

باب : إخباره بما يصير إليه أَمر المدينة الشريفة .

باب : إخباره بالريح التى تقبض أَرواح المؤمنين فى آخر الزمان ورفع القرآن .

باب : إخباره بمن تقوم عليه الساعة وأَنها تقوم نهارا وأَنها لا تقوم على أَحد يقول فى الأَرض الله وأَنها لا تقوم حتى تعبد الأَوثان وأَنه لا يُعرف معروف ولاينكر منكر وفيه أَنواع.

جماع أبواب معجزاته فى إجابة دعواته لأقوام بأشياء فحصلت لهم

باب : إجابة دعائه لآله رضى الله عنهم .

باب : إجابة دعائه لابنته فاطمة رضى الله عنها .

باب : إجابة دعائه لعلى رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه لعمر بن الخطاب رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه لسعد بن أَبى وقاص رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه لغلام من تَجيب رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه للنابغة رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه لعبد الله بن عقبة[1] رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه لثابت بن يزيد[2] رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه للمقداد بن الأَسود رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه لعمرو بن الحَمِق رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه لأَولاد أَبى سَبْرة رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه لضمرة بن ثعلبة رضى الله عنهما .

باب : إجابة دعائه لأُبىّ بن كعب رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه لابن عباس رضى الله عنهما .

باب : إجابة دعائه لأَنس بن مالك رضى الله تعالى عنه .

باب : إجابة دعائه لبهثة بنت عبد الله البكرية رضى الله عنهما .

باب : إجابة دعائه لأُم أَبى هريرة وأُخته رضى الله تعالى عنهما .

باب : إجابة دعائه للسائب بن يزيد رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما .

باب : إجابة دعائه لعروة البارقى رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه لمعاوية بن أَبى سفيان .

باب : إجابة دعائه لأُم قيس رضى الله عنها .

باب : إجابة دعائه لرجل من اليهود .

باب : إجابة دعائه لأَبى زيد[3] عمرو بن أَخطب الأَنصارى رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم لحَمْل أُم سليم رضى الله عنها .

باب : إجابة دعائه لعبد الله بن هشام رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه لحكيم بن حزام رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه لجرير بن عبد الله رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه للسوداء التى كانت تُصْرع رضى الله عنها .

---

(١) ت م : ابن عتبة .

(٣) ت م : لأبى زيد بن عمرو .

باب : إجابة دعائه لأُمته فى بكورها .

باب : إجابة دعائه بالمحبة بين رجل وامرأته كانا متباغضين .

باب : إجابة دعائه بإقبال أَهل اليمن وأَهل الشام على الإسلام[1] .

باب : إجابة دعائه لأَبى أُمامة رضى الله عنه وأَهل بيته .

باب : إجابة دعائه لبُكَيْر بن شُدَاخ[2] الليثى رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه لثعلبة بن حاطب .

باب : إجابة دعائه للزبير بن العوام رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه لمن بلَّغ سُنَّته من أُمته .

باب : إجابة دعائه لَلقِيط بن أَرْطاة رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه للوليد بن قيس رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه لرجل من الأَنصار رضى الله عنهم .

باب : إجابة دعائه فى إذهاب الحر والبرد .

باب : إجابة دعائه فى إذهاب الغيرة .

باب : إجابة دعائه لحنظلة بن حُذَيْم رضى الله عنه .

جماع أبواب معجزاته فى إجابة دعواته على أقوام بأشياء فحصلت لهم

باب : إجابة دعائه على من يأكل بشماله .

باب : إجابة دعائه على قيس بن[3] ...

باب : إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم بأَن لايشبع بطن معاوية رضى الله عنه .

باب : إجابة دعائه على من كفَّ شعره عن التراب فى الصلاة .

باب : إجابة دعائه على رجل أَن تُضرب عنقه .

---

(١) ت م : إلى الإسلام .

(٢) فى أسد الغابة ٢٠٤/١ : بكر بن شداخ الليثى وقيل بكير .

(٣) كذا بالأصل. وقد ورد كذلك فى أسد الغابة ٢٢٩/٤ غير منسوب ونصه : « وقيس غير منسوب أورده جلفر مفردا أخرجه أبو موسى وقال : لا أدرى ، لعله بعض من تقدم . روت أم نائلة الخزاعية عن بريدة أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل عن رجل يقال له قيس فقال : « لا أقرته الأرض » فكان إذا دخل أرضا لم يستقر بها . أخرجه أبو موسى مختصرا » .

باب : إجابة دعائه على عُتبة بن أَبى لهب .

باب : إجابة دعائه على رجلٍ خالفه فى الصلاة .

باب : إجابة دعائه على من احتكَر طعاما .

باب : إجابة دعائه على شَعْر رجل عبَث به فى الصلاة .

باب : إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم على أَبى ثَرْوان .

باب : إجابة دعائه بالحمَّى على بنى عصيّة .

باب : إجابة دعائه على ليلى بنت الخَطِيم رضى الله عنها .

باب : إجابة دعائه على امرأة كانت ترمى الشرَّ بين أَزواجه .

باب : إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم على قريش بالسَّنة .

باب : إجابة دعائه على رجل ممن شهد هَوازن بأَن يَخِيس سَهْمه .

باب : إجابة دعائه على بنى حارثة بن عمرو .

باب : إجابة دعائه على سُرَاقة بن مالك بن جُعْشم .

باب : إجابة دعائه على أَبى القين[1] .

باب : إجابة دعائه على لهب بن أَبى لهب .

باب : إجابة دعائه على الحكَم بن أَبى العاص .

باب : إجابة دعائه على معاوية بن حَيْدة قبل إسلامه .

باب : إجابة دعائه على من مَرَّ بين يديه أَن يُقطع أَثَره .

باب : إجابة دعائه على كسرى حين مزَّق كتابَه .

باب : إجابة دعائه على محلِّم بن جثَامة .

جماع أبواب ما علمه لأصحابه من الدعوات والرقى فظهرت آثاره

باب : ما علَّمه صلى الله عليه وسلم لعائشة لما وعكتْ .

باب : ما علمه صلى الله عليه وسلم لعائشة فى قضاء[2] الدين .

---

(١) هو الحضرمى قيل اسمه نصر بن دهر . انظر أسد الغابة ٥/٢٨٠

(٢) ت.م: لقضاء الدين .

جماع أبواب آيات فى منامات رؤيت فى عهده صلى الله عليه وسلم

جماع أبواب بعض آيات وقعت لأصحابه وأتباعهم فهى من معجزاته صلى الله عليه وسلم

(١) كذا بالأصل وفى أسد الغابة ٢٢٧/٤ : ابن المكشوح أبو شداد . واختلف فى اسم أبيه .

جماع أبواب معجزاته عليه الصلاة والسلام فى عصمته من الناس

جماع أبواب موازاة الأنبياء فى فضائلهم بفضائل نبينا صلى الله عليه وعليهم وسلم

(١) ت م : ممن أراد الفتك به من الشياطين .
(٢) فى ت م : أدمج هذا الباب فيما قبله .

جماع أبواب بيان أعمامه وعماته وأولادهم وأخواله صلى الله عليه وسلم

جماع أبواب ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم

جماع ذكر أبواب العشرة الذين شهد لهم رسول الله بالجنة وبعض فضائلهم

باب : بعض فضائل الخلفاء الأربعة على سبيل الأشتراك وفيه أنواع .

باب : بعض فضائل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما على سبيل الاشتراك .

باب : بعض فضائل أمير المؤمنين أبى بكر الصديق على سبيل الانفراد وفيه أنواع .

باب : بعض فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وفيه أنواع .

باب : بعض فضائل أمير المؤمنين عثمان بن عفان وفيه أنواع .

باب : بعض فضائل أمير المؤمنين أبى الحسن على بن أبى طالب وفيه أنواع .

باب : بعض فضائل طلحة بن عبيد الله وفيه أنواع .

باب : بعض فضائل الزبير بن العوام وفيه أنواع .

باب : بعض فضائل عبد الرحمن بن عوف وفيه أنواع .

باب : بعض فضائل سعد بن[1] مالك وفيه أنواع .

باب : بعض فضائل سعيد بن[2] زيد وفيه أنواع .

باب : بعض فضائل أبى عبيدة بن الجراح وفيه أنواع .

جماع أبواب ذكر القضاة والفقهاء والمفتين وحفاظ القرآن فى أيامه عليه الصلاة والسلام وذكر وزرائه وأمرائه وعماله على البلاد وخلفائه على المدينة المنورة إذا سافر صلى الله عليه وسلم

باب : ذكر قُضَاته صلى الله عليه وسلم .

باب : ذكر المفْتين فى زمانه عليه السلام .

باب : ذكر حفاظ القرآن فى حياته من أصحابه صلى الله عليه وسلم .

باب : ذكر وزرائه صلى الله عليه وسلم .

باب : ذكر سيرته صلى الله عليه وسلم فى الإمارة .

باب : ذكر تأْميره أبا بكر الصديق على الحج .

باب : ذكر تأْميره[3] صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب [الأخماس باليمن والقضاء بها][4]

---

(١) هو سعد بن أبى وقاص ، واسم أبى وقاص مالك بن وهيب وقيل أهيب . أنظر أسد الغابة ٢/٢٩٠

(٢) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

(٣) كذا ولعلها توليته .

(٤) زيادة من الباب نفسه وهو مضطرب فى الأصل .

باب : ذكر تأميره صلى الله عليه وسلم باذان بن ساسان على اليمن كله .

باب : ذكر تأميره صلى الله عليه وسلم شهر بن باذان على صنعاء اليمن وأعمالها .

باب : ذكر تأميره خالد بن العاص على صنعاء بعد قتل شهر .

باب : ذكر تأميره المهاجر بن أبي أمية المخزومى على كِنْدة والصدف .

باب : تأميره زياد بن لبيد على حضرموت .

باب : [1] تأميره أبا موسى الأشعرى على زبيد وزمع والساحل .

باب : [2] تأميره معاذ بن جبل على الجند .

باب : تأميره أبا سفيان بن الحارث[3] على نجران .

باب : [4] تأميره زيد بن أبي سفيان على تيماء .

باب : تأميره عَتَّاب بن أسيد على مكة وإقامة المواسم والحج بالمسلمين .

باب : تأميره عمرو بن العاص على عمان .

باب : ذكر خلفائه على المدينة إذا سافر صلى الله عليه وسلم .

باب : ذكر بعض تراجم أمرائه على السرايا .

جماع أبواب ذكر رسله إلى الملوك ونحوهم وذكر بعض مكاتباته وما وقع فى ذلك من الآيات

باب : أى وقت فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

باب : إرساله الأقرع بن حابس بن عبد الله الحِمْيرى إلى ذى مَرّان[5] .

باب : إرساله أبىّ بن كعب إلى سعد هُذَيْم .

باب : إرساله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله رضى الله عنه إلى ذى الكَلاَع وذى رُعَيْن .

باب : إرساله حاطب بن أبي بَلْتعة إلى المقوقس .

---

(١) ليس لهذا الباب وجود فى نسخة « م » ولم يرد منه إلا الترجمة .

(٢) لم يرد هذا الباب فى نسخة « م » وليس هناك إلا الترجمة .

(٣) ت م : أبا سفيان بن حرب .

(٤) لم يرد هذا الباب فى موضعه فى نسخة « م » وليس هناك إلا ترجمته . ولم أجد زيد بن أبي سفيان هذا ، ولعل فى العبارة تحريفاً .

(٥) لم يرد هذا الباب فى موضعه فى نسخة « م » وليس هناك إلا ترجمته .

باب : إرساله حسان بن سلمة إلى قيصر مع دحية .

باب : إرساله الحارث بن عمير إلى ملك الروم وقيل إلى صاحب بُصْرى .

باب : إرساله حُرَيْث بن زيد الخيل إلى يحنة بن رُؤبة الأَيلى .

باب : إرساله حرملة بن حريث رضى الله عنه إلى يحنة .

باب : إرساله خالد بن الوليد إلى نَجْران .

باب : إرساله دِحْية بن خليفة الكلبي إلى قيصر .

باب : إرساله رفاعة بن زيد الجُذَامى إلى قومه .

باب : إرساله زياد بن حنظلة إلى قيس بن عاصم والزِّبْرِقان بن بدر .

باب : إرساله سليط بن عمرو إلى هوذة وثمامة بن أُثَال .

باب : إرساله السائب بن العوام إلى مُسَيْلمة .

باب : إرساله شُجَاع بن وهب الأَسدى إلى الحارث بن أَبى شمر .

باب : إرساله أَبا أُمامة صَدِىّ بن عَجْلان إلى جَبَلة بن الأَيْهم[1] .

باب : إرساله الصلصل بن شرحبيل إلى صفوان بن أُمية .

باب : إرساله ضرار بن الأزور إلى الأسود وطليحة .

باب : إرساله ظبيان بن مَرْثَد إلى بنى بكر بن وائل .

باب : إرساله عبد الله بن حُذَافة إلى كسرى .

باب : إرساله عبد الله بن بُدَيْل إلى اليمن .

باب : إرساله عبد الله بن عبد الخالق رضى الله عنه إلى الروم .

باب : إرساله عبد الله بن عَوْسَجة رضى الله عنه إلى سمعان .

باب : إرساله العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه إلى المنذر بن ساوى .

باب : إرساله عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى ملكى عمان .

باب : إرساله عمرو بن أُمية الضَّمْرى رضى الله عنه إلى النّجَاشى .

باب : إرساله عمرو بن حزم رضى الله عنه إلى اليمن .

باب : إرساله أَبا هريرة رضى الله عنه مع العلاء بن الحضرمى إلى هجَر .

(١) لم يرد هذا الباب كذلك .

باب : إرساله عبد الله[1] بن ورقاء رضى الله عنه مع أخيه إلى اليمن .

باب : إرساله عُقبة بن عمرو رضى الله عنه إلى صنعاء .

باب : إرساله عيَّاش بن أبى ربيعة رضى الله عنه إلى اليمن .

باب : إرساله فرات[2] بن حيان رضى الله عنه إلى ثمالة بن أثال .

باب : إرساله قدامة بن مظعون إلى المنذر بن ساوَى .

باب : إرساله قيس بن نمط إلى أبى زيد قيس بن عمرو .

باب : إرساله معاذ بن جبل رضى الله عنه إلى اليمن .

باب : إرساله مالك بن مرارة مع معاذ بن جبل رضى الله عنهما إلى اليمن .

باب : إرساله مالك بن عبد الله إلى اليمن .

باب : إرساله مالك بن عقبة أو عقبة بن مالك مع معاذ إلى اليمن .

باب : إرساله المهاجر بن أبى أمية رضى الله عنه إلى الحارث بن عبد كلال .

باب : إرساله نمير بن خرشة رضى الله عنه إلى ثقيف .

باب : إرساله نُعَيْم بن مسعود الأشجعى إلى ذى الكَلْحَبة .

باب : إرساله واثلة بن الأَسقع مع خالد بن الوليد إلى أُكَيْدر .

باب : إرساله وبرة وقيل وبر بن بحيس[3] إلى ذاذَوَيْه .

باب : إرساله الوليد بن بحر الجرهمى إلى أقيال اليمن .

باب : إرساله أبا أُمامة صدى بن عجلان إلى قومه باهلة .

جماع أبواب ذكر كتابه وأن منهم الخلفاء الأربعة وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وتقدمت تراجمهم فى تراجم العشرة وأبو سفيان بن حرب وعمرو بن العاص ويزيد بن أبى سفيان وخالد بن الوليد وتقدمت تراجمهم فى الأمراء رضى الله عنهم أجمعين

باب : استكتابه صلى الله عليه وسلم أبان بن سعيد بن العاص رضى الله عنه .

باب : استكتابه أُبىّ بن كعب رضى الله عنه .

---

(1) ص : عبد الرحمن . (2) ت م : عمران بن حيان .

(3) الأصل : ابن يحنس . محرفة . والتصويب من أسد الغابة ٨٣/٥ . وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم أرسله إلى ذاذويه وفيروز الديلمى وحشيش الديلمى ليقتلوا الأسود العنسى الذى ادعى النبوة .

باب : استكتابه الأَرقم بن أَبي الأَرقم رضى الله عنه .

باب : استكتابه بُرَيْدة بن الحصين رضى الله عنه .

باب : استكتابه صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس .

باب : استكتابه جُهَيْم بن أَبي الصَّلْت رضى الله عنه[1] .

باب : استكتابه جهم بن سعد رضى الله عنه .

باب : استكتابه حنظلة بن الربيع رضى الله عنه .

باب : استكتابه حُوَيْطب بن عبد العُزَّى رضى الله عنه .

باب : استكتابه الحُصَيْن بن عمير رضى الله عنه .

باب : استكتابه حاطب بن عمرو رضى الله عنه .

باب : استكتابه حُذَيْفة بن اليمَان رضى الله عنه .

باب : استكتابه خالد بن زيد أَبا أَيوب رضى الله عنه .

باب : استكتابه خالد بن سعيد رضى الله عنه .

باب : استكتابه خالد بن الوليد رضى الله عنه .

باب : استكتابه زيد بن ثابت رضى الله عنه .

باب : استكتابه سعيد بن سعيد بن العاص رضى الله عنه[2] .

باب : استكتابه السِّجلّ رضى الله عنه . .

باب : استكتابه شُرَحْبيل بن حَسنة رضى الله عنه .

باب : استكتابه عامر بن فُهَيْرة رضى الله عنه .

باب : استكتابه عبد الله بن الأَرقم رضى الله عنه .

باب : استكتابه عبد الله بن عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول رضى الله تعالى عنه .

باب : استكتابه عبد الله بن رَواحة رضى الله عنه .

باب : استكتابه عبد الله بن زيد رضى الله عنه .

باب : استكتابه عبد الله بن سعد بن أَبي سَرْح رضى الله عنه .

---

(١) من هنا إلى قوله : باب استكتابه حاطب بن عمرو ليس منه إلا الترجمة فقط فى نسخة م .

(٢) لم يرد من هذا الباب إلا الترجمة فى نسخة م .

باب : استكتابه عبد الله بن أسد رضى الله عنه .

باب : استكتابه العلاء بن الحَضْرمى رضى الله عنه .

باب : استكتابه العلاء بن عُقبة رضى الله عنه .

باب : استكتابه عبد العُزَّى بن حنظل قبل ارتداده .

باب : استكتابه محمد بن مَسْلمة رضى الله عنه .

باب : استكتابه معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه .

باب : استكتابه مُعَيْقيب بن أبى فاطمة رضى الله عنه .

باب : استكتابه المغيرة بن شُعبة رضى الله عنه .

باب : استكتابه رجلا من بنى النجار ارتدّ فهلك فألقته الأرض ولم تقبله .

جماع أبواب ذكر خطبائه وشعرائه وحداته وحراسه وسيافه ومن كان يضرب الأعناق بين يديه ومن كان يلى نفقاته وخاتمه وسواكه ونعله وترجله ، ومن كان يقود به فى الأسفار ، ورعاة إبله وشياهه وثقله والآذن عليه صلى الله عليه وسلم

باب : ذكر خطيبه صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس رضى الله عنه .

باب : ذكر شعرائه صلى الله عليه وسلم .

باب : ذكر حُدَاته صلى الله عليه وسلم .

باب : ذكر حُرَّاسه صلى الله عليه وسلم .

اب : ذكر سيّافه ومن كان يضرب الأعناق بين يديه صلى الله عليه وسلم .

باب : ذكر من كان يَلِى نفقته وخاتمه وسواكه ونعله والآذِن عليه صلى الله عليه وسلم .

باب : ذكر رعاة إبله وشياهه صلى الله عليه وسلم .

باب : ذكر من كان على ثقَله ورَحْله ومن كان يقود به فى الأسفار صلى الله عليه وسلم .

جماع أبواب ذكر عبيده وإمائه وخدمه من غير مواليه صلى الله عليه وسلم

باب : ذكر عبيده صلى الله عليه وسلم .

باب : ذكر إمائه صلى الله عليه وسلم .

باب : ذكر خدمه صلى الله عليه وسلم من غير مواليه .

جماع أبواب ذكر دوابه ونعمه وغير ذلك مما يذكر

باب : عَدد خَيْله صلى الله عليه وسلم .

باب : عدد بِغَاله وحَمِيره صلى الله عليه وسلم .

باب : نعاجه وركابه وجماله صلى الله عليه وسلم .

باب : شياهه صلى الله عليه وسلم .

باب : ذكر دِيكه صلى الله عليه وسلم .

جماع أبواب ذكر ما يجب على الأنام من حقوقه عليه الصلاة والسلام

باب : وجوب[١] الإيمان به صلى الله عليه وسلم .

باب : وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم .

باب : وجوب اتبّاعه صلى الله عليه وسلم وامتثال سُنَّته والأَخذ[٢] بهديه صلى الله عليه وسلم .

باب : التحذير من مخالفة أَمره وتبديل سُنته .

باب : لزوم محبته وثوابها وبعض ما ورد عن السلف فى ذلك صلى الله عليه وسلم .

باب : وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم .

باب : وجوب تعظيم أَمره صلى الله عليه وسلم وتوقيره وبِرّه ، وبعض ما ورد عن السلف فى ذلك .

باب : كون حرمته بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازمًا كما كان فى حال حياته .

باب : سيرة السلف رحمهم الله تعالى فى تعظيم رواة حديثه صلى الله عليه وسلم .

باب : مِن بِرّه وتوقيره صلى الله عليه وسلم : بِرُّ آله وذريته .

باب : مِنْ بِرّه وتوقيره صلى الله عليه وسلم : توقيرُ أَصحابه وبِرّهم ومعرفة حقوقهم وحُسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك عما شَجَر بينهم .

باب : من إعظامه وإجلاله صلى الله عليه وسلم إعظام جميع أَصحابه[٣] وأَشباهه .

باب : إكرام مَشَاهده وأمكنته وما لمَسه وما عُرف به صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ت م : باب فرض .

(٢) ت م : والاقتداء .

(٣) ت م : جميع أتباعه .

جماع أبواب الكلام على النبي والرسول والملك وعصمتهم وما يعرف به كون النبي نبيا صلى الله عليه وسلم

جماع أبواب الكلام على السهو والنسيان هل يصدران منه أم لا

جماع أبواب ما يخصه من الأمور الدنيوية ويطرأ عليه من العوارض البشرية وكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

---

(١) ت م : باب عصمة النبي . (٢) ت م : عقل النبي .

(٣) لم يرد هذا الباب ومابعده إلى قوله: باب الرد على من أجاز على الأنبياء الصغائر فى الكتاب وليس منها إلا التراجم.

جماع أبواب حكم من سبه أو انتقصه وكذا سائر الأنبياء عليهم السلام

باب : ذكر فوائد كالمقدمة للأبواب الآتية .

باب : بيان ما هو فى حقه سَبّ من المسْلم .

باب : بيان ما هو فى حقه صلى الله عليه وسلم سَبٌّ من الكافر .

باب : بيان قتل السابّ إذا كان ممن يدّعى الإسلام ولم يتب .

باب : الكلام على توبة المسلم واستتابته .

باب : انتقاض عهد الذمى إذا ذَمَّ[1] المقامَ الشريف ووجوب قتله والنص على ذلك .

باب : عدم قبول توبته إذا سب مع بقائه على كفره .

باب : الخلاف فى توبته هل هى بالإسلام صحيحة مسقطة للقتل أم لا ؟ وهل يستتاب بالإسلام ويدّعى الندم .

باب : الخلاف فى أن حُكم الحاكم بسقوط القتل عن السابّ مع بقائه على الكفر صحيح أم لا ؟ .

جماع أبواب بعض الحوادث الكائنة بالمدينة فى سنى الهجرة غير ما تقدم

باب : مبدأ التاريخ الإسلامى .

وأُسقطت ذكر بقية الأبواب لكثرتها .

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم فى الرقى والتمائم

باب : إذنه صلى الله عليه وسلم فى الرُّقَى المفهومة المعنى .

باب : نَهْيه صلى الله عليه وسلم عن التمائم .

باب : سيرته صلى الله عليه وسلم فى لدغة العقرب بالرقية .

باب : سيرته صلى الله عليه وسلم فى رقْية النملة .

باب : سيرته صلى الله عليه وسلم فى رقية الحية .

باب : سيرته صلى الله عليه وسلم فى رقيه القرحة والجرح .

باب : سيرته صلى الله عليه وسلم فى رقى عامة .

(١) ت م : إذا سب .

جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلم فى الطب

---

(١) زيادة من الباب نفسه.
(٢) المعيون : الذى أصابته العين .
(٣) المفؤود : الذى أصيب بفؤاده فهو يشتكيه .
(٤) العذرة : وجع فى الحلق يعترى الصبيان غالبا .

باب : علاجه وجع الصدر .

باب : علاجه ذات الجنب .

باب : علاجه الاستسقاء والمعدة ويبس الطبيعة .

باب : علاجه الإسهال .

باب : علاجه القولنج .

باب : علاجه الدود فى الجوف .

باب : علاجه الباه .

باب : علاجه السل[1] .

باب : علاجه الجراح .

باب : علاجه الخراج والكحة ونحوهما .

باب : علاجه الكسر والخلْع والوَثْى .

باب : علاجه الخدران الكُلى[2] .

باب : إرشاده إلى دفع مضرات السموم بأَضدادها .

باب : سيرته فى السُّمّ .

باب : سيرته فى لدغ الهوام .

باب : سيرته فى الزكام .

باب : علاجه الشوكة[3] .

باب : علاجه بعض[4] أمراض الفم .

باب : سيرته فى الأسنان .

باب : علاجه الدبيلة .

باب : سيرته فى غمز الظهر فى السقطة والقدمين من الإعياء .

باب : سيرته فى الإعياء من[5] شدة المسى .

(١) لم يرد هذا الباب فى موضعه وليس منه إلا الترجمة .

(٢) لم يرد هذا الباب فى موضعه وليس منه إلا الترجمة .

(٣) الشوكة : حمرة تعلو الوجه .

(٤) فى الباب نفسه : باب علاجه أمرض الفم .

(٥) ت م : فى علاجه الإعياء .

جماع أبواب مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاته

---

(١) كذا بالأصول . والوارد فى الباب نفسه أنه صلى الله عليه وسلم أطعم عليا السلق والشعير حين كان ناقها .

جماع أبواب غسله وتكفينه ووضع الصلاة عليه ودفنه وموضع قبره والاستسقاء به وفضل ما بين القبر وما بين المنبر وفضل مسجده ، وحياته فى قبره وعرض أعمال أمته عليه ، وحكم تركته وما خلف صلى الله عليه وسلم

باب : غُسله ومن غَسَّله وما وقع فى ذلك من الآيات .

باب : صفة كفنه عليه الصلاة والسلام .

باب : الصلاة عليه .

باب : دَفْنه ومَن دفَنه .

باب : ذكر من كان آخر الناس عهدًا به صلى الله عليه وسلم فى قبره .

باب : ذكر ما سُمع من التعزية به صلى الله عليه وسلم .

باب : موضع قبره الشريف وصفته وصفة حُجرته وبعض أخبارها .

باب : الاستسقاء بقبره الشريف صلى الله عليه وسلم .

باب : فضل ما بين قبره ومنبره عليه الصلاة والسلام .

باب : فضل مسجده صلى الله عليه وسلم غير ما تقدم .

باب : حياته فى قبره وكذا سائر الأنبياء عليهم السلام .

باب : صلاته فى قبره وكذلك سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

باب : عرض أعمال أمته عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه .

باب : حكم تَرِكته وما خلَّف صلى الله عليه وسلم .

جماع أبواب زيارته صلى الله عليه وسلم بعد موته

باب : فضل زيارته صلى الله عليه وسلم .

باب : الردّ على من زعم أن شَدَّ الرَّحْل لزيارته صلى الله عليه وسلم معصية .

باب : آداب زيارته صلى الله عليه وسلم .

جماع أبواب التوسل به بعد موته صلى الله عليه وسلم

باب : مشروعية التوسل به إلى الله تعالى .

باب : ذكر من توسَّل به قبلَ خَلْقه من الأنبياء صلى الله عليه وسلم .

باب : ذكر من توسل به فى حياته من الإنس .

باب : ذكر من توسل به فى حياته من الحيوانات .

باب : ذكر من توسل به بعد موته صلى الله عليه وسلم[1] .

جماع أبواب الصلاة والسلام عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه

باب : فوائد تتعلق بالآية الكريمة فى ذلك .

باب : الأمر بالصلاة والسلام عليه .

باب : التحذير من ترك الصلاة والسلام عليه .

باب : فضل الصلاة والسلام عليه .

باب : كيفية الصلاة والسلام عليه .

باب : المواطن التى يستحب فيها الصلاة والسلام عليه وفيه أنواع .

جماع أبواب بعثه وحشره وأحواله يوم القيامة صلى الله عليه وسلم

باب : ما جاء أنه أول من يفيق من الصَّعْقة وأول من يقوم من قبره واختصاصه بركوب البراق يومئذ وكيفية حشره صلى الله عليه وسلم .

باب : كسوته صلى الله عليه وسلم فى الموقف ومكانه وأمته وكون لواء الحَمْد ولواء الكرَم بيده صلى الله عليه وسلم .

باب : كونه أول من يُدْعى يوم القيامة صلى الله عليه وسلم .

باب : اختصاصه صلى الله عليه وسلم بالسجود يومئذ .

باب : طمأنينته إذا جيء بجهنم وفزَع غيره صلى الله عليه وسلم .

باب : شفاعته العظمى لفَصْل القضاء والإراحة من طول الوقوف .

باب : الكلام على المقام المحمود والكلام على بقية شفاعاته صلى الله عليه وسلم .

باب : دخوله صلى الله عليه وسلم جهنم لإخراج أناس من أمته[2] .

باب : الكلام على حوضه صلى الله عليه وسلم .

باب : ما جاء أنه أول من يَجُوز على الصراط وأن مفاتيح الجنة بيده صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ليس هنا موضع التحقيق العلمى فى هذه المسائل ، ومكانه فى موضعه من الكتاب .

(٢) كذا ولم يرد هذا الباب فى موضعه وليس منه إلا الترجمة .

باب : ما جاء أنه أول من يستفتح بابَ الجنة وأنه أول من يدخلها وقيام خازن الجنة له صلى الله عليه وسلم .

باب : ما جاء أن جنة عَدْن مَسْكنه ، وعلوّ منزلته فى الجنة ، وتزويج الله له مريم بنت عمران وكلثوم[1] أخت موسى وآسية امرأة فرعون ، وكثرة خدَمه صلى الله عليه وسلم وغير ذلك . مما يذكر إن شاء الله تعالى وبالله تعالى التوفيق

هذا جميع ما تضمنه الكتاب من الأبواب

والله المسئول فى التوفيق فى ذلك كله للصواب

***

---

(١) ت م : وكلثم .

جُماعُ أبوابِ بعضِ الفضائلِ والآياتِ الواقِعةِ قبلَ مولدِهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم

الباب الأول

فى تشريف الله تعالى له صلى الله عليه وسلم بكونه أول الأنبياء خَلْقا

روى أَبو إسحاق الجُوزَجَانى[1] - بجيمين الأُولى مضمومة وبينهما زاى مفتوحة ، وقبلَ ياء النسب نون - فى تاريخه ، وابن أَبى حاتم ، فى تفسيره عن أَبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنتُ أَوَّلَ الأَنبياء خَلْقًا وآخِرَهم بَعْثاً[2] » .

وروى ابن إسحاق عن قَتَادة مُرْسَلاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت أَوَّلَ الناسِ فى الخَلْق وآخِرَهم فى البعث[3] » .

وروى أَبو سعد النَّيْسَابورى فى « الشَّرَف »[4] ، وابنُ الجَوْزِىّ فى « الوفا[5] » عن كَعْب الأَحْبار ، قال : لمّا أَراد الله سبحانه وتعالى أَن يَخْلق محمدا صلى الله عليه وسلم أَمَر جبريلَ أَن يأْتيه بالطِّينة التى هى قلْب الأَرض وبهاؤها ونورها ؛ فهبط جبريلُ فى ملائكة الفردوس وملائكة الرفيق الأَعلى ، فقبض قبضةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف ، وهى بيضاء نيِّرة ، فعُجِنت بماء التَّسْنيم فى مَعِين أَنهار الجنة ، حتى صارت كالدُّرة البيضاء لها شُعاع عظيم ، ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسى والسموات والأَرض ، فعرفت

---

(١) هو إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدى الجوزجانى . أبو إسحق محدث الشام وأحد الحفاظ المصنفين المخرجين الثقات ، ينسب إلى جوزجان ، بخراسان ، له كتاب فى الجرح والتعديل وكتاب فى الضعفاء . توفى سنة ٢٥٩ ﻫ . وترجمته فى تذكرة الحفاظ ١١٧/٢ والبداية والنهاية ٣١/١١ وتهذيب ابن عساكر ٣١/٢ . ومعجم البلدان ١٦٧/٣ .

(٢) الخصائص الكبرى ٩/١ .

(٣) ذكره ابن كثير عن أبى نعيم فى « دلائل النبوة » بإسناد متصل ، عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم » قال : « كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث » ثم قال ابن كثير : وقد رواه من طريق سعيد بن أبى عروبة وشيبان ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : مثله . وهذا أثبت وأصح . سيرة ابن كثير ٣١٩/١ .

(٤) هو كتاب « شرف المصطفى » لأبى سعد عبد الرحمن بن الحسن الأصبهانى الأصل ، النيسابورى ، الحافظ المتوفى سنة ٤٠٧ ﻫ .

(٥) هو كتاب « الوفا بأحوال المصطفى » المطبوع بالقاهرة سنة ١٣٨٦ ﻫ .

الملائكةُ محمداً صلّى الله عليه وسلم قبل أن تَعْرِف آدمَ أبا البَشَر، ثم كان نور محمد صلى الله عليه وسلم يُرَى فى غُرّة جَبْهَة آدم ، وقيل له : يا آدم هذا سيّد ولدك من المرسَلين. فلما حملت حوّاء بشيث انتقل النور عن آدم إلى حوّاء ، وكانت تلد فى كل بطن ولدين إلا شيثا فإنها ولدته وحده كرامةً لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ثم لم يزل النورُ ينتقل من طاهر إلى طاهر إلى أن ولد صلى الله عليه وسلم(١) .

وفى كتاب الأَحكام للحافظ الناقد أبى الحسن ابن القَطَّان : روى على بن الحسين ، عن أَبيه عن جده مرفوعا : « كنتُ نوراً بين يَدىْ ربِّى عز وجل قبل أن يُخْلَقَ آدم بأَربعة عشر أَلف عام(٢)» .

وروى الحافظ محمد بن عمر العدَنى شيخ مسلم فى مسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن قريشا – أى المُسْعَدة بالإسلام – كانت نوراً بين يدَى الله تعالى قبل أن يخلق آدم بأَلفى عام يسبِّح ذلك النور وتسبّح الملائكة بتسبيحه(٣) .

قال ابن القَطَّان : فيجتمع من هذا مع مافى حديث علىٍّ : أن النور النبوى جُسِّم بعد خلْقه باثنى عشر ألف عام وزيد فيه سائر قريش وأُنْطق بالتسبيح . انتهى .

وقد أَشار عمُّه العباس رضى الله تعالى عنه إلى ذلك فيما رواه الطَّبَرانى أن سيدنا العباس رضى الله تعالى عنه قال : يا رسولَ الله إنى أُريد أن أَمتدحك . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل : لا يَفْضُض الله فاك . فقال رضى الله تعالى عنه :

مِنْ قَبْلها طِبْتَ فى الظِّلال وفى ... مُسْتَودَع حيث يُخْصَف الوَرَقُ
ثم هَبَطْتَ البلادَ لا بَشَرٌ ... أَنت ولا مُضْغةٌ ولا عَلَقُ
بل نُطفة تركب السَّفِين وقد ... أَلْجمَ نَسْراً وأَهلَه الغَرقُ
ورَدْتَ نارَ الخليلِ مُكْتَتِما ... تَجُولُ فيها وليس تَحْتَرقُ
تُنْقَل من صالِبٍ إلى رَحِم ... إذا مضَى عالَمٌ بدَا طَبق

---

(١) الوفا ٣٤/١ وقد قال الزرقانى فى شرح المواهب ٤٢/١ : قال بعض العلماء . « وهذا لا يقال من قبل الرأى . يعنى فهو إما عن الكتب القديمة لأنه – أى كعب – حبرها ، أو عن المصطفى بواسطة ، فهو مرسل . وتضعيف بعض المتأخرين جداً له باحتمال أنه من الكتب القديمة وقد بدلت غير مسموع فإن التضعيف إنما هو من جهة السند » .

(٢) لم يرد هذا الحديث فى شىء من الكتب المعتمدة فى الحديث .

(٣) الشفا للقاضى عياض ص ٦٣ (ط العثمانية) والخصائص الكبرى للسيوطى ٩٦/١ وشرح المواهب ٤٩/١ .

حتى احتوىَ بيتك المهيمن من خِنـدِف عَلَيـاء تحتها نُطقُ
وأنت لمّـا وُلِدْتَ أَشْرقت الأر ض وضـاءت بنـورك الأُفقُ
ونحن فى ذلك الضِّيـاء وفى النو رِ وسُـبل الرشـاد نَخْترقُ[1]

وروى سعيد بن منصور وابن المُنْذِر وابن أبى حاتم والبَيْهَقىّ وابنُ عساكِر ، عن أبى هريرةَ رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول‌الله صلى الله عليه وسلم : « لما خَلق الله تعالى آدم خبَّره ببنيه ، فجعل يرى فضائل بعضهم على بعض ، فرأى نوراً ساطعاً فى أسفلهم ، فقال : يارِبّ مَنْ هذا ؟ قال : هذا نبيك أحمد وهو أَوَّلٌ وهو آخر » .

ولفظ سعيد والبيهقىّ : « هو أوّل مَنْ يدخل الجنةَ . فقال : الحمد لله الذى جعل من ذريتى مَنْ يسبقنى إلى الجنة ولا أحسده » .

ويرحم الله تعالى صالح بن الحسين الشافعىّ رحمه الله تعالى حيث قال فى قصيدته :

وكان لدَى الفردوسِ فى زمن الرِّضا وأثوابُ شمل الأُنْس مُحْكمة السُّدَى
يُشاهَـدُ فى عَـدْنٍ ضِيَاءً مُشَعْشَعاً يزيد على الأنوار فى النورِ والهُـدى
فقال : إلٰهى ما الضياءُ الـذى أرَى جنودَ السَّمَاء تَغْشُو إليـه تَردُّدَا
فقال نبيٌّ خيـر من وَطِئ الثَّرَى وأفضلُ مَنْ فى الخير راحَ أو اغتدَى
تخيَّرْتُه من قَبْلِ خَلْقك سيِّـداً وأَلْبَسْتُـه قَبْلَ النبيِّن سُـؤْدَدَا

تنبيهات

الأول : قال الغزالى فى كتاب النفخ والتسوية : فى قوله صلى الله عليه وسلم : « كنتُ أولَ النبيين خَلْقا » : إن المراد بالخَلْق هنا التقدير دون الإيجاد فإنه قبل أن ولدتْه أمه لم يكن موجودا ، ولكنّ الغايات والكمالات سابقةٌ فى التقدير لاحقة فى الوجود . وبسَط الكلام على ذلك . وردَّ عليه السبكى بكلام شافٍ يأْتى فى الباب الثالث ، ولم يقِفْ على أثر كعبٍ السابق وهو أقوى من الأدلَّة التى استدل بها .

الثانى : فى بيان غريب ما سبق :

---

(١) الوفا ١/٣٥ والخصائص الكبرى ١/٩٧ باختلاف .

« التَّسْنيم » : قال العَزيزىّ رحمه الله تعالى : يقال هو أرفع شراب أهل الجنة . ويقال : تَسْنيم : عين تجرى من فوقهم تَسنَّمُهم فى مَنازلهم أى تنزل عليهم من عالٍ . ويقال تسنَّمَ الفحلُ الناقةَ إذا علاها .

وضياءٌ مُشَعْشَع : أى منتشر .

وقول سيدنا العباس : « من قَبْلها » الضمير فيه إمّا للدنيا ، أو للنبوة ، أو للولادة

« الظِّلال » : جمع ظِلّ . والمراد به هنا : ظل الجنة .

« مستودع » : بفتح الدال المهملة .

« حيث يُخْصَف الورَق » : أشار إلى قوله تعالى : « وطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهما مِنْ ورَقِ الجَنَّةِ (1) » .

وأشار إلى كونه فى صُلْب آدم كما كان نُطْفَة فى صُلب سام بن نوح ، وهو فى السفينة حين أغرق الله تعالى نَسْراً .

المضغة : قطعة لحم قَدْرَ ما يُمْضَغ فى الفم . والعلَق : جمع علَقة ، وهى قطعة من دم غليظ . وإنما جمَع العلَق هنا لأجل القافية أو للتعظيم .

والسَّفِين : جمع سفينة كما فى الصِّحاح . ونَسْر(2) : هو المذكور فى سورة نوح . ونسر ويَغُوث ويَعُوق ووَدّ وسُوَاع : أسماء لجماعة عُبَّاد كانوا بنين لآدم ، فماتوا فحزن عليهم أَهلُ عصرهم فصوَّر لهم إبليسُ اللعين أمثالَهم من صُفْر(3) ونحاس ليستأْنسوا بهم ، فجعلوها فى مؤخر المسجد ، فلما هلك أهلُ ذلك العصر قال اللعين لأولادهم ؛ هذه آلهةُ آبائكم فعبدوهم . ثم إنَّ الطوفان دفَنها فأَخرجها اللعينُ للعرب فكانت وَدّ لكلب بِدُوْمة(4) الجَنْدَل ، وسُوَاع لهُذَيْل بساحل البحر ، ويَغُوث لغُطَيْف من مُراد ، ويَعُوق لهَمْدَان ، ونَسْر لذى الكَلاع من حِمْير .

« وتُنْقَل» بضم المثناة الفوقية أوله . « ومن صالب » : أى من صُلْب يقال صُلْب وصُلُب وصالب ثلاث لغات . « وإذا مضى عالَم » بفتح اللام . « بدَا » بترك الهمزة

(1) سورة الأعراف ٢٢ . (2) الأصل : ونسرا .

(3) الصفر : نوع من النحاس .

(4) بضم الدال وفتحها وقد أنكر ابن دريد الفتح وعده من أغلاط المحدثين (ياقوت)

اى ظهر . و« الطَّبَق » بفتح الطاء والموحدة . والمعنى : إذا مضَى قَرْن بدَا قرن . وقيل للقرن طَبَق لأنه طَبَّق الأَرضَ . ويطلق الطَّبَق أيضا على الجماعة من الناس .

و « خِنْدِف» بكسر الخاء وسكون النون وكسر الدال المهملة بعدها فاء : من الخَنْدفة وهى فى الأَصل مِشْية كالهَرْولة ثم سُميت بها ليلى امرأة الياس بن مُضَر .

و «النُّطُق » بضم النون والطاء المهملة جمع نِطَاق : حِبَال يُشدّ بعضها فوق بعض يشدّ بها أوساط الناس ، يعنى أنه صلى الله عليه وسلم مرتفع ومتوسِّط فى عشيرته صلى الله عليه وسلم حتى جعلهم تحته بمنزلة أوساط الحبال .

والمراد ببيته صلى الله عليه وسلم شَرَفُه ، أى حتى احتوى شَرَفكَ الشاهد بفضلك على مكان من بيت خندف.

والأُفْقُ بضم الهمزة والفاء وسكون الفاء أيضا وهو الناحية .

وسُبُل الرشاد : طُرُقه وهو مجرور عطفاً على ما قبله .

الباب الثانى

فى خَلْق آدم وجميع المخلوقات لأَجْله صلى الله عليه وسلم

عن ابن عبّاس رضى الله تعالى عنهما قال : أَوحى الله تعالى إلى عيسى : « آمِنْ بمحمد صلى الله عليه وسلم وأْمُر أُمّتَك أن يُؤْمنوا به ، فلولا محمدٌ ما خلَقْتُ آدم ولا الجنة ولا النار ، ولقد خلقتُ العرشَ على الماء فاضطرب فكتبتُ عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسَكَن » .

رواه أَبو الشَّيْخ فى طبقات الأَصبهانيين ، والحاكم وصحّحه ، وأقرّه السُّبْكى فى شفاء السَّقام ، والبُلْقِينىّ فى فتاويه . وقال الذَّهَبى : فى سَنَده عمرو بن أَوْس لا يُدْرَى مَنْ هو انتهى.

ولبعضه شاهد من حديث عمر بن الخطاب رواه الحاكم وسيأْتى .

قال الإمام جمال الدين محمود بن جُمْلة : ليس مثل هذا للملائكة ولا لمن سواه من الأَنبياء .

وما عجبٌ إكرامُ أَلفٍ لواحـــدٍ لعَيْن تُفَدَّى أَلفُ عَيْن وتُكْـــرمُ

وروى الدَّيْلمى فى مسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَتانى جبريلُ فقال : يامحمد إنَّ الله يقول لولاك ما خلقت الجَنَّة ، ولولاك ما خلقت النار » .

ويروى عن سَلْمانَ رضى الله تعالى عنه قال : « هبط جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن ربك يقول لك : إنْ كنتُ اتَّخَذْتُ إبراهيم خليلا فقد اتخذتُك حبيبا ، وما خلقتُ خلقاً أَكرمَ علىّ منك ، ولقد خلقتُ الدنيا وأَهلَها لأُعرّفهم كرامتَك ومنزلتك ، ولولاك ما خلقتُ الدنيا » .

رواه بن عساكر وسنده واهٍ جدًّا [1] .

(١) قال فى اللآلئ المصنوعة ١٤١/١ بعد أن أورد هذا الحديث بطوله :
«موضوع : أبو السكين وإبراهيم ويحيى البصرى ضعفاء متروكون . وقال الفلاس : يحيى كذاب يحدث بالموضوعات » .

وفى فتاوى شيخ الإسلام البُلْقِينىّ أن فى مَوْلد العَزَفِىّ »[1]ـ بعين مهملة وزاى مفتوحتين وقبل ياء النسب فاء ـ و « شِفَاء الصدور » لابن سبع ، عن على رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل أنه قال : « يا محمد وعزتى وجلالى لولاك ما خلقتُ أرضِى ولاسمائى ، ولا رفعتُ هذه الخضراء ، ولا بسطتُ هذه الغَبْراء » .

قال : وذكر المصنفان المذكوران فى رواية أُخرى ، عن على رضى الله تعالى عنه أن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : من أجلك أبطح البطحاء وأَموّج الماء وأرفع السماء وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار .

ولله دَرّ العارف بالله سيدى على بن أبى الوفا[2] نفعنا الله تعالى بهم حيث قال :

سكَن الفؤادَ فعِشْ هنيًّا يا جسَدْ ... هذا النعيم هو المقيم إلى الأَبدْ

روحُ الوجود حياة من هو واحد ... لولاه ما تمَّ الوجودُ لمن وجِدْ

عيسى وآدمُ والصُّدور جميعهم ... هم أعينٌ هُوَ نورها لمّا وردْ

لو أبصر الشيطانُ طَلْعَة نورِه ... فى وجه آدم كان أولَ من سجَدْ

أو لو رأى[3] النمروذُ نورَ جَماله ... عبَد الجَليلَ مع الخليلِ وما عَنَدْ

لكنْ جمالُ الله جَلَّ فلا يُرَى ... إلا بتوفيقٍ من الله الصَّمَدْ

---

(١) العزفى ؛ عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن أحمد أبو القاسم بن أبى طالب العزفى اللخمى أصله من سبتة ولد سنة ٦٨٥ هـ . وتوفى بفاس سنة ٧١٧ هـ . وله كتاب فى التراجم اسمه « الإشارة بذكر المشتهر من المتأخرين بالإفادة » . والعزفى نسبة إلى جدله يعرف بابن أبى عزفة من بنى لخم من سلالة النعمان بن المنذر انظر أزهار الرياض ٣٥٦/٢ ، ٣٧٤ .

(٢) له ترجمة طويلة فى طبقات الشعرانى ٢٠/٢ .

(٣) ت م : أو لو أرى .

الباب الثالث

فى تقدّم نبوته صلى الله عليه وسلم على نَفْخ الروح فى آدم صلى الله عليهما وسلم .

عن عبد الله بن عَمْرو رضى الله تعالى عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله عز وجل كتب مقاديرَ الخَلْق قبل أن يخلق السموات والأَرض بخمسين ألف سنة » وكان عرشه على الماء » .

رواه[1] مسلم . زاد صاحب اللطائف : ومن جملة ما كتب فى الذِّكر وهو أُمّ الكتاب : أنَّ محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين .

وعن العِرْباض – بكسر العين – ابن سارِيَة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنى عند الله فى أُمّ الكتاب لخَاتم النبيّين ، وإنَّ آدم لَمُنْجَدِلٌ فى طِينته » .

رواه الإمام أحمد[2] والحاكم وصححه .

قال الطِّيبى[3] فى « شرح المِشكاة » : « انجدل » مطاوع جدله إذا ألقاه على الأَرض ، وأصله الإلقاء على الجَدَالة – بفتح الجيم والدال المهملة – وهى الأَرض الصُّلْبة وهذا على سبيل إنابة فعل منابَ فعل ، يعنى لا يجوز إجزاء منجدل على أن تكون مطاوعا لجدل لما يلزم منه أن يكون آدم منفصلا من الأَرض الصلبة ، بل هو ملقًى عليها . والطينة : الخِلْقة من قولهم : طانَه الله على طِينتَك . والجارُّ الذى هو « فى » ليس بمتعلق بمنجدل ، لما يلزم منه أن يكون آدم مظروفاً فى طينته ، إنما هو خبر ثان لأَنَّ ، والواو وما بعدها فى محل نصب على الحال من المكتوب ، والمعنى : كُتِبْتُ خاتم الأَنبياءفى الحال الذى آدم مطروح على الأَرض حاصِل فى أَثناء تخلُّقه لمّا يُفْرغ من تصويره وإجراء الروح.

---

(١) صحيح مسلم كتاب القدر حديث ١٦ .

(٢) رواه أحمد فى مسنده ٦٦/٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٥٩/٥ ، ٣٧٩ . وأبو نعيم فى دلائل النبوة /٦٧ ، وابن الجوزى فى الوفا ٣٣/١ .

(٣) الطيبى : الحسين بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطيبى، توفى سنة ٧٤٣هـ وشرح المشكاة : هو شرح « مشكاة المصابيح » فى الحديث . انظر الدرر الكامنة ٦٨/٢ والبدر الطالع ٢٢٩/١ .

وقال الحافظ أبو الفرج ابن رجب رحمه الله تعالى فى اللطائف : المقصود من هذا الحديث أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم كانت مذكورة معروفة من قبل أن يخلقه الله تعالى ويخرجه إلى دار الدنيا حيًّا ، وأن ذلك كان مكتوبا فى أم الكتاب من قبل نفخ الروح فى آدم صلى الله عليهما وسلم ، وفسّر أمّ الكتاب باللوح المحفوظ وبالذّكر فى قوله تعالى : « يمحو الله ما يشاء ويُثْبت وعنده أمُّ الكِتَاب[1] » .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه سأل كعباً عن أمّ الكتاب فقال : عَلِمَ الله ما هو خالق وما خَلْقه عاملون ، فقال لعلمه كن كِتَاباً . فكان كتاباً .

ولا ريب أن عِلْم الله تعالى قديم أزلى لم يزل عالمـا بما يُحْدثه من خلقه ، ثم إن الله تعالى كتب ذلك فى كتاب عنده قبل أن يخلق السموات والأرض كما قال تعالى : « ما أصاب من مُصِيبَةٍ فى الأَرْض ولا فى أَنْفُسِكم إلَّا فى كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرأَها إنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ[2] » .

وفى صحيح البخارى عن عِمْران بن حُصيْن رضى الله تعالى عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « كان اللهُ ولا شَىْء قَبْلَه[3] . وكان عرشُه على المـاء ، وكتب فى الذكر كُلَّ شئ . ثم خَلَق[4] السموات والأرض » .

وقوله فى هذا الحديث : « إنِّى عندَ الله فى أمّ الكِتَاب » ليس المراد به ــ والله أعلم ــ أنه حينئذ كتب فى أمِّ الكتاب خَتْمه للنبيين وإنما المراد الإخبار عن كون ذلك مكتوبا فى أمّ الكتاب فى ذلك الحال قبل نفخ الروح فى آدم وهو أول ما خلق من النوع الإنسانى .

وجاء فى أحاديث أخر أنه فى تلك الحالة وجبت له صلى الله عليه وسلم النبوة . وهذه مرتبة ثالثة وهو انتقاله صلى الله عليه وسلم من رتبة العلم والكتابة إلى رتبة الوجود العَيْنى الخارجى . فإنه صلى الله عليه وسلم استخرج من ظهر آدم ونبئ فصارت نبوّته موجودة فى الخارج بعد كونها كانت مكتوبة مقدرة فى أم الكتاب .

فعن ميسرة ــ بفتح الميم وسكون المثناة التحتية ــ الفَجْر ــ بفتح الفاء وسكون الجيم ــ رضى الله تعالى عنه قال : « قلت : يا رسول الله ، متى كنت نبيا ؟ قال : وآدم بين الرُّوح والجسد» .

---

(١) سورة الرعد ٣٣ .　　(٢) سورة الحديد ٢٢ .

(٣) فى صحيح البخارى كتاب « بدء الخلق » ولم يكن شئ غيره .

(٤) البخارى : « وخلق السموات والأرض » . صحيح البخارى كتاب بدء الخلق الباب الأول .

رواه الإمام أحمد والبخارى فى تاريخه والحاكم وصححه [1].

قال الإمام أحمد فى رواية منها: وبعضهم يرويه : متى كُتبتَ من الكتابة ؟ قال : كُتبتُ نبيّا وآدم بين الروح والجسد . فتُحْمل هذه الرواية مع حديث العِرْباض السابق على وجوب نبوته صلى الله عليه وسلم وثبوتها وظهورها فى الخارج ، فإن الكتابة إنما تستعمل فيما هو واجب إما تشريعا [2] كقوله تعالى « كُتِبَ عليكم الصيام [3] » أو قدرا كقوله تعالى : « كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أنا ورُسُلِي [4] » .

وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : « قالوا يا رسول الله متى وَجَبَتْ لك النبوّة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد » .

رواه الترمذى [5] وحسّنه .

وعن الصُّنَابِحىّ مرسَلاً – وهو بضم الصاد المهملة وفتح النون وكسر الموحدة ومُهملة – عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنَّه قال : « يا رسول الله متى جُعلتَ نبيًّا ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد » .

رواه أبو نُعَيْم [6] .

وروى الآجُرِىّ فى كتاب الشريعة ، عن سعيدِ بن أبي راشد قال : سألت عطاء رحمه الله تعالى : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم نبيًّا قبل أن يُخْلق الخلقُ ؟ قال : إى واللهِ وقبل أن تُخْلَقَ الدنيا بألْفَىْ عام .

قال الحافظ ابن رجب : عطاء هذا الظاهر أنه الخُراسانى ، وهذا إشارة إلى ما ذكرناه من كتابة نبوته صلى الله عليه وسلم فى أُمّ الكتاب عند تقدير المقادير . ويرحم الله القائل حيث قال :

سَبَقتْ نُبوّتــه وآدمُ طِينَــةٌ ... فلــه الفَخارُ على جميع الناسِ
سبحان من خصَّ النبيَّ محمــداً ... بفضائل تُتْلى بغير قيــاسِ

---

(1) الوفا 1/33 . ومسند أحمد 5/95 .
(2) ت م : إما شرعا .
(3) سورة البقرة 183 .
(4) سورة المجادلة 21 .
(5) صحيح الترمذى 2/282 .
(6) دلائل النبوة لأبي نعيم ص 17 .

تنبيهات

الأول : ما اشتهر على الألسنة بلفظ : « كنت نبيّا وآدم بين الماء والطين » قال ابن تيمية والزَّرْكشى والشيخ وغيرهم من الحُفَّاظ : لا أصل له . وكذا : « كنت ولا آدم ولا ماء ولا طين » .

الثانى : قال الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام تقى الدين السُّبْكى قدس الله تعالى روحه : لم يُصبْ من فسرَّ قوله صلى الله عليه وسلم : « كنت نبيّا وآدمُ بين الروح والجسد » [بأنه] سيصير نبيا ، لأن عِلْم الله تعالى محيط بجميع الأشياء ، ووصف النبى صلى الله عليه وسلم بالنبوة فى ذلك الوقت ينبغى أن يُفهم منه أنه أمرٌ ثابت له فى ذلك الوقت ، ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير إليه فى المستقبل لم تكن له خصوصية بأنه نبيّ وآدمُ بين الروح والجسد ، لأن جميع الأنبياء يعلم الله نبوتهم فى ذلك الوقت وقَبْله : فلابد من خصوصية للنبى صلى الله عليه وسلم لأجلها أخبر أمته الخبر إعلاما لأمته ، ليعرفوا قدْره عند الله . ثم قال : فإن قلت : النبوة وصف لازم أن يكون الموصوف به موجودا ، وإنما يكون بعد بلوغ أربعين سنة ، فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله ، وإن صح ذلك فغيره كذلك ؟

قلت : قد جاء أن الله خلَق الأرواح قبلَ الأجساد ، فقد تكون الإشارة بقوله « كنت نبيا » إلى روحه الشريفة أو إلى حقيقة من الحقائق ، والحقائق تَقْصر عقولنا عن معرفتها وإنما يعلمها خالقها ومن أمدّه الله بنور إلٓهى ، ثم إن تلك الحقائق يؤتى كل حقيقة منها مايشاء فى الوقت الذى يشاء ، فحقيقة النبى صلى الله عليه وسلم قد تكون من قبل خَلْق آدم آتاها الله ذلك الوصف بأن يكون خلقها ، مهيأة لذلك فأفاضه عليه من ذلك الوقت فصار نبيا وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة ليُعْلِم ملائكته وغيرهم كرامته عنده ، فحقيقته موجودة فى ذلك الوقت وإنْ تأخَّر جسده الشريف المتّصف بها .

واتصاف حقيقته بالأوصاف الشريفة المضافة عليه من الحضرة الإلٓهية إنما يتأخر البعث والتبليغ وكل ماله من جهة الله تعالى ومن جهة تأهل ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم وحقيقته معجَّل لا تأَخُّر فيه ، وكذا استِنْباؤه وإيتاؤه الحكم والنبوة ، وإنما المتأَخِّر تكوّنه وتنقلّه إلى أن ظهر صلى الله عليه وسلم . انتهى ملخصا .

وأثَر كعب السابق أولَ الباب الأَول يؤيد ما قاله .

وقال بعض العارفين : لمّا خلق الله الأَرواح المدبّرة للأَجسام عند وجود حركة الفلك أولَ ما خلق الزمان بحركة ، كان أَول ما خلق روح محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم صدرت الأَرواح عن الحركات الفلكية[1] فكان لها وجود فى عالم الغيب دون عالم الشهادة ، وأَعلمَه بالنبوة وآدم لم يكن ، كما قال : « بَيْنَ الروح والجسد » فاقتضى قوله : « كنت نبيّا وآدم بين الروح والجسد » أن يكون حقيقة ، فإنه لايكون العدَم بين أمرين موجودين لانحصاره ، والمعدوم لايوصف بالحصر فى شئ ، ثم انتهى الزمانُ إلى وجود جسمه صلى الله عليه وسلم وارتباط الروح به ، فظهر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بكليته جسما وروحا ، فكان له الحكم أولاً باطناً فى جميع ما ظهر من الشرائع على يدى الأَنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، ثم صار له الحكم ظاهرا فنسخ كل شرع وإن كان الشرع واحدا وهو صاحب الشرع ، فإنه قال : « كنت نبيا » ما قال : كنت إنسانا ولا كنت موجودا ، وليست النبوة إلا بالشرع المقرر من عند الله تعالى ، فأَخبر صلى الله عليه وسلم أنه صاحب النبوة قبل وجود الأَنبياء فى الدنيا .

---

(١) هذه دعوى لا يقيمها دليل من كتاب ولا سنة . وهى بكلام الفلاسفة أشبه .

الباب الرابع

في تقدّم أخذ الميثاق عليه زاده الله تعالى شرفا وفضلا لديه

روى ابن سعد عن الشَّعْبي مرسلًا قال : قال رجل : يا رسول الله متى استُنبئتَ ؟ قال : « وآدم بَيْن الروح والجسد حين أُخذ منى الميثاق[1] » .

وروى أبو سهل القَطَّان في أماليه ، عن سهل بن صالح الهمذاني : قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي : كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم الأنبياء وهو آخر من بُعث ؟ قال : إن الله لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذُرِّيَّاتهم وأَشْهَدَهُمْ على أنفسهم : أَلستُ بربكم ؛ كان محمد صلى الله عليه وسلم أول من قال بَلَى . ولذلك صار يتقدم الأنبياء وهو آخر من بُعث .

قال الحافظ ابن رجب في اللطائف : وخبر الشعبي يدل على أنه من حين صوّر آدم طينا استخرج وأُخذ منه صلى الله عليه وسلم ونبئ وأُخذ منه الميثاق ، ثم أُعيد إلى ظَهر آدم حتى يخرج وقت خروجه الذى قد رأيت خروجه فيه ، فهو أولهم خَلْقا وآخرهم بَعثا ، وهو آخر النبيّين باعتبار أن زمانه تأَخَّر عنهم .

لا يقال : خُلق آدم قبله ، لأَن آدم كان حينئذ هواءً لا روح فيه ، ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حيًّا حين استخرج ونبِّئَ وأُخذ منه الميثاق ، ولا يقال إن استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه ، كما دل عليه أكثر الأَحاديث والذى تقرر أنه استخرج ونُبّئَ قبل نفخ الروح في آدم ، لأَنه صلى الله عليه وسلم خُصّ باستخراجه من ظهر آدم قبل نفخ الروح فيه فإن محمدا صلى الله عليه وسلم هو المقصود من خَلْق النوع الإنساني ، وهو عَيْنه وخُلَاصته . ويستدل بخبر الشَّعْبي وغيره مما تقدم في الباب السابقَ على أنه صلى الله عليه وسلم وُلِد نبيًا ، فإنَّ نُبُوَّتَه وجبت له حين أُخذ الميثاق حيث استخرج

---

(١) طبقات ابن سعد ١/٩٥ .

ص٢٦ـا من صلب آدم فكان نبيًا حينئذ ، لكن كانت مدة خروجه إلى الدنيا متأخرة عن ذلك .
وذلك لايمنع كونه نبيّا كمن تولى ولايةِ ويؤمر بالتصرف فيها فى زمن مستقبل . فحُكْم الولاية ثابت له من حين ولايته ، وإن كان تَصَرُّفه يتأَخَّر إلى حين مجيء الوقت . والأَحاديث السابقة فى باب تقدم نبوته صلى الله عليه وسلم صريحة فى ذلك . والله سبحانه وتعالى أعلم .

الباب الخامس

فى كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وسائر ما فى الملكوت ، وما وجد على الحجارة القديمة من نقش اسمه صلى الله عليه وسلم

قال الإمام العلامة خالد بن محمود بن جملة رحمه الله تعالى : لم يثبت أن غيره صلى الله عليه وسلم أثبت اسمه على العرش .

روى الحاكم والطبرانى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لمـا اقترف آدم الخطيئة قال : ياربّ أسألك بحقّ محمد لَمَا غفرت لى . قال وكيف عرفتَ محمدا ؟ قال : لأنك لمّا خلقتنى بيدك ونفختَ فىّ من روحَك رفعتُ رأسى فرأيتُ على قوائم العرش مكتوبا : لا إلَه إلاّ الله محمد رسول الله . فقلت : إنك لم تُضف إلى اسمك إلاّ أحبَّ الخَلْق إليك . قال : صدقتَ ياآدم ، ولولا محمد ما خَلقتك»[1] .

قال الإمام الزاهد الشيخ إبراهيم الرقى رحمه الله تعالى : لو لم يتب عليه لَبقى هو وذريته فى دار السخط أَبَد الأَبد .

فما ظنك برجل واحد شمل العالمين كلهم ببركتُه ، حتى صُولح به المتمردون[2] ورزق به المحرومون وجُبر به المنكسرون وأُنقذ به المعذَّبون ، ومن العجب أن ننتظر شفاعته فى القيامة وقد سبقت شفاعتُه فينا وفى أَبينا من أَول دنيانا ، فهو مُطَهِّر الباطن والظاهر مبارك الأَول والآخر .

وروى ابن أَبى عاصم[3] فى المسند وأَبو نعيم عن أَنس رضى الله تعالى عنه أَن الله سبحانه

---

(١) الوفا ٣٣/١ . وسيرة ابن كثير ٣٢٩/١ . قال ابن كثير : قال البيهقى : « تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وهو ضعيف » .

(٢) ت م : المطرودون .

(٣) ابن أبى عاصم : أحمد بن عمرو بن أبى عاصم الضحاك بن مخلد الشيبانى ، ولد سنة ٢٠٦ هـ ، وهو من أهل البصرة وولى قضاء أصبهان ، له مصنفات عدة منها : « المسند الكبير » وجمع فيه نحو خمسين ألف حديث ، وتوفى سنة ٢٨٧ هـ وانظر تذكرة الحفاظ ١٩٣/٢ والبداية والنهاية ٨٤/١١

وتعالى قال لموسى : ياموسى إنَّ من لقينى وهو جاحد بمحمد صلى الله عليه وسلم أَدخلتُه النار . فقال : من محمد ؟ قال ياموسى وعزتى وجلالى ماخلقتُ خَلْقاً أَكرمَ علىَّ منه ، كتبتُ اسمه مع اسمى فى العرش قبل أَن أَخلق السموات والأَرض والشمس والقمر بأَلْفَىْ سنة[1] » .

وروى ابنُ المنْذِر ، عن محمد بن على بن الحسين ، عن على بن أَبى طالب رضى الله تعالى عنه : أَن آدم لمّا أَكل من الشجرة عَظُم كَرْبُه واشتد ندَمه علَّمه جبريل أَن يقول دعاءً ومنه : اللَّهمّ إِنى أَسأَلك بجاه محمد عندك وكرامته عليك أَن تغفر لى خطيئتى . ففعل آدم ، فقال الله : ياآدم مَنْ علَّمك هذا ؟ قال : يارب إِنك لمّا نَفَخْتَ فىّ الروحَ . فذكر نحو الحديث الأَول .

وروى ابن أَبى الدنيا عن سعيد بن جُبَير رحمه الله تعالى قال : اختصم ولدُ آدم : أَىّ الخَلْق أَكرمُ على الله ؟ فقال بعضهم : آدم خلَقه الله بيده وأَسجَد له ملائكته . وقال آخر : بل الملائكة الذين لم يَعْصُوا الله . فذكروا الكلام لآدم فقال : لمّا نفخ فىّ الروح لم تبلغ قدمى . فاستويتُ جالسا فبرَق العرشُ فنظرتُ فيه : محمد رسول الله . فذاك أَكرم الخَلْق على الله عز وجل .

وروى ابن الجَوْزى بسند جيد لابأْس به ، عن ميسرة رضى الله تعالى عنه قال : « قلت يارسول الله ، متى كنتَ نبيا ؟ قال : لمّا خلق الله الأَرض واستوى إِلى السماء فسوَّاهن سبعَ سموات وخلق العرش كتب على ساق [العَرْش[2]] : محمد رسول الله خاتم الأَنبياء . وخلق الله تعالى الجنة التى أَسكنها آدم وحواء ، فكتب اسمى على الأَوراق والأَبواب والقِبَاب والخيام ، وآدمُ بين الروح والجسد ، فلما أَحياه الله تعالى نظر إِلى العَرْش فرأَى اسمى ، فأَخبر الله تعالى أَنه سيِّد ولدك . فلما غرَّهما الشيطان تابا واستشفعا باسمى إِليه[3] » .

وقال ابن أَبى الدُّنْيا : حدثنا محمد بن يونس القرشى ، حدثنا قريش بن أَنس ، حدثنا كُلَيْب أَبو وائل قال : غزونا فى صَدْر هذا الزمان الهندَ ، فوقعت فى غَيْضة فإِذا فيها شجر عليه ورد أَحمر مكتوب فيه بالبياض : لا إِلَه إِلاَّ الله محمد رسول الله .

وروى ابن عساكر عن كَعْب الأَحبار قال : إِنَّ الله أَنزل على آدم عِصِيًّا بعدَد الأَنبياء

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ، وهو فى الخصائص الكبرى ١/٣٣ .
(٢) من الوفا . (٣) الوفا ١/٣٣ .

والرسل ، ثم أقبل على ابنه شيث فقال : يا بنى أنت خليفتى من بعدى ، فخذها بعِمَارة التقوى والعروة الوثقى ، وكلما ذكرت الله فاذكر إلى جَنْبه اسم محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنى رأيت اسمه مكتوبا على ساق العرش وأنا بين الروح والطين ، ثم طُفْت فى السموات فلم أرَ فى السموات موضعًا إلا رأيت اسمَ محمد مكتوبا عليه ، وإن ربى أسكننى الجنة فلم أر فى الجنة قصراً ولا غُرْفة إلا واسم محمد مكتوب عليه ، ولقد رأيت اسمَ محمد على نُحور الحورِ العين وعلى ورق قصَب آجام الجنة ، وعلى شجرة طُوبَى وعلى ورق سِدْرة المنتهَى ، وعلى أطراف الحُجب وبين أعين الملائكة ، فأَكثِرْ ذِكره فإن الملائكة تذكره فى كل ساعاتها .

وروى ابن عساكر فى تاريخ دمشق وابن العَدِيم[1] فى تاريخ حلَب ، عن أبى الحسين على بن عبد الله الهاشمى الرقّى ، رحمه الله تعالى قال : دخلت بلادَ الهند فرأيت فى بعض قراها شجر وردٍ أسود فيفتح عن وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء مكتوب عليها بخط أبيض : لا إلَه إلاّ الله محمد رسول الله . أبو بكر الصديق . عمر الفاروق . فشككْت فى ذلك وقلت إنَّه مَعْمُول ، فعَمَدْت إلى حبّة لم تفتح فرأيت فيها كما رأيت فى سائر الورد ، وفى البلد منه شىء كثير وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة[2] .

وفى مسالك الأبصار ذكر ابن سعيد المغربى أنه أخبره من دخل الهند رأى فى غَيْضة بنواحى بالكين ، وهى قصَبة الهند ، شجرة عظيمة لها وردٌ أحمر فيه مكتوب ببياض : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

ونقل القاضى عن السمْطَاوىّ رحمه الله تعالى أنه شاهَد فى بعض بلاد خراسان مولودا ولِد على أحد جنبيه مكتوب : لا إلَه إلا الله ، وعلى الآخر : محمدٌ رسول الله .

---

(١) ابن العديم : عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبى جرادة العقيلى ، من أصحاب التاريخ والحديث ولد بحلب سنة ٥٨٨ هـ وتوفى بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ ، وكتابه هذا : « بغية الطلب فى تاريخ حلب » كبير جدا اختصره فى كتابه الذى سماه زبدة الحلب فى تاريخ حلب » طبع منه جزء . انظر فوات الوفيات ١٠١/٢ والنجوم الزاهرة ٢٠٨/٧ وشذرات الذهب ٣٠٣/٥ .

(٢) الخصائص الكبرى ٢٠/١ عن ابن عساكر وابن النجار فى تاريخهما وهذا الخبر من الغرائب التى لا ترجع إلى أصل صحيح ، وليس فيها مغزى يستحق الاحتفاء به ، فإن دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الثابتة الصحيحة تغنى عن هذا التزيد والميل إلى التعجب .

وقال الشيخ عبد الله اليافِعِيّ فى كتاب « رَوْض الرياحين » قال بعض الشيوخ : دخلتُ بلادَ الهند فدخلت مدينة رأيتُ فيها شجرةً تحمل ثمراً يشبه اللَّوْز له قِشْران ، فإذا كُسر خرج منه ورقة خضراء مكتوب عليها بالحُمْرة : لا إلَه إلاَّ الله . كتابةً جَلِيّة ، وهم يتبرّكون بها ويستَسْقون بها إذا مُنعوا من الغيث . فحدثت بها أبا يعقوب الصيّاد فقال لى : ما أستعظم هذا ، كنت أَصطاد على نهر الأُبُلَّة فاصطدتُ سمكةً مكتوب على جنبها الأيمن : لاإله إلا الله ، وعلى جنبها الأَيسر : محمد رسول الله . فلما رأيتها قذفتها فى الماء احتراما لها .

الأُبلَّة بضم الهمزة والباء الموحدة وتشديد اللام : بلد معروف قُرب البصرة .

وروى الخطيب فى تاريخه ، عن عبد الرحمن بن هارون المغربى رحمه الله تعالى قال : ركبتُ بحرَ المغرب فوصلنا إلى موضع يقال له السوطون ، وكان معنا غلام صِقِلِيّ ومعه سنارة فدلاَّها فى البحر فصاد سمكة قَدْر شِبر ، فنظرنا فإذا مكتوب على أذنها الواحدة : لا إله إلا الله . وفى قفاها وخلف أذنها الأُخرى : محمد رسول الله . وكان أبْيَن من نقش على حجر ، وكانت السمكة بيضاء والكتابة سوداء كأَنها كتابة بحبر . فقذفناها فى البحر [1]

وروى أبو الشيخ فى العظمة عن جعفر بن عرفة رحمه الله تعالى قال : كنت فى البحر فى مركب فظهرتْ لنا سمكة بيضاء وإذا على قفاها مكتوب بسوادٍ أَشد سوادا من الحِبْر : لا إلَه إلا الله محمد رسول الله .

وروى ابن عساكر من طريق الحسن عن سَلْمان قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لكعب : أَخبِرنا عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده . قال : نعم يا أَمير المؤمنين قرأْت[2] أن ابراهيم الخليل وجد حجرًا مكتوبا عليه أَربعة أَسطر :

الأَول : أَنا الله لا إله إلا أَنا فاعبدنى[3]. والثانى : أَنا الله لا إله إلا أَنا محمد رسولى طوبى لمن آمن به واتبعه . والثالث : إنى أَنا الله لا إله إلا أَنا من اعتصَم بى نجَا . والرابع : إنى أَنا الله لا إله إلا أَنا الحرَم لى والكعبةُ بيتى ، من دخل بيتى أَمِن مِن عذابى[4] .

وروى أَبو نُعَيم عن طلحة رضى الله تعالى عنه قال : وجد فى البيت حجر منقور فى

---

(١) ليس فى تاريخ بغداد ترجمة إلا لعبد الرحمن بن سعيد بن هارون وليس فيه هذا الخبر .

(٢) الخصائص فرأيت فيما قرأت .

(٣) الخصائص : فاعبدونى .

(٤) الخصائص الكبرى ١/٩٠ عن ابن عساكر .

الهَدْمة الأُولى ، فدُعِى رجل فقرأه فإذا فيه : عبدى المنتخَب المتوكِّل المنِيب المختار ، مَوْلِده بمكة ومُهَاجَره طَيْبة ، لا يذهب حتى يقيم السُّنَّة العوجاء ويشهد أن لا إله إلا الله ، أمته الحمَّادون يحمدون الله بكل أَكَمة يأتزرون على أوساطهم ويُطَهِّرون أطرافهم[1] .

وروى البيهقى عن عمر رضى الله تعالى عنه قال : بلغنى فى قول الله تعالى : (وكان تَحْتَه كَنْزٌ لهما[2]) أن الكنز كان لَوْحا من ذهب مكتوب فيه : عجبًا لمن أيقَن بالموت كيف يفرح ، عجبًا لمن أيقن بالحساب كيف يضحك ، عجبا لمن أيقن بالقدر كيف يحزن ، عجبًا لمن يرى الدنيا وزوالَها وتقلُّبها بأَهلها كيف يطمئن لها ، لا إله إلا الله محمد رسول الله[3] .

وروى البزار عن أبى ذر نحوه ، ولهذا تتمة فى باب شرح أسمائه صلى الله عليه وسلم . والله أعلم .

---

(1) الوفا ١/١٤٦ .

(2) سورة الكهف : ٨٢ .

(3) الخصائص الكبرى ١/٢٠ نحوه عن أبى ذر ثم قال السيوطى : ورد مثله عن عمر وعلى وأخرجهما البيهق وعن ابن عباس أخرجه الخرائطى فى كتاب « قمع الحرص » .

الباب السادس

في أخذ الميثاق على النبيين ، آدم فمن دونه من الأنبياء ،
أن يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم وينصروه إذا بُعث فيهم

قال الله تعالى :

و (إِذْ) نُصب بمصدر محذوف (أَخَذَ اللهُ ميثاق النبيين) عَهْدهم (لَمَا) بفتح اللام للابتداء أو دخلت لتوكيد معنى القسم ؛ لأن أخذ الميثاق قسَم فى المعنى . وبكسرها متعلِّقة بأَخَذ ، وما موصولة على الوجهين أى الذى (آتَيْتُكم) وفى قراءة : آتَيْناكم (مِنْ كِتَابٍ وحِكْمة ثم جاءكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُم) من الكتاب والحكمة ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم (لتُؤْمِنُنَّ به ولتَنْصُرُنَّه) جواب القسَم ، أى إن أدركتموه ، وأممهم تَبَع لهم فى ذلك .

قال تعالى لهم : (أَأَقْرَرْتُم) بذلك (وأَخَذْتُم) قَبِلْتم (على ذلكم إِصْرِى) عَهْدى (قالوا أَقْرَرْنا . قالَ فاشْهَدُوا) أى فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار . واشهدوا : خطاب للملائكة (وأَنا مَعَكُمْ مِنَ الشاهِدِين) عليكم وعليهم (فَمَنْ تَوَلَّى) أعرض (بَعْدَ ذلك) الثبات (فأُولئك هُمُ الفاسِقُون[1]) ، أى الخارجون عن الطاعة .

روى ابن أبى حاتم عن السُّدى فى الآية قال : لم يَبْعث الله نبيًا قط من لَدُن نوح إلاَّ أخذَ ميثاقه ليؤمننّ بمحمد صلى الله عليه وسلم وينصره إن خرج[2] وهم أحياء[3] .

وروى ابن جرير ، عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى الآية قال : لم يبعث الله نبيًّا ، آدم فمن بعده ، إلا أخذ عليه العهدَ فى محمد صلى الله عليه وسلم : لئن بُعث وهو حَىّ ليؤمنَنَّ به ولينصُرَنّه ، وأمره بأخذ العهد على قومه ..

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : ما بعث الله نبيًّا قط إلا أخذ عليه العهدَ :

---

(١) سورة آل عمران ٨١ ، ٨٢ . (٢) ت م : إن أخرج . (٣) الخصائص ٢٢/١ .

لئن بُعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حَيٌّ ليُؤمننّ به وليَنْصُرَنّه ، وأمَره بأخذ الميثاق على أمّته إنْ بُعث محمد صلى الله عليه وسلم وهم أحياء لَيُؤمِنُنَّ به وليَنْصُرُنَّه .

رواه البخاري في صحيحه[1]. كما نقله الزركشي في شرح البُرْدة ، والحافظ ابن كثير في تاريخه وأول كتابه جامع المسانيد ، والحافظ في الفتح في باب حديث الخضر مع موسى ، ولم أظفر به فيه ، ورواه ابن عساكر بنحوه .

قال الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام تقي الدين السُّبْكي قدس الله تعالى روحه : في هذه الآية من التَّنْويه بالنبي صلى الله عليه وسلم وعظيم قَدْره ما لا يَخْفى أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مُرْسلاً إليهم . فتكون نبوّته ورسالته عامةً لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أُمته . ويكون قوله صلى الله عليه وسلم : « بُعثت إلى الناس كافةً » لا يختصّ به الناسُ في زمانه إلى يوم القيامة بل يتناول مَن قَبْلهم أيضا .

وإنما أخذ المواثيق على الأنبياء ليتعلموا أنه المقدَّم عليهم وأنه نبيهم ورسولهم . وفي « أخذ » وهي في معنى الاستخلاف ، ولذلك دخلت لامُ القَسَم في « لَتؤمنُنّ به و لتَنْصُرنَّه » لطيفةٌ أخرى ، وهي كأنها البَيْعة التي تؤخذ للخُلفاء ولعل أَيْمان الخلفاء أُخذت من هذا ، فانظر إلى هذا التعظيم العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه .

فإذا عرفتَ هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم نبيُّ الأنبياء ، ولهذا أظهر ذلك في الآخرة جميعُ الأنبياء تحت لوائه . وفي الدنيا كذلك ليلةَ الإسراء صلى بهم . ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أُممهم الإيمان به صلى الله عليه وسلم ونُصْرته . وبذلك أخذ الله الميثاقَ عليهم . فنبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته إليهم معنىً حاصل له . وإنما أمْره يتوقف على اجتماعهم معه . فتأَخُّر الأَمر راجع إلى وجودهم لا إلى عدم اتصافه بما يقتضيه . وفَرْقٌ بين توقّف الفعل على قَبُول المَحَلّ وتوقّف أَهلِيّة الفاعل ، فهنا لا توقّف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم الشريفة ، وإنمّا هو من جهة وجود العصر

---

[1] (١) لم أجده في صحيح البخاري كما أشار إلى ذلك المصنف بعد في قوله : ولم أظفر به فيه ، وهو مروي عن علي ابن أبي طالب كما رواه ابن جرير .

المشتمل عليه ، فلو وجد فى عصرهم لَزِمهم اتّباعُه بلا شك ، ولهذا يأتى عيسى صلى الله عليه وسلم فى آخر الزمان على شريعته صلى الله عليه وسلم ، وهو نبىّ كريم ، لا كما يظنّ بعض الناس أنه يأتى واحدا من هذه الأُمة ، نعم هو واحد من هذه الأَمة لما قلنا من اتباعه للنبى صلى الله عليه وسلم ، وإنَّما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة ، فكل ما فيهما من أمر ونَهْى فهو متعلق به كما يتعلَّق بسائر هذه الأمة ، وهو نبىّ كريم على حاله لم ينقص منه شىء ولذلك لو بُعث النبى صلى الله عليه وسلم فى زمانه أَو زمان موسى وإبراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرِّين على نبوّتهم ورسالتهم إلى أممهم ، والنبى صلى الله عليه وسلم نبى الله ورسوله إلى جميعهم ، فنبوّته ورسالته أَعمُّ وأَشمل وأَعْظم ، ويتفق مع شرائعهم فى الأُصول لأَنها لا تختلف ، وتَقدمَ شريعته فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع ، إما على سبيل التخصيص وإما على سبيل النَّسْخ أَولا نَسْخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبى فى تلك الأَوقات بالنسبة إلى تلك الأمم مما جاءت به أَنبياؤهم ، وفى هذا الوقت بالنسبة إلى هذه الأُمة الشريفة ، والأَحكامُ تختلف باختلاف الأَشخاص والأَوقات . انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه وأَرضاه .

فإن قيل : قال الله سبحانه وتعالى : « أُولئك الذين هدَى اللهُ فبهُدَاهم اقْتَدِه[1] ».

فالجواب : بأَن هُدَاهم من الله وهو شرعه صلى الله عليه وسلم ، أَى الزم شَرْعك الذى ظهر به نُوَّابُك ، من إقامة الدين وعدم التفرقة فيه ولم يقل الله « بهم اقتدِهْ » وكذا قال تعالى : « ثم أَوْحيْنا إليك أَن اتَّبعْ مِلَّةَ إبراهيمَ حنيفًا » وهو الدين ، فهو صلى الله عليه وسلم مأمور باتباع الدين ، فإن أَصل الدين إنما هو من الله تعالى لا من غيره ، وأَين هذا من قوله صلى الله عليه وسلم : لو كان موسى حَيًّا ما وَسِعه إلاَّ أَن يَتَّبعنى » فأَضاف الاتِّباعَ إليه ، وأَمِر هو صلى الله عليه وسلم باتباع الدين لا باتباع الأَنبياء ، فإن السلطان الأَعظمَ إذا حَضر لا يبقى لنائب من نُوَّابه حكمٌ إلاَّ له ، فإذا غاب حكمَ النُّواب بمَراسيمه ، فهو الحاكم فى الحقيقة غَيْبةً وشهادةً .

---

(١) سورة الأنعام ٩٠

فإنَّك شَمْسٌ والملوك كواكبٌ　　إذا ظهرتْ لم يَبْدُ منهن كوكبُ[1]

وقد أشار إلى ذلك المعنى البُوصيرىّ[2] ، وتوفى قبل مولد السبكى رحمهما الله تعالى :

وكلُّ آيٍ أَتى الرُّسْل الكرامُ بها　　فإنمـا اتصلتْ من نـوره بهمُ

فإنه شمسُ فَضْـلٍ هم كواكبها　　يُظْهِرْن أَنوارَها للناس فى الظُّلَمِ

---

(١) ديوان النابغة ؛ ١٨ (ط . بيروت)

(٢) ت م : الأبوصيرى .

الباب السابع

فى دعاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام به صلى الله عليه وسلم وإعلام الله به إبراهيم وآله

قال الله سبحانه وتعالى حاكياً عن إبراهيم : « ربَّنَا وابعَثْ فيهم رَسُولاً [1] » أى فى جماعة الأمة المسلمة من أولادهما [2] ، أو هم أهل مكة (رَسُولاً منهم) من أنفُسهم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (يَتْلُو) يقرأ (عليهم آياتِك) كتابك يعنى القرآن (ويعلِّمهم الكتابَ) أى القرآن (والحكمة) أى مواعظَه وما فيه من الأحكام ، أو هى العلم والعمل (ويزكِّيهم) يطهرّهم من الذُّنوب ويشهد لهم بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ (إنك أنت العَزِيزُ) الغالب (الحكيمُ) فى صنعه .

روى ابن جرير عن أبى العالية رحمه الله تعالى قال : لمّا قال إبراهيم : (ربَّنَا وابعَثْ فيهم رَسُولاً منهم) قيل له قد : استُجيب لك ، وهو كائن فى آخر الزمان [3].

وروى الإمام أحمد والحاكم عن العِرْبَاض بن سارية رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا دَعْوة [أبى] إبراهيم وبِشَارة عيسى [4] » .

وروى ابن عساكر عن عُبَادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال ؛ قيل يا رسول الله أخبِرْنا عن نفسك . قال : « نعم أنا دعوة أبى إبراهيم ، وكان آخر من بَشَّر بى عيسى بن مريم » .

وروى الإمام أحمد وابن سعد والطَّبَرانى وابن مَرْدَوَيْه عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه

---

(١) سورة البقرة ١٢٩ .
(٢) أولادهما : أى إبراهيم وإسماعيل .
(٣) تفسير الطبرى ٨٦/٣ .
(٤) الوفا ٣٦/١ .

قال : قلت : يا رسول الله ما كان بَدْء أَمْرك ؟ قال : دعوة أبي إبراهيم ، وبَشَّر بي عيسى ابن مريم[1]» .

وروى ابنُ سعد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : لما أُمر إبراهيم بإخراج هاجَر حُمِل على البُرَاق ، فكان لا يمرّ بأَرض عذبة سهلة إلا قال : أنزل هاهنا يا جبريل ؟ فيقول : لا . حتى أتى مكة فقال جبريل : انزل يا إبراهيم . قال : حيث لا ضَرْع ولا زَرْع ؟ ! قال : نعم ، ها هنا يخرج النبي الذى من ذرية ابنك [إسماعيل] [2] الذى تَتمّ به الكلمة العُليا[3] .

وروى أيضا عن محمد بن كعب القُرَظِيّ رحمه الله تعالى قال : لما خرجت هاجرُ بابنها إسماعيل تلقَّاها مُتلَقٍّ فقال : يا هاجر إن ابنك أبوشعوب كثيرة ، ومن شَعْبه النبي الأُمّيّ ساكن الحَرَم[4] .

---

(١) طبقات ابن سعد ١/٩٦ .
(٢) ليست فى طبقات ابن سعد .
(٣) الطبقات ١/١٠٧ .
(٤) الطبقات ١/١٠٧

الباب الثامن

فى بعض ما ورد فى الكتب القديمة من ذِكْر فضائله صلى الله عليه وسلم ومناقبه العظيمة .

قال الله تعالى : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَه مَكْتُوبًا عِنْدهم فى التَّوْراةِ والإِنْجِيل[1] » .

وعن عبدالله بن عُمَرَ رضى الله تعالى عنهما قال [2] : إنه رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم الموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : يأَيها النبى إنَّا أرسلناك شاهدًا ومبشِّرا ونَذِيرا وحِرْزًا للأُميين ، أنت عبدى ورسولى سمَّيتك المتوكِّل ، ليس بفَظٍّ ولا غليظ ولا سَخَّاب فى الأَسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتَّى يقيم به المِلَّة العَوْجاء بأَن يقولوا : لا إله إلا الله . ويفتح به أَعينا عُمْيًا وقلوبا غُلْفًا وآذانًا صُمًّا » .

رواه الإمام أَحمد والبخارى[3] . وروى نحوه ابنُ عساكر وابن الجَوْزى عن عبد الله بن سَلَام ، والدارمىّ عن كعب[4] .

« شاهداً » حال مقدرة من الكاف أَو من الفاعل ، أَى مقدَّرا أَو مِقدِّرين شهادتك على من بُعِثْتَ إليهم ، أَى مقبولاً قَوْلُكَ عند الله فيهم وعليهم ، كما يُقبَل قولُ الشاهد العَدْل فى الحكم .

« حِرْزًا » بالمهملة المكسورة فالراء الساكنة فالزاى – أَى حِفْظا « للأُميين » أَى للعرب لأَن الكتابة عندهم قليلة . والأُمّى من لا يُحسن الكتابة . وليس لليهود أَن يتمسكوا بقوله « حِرْزا للأُميين » على ما زعموا أَنه صلى الله عليه وسلم مبعوث إلىٰ العرب خاصةً ، لأَن

---

(١) سورة الأعراف ١٥٧ .

(٢) ط : وقال .

(٣) صحيح البخارى « ١٢/٢ » كتاب البيوع باب كراهية السخب فى الأسواق .

(٤) تهذيب ابن عساكر ٣٤٠/١ والوفا ٣٨/١ . وسنن الدارمى كتاب فضائل القرآن الباب الأول .

قوله : « حتى يقيمَ الملة العَوْجاء » يشملهم لأنهم بدّلوا وحرفوا وغيّروا ، فأُرسل صلى الله عليه وسلم إليهم ليقيم عِوَجهم ، وهل أحدٌ أولى منهم بإقامة عوجهم ؟!

« ليس بفظ » أى سيئُ الخُلق « ولا غليظ » أى شديد القول « ولا سَخَّاب » بالسين المهملة والخاء المعجمة المشددة من السَّخب وهو لغة ربيعة فى الصَّخب ، وهو رفع الصوت ، أى ولا كثيره بل ولا قليله ، إذ المرَاد نَفْيه مطلقا .

« الملة العَوْجاء » يعنى ملة إبراهيم ، لأن العرب غيَّرتها عن استقامتها فصارت كالعوجاء .

« غُلْفا » بضم الغين المعجمة وسكون اللام جمع أَغْلف وهو الشىء فى غلاف وغِشَاء بحيث لا يوصَل إليه .

وعن رجل من الأعراب رضى الله تعالى عنه قال : قدِمت المدينةَ حياةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لأَلْقَينَّ هذا الرجل فلأسمعن منه . فتلقانى بين أبى بكر وعمر يمشون ، فتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراةَ يقرؤها يعزِّى بها نفسه عن ابنٍ له فى الموت كان من أحسن الفتيان وأجملهم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنْشُدك بالذى أنزلَ التوراةَ هل تجد فى كتابك صفتى ومَخْرَجى » ؟ فقال برأسه هكذا .. أى لا . فقال ابنه : والذى أنزل التوراة إنا لَنجد فى كتابنا صِفتك ومَخرجك ، أشهد أن لا إلّه إلاَّ الله وأنك رسول الله . فقال : أقيموا اليهود عن أخيكم . ثم وَلِى كفَنه والصلاةَ عليه . رواه الإمام أحمد [1].

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل كنيسةً فإذا هو بيهودىّ يقرأ عليهم التوراة ، فلما أَتَوا على صفة النبى صلى الله عليه وسلم أمسكوا وفى ناحيتها مريض ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما لكم أمسكتم ؟ فقال المريض : إنهم أَتَوْا على صفة نبى فأمسكوا . ثم جاء المريض حتى أخذ التوراةَ فقرأ حتى أَتى على صفة النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هذه طفتك وصفة أُمّتك ، أشهد أن لا إلّه إلاَّ الله وأنك رسول الله . ثم مات ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لُوا أخاكم » . رواه الإمام أحمد [2] .

---

(١) الخصائص الكبرى ٤٢/١ وقال : وأخرج البيهقى نحوه من حديث أنس وابن مسعود .

(٢) الوفا ١٤٢/١ .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا فيض البَجَلى[1]، حدثنا سلاَّم بن مِسْكِين ، عن مقاتل ابن حَيَّان ، رحمه الله تعالى قال : أَوْحَى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : جِدّ فى بنى إسرائيل ولا تَهْزل واسمع وأَطِعْ يابن الطاهرة البكْر البَتُول، إنىّ خَلقْتك من غير فَحْل فجعلتك آيةً للعالمين ، فإيّاى فاعبُدْ وعلىَّ فتوكَّل ، فسر إلى أَهل سورانيّة ، بَلِّغ مَن بين يديك أَنى أَنا الله الحى القائم[2] الذى لا يَزُول ، صدِّقوا النبىَّ الأُمىّ العربى صاحب الجمل والمِدْرعة والعمامة ، وهى التاج ، والنَّعلين والهِرَاوة وهى القَضِيب ، الجَعْد[3] الرأْس ، الصَّلْت[4] الجبين ، المقرون الحاجبيْن ، الأَكحل العينين ، الأَقْنَى[5] الأَنف ، الواضح الخدّين ، الكَثّ اللحية ، عَرَقُه فى وجهه كاللؤلؤ ، ريح المسك يَنْفح منه ، كأَن عنقه إبريق فِضَّة ، وكأَن الذهب يَجْرى فى تَرَاقيه ،له شعراتٌ من لَبَّته إلى سُرّته تجرى كالقضيب ليس على صَدْره ولا على بطنه شعر غيره ، شَثْن[6] الكَفَّين والقدمين إذا جامَع الناسَ غَمرهم ، وإذا مشى كأَنما يتقلَّع[7] من الصَّخر ويتحدَّر[8] فى صَبَب[9] ذو النَّسْل القليل .

«غمرهم» أَى علاَهم شرفا . وقوله : «ذو النسل القليل» أَراد الذكور من صُلبه صلى الله عليه وسلم .

وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قَدِم الجارودُ بن عبد الله فأَسلم وقال : والذى بعثك بالحق لقدوجدتُ وصفك فى الإنجيل، ولقد بَشَّربك ابنُ البَتُول .

وسمِّيت مريم بذلك من قولهم : امرأَةٌ بَتُولٌ أَى مُنْقطعة عن الرجال لا شهوة لها فيهم .

وعن أَبى موسى الأَشعرى رضى الله تعالى عنه قال : سمعت النجاشىّ يقول : أَشهد أَن محمدا رسول الله وأَنه الذى بشرَّ به عيسى ، ولولا ما أَنا فيه من أَمر المُلْك وما تحملتُ من أَمر الناس لأَتيتُه حتى أَحْمل نَعْليه .

رواه أَبو داود[10] .

---

(١) ص ت م : النجيلى . (٢) ت م : القامع .

(٣) الجعد الرأس : كذا فى هذا الخبر وفى حديث أنس بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر ليس بالسبط ولا الجعد القطط . والقطط : الشديد الجعودة . والجعد : خلاف السبط . أو القصير من الشعر

(٤) الصلت : الواسع . (٥) والأقنى : الذى فى أنفه قنى : وهو أن يكون فى عظم الأنف احدداب فى وسطه .

(٦) شثن الكفين والقدمين : غليظ أصابعهما .

(٧) التقلع : رفع الرجل من الأرض بهمة وقوة ، لا مع اختيال وتقارب خطى .

(٨) يتحدر : يهبط . (٩) الصبب : ما انحدر من الأرض . (١٠) سنن أبى داود كتاب الجنائز باب رقم ٥٦ .

وروى الترمذىّ فى الشمائل عن كعبٍ رحمه الله تعالى قال : نَجدُ نَعْتَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى التوراة : محمد بن عبد الله يُولد بمكّة ويُهاجر إلى طابة ، ويكون ملكه بالشام ، وليس بفحَّاشٍ ولا سخاب فى الأَسواق ولا يكافئ بالسيئةِ السيئةَ ، ولكن يعفو ويَغْفِر ، أُمته الحمَّادون يحمدون الله فى كل أَمر[1] ويكبرون الله على كل نَجْد ، ويوضِّئون أطرافهم ويَأْتزوون فى أوساطهم ، يَصُفُّون فى صلاتهم كما يصفون فى قتالهم ، دوِيُّهم فى مساجدهم كدوىّ النحل يُسْمع مُنَاديهم فى جوّ السماء[2] » .

النَّجدْ : ما ارتفع من الأَرض .

وروى أَبو نُعَيْم عن أَبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن موسى لما نزلت عليه التوراة وقرأَها فوجد فيها ذكر هذه الأُمّة قال : ياربّ إنى أجد فى الأَلواح أمةً هم المستجيبون المستجاب لهم فاجعلهم أُمتى. قال : تلك أُمةُ أَحمد. قال ياربّ إنى أَجد فى الأَلواح أمةً أَناجيلهم فى صدورهم يقرأونه ظاهرا ، فاجعلها أُمتى . قال : تلك أُمة أَحمد . قال : يارب إنى أَجد فى الأَلواح أُمةً يأْكلون الفَىء فاجعلها أُمتى قال : تلك أمة أَحمد . قال : يارب إنى أَجد فى الأَلواح أُمة يجعلون الصدقةَ فى بطونهم يُؤجرون عليها فاجعلها أُمتى . قال : تلك أُمة أَحمد قال : يارب إنى أَجد فى الأَلواح أُمةً إذا هَمَّ أَحدهم بحسنة فلم يَعملها كُتبت له حسنة واحدة ، وإن عملها كُتبت له عشر حسنات ، فاجعلها أُمتى . قال : تلك أُمة أَحمد . قال : يارب إنِّى أَجد فى الأَلواح أُمةً إذاهَمَّ أَحدُهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب ، وإن عملها كتبت عليه بسيئة واحدة ، فاجعلها أُمتى قال : تلك أُمة أَحمد . قال : ياربّ إنى أَجد فى الأَلواح أُمة يؤتون العلم الأَول والعلم الآخر ، فيقتلون قرن الضلال[3] المسيح الدجال فاجعلها أُمتى قال :تلك أُمة أَحمد . قال :

---

(١) ط : فى كل سرى .

(٢) الوفا ١ /٣٨ . نحوه . والذى فى شمائل الترمذى عن عائشة أنها قالت : «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح » جمع الوسائل فى شرح الشمائل ١٩٤/٢ .

(٣) ط : قرن الضلالة .

يارب فاجعلني من أمة أحمد ، فأُعْطى عند ذلك خَصْلتين . قال : « يا موسى إني اصطفيْتُك على الناس برسالاتي وبكَلامي فخُذْ ما آتَيْتك وكُن مِن الشاكرين » قال له قد رضيتُ[1] .

وروى ابن سعد عن محمد بن كعب القُرَظِيّ قال أوحى الله تعالى إلى يعقوب عليه الصلاة والسلام : أني أبعث من ذريتك ملوكا وأنبياء حتى أبعث النبي الحَرَميّ الذي تَبْنِي أمته هيكلَ بيت المقْدِس وهو خاتم الأنبياء واسمه أحمد[2] .

وروى أيضا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : أوحى الله تعالى إلى بعض أنبياء بني إسرائيل : اشتدّ غضبي عليكم من أجل ما ضيَّعتم من أمري ، فإنِّي حلفت ألاَّ يأتِيَكم رُوح القُدُس حتى أبعثَ النبيَّ الأُميَّ من أرض العرب الذي يأتيه روح القُدُس .

وروى أبو نُعَيْم عن كعب رحمه الله تعالى قال : كان أبي مِن أعْلم الناس بما أنزل الله على موسى ، وكان لم يدخر عَنِّي شيئا مما كان يعلم ، فلما حضره الموتُ دعاني فقال لي : يا بنيّ إنك قد علمتَ أني لم أدَّخر عنك شيئا أعلمه إلا أني قد حبست عنك ورقَتَيْن فيهما نبيٌّ يُبْعث قد أظلَّ زمانه ، فكرهت أن أُخبرك بذلك ، فلا آمن عليك أن يَخرج بعض هؤلاء الكذابين فتطيعه ، وقد جعلتهما في هذه الكُوّة التي ترى وطيَّنت عليهما فلا تتعرض[3] لهما ولا تنظر فيهما حينك هذا ، فإن الله إن يُرِدْ بك خيرا ويخرج ذلك النبي تَبِعْته .

ثم إنَّه مات فدفنَّاه ، فلم يكن شيءٌ أحبَّ إليّ مِن أن أنظر في الورقتين ، ففتحت الكوّة ثم استخرجتُ الورقتين فإذا فيهما : محمد رسول الله خاتم الأنبياء ، لا نبيَّ بعده ، مَوْلده بمكة ومُهَاجَره بطَيْبة ، لا فَظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ويجزي بالسيئة الحسنة ، ويعفو ويصفح أُمَّته الحمَّادون الذين يحمدون الله على كل حال ، تُذَلَّل ألسنتهم بالتكبير ، ويُنْصَر نَبِيُّهم على كل من ناوأه ، يغسلون فروجَهم ويأتزرون على أوساطهم ، أناجيلهم في صدورهم ، وتراحمهم بينهم كتراحم بني الأمّ ، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأُمم .

فمكثتُ ما شاء الله ثم بلغني أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكَّة ، فأخذت

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٣٠ والوفا ٣٩/١ قال أبو نعيم : « وهذا الحديث من غرائب حديث سهيل ، ولا أعلم من رواه مرفوعا إلا من هذا الوجه . تفرد به الربيع بن النعمان وبغيره من الأحاديث عن سهيل ، وفيه لين » .

(٢) طبقات ابن سعد ١٠٧/١ . (٣) ط : تعرض .

أَسْتَثْبتُ ثم بلغنى أنه تُوُفى وأن خليفته قد قام مقامه ، وجاءتْنا جنودهُ ، فقلت : لاأدخل فى هذا الدّين حتى أنظر سيرتهم وأعمالهم ، فلم أزل أدافع ذلك وأؤخره لأَستثبت حتى قدِم علينا عُمّالُ عُمَرَ بن الخطاب ، فلما رأَيتهم رأَيت وفاءهم بالعهد وما صنع الله لهم على الأَعداء ، فعلمت أَنهم هم الذين كنت أَنتظر .

فو الله إنى ذات ليلة فوق سَطْحِى فإذا رجل من المسلمين يتلو قولَ الله تعالى « يأَيُّها الّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ آمِنُوا بما نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجوهاً »[1] الآية

فلما سمعت هذه الآية خَشِيت أَن لا أصبح حتى يُحَوَّل وجهى فى قفاى ، فما كان شىء أَحبَّ إلى من الصباح ، فغدوت[2] فى المسلمين[3] .

ناوأه : أَى ناهضه وعاداه .

وروى ابن سعد عن سهل مَوْلى عَثْمة[4] أَنه كان نَصْرانيا وكان يتيماً فى حجر أمه وعمِّه ، وأَنَّه كان يقرأ الإنجيل قال : فأَخذت مُصْحفاً لعمى فقرأته حتى مرَّ بى ورقةٌ فأَنكرت كثافتها[5] حين مرَّت بى ، ومسَسْتُها بيدى ونظرت فإذا فضولُ الورقة مُلْصَقة بغَرا[6] قال ففتشتُها[7] فوجدت فيها نَعْتَ محمد صلى الله عليه وسلم : أَنه لاقصير ولا طويل أَبيض ذو ضفيرتين بين كتفيه خاتم النبوة ، يُكْثِر الإحتبَاء[8] ، ولا يقبل الصدقة ، ويركب الحمار والبعير ويحلب الشاة ، ويلبس قميصا مَرْقُوعا ، ومن فعل ذلك بَرِئٌ من الكِبْر ، وهو من ذرية إسماعيل ، اسمه أَحمد .

قال سهل : فلما انتهيت إلى هذا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم جاء عمى فلما رأَى الورقة ضربنى وقال لى : مالك وفَتْحَ هذه الورقة وقراءتها ؟ ! فقلت : فيها نَعْتُ النبى أَحمد صلى الله عليه وسلم . فقال : إنه لم يأت بعدُ[9] .

وروى أَيضا عن عبد الحميد بن جعفر ، عن أَبيه ، قال : كان الزّبِير بن باطَا ، وكان

---

(١) سورة النساء ٤٧ .   (٢) ط : فغدوت على المسلمين .
(٣) الخصائص الكبرى ٣٦/١ عن أبي نعيم . قال السيوطى : وأخرجه ابن عساكر من طريق المسيب بن رافع وغيره عن كعب .   (٤) ت م : مولى حثمة . محرفة والتصويب ق ط . وفى الوفا ؛ مولى عثيمة وفى الخصائص : مولى عثيمة .
(٥) ت م : كتابتها .   (٦) الغرا : ما لصق به . كالغراء .   (٧) الخصائص : ففتقها .
(٨) الإحتباء : الإشتمال بالثوب ، أو أن يجمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها . والإسم : الحبوة .
(٩) الخصائص ٤٠/١ والوفا ٦٠/١ وتهذيب ابن عساكر ٣٤١/١ .

أعلم يهود يقول : إني وجدت سِفْراً كان أبي يَخْتمه عليَّ فيه ذكر أحمد حتى يخرج بأرض القَرْظ[1] ، صفته كذا وكذا ، فتحدث به الزبير بعد أبيه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يُبعث ، فما هو إلا أن سَمِع بالنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة عمد إلى ذلك السِّفْر فمحاه وكتَم شأنَ النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : ليس به[2] .

الزَّبير ، بفتح الزاى كما هو ظاهر كلام القاموس .

وروى أيضا عن وهب بن مُنَبّه رحمه الله تعالى قال : أوحى الله إلى شَعْيا : إنى باعث نبيًّا أُميًّا أفتح به آذانا صُمًّا وقلوبا غُلْفاً وأعينا عُمْيا ، مولده بمكة ، ومُهَاجره بطَيْبة ومُلْكه بالشام ، عَبْدى المتوكل المصطفَى المرفوع ، الحبيب المنتخَب المختار ، لا يجزى بالسيئةِ السيئةَ ولكن يعفو ويصفح ويغفر ، رحيما بالمؤمنين ، يبكى للبهيمة المُثْقَلة ويبكى لليتيم فى حجر الأرملة ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخَّاب فى الأسواق ولا متزيّن بالفحش ولا قوَّال بالخَنَا لو يمرُّ إلى جنب السِّرَاج لم يطفئه من سَكِينته ، ولو يمشى على القصب الرَّعْرَاع ، يعنى اليابس ، لم يُسمع من تحت قدميه ، أبعثه مبشِّرا ونذيرا ، أسدِّده لكل جميل وأَهَبُ له كلَّ خُلق كريم ، أجعل السَّكِينة لباسه والبرَّ شِعاره ، والتقوى ضميره والحكمةَ مَعْقولَه ، والصدقَ والوفاء طبيعته ، والعفو والمغفرة والمعروف خُلُقَه ، والعدلَ سيرته والحقَّ شريعته ، والهُدَى إمامه ، والإسلام ملته وأحمد اسمه ، أهْدى به بعدَ الضلالة وأُعلِّم به بعد الجَهالة ، وأرفع به بعد الخَمالة ، وأُسَمِّى به بعد النُّكْرة ، وأكثِّر به بعد القِلَّة ، وأُغْنِى به بعدَ العَيْلة وأجمع به بعد الفُرْقة ، وأؤلف به بين قلوب وأهواء متشتتة وأُمَم مختلفة ، وأجعل أُمته خير أُمةٍ أُخرجت للناس ، أمراً بالمعروف ونَهْياً[3] عن المنكر وتوحيداً لى وإيمانا بى وإخلاصا لى ، وتصديقاً بما[4] جاءت به رُسُلى ، وهم رُعَاة الشمسِ طُوبَى لتلك القلوب والوجوه والأرواح التى أخلصت لى ، أُلْهمهم التسبيحَ والتكبير والتحميد والتوحيد فى مساجدهم ومَجَالِسهم ومَضَاجعهم ومُنْقَلبهم ومَثْواهم ، يصفّون[5] فى مساجدهم كما تصف الملائكة حولَ عرشى ، هُمْ أوليائى وأنصارى ، أنتقم بهم من أعدائى عبدة

---

(١) القرظ : ورق السلم .
(٢) طبقات ابن سعد ١/١٠٤ والوفا ١/٤٩ .
(٣) فى الأصول وناهيا وما أثبتناه من الخصائص .
(٤) ت م : لما .
(٥) ط : ويصفون .

الأَوثان ، يُصَلُّون لى قياماً وقعوداً وركَّعاً وسجودا ، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتى أُلوفاً فيقاتلون فى سبيلى صفوفاً وزحوفا ، أَخْتم بكتابهم الكتبَ وبشريعتهم الشرائعَ وبدينهم الأَديان ، فمن أدركهم فلم يؤمن بكتابهم ويدخل فى دينهم وشريعتهم فليس منِّى وهو منِّى برىء ، وأجعلهم أَفضلَ الأُمم وأجعلهم أُمةً وسَطاً شهداء على الناس ، إذا غضبوا هَلَّلونى ، وإذا قبضوا كبَّرونى ، وإذا تنازعوا سبَّحونى ، يطهِّرون الوجوه والأَطراف ويشدُّون الثيابَ إلى الأَنصاف ، ويهلِّلون على التِّلَال والأَشراف ، قُرْبانهم دماؤهم ، وأَناجيلُهم صُدورهم ، رُهبانٌ بالليل ليُوث بالنهار ، ويناديهم مناديهم فى جَوِّ السماء ، لهم دَوِىٌّ كدوى النحل .

طُوبَى لمن كان معهم وعلى دينهم ومَنَاهجهم وشريعتهم ، ذلك فَضْلى أُوتيه من أَشاء وأَنا ذو الفضل العظيم[1] .

« القصَب » بالقاف والصاد معروف . الزَّعْزَاع : الطويل .

قال ابن قتيبة : إذا طال القصبُ فهبَّتْ عليه أَدْنَى ريح ، أَو مَرَّ به أَلْطَفُ شخص : تحركَ وصوَّت ، فأَراد عز وجل أن النبى صلى الله عليه وسلم وقورٌ ساكن الطائر .

« الخَنَا » : بفتح المعجمة والقصر : الفُحْش . وأُعلِّم بهمزة مضمومة ولام مشددة مكسورة .

* * *

وروى البيهقى عن وهب بن منبّه رحمه الله تعالى قال : أَوحى الله فى الزَّبُور إلى داود : يا داود إنه سيأتى من بعدك نبىٌّ اسمه أَحمد ومحمد ، صادقاً لا أَغضب عليه أَبدا ولا يعصينى أَبدا ، وقد غفرتُ له ما تقدَّمَ من ذَنْبه وما تأَخر[2] . الحديث .

والأَحاديث والآثار فى هذا كثيرة ، أَفْردها بالتصنيف خَلَائقُ .

---

(١) الخصائص الكبرى ١/٣٣ . ودلائل النبوة لأبى نعيم .

(٢) الخصائص الكبرى ١/٣٧ . ودلائل النبوة لأبى نعيم ٣٢ .

الباب التاسع

فيما أخبر به الأحبار والرهبان والكُهّان بأنه النبي المبعوث فى آخر الزمان

عن سلمان رضى الله تعالى عنه قال :

٣٠ ـ ب كنت رجلا من أهل فارس ، وفى رواية من أهل /جَىّ ، وكان أبى دِهْقَان رامُهْرمز أى رئيسها ، وكان يحبّنى حبًّا شديدا ، حتى حبسنى فى البيت كما تحبس الجارية واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قَطَنَ النار ، أى خازنَها وخادمها . وفى لفظ : وكان أهل قريتى يعبدون الخيل البُلْق ، فكنت كذلك لا أعلم من أمر الناس شيئاً إلا ما أنا فيه وأعرف أنهم ليسوا على شىء ، وكان لى أخ أكبر منى . وفى لفظ : ابن صاحب رامهرمز فكان إذا قام من مجلسه خرج فتقنّع بثوبه ثم صعد الجبل ، وكان يفعل ذلك غيرَ مرة متنكرا ، فقلت : أمَا إنَّك تفعل كذا وكذا ، فلم لا تذهب بى معك ؟ قال : إنك غلام وأخاف أن يظهر منك شىء . قلت : لا تخف. قال : فإن فى هذا الجبل قوماً فى برطيل لهم عِبادة وصلاح ، يذكرون الله تعالى ويذكرون الآخرة، يزعمون أنّا عَبَدَةُ الأوثانِ وعبدَة النيران وأنّا على غير دِين. قلت : فاذهب بى معك. قال : حتى أستأْمرهم وأنا أخاف أن يظهر منك شىء فيعلم أبى فيقتلهم فيجرى هلاكُهم على يدِى . قال : قلت لا يظهرُ منِّى ذلك . فاستأْمَرهم . فقالوا جِئْ به فذهبتُ معه فانتبهت إليهم فإذا هم ستة أو سبعة ، وكأن الروحَ خرجت منهم من العبادة ، يصومون النهار ويقومون الليل يأْكلون الشجر وما وجدوا ، فقعدنا إليهم فحمدوا الله وأثنوا عليه وذكروا من مضى من الرسل والأنبياء حتى خلصوا إلى عيسى ابن مريم فقالوا : بَعثه اللهُ وولد بغير ذكَر ، بعثه رسولاً وسخر له ما كان يَفعل مِنْ إحياء الموتى وخلق الطير وإبراءِ الأكْمَه والأبرص ، فكفر به قومٌ وتبعه قوم ، وإنما كان عبدَ الله ورسوله ابتلى به خَلْقه . ثم قالوا : يا غلام إن لك ربًّا وإن لك مَعاداً ، وإنَّ بين يديك جنةً

---

(١) ت م : فى هذه . (٢) ت م : فيتقنع .

ونارا إليها تصير ، وإنَّ هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران أهلُ كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون ، وليسوا على دين .

ثم انصرفنا ثم عدنا إليهم فقالوا مثل ذلك وأحسَن ، فلزمتُهم فقالوا لى : ياسَلْمان إنك غلام ، وإنك لا تستطيع أن تصنع ما نصنع ، فصَلِّ ونَمْ وكل واشرب .

قال : فاطَّلَع الملكُ[1] على صنيع ابنه فركب فى الخيل حتى أتاهم فى برطيلهم[2] فقال : يا هؤلاء قد جاورتمونى فأحسنت جواركم ولم تروا منى سوءًا فعمدتم إلى ابنى فأفسدتموه علىّ قد أجَّلتكم ثلاثاً ، فإن قدرت عليكم بعد ثلاث أحْرقتُ عليكم برطيلكم هذا ، فالحقوا ببلادكم فإنى أكره أن يكون منى إليكم سوء . قالوا : نعم ما تعَمَّدْنا مساءتك ، وما[3] أردنا إلا الخير .

فكفَّ ابنُه عن إتيانهم فقلت له : اتق الله ، إنك تعرف أن هذا الدين دِينُ الله ، وأن أَباك ونحنُ على غَيْر دين ، إنما هم عبدة النيران لا يعرفون الله ، ولا تَبعْ آخرتك بدنيا غيرك . قال : ياسلمان هو كما تقول ، وإنما أتخلَّفُ عن القوم بُقْيا عليهم ، إن تبعتُ القومَ طلبنى أبى فى الخيل ، وقد جزع من إتيانى إيّاهم حتى طردهم ، وقد أعرف أن الحق فى أيديهم . قلت : أنت أعلم .

ثم لقيت أخى فعرضت عليه فقال : أنا مشتغل بنفسى فى طلب المعيشة . فأتيتهم فى اليوم الذى يريدون أن يرتحلوا فيه فقالوا : ياسلمان قد كنا نحذر فكان ما رأيت ، فاتَّق الله واعلم أن الدِّين ما أوصيناك به ، وأن هؤلاء عبَدة النيران لا يعرفون الله ولا يذكرونه ولا يَخْدعنك أحدٌ عن ذلك .

وفى رواية : وكان لأبى ضيعة عظيمة فشُغل فى بنيان له يوماً فقال لى : يا بنى إنى قد شُغلْت فى بنيانى هذا اليومِ عن ضيعتى ، ولا بُدَّ لى من اطِّلاعها ، فانطلق إليها فمرهم بكذا وكذا ولا تحتبس عنى تشغلنى عن كل شىء .

---

(١) كذا فى ط . وفى ت م : فأطلع الله الملك .

(٢) ت م : فى موطنهم .

(٣) ط : ولا أردنا .

فخرجت أُريد ضيعته فمررت بكنيسة النصارى فسمعت أَصواتهم فيها ، فقلت ما هذا ؟ فقالوا : هؤلاءِ النصارى يصلُّون . فدخلت أَنظر فأَعجبنى ما رأَيت من حالهم ، فوالله مازلت جالساً عندهم حتى غربت الشمس وبعث أَبى فى طلبى فى كل وجه حتى جئته حين أَمسيت ، ولم أَذهب إلى ضيعته ، فقال : أَين كنت ؟ فقلت : يا أَبتاه مررت بناس يقال لهم النصارى فأَعجبنى صلاتهم ودعاؤهم فجلست أنظر كيف يفعلون . فقال : أَى بُنَىَّ دِينُك ودين آبائك خيرٌ من دينهم . فقلت : لا والله ما هو بخير[1] من دينهم ، وهؤلاءِ قوم يعبدون الله ويَدْعونه ونحن إنما نعبد ناراً نوقدها بأَيدينا إذا تركناها ماتت .

فخافنى فجعل فى رجلى حديداً وحبسنى عنده ، فبعثت إلى النصارى فقلت لهم : أَين أَصْلُ هذا الدين الذى أَراكم عليه ؟ قالوا بالشام . فقلت : إذا قدِم عليكم من هناك ناسٌ وقضَوا حوائجهم فآذِنُونى أَى أَعلمونى : فلما قِدم عليهم ناس وقَضَوْا حوائجهم بعثوا إلىّ بذلك فطرحت الحديدَ الذى كان فى رجلى ولحقت بهم .

ثم إن الملك اطّلع على القوم الذين فى الجبل فأَمرهم بالخروج من بلاده فقلت : ما أَنا بمفارقكم . فقالوا إنك لا تَقْدر أَن تكون معنا نحن نصوم النهار ونقُوم الليل ونأكل الشجر وما أَصبنا ، وأَنت لا تستطيع ذلك . قلت : لا أفارقكم . قالوا : أَنت أَعلم ، قد أَعلمناك حالَنا فإذا جئت فاطلب أَحَداً يكون معك واحمل معك شيئاً تأْكله ، فإنك لن تستطيع ما نستطيع نحن . ففعَلْتُ ولقيتُ أَخى فعرضت عليه فأَبَى ، فأَتيتهم فتحمَّلوا ، فكانوا يمشون وأَمشِى معهم ، فرزق الله السلامةَ حتى قدِمْنا الموصل ، فأَتينا بَيْعةً بالموصِل ، فلما دخلوا حَفُّوا بهم وقالوا : أَين كنتم ؟ قالوا : كنا فى بلاد لا يذكرون الله عبَدة النيران ، فطردونا فقدِمنا عليكم .

٣١ ـ ا

فلمّا كان بعدُ قالوا : يا سلمان إن هاهنا قوماً فى هذه الجبال هم أَهل دين وإنا نريد لقاءهم فكن أَنت هاهنا مع هؤلاءِ فإنهم أَهل دين وسترى منهم ما تحب . قلت : ما أَنا بمفارقكم قال : وأَوْصَوْا بِى أَهَل البيعة فقال أَهلُ البيعة : أَقم معنا يا غلام فإنه لا يعجزك شىء ببَيْعتنا . قال : قلت ما أَنا بمفارقكم . فخرجوا وأَنا معهم فأَصبحنا بين جبال ، فإذا صخرة وماء كثير فى جِرَار وخبز كثير ، فقعدنا عند الصخرة ، فلما طلعت الشمس خرجوا

(١) كذا فى ط . وفى ص ت م : ما هو خير .

من بين تلك الجبال يخرج رجلٌ رجل من مكانه ، كأنَّ الأرواحَ انتُزعِت منهم حتى كثروا ، فرحبوا بهم وحَفُّوا وقالوا : أين كنتم ؟ قالوا : كنا فى بلاد لا يذكرون الله ، فيها عبدة النار وما يعبدون الله فيها ، فطردونا. فقالوا : ما هذا الغلام ؟ فطَفِقوا يثنون علىّ وقالوا صَحِبنَا من تلك البلاد فلم نر منه إلا خيراً . قال : فوالله إنهم لكذلك إذ طلع عليهم رجل من كهف طِوَال ، فجاء حتى سلَّم عليهم وجلس فحفُّوا به وعظَّمه أصحابى الذين كنت معهم وأَحْدَقوا به ، فقال لهم : أين كنتم ؟ فأخبروه . فقال : ما هذا الغلام معكم ؟ فأثنوا علىَّ خيراً وأخبروه باتّباعى إياهم ، ولم أر مثلَ إعظامهم إياه ، فحمد اللهَ وأثنى عليه ، ثم ذكَر من أرسله الله تعالى من رسله وأنبيائه ومالَقُوا وما صُنع بهم حتى ذكر عيسى ابن مريم وأنه ولِد بغير ذَكر ، فبعثه الله رسولاً وأجرى على يديه إحياء الموتى وإبراء الأعمى والأبرص ، وأنه يَخْلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وأنزل عليه الإنجيل وعلَّمه التوراة ، وبعثه رسولاً إلى بنى إسرائيل فكفَر به قوم وآمن به قوم . وذكر بعضَ ما لقى عيسى ابن مريم ، وأنه إنما كان عبداً أنعم الله عليه فشكره ذلك له ورضِىَ عنه . ثم وعظهم وقال : اتقوا الله والزموا ما جاء به عيسى ولا تُخالفوا فيخالَف بكم .

ثم أراد أن يقوم فقلت : ما أنا بمفارقك فقال : يا غلام إنك لا تستطيع أن تكون معى ، إنى لا أخرج من كهفى هذا إلا كل يوم أحد . قلت : ما أنا بمفارقك .

قال : فتبعته حتى دخل الكهف فما رأيته نائماً ولا طاعماً ، إلا راكعاً وساجداً إلى الأحد الآخَر ، فلما أصبحنا خرجنا واجتمعوا إليه ، فتكلم نحو المرة الأولى ثم رجع إلى كهفه ورجعت معه .

فلبثت ما شاء الله ، يخرج[1] كلَّ يوم أحد ويخرجون إليه ويعظهم[2] ويوصيهم . فخرج فى أحد فقال مثل ما كان يقول ثم قال : يا هؤلاءِ إنى قد كَبِرت سنِّى ورقَّ عَظْمى واقترب أجَلى وإنه لا عهد لى بهذا البيت منذ كذا وكذا ، ولا بد لى من إتيانه . فقلت : ما أنا بمفارقك .

وخرجت معه حتى انتهيت إلى بيت المَقْدس فدخل وجعل يصلى ، وكان فيما يقول

---

(١) ت م : نخرج .

(٢) ص ت م : ويعطفهم وما أثبت من ط .

لى : يا سلمان إن الله سوف يبعث رسولا اسمه أحمد يخرج بتِهامة ، وإنه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بَيْن كتفيه خاتم النبوة وهذا زمانه الذى يخرج فيه قد تقارَب ، فأمّا أنا فإنى شيخ كبير ولا أحسبنى أدركه ، فإذا أدركتَه أنت فصدِّقْه واتبعه . قلت وإن أمَرنى بترك دِينك وما أنت عليه ؟ قال : نعم .

ثم خرج من بيت المقدس ، وعلى بابه مُقْعَد ، فقال : ناولنى يدك . فناوله ، فقال : قم باسم الله . فقام كأنما نَشِط من عُقَال فخلّى عن يده ، فانطلق ذاهباً وكان لا يلوى على أحد . فقال المقعد : يا غلام احمل علىّ ثيابى حتى أنطلق . فحملت عليه ثيابه وانطلق الراهب . فكلما سألت عنه قالوا : أمامك فسرت حتى قدِمْت الشامَ ، فقلت : من أفضل هذا الدين ؟ فقيل الأسقف صاحب الكنيسة ، فجئته فقلت له : إنى أحببت أن أكون معك فى كنيستك وأعبد الله فيها معك وأتعلم منك الخير . قال : فكن معى ، فكنت معه ، وكان رجل سوء ، كان يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها حتى إذا جمعوها إليه لم يعطها للمساكين ، فأبغضته بُغْضا شديدا لمَا رأيت من حاله ، فلم يَنْشَب أن مات ، فلما جاءوا ليدفنوه قلت لهم : إن هذا كان رجلَ سوء ، كان يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها حتى إذا جمعتموها إليه اكتنزَها ولم يعطها للمساكين ، فقالوا : وما علامة ذلك ؟ قلت : أنا أُخرج لكم كَنْزَه . فقالوا : هاته . فأخرجت لهم سَبْع قِلاَل مملوءة ذهبا ووَرِقا ، فلما رأوا ذلك رجموه بالحجارة وقالوا : لا ندفنه أبدا فصلبوه على خشبة ورموه بالحجارة . وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه ، فلا والله ما رأيت رجلا قط يصلى الخمس أرى أنه أفضل منه وأشد اجتهادا ولا زَهادةً فى الدنيا ، ولا أدْأَب ليلا ونهارا منه [و] ما أعلمنى أَحبَبْتُ شيئا قط حبَّه ، فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة فقلت له يافلان قد حضرك ما ترى ، وإنى والله ما أحببتُ شيئا قط حبَّك فماذا تأمرنى وإلى من تُوصينى ؟ فقال لى : أىْ بنىَّ والله ما أعلمه إلا رجلا بالموصِل فائته فإنك ستجده على مثل حالى .

فلما مات لحقتُ بالمَوْصِل فأتيت صاحبَه فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهادة فى الدنيا ، فقلت له : إن فلانا أوصى بى إليك أن آتيك وأكون معك . فقال : فأقم عندى، فأقمت عند على مثل أمْر صاحبه ، حتى حضرته الوفاة فقلت : إنَّ فلانا أوصى بى إليك

(١) ت م : وكان .

وقد حَضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصينى ؟ قال [1] : والله ما أَعْلَمه أى بُنَىَّ إلا رجلا بنَصِيبين [2] ، وهو على مثل مانحن عليه فالحَقْ به . فلما دفنَّاه لحقتُ بالآخر فقلت له : يا فلان إن فلانا أوصى بى إلى فلان وفلانا أوصى بى إليك . قال : فأَقم عندى فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضرته الوفاة فقلت له : يا فلان إنه قد حضَرك من أمر الله ما ترى، وقد كان فلان أوصَى بى إلى فلان وأوصىَ بى فلان إلى فلان ، وأوصى بى فلانٌ إليك ، فإلى من توصينى ؟ فقال : أىْ بنى ، والله ما أعلم أحدًا على مثل ما كنا عليه إلا رجلا بعَمُوريّة من أرض الروم ائته فإنك ستجده على مثل ما كنا عليه . فلما مات وواريْته [3] خرجتُ حتى قَدِمْت على صاحب عَمُوريّة، فوجدتُه على مثل حالهم .فأقمت عنده واكتسبتُ حتى كانت لى غُنَيْمة وبقَرات ، ثم حضرتُه الوفاة ، فقلت : يا فلان إن فلانا أوصى بى إلى فلان ، وفلان أوصى بى إلى فلان ، وفلان إلى فلان ، وفلان إليك وقد حَضرك ما ترى من أمر الله تعالى ، فإلى من توصينى ؟ فقال : أىْ بنى والله ما أعلم بقى أحدٌ على مثل ما كنا عليه أمرك أن تأْتيه ، ولكنه قد أظَلَّك زمانُ نبيٍّ يُبعث من الحرَم ، مُهاجَره بين حَرَّتين إلى أرض سَبِخَة [4] ذات نخل ، وإن فيه علامات لا تخفَى : بين كتفيه خاتم النبوة ، يأْكل الهديةَ ولا يأْكل الصدقة ، فإن استطعت أن تَخلُص إلى تلك البلاد فافعل ، فإنه قد أظلَّك زمانه .

فلما واريناه أقمت حتى مرَّتْ رجالٌ من تجار العرب من كَلْب ، فقلت لهم : احملونى معكم حتى تَقْدموا بى أرضَ العرب وأعطيكم غُنَيْمتى هذه وبقراتى ؟ قالوا : نعم . فأَعطيتهم إياها فحملونى حتى إذا جاءوا بى وادىَ القُرَى ظلمونى فباعونى عبدًا من يهودى بوادى القُرَى .

فوالله لقد رأَيت النخلَ وطمعت أَن تكون البلدَ الذى نعتَ لى صاحبى ، وما خَفيَتْ عنِّى ، حتى قدِم رجلٌ من بنى قُرَيْظة من يهود بوادى القرى فابتاعنى من صاحبى الذى كنت عنده ، فخرج بى حتى قدِم بى المدينة .

---

(١) ت م : فقال .

(٢) نصيبين : قاعدة ديار بكر .

(٣) ط : فلما واريته .

(٤) السبخة : بالتحريك وبتسكين الباء : أرض ذات نز وملح .

وفى لفظ : فاشترتنى امرأة من الأنصار فجعلتنى فى حائط لها . وفى رواية : اسمها خَلَيْسة بنت فلان حليف بنى النجَّار .

فوالله ما هو إلا أن رأيتها عرفتها ، فعرفتُ نَعْته فأقمت فى رِقِّى مع صاحبى فى نَخْله .

وفى رواية أنه مكث كذلك ستةَ عشر شهرا .

قال : فوالله إنى لفيها إذ جاء ابنُ عم له فقال : يا فلان ، قاتل الله بنى قَيْلة ، فوالله إنهم الآن لفى قُبَاء يجتمعون على رجل جاءهم من مكة يزعمون أنه نَبىّ .

فوالله ما هو إلا أن سمعتها فأخذتنى العُرَوَاء يعنى الرِّعدةَ حتى ظننت لأسقطن على صاحبى ونزلت أقول : ما هذا الخبر ؟ ما هو ؟ فرفع مولاى يده فلكمنى لكمةً شديدة وقال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك . فقلت : لا شىء إلا أننى سمعت خبرا فأحببت أن أعْلَمه .

فخرجت وسألت فلقيت امرأة من أهل بلادى فسألتها ، فإذا أهلُ بيتها قد أسْلموا ، فدلَّتنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسيتُ وكان عندى شىء من طعام فحملته وذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بُقبَاء فقلت : بلَغنى أنك رجل صالح ، وأن معك أصحابا غُرَبَاء ، وقد كان عندى شئ من الصدقة ، فرأيتكم أحقَّ من هذه البلاد فها هو ذا فكُلْ . فأمسك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَده وقال : لأصحابه كلوا ولم يأكل . فقلت فى نفسى : هذه خَلَّة مما وَصف لى صاحبى .

وفى حديث بُرَيدة عند[1] أحمد أن سَلْمان جاء بمائدة بَطٌ[2] وفى رواية : بلحم[3] جزور مَشْرود . وفى رواية : بخُلَال[4] . فوضَعها بين يدىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا سَلْمان ؟ قال : صدقةٌ عليك وعلى أصحابك . قال : ارفعها فإنا لا نأكل الصدقة . وجاءه من الغد بمثله فوضعه بين يديه فقال : ما هذا يا سلمان ؟ قال[5] : هدية لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : انشطوا .

وذكر ابن إسحاق أنه جاءه بتمرٍ

---

(١) ت م : عن أحمد .

(٢) كذا فى ط . وفى ص ت م : بمائدة بسط . محرفة .

(٣) ت م : لحم جزور .

(٤) الخلال : الرطب .

(٥) ت م : قلت .

قال[1] : ثم رجعت وتحوَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فجمعت شيئاً كان عندى ثم جئت به فقلت : إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية وليست بصدقة .

وفى رواية عند ابن إسحاق قال سلمان : كنت عبدًا لامرأة فسألتُ سيدتى[2] أن تهبَ لى يومًا ، فعملت فى ذلك اليوم على صاع أو صاعين من تمر ، فجئت به النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فلما رأيت أنه لا يأكل الصدقة سألت سيدتى[3] أن تهب لى يومًا آخر ، فعملت فيه على ذلك ثم جئت به هديةً للنبى صلى الله عليه وسلم فقَبله وأكل منه .

وفى [رواية] [4] الشمائل للترمذى أنه أتى بمائدة عليها رطب[5] .

فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : هذه خَلَّتان .

ثم جئتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتبع جنازة رجل من أصحابه وعليه شَمْلتان وهو فى أصحابه فاستدرت لأنظر الخاتم الذى فى ظهره ، فلما رآنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم استدبَرْتُه عرف أنى أَسْتَثْبِتُ شيئاً قد وُصِف لى ، فرفع رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتَم بين كتفيه كما وصَف لى صاحبى ، فأكْبَبْتُ عليه أقبِّله وأبكى ، فقال : تَحَوَّلْ يا سَلْمان هكذا فتحولت فجلست بين يديه [فأحبَّ][6] أن يسمع أصحابُه حديثى . أى وهو بمنزل كُلْثوم بن الهَدْم رضى الله تعالى عنه فقال : حدِّثنى . فحدثته .

ثم شغلَ سَلْمانَ الرِّقُّ حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بَدْر وأُحد .

قال النووى رحمه الله تعالى : وأولُ مَشاهده الخندق .

قال سلمان : ثم قال لى رسول الى صلى الله عليه وسلم : كاتِبْ يا سَلْمان . فكاتبتُ على خَمْسمائة فَسِيلة[7] .

وفى رواية على ثلاثمائة وَدِيّة[8] أغْرسها بالفَقِير وأقوم عليها حتى تُطْعِم ، وأربعين أوقية وأعانى أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل ثلاثين وَدِيّة وعشرين وَدِيّة

---

(١) ليست فى ط .
(٢) ت م : سيدى .
(٣) هذه الرواية ليست فى ابن هشام .
(٤) ليست فى ط .
(٥) فى الشمائل تفصيل القصة بعد ذلك ، من أنه لم يأكل فى اليوم الأول عندما علم أنها صدقة ثم أكل فى اليوم الثانى عندما أخبره أنها هدية . جمع الوسائل فى شرح الشمائل : ٧٩/١ .
(٦) سقطت من ت م .
(٧) الفسيلة : النخلة الصغيرة .
(٨) الودية : كغنية : صغار الفسيل .

وعشراً[1]، كلٌّ رجل على قدر ما عنده . فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَقِّر لها . فإذا فرغتَ فآذِنِّى حتى أكون أنا الذى أضعها بيدى. ففقَّرْت لهاوأعاننى أصحابى حتى فرغنا منها ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا نَحْمل إليه الوَدِىّ ويضعه بيديه ويسوِّى عليها التراب ، فغرسها كلها إلا نخلة واحدة غرستُها بيدى . وفى رواية : غرسها عمر . فأَطعم النخلُ كلها من سَنته إلا تلك النخلة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من غرسَها ؟ قالوا : عمر فنزعها وغرسها بيده فحملتْ من عامها . فوالذى بعثه بالحق ما ماتت منها[2] وَدِيّة [واحدة[3]] .

وبقيتْ علىَّ الدراهم ، فأَتاه رجل من بعض المعادن بمثل بَيْضة الحمامة من ذهب ، فقال[4] لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ هذه يا سلمان فأَدِّها عنك . فقلت : يا رسول الله وأين تقع هذه مما علىَّ ؟ فقَلَبها على لسانه ثم قذفها إلىَّ ثم قال : انطلق بها ، فإن الله سيؤدِّى بها عنك . فوالذى نفسى بيده لَوزَنْتُ لهم منها أربعين أوقية من ذهب فأَديتها وبقى عندى مثل ما أَعطيتهم .

رواه الإمام أحمد وابن سعد والبزار والطبرانى وأبو نَعيم وغيرهم[5]، من طرق أدخلت بعضها فى بعض وسُقْتها كما تقدم .

تَنْبِيهَات

الأَول : فى رواية : أن سلمان من فارس . وفى رواية : من أهل إصبهان بكسر الهمزة وفتحها . وفى رواية : أنه من أهل جَىّ بجيم مفتوحة فمثناة تحتية مشددة . وفى رواية : أنه من رامَهُرْمز .

والجمع بين هذه الروايات : أَن جَىّ مدينة أَصبهان ، وأَنه وُلِد برامُهُرمز ، وأَصله من فارس كما صرح بذلك فى رواية أَبى سلمة بن عبد الرحمن ، كما فى تاريخ أَبى نُعَيْم ودلائله[6] .

---

(١) الأصل : وعشر . محرفة .
(٢) ت م : ما مات منه .
(٣) ليست فى ط .
(٤) ط : قال .
(٥) خبر إسلام سلمان الفارسى فى طبقات ابن سعد ٤ القسم الأول ص ٥٣ ، ومسند أحمد ٤٣٨/٥ ، ٤٤١ ، وسيرة ابن هشام ٢٢٨/١ ، ودلائل النبوة لأبى نعيم ٢١٣ ، والاكتفاء ٢٣٦/١ . وسيرة ابن كثير ٢٩٦/١ ، والخصائص الكبرى ٤٥/١ بعدة روايات .
(٦) الدلائل ص ٢١٣ .

الثانى : فى رواية : أنه قدَّم للنبى صلى الله عليه وسلم تمراً . وفى رواية : رُطَباً . وفى رواية : خَلالاً بفتح الخاء المعجمة ، وهو البلح . وفى رواية : لحم جَزُور . وفى رواية : لحم بَطٍّ . وليس بمنكَر أن يكون سَلْمان قدَّم ذلك كله إمّا فى مجلس واحد فحدَّث بهذا مرةً وبهذا مرة ، وإما فى مَجالس ، كل واحد مما ذكر فى مجلس ، احتياطاً واستظهاراً .

الثالث : فى بيان غريب ما سبق :

الدِّهقان : بكسر الدال المهملة وضمها : شيخ القرية العارف بالفِلَاحة وما يُصلح الأرض من الشجر ، يُلجأُ إليه فى معرفة ذلك وهو معرَّب .

رامَهُرْمَز : بفتح الميم الأُولى وضم الهاءِ وفتح الميم الثانية وسكون الراء بينهما زاى : كورة بالأَهواز .

البِرْطيل : بكسر الباء الموحدة : حجر عظيم مستطيل .

الأُسقُفُّ : بالتشديد : عالِم النصارى الذى يقيم لهم أَمرَ دينهم ، ويقال أُسْقُفٌ بالتخفيف أيضاً .

العَذْق : بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة : النخلة . وبكسر العين الكِبَاسة بكسر الكاف ، وهو عنقود النخلة .

بنو قَيْلة : بفتح القاف فمثناة تحتية ساكنة فلام مفتوحة ، هى[1] أم الأوس والخزرج

العُرَوَّاء ، بعين مهملة مضمومة فراء مفتوحة فواو فراء مشددة فألف[2] : الرِّعدة من البرد والانتفاض . العُرَقاء : بعين مهملة مضمومة فراء مفتوحة فقاف وألف ممدودة[3] .

لكلمنى : ضربنى [بُجمْعه[4]] واللكم : شبيه اللَّكْز .

الشَّمْلة : الكِسَاء الغليظ يشتمل به الإنسان ، أى يلتحف به .

الرِّق : العبودية .

---

(١) ت م : وهى .
(٢) كذا ضبطها المؤلف ، والذى فى اللسان والقاموس : العرواء كالغلواء . أى بضم العين وفتح الراء والواو .
(٣) كذا : ولعلها غرباء . بغين معجمة مضمومة فراء مفتوحة فباء وألف ممدودة . إذ هى الواردة فى قوله : « وان معك أصحاباً غرباء » .
(٤) من ط .

الفَقِير ، بفاء مفتوحة فقاف مكسورة فياء : اسمٌ لحديقة بالعَالِيَة بقرب بنى قُرَيْظة[1].

وقد خَفِى ذلك على بعضهم فقال كما نقله أبو الفتح : قوله : « بالفَقِير » الوجه : إنما هو بالتَّفْقير . قال السيد : والصواب بالفَقِير وهو اسم موضع[2] .

الوَدِىّ : بكسر الدال المهملة وتشديد الياء : فراخ النخل . فَقَّرتُ : حفرت .

* * *

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى : عن عمر بن عبد العزيز قال : حُدِّثت عن سَلْمان أن صاحب عَمُّورية قال لسَلْمان حين حضرته الوفاة : ائتِ غَيْضتين من غيض الشام[3] ، فإن رجلا يخرج من إحداهما إلى الأُخرى فى كل سنة ليلة يعترضه ذوو الأَسقام فلا يدعو لأَحد به مرضٌ إلا شُفِى ، فاسأَله عن هذا الذى تسأَلنى عنه .

فخرجتُ حتى أَقمتُ بها سنةً حتى خرج تلك الليلة ، فأَخذتُ بمنكِبه فقلت : رحمك الله [أخبرنى عن][4] الحنيفية دين إبراهيم قال : قد أظلك زمانُ نبىٍّ يخرج عند هذا البيت بهذا الحرم يُبعث بذلك الدِّين .

فلما ذكر ذلك سلمانُ للنبى صلى الله عليه وسلم قال : لئن كنت صدَقْتنى يا سلمان لقد رأَيتَ عيسى بن مريم[5] .

غَيْضتين : الغَيْضة : الشجر الملتفُّ .

قال السُّهيلى رحمه الله تعالى : وإسناد هذا الحديث مقطوع ، وفيه رجل مجهول ويقال هو الحسن بن عُمَارة ، وهو ضعيف .

فإن صح الحديث فلا نَكَارة فى مَتْنه . فقد ذكر الطَّبَرانى أَن المسيح صلى الله عليه وسلم نزلَ بعدما رُفع وأُمُّه وامرأَة أُخرى عند الجذع الذى فيه الصليب تبكيان عليه ، فكلمها وأخبرهما أَنه لم يُقتل وأن الله تعالى رفعه ، وأرسل إلى الحواريّين ووجَّههم إلى البلاد وإذا جاز أَن ينزل مرةً جاز أَن ينزل مراراً ، ولكن لا يُعْلم أنه هو حتى ينزل النزولَ الظاهر

---

(١) والفقير أيضاً : الحفرة تغرس فيها الفسيلة . قال فى النهاية ٣/٢٣٥ : وفقير النخلة : حفرة تحفر للفسيلة إذا حولت لتغرس فيها . ومنه الحديث : قال لسلمان اذهب فقر للفسيل أى احفر لها موضعاً تغرس فيه ، واسم تلك الحفرة فقرة وفقير .

(٢) ضبط القاموس الفقير بمعنى الموضع ، فقال : وكزبير : موضع .

(٣) ابن هشام : « ائت كذا وكذا من أرض الشام ، فإن بها رجلا بين غيضتين يخرج فى كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة » .

(٤) من ابن هشام .

(٥) سيرة ابن هشام ١/٢٣٦ .

يكسر الصليب وَيَقتل الخنزير كما جاء فى الصحيح[1] .

قال الحافظ أبو الخير السَّخَاوى فى كتابه : « التحصيل والبيان فى سِيَاق قصة السيد سَلْمان » : وما نقله ابنُ جَرِير يحتاج إلى دليل . انتهى .

قلت : ما ذكره ابن جرير رواه فى تفسيره عبدُ بن حُمَيْد وابنُ المنذِر من طريق آخر عن وهب بن مُنَبِّه[2] .

وروى البخاريّ والبيهقى عن سَلْمان رضى الله تعالى عنه أنه تَدَاوله بضعة عشر ربًّا مِن ربٍّ إلى رب[3] .

ونقل السهيلى عن مصنَّف حَمَّاد بن سلمة رحمه الله تعالى أن الذين صَحِب سلمانُ من النصارى كانوا على الحق ، على دين عيسى ابن مريم ، وكانوا ثلاثين يداولونه سيداً بعد سيد .

قال الذهبى رحمه الله تعالى : وجدت الأَقوالَ فى سِنِّ سلمان كلها دالة على أنه جاوز المائة[4] والخمسين ، والاختلاف إنما هو فى الزائد . قال : ثم رجعت عن ذلك وظهر لى أنه ما جاوز الثمانين .

قال الحافظ : لم يذكر مُسْتَنده فى ذلك ، وأظنه أخذه من شهود سلمان الفتوحَ بعد النبى صلى الله عليه وسلم وتزوّجه امرأة من كِنْدة وغير ذلك ، مما يدل على بقاء بعض النشاط .

لكن إن ثبت ما ذكره يكون ذلك من خوارق العادات فى حقه ، وما المانع من ذلك ؟

فقد روى أبو الشيخ فى طبقات[5] الأَصبهانيين من حديث العباس بن يزيد قال : أهل العلم يقولون : عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة فأَما مائتين وخمسين فلا يشكُّون فيها . انتهى .

* * *

وروى ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قَتَادة قال : حدثنا أَشياخٌ شتَّى قالوا : لم يكن

---

(١) الروض الأنف ١/١٤٥ .

(٢) فى ت م زيادة : ورواه ابن المنذر من طريق آخر . ولعلها مكررة .

(٣) صحيح البخارى كتاب البيوع باب ١٠٢ وكتاب المظالم ٣١ وكتاب الأنبياء ٤٩ وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان حديث رقم ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٤) ت م : المائتين .

(٥) الأصل : فى طباق .

أَحدٌ من العرب أَعلمَ بشأْن رسول الله صلى الله عليه وسلم منا ، كان معنا يهود ، وكانوا أَهلَ كتاب وكنا أَهلَ وثن ، وكنا إذا بلَغْنا منهم ما يكرهون قالوا : إن نبيًّا مبعوثاً الآن قد أظلَّ زمانُه نتبعه، فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرم . فلما بَعث الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم اتبعناه وكفروا به ، ففيهم أنزل الله : (وكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُون على الذِين كَفَرُوا ، فَلمَّا جاءهم ما عَرَفُوا كَفَرُوا به فَلَعْنَةُ اللهِ على الكافرِين)[1].

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كانت يهود خيبر تقاتل غَطفانَ ، فلما التقوا هُزِمت يهود خيبر . فعاذت اليهود بهذا الدعاءِ فقالوا : اللهم إنا نسأَلك بحق محمد النبى الأُمى الذى وعَدْتنا أن تخرجه لنا فى آخر الزمان إلا نصَرْتنا عليهم فكانوا إذا التقوا دعَوْا بهذا الدعاءِ فهزَموا غَطَفان ، فلما بُعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كفروا به ، فأَنزل الله عز وجل : (وكانُوا مِنْ قبلُ يَسْتفتحون عَلَى الَّذين كفَرُوا فَلمَّا جاءهم ما عَرَفُوا كَفَرُوا به فلعنة الله على الكافرين » .

رواه الحاكم والبيهقى[2].

وعن سلمة بن سلامة بن وَقْش بفتح الواو والقاف وإسكانها وبالشين المعجمة رضى الله تعالى عنه قال : كان بيننا يهودى فخرج على نادِى قومه بنى عبد الأَشهل ذاتَ غداة فذكر البَعْثَ والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، فقال ذلك لأَصحاب وثن لا يرون أَنَّ بعثاً كائِنٌ بعدَ الموت ، وذلك قَبْل مَبْعث النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ويحك يا فلان ! وهذا كائن أَن الناس مبعوثون بعدَ موتهم إلى دار فيها جنة ونار ويُجْزون من أَعمالهم ؟ قال : نعم والذى يُحلَف به لوددتُ أَن حظى من تلك النار أَن توقِدوا أَعظم تَنُّور فى داركم فَتُحْمُوه[3] ثم تقذفونى فيه ثم تطيِّنوا علىّ وأَن أَنْجُوَ من تلك النار غداً . قالوا : فما علامة ذلك ؟ قال : نبىٌّ يُبعث من ناحية هذه البلاد . وأَشار بيده نحو مكة واليمن . قالوا : فمتى تراه[4] . فرمى بطَرفه إلىّ وأَنا أَحْدَث القومِ فقال : إن يستنفدْ هذا الغلامُ عُمْره يُدْرِكْه .

---

(١) سورة البقرة : ٨٩ . والخبر فى ابن هشام ١/٢٢٥ .

(٢) الخصائص الكبرى ١/٥٦ .

(٣) فى النسخ : فتحمونه ، تصحيف .

(٤) ت م : فا[illegible] اه .

فما ذهب الليلُ والنهار حتى بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لحَيّ بين أَظْهُرنا ، فآمنا به وصدَّقْناه وكفر به بَغْيًا وحسداً ، فقلنا له : يا فلان أَلست الذى قلت لنا فيه ما قلتَ وأَخبرتنا به ؟ قال : ليس به .

رواه ابن إسحاق[1] ، والبخارى فى التاريخ وصححه الحاكم .

قوله : إن يستنفدْ بكسر الفاء ودال مهملة أى يستكمل .

وروى عن محمد بن عَدِيّ أنه سأَل أَباه كيف سمّاه فى الجاهلية محمداً ؟ فقال : خرجتُ مع جماعة من بنى تميم ، فلما ورَدْنا الشامَ نزلنا على غَدِير عليه شجر ، فأَشرف علينا دَيْرانِيٌّ[2] فقال : من أَنتم ؟ قلنا : من مُضَر . قال : أَمَا إنه سوف يُبعث منكم وشيكاً نبيٌّ فسارعوا إليه وخذوا بحظكم منه تَرْشُدوا ، فإنه خاتم النبيين . فقلنا : ما اسمه ؟ فقال : محمد . فلما صرنا إلى أَهلنا وُلِد لكل واحد منا غلام فسماه محمداً .

رواه الطبرانى والبيهقى وأَبو نُعَيْم[3] .

وشيكاً : أى قريباً .

وروى ابنُ سعد عن سعيد بن المسيّب رحمه الله تعالى قال : كانت العرب تسمع من أَهل الكتاب ومن الكُهَّان أَن نبيًّا يُبعث من العرب اسمه محمد ، فسمَّى من بلَغه ذلك مَن ولد له محمدا ، طمعاً فى النبوة[4] .

ورَوى الطبرانى والبيهقى عن أَبى سفيان بن حرب رضى الله تعالى عنه قال : خرجت أَنا وأُمية بن أَبى الصَّلْت إلى الشام ، فمررنا بقرية فيها نصارى ، فلما رأَوا أُميةَ عظَّموه وأَكرموه وأَرادوه على أَن ينطلق معهم ، فقال لى أُمية : يا أَبا سفيان انطلقْ معى فإنك تمضى إلى رجل قد انتهى إليه عِلْمُ النصرانية فقلت : لست أَنطلق معك . فذهب ورجع وقال[5] : تكتم علىَّ ما أُحدثك به ؟ قلت : نعم . قال : حدَّثنى هذا الرجل الذى انتهى إليه عِلْمُ الكتاب :أَن نبيًّا مبعوث ، فظننت أَننى هو ، فقال : ليس منكم ، هو من أَهل مكة . قلت : ما نسَبُه ؟ قال : وسَط قومه . وقال لى : إن آية ذلك أَن الشام قد رجَفت بعدَ عيسى

---

(١) ابن هشام ١/٢٢٥ . والاكتفاء ١/٢٣٣ . والوفا ١/٤٧ .

(٢) الدير نى : الراهب الذى يسكن الدير .

(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم ٥٥ ، والوفا ١/٤٦ .

(٤) طبقات ابن سعد ١ القسم الأول ١١١ .

(٥) ط : قال .

ثمانين رجفة ، وبقيت رجفة يدخل على أهل[1] الشام منها شرّ ومُصيبة : فلما صرنا قريبا من ثنيّة[2] إذا راكبٌ قلنا : من أين ؟ قال : من الشام . قلنا : هل كان مِن حَدث ؟ قال : نعم ، رجفت الشام رجفة دخل على الشام منها شر ومصيبة[3] .

ورَوى ابنُ عساكر عن أبى بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - قال : كنت جالسا بفناء الكعبة وزيد بن عمرو بن نُفَيْل قاعدٌ ، فمرَّ به أُميّة بن أبى الصَّلْت فقال : أمَا إن هذا النبى الذى - يُنتظر منا أو منكم أو من أهل فلسطين . قال : ولم أكن سمعت قبل ذلك بنبيّ ينتظر فلا يُبعث .

فخرجتُ أُريد ورقةَ بن نوفل فقصصت عليه الحديث فقال : نعم يا بن أخى ؛ أخبرنا أهلُ الكتاب والعلماء ، أن هذا النبى الذى يُنتظر من أوسط العرب نسباً ، ولى عِلمٌ بالنسب فقومك أوْسَط العرب نسباً . قال : يا عم وما يقول النبى ؟ قال يقول ما قيل له ؛ إلا أنه لا يظلم ولا يُظالِم .

قال : فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنتُ وصَدقت[4] .

فلسطين بكسر الفاء وفتح اللام : ناحية من الشام .

وعن زيد بن حارثة - رضى الله تعالى عنهما - أن النبى صلى الله عليه وسلم لقى زيدَ ابن عمرو بن نُفَيل ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : مالى أرى قومك قد شَنِفوك ؟ قال : أمَا والله إنَّ ذلك لَبِغَيْر ثائرة كانت [منّى][5] إليهم ، ولكن أراهم على ضلالة فخرجت أبتغى هذا الدِّين حتى أتيت على شيخ بالجزيرة فأخبرته بالذى خرجت له ، قال : ممن أنت ؟ قلت : من أهل بيت الله . قال : فإنه [قد][6] خرج فى بلدك نبى أو خارج قد طلع نَجْمه ؛ فارجع فصَدِّقه وآمن به . فرجعت فلم أُحس بشىء بعدُ .

قال : ومات زيد بن عمرو قبل أن يُبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم[7] .

رواه أبو يَعْلى والطبرانى والحاكم وصحَّحه .

---

(١) من ط — (٢) ت م : من بنية .

(٣) خبر أبى سفيان مع أمية بن أبى الصلت فى الاكتفاء ١/٢٤٤ ، والوفا ١/٥١ .

(٤) الخصائص الكبرى ١/٦٠ عن ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن عيسى بن داب .

(٥) من الخصائص . — (٦) ليست فى ط .

(٧) الخصائص الكبرى ١/٦١ عن أبى يعلى والبغوى فى معجمه والطبرانى والحاكم وصححه ، والبيهقى ، وأبو نعيم .

شَنِفوك بفتح الشين المعجمة وكسر النون : أى أبغضوك. ولغير ثائرة : أى لم أصنع لهم شرّا .

وعن عامر بن ربيعة - رضى الله تعالى عنه - أن زيد بن عمرو بن نفيل قال : خالفتُ قومى واتبعتُ ملةَ إبراهيم وما كان يعْبد ، فأَنا أنتظر نبيّا من ولد إسماعيل اسمه أَحمد ، ولا أُرانى أُدركه ، فأَنا أُومن به وأُصدقه وأَشهد أنه نبى ، فإن طالت بك مُدة فأَقْرِه منى السلام ، وأُخبرك يا عامر ما نَعْته حتى لا يخفَى عليك : هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليس يفارق عينيه حُمرة ، وخاتَم النبوّة بين كتفيه ، واسمه أَحمد ، وهذا البلد مَوْلده ومَبْعَثه ، ثم يُخرجه قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يَثْرب فيظهر أَمرُه فإياك أن تُخدع عنه فإنى بَلَغْتُ البلادَ كلها أَطلب دين إبراهيم وكل من أَسأَله من اليهود والنصارى والمجوس يقول : هذا الدين وراءك . ويَنْعتونه مثلَ ما نعتُّه لك ، ويقولون : لم يبق نبىّ غيره .

قال عامر : فلما تنبَّأَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وأخبرتُه ، فقال : قد رأَيته فى الجنة يَسْحب ذيله [1] .

رواه ابن سعد وأَبو نُعَيْم .

وروى ابن عساكر عن ابن إسحاق - رحمه الله تعالى - قال : إن ربيعة بن نصر اللَّخْمى رأَى رؤيا هالته وَفظع بها ، فلم يدعْ كاهناً ولا ساحرا ولا عائفاً ولا منجما من أَهل مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إنى قد رأَيت رؤيا هالَتْنى وفَظِعْتُ بها فأَخبرونى بتأْويلها .

قالوا : اقْصُصْها علينا نخبرك بتأْويلها . قال : إن أَخبرتكم بها لم أَطمئن إلى خبركم عن تأْويلها ، إنه لا يعرف تأْويلها إلا من عرَفها قبل أَن أُخبره بها .

فقيل له : إن كنت تريد هذا فابعث إلى سَطِيح وشِقّ ، فإنه ليس أَحد أَعْلم منهما ، فهما يخبرانك بما تسأَل عنه .

فبَعث إليهما ، فقَدِم عليه سَطِيح قبلَ شِقّ ، فقال : إنى رأَيتُ رؤيا هالَتْنى وفظِعت بها ، فأَخبرنى بها فإنك إن أَصبتَها أَصبتَ تأْويلها . فقال : رأَيتَ حُمَمة خرجت من ظُلَمة

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم ٦١ ، وطبقات ابن سعد ١٠٦/١ « القسم الأول » وفيها : « يسحب ذيولا » ، والخصائص ٦٢/١ .

فوقعت بأرض تهمة ، فأكلت كل ذات جمجمة . فقال الملك : ما أخطأت منها شيئا يا سطيح ، فما عندك فى تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرتين من حنش ، ليهبطن أرضكم الحبش فليهلكن ما بين أبين إلى جرش . فقال الملك : وأبيك يا سطيح إن هذا لنا لغائظ موجع ، فمتى هو كائن ؟ أفى زمانى أم بعده ؟ قال : بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين من السنين . قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين قال : ومن يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إرم ذى يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك منهم أحداً باليمن : قال أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال بل ينقطع . قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبى زكى يأتيه الوحى[1] من قبل العلى . قال : وممن هذا النبى ؟ قال : رجل من بنى غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر . قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ، يسعد به المحسنون ويشقى به المسيئون . قال : أحق ما تخبرنى به ؟ قال : نعم والشفق والغسق ، والفلق إذا اتسق إن ما[2] أنبأتك به لحق .

ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح ، وكتم ما قاله سطيح ، لينظر أيتفقان أم يختلفان . قال : نعم رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة وأكلت منها كل ذات نسمة .

فلما قال ذلك عرف أنهما قد اتفقا ، فقال الملك : ما أخطأت منها شيئا يا شق ، فما عندك فى تأويلها ؟

قال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، فليغلبن على كل طفلة[3] البنان ، وليملكن ما بين أبين إلى نجران .

فقال له الملك : فمتى هو كائن ؟ فى زمانى أم بعده ؟ قال : بل بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شأن ، ويذيقهم كأس الهوان . قال : ومن هذا العظيم الشأن ؟ قال : غلام ليس بدنى ولا مدن ، يخرج عليهم من بيت ذى يزن . قال : أفيدوم سلطانه

(١) الوحى : جمع وحى . (٢) ت م : إن الذى أنبأتك .
(٣) الأصل : على ذى طفلة البنان . والتصويب من الاكتفاء ١/١١٤ .

أَم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسولٍ [مُرسَل][1] يأْتى بالحق والعدل ، بَيْن أَهلِ الدِّين والفضل يكون المُلك فيه إلى يوم الفصل . قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يومٌ تجزى[2] فيه الولاة ، يُدْعى فيه من السماء بدعوات يستمع[3] منها الأَحياء والأَموات ويُجمع فيه الناسُ للميقات يكون فيه لمن اتَّقى الفوزُ والخيرات . فقال : أَحقٌّ ما تقول ؟ قال إى ورب السماء والأَرض وما بينهما من رَفع وخفض إنَّ ما أَنبأْتُك به لحقّ ما فيه أَمْض[4] .

قوله : فُظع بها . الرواية بضم الفاء وفتحها . وصوَّب أَبو ذر الخُشنى الفتح بوزن عَلِم يقال : فظِع بالشىء إذا رآه أمراً عظيما .

والعِيَافة : زجْر الطير والتفاؤل بأَسمائها وأَصواتها وممرّها[5] .

والحُمَمة بضم الحاء وفتح الميمين وجمعها حُمَم وإنما أَراد فحْمة فيها نار ، ولذلك قال : فأَكلت منها كلُّ ذات جُمْجمة أَى رأْس .

وظُلمة : أَصلها مسكَّن وإنما حركت للسَّجْع قال السُّهيْلى رحمه الله تعالى: وذلك أَن الحُمَمة قطعة من نار ، وخروجها من ظُلمة يشبه خروج عسكر الجيش من أَرض السودان[6] .

أَرض تهِمة بفتح التاء وكسر الهاء يعنى واسعة منخفضة ، وأَكلت منها كل ذات جمجمةٍ أَى رأْس ، ولم يقل ذى جمجمة لأَن القصد النفس والنَّسْمة ، فهى أَعمّ ، ولو جاء بالتذكير لكان مختصا بالإنسان .

والحَرَّة : بفتح الحاء المهملة : أَرض غليظة تركبها حجارةٌ سُود وإنما حلف بالحنش وهى من الحيات لما يحكى أَن الجن تتشكل وتتصور فيها .

أَبْيَن بفتح الهمزة فباء موحدة ساكنة فمثناة تحتية فنون : موضع باليمن . جُرَش بضم الجيم وفتح الراء وشين معجمة : أَرض باليمن أَيضا . عدَن : اسم بلد بها .

الغسَق : الظُّلمة . الفلق : الصبح . اتسق: تتابع وتوالَى . الأَكمة: الكُدْية . ويروى : كلُّ ذات نسمة بالرفع هنا وفى الأولى[7] . قال الخُشنِىّ : والصواب النصب ، لأَن الجمجمة

---

(١) من الاكتفاء . (٢) ت م : يدعى .

(٣) الاكتفا : يسمع .

(٤) خبر نصر بن ربيعة مع شق وسطيح فى سيرة ابن هشام ١٥/١ . ودلائل النبوة لأبى نعيم ٨٦ ، والاكتفا ١١٤/١ ، والوفا ٧٤/١ ، وسيرة ابن كثير ١٤/١ ، والخصائص ٨٣/١ .

(٥) ت م : وشعرها . محرفة . (٦) الروض ١٩/١ . (٧) ط : وفى الأول .

هنا هى الآكلة وليست المأكولة ، ولذلك فسرها بالحبشة الذين غلبوا على اليمن[1] .

طفلة بفتح الطاء واللام وسكون الفاء بينهما . والبَنان : أطراف الأَصابع ، وقد يعبَّر بها عن الأَصابع كلها . قال فى الصِّحاح : الطَّفل بالفتح : الناعم . يقال : جارية طفلة أى ناعمة . وبنان طفل وإنما جاز أَن يوصَف البَنانُ وهو جَمْع بالطَّفل وهو واحد : لأَن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء فإنه يوحَّد ويذكَّر .

نجْران ، بنون مفتوحة وجيم ساكنة : قال أَبو عُبَيد البَكرى : مدينة بالحجاز من شق اليمن معروفة ، سمّيت بنجْران بن زيد بن يَشجُب بن يَعْرب ، وهو أَول من نزلها . وقال فى النهاية : موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن .

وبغلام ليس بدَنِىّ ولا مُدَنّ بضم الميم وفتح الدال المهملة- وهو بنون، وسَكَّنه هنا للسجع ، قال الخُشنى : هو المقصِّر فى الأمور . وقال غيره : هو الذى جمع الضعف مع الدناءة .

وما فيه أَمْض : بفتح الهمزة وسكون الميم والضاد المعجمة أَى ما فيه شكّ ولا ارتياب .

قال السُّهيلى رحمه الله تعالى : كان سَطِيح جسداً مُلقًى لا جوارح له فيما يذكرون ، [قال وكذلك شِقّ [2]] إنما له يد واحدة ورِجْل واحدة وعين واحدة .

ويُذكر عن وهب بن منبه - رحمه الله تعالى - أنه قال : قيل لسَطِيح : أَنَّى لك هذا العلم ؟ فقال لى صاحب من الجن استمع[3] أخبار السماء من طور سيناء حين كلَّم الله تعالى فيه[4] موسى فهو يؤدِّى إلىّ من ذلك ما يؤديه .

وولد شِقّ وسَطِيح فى اليوم الذى ماتت فيه طريفة الكاهنة ، ودعَت بسطيح قبل أن تموت ، فأُتيَتْ به فتفلت فى فيه وأخبرت أنه سَيْخلُفها فى عِلْمها وكهانتها ، وكان وجهه فى صدره ، ولم يكن له رأس ولا عنق . ودعتْ بشِقّ ففعلت به مثلَ ما فعلت بسَطيح ثم ماتت.

وعمر سَطِيح زمانا طويلا حتى أدرك مولدَ النبى صلى الله عليه وسلم[5] ورأى كسرى أَنُو شرْوان.

قلت : روى أَبو نُعَيْم وابن عساكر عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - قال : خَلق الله سطيحا لحماً على وَضَم ، وكان يُحَمل على وَضَمَة فيؤتى به حيث يشاء ، ولم يكن

---

(١) شرح السيرة لأبى ذر ص ٨ .
(٢) سقطت من ط .
(٣) ت م : يستمع .
(٤) ت م : منه .
(٥) الاكتفا ١١٩/١ .

فيه عَظْم ولا عصَب إلا الجمجمة والعنق والكفَّين. وكان يُطْوَى من رجليه إلى تَرْقُوته كما يُطوى الثوب ، ولم يكن فيه شيء يتحرك[1] إلا لسانه[2] .

الوضَم بفتحتين : كل شيء يُحمل عليه اللحم من خشب أو باريّة[3] .

وقال ابن عساكر : بلغنى أن سَطِيحا ولد فى أيام سَيْل العَرِم وتوفى فى العام الذى ولد فيه سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنه عاش خمسمائة سنة . وقيل ثلاثمائة سنة .

ورَوى ابن سعد وأبو نُعَيْم وابن عساكر عن أبى نملة - رحمه الله تعالى - قال : كانت يهود بنى قريظة يدرسون ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى كتبهم ويعلِّمونه[4] الولدان بصفته واسمه ومُهَاجَره إلى المدينة[5] . فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حَسدوه وبَغْوا وأنكروا[6] .

ورَوى ابن سعد عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - عن أُبَىّ بن كعب - رضى الله تعالى عنه - قال : لمّا قدم تُبّع المدينة ونزل بقناة[7] بعث إلى أحبار يهود فقال : إنى مخرِّب هذا البلد . فقال له سامول[8] اليهودى وهو يومئذ أعلمهم[9] : أيها الملِك إن هذا البلد يكون إليه مُهاجَر نبىّ من بنى إسماعيل مولده بمكة اسمه أحمد ، وهذه دار هجرته ، إن منزلك هذا الذى أنت به يكون به من القتلى والجراح أمر يَكْثر[10] فى أصحابه وفى عدوّهم .

قال تُبَّع : ومن يقاتله يومئذ ؟ قال : يسير إليه قومُه فيَقْتتلون هاهنا . قال : فأين قبره ؟ قال : بهذا البلد . قال : فإذا قُوتل لمن تكون الدَّبْرة ؟ قال : تكون مرةً له ومرةً عليه ، وبهذا الذي أنت به تكون عليه ويُقتل أصحابُه مَقْتلة لم يُقتلوا فى مَوْطن مثلها ، ثم تكون له العاقبة ثم يظهر فلا ينازِعه فى هذا الأَمر أَحد .

قال : وما صفته ؟ قال : رجل لا بالطويل ولا بالقصير ، فى عينيه حُمْرة ، يركب

---

(1) ت م : شيء متحرك . (2) دلائل النبوة لأبى نعيم ٨٣ . (3) البارية : الحصير المنسوج .
(4) دلائل النبوة لأبى نعيم : ويعلمون . (5) ابن سعد : ومهاجره إلينا .
(6) دلائل النبوة ٤٠ ، وطبقات ابن سعد ١/١٠٤ .
(7) فى أعلام النبوة للماوردى ص ١٠٨ : ونزل بسفح أحد .
(8) ص ت م : سامور . وما أثبته من ط ، موافقاً لابن سعد .
(9) ت م : أعظمهم . (10) ابن سعد : أمر كثير .

البعير ويلبس الشَّمْلة سيفُه على عاتقه ، لا يُبَالى من لاقَى [أخًا أو ابن عم أوعمًّا][1] حتى يظهر أمره[2] .

قَنَاة ، بقاف مفتوحة بعدها نون : قال البَكْرى : وادٍ من أودية المدينة .

وذكر ابن ظَفَر[3] عن سُفيان بن مُجَاشِع أنه رأى قومًا من تميم اجتمعوا على كاهنة لهم فسمعها تقول : العزيزُ من والاه ، والذليل من خالاَه[4] ، والموفور من مالاَه[5] ، والموتورُ من عادَاه . فقال سفيان : من تذكرين لله أبوك ؟ فقالت : صاحب حِلٍّ وحِرْم[6] وهُدًى وعِلم ، وبطش وحِلْم ، وحرب وسِلْم ، رأس رءوس وأبيض شُموس وماحِي بُوس وماهِد وعوس ، وناعش مَتْعوس .

فقال سفيان : لله أَبوك من هو ؟ قالت ؛ نبيّ مؤيَّد ، قد أَتَى حِينُ يوجَد . ودنا أَوانُ يولد ، يُبعثُ إلى الأَحمر والأَسود بكتاب لا يُفَنَّد ، اسمه محمد . فقال سفيان : لله أَبوك أعرابىّ[7] هو أم عجَمى ؟ قالت : أَما والسماء ذات العِنَان والشجرات ذات الأَفْنان إنه لمن مَعَدّ بن عدنان . فَقَدْك ياسفيان . فأَمسكَ عنها ثم ولد له غلام فسماه محمدًا رجاء أن يكون الموصوف .

(تفسير الغريب)

خالاَه : بالخاء المعجمة : برئ منه وتركه . حِلّ وحَرِمَ : أَى حلال وحرام .

رأْس رءوس : أَى سيد سادة[8] . والرأْس : السيد .

ماحِى بُوس : أَى مُذْهِبه . والمحْو : القَشْر . وبه سميت المِمْحاة[9] .

الوعوس : جمع وَعْس وهو من صفة الرمْل الذى يَشُقّ السَّيْر فيه .

---

(١) من طبقات ابن سعد . (٢) الطبقات ١٠٣/١ . والوفا ٤٨/١ ، والخصائص ٦٦/١ .

(٣) ابن ظفر : محمد بن عبد الله أبي محمد بن محمد بن ظفر الصقلى المكى ، أبو عبد الله ، ولد بصقلية سنة ٤٩٧ ه ، ونشأ بمكة ، ثم دخل المغرب وجال فى أفريقية والأندلس ، ثم عاد إلى الشام فأقام بحماة ، وتوفى بها سنة ٥٦٥ ه . من كتبه : « خير البشر بخير البشر » ، و « سلوان المطاوع فى عدوان الأتباع » . ترجمته فى وفيات الأعيان ٥٢٢/١ ، والوافى بالوفيات ١٤١/١ ، ولسان الميزان ٣٧١/٥ ، وتاريخ ابن الوردى ٧٨/٢ .

(٤) ت م : من خلاه . (٥) ط : من والاه .

(٦) الحرم : الحرام . (٧) كذا ولعلها : أعربى .

(٨) ص ت م : سيد سادات . (٩) العبارة محرفة فى ص ت م . والتصويب من ط .

ناعِش : بالنون والشين المعجمة من نعَشه الله نَعْشا : رفعه . المتعوس : العاثر ، والمستعمل في هذا : تعِس وأتعسه الله[1] فجاء على مثال مسعود .

لا يُفَنَّد : أي لا يُخَطَّأ ولا يضعَّف رأيه .

العَنان بفتح العين المهملة بعدها نون : السحاب ، الواحدة عَنَانة .

الأفنان : هى الأغصان ، الواحدة : فَنَن .

فقَدْك يا سفيان : أي حَسبك وكفاك .

وروى عن عمرو بن عَبَسة – بعين وبسين مهملتين بينهما باء موحدة مفتوحات – رضي الله تعالى عنه : قال رَغِبتُ عن آلهة قومى فى الجاهلية ، ورأيت الباطلَ يعبدون الحجارة ، فلقيت رجلاً من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدِّين[2] فقال : يخرج رجل بمكة ويرغب عن آلهة قومه ويدعو إلى غيرها ، وهو يأتى بأفضل الدين فإذا سمعت به فاتبعه . فلم يكن بى هَمٌّ إلا مكة آتيها فأسأل : هل حدَث فيها أمرٌ ؟ فيقولون لا . فإنى لقَاعِد على الطريق إذ مرَّ بى راكب فقلت : من أين جئتَ ؟ قال : من مكة . قلت : هل حدَث فيها خَبر ؟ قال : نعم ، رجلٌ رَغِب عن آلهة قومه ودعا إلى غيرها . فقلت : صاحبى الذى أريد . فأتيته فوجدته مُسْتخفيًا ، فقلت[3] : ما أنت ؟ قال : نبيٌّ . قلت : وما النبيّ ؟ قال : رسول . قلت : مَن أرسلك ؟ قال : الله . قلت : بماذا أرسلك ؟ قال : أن تُوصَل الأرحام وتُحْقن الدماء وتؤمَّن السُّبُل وتُكسر الأوثان ويُعْبَد الله ولا يُشرك به شيئا . قلت : نِعْم ما أرسلك به ، أشهدك أنى قد آمنت بك وصدَّقتك أفأمكث[4] معك ما ترى ؟ قال : ترى كراهة[5] الناس لما جئت به فامكث فى أهلك ، فإذا سمعتَ أنى قد خرجت مَخْرَجا فاتبعنى . فلما سمعت به صلى الله عليه وسلم خرج إلى المدينة سِرْتُ حتى قدِمت عليه .

رواه ابن سعد[6] وأبو نعيم وابن عساكر .

وروى أبو نُعَيم وابن عساكر عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : بلغنى أن بنى

---

(١) العبارة محرفة فى ص ، ت ، م ، والتصويب من ط .

(٢) ما بين الرقمين ساقط من ت م .

(٣) ط : قلت .

(٤) كذا فى ط . وفى ص ت م : أن أمكث .

(٥) ت م : فراهة . محرفة .

(٦) طبقات ابن سعد ٤ القسم الأول ص ١٥٧ ، ودلائل النبوة لأبى نعيم ٢١٠ ، والوفا ٥٩/١ .

إسرائيل لمّا أصابهم ما أصابهم من ظهور بُخْتَنَصَّرَ – وفُرْقتهم وذُلِّهم تفرّقوا ، وكانوا يجدون محمدا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مبعوثا فى كتبهم وأنه سيظهر فى بعض القُرَى العربية فى أرضٍ ذات نخل ، ولما خرجوا من أرض الشام جعلوا يتقرَّوْن كلَّ قرية من تلك القرى العربية بين الشام واليمن يجدون نَعْتها نَعْت يَثْرب ، فنزل بها طائفة منهم ويَرْجون أن يَلْقوا محمدا – صلى الله عليه وسلم – فيتبعونه ، حتى نزل من بنى هارون بيثرب منهم طائفة ، فمات أولئك الآباء وهم مؤمنون بمحمد – صلى الله عليه وسلم – أنه جاء ويحثُّون أبناءهم على اتّباعه إذا جاء ، فأدركه من أدركه من أبنائهم فكفروا به وهم يعرفونه[1]

بُخْت بضم الموحدة وإسكان الخاء المعجمة ثم مثناة فوقية ونَصَّر بفتح النون والصاد المهملة المشددة . قال فى القاموس : بُخْت معناه : ابن . ونَصّر كبقَّم كان عند الصنم ولم يوجد له أب فنسب إليه[2] .

ورَوى أبو نُعَيم عن حسّان بن ثابت – رضى الله تعالى عنه – أنه قال : والله إنى لَفِى منزلى ابنَ سبع سنين وأنا أحفظ ما أرى وأعِى ما أسمع وأنا مع أبى إذ دخل علينا فتى منا يقال له ثابت بن الضحاك ، فتحدث فقال : زعم يهودى فى بنى قريظة الساعة وهو يُلاَحِينى : قد أظلَّ زمانُ خروج نبىّ يأْتى بكتاب [مثل كتابنا[3]] يقتلكم قتلَ عادٍ وإرَم . قال حسان : فوالله إنىّ لعلَى فارِع ، يعنى أُطُمًا ، فى السَّحر إذ سمعتُ صوتا لم أسمع قط صوتا أنْفَذ منه ، فإذا يهودىّ على ظهر أُطُم من آطام المدينة معه شعلة من نار ، فاجتمع إليه الناسُ فقالوا : مالك ويلك : قال : هذا كوكب أحمد قد طلع ، هذا كوكب لا يطلع إلا للنبوة ، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد . قال : فجعل الناس يضحكون ويعجبون بما يأْتى به .

وكان حسان – رضى الله تعالى عنه – عاش مائةً وعشرين سنة ، ستين فى الجاهلية وستين فى الإسلام[4] .

---

(١) الخصائص الكبرى ٦٢/١ .

(٢) عبارة القاموس مادة (نصر) : وكان وجد عند الصنم ولم يعرف له أب فنسب إليه ، وشكلت (بختنصر) فى القاموس (بخت ، نصر) بضم التاء ، والأشهر أن الجزء الأول من المركب المزجى يبنى على الفتح ، كما فى شرح الأشمونى لألفية ابن مالك : ١١٣/١ .

(٣) من دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٣٧ .

(٤) دلائل النبوة لأبى نعيم ٣٦ .

يُلاحِيني : أي يخاصمني وينازعني . الفارع بالفاء والراء والعين المهملتين : المرتفع[1] العالى . والأُطُم بالضم : بناء مرتفع .

وروى الواقديّ وأبو نُعَيْم عن حُوَيِّصة بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - وهو بضم الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية ، وقيل يجوز تخفيفها ، قال : كنا ويهود[2] فينا كانوا يذكرون نبيًّا يُبعث بمكة اسمه أحمد ، ولم يبق من الأنبياء غيره ، وهو فى كتبنا وما أُخذ علينا[3] صفته كذا وكذا . حتى يأْتوا على نعْته . قال : وأنا غلام وما أرى أحفظ وما أسمع أَعِى[4] إذ سمعتُ صياحًا من ناحية بنى عبد الأشهل ، فإذا قوم فزِعوا وخافوا أن يكون أمرٌ حدث ، ثم خفِىَ الصوتُ ثم عاد فصاح ففهمنا صياحَه : ياأهل يَثرب هذا كوكبُ أحمد الذى وُلِد به . قال : فجعلنا نعْجب من ذلك ، ثم أقمنا دهرًا طويلا ونسينا ذلك ، فهلك قومٌ وحدَث آخرون وصرتُ رجلاً كبيرا ، فإذا مثل ذلك الصياح بعينه : ياأهل يثرب قد خرج محمد وتنبأَ وجاءه الناموسُ الأكبر الذى كان يأْتى موسى عليه الصلاة والسلام . فلم أنشب[5] أن سمعت أن بمكة رجلاً خرج يدّعى النبوّة ، وخرج من خرج من قومنا وتأخر من تأخر وأسلم فتيان منا أحداث ولم يُقض لى أن أُسلم ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم [المدينة[6]] .

أنشب : أى لم ألبث .

وروى أبو نُعَيم عن أبى سعيد[7] مالك بن سِنَان الخُدْرى بالخاء المعجمة والدال المهملة - رضى الله تعالى عنه - قال : سمعت أبى يقول : جئت بنى عبد الأشهل يومًا لأتحدث فيهم ، فسمعت يوشَع اليهودى يقول : أظلَّ خروج نبىّ يقال له أحمد يخرج من الحرم . فقيل[8] له : ما صفته ؟ قال : رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، فى عينيه حُمرة يلبس الشَّملة ويركب الحمار ، سيفه على عاتقه ، وهذه البلد مُهاجَره . فرجعت إلى قومى بنى خُدْرة وأنا أتعجّب مما قال ، فأسمع رجلا منا يقول : ويوشع يقول هذا وحده ؟ كلُّ يهود يثرب

---

(١) ت م : الرفيع . (٢) ت م : كان يهود . (٣) أبو نعيم : وما أخذ علينا منه .
(٤) ت م : وما أعى أسمع . (٥) ت م : فلم ألبث .
(٦) زيادة من دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٣٨ . والخصائص الكبرى ١/٦٤ .
(٧) الذى فى دلائل النبوة لأبى نعيم : « عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى ، عن أبيه قال : سمعت أبى مالك بن سنان يقول » . (٨) الدلائل : « فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلى ، كالمستهزئ » .

تقول هذا . فخرجت حتى جئت بنى قريظة فأجد جَمْعا فيتذاكروا النبيّ - صلى الله عليه وسلم - فقال الزَّبِير بن باطَا : قد طَلع الكوكبُ الأَحمر الذى لم يطلع إلا لخروج نبي وظهوره ، ولم يبق من الأَنبياء أَحدٌ إلا أَحمد وهذه مُهاجَره [1] .

أظلَّ : قرب .

وروى ابن عساكر عن كعب - رحمه الله تعالى - قال : كان إسلام أَبى بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - سببه وحى من السماء ، وذلك أنه كان تاجراً بالشام فرأى رؤيا فقصَّها على بحيرى الراهب فقال له : من أَين أَنت ؟ قال : من مكة . قال : من أَيّها ؟ قال : من قريش . قال : فأَىّ شئ أَنت ؟ قال : تاجر . قال : صدَّق الله تعالى رؤياك ، فإنه يُبعث نبي من قومك تكون وزيَره فى حياته وخليفتَه بعد موته . فأَسرَّها أَبو بكر حتى بُعث النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا محمد ما الدليل على ما تَدَّعى ؟ قال : الرؤيا التى رأَيت بالشام . فعانقه وقَبل بين عينيه وقال : أَشهد أنك رسول الله [2] .

ورَوى أَبو نُعيم والبيهقى من طريق عُفَيْر [3] بن زُرْعة بن سَيْف بن ذى يَزَن عن أَبيه قال : لمـا ظهر سيفُ ذى يزَن على الحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسنتين ، أَتاه وفود العرب وأَشرافها وشعراؤها لتهنئه وتَذْكر ما كان من بلائه وطلبه بثأْر قومه . وأَتاه وفد قريش منهم عبد المطلب بن هاشم وأُمية بن عبد شمس وعبد الله ابن جُدْعان وأَسد بن عبد العُزَّى ووهب بن عبد مناف وقُصىّ بن عبد الدار ، فدخل عليه آذِنُه وهو فى رأْس قصر يقال له غُمْدان ، وهو الذى قال فيه أُمَيّةُ بن أَبى الصَّلْت الثقفى :

اشربْ هنيئًا عليك التاجُ مُرْتَفِقا فى رأْس غُمْدان دار منك مِهلالا
واشرب هنيئًا فقد شالَتْ نعَامتُهم وأَسْبِلِ اليَوْمَ فى بُرْدَيْك إسْبَالَا
تلك المكارمُ لا قَعْبَــان من لَبَنٍ شِيبَا بمــاءٍ فعادَا بعـدُ أَبــوالَا

قال : والملك مُتَضمِّخ بالعَبير يَلْصفُ وَبِيصُ المِسْك فى مَفْرق رأْسه ، وعليه بُرْدان أَخضران مرتديًا بأَحدهما مؤتزرًا بالآخر ، سيفُه بين يديه ، وعن يمينه وعن شماله الملوك والمقَاول . وأُخبر بمكانهم فأُذِن لهم فدخلوا عليه ، ودنا منه عبدُ المطلب فاستأْذنه فى الكلام

---

(١) دلائل النبوة ٤٠ . والوفا ٤٢/١ ، والخصائص ٦٥/١ .
(٢) الخصائص ٧٢/١ . عن ابن عساكر . (٣) ت م : عمير .

فقال : إن كنتَ ممن يتكلم بين يدَى الملوك فقد أذِنَّا لك[1]. فقال : إن الله عز وجل قد أحلَّك أيها الملِك محلاً رفيعا شامخا باذخا مَنِيعا ، وأَنْبتك نباتًا طابت أَرُومته وعَظُمت جُرثومته ، وثَبت أَصلُه وبَسق فَرْعه ، فى أَطْيب موضع وأَكرم مَعْدِن ، وأنت أَبَيْتَ اللَّعن ملِك العرب الذى إليه تَنْقاد وعَمُودها الذى عليه العِماد ومَعْقِلها الذى تلجأُ إليه العِبَاد ، سلفُك خير سلف ، وأَنت لنا منهم خير خلف فلن يهلك ذِكْر من أَنت خَلَفه ، ولن يَخْمُل ذكر من أَنت سَلفه ، نحن أَهلُ حَرم الله وسَدَنةُ بيته ، أَشْخصَنا إليك الذى أَبهجنَا من كَشْفَك الكربَ الذى فدَحنا ، فنحن وفد التهنئة لا وفد المَرْزئة .

قال له الملك : من أَنت أَيها المتكلم ؟ قال : أَنا عبد المطلب بن هاشم . قال : ابن أُختنا ؟ قال : نعم . قال : اُدنه . ثم أَقبل عليه وعلى القوم فقال : مَرْحبا وأَهلا – فأَرسلَها مثلا ، وكان أَولَ من تكلم بها – وناقةً ورَحْلا ومُسْتَناخا سهلا وملكا رِبَحْلاً يعطِى عطاءً جَزْلا ، قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقَبِل وسيلتكم ، فإنكم أَهلُ الليل والنهار ولكم الكرامة ما أَقمتم والحِبَاء إذا ظَعَنْتم .

ثم أُنْهِضوا[2] إلى دار الضيافة والوفود وأُجرى عليهم الأَنزال ، فأَقاموا بذلك شهرا لا يَصِلون إليه ولا يؤذن لهم بالانصراف .

ثم انتبه لهم انتباهةً فأَرسل إلى عبد المطلب فأَدناه ثم قال له : يا عبد المطلب إنى مُفْض إليك من سِرّ علمى أَمراً لو غيرك يكون لم أَبُحْ له به ، ولكن رأَيتك مَعْدنه فأَطلعتك طِلْعَه[3] ، فليكن عندك مُخَبّأً حتى يأْذن الله عز وجل فيه ، إنى أَجد فى الكتاب المكتوب والعلم المخزون الذى ادّخرناه لأَنفسنا واحتجَبْناه دون غيرنا خبرًا عظيما وخطرا جَسِيما فيه شرفُ الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامةً ولرَهْطك كافةً ولك خاصّةً . فقال له عبد المطلب : مِثْلك أَيها الملك سَرَّ وبَرّ ، فما هو؟ فداك أَهلُ الوبَر زُمَرًا بعد زُمَر . قال : إذا ولِد بتهامة غلام بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة . فقال له عبد المطلب : أَيها الملك أَبْتَ بخيرٍ ما آبَ بمثله وافدُ قوم ، ولولا هيبةُ الملك وإجلاله وإعظامه لسأَلته من سارّه إياى كيما أَزداد به سرورا . فقال له الملِك : هذا حينه الذى يولد فيه أَوقد ولد ،

(١) تم : فقد آذناك ، تصحيف . (٢) ت م : ثم نهضوا .

(٣) أى أعلمتك به . يقال : أطلعنى على الأمر ، وأطلعتك طلعه أساس البلاغة ٢٨٣ .

اسمه محمد ، يموت أبوه وأمه ويكفله جَدّه وعَمُّه ، ولدناه مِرارًا والله باعثه جِهارا وجاعِلٌ له منا أنصارا ، يُعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه ، ويضرب بهم الناس عن عُرْض ويستفتح بهم كرائم أهلِ الأَرض ، يعبد الرحمن ويدْحض أَو يَدْحر الشيطان ويُخْمد النيران ويكسر الأَوثان . قولُه فَصْل وحكْمه عَدْل ، ويأْمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكَر ويُبْطله .

قال له عبد المطلب : عَزَّ جِدّك ودام مُلْكك وعلاَ كعبك ، فهل الملِك سارِّى بإفصاح فقد وضح لى بعض الإيضاح قال له سيف بن ذى يزَن : والبيت ذى الحجُب والعلامات على النُّقُب[1] إنك لجَدّه يا عبد المطلب غير كَذِب .

قال : فخرَّ عبدُ المطلب ساجدا ، فقال له سيف بن ذى يَزن : ارفع رأسَك ثَلج صدرك وعلا كعبك ، فهل أَحسَسْت بشىء مما ذكرتُه لك ؟ قال : نعم أَيها الملك إنه كان لى ابن وكنت به مُعْجَبا وعليه رفيقا وإنى زوَّجْته كريمة من كرائِم قومى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرة ، فجاءت بغلام فسمَّيْته محمدا مات أَبوه وأُمه وكفلته أنا وعمه .

فقال له سيف ابن ذى يزن:إن الذى قلت كما قلت فاحتفظ من ابنك واحذر عليه اليهود فإنهم له أَعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطْوِ ما ذكرتُه لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فإنى لست آمَن أَن تتداخلهم النَّفاسة من أَن تكون لهم[2] الرياسة ، فينْصبون له الحبائلَ ويَبْغون له الغوائل ، وهم فاعلون ذلك أَو أَبناؤهم غير شك ، ولولا أَنى أَعلم أَن الموت مُجْتاحِى قبل مَبْعثه لسِرْت بخيلى ورَجِلى حتى أَصِير بيثرب دار ملكه[3] فإنى أَجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق أَن بيثرب استحكامَ أَمره وأَهلَ نصرته وموضع قبره ، ولولا أَنى أَقِيه من [4]الآفات وأَحذر عليه العاهات لأَعلنت على حداثة سِنِّه أَمرَه ولأَوطأْت على أَسنان العرب كَعْبه ، ولكنى سأَصْرف ذلك إليك عن غير تقصير بمن معك .

ثم دعا بالقوم وأَمَر لكل واحد منهم بعشرة أَعْبد سودَ وعشرة إماء سود وحلَّتين من حُلَل البرود ، وعَشْرة أَرطال ذهب وعشرة أَرطال فضة ومائة من الإبل ، وكَرِش مملوءا عنبرًا ، وأَمر لعبد المطلب بعشرة أَضعاف ذلك . ثم قال : إذا حال الحولُ فأْتنى بخبره وما يكون من أَمره .

---

(١) وتروى : على النصب . بالصاد .

(٢) كذا . ولعلها لكم . كما فى المراجع .

(٣) ت م : دار ملكى . محرفة .

(٤) ليست فى ط .

قال : فمات سيف بن ذى يَزن قبل أن يَحُول عليه الحول .

قال : وكان كثيرا ما يقول عبد المطلب : يا معشر قريش لا يَغْبطنى رجْل منكم بجزيل عطاء الملِك وإن كَثُر فإنه إلى نفاد ، ولكن لِيَغْبطنى بما يَبْقى لى ولِعَقِبى ذِكْره وفَخْره . فإذا قيل : وما هو ؟ قال : سيُعْلم ما أقول ولو بعد حين[1] .

قال البيهقى – رحمه الله تعالى : وقد روى هذا الحديث أيضا عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله تعالىٰ عنهما .

تفسير الغريب

بلاؤه : أى إحسانه . مُرْتفقًا : أى متكئًا أو من الرِّفْق .

غُمْدان بضم الغين المعجمة : قصر باليمن . مِحْلَالا من الحلول ويروى مِهْلالا[2] أى متهلِّلا . شالَتْ نَعامتهم : قال فى النهاية : النعامة : الجماعة إذا تفرقوا . وفى الصحاح : يقال للقوم إذا ارتحلوا عن مياههم أو تفرّقوا : قد شالَتْ نَعامتهم .

متضمِّخ : متلطخ . العَبِير بعين مهملة فباء موحَّدة فمثناة تحتية : نوع من الطيب . يَلْصف بالصاد المهملة والفاء : مضارع لَصَف لَصْفا ولَصيفًا إذا بَرق . الوَبِيص: البَرْق أيضا . المقَاول : جمع قَيْل وهو الملِك من ملوك حِمْير ، دون الملك الأعظم . شامخًا : مرتفعا . باذِخًا بالذال والخاء المعجمتين : أى عاليًا . الأَرُومة وزن الأَكُولة : الأَصل. الجُرْثومة بضم الجيم والثاء المثلثة الأَصل أَيضا . بَسَق : طال . أَبَيْتَ اللعن : أى أبيت أن تأْتى من الأُمور ما تُلْعن عليه[3] . فدَحَنا بفاء فدال فحاء مهملتين فنون مفتوحات . أَثْقلنا . السَّدَنة : بسين فدال مهملتين فنون : الخَدَمة . رِبَحْلاً : براء مكسورة فموحدة فحاء مهملة مفتوحة[4] : الكثير العطاء .

أَهلُ الليل والنهار : أى لا يُحْجَبون ليلاً ولا نهارا . الحِبَاء بكسر الحاء المهملة وبالمد : العطاء . احتجَبْناه بحاء مهملة فمثناة فوقية فجيم فتحتية فنون أى اكتتَمْناه . أَبْتُ بكسر

---

(١) خبر سيف بن ذى يزن فى الاكتفاء ١/١٧٨ ، ودلائل النبوة لأبى نعيم ٥٦ ، والوفا ١/١٢٢ ، وسيرة ابن كثير ١/٣٣٤ ، والخصائص ١/٢٠٢ .

(٢) روى البيت فى ص ١٤٦ ، وفيه مهلالا مكان محلالا ، وإذا كان ينبغى أن تكون محلالا هى الرواية الأخرى .

(٣) ت م : عليها .

(٤) يجعلها فى القاموس على وزن قطر ، فالحاء ساكنة.

أوله . رجعت . سارّه إياى : أى مُسَارِرَتِه لى . النُّقُب بضم النون جمع نَقْب وهو الطريق . الزَّعامة بفتح الزاى : أى السيادة .

عن عُرْض : بضم العين المهملة أى لا يُبَالون من لَقَوْا دونه ولا يخافون أحدًا بل يضربون كلَّ من عرَض لهم دونه بشَرّ . وعُرْض الشئ ناحية منه . علاَ كعبُك : هو دعاء له بالشرف والعلوّ ، والأصل فيه كَعْب القناة وهو أُنبوبتها ، وما بين كل عقدتين منها كعب ، وكل شئ علا وارتفع فهو كعب .

مُجْتاحى بجيم فمثناة فوقية وحاء مهملة : أى مُسْتأْصلى ومُهْلكى .

ورَوى أبو نُعَيْمْ عن طريق محمد بن عمر الأَسْلَمى عن شيوخه . قالوا : بينما عبد المطلب يومًا فى الحِجرْ وعنده أَسْقُفّ نجران ، وكان صديقاً له وهو يحادثه ويقول : إنا نجد صفةَ نبي بَقِى من ولد إسماعيل ، هذا البلد مَوْلِده ، من صفته كذا وكذا . وأتى رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فنظَر إليه الأسْقُفّ وإلى عينه وإلى ظهره وإلى قدميه فقال : هو هذا ، ما هو منك ؟ قال : ابنى . قال : لا ، ما نجد أباه حيًّا . قال : هو ابن ابنى وقد مات أبوه وأمه حبلى به[1] . فقال : صدقتَ . قال عبد المطلب لبَنِيه : تحفَّظوا بابن أخيكم ، ألا تسمعون ما يقال فيه[2] .

والأحاديث والآثار فى هذا الباب كثيرة وفيما ذكر كفاية [3] .

---

(١) ت م : فيه . (٢) ليس فى دلائل النبوة لأبى نعيم المطبوع .

(٣) وأكثر هذه الآثار لا يرجع إلى أصل صحيح وخاصة ما ينتسب إلى الكهان .

الباب العاشر

فى بعض منامات رئيت تدل على بعثته صلى الله عليه وسلم

رَوى أَبو نُعَيمْ من طريق أَبى بكر بن عبد الله بن أَبى الجَهْمِ عن أَبيه عن جده قال : سمعت أَبا طالب يحدِّث عن عبد المطلب قال : بينما أَنا نائم فى الحجْر رأَيت رؤيا هالتنى ففزعت منها فزعًا شديدا فأَتيت كاهنة قريش [وعلىَّ مِطْرف خَزّوجمَّتى تضرب منكبى[1]] فقلت لها إنى رأَيت الليلة كأَن شجرةً نبتَت قد نال رأْسُها السماء وضربت بأَغصانها المَشْرِق والمغرب وما رأَيت نورا أَزْهَر منها ، أَعظم من نور الشمس بسبعين ضِعفا ، ورأَيتُ العربَ والعجمَ لها ساجدين وهى تَزْداد كلَّ ساعةٍ – عِظَما ونورا وارتفاعا ، ساعةً تَخْفَى وساعةً تظهر ، ورأَيت رَهْطا من قريش قد تعلقوا بأَغصانها ورأَيت قومًا من قريش يريدون قَطْعها فإِذا دَنْوا منها أَخَذهم شابٌّ لم أَر قط أَحسن منه وجهًا ولا أَطيبَ منه رِيحًا فيكسر أَظْهُرهم ويَقْلع أَعينهم، فرفعتُ يدى لأَتناول منها نصيبا فلم أَقْدر فقلت : لمن النصيبُ ؟ قال : النصيب لهؤلاء الذين تعلَّقوا بها . وسبَقوك . فانتبهتُ مذعورا . فرأَيت وجه الكاهنة قد تغيَّر ثم قالت : لئن صدَقتْ رؤياك لَيخرجنّ من صُلبك رجلٌ يَمْلك المشرقَ والمغربَ ويَدين له الناس . فقال عبد المطلب لأَبى طالب : لعلك أَن تكون [عم][2]هذا المولود .

فكان أَبو طالب يحدِّث بهذا الحديث والنبيُّ – صلى الله عليه وسلم – قد خرج ويقول : كانت الشجرة والله أَبا القاسم الأَمين . فيقال له : أَلا تؤمن به ؟ فيقول السُّبّة والعار[3] .

وذكر ابن ظَفَر أَن مَرْثَد بن عبد كَلاَل رأَى رؤيا أَخافته وأَذْعَرته وهالَتْه فى حال منامه فلما انتبه نَسِيها حتى ما يذكر منها شيئا ، ثم إنه أَحضر الكُهّان فجعل يخلو بكاهن كاهن ثم يقول : أَخبرنى عمّا أُريد أَن أَسأَلك عنه . فيجيبه الكاهن بأَنه لا علم عنده عنها .

---

(١) من دلائل النبوة لأبى نعيم .

(٢) من الوفا .

(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم ٦٠ ، والوفا ١/٧٩ ، والخصائص ١/٩٨ .

فلم يكن عند واحد منهم جوابها ، ثم إنه خرج يتصيَّد بعد ذلك فأَوْغل فى طلَب الصيد وانفرد عن أَصحابه ، فرُفِعت له أَبياتٌ فى ذَرَى جبل فقصد بيتًا منها ، فبرزت له عجوز فقالت له : بالرَّحْب والسَّعَة والجَفْنة المدْعْدعَة والعُلْبة المُتْرَعة . فنزل فلما احتجب عن الشمس نام فلم يستيقظ حتى تصرَّم الهَجِير ، فإذا بين يديه فتاة لم ير مثلها جمالا فقالت له : أَبيتَ اللعن أَيها الملك الهُمَام هل لك فى الطعام ؟ فخاف على نفسه لمّا رأَى أَنها عرفته فقالت : لا حَذر فداك البشَر . وقرَّبت إليه ثَرِيدًا وقامت تَذُبُّ عنه حتى انتهى أَكله ، ثم سقَتْه لبنا صَرِيفا وضَرِيبا ، فشرب ما شاء وجعل يتأَملها مُقْبلة ومُدْبرة فملأَت عينيه حُسْنا وقلبَه هوًى فسأَلها عن اسمها فقالت : عفيراء . فقال : يا عفيراء من الذى دعَوْتِيه بالملِك الهُمَام؟ فقالت: مَرْثَد العظِيم الشأْن حاشر الكواهن والكُهّان ، لمُعْضلة بَعِل بها الجان . قال يا عُفَيْراء أَتعلمين ما تلك المعضلة ؟ فقالت : نعم أَيها الملِك ، إنّها رؤيا منام ليس بأَضغاث أَحلام ، رأَيت أَعَاصير زَوَابع يعضها لبعض تابع ، فيها لهَب لامع ، ولها دُخَان ساطع يَقْفوها نهر مُتَدافِع رَوِى جارعٌ وغرق كارِع ، وسمعت فيها[1] أَنت سامع دعاء ذى جَرْس صادع هلموا إلى المَشَارِع . قال الملك : نعم هذه رؤياى[2] فما تأْويلها ؟ قالت : الزَّوابع :ملوكٌ تَتَابع. والنَّهر : عِلْم واسع . والداعى : نبىٌّ شافع . والجارِع : ولىٌّ له تابع . والكارِع : عدوّله مُنازِع فقال الملك : أَسِلْم هذا النبىّ أَم حَرْب؟ فقالت: أُقسم برافع السماء ومن أَنزل الماء من العماء إنه لَمُبْطِل الدماء ومُنْطق العقائل نُطْق الإماء . قال الملك : إلى ماذا يدعو ؟ قالت : إلى صيامٍ وصلاة وصلة أَرحام ، وكَسْر أَصنام ، وتعطيل أَزْلام ، واجتناب آثام . قال الملك : من قومُه ؟ قالت : مُضَر بن نِزَار ولهم نَقْع مُثَار يُجلَّى عن قَتْلٍ وإسَار . قال : ياعُفيراء إذا ذبَح قومَه فمن[3] أَعْضادُه ؟ قالت : أَعضاده غَطَاريف يَمَانُون طائِرهم به مَيمْون يعزّبهم فيعزُّون ويدمِّث بهم الحُزون[4] وإلى نَصْر يَعْتَزُون .

فأَطرقَ الملك يُؤامر نفسه فى خطبتها فقالت[5] أَبيت اللعن إن تابِعى غَيُور ، ولأَمرى صَيّور وناكِحى مَقْبور ، والكَلِف بى تَبُور .

فنهض الملك مبادرا فجال فى صهوة جواده وانطلق فبعث إليها بمائة ناقة كَوْماء .

---

(١) ت م : فيها . محرفة .   (٢) ط : هذه رؤيا .   (٣) ت م : من . تحريف .
(٤) ت م : ولا يدمن بهم المحزونون . محرفة .   (٥) ت م : قالت .

تفسير الغريب

أَوْغَل فى طلب كذا : تابَع[1] فى ذلك . والوغول : الدخول فى الشيء بالقوة .

الذَّرَى : بوزن الحصَى : كل ما يستتر به الشخص . والذِّرْوة بالكسر والضم من كل شئ أعلاه .

والجَفْنة المُدَعْدَعة : هى التى مُلئت ثم حُرّكت حتى تراصَّ ما فيها ثم ملئت بعد ذلك والعلبة المتْرعة : هى إناء من جلد والإتراع : الامتلاء .

الأَرْواح : الرياح . الصَّرِيف : اللبن المحْض يحلب أوان الحلاَب يُصْرف عن الضرع إلى الشارب . الضَّريب من اللبن . الرائب يُحلب عليه فيَسْتضرب أى يَغْلظ .

بَعِل بها الجانّ : بفتح الباء وكسر العين المهملة بعدها لام ، قال فى النهاية : بَعِل بالأَمر إذا دَهِش .

أَعاصير زوابع : هى من الرياح ما يثير الترابَ فيُعْليه فى الجو ويثيره . ساطع : مرتفع .

الجَرْس : الصوت . المشَارع : المَداخل إلى النهر .

رَوِىَ جارع : أى من شرب منه جَرْعاً رَوِىَ . وغَرِق كارع : أى من أَمعَن غَرِق .

تَتَابع : جمع تُبّع ، وهو لقب كان لملوك اليمن وهو من الاتباع ، لأَن بعضهم كان يتبع فى المُلْك والسِّيرة بعضا . والتُّبع زعموا أنه اسم للظل[2] .

العَماء : الغيم والغمام . العقائل : الكرائِم من النساء يَسْبيهنّ فيَشْدُدْن النُّطُق على أوساطهن للمِهْنة والخدمة . النَّقْع : الغبار يثيره المتحاربون والخيل وغيرها .

الأَعضاد : الأَنصار : الغَطَاريف : السادة والتغطرف : التكبّر .

يدمّث : يسهل ، يَعْتزون : ينتسبون .

يُؤَامر نفسَه : هكذا يقال ويراد به يُعارض الرأْيين المتضادّين فى النفس .

ولأَمرى صَيّور : أَى عاقبة يَصير إليها ، يقولونه على جهة التعظيم .

جال : وثب . الصَّهْوة : مقعد الفارس من ظهر الفرس . كَوْماء : عظيمة السَّنَام .

* * *

وروى ابن سعد وابن الجوزى عن أُم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص رضى الله

---

(١) ت م : بالغ .

(٢) ت م : انتفاء الظلم . محرفة .

تعالى عنها قالت ، قبيل مَبْعث النبي صلى الله عليه وسلم : كان خالد بن سعيد بن العاص ذات ليلة نائما فقال : رأيت كأنه قد غَشِيَتْ مكةَ ظُلْمة عظيمة حتى لا يُبْصر امرؤ كفَّه ، فبينما هو كذلك إذ خرج نور من زمزم ثم علا فى السماء فأَضاء فى البيت ، ثم أضاءت مكة كلها[1] ثم ضرب إلى نخل يَثْرب فأَضاءها حتى إنى لأَنظر إلى البُسر فى النخل . فاستيقظتُ فقَصصْتها على [أخى][2] عمرو بن سعيد وكان جَزْل الرأى فقال : يا أخى إن هذا لأَمر يكون فى بنى عبد المطلب ، أَلاَ ترى أنه خرج من حُفْرة أَبيهم .

قال خالد : فإنه[3] لمِمّا هدانى الله للإسلام. قالت أُم خالد : فأَول من أسلم ابنى وذلك أنه ذكر رؤياه لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال يا خالد : أَنا والله ذلك النور وأَنا رسول الله . فقصَّ عليه ما بعَثه الله به فأَسلم خالد وأَسلم عمرو بعده[4] .

ورَوى ابن سعد عن حرام بن عثمان الأَنصارى ــ رضى الله تعالى عنه ــ قال : قدِم أَسْعد بن زُرَارة من الشام تاجرا فى أَربعين رجلا من قومه ، فرأَى رؤيا أن آتياً أَتاه فقال : إن نبيّا يخرج بمكة يا أَبا أُمامة فاتبعه وآية ذلك أَنكم تنزلون منزلا فيصاب أَصحابك فتنجو أَنت وفلان يُطعن فى عينه . فنزلوا منزلا فبيّتهم فيه الطاعون فأُصيبوا جميعا غير أَبى أُمامة وصاحب له طُعن فى عينه[5] .

وروى أَيضا وابنُ الجوزى ، عن عمرو بن مُرّة الجُهَنىّ رضى الله تعالى عنه قال : خرجتُ حاجّا[6] فى جماعة من قومى فى الجاهلية فرأَيت فى المنام وأَنا بمكة نورا ساطعا [خرج من الكعبة حتى أَضاء لى][7] من الكعبة إلى جبل يثرب وأَشْعر جُهَيْنة فسمعت صوتا فى النور وهو يقول : انقشعت الظُّلَم وسَطع الضياء وبُعث خاتم الأَنبياء . ثم أَضاء إضاءةً أُخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأَبيض المدائن فسمعت صوتا فى النور وهو يقول : ظهر الإسلام وكُسرت الأَصنام ووُصلت الأَرحام .

فانتبهتُ فَزِعاً فقلت لقومى : والله لَيحْدثنّ فى هذا الحىّ من قريش حدَث . وأَخبرتهم

---

(١) ت م : ثم أضاء فى مكة كلها .
(٢) من الوفا .
(٣) الأصل : لما وما أثبته من الوفا
(٤) الوفا ١/٨٠ ، وطبقات ابن سعد ١/١٠٩ .
(٥) طبقات ابن سعد ٣ قسم ٢ ص ١٣٩ (ط ليدن) .
(٦) ت م : فى حاجة .
(٧) من الوفا .

بما رأيت . فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنا خبر أن رجلا يقال له أحمد قد بُعث . فخرجت حتى أتيته فأخبرته بما رأيت فقال : ياعمرو بن مرة أنا النبي المرسل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الإسلام وآمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام وعبادة الله ورفض الأصنام وحج بيت الله وصيام شهر رمضان [شهر][1] من اثنى عشر شهرا ، فمن أجاب فله الجنة ومن عصى فله النار ، فآمِنْ بالله ياعمرو بن مرة يؤمنك الله من هول جهنم . فقلت يارسول الله ، آمنتُ بما جئتَ به من حلال وحرام . ثم أنشدته أبياتا قلتها حين سمعت به وهى :

شهدتُ بأنَّ الله حقٌّ وأننى
لآلهة الأصنام[2] أولُ تاركِ
لأَصْحَبَ خيرَ الناسِ نَفْساً ووالداً
رسول مليك الناسِ فوق الحبائك[3]

وروى أبو نُعَيْم عن كعب ووهب بن مُنَبّه رحمهما الله تعالى قالا : رأى بُخْتَنَصَّر فى منامه رؤيا عظيمة أفزعته فلما استيقظ أُنْسِيها ، فدعا كهنته وسَحرته فأخبرهم بما أصابه من الكَرْب فى رؤياه وسألهم أن يَعْبُروها له ، فقالوا : قُصَّها علينا . فقال[4] : قد نسيتُها . قالوا : فإنا لانَقْدر على تأْويلها حتى تقصّها . فدعا دانيالَ فأخبره [بها][5] فقال إنك قد رأيت صنما[6] عظيما رِجْلاه فى الأرض ورأسه فى السماء أعْلاه من ذهب ووسطه من فضة وأسفله من نحاس وساقاه من حديد ورجلاه من فَخَّار ، فبَيْنا أنت تنظر إليه قد أَعجبك حُسنه وإحكام صنعته قذَفه الله بحجر من السماء فوقع على قُنَّة رأسه ، قذفه حتى طحَنه فاختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخَّاره ، حتى تخيّل إليك أنه لو اجتمع الإنس والجن على أن يميّزوا بعضه من بعض لم يقدروا على ذلك ولو هبَّت ريحٌ لأَذْرته ، ونظرتَ إلى الحجر الذى قُذف به يَرْبو ويَعْظم وينتشر حتى ملأَ الأَرض كلَّها ، فصرتَ لاترى إلا السماء والحجر .

---

(١) من الوفا . (٢) الوفا : لآلهة الأحجار .
(٣) الوفا ٨١/١ ، وهو هناك بتمامه ، وسيرة ابن كثير ٣١٤/١ نقلا عن الطبرانى فى الكبير .
(٤) ط : قال .
(٥) ليست فى ط .
(٦) ط : رأيت ثوراً عظيما .

قال بُخْتَنصَّر : صدقت ، هذه الرؤيا التى رأيتُها فما تأْويلها ؟ قال : أَمّا الصنم . فأُمم مختلفة فى أَول الزمان وفى وسطه وفى آخره . وأَما الحجَر الذى قَذف الله به الصنَم فدين الله تعالى يقذف به هذه الأُمم فى آخر الزمان ليُظْهره عليها ، فيبعث الله تعالى نبيًّا أُميًّا من العرب فيدوّخ الله تعالى به الأُمم والأَديان كما رأَيت الحجرَ دوَّخ أَصناف الصنم ، ويظهر على الأَديان كما رأَيت الحجر ظهر على وجه الأَرض[1] .

قال فى الصحاح : داخ البلاد يَدُوخها قهرها واستولى على أَهلها وكذلك دوَّخ البلاد .

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم ٤٥ ، والخصائص الكبرى ١/٦٠ .

الباب الحادى عشر

فيما وجد من صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مقرونةً بصور الأنبياء قبله صلى الله عليه وسلم

روى البيهقى وأبو نعيم عن هشام بن العاص رضى الله تعالى عنه قال : بُعثت أنا ورجل[1] من قريش زمنَ أبى بكر الصديق رضى الله عنه إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام ، فخرجنا حتى قدِمْنا الغُوطة ، يعنى دمشق ، فنزلنا على جبَلة بن الأَيْهم الغَسّانى ، فدخلنا عليه وإذا هو على سرير له ، فأَرسل إلينا برسول نكلمه ، فقلنا : والله إنا لانكلم رسولا إنما بُعثنا إلى الملِك فإن أذن لنا كلَّمناه وإلا لم نكلم الرسول . فرجع إليه الرسول فأَخبره فأَذِن ، فكلمه هشام ودعاه إلى الإسلام وإذا عليه ثيابٌ سُود ، فقال له هشام : ما هذه الثياب التى عليك ؟ قال : لبستُها وحلفتُ أَن لاأَنْزعها حتى أُخرجكم من الشام . فقلنا[2] : ومجلسَك هذا والله لنأْخذنَّه منك ولنأْخذن ذلك الملك الأَعظم إن شاء الله تعالى ، أَخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم . [قال : فأَنتم إذاً السمراء . قلنا : السمراء ؟][3] قال لستم بهم هم قوم يصومون بالنهار ويفطرون بالليل ، فكيف صومكم ؟ فأَخبرناه فملئ وجهه سواداً فقال : قوموا. وبعث معنا رسولا إلى الملك ، فخرجنا حتى إذا جاء بقُرْب المدينة قال الذين أرسلهم معنا : إن دوابكم هذه لاتدخل المدينة فإن شئتم حَمَلْناكم على براذين أَو بغال . فقلنا : والله لا ندخل إلا عليها . فأَرسلوا إلى الملك بذلك بأَنهم يأْبَوْن . فدخلنا على رَوَاحلنا متقلِّدين سيوفنا حتى انتهينا إلى غرفة له فأَنخنا فى أَصْلها وهو ينظر إلينا ، فقلنا : لا إله إلا الله والله أَكبر . فلقد تنفَّضت الغرفة حتى صارت كأَنها عِذْق تَعْصفه الرياح . ثم دخلنا عليه فقال : ما كان عليكم لو جئتمونى بتحيتكم فيما بينكم ؟ قلنا : إن تحيتنا فيما بيننا لا تحلّ لك وتحيتك التى أَنت

---

(١) فى دلائل النبوة لأبى نعيم ١٨ : أن هشام بن العاص ، ونعيم بن عبد الله ، ورجلا آخر قد سماه بعثوا إلى ملك الروم

(٢) ط : قلنا .

(٣) من دلائل النبوة لأبى نعيم ١٩ .

بها لا يَحل لنا أن نحيِّيَك بها . قال : كيف تحيتكم ؟ قلنا : السلام . قال: كيف تحيّون مَلِككم . قلنا : بها . قال : وكيف يردّ عليكم ؟ قلنا : بها . قال : فما أَعظمُ كلامكم ؟ قلنا : لا إله إلا الله والله أكبر . فلما تكلمنا بها تنفَّضت الغرفة حتى رفع رأسه إليها . قال : فهذه الكلمة التى قلتموها حيث تنفَّضت الغرفة كلما قلتموها فى بيوتكم تنفضت هكذا ؟ قلنا : لا. وما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك . قال : ودِدْت أنكم كلما قلتم تنفَّض عليكم كلُّ شئ وأنى خرجت من نصف مُلكى . قلنا لم ؟ قال : لأَنه كان أَيْسَر لشأْنها وأَجدر أن لا يكون من أَمر النبوة وأن يكون من حِيَل الناس .

ثم سأَلنا عمّا أَراده فأَخبرناه. قال : قوموا . فقمنا فأَمر لنا بمنزل حسَن ونُزل كثير، فأَقمنا ثلاثا ثم أَرسل إلينا ليلا فدخلنا عليه فاستعاد قولنا فأَعدناه ثم دعا بشئ كهيئة الربعة العظيمة مُذَهَّبة فيها بيوت صِغَار عليها أَبواب ، ثم فتح[1] بابا فاستخرج حَرِيرة سوداء فنشرها فإذا فيها صورة حمراء وإذا فيها رجل ضخم العينين عظيم الأَليتين لم أَر مثل طول عنقه وإذا ليست له لحية وإذا له ضفيرتان أَحسن ما خلق الله تعالى. فقال : أَتعرفون هذا ؟ فقلنا : لا. قال : هذا آدم عليه الصلاة والسلام وإذا هو أَكثر الناس شعرا، ثم فتح بابا آخر واستخرج منه حريرة سوداء وإذا فيها صورة بيضاء وإذا فيها رجل ذو شعر كشعر القطط أَحمر العينين ضخم القامة حسن اللحية قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا. قال: هذا نوح . ثم فتح بابا آخر واستخرج منه حريرة سوداء وإذا فيها رجل شديد البياض حسن العينين صَلْت الجبين طويل الخدين أَبيض اللحية كأَنه يتبسم ، فقال : أَتعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا إبراهيم . ثم فتح بابا آخر واستخرج منه حريرة سوداء وإذا فيها صورة بيضاء وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال : أَتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم ، هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بكينا. فوالله لقد قام لها قائما ثم جلس وقال : والله إنه لهو ؟ قلنا : نعم إنه لهو . فأَمسك ساعة ثم قال : أَما إنه آخر البيوت ، ولكن عجَّلْته لأَنظر أَتعرفون ذلك أَم لا . ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فإذا فيها صورة أَدْماء شحماء وإذا رجل جَعْد قَطط غائر العينين حديد النظر عابس مُتراكب

(١) ط : ثم انفتح.

الأسنان مُقلَّص الشفة كأنه غضبان . فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا موسى ابن عمران . وإلى جنبه صورة تشبهه إلا أنه مُدْهانٌّ الرأس عريض الجبين فى عينيه قَبَل ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا هارون . ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل آدم سبْط ربْعة كأنه غضبان . فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا لوط . ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة فإذا فيها صورة رجل مشرب بحمرة أقنى الأنف خفيف العارضين حسن الوجه. قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا إسحاق، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة تشبه إسحاق إلا أنه على شفتيه[1] خال. فقال[2] : هل تعرفون هذا؟ قلنا : لا. قال: هذا يعقوب ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فإذا فيها صورة رجل أبيض حسن الوجه أَقْنَى الأنف حسن القامة يعلو وجهه نور يعرف فى وجهه الخشوع يقرب إلى الحمرة . فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا: لا . قال : هذا إسماعيل جَدّ نبيكم، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة كأنها صورة آدم كأن وجهه الشمس فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال: هذا يوسف عليه الصلاة والسلام . ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة رجل أحمر حَمِش الساقين أخفش العينين ضخم البطن ربعة متقلد سيفا قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا داود . ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة رجل متخم الأليتين طويل الرجلين راكب فرسا ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا سليمان عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء وإذا رجل شابٌّ شديد سواد اللحية كثير الشعر حسَنُ الوجه فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا عيسى بن مريم . قلنا : من أين لك هذه الصور لأنَّا نعلم أنها صورّت على ما صورت عليه الأنبياء لأنا رأينا صورة نبيِّنا صلى الله عليه وسلم مثله[3] فقال : إن آدم صلى الله عليه وسلم سأل ربَّهُ أن يريه الأنبياء من ولده فأنزل عليه صُوَرهم وكانت فى خزانة آدم عند مَغْرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين فدفعها إلى دانيال .

ثم قال : أمَا والله وددت أن نفسى طابت بالخروج من مُلكى وأنى كنت عبداًالأشرّكم مِلْكةً حتى أموت . ثم أجازَنا فأحسن جائزتنا وسرّحنا .

(١) ط : على شفته . (٢) ط : قال . (٣) ت م : شمله .

فلما أتينا أبا بكر رضى الله تعالى عنه أخبرناه بما رأيناه وبما قال لنا فبكى أبو بكر وقال : مسكين ! لو أراد الله تعالى به خيرا لفعل . ثم قال : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اليهود يجدون نَعْت محمد صلى الله عليه وسلم عندهم[1]

ورَوى ابن عساكر نحوه عن دِحْية - رضى الله تعالى عنه وذكر ابن ظَفَر فى « خَيْر البِشَر » نحوه عن حَكيم بن حِزَام رضى الله تعالى عنه .

ورَوى البخارى فى التاريخ والبيهقى عن جُبَيْر بن مُطْعِم - رضى الله تعالى عنه - قال : لما بعَث الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - وظهر أمرُه بمكة . خرجتُ إلى الشام فلما كنت ببُصْرَى أتتنى جماعةٌ من النصارى فقالوا : أمِن الحرم أنت ؟ قلت : نعم . قال : أفتعرف هذا الذى تنبَّأَ فيكم ؟ قلت : نعم . قال : فأخذوا بيدى وأدخلونى دَيرًا فيه تماثيل وصُوَر فقالوا : انظر هل ترى صورته ؟ فنظرت فإذا أنا بصورة النبى - صلى الله عليه وسلم - وإذا أنا بصفة أبى بكر وصورته وهو آخذ بعَقِب النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : هل ترى صفته ؟ قلت : نعم . قالوا : هو هذا ، وأشاروا إلى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : اللهم نعم ، أشهد أنه هو . قالوا : أتعرف هذا الذى أخذ بعَقِبه ؟ قلت : نعم . قالوا : نشهد أن هذا صاحبكم وأن هذا الخليفة من بعده[2] .

تفسير الغريب

تنفضت الغرفة بالفاء والضاد المعجمة : أى تحرَّكت .

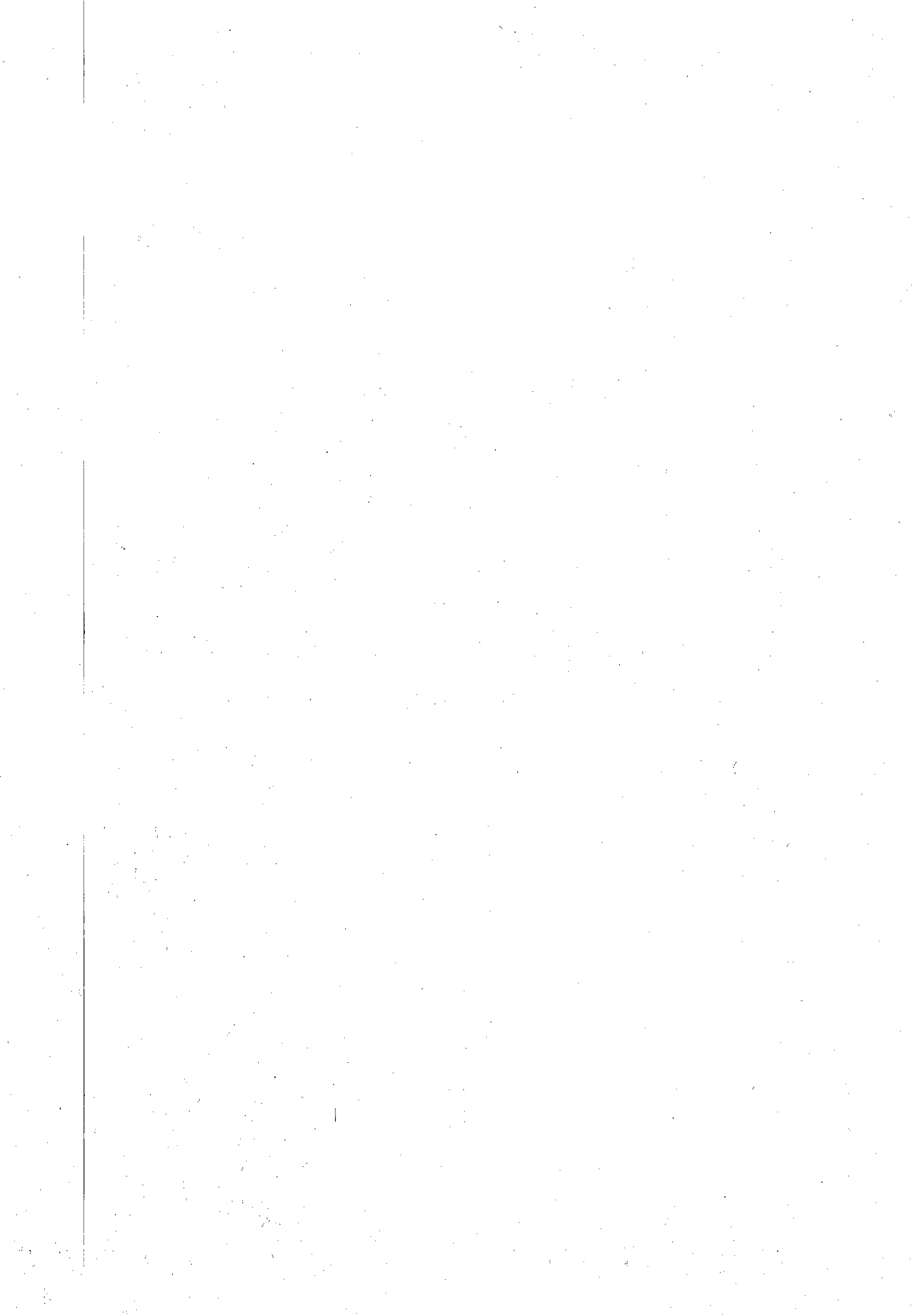
صَلْت الجَبِين : أى واسعه . وقيل : الصَّلْت: الأملس .وقيل : البارز . قاله فى النهاية . وفى الصحاح : هو الواضح .

وصورة أدْماء : أى سمراء . شحماء : سوداء.وشعر جَعد:ضد السبط ، فإن وصف بالقَطَط بفتحتين فهو شديد الجعودة كشعر السودان .

وفى عينيه قَبَل : بفتح القاف والباء وهو إقبال السواد على الأنف . وشَعْرٌ رَجْل بفتح الراء وكسر الجيم وفتحها وسكونها . وسَبْط بفتح أوله وسكون ثانيه وكسره وفتحه : هو المسترسل . ورَبْعة :براء مفتوحة وموحدة ساكنة :أى مربوع الخلق لا قصير ولا طويل . وحَمِش الساقين بحاء مهملة وشين معجمة دقيقهما . وأخفش العينين : صغيرهما . والله أعلم .

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم ١٨ ، والخصائص الكبرى ١٢٧/٢ . (٢) الوفا ٥٦/١ .

جُماعُ أبوابِ بعضِ فضائلِ بلدهِ المنيف ومَسْقَطِ رأسِهِ الشّريف
زادَهُ اللهُ تعالى فَضْلاً وشَرَفاً



لمّا كان صلى الله عليه وسلم حاويًا للفضائل ومنه كَوْنُ بلد مولده صلى الله عليه وسلم أفضل من غيرها حَسُن ذكر بعض أخباره وفضائله - وأيضا فإن جماعة ممن ألف فى السِّير منهم أبو الرَّبيع [1] رحمه الله تعالى تعرَّضوا لبعض ذلك فتبعتهم والله تعالى أعلم .

الباب الأول

فى بدء أمر الكعبة المشرفة

« قال الله تعالى : « إنَّ أوّلَ بيتٍ وُضِع للناسِ لَلَّذى بِبَكَّة[2] » .

ورَوى ابنَ أبى شَيْبة والإمام أحمد وعَبْد بن حميد والشيخان وابن جَرِير والبيهقى فى الشُّعبَ عن أبى ذَرٍّ - رضى الله تعالى عنه - قال : « قلت يا رسول الله أىّ مسجد وضِع أوّلُ ؟ قال : المسجدُ الحرام . قلت : ثم أىّ ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم بينهما ؟ قال أربعون سنة[3] »

ورَوى ابن المنذر وابن أبى حاتم بإسناد صحيح عن على - رضى الله تعالى عنه - فى الآية قال : كانت البيوت قَبْله ولكنه أول بيت وضع لعبادة الله تعالى .

ورَوى ابن جرير عن الحسن فى الآية قال : إن أول بيت وضع للناس يعبد الله تعالى فيه لَلَّذى ببَكَّة .

ورَوى ابن أبى حاتم والأزْرقى عن كَعْب الأحْبار - رضى الله تعالى عنه قال : كان البيت غُثَاءً على الماء قبل أن يخلق الله تعالى الأرْض بأربعين عاما ومنه دُحِيت الأرض [4] .

---

(١) هو الكلاعى انظر ترجمته فى مقدمة هذا الكتاب .

(٢) سورة آل عمران : ٩٦ .

(٣) صحيح البخارى (١٨٩/٢ ط الأميرية) كتاب بدء الخلق باب (يزفون النسلان فى المشى) . وصحيح مسلم كتاب المساجد حديث رقم (١) (ط الحلبى) ، ومسند أحمد ١٥٠/٥ ، وسنن ابن ماجه ٢٤٨/١ حديث رقم ٧٥٣ ، كتاب المساجد ، باب أى مسجد وضع أول .

(٤) أخبار مكة للأزرقى ١/١ (ط مكة) سنة ١٣٥٢ هـ .

الغُثَاء كغُرَاب : ما جاء به السَّيْل من نبات قد يَبِس .

ورَوى ابن جَرِير وأَبو الشيخ فى العظمة ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : وُضع البيت على الماء على أَربعة أَركان قبل أَن تُخْلق الدنيا بأَلْفى عام ، ثم دُحِيت الأَرض من تحت البيت .

وروى عبد الرّزاق والأَزْرَق والجنْدىّ فى تاريخهما عن مجاهد – رحمه الله تعالى – قال : خلق الله تعالى موضعَ البيت الحرام من قَبْل أَن يخلق شيئاً من الأَرض بأَلْفى سنة وأَركانه فى الأَرض السابعة[1] . زاد عَبْد بن حُمَيْد : ودحيت الأَرض من تحت الكعبة .

وروى ابن جرير وابن المنذر والطبرانى والبيهقى فى الشُّعَب عن ابن عمر – رضى الله تعالى عنهما – قال : خلق الله تعالى البيت قبل الأَرض بأَلْفى سنة ، وكان إذ كان عرشه على الماء زبدة بيضاء ، وكانت الأَرض تحته كأَنها خَشفة ، فدحيت الأَرض من تحته .

الخَشَفة بمعجمتين : واحدة الخشَف وهى حجارة تنبت بالأَرض نباتا .ويروى : بحاء مهملة والعين بدل الفاء[2] ، وهى أَكَمة لاطئة بالأَرض والجمع خشف . وقيل : هو ما غلبت عليه السهولة ، أَى ليس بحجر ولا طين . ويروى حشفة بالحاء المهملة والفاء ، وهو اليابس الفاسد من التمر .

ورَوى ابن المنذر عن أَبى هريرة – رضى الله تعالى عنه قال : إن الكعبة خُلقت قبل الأَرض بأَلْفى سنة وهى من الأَرض إنما كانت خشفة على الماء عليها ملكان من الملائكة يسبِّحان ، فلما أَراد الله تعالى أَن يخلق الأَرض دحَاها منها فجعلها وسط الأَرض .

ورَوى البيهقى فى الشُّعَب عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَول بقعة وضعت فى الأَرض موضع البيت ثم مُدت منها الأَرض : وإن أَول جبل وضعه الله – تعالى – على وجه الأَرض أَبو قُبَيْس ثم مُدَّت منه الجبال » .

ورَوى ابن أَبى حاتم عن عطاء وعمرو بن دينار – رحمهما الله تعالى – قالا : بعث الله تعالى ريحا فسفقت الماء فأَبرزت موضع البيت على خشفة بيضاء فمدَّ الله تعالى الأَرض منها فلذلك هى أُمّ القرى .

---

(١) أخبار مكة ١/١ .

(٢) كذا فى النسخ ، ولم نعثر على مادة حشع فى المعاجم التى بين أيدينا . والظاهر أنها تحريف خشعة بضم فسكون وهى الأكمة اللاطئة بالأرض كما فى القاموس .

وروى ابن مردويه عن بريدة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمُّ القُرَى مكة» .

قال السُّهيلى رحمه الله تعالى : وفى التفسير أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ لما قال للسموات والأَرض (ائتِيَا طَوْعًا أَو كَرْهًا قالتَا أَتَيْنا طائِعين)[1] لم يجبه[2] بهذا إلا أرض الحرم[3] » .

وروى عَبْد بن حُمَيْد والأَزْرقىّ واللفظ له عن ابن عباس ــ رضى الله تعالى عنهما ــ قال : لمّا كان العَرش على الماء قبل أَن يخلق الله عز وجل السموات والأَرض بَعث الله ــ تعالى ــ ريحا صفَّاقة فصفقت الريحُ الماء فأَبرزت[4] عن حشَفة فى موضع البيت كأَنها قُبّة ،فدحا الله تعالى الأَرضَ من تحتها فمادَتْ ثم مادت فأَوْتَدها الله تعالى بالجبال ، فكان أَول جبل وضع فيها أَبو قُبَيْس فلذلك سميت [مكة][5] أم القرى[6]

سفَقْت يقال بالسين والصاد المهملتين : أَى ضُرب بعضه ببعض .

وروى الأَزرق من طريق ابن جُرَيْج عن مجاهد رحمه الله تعالى قال : بلَغنى أنه لمَّا خلق الله تعالى السموات والأَرض كان أَول شىء وضعه فيها البيت الحرام ، وهو يومئذ ياقوتة حمراء جَوْفاء لها بابان أَحدهما شرقىٌّ والآخر غربىٌّ ، فجعله مُسْتَقْبِل البيتِ المعمور ، فلما كان زمن الغرق رفع فى ديباجتين فهو فيهما إلى يوم القيامة واستودع الله تعالى الركنَ أَبا قُبَيْس[6]

ورَوى عبد الرزَّاق فى المصنَّف[7] وعبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء بن أَبى رباح ــ رحمه الله تعالى ــ قال : لما أَهبط الله تعالى آدم كان رجلاه فى الأَرض ورأْسه فى السماء يسمع أَهلُ السماء دعاءه فأَنِس بهم ، فهابت الملائكة منه حتى شكت إلى الله ــ تعالى ــ فى دعائِها وفى صلاتها فأَخفضه الله إلى الأَرض ، فلما فقدَ ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا إلى الله عز وجل ــ فى دعائه وفى صلاته فتوجَّه إلى مكة فكان موضع قدميه قرية وخطوه مفازة حتى انتهى إلى مكة ، وأَنزل الله ــ تعالى ــ عليه ياقوتة من ياقوت الجنة فكان على موضع البيت الآن فلم يزل يطاف به حتى أَنزل الله ــ تعالى ــ الطوفان فرفعت تلك الياقوتة .

---

(١) سورة فصلت ، الآية ١١ .
(٢) ص ت م : لم يجب .
(٣) الروض الأنف ١/١٢٨ .
(٤) ت م : فأبرزته تصحيف .
(٥) من أخبار مكة ١/٢ .
(٦) أخبار مكة ١/١٦ .
(٧) ص ت م : فى المصنف . وهكذا فى كل موضع يرد فيه ذكر كتاب المصنف لعبد الرزاق . والتصويب من ط .

وروى عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر من طريق معمر عن قتادة وابن المنذر والأزرق عن وهب بن منبه - رحمه الله تعالى - قال : وضع الله تعالى البيت مع آدم ، أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض وكان مهبطه بأرض الهند وكان رأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض ، وكانت الملائكة تهابه فنُقص إلى ستين ذراعا ، فحزن آدم إذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم . فشكا ذلك إلى الله تعالى فقال الله تعالى : ياآدم إنى قد أهبطتُ بيتاً يطاف به كما يطاف حول عرشى ويُصلَّى عنده كما يصلَّى عند عرشى فاخرجْ إليه . فخرج إليه آدم ومُدَّ له فى خطوه وقُبض له ما كان فيها من مَخاض أو بحر ، فجعله خطوة فلم يضع قدميه فى شىء من الأرض إلا صار عُمرانا وبركة حتى انتهى إلى مكة ، وكان قبل ذلك قد اشتد بكاؤه وحزنه لِمَا كان من عظم المصيبة حتى إن كانت الملائكة لَتبكى لبكائه وتحزن لحزنه ، فعزَّاه الله - تعالى - بخيمة من خيام الجنة وضعها الله - تعالى - له بمكة فى موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة ، وتلك الخيمة ياقوتة حمراء من ياقوت الجنة فيها ثلاث قناديل من ذهب فيها نور يلتهب من نور الجنة ، ونزل معها يومئذ الركن وهو ياقوتة بيضاء من رَبَض الجنة وكان كرسيا لآدم - صلى الله عليه وسلم - يجلس عليه ، فلما كان آدم - صلى الله عليه وسلم - بمكة حرسه الله - تعالى - له وحرس له تلك الخيمة بالملائكة . كانوا يحرسونها ويذودون عنها سكان الأرض ، وساكنوها يومئذ الجن والشياطين ولا ينبغى لهم أن ينظروا إلى شىء من الجنة ، والأرض يومئذٍ طاهرة طيبة نقية لم تنجس ولم يسفك فيها الدم[1] ولم يعمل فيها بالخطايا فلذلك جعلها الله تعالى مَسْكن الملائكة وجعلهم فيها كما كانوا فى السماء يسبِّحون الله -تعالى - بالليل والنهار لا يَفْترون ، وكان وقوفهم على أعلام الحرم صفًّا واحدا مُسْتديرين بالحرم كله ، الحِلُّ من خلفهم والحرم كله من أمامهم ، ولا يجوزهم جن ولا شيطان من أجل مقام الملائكة حُرِّم الحرم حتى اليوم . وكان آدم - صلى الله عليه وسلم - إذا أراد لقاء حوَّاء ليُلمّ بها لأجل الولد خرج من الحرم حتى يَلْقاها ، فلم تزل خَيْمة آدم مكانها حتى قُبض آدم ، ورفعها الله تعالى إليه[2] . وذكر الحديث .

---

(١) ت م : الدماء .

(٢) أخبار مكة ٦/١ .

تفسير الغريب

قال الحافظ رحمه الله تعالى : أولُ بضم اللام . قال أبو البقاء : وهى ضمة بناء لقطعه عن الإضافة مثل قبلُ وبعد ، والتقدير : أولُ كلِّ شيء ويجوز الفتح مصروفا وغير مصروف ثم أىّ : بالتنوين وتركه . وهذا الحديث يفسر المراد بقوله تعالى : « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلناسِ لَلَّذى بَبَكَّةَ) ويدل على أن المراد بالبيت بيت العبادة لا مُطْلَقَ البيوت وقد ورد ذلك صريحا عن علىّ - رضى الله تعالى عنه - أخرجه إسحاق بن راهويْه وابن أبى حاتم بإسناد صحيح عنه قال : كانت البيوت قَبْله ولكنه أول بيت وضع لعبادة الله تعالى .

وتقدم فى أول الباب وسيأتى الكلام على الأقصى فى الكلام على تفسير أول سورة لإسراء فى أبواب المعراج .

قوله : « أربعون سنة » قال ابن الجوزى : فيه إشكال ، لأن إبراهيم بنى الكعبة وسليمان بنى بيت المقدس ، وبينهما أكثر من ألف سنة . قال الحافظ رحمه الله تعالى : ومستنده فى أن سليمان هو الذى بنى المسجد الأقصى ما رواه النَّسائى من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص - رضى الله تعالى عنهما - مرفوعا بإسناد صحيح أن سليمان - صلى الله عليه وسلم - لـما بنى بيت المقدس سأل[1] الله تعالى خلالا ثلاثا . الحديث .

وفى الطبرانى من حديث رافع بن عُمَيْر أن داود - عليه الصلاة والسلام - ابتدأ بناء بيت المقدِس ، ثم أوحى الله - تعالى - إليه : إنى لأقضى بناءه على يد سليمان . وفى الحديث قصة .

قال ابن الجوزى - رحمه الله تعالى : والجواب : أن الإشارة إلى أوّل البناء ووضع أساس المسجد وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس ، فقد روينا [أن] أول من بنَى الكعبة آدم ثم انتشر ولده فى الأرض فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس ثم بنى إبراهيم الكعبة بنصّ القرآن . وكذا قال القرطبى : إن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان عليهما الصلاة والسلام لمّا بنيا المسجدين ابتدآ وضعهما لهما بل ذلك تجديد لـما كان غيرهما أسّسه .

---

(١) ت م : من مال الله تعالى . محرفة .

قال الحافظ : وقد مشى ابن حبان فى صحيحه على ظاهر هذا الحديث فقال : فى هذا الخبر رَدٌّ على من زعم أن بين إسماعيل وداود – عليهما الصلاة والسلام – ألف سنة ولو كان كما قال لكان بينهما أربعون سنة وهذا عَيْن المحال لطول الزمان بالاتفاق بين بناء إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – البيتَ وبين موسى – عليه الصلاة والسلام . ثم إن فى نص القرآن أن قصة داود فى قتل جالوت كانت بعد موسى بمدة .

وقد تعقَّبه الحافظ ضياء الدين المقْدِسى بنحو ما أجاب به ابن الجوزى .

قال الخطَّابى : يُشْبه أن يكون المسجد الأقصى أول ما وضع ، بناه بعض أولياء الله تعالى قبل بناء داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ، ثم داود وسليمان ، فزادا فيه وسْعاً فأُضيف إليهما بناؤه . قال : وقد يُنسب هذا المسجد الأقصى إلى إيلْيَاء ، فيحتمل أن يكون هو بانيه أو غيره ولست أحقِّق لِمَ[1] أضيف إليه .

قال الحافظ : الاحتمال الذى ذكره أولا موجّه . وقد رأيت لغيره أن أول من أسس المسجد الأقصى آدم صلى الله عليه وسلم . وقيل : الملائكة عليهم الصلاة والسلام وقيل : سام بن نوح – صلى الله عليهما وسلم – وقيل : يعقوب صلى الله عليه وسلم . فعلى الأولين يكون ما وقع ممن[2] بعدهما تجديداً كما وقع فى الكعبة . وعلى الأخيرين يكون الواقع من إبراهيم صلى الله عليه وسلم أو يعقوب – صلى الله عليه وسلم – أصلاً وتأسيسا ، ومن داود – صلى الله عليه وسلم – تجديدا لذلك أو ابتداء بناء ، فلم يَكْمل على يديه حتى كمَّله سليمان ، لكن الاحتمال الذى ذكره ابن الجوزى أوْجَه . وقد وجدت ما يشهد له . ويؤيده قولُ من قال : إن آدم هو الذى أسس كلاًّ من المسجدين .

وذكر ابن هشام فى كتاب التيجان أن آدم لما بنى الكعبة أمَره الله تعالى بالمسير إلى بيت المقدس[3] وأن يبنيه فبناه ونسَك[4] فيه[5] . وبناء آدم البيت مشهور .

وقيل إنه لما صلى إلى الكعبة أُمر[6] بالتوجه إلى بيت المقدس فاتخذ فيه مسجدا

---

(١) ت م : بم .
(٢) ت م : من بعدهما .
(٣) فى التيجان لابن هشام : بالسير إلى البلد المقدس فأراه جبريل كيف يبنى بيت المقدس .
(٤) ت م : وأنسك . محرفة .
(٥) التيجان ١٤ .
(٦) ت م : أمره .

وصلى فيه ليكون قبلة لبعض ذريته . وأما ظَنّ الخطَّابى أن إيلياء اسم رجل ففيه نظر ، بل هو اسم البلد فأُضيف إليه المسجد كما يقال مسجد المدينة ومسجد مكة. وقال أبو عُبَيْد البَكْرى فى معجم البلدان[1] إن إيليا مَدينة بيت المقدس فيها ثلاث لغات : مَدّ آخره . وقَصْره . وحذف الياء الأُولى .

وعلى ما قاله الخطَّابى يمكن الجمع بأَن يقال إنها سميت باسم بانيها كغيرها .

---

(١) ت م : فى معجم البلاد .

الباب الثانى

فى عدد المرات التى بُنِيها البيت

الأُولى : عمارةُ الملائكة .

رَوى الأَزرقى عن على بن الحسين - رضى الله تعالى عنهما - أَن رجلا سأَله : ما بدء هذا الطواف بهذا البيت لم كان ؟ وأنى كان ؟ وحيث كان : فقال : أَمّا بدء هذا الطواف بهذا البيت فإن الله تعالى قال للملائكة : « إنى جاعل فى الأَرض خليفةً » فقال الملائكة : أَى ربّ خليفة مِن غيرنا ممن يفسدفيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون « ويتبادعون[1] أَى رب اجعل ذلك الخليفة منّا ، فنحن لا نفسد فيها ولا نسفك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد ، ونحن نسبِّح بحمدك ونقدس لك ونطيعك ولا نعصيك . قال الله سبحانه وتعالى : (إنىَ أَعْلم ما لا تعلمون) .

قال : فظنت الملائكة أَن ما قالوا ردٌّ على ربهم عز وجل ، وأنه قد غضب عليهم من قولهم ، فلاذوا بالعرش ورفعوا رءوسهم وأَشاروا بالأَصابع يتضرَّعون ويبكون إشفاقا لغضبه فطافوا بالعرش ثلاث ساعات ، فنظر الله تعالى إليهم فنزلت الرحمةُ عليهم ، فوضع الله سبحانه وتعالى تحت العرش بيتًا على أَربع أَسَاطين من زبرجد وغشّاهن بياقوتة حمراء وسمَّى البيت الضُّراح ثم قال للملائكة : طوفوا بهذا البيت ودَعُوا العرش . فطافت الملائكة بالبيت وتركوا العرش فصار أَهْون عليهم ، وهو البيت المعمور الذى ذكره الله تعالى،يدخله كل يوم وليلة سبعون أَلف ملك لا يعودون إليه أَبدا .

ثم إن الله سبحانه وتعالى بعث ملائكة فقال : ابنوا لى بيتًا فى الأَرض بمثاله وقَدْره . فأَمر الله سبحانه وتعالى مَن فى الأَرض من خَلْقه أَن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أَهل السماء بالبيت المعمور[2] .

---

(١) ليست فى ط .

(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/٢ .

الضُّراح بضم الضاد المعجمة فراء فألف فحاء مهملة . ويأْتى لهذا مزيد بيان فى باب حج الملائكة .

* * *

المرة الثانية : عمارة آدم صلى الله عليه وسلم .

روى البيهقى فى الدلائل عن ابن عمر– رضى الله تعالى عنهما – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : بعث الله تعالى جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما : ابنيا لى بيتًا . فخط لهما جبريل –. فجعل آدم يحفر وحواء تنقل – حتى أجابه الماء ونودى من تحته : حسبك يا آدم . فلما بناه أَوحى الله تعالى إليه أَن يطوف به وقيل له : أَنت أَول الناس ، وهذا أَول بيت [وضع][1] ثم تناسخت القرون حتى حجَّه نوح ، ثم تناسخت القرون ، حتى رفع إبراهيم القواعد من البيت .

ورواه ابن أَبى حاتم وابن جَرِير والطبرانى موقوفا . وزادوا : زعم الناس أَن آدم بناه من[2] خمسة أَجبل من[2] حراء ولبنان وطور زيتا وطور سيناء والجُودِىّ .

وروى الأَزرقى وأَبو الشيخ فى العظمة وابن عسَاكر عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – قال : لما أَهبط الله تعالى آدم إلى الأَرض من الجنة كان رأسه فى السماء ورجلاه فى الأَرض وهو مثل الفَلَك من[3] رَعْدته فطأْطأَ الله عز وجل منه إلى ستين ذراعا فقال : يارب مالى لا أَسمع أَصوات الملائكة ولا أُحِسُّهم ؟ قال : خطيئتك يا آدم ، ولكن اذهب فابن لى بيتًا فطف به واذكرنى حَوْله كما رأَيت الملائكة تصنع حولَ عَرْشى . فأَقبل آدمُ يتخطَّى فطُويت له الأَرض وقبض الله تعالى له المفازة فصارت كل مفَازة يمرّ بها خطوة وقبض الله تعالى ما كان فيها من مخَاض أَو بحر فجعله له خطوة ولم يقع[4] قدمه فى شىء من الأَرض إلا صار عُمرانا وبركة ، حتى انتهى إلى مكة فبنى البيت الحرام وإن جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الأَرض فأبرز عن أُسٍّ ثابت على الأَرض السابعة فقذفت فيه الملائكة الصخر ما يطيق الصخرة منها ثلاثون رجلا ، وإنه بناه من[5] خمسة أَجبل : من لبنان ، وطورزيتا ، وطور سيناء ، والجودى ، وحراء ، حتى استوى على وجه الأَرض ،

---

(١) من ت م .

(٢) ت م : بين . محرفة .

(٣) ت م : فى رعدته .

(٤) ت م : ولم يضع .

(٥) ص ت م : بين . وما أثبته من ط موافقاً للأزرقى .

فكان أول من أَسَّس البيت وصلى فيه ، وطاف به آدم صلى الله عليه وسلم حتى بعث الله تعالى الطوفان وكان غضبا . ورِجْسًا[1] فحيثما انتهى الطوفان ذهب ريح آدم صلى الله عليه وسلم ولم يقرب الطوفان أَرضى السند والهند ، فدرس موضعُ البيت فى الطوفان حتى بعث الله تعالى إبراهيم واسماعيل فرفعا قواعده وأعلامه[2] .

الفَلك : قيل موج البحر المضطرب وقيل أراد فَلْكة المِغْزل حال دورانها .

وروى الأَزرقى عن عبد الله بن أَبِى زياد رحمه الله تعالى قال : لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة قال : يا آدم ابن لى بيتا بحِذَاء بيتى الذى فى السماء تتعبّد فيه أنت وولدك كما تتعبد ملائكتى حول عرشى ، فهبطت عليه الملائكة فحفر حتى بلغ الأَرض السابعة ، فقذفت فيه الملائكة الصخر حتى أَشرف على وجه الأَرض ، وهبط آدم بياقوتة حمراء مجوّفة لها أَربعة أَركان بيض . فوضعها على الأَساس ، فلم تزل الياقوتة كذلك حتى كان زمن الغرق فرفعها الله تعالى[3] .

* * *

المرة الثالثة : عمارة أَولاد آدم صلى الله عليه وسلم .

رَوى ابن المنذر والأَزْرقى عن وهب بن منبه ـ رحمه الله تعالى ـ أَن آدم صلى الله عليه وسلم لما توفىّ رفع الله تعالى إليه الخيمةَ التى تقدَّم ذِكرها . قال : وبنى بنو آدم من بعدها مكانها بيتًا بالطين والحجارة فلم يزل معمورا يَعْمرونه ومن بعدهم حتى كان زمن نوح فنسَفه الغرق وخَفِى مكانه[4] .

وذكر السُّهيلى ـ رحمه الله تعالى ـ أَن الذى بناه شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم .

* * *

المرة الرابعة : عمارة سيدنا إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليهما وسلم :

وجزم ابن كثير بأَن الخليل أَول من بنى البيت مطلقا ، وقال : إنه لم يَثْبت خبرٌ عن معصوم أَن البيت كان مبنيًّا قبل الخليل[5] . انتهى . وفيه نظر لِمَا ذُكر من الآثار السابقة واللاحقة .

ورَوى ابن سعد عن أَبِى جَهْم بن حذيفة بن غانم رضى الله تعالى عنه والإمام أَحمد وعبد بن حميد والبخارى وابن جرير وابن أَبى حاتم والجندى وابن شيبة وابن مردويه

(١) الأصل : ورحباً . محرفة ، والتصويب من « أخبار مكة » .
(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/٧ .
(٣) أخبار مكة ١/١٢ .
(٤) أخبار مكة للأزرقى ١/٨ .
(٥) قصص الأنبيا لابن كثير ١/٢٢٥ .

والبيهقى عن ابن عباس . رضى الله تعالى عنهما ــ واللفظ له : أن أول ما اتخذ النساء المَنَاطق من قِبَل أم اسماعيل اتخذت مِنْطَقا لتعفِّى أثرها عن سارة . وفى لفظ : أول مااتخذت العرب جرّ الذيول عن أم إسماعيل. قال الحافظ : والسبب فى ذلك أن سارة كانت وهبت هاجر لإبراهيم ــ صلى الله عليهم وسلم ــ فحملت منه بإسماعيل .

قال أبو جَهْم : وكان سن إبراهيم حينئذ سبعون سنة وكان إسماعيل بِكْر أبيه . انتهى فلما ولدته غارت منها سارة فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء فاتخذت هاجر مِنْطقا فشدَّت به وسطها وهربت وجرَّت ذيلها لتخفى أثرها على سارة . ويقال : إن إبراهيم ــ صلى الله عليه وسلم ــ شفع فيها ، وقال لسارة : حَلِّى عن يمينك بأن تثقبى أذنيها وتَخْفضيها وكانت أول من فعل ذلك .

ويقال أن سارة اشتدت بها الغيرةُ فخرج إبراهيم بإسماعيل وأمه إلى مكة . انتهى كلام الحافظ .

وفى حديث أبى جَهْم أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى إبراهيم ــ صلى الله عليه وسلم ــ يأْمره بالمسير إلى بلده الحرام فركب إبراهيم البُرَاق وجعل إسماعيلَ أمامه ــ وهو ابن سنتين ــ وهاجرَ خَلْفه ومعه جبريل يدلُّه على مَوْضع البيت ومَعالم الحرم ، فكان لا يمرّ بقرية إلا قال إبراهيم : بهذه أُمرتُ يا جبريل ؟ فيقول : لا حتى قدِم مكة ، وهى إذ ذاك عِضَاه وسَلَمَ وسَمُر ، والعَمَاليق يومئذ حول الحرم ، وهم أول من نَزَل مكة[1] ويكونون بعرفة ، وكانت المياه يومئذ قليلة وكان موضع البيت قد دَثَر وهو رَبْوة حمراء مَدَرة ، وهو يُشْرف على ما حَوْله ، فقال جبريل ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين دخل من كَدَاء ، وهو الجبل الذى يُطْلعك على الحَجُون والمقبرة : بهذا أُمرتَ . قال إبراهيم بهذا أمرتُ ؟ قال نعم .

فانتهى إبراهيم إلى موضع البيت فعمد إلى موضع الحِجر فآوى فيه هاجَرَ وإسماعيل وأمرها أن تتخذ [فيه] [2] عَرِيشا . انتهى .

وفى حديث ابن عباس أن إبراهيم ــ صلى الله عليه وسلم جاء بهاجر وبابنها[3] إسماعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دَوْحة فوق زمزم فى أعلى المسجد .

---

(١) ت م : بمكة .
(٢) من الاكتفا ١/٥٢ ، وقد أورد خبر أبى الجهم عن الواقدى .
(٣) ت م : وابنها .

قلت : ولا مخالفة بين الكلامين كما زعمه فى شفاء الغرام ، لاحتمال أن يكون إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – أنزلهما أولاً عند الدوحة ، ثم نقلهما إلى موضع الحجر ، أو بالعكس والله – تعالى – أعلم . وليس بمكة أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء . ثم قفل[1] إبراهيمُ .

وفى حديث أبى جهم : ثم انصرف إبراهيم راجعا إلى أهله بالشام . انتهى .

وترك إسماعيل وأمَّه عند البيت . فتبعته أُمُّ إسماعيل فأدركته بكَدَاء ، فنادته ثلاثا : يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا فى هذا الوادى الذى ليس فيه إنس ولا شىء؟ إلى من تَدَعنا ؟ فقالت ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها ، فأجابها فى الثالثة : إلى الله تعالى . قالت : آلله أمَرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذًا لا يضيعنا حَسْبى .

وفى لفظ : رضيتُ تركتنا إلى كاف . ثم رجعت .

وفى حديث أبى جَهْم : فجعلت عَرِيشا فى موضع الحِجْر من سَمُر وثُمَام ، وانطلق إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – حتى وقف على كَدَاء ولا بناء ولا ظل ولا شىء يَحُول دونَ ابنه فنظر إليه فأدركه ما يدرك الوالدَ من الرحمة .

وفى حديث ابن عباس : أنه لما توارى عنهما استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه ، قال : (رَبِّ إنِّى أَسكَنْتُ من ذُرِّيتى بوادٍ غير ذِى زَرْع عِنْدَ بيتِكَ المحرَّم ربَّنا لِيُقيموا الصَّلاةَ فاجْعلْ أَفْئِدَةً مِنَ الناسِ تَهْوِى إليهم وارزقْهُمْ من الثَّمرات لعلَّهم يَشْكُرون[2]) .

وجعلت أم إسماعيل تُرْضعه وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نَفِد ما فى السِّقَاء عطشتْ فانقطع لبنُها ، وعطش إسماعيل ، وجعلت تنظر إليه يتلوَّى . وفى لفظ : يتلبط . وفى لفظ يتلمَّط . وفى لفظ : فلما ظمئَ جعل يضرب بعَقبيه كأنه يَنْشَغ[3] لِلموت ، فانطلقت كراهِية أن تنظر إليه ، وقالت : يموت وأنا غائبة عنه أهْون علىّ وعسى الله أن يجعل فى مَمْشاى خيْرا ، فوجدت الصَّفَا أقربَ جبل فى الأَرض إليها ، فقامت عليه والوادى يومئذ عميق ، فقامت تستغيث ربها وتدعوه ، ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا

---

(١) ت م : ثم فعل . محرفة .

(٢) سورة إبراهيم ٣٧ .

(٣) ت م : ينشق .

فهبطت من الصفا حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها . ونظرت هل ترى أحدا ففعلت ذلك سبع مرات .

قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلذلك سعى[1] الناس بينهما وكان ذلك أول ما سعى بين الصفا والمروة .

وفى حديث أبى جَهْم : وكانَ مَن قبلها يطوفون بالبيت ولا يسعون بين الصفا والمروة ولا يقفون بالمواقف[2] انتهى .

وكانت فى كل مرة تتفقّد إسماعيل وتنظر ما حدَث له بعدها فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت : صه ، تريد نفسها ، ثم تسمَّعت فسمعت أيضا فقالت : قد أسمعتَ إن كان عندك غَوَاث ، فإذا هى بالمَلَك . وفى لفظ : جبريل . وفى حديث علىّ عند الطبرانى بإسناد حسن : فناداها جبريل : من أنت ؟ قالت : هاجر أم ولد إبراهيم . قال : فإلى من وكَلكما ؟ قالت : إلى الله تعالى . قال : وكَلكما إلى كافٍ .

وفى حديث أبى جَهْم : فلما كان الشوط السابع ويئست سمَعتْ صوتا فاستمعت فلم تسمع إلا الأول[3] : فظنت أنه شىءعَرض لسَمْعها من الظمأ والجَهْد ، فنظرت إلى ابنها وهو يتحرك ، فأقامت على المروة مَلِيًّا ، ثم سمعت الصوت الأول فقالت : إنى سمعت صوتك فأعجَبنى ، إن كان عندك خير فأغِثْنى ، فإنى قد هلكتُ وهلك ما عندى . فخرج الصوتُ يصوّت بين يديها وخرجت تَتْلوه قد قَوِيتْ له نفسُها حتى انتهى الصوتُ عند رأس إسماعيل ثم بدَا لها جبريلُ صلى الله عليه وسلم فانطلق بها حتى وقف على موضع زمزم . انتهى .

فبحث بَعقِبه أو قال : بجَناحه . وفى لفظ : فقال بعَقِبه هكذا : وغمز عقبه فى الأرض ، وفى لفظ : فركَض جبريلُ برجله . وفى لفظ :ففحَص الأرض بإصبعه . فنبعتْ زَمْزَمُ حتى ظهر الماء ، وفى لفظ : ففاض الماء ، وفى لفظ : فانبثق الماءُ فوق الأرض. فدهِشت أمُّ إسماعيل فجعلت تحفر وفى لفظ تُحوّضه . وفى لفظ : فجعلت تفحص الأرض بيديها وتقول : هكذا وهكذا . وفى لفظ ، تُحَظِّر الماء بالتراب خشية أن يَفوتها قبل أن تأتى بشَنّتها وجعلت تَغْرف من الماء فى سقّائها وهو يَفُور بعد ما تغرف .

---

(١) ت م : فلذلك يسعى . (٢) الاكتفا ١/٥٣ : ولا يقفون المواقف حتى كان إبراهيم .

(٣) ط : فلم تسمع الأول . ولعله هو الصواب .

قال ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله أمَّ إسماعيل لوتركت زمزم - أو قال: لو لم تَغْرف من الماء - كانت زمزم عينًا مَعِينا . وفى لفظ : ظاهرا .

فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك : لا تخافى الضَّيْعة فإن ها هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه . وأشار لها إلى موضع البيت .

وكان البيت مرتفعا من [1] الأَرض كالرابية تأتيه السيولُ فتأْخذ [2] عن يمينه وشماله وإن الله لا يضيع أهله .

وفى حديث أَبى جَهْم : فكان ثَدْياها يَقْطران لبنًا وكان ذلك اللبن طعاما وشرابا لإسماعيل وكانت تجتزئ بماء زمزم وقال لها الملَك :لا تخافى أن يَنْفدَ [3] هذا الماءُ وأبشرى فإن ابنك سيشبّ ويأْتى أبوه من أَرض الشام فيبنيان هاهنا بيتًا يأْتيه عبادُ الله تعالى من أقطار الأَرض مُلَبِّين الله جلَّ ثناؤه شُعْثاغُبْرا فيطوفون به ،ويكون هذا الماء شرابا لضِيفان الله تعالى الذين يزورون بيته . فقالت : بشَّرك الله تعالى بخير . وطابت نفسها وحمدت الله تعالى .

وأقبل غلامان من العماليق يريدان بعيرًا لهما أَخطأَهما وقد عطشا ، وأَهلُهما بعرفة فنظرا إلى طير تهوى [4] قِبَل الكعبة فاستنكرا ذلك وقالا : أَنَّى يكون الطير على غير ماء ؟ ! فقال أَحدهما لصاحبه : أَمْهِلْ حتى نُبْرِد ثم نسلك فى مَهْوَى الطير . فأَبْرَدا ثم تروَّحا فإذا الطير تَرِدُ وتَصْدُر فاتَّبعا الواردة منها حتى وقفا على أَبى قُبَيْس فنظرا إلى الماء وإلى العَريش فنزلا وكلَّما هاجر وسأَلاها متى نزلت فأخبرتهما . وقالا لمن هذا الماء؟فقالت : لى ولولدى فقالا : من حفَره ؟ فقالت : سُقْيًا من الله تعالى . فعرفا أن أحدا لا يَقْدر أَن يحفر هناك ماء وعَهْدُهما بماء هناك قريب وليس به ماء،فرجعا إلى أَهلهما من ليلتهما،فأَخبراهم فتحولوا حتى نزلوا معهما على الماء فأَنِست بهم ومعهم الذرية فنشأَ إسماعيل بين ولدانهم .

وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم يزور هاجر فى كل شهر على البُراق يغدو غدوةً فيأتى مكة ثم يرجع فيَقِيل فى منزله بالشام ، فزارها بعدُ ونظر إلى مَن هناك مِن العماليق

---

(1) ت م : مرتفعاً على من الأرض محرفة .
(2) ت م : فيأخذون ، ويبدو أنه تحريف .
(3) ت م : أن يفقد .
(4) ط : يهوى .

وإلى كثرتهم وغَمارة[1] الماء فسُرَّ بذلك .

ولما بَلغ إسماعيل تزوج امرأةً منهم من العماليق فجاء إبراهيم زائرا لإسماعيل وإسماعيلُ في ماشيته[2] يرعاها ويخرج متنكّبا قوسه فيرمى الصيد مع رعيته ، فجاء إبراهيمُ إلى منزله فقال : السلام عليكم يا أهل البيت. فسكتت امرأة إسماعيل فلم تردّ إلا أن تكون ردّت في نفسها. فقال : هل من منزل ؟ فقالت : لاها الله إذن. قال : فكيف[3] طعامكم وشرابكم ؟ فذكرت جَهْدًا فقالت : أمّا الطعام فلا طعام وأما الشراب فإنما[4] نحلب الشاة المصْر[5] أى الشَّخْب وأما الماء فعلى ما ترى من الغِلَظ . قال : فأين ربُّ البيت ؟ قالت : في حاجته . قال : فإذا جاء فأقرئيه السلام وقولى له : غيِّر عَتَبة بابك[6] . ورجع إبراهيم إلى منزله .

وأقبل إسماعيل راجعا إلى منزله بعد ذلك بما شاء الله عز وجل، فلما انتهى إلى منزله سأل امرأته : هل جاءك أحدٌ : فأخبرته بإبراهيم وقوله وما قالت له[7] ففارقها وأقام ما شاء الله أن يقيم .

وكانت العمَاليق هم وُلَاة الحكْم بمكة ، فضيَّعوا حرمة الحرم[8] ، واستحلُّوا فيه أُمورا عظيمة ، ونالوا ما لم يكونوا ينالون . فقام فيهم رجل منهم يقال له عَمُّوق فقال : يا قوم أبقوا على أنفسكم ، فقد رأيتم وسمعتم من أُهْلِك من هذه الأُمم ، فلا تفعلوا وتواصَلوا[9] ولا تَسْتخفُّوا بحَرَم الله تعالى وموضع بيته . فلم يَقْبلوا ذلك منه وتمادَوْا في هلكة أنفسهم .

ثم إن جُرْهما وقَطُوراء وهما[10] أبناء عم خرجوا سَيَّارة من اليمن أجدبَتْ عليهم بلادهم فساروا بذَرَاريهم وأموالهم ، فلما قدِموا مكة رأوا فيها ماء مَعِينا ، وشجرا مُلْتفًّا ، وبناء كثيرا ، وسعَةً من المال[11] ودفئا في الشتاء . فقالوا : إن هذا الموضع يجمع لنا ما نريد فأعجبهم ونزلوا به. وكان لا يخرج من اليمن قومٌ إلا وعليهم ملِك يقيم أمرهم ،

---

(1) الأصل : وعمارة الماء . وما أثبته من الاكتفا ١/٥٤ ، وغمارة الماء : كثرته .

(2) ت م : فى ماشية .

(3) ت م : كيف .

(4) ط : فإنا .

(5) ص ت م : الشاة المصراة . محرفة والتصويب من ط موافقاً للاكتفا ١/٥٥ ، ونص الاكتفا : « وأما الشاة فإنما نحلب الشاة بعد الشاة المصر » هذا والمصر : الحلب بأطراف الأصابع . وناقة مصور بطيئة خروج الدر لا تحلب إلا معصراً. وقد فسر فى الرواية هنا بالشخب ، وهو السيلان .

(6) ط : عتبة بيتك .

(7) ت م : وقوله ما قالت له .

(8) ت م : حرمة البيت .

(9) الاكتفا : تواصلوا .

(10) ت م : وهم .

(11) الاكتفا : وسعة من البلاد .

سُنَّة فيهم جَرَوْا عليها واعتادوها[1] ولو كانوا نَفرًا يسيرا . وكان مُضَاض بن عمرو على قومه من جُرْهم ، وكان على قَطُوراء السَّمَيْدع رجل منهم ، فنزل مُضَاض بمن معه من جُرْهم على مكة بِقُعَيْقِعان فما حاز[2] ، ونزل السَّمَيْدع بقَطُوراء أسفل مكة بأَجْيَاد فما حاز .

وذهب العَماليق إلى أن ينازعوهم أمرهم ، فعلَتْ أيديهم على العماليق . فأخرجوهم من الحَرَم كله فصاروا فى أطرافه ولا يدخلونه[3]، وكلٌّ على قومه لا يدخل أحدهما على صاحبه ؛

وكانوا قومًا عَرَبًا، وكان اللسان عربيا . وكان إبراهيم يزور إسماعيل . ونظر إسماعيل إلى رَعْلة بنت مُضَاض فأعجبته ، فخطبها إلى أبيها . انتهى .

هكذا فى حديث أبي جَهْم ذكر العَماليق وأن إسماعيل تزوَّج منهم الأُولى ، وأن الثانية من جُرْهمْ ، وليس ذلك فى حديث ابن عباس ، بل فيه : أن الأُولى والثانيةُ من جُرْهُمْ ؛ ونصه- بعد أن ذكر قصة زمزم : وكانت أم إسماعيل كذلك حتى مرَّت بهم رُفْقة من جرْهم أو أهل بيتٍ من جرهم مُقْبلين من طريق كَدَاء ، فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائِفًا فقالوا : إن هذا الطائر لَيدور على ماء ، لَعَهْدُنا بهذا الوادى وما فيه ماء . وفى لفظ : كانت جُرْهم يومئذ بوادٍ قريب من مكة ، فأرسلوا جَرِيًا أو جريَّيْن ، فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء فقالوا : تَأْذنين لنا أن نَنْزل عندك ؟ قالت : نعم ، ولكن لا حقَّ لكم فى الماء . قالوا : نعم .

قال ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – قال : النبى صلى الله عليه وسلم : فأَلْفَى[4] ذلك أمَّ إسماعيل وهى تحب الأنس ، فنزلوا فأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهلُ أبيات منهم وشبَّ الغلام ونشأ بين ولدانهم ، وتعلم العربيَّةَ منهم وأَلِفهم وأعجبهم حين شَبَّ ، فلما أدرك زوَّجوه امرأَةً منهم ، وماتت أم إسماعيل .

فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيلُ يطالِع تَرِكته فلم يجد إسماعيلَ ، فسأل زوجته

(١) الأصل : واعتادوا . وما أثبته من الاكتفا ١/٥٦ .

(٢) ط : فما جاز . و ت م : فما جاوز . وما أثبته من الاكتفا .

(٣) الاكتفا ١/٥٦ : لا يدخلونه .

(٤) الأصل : فألفت . محرفة . والتصويب من صحيح البخارى .

عنه ، فقالت : خرج يَبْتغِى لنا . وفى لفظ : وكان عيش إسماعيل الصيد، يخرج يتصّيد ، فسألها عن عيشهم ، فقالت : بشرٌ نحن فى ضِيق وشدة . وشكَتْ إليه . قال : إذا جاء زوجك فاقرئِى عليه السلام وقولى له : يغيِّر عتبة بابه . فلما جاء إسماعيل كأنه آنَس بشىء[1] فقال : هل جاءكم أحد ؟ قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، كالمستخفَّة بشأنه ، فسألنا عنك [2] فأخبرتُه وسألنى كيف عَيْشنا فأخبرته أنَّا فى جَهْد وشدة[2] فقال لها : هل أوصاك بشىء ؟ قالت نعم ، أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول لك : غيِّر عتبة بابك . قال : ذاك أبى وأمرنى[3] أن أفارقك فالحقى بأهلك . فطلقها[4] وتزوج منهم امرأة أخرى .

فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله تعالى ، ثم أتاهم بعد ذلك ، فلم يجده ، فسأل امرأته عنه ، فقالت : خرج يبتغى لنا . قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بخير وسَعة ، وأثْنَتْ على الله تعالى . قال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم واللبن . قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء . قال : اللهم بارك لهم فى اللحم واللبن والماء . وفى لفظ: فى طعامهم وشرابهم . قال النبى صلى الله عليه وسلم : ولم يكن لهم يومئذ حَبٌّ ، ولو كان لهم حبٌّ لدعَا لهم فيه . قال : فهما[5] لا يَخْلو عليهما أحدٌ بغير مكة إلا لم يوافقاه .

وفى حديث أبى جَهْم : فجاء إبراهيم زائراً لإسماعيل فجاء إلى بيته فقال : السلام عليكم يا أهل[6] البيت ورحمة الله . فقامت إليه المرأة فردَّت عليه ورحَّبَتْ به ، فقال : كيف عيشكم ؟ فقالت : خيرُ عيشٍ بحمد الله عز وجل ، نحن فى لبن كثير ، ولحم كثير، وماؤنا طيِّب . قال : هل من حَبٍّ ؟ قالت : يكون إن شاء الله تعالى ، ونحن فى نِعَم . قال : بارك الله لكم . قالت : فانزل رحمك الله[7] فاطْعَمْ واشرب . قال : لا أستطيع النزول . قالت فإنى أراك شَعِثًا أفلا أغسل رأسك وأدهنه ؟ قال : بلى إن شئت . فجاءت[8] بالمقام وهو يومئذ حَجر رَطْب أبيض مثل المهاة [9] مُلْقى فى بيت إسماعيل ، فوضع عليه قدمه اليمنى وقدَّم إليها شِقَّ رأسه وهو على دابته ، فغسلت شِق رأسه الأيمن ، فلما فرغ حوّلت له

---

(١) البخارى : كأنه آنس شيئاً .

(٢ - ٢) سقطت من ت م .

(٣) البخارى : وقد أمرنى .

(٤) ط : وطلقها .

(٥) أى اللحم والماء .

(٦) ط : أهل البيت .

(٧) ت م : فأنزل رحلك .

(٨) ت م : فجاء .

(٩) المهاة : الشمس .

المقام حتى وضع قدمه اليسرى عليه وقدم إليها رأسه وهو على دابته فغسلت شِقّ رأسه الأيسر ، فالأثَر الذى فى المقام من ذلك . قال : أبو الجَهْم[1]: فلقد رأيت موضع العِقَب والأصابع .

ثم اتفقا[2] فقالا : فلما فرغت المرأة تغسل رأسه قال لها : إذا جاء إسماعيل فاقرئى عليه السلامَ . وقولى له : ثبِّت عتبة بابك ، فإنَّ بها صلاح المنزل . فلما جاء إسماعيلُ وجد ريحَ أبيه فقال : هل أتاكم من أحد بَعدى ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ حسن الهيئة . وأثْنَت عليه . فسألنى عنك فأخبرتُه ، وسألنى كيف عَيْشُنا ؟ فأخبرته أنَّا بخير . قال : ما أوصاكِ بشَىء[3]؟ قالت : نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبِّت عتبة بابك . قال : ذاك أبى وأنت العَتبة أمَرنى أن أمْسكك .

وفى حديث أبى جَهْم : ولقد كنتِ علىّ كريمةً ولقد ازددت كرامةً . فصاحت وبكت ، فقال : مالك ؟ فقالت : ألاَّ أكون علمتُ من هو فأُكرمه وأصنع به غير الذى صنعتُ فقال لها : لا تبكى ولا تَجزعى ، فقد أحسنت ولم تكونى تقدرين أن تفعلى فوق الذى فعلتِ ، ولم يكن ليزيدك على الذى صنع بك .

فولدت لإسماعيل عشرة ذكورٍ أحدهم نابت .

بناء ابراهيم للبيت

فلمّا بلَغ إسماعيلُ ثلاثين سنةً وإبراهيم يومئذ ابن مائة أوحى الله تعالى إلى إبراهيم أن ابن لى بيتًا . فقال إبراهيم : أىْ رب أين أبنيه ؟ فأوحى الله – تعالى – إليه : أن اتبع السَّكينة ، وهى ريح لها وجهٌ وجناحان ، ومع إبراهيم المَلَك والصُّرَد ، فانتهوا إلى مكة .

وفى حديث ابن عباس : ثم لبث عنهم إبراهيمُ ما شاء الله تعالى ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يَبْرى نَبْلًا [له][4] تحت دَوْحةٍ قريبًا من زمزم ، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الولدُ بالوالد والوالد بالولد .

---

(١) كذا فى ط موافقاً للاكتفا ١/٥٧ . وفى ت م : أبو جهم .
(٢) اتفقا : أى ابن عباس وأبو جهم فى روايتيهما .
(٣) ت م : فقال : وما أوصاك عن شئ .
(٤) من صحيح البخارى ٢/١٩٢ (ط الأميرية) .

قال مَعْمَر الراوى لحديث ابن عباس : وسمعتُ رجلا يقول : إنهما بكيًا حتى أجابتهما الطير . انتهى .

ثم قال : يا إسماعيل إن الله تعالى أمَرنى بأمر . فقال : اصنع ما أمرك به . قال : وتُعينُنِى ؟ قال : وأُعينك [قال : فإن الله أمرنى أن أبنى هاهنا بيتًا . وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها][1] قال : فعند ذلك رفع[2] القواعد من البيت .

وفى حديث أبى جَهْم : فنزل إسماعيلُ إلى موضع البيت الذى بوّأه الله تعالى لإبراهيم وموضعُ البيت رَبْوة حمراء مَدَرة مُشْرِفة على ما حولها ، فحفر إبراهيمُ وإسماعيل – صلى الله عليهما وسلم – وليس معهما غيرهما أساسَ البيت يريدان أساسَ آدم الأول ، فحفرَا عن رَبَض البيت ، يعنى حوله ، فوجدا صخرةً لا يُطِيقها إلا ثلاثون رجلا ، وحفرا حتى بلَغا أساسَ آدم صلى الله عليه وسلم .

وفى حديث ابن عباس عند الإمام أحمد بسند صحيح : أن القواعد التى رفعها إبراهيم كانت قواعد البيت قبل ذلك .

وفى لفظ آخر : أن القواعد كانت فى الأرض السابعة. رواه ابن أبى حاتم انتهى .

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة وإبراهيم يبنى ، حتى إذا ارتفع البناء ، جاء بهذا الحجر ، أى المقام ، فوضعه[3] له فقام عليه إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وهو يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: (ربّنا تَقَبَّلْ منا إنك أنت السميعُ العليم) [4] .

وفى حديث أبى جَهْم : وحلَّقت السَّكينة كأنها سحابة على موضع البيت فقالت : ابْنِ علىَّ . فلذلك لا يَطُوف بالبيت أحدٌ أبدًا كافر ولا جَبَّار إلا رأيتَ عليه السَّكِينة فبنى إبراهيمُ البيتَ فجعل طولَه فى السماء تسعة أذْرع وعَرْضه ثلاثين ذراعا وطوله فى الأرض اثنين وعشرين ذراعا ، وأدخل الحِجْر وهو سبعة أذرع فى البيت ، وكان قبل ذلك زَرْبًا لغنم إسماعيل ، وإنما بنَاه بحجارة بعضها على بعض ولم يجعل له سَقْفا ، وجعل له

(١) من صحيح البخارى ٢/١٩٢ .

(٢) البخارى : رفعا القواعد .

(٣) ت م : وضعه .

(٤) إلى هنا رواية ابن عباس التى أوردها البخارى فى صحيحه ٢/١٩٠ (ط الأميرية) .

بابين[١] وحفر له بئرا عند بابه خِزَانةً للبيت يُلْق فيها ما يُهْدى للبيت ، وجعل الركن علَمًا للناس .

فذهب إسماعيل إلى الوادى يطلب حَجرا ، ونزل جبريل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بالحَجر الأَسود ، وكان قد رُفع إلى السماء حين غَرقت الأَرض لمّا رُفع[٢] البيت ، فنزل به جبريل فوضعه إبراهيم موضع الركن ، وجاء إسماعيل بحجر من الوادى فوجد إبراهيم قد وضَع الركن ، فقال : من أين هذا الحجر ؟ من جاءك به ؟ قال إبراهيم : من لم يَكِلْنى إليك ولا إلى حَجرك .

ولما فرغ إبراهيم من بناء البيت وأدخل الحِجْر فى البيت جعل المقام لاصقا بالبيت عن يمين الداخل[٣] .

* * *

وروى البيهقى عن وهب بن منبه ـ رحمه الله تعالى ـ قال : لمّا أغرق الله الأَرض رُفع البيت فوضع تحت العرش ، ومكثت الأَرض خرابا ألفى سنة ، فلم تزل على ذلك حتى كان إبراهيم صلى الله عليه وسلم فأَمره الله سبحانه وتعالى أن يبنى بيته ، فجاءت السَّكينة كأَنها سَحابة فيها رأس يتكلم ، ولها[٤] وجه كوجه الإنسان ، فقالت : يا إبراهيم ، خذ قدْر ظلى فابنِ عليه ولا تزِدْ شيئاً ولا تنقص . فأَخذ إبراهيم قدْر ظلِّها ثم بنى هو وإسماعيل البيت ، ولم يجعل له سقفا ، وكان الناس يُلْقون فيه الحلىّ والمتاع ، حتى إذا كاد أن يمتلئ اتَّعدَ[٥] له خمسة نفر لِيَسْرِقوا ما فيه ، فقام كل واحد على زاوية واقتحم الخامس فسقط على رأسه فهلك ، وبعث الله سبحانه ـ عند ذلك حيّة بيضاء سوداء الرأس والذنَب ، فحرَست البيتَ خمسمائة عام لا يَقْربه أحد إلا أهلكَتْه ، فلم تزل كذلك حتى بنَتْه قريش .

وروى الأَزْرقى عن عثمان بن ساج ـ رحمه الله تعالى ـ قال : بلغنا ـ والله تعالى أعلم ـ أن خليل الله ـ سبحانه وتعالى ـ عُرِج به إلى السماء ، فنظر إلى الأَرض : مَشَارقها ومغاربها ، فاختار موضعَ الكعبة ، فقالت له الملائكة : يا خليل الله اخترتَ حَرَم الله فى الأَرض .

---

(١) الاكتفا : وجعل له باباً .
(٢) الاكتفاء : كما رفع البيت .
(٣) رواية أبى الجهم هذه أوردها الكلاعى فى الاكتفا ٤٩/١ عن الواقدى عن أبى بكر بن سليمان بن أبى خيثمة العدوى .
(٤) ط : لها وجه .
(٥) ت م : أنفذ . تحريف .

فبناه من سبعة أَجْبُل ، ويقولون خمسة ، فكانت الملائكة تأتى بالحجارة إلى إبرهيم من تلك الجبال [1].

ورَوى الأَزْرقى عن على – رضى الله تعالى عنه – وعن مجاهد ، وعن بشر بن عاصم متفرقين ، أن إبراهيم – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – أقبل من إرمينية – وقال مجاهد : من الشام . ومعه السَّكينة والملك والصُّرَد دليلاً ، يتبوَّأ البيت كما تتبوأ العنكبوت بيتها ، فحفر فأَبرزَ عن أُسِّها أَمثال خَلِفة الإبل لا يحرك الصخرة إلا ثلاثون رجلا ثم قال الله تعالى : قم فابن لى بيتا . قال : يارب وأَين أَبْنِى ؟ فبعث الله – سبحانه وتعالى – سحابةً فيها رأس تكلِّم إبراهيم ، فقالت : يا إبراهيم ، إن ربك يأمرك أن تخطَّ قَدْر هذه السحابة ، فجعل ينظر إليها ويأخذ قدرها ، فقال له الرأس : قد فعلتَ [2].

وفى لفظ : فقالت السكينة : يا إبراهيم رَبَضْت على البيت ؟ قال : نعم . فارتفعت السحابة ، فأَبرز عن أُسّ ثابت فى الأَرض ، فبناه إبراهيم ، فلذلك لا يطوف بالبيت ملكٌ من جبابرة الملوك ولا أَعرابى جِلْف إلا وعليه السكينة والوقار .

وروى الأَزرقى عن قَتادة رحمه الله تعالى قال : ذكِر لنا أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم بنى البيتَ من خمسة أَجْبُل : من طورسيناء ، وطور زيتا ، ولبنان ، والجودِىّ ، وحِرَاء[3] .

قال السُهيْلى رحمه الله تعالى : انتبه لحكمة الله تعالى كيف بناها [4] من خمسة أجبل ، فشاكل ذلك معناها ، إذ هى قِبْلة الصلوات الخمس عمود الإسلام الذى بُنِى على خمس ، وكيف دلَّت عليه السكينة إذ هى قِبلة الصلوات الخَمْس والسكينة من شأن الصلاة . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « وائتوها وعليكم السَّكينة »[5] .

ورَوى الأَزرقى عن ابن إسحاق أَن الخليل – صلى الله عليه وسلم – لما بنى البيت جعل طوله فى السماء تسعة أذرع ، وعرضه فى الأَرض اثنين وثلاثين ذراعا من الركن الأَسود إلى الركن الشامى الذى عنده الحِجْر ، وجعل عرض مابين الركن الشامى إلى الركن الغربى

(١) أخبار مكة للأزرق ٢١/١ .

(٢) كذا بالأصل موافقاً للاكتفا . وفى أخبار مكة : أقد فعلت ؟

(٣) أخبار مكة للأزرق ٢٦/١ .

(٤) الروض : كيف جعل بناءها .

(٥) الروض الأنف للسهيل ١٢٩/١ .

اثنين وعشرين ذراعا ، وجعل طول ظهرها من الركن الغربى إلى الركن اليمانى أحداً وثلاثين ذراعا ، وجعل عرض سقفها اليمانى من الركن الأسود إلى الركن اليمانى عشرين ذراعا ، وجعل بابها بالأرض غير[1] مُبَوَّب ، وجعل جُبًّا على يمين من دخله يكون خزانة للبيت[2] .

وذكر ابن الحاجّ المالكى – رحمه الله تعالى – فى مَنَاسكه شيئا من خبر بناء إبراهيم البيت ، ثم قال : وكان صفة بناء إبراهيم البيت أنه كان مُدوَّرا من ورائه ، وكان له ركنان وهما اليَمانيان ، فجعلت له قريش حين بنَوْه أربعة أركان . انتهى .

ابراهيم يؤذن بالحج

قال أبو جَهْم : وأمر إبراهيم بعد فراغه من البناء أن يؤذِّن فى الناس بالحج ، فقال : يارب ، وما يَبْلغ صوتى ؟ قال الله جل ثناؤه : أَذِّن وعلىَّ البَلاغ .

فارتفع على المقَام – وهو يومئذ مُلْصَق بالبيت – فارتفع به المقام حتى كان أطولَ الجبال ، فنادى وأدخل إصبعيه فى أُذنيه ، وأقبل بوجهه شَرْقا وغَرْبا يقول : أيها الناس كُتب عليكم الحج إلى البيت العَتِيق ، فأَجيبوا ربَّكم عز وجل . فأَجابه من تحت البحور السبعة ومن بين المشرق والمغرب إلى مُنْقَطع التراب من أطراف البيت[3] كلها : لَبيك اللهم لبيك . أفلا تراهم يأتون يُلبّون ؟ فمن حج مِن يومئذ إلى يوم القيامة فهو ممن استجاب لله عز وجل وذلك[4] قوله تعالى : « فيه آياتٌ بَيِّناتٌ مَقَامُ إبراهيمَ[5] » يعنى نداء إبراهيم على المقَام بالحج ، فهى[6] الآية .

قال محمد بن عُمَر الأَسْلمى راويه[7] رحمه الله تعالى : وقد روى أن الآية هى أثر إبراهيم على المقام .

وروى الفاكهى بإسناد صحيح عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – قال : قام إبراهيم على الحجر فقال : يأَيها الناس ، كُتب عليكم الحج . فاستَمَع مَن فى أصلاب

---

(١) ت م : من غير .
(٢) أخبار مكة ٢٧/١ .
(٣) الاكتفا : من أطراف الأرض كلها .
(٤) ت م : وذكر قوله تعالى .
(٥) سورة آل عمران ٩٧ .
(٦) ت م : فى الآية .
(٧) هو الواقدى ، وهو محمد بن عمر بن واقد السهمى الأسلمى بالولاء ، المدنى ، أبو عبد الله ، صاحب المغازى ، وقد ولد بالمدينة سنة ١٣٠ هـ وانتقل إلى العراق سنة ١٨٠ فى أيام الرشيد وولى القضاء ببغداد ، وتوفى بها سنة ٢٠٧ . وقد روى عنه كتبه كاتبه : محمد بن سعد صاحب كتاب الطبقات الكبير . هذا ورواية الاكتفا : قال الواقدى .

الرجال وأرحام النساء ، فأجابه مَن كان سبق فى علم الله أنه يحج إلى يوم القيامة : لبَّيك اللهم لبيك .

ورُوى أيضا عنه قال : والله ما بناه بِقَصّة ولا مدَر ، ولا كان لهما من السعة والأعوان ما يُسقِّفانه .

وروى أيضا عن على – رضى الله تعالى عنه – قال : كان إبراهيم يبنى كل يوم ساقاً .

القَصَّة بالفتح : الجير . الساق : العِرْق[1] من الحائط .

ورَوى ابن أبى شَيْبة وابن منيع وابن جَرِير وابن أبى حاتم والحاكم – وصححه – والبيهقى عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – قال : لمّا فرغ إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – من بناء البيت قال : يارب ، قد فرغتُ . قال : أَذِّن فى الناس بالحج . قال : يارب ، وما يَبْلغ صوتى ؟ قال : أَذِّن وعلىّ البلاغ . قال : يارب كيف أقولُ ؟ قال : قل : يـأيها الناس كُتب عليكم الحج إلى البيت العتيق .فسَمعه مَن فى السماء ومَن فى الأرض ، ألاَ ترى أنهم يـأْتون من أقصى الأَرض يُلَبُّون ؟

ورَوى ابن أبى حاتم عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – قال : لما أمر الله – سبحانه وتعالى – إبراهيم أن يؤذِّن بالحج صعد أبا قُبَيْس فوضع إصبعيه فى أذنيه ، ثم نادى : يـأَيها الناس ، إن الله كتب عليكم الحجَّ ، فأَجيبوا ربكم . فأَجابوه بالتلبية فى أصلاب الرجال وأَرحام النساء ، وأَولُ من أَجاب أَهلُ اليمن ، فليس من حاجٍّ يحج من يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا من كان أَجاب يومئذ إبراهيم .

ابراهيم يتعلم مناسك الحج

قال أبو جَهْم : فلما فرغ إبراهيمُ من الأذان ذهب به جبريل فأراه الصَّفا والمروة ، وأقامه على حدود الحرم ، وأمره أن يَنْصب عليه[2] الحجارة ، ففعل ذلك إبراهيم وكان أول من أقام أنصاب الحرم ويريه إياها جبريل .

فلما كان اليوم السابع من ذى الحجة خطب إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – بمكة حين زاغت الشمسُ[3] قائماً وإسماعيل جالس ، ثم خرجا من الغد يمشيان على أقدامهما يلبيان

(١) ت م : العرض .   (٢) الاكتفا : عليها .

(٣) زاغت الشمس : مالت ، وذلك إذا فاء الفىء .

مُحْرِمَيْن مع كل واحد منهما إداوة يحملها وعصاً يتوكأُ عليها ، فسمى ذلك اليوم يوم التَّرْوية .

وأتيا[1] منًى فصلَّيا بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ، وكانا نزَلا من الجانب[2] الأيمن ثم أقاما حتى طلعت الشمس على ثَبير ، ثم خرج إبراهيم يمشى هو وإسماعيل حتى أتيَا عرفة وجبريل معهما ، يريهما الأعلام حتى نزلا بنَمِرة ، وجعل يريه أعلام عرفات ، وكان إبراهيم قد عرفها قبل ذلك ، فقال إبراهيم : عرفتُ . فسمِّيت عرفات .

فلما زاغت الشمس خرج بهما جبريل حتى انتهى بهما إلى موضع المسجد اليوم ، فقام إبراهيم فتكلم بكلمات وإسماعيل جالس ، ثم جمع بين الظهر والعصر ثم ارتفع بهما جبريل إلى الهضبات[3] فقاما على أرجلهما يدعوان إلى أن غابت الشمس وذهب الشُّعَاع ، ثم دفَعا من عرفة على أقدامهما حتى انتهيا إلى جَمْع ، فنزَلا فصلَّيَا المغرب والعشاء فى ذلك الموضع الذى يصلَّى فيه اليوم ، ثم باتا فيه حتى إذا طلع الفجر وقفا على قُزَح ، فلما أسفرا قبل طلوع الشمس وقفا على أرجلهما حتى انتهيا إلى مُحَسِّر ، فأسرعا حتى قطعاه ثم عادا إلى مَشْيهما الأول ، ثم رمَيا جَمْرة العَقَبة بسبع حصَيات حملَاها من جمع ، ثم نزلا من منًى فجرًا[4] فى[5] الجانب الأيمن ، ثم ذبَحا فى المنْحَر اليومَ وحلَقا رؤوسهما ، ثم أقاما أيام منًى يرميان الجِمَار حين ترتفع الشمس ماشيَيْن ذاهبين وراجعين ، وصَدَرا يوم الصَّدَر فصلَّيا الظهر بالأَبْطَح ، وكل هذا يريه جبريل صلى الله عليه وسلم .

فلما فرغ إبراهيمُ من الحج انطلق إلى منزله بالشام ، وكان[6] يحج البيت كلَّ عام ، وحجَّتْه سارةُ ، وحجه إسحاق ويعقوب والأَسْباط والأنبياء وهلم[7] جرا ، وحجَّه موسى ابن عمران .

---

(1) الاكتفا : فأتيا .

(2) الاكتفا : فى الجانب .

(3) الاكتفا : إلى الهضاب .

(4) ليست فى ط ، وليست فى الاكتفا أيضا ، ولعلها مقحمة .

(5) كذا فى ط موافقا للاكتفا . وفى ص ت م : من الجانب .

(6) الاكتفا : فكان .

(7) الاكتفا : هلم جرا .

ثم توفىّ الله – تعالى – خليله بعد أن وجّه إليه ملَك الموت فاستنظره إبراهيمُ ، ثم أعاده إليه لما أراد الله تعالى قبضه ، فأخبره بما أُمر به فسلَّم لأمْر ربه[1] . فقال له ملك الموت : يا خليل الله على أيّ حال تحب أن أقبضك ؟ قال : تقبضنى وأنا ساجد . فقبضه وهو ساجد[2] .

ودفن إبراهيم صلى الله عليه وسلم بالشام .

وعاش إسماعيل بعد أبيه ما عاش وتوفى بمكة فدفن بالحَجُون[3] مما يلى بابَ الكعبة ، وهناك قبر أُمه هاجَر دفن معها ، وكانت توفيت قبله .

انتهى حديث أبى جهْم[4] .

تنبيه فى بيان غريب ما سبق

المَناطق : جمع مِنطق بكسر الميم وسكون النون وفتح الطاء هو ما يُشدّ[5] به الوسط وفى لفظ : النُّطُق بضم النون والطاء وهو جمع نِطَاق ، مثل كِتَاب وكُتُب . قال فى النهاية : وهو أن تلبس المرأة ثوبها ثم تشدّ وسطها بشىء وترفع ثوبها وترسله إلى[6] الأَسفل عند معاناة الأَشغال[7] لئلا تَعْثر فى ذيلها .

تَخفِضيها : أَى تَختنيها ، يقال خَفضْتُ الجاريةَ خِفاضا : خَتَنتُها ، فالجارية مخفوضة ، ولا يطلق الخفض إلا على الجارية دون الغلام .

العِضَاه : بعين مهملة مكسورة فضاد معجمة : شجر الشوك كالطلح والعَوْسج والهاء أصلية ، الواحدة عِضَة بالهاء وبالتاء كعدة والأَصل عِضهَة كعِنَبَة .

السَّلَم بفتحتين : شجر من العِضَاه واحدته سَلَمة بفتحتين .

السَّمُر بفتح المهملة وضم الميم من شجر الطَّلْح الواحدة سَمُرة .

الرَّبْوة مثلثة الراء : المكان المرتفع . مَدَرة بفتحات جمعها مَدَر مثل قَصَب ، وقصبة ، وهو التراب المتلبّد . وقال الأَزهرى : المدَر قِطَع الطين .

---

(١) كذا فى ط موافقا للاكتفا ، وفى ت م : فسلم الأمر إليه عز وجل .

(٢) فى الاكتفاء زيادة : وصعد بروحه إلى الله عز وجل .

(٣) الاكتفا : فدفن داخل الحجر مما يلى باب الكعبة .

(٤) الاكتفا ١/٤٩ – ٦٣ .

(٥) ت م : ما يلف به .

(٦) ط : على الأسفل .

(٧) ت ، م : عند معاناة الأثقال .

الثُّمام بضم المثلثة نَبْت ضعيف قصير لا يَطُول [1]

الحَجُون بحاء مهملة مفتوحة فجيم مضمومة : موضع بأعلى مكة .

السِّقاء بكسر السين المهملة قربة صغيرة . وفى لفظ معها شَنَّة بفتح المعجمة وتشديد النون وهى القربة العَتِيقة .

الدَّوْحة بفتح الدال المهملة وسكون الواو وفتح الحاء المهملة هى الشجرة الكبيرة . فى أعلى المسجد : أى مكان المسجد . لأنه لم يكن يومئذ بناء .

قفَّ بقاف ففاء مشددة : أى ذهب مولِّيا وكأنه من القفا أى أعطاه قفاه وظهره .

الثَّنِيّة بفتح المثلثة وكسر النون وتشديد التحتانية . كدَاء بفتح الكاف ممدود : مكان فى أعلى مكة . يتلَّوى : يتقلب . يتلبَّط بمثناة تحتية فمثناة فوقية فلام فموحدة فطاء مهملة : أى يتمرَّغ ويضرب نفسه بالأرض . يتلمَّظ بوزن الذى قبله وبعد اللام ميم فظاء معجمة : أى يدير لسانه فى فيه ويحرِّكه .يَنْشَغ بمثناة تحتية مفتوحة فنون ساكنة فشين معجمة فغين معجمة أى يشهق ويعلو صوته وينخفض كالذى ينازع .

المجْهُود : الذى أصابه الجهْد وهو الأمر الذى يشقّ . تُقرها نفسُها[2]. بضم أوله وكسر القاف ونفسُها برفع الفاعل أى لم تتركها نفسها مستقرة فتشاهده [3] فى حال الموت .

صَهْ صَهْ ، بفتح المهملة وسكون الهاء وبكسرها منونة : كأنها خاطبت نفسها فقالت لها : اسكتى . غوَاث : بفتح أوله عند أكثر رواة الصحيح وتخفيف الواو آخره مثلثة ، وحكى ابن الأثير ضمَّ أوله ؛ والمراد به هنا : المستغيث . وحكى ابن قُرْقول كسرها أيضا ، وجزاء الشرط محذوف تقديره : فأغثنى .

غمزَ الأرض[4] بغين معجمة فميم فزاى أى كبَسها . انبثق :بنون فباء موحدة فثاء مثلثة فقاف : أى انفجر . تُحوِّضه ، بحاء مهملة فضاد معجمة وتشديد الواو : أى تجعله مثل الحوض . عَيْنًا مَعِينا : أى ظاهرًا جاريا على وجه الأرض . وفى لفظ : لكان[5] الماء ظاهرا . فعلى هذا فقوله : عَيْنا معينا : صفة للماء . فلذلك نكَّره قال ابنُ الجَوْزِىّ : كان

---

(١) ت ، م : قصير وطويل . محرفة .

(٢) ت م : فلم تقر نفسها .

(٣) ت م : مشاهدة .

(٤) ت م : غمزه .

(٥) ت م : كان .

ظهورُ زمزم نعمةً من الله تعالى مَحْضة بغير عمل جليل [1] ، فلما خالطها تحويضُ هاجر داخَلها[2] كَسْبُ البشر فقُصِرت على ذلك .

العَمَاليق : ذرية عِمْلاق ويقال عِمْليق بن لاوذ ويقال الود بن إرم ابن سام بن نوح . مُضَاض بميم مكسورة ، وحكى ضمها وضادين معجمتين .

الضَّيْعة ، بفتح المعجمة وسكون التحتانية : أى الهلاك . الرابية ، بالموحدة ثم المثناة التحتية : ما ارتفع من الأَرض . أَقطار الأَرض ، جمع قُطْر بالضم : الجانب والناحية . تَرِد الماء :تبْلغه . تَصْدر : ترجع .

غَمارة الماء بغين معجمة مفتوحة : كثرته . متنكبًا قوسَه : ملقيا لها على مَنْكِبه . رُفْقة ، بضم الراء ، وسكون الفاء فقاف : وهم الجماعة المختلطون سواء كانوا فى سَفَر أم لا .

جُرْهُم ، بضم الجيم وسكون الراء وضم الهاء : وهو ابن قحطان ابن عابِر بن شالَخ بن أَرْفَخْشِذ بن سام بن نوح . وقال ابن إسحاق : كان جرهم وقطوراء أَخوه أَولَ من تكلم بالعربية عند تبلبل الأَلسن [3].

وقوله : مُقْبِلين من كَدَاء بفتح الكاف فى جميع نسخ الصحيح والمدّ . واستشكله بعضهم أَن كَدَاء بالفتح والمد فى أعلى مكة وأَما الذى فى أَسفلها فبالضم[4] والقصر . يعنى فيكون الصواب هنا بالضم والقصر . قال الحافظ : وفيه نظر ؛ لأَنه لا مانع أَن يدخلوها من الجهة العليا وينزلوا[5] من الجهة السفلى .

عائِفا ، بالمهملة والفاء : وهو الذى يَحُوم على الماء فيتردّد ولا يمضى عنه . جَرِيًّا ، بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد التحتانية : أى رسولا . وقد يطلق على الوكيل والأَجير قيل سمى بذلك لأَنه يجرى مَجْرى مرسله أَو موكله ، أَو لأَنه يجرى مسرعا فى حوائجه .

أَو جَرِيَّيْن : شكٌ من الراوى : هل أَرسلوا واحدا أَو اثنين ؟ وفى بعض الروايات : فأَرسلوا رسولا . ويحتمل الزيادة على الواحد ، ويكون الإفراد باعتبار الجنس لقوله :

---

(١) الأصل : كليل . محرفة .

(٢) ت م : دخلها .

(٣) لم يرد فى سيرة ابن هشام ١/١١٧ .

(٤) ت م : بالضم .

(٥) ص ط : وينزلون .

فإذا هُمْ بالماء بصيغة الجمع ، ويحتمل أن يكون الإفراد باعتبار المقصود بالإرسال ، والجمع باعتبار من تبعه من خادم ونحوه .

أَلْفَى : بالفاء : أى وجَد. أمَّ إسماعيل : بالنصب على المفعولية . الأُنْس ، بضم الهمزة : ضد الوحشة . ويجوز الكسر أى تحب جِنْسها . وتعلَّم العربية منهم : فيه إشعار بأن لسان أمه وأبيه لم يكن عربيًا ، ولهذا مزيد يأتى فى ترجمة إسماعيل فى النسب النبوى .

أَنْفَسهم بفتح الفاء بلفظ أفعل التفضيل من النَّفَاسة : أى رغبتهم فى مصاهرته لنفاسته عندهم . وقال ابن الأثير : أنفسهم عطف على قوله تعلم العربية منهم[1] .

وزوَّجوه امرأة منهم : ذكروا فى اسمها واسم أبيها أقوالاً لا طائل بذكرها . يطالع تَرِكته : قال فى المصباح المنير : التَّرِكة بفتح التاء وكَسْر الراء وتخفف بكسر الأول وسكون الراء مثل كَلِمَة وكِلْمة ، أى يتفقد حالَ ما تركه هناك .

الشَّخْب ، بفتح الشين وسكون الخاء المعجمتين ثم موحدة : السَّيَلان .

عَتَبة بابك :بفتح العين المهملة والمثناة الفوقية والباء الموحدة : كناية عن المرأة ، وسمَّاها بذلك لما فيها من الصفات الموافقة لها ، وهى حفظ الباب وصون ما هو داخله ، وكونها محلا للوطء .

وتزوج امرأة أخرى : ذكروا فى اسمها ثمانية أقوال . وفى اسم أبيها أربعة ، ولا حاجة لنا إلى ذلك . نابت ، بالنون من النبات . فهما لا يخلو غليهما[2] أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه : ولفظ الكُشْمَيْهَنِىّ : لا يخلوان بالتثنية . قال ابن القُوطيّة : خلَوْت بالشىء واختلوت به : إذا لم أخلط به غيره[3] .

يَبْرِى ، بفتح أوله وسكون الموحدة . النَّبْل ، بفتح النون وسكون الموحدة : السَّهْم قبل أن يُركَّب فيه نَصْله وريشه ، وهو النهم العربى .

---

(١) الذى فى النهاية لابن الأثير ١٧٥/٤ فى مادة « نفس » :

« وفى حديث إسماعيل عليه السلام : أنه « تعلم العربية وأنفسهم » أى أعجبهم وصار عندهم نفيسا ، يقال أنفسنى فى كذا أى رغبنى فيه » .

وليس فيه ذكر لما أورده المؤلف .

(٢) ت م : عنهما .

(٣) الذى فى كتاب الأفعال لابن القطاع ٣١٥/١ : خلوت بالشىء خلوة وأخليت : لم أخلط به غيره .

الأَكمة ، بفتح الهمزة والكاف : وهى الرابية . إرمينية بكسر أوله وإسكان ثانيه بعده ميم مكسورة فتحتية فنون : بلد معروف بالروم .

الصُّرَد ، وزان[1] عُمَر : قال فى المصباح : نوع من الغربان ، الأنثى صُرَدة والجمع صِرْدَان . ويقال له الواق . وكانت العرب تتطيَّر من صوته وتقتله فنُهِى عن قتله دفْعًا للطِّيَرة ومنه نوع أَسْبَد[2] يُسميه أهلُ العراق العقعق ، وأما الصرد المُهَام[3] فهو البرِّى الذى لا يُرَى فى الأَرض ويقفز من شجرة إلى شجرة . وإذا اضْطُرّ[4] وأُضْجِر أُدرك وأُخِذ ويُصَرْصِر كالصقر ، ويصيد العصافير .

قال أَبو حاتم : الصُّرَد : طائِر أَبْقَع أَبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار ، له ريش ويصطاد العصافير وصغار الطير . وزاد بعضهم على هذا فقال : ويسمَّى المجوَّف لبياض بطنه ، والأَخطب لخضرة ظهره ، والأَخْيَل لاختلاف لونه .

خَلِفة بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام : الحامل من النوق . ربَضْتَ : أَسَّست .

طور زَيْتا ، بلفظ الزيت : علم لجبل بالبيت المقدس . لُبْنان ، بضم أَوله وإسكان ثانيه : جبل بالشام .

جَمْع : بفتح أَوله وإسكان ثانيه : اسم لمُزْدلفة ، سمى بذلك للجمع بين صلاتى المغرب والعشاء فيها . قاله البَكْرى . وقال فى النهاية : لأَن آدم وحواء لما أُهبطا اجتمعا بها . زاد صاحب التقريب : أَو لاجتماع الناس فيها .

قُزَح ، بضم أَوله وفتح الزاى : جبل بمزدلفة غير منصرف للعلمية والعدل عن قازِح تقديراً .

محسِّر ، بلفظ اسم الفاعل : موضع بين مِنىً ومزدلفة ، سمِّى بذلك ، لأَن فيل أَبرهة كَلَّ فيه وأَعْيَا ، فحسَّر أَصحابه بفعله ، وأَوقعهم فى الحسرات .

---

(١) ت م : وزن .

(٢) كذا فى ط موافقا للمصباح . وفى ص ت م : أسود . محرفة . والأسبد : القليل الشعر .

(٣) كذا فى ط موافقا للمصباح . وفى ص ت م : الهمام . محرفة .

(٤) المصباح : وإذا طرد .

المرة الخامسة والسادسة : عمارة العَمالقة وجُرْهم .

روى ابن أبي شَيْبة وإسحاق بن راهوَيْه فى مسنده وابن جَرِير وابن أبى حاتم والبيهقى فى الدلائلِ عن على – رضى الله تعالى عنه – أن بناء إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – لبث ما شاء الله أن يلبث ثم انهدم ، فبنتْه العمالقة ، ثم انهدم فبنته جُرْهُم .

قال السُّهيلى : وقد قيل إنه بُنى فى أيام جُرْهم مرة أو مرتين لأن السيل قد صدع حائِطه ، ولم يكن ذلك بُنْيانا وإنما كان إصلاحا لِمَا وهَى [منه][1] وجدارًا بُنى بينه وبين السيل[2] .

قلت : فى حديث أبى جَهْم عن حذيفة – رضى الله تعالى عنه – أن البيت فى زمن جُرْهم دخله السيل من أعلى مكة فانهدم ، فأعادته جرهم على بناء إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – وجعلت له مِصْراعين وقُفْلا[3] . انتهى .

فهذا نقل صريح يشهد لما فى حديث سيدنا على – رضى الله تعالى عنه .

المرة السابعة : عمارة قُصَىّ بن كلاب .

نقله الزبير بن بكَّار فى كتاب النَّسَب ، وجزم به الإمام أبو إسحاق الماوَرْدى فى الأحكام السُّلْطانية[4]

المرة الثامنة : عمارة قريش . وستأتى .

المرة التاسعة : عمارة عبد الله بن الزبير – رضى الله تعالى عنهما .

عن عائِشة – رضى الله تعالى عنها – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : ألم ترَىْ أن قومك حين بنَوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم ؟ فقلت : يا رسول الله ألا تردُّها على قواعد إبراهيم ؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « لولا حِدْثَان قومك بالكفر » . فقال عبد الله بن عمر – رضى الله تعالى عنهما – لئن كانت عائشة سمعَتْ هذا من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما أرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ترك استلام الركنين الشاميين اللذين يَلِيان الحجَر ، إلا لأن البيت لم يتمّ على قواعد إبراهيم – صلى الله عليه وسلم .

---

(١) زيادة من الروض الأنف . (٢) الروض ١/١٢٨ .

(٣) الاكتفا ١/٦٤ من حديث أبى جهم .

(٤) الأحكام السلطانية ص ١٤٣ (ط السعادة سنة ١٣٢٧ هـ)

وفى رواية قالت : قال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لولا حَداثة عهد قومك بالكفر لنقضتُ الكعبة ثم بنيتها على أَساس إبراهيم ، فإن قريشا اقتصرت بناءه ، وجعلتُ له خَلْفا . قال هشام : يعنى بابا .

متفق عليه [١] .

وفى رواية للبخارى : لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرتُ بالبيت فهُدِم ، فأدخلت ما خرج منه وألزقتُه بالأرض ، وجعلت له بابين : بابًا شرقيًا وبابًا غربيًّا ، فبلغتُ به أساس إبراهيم » ،

فذلك الذى حمل ابنَ الزبير على هَدْمه . قال يزيد ـ هو ابن رومان : وشهدت ابنَ الزبير حين هدمه وبناه فأدخل فيه من الحِجْر ، وقد رأيت أساس إبراهيم حجارة كأسنمة الإبل[٢] .

قال جَرِير بن أَبى حازم : فقلت له ـ يعنى ليزيد بن رومان : أين موضعه ؟ قال : أُريكه الآن . فدخلت معه الحِجْر فأشار إلى مكان وقال : هاهنا . قال جرير : فحَزَرت من الحِجْر ستة أذرع أو نحوها .

وفى رواية عن سعد بن مينا قال : سمعت عبدَ الله بن الزبير يقول : حدثتنى خالتى ـ يعنى عائشة قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ياعائشة لولا أن قومك حديثو عهد بِشِرْك لهدمتُ الكعبة فألزقُها بالأرض ولجعلت لها بابين : بابًا شرقيا وبابًا غربيًا ، وزدتُ فيها ستة أذرع من الحجر ، فإن قريشا اقتصرتها حيث[٣] بنت الكعبة » .

ولمسْلم عن عطاء بن أَبى رباح ـ رحمه الله تعالى ـ قال : لما احترق البيت زمن يزيد ابن معاوية حين غزاها أهلُ الشام فكان من أمره ما كان ، تركه ابن الزبير حتى قدم الناسُ الموسم يريد أن يُحَرِّبهم على أهل الشام ، فلما صدر الناسُ قال : يا أيها الناس أشيروا علىَّ فى الكعبة أنقضها ثم أبنى بناءها أو أُصْلح ما وهَى منها ؟ قال ابن عباس : إنى قد فُرِق[٤] لى فيها رأىٌ أن تُصْلِح ما وَهَى منها وتدع بيتًا أسْلَم عليه الناسُ ، وأحجارا أَسْلَم عليها الناس وبُعث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال ابن الزبير : لو كان أحدكم

---

(١) صحيح البخارى ١٩٣/٢ (ط الأميرية) كتاب بدء الخلق .
وصحيح مسلم كتاب الحج باب نقض الكعبة وبنائها حديث رقم ٣٩٨ وما بعده . (ط الحلبى) ورواية مسلم : « ولجعلت لها خلفا » .
(٢) الروض الأنف ١٢٧/١ . (٣) ت م : حين . (٤) فرق : كشف وبين .

احترق بيته ما رضى حتى يجدّده فكيف ببيت ربكم ؟ وإنى مُسْتخير ربى ثلاثا ثم عازم على أمرى . فلما مضى الثلاث أجمع أمْرَه على أن ينقضوها فتحاماها الناسُ أن ينزل بأول الناس يَصْعد فيها أمرٌ من السماء، حتى صعد رجل فألقى منه حجاره، فلما لم يره الناس أصابه شىء تابعوه ، فنقضوه حتى بلغوا به الأرض ، فجعل ابن الزبير أعمدة فستَّر[1] عليها الستور حتى ارتفع بناؤه[2] .

قال السُّهيلى ، رحمه الله تعالى : وطاف الناس بتلك الأستار فلم تَخْلُ من طائف حتى لقد ذكر أن يوم قَتْل ابن الزبير اشتدت الحرب واشتغل الناس فلم يُرَ طائِف يطوف بالكعبة إلاّ جملٌ يطوف بها[3] . انتهى .

وقال ابن الزبير : إنى سمعت عائِشة تقول : إن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : « لولا أن الناس حديثٌ عهدهم بكفر وليس عندى من النفقة ما أُنفق على بنيانهُ لكنت أدخلت فيه من الحِجْر خمسة أذرع ، وجعلت له بابا يدخل الناس منه وبابا يخرج الناس منه » قال : فأنا اليوم أجد ما أنفق ، ولست أخاف الناس . قال : فزاد فيه خمسة أذرع حتى أبْدَى أساسا نظر الناسُ إليه فبنى عليه البنيان .

وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعا ، فلما زاد فيه استقصره فزاد فى طوله عشرة أذرع ، وجعل له بابين : أحدهما يدخل منه ، والآخر يخرج منه .

فلما قُتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك يخبره بذلك ويخبره أن ابن الزبير وضع البناء على أُسٍّ قد نظر إليه العُدول من أهل مكة ، فكتب إليه عبد الملك : إنا لسنا من تخليط ابن الزبير فى شىء أمّا ما زاده فى طوله فأقِرَّه ، وأما ما زاد فيه من الحِجْر فرده إلى بنائِه وسُدَّ الباب الذى فتحه . فنقضه وأعاده إلى بنائه .

وفى تاريخ مكة للأزرقى ، أن ابن الزبير لما هَدم الكعبة وسوَّاها بالأرض كشف[4] عن أساس إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – فوجده داخلاً فى الحجر ستة أذرع وشيئا وأحجار ذلك الأساس كأنها أعناق[5] الإبل ، حجارة حمراء آخذ بعضها فى بعض مشبَّكة كتشبيك

---

(١) ص ت م : فسوى . وما أثبته عن ط موافقا لصحيح مسلم .

(٢) صحيح مسلم كتاب الحج حديث ٣٩٨ .

(٣) الروض ١٢٨/١ . (٤) ت م : وكشف . (٥) ص ت م : كأعناق .

الأَصابع وأَصاب فيه قبرا، فقال : هذا قبر أُم إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، فدعا ابنُ الزبير خمسين رجلا من وجوه الناس وأَشرافهم فأَشهدهم على ذلك ، وأَدخل عبدُ الله بن مطيع العَدوى عَتلة كانت بيده فى ركن من أَركان البيت فزعزعت الأَركان كلها وارتجت جوانب البيت ورَجفت مكةُ بأَسْرها رَجْفةً شديدة وخافوا خوفا شديداً ، وطارت من الحجر قطعة فأَخذها بيده ، فإذا فيها نورٌ مثل نار ، فطارت منه بَرْقة فلم يبق دار من دور مكة إلا دخله ، ففزعوا ، فقال ابن الزبير : اشهدوا . ثم وضع البناء على ذلك الأَساس ، وجعل لها بابين مُلْصَقين بالأَرض ، فلما ارتفع البنيان إلى موضع الركن ، وكان وقتَ الهدم قد جعله ابنُ الزبير فى ديباجة وأَدخله فى تابوت وأَقفل عليه وأَدخله دار الندوة ، وعمد إلى ما كان فى الكعبة من حلى وثياب وطيب فوضعه فى خزانة الكعبة فى دار شيبة ابن عثمان ، فلما انتهى البناء إلى موضع الحجَر أَمر فنقر بين حجرين أَحدهما من المدماك الذى تحته والآخر من الذى فوقه وطبّق ما بينهما .

ثم أَمر ابنُ الزبير ابنَه عبادا وجبير بن شَيْبة بن عثمان أَن يجعلا الركن فى ثوب وقال لهما : إذا فرغتما فكبِّرا حتى أَسمعكما فأُخف صلاتى فلما وضعاه فى موضعه كبَّرا فتسامع الناس بذلك . فغضب رجال من قريش حيث لم يُحْضرهم ابن الزبير ، وقالوا : ما رفعته قريش فى الجاهلية حتى حكَّموا أَولَ من يدخل عليهم ، فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أَول داخل .

وكان الحجَر قد انصدع بسبب الحريق فشدَّه ابن الزبير بالفضة . قال ابن عون : فنظرت إلى جوف الحجر حين انفلق كأَنه الفضة .

وكانت الكعبة يوم هدَمها ابن الزبير ثمانية عشر ذراعًا فى السماء، فلما بلغ البنيان هذا الحدَّ قصرت لحال الزيادة فى العرض من الحِجْر ، فقال ابن الزبير : قد كانت تسعة أَذرع فى السماء قبل بناء قريش فزادت قريش تسعة أَذرع ، وأَنا أَزيد تسعة أَذرع . فجعلها سبعة وعشرين ذراعًا فى السماء! وهى[1] سبعة وعشرون مِدْماكًا ، وعرض جدارها ذراعان . وجعل داخلها ثلاثة دعائم . وكانت قبل ذلك على ست دعائم صَفَّين ، وأَرسل إلى صنعاء

---

(١) ت م : وهو ، تحريف .

فأتى برخام فجعله فى الروازن[1] لأجل الضوء ، وجعل لبابها مِصْراعين طولهما أحد عشر ذراعًا ، وجعل الباب الآخر بإزائه على هيئته وجعل لها درجًا من خشب معوجة يُصعد منها إلى ظهرها . فلما فرغ من بنائها خلَّقها من داخلها ومن خارجها بالطِّيب والزعفران وكسَاها القَباطِيَّ[2] وقال : من كانت لى عليه طاعة فليخرج فليَعْتَمر من التَّنْعيم ، ومن قدَر أن يَنْحَر بدنةً فليفعل ، فإن لم يقدر فشاة ، ومن لم يقدر فليتصدق بما تيسَّر .

وأخرج ابنُ الزبير مائة بدَنة ، فلما طاف بالبيت استلم الأركانَ الأربعة جميعا.

فلم يزل البيت على بناء ابن الزبير تُستلم الأركان كلها ، ويُدْخل من باب ويخرج من باب حتى قُتل ابن الزبير ودخل الحجاج مكة ، فكتب إلى عبد الملك بكل ما فعله ابن الزبير . فكتب إليه عبد الملك بن مروان أن اهدم ما زاده فيها من الحِجْر وردَّها على ما كانت عليه وسُدَّ البابَ الغربيَّ الذى فتح واترك سائِرها .

فكلُّ البيت اليوم على بنيان ابن الزبير ، إلا الجدار الذى فى الحِجْر وموضع سد الباب الغربى ، فإنه من بنيان الحجاج ، وغَيَّر تلك الدَّرج التى فى جوفها ، ونقص من طول الباب خمسة أذرع .

فلما حج عبد الملك قال له الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى : أنا أشهد لابن الزبير بالحديث الذى سمعه من عائشة فقد سمعته أنا أيضا منها. قال : أنت سمعته منها ؟ قال : نعم ، فجعل ينكث بقضيب كان فى يده فى الأرض ساعة ثم قال : وددْت أنى كنت تركته وما تحمَّل[3] .

* * *

المرة العاشرة : عمارة الحجاج .

وتقدم بيانها ذكره السهيلى والنووى رحمهما الله تعالى .

قال فى شفاء الغرام : وفى إطلاق العبارة بأنه بني الكعبة تجوّز لأنه لم يبن إلا بعضها[4].

---

(١) ت م : فى الروزان ، والروزان : جمع الروزن ، وهى الكوة .

(٢) القباطى : ثياب بيض كانت تصنع بمصر .

(٣) أخبار مكة ١/١٣٥ – ١٣٨ .

(٤) ت م : لم يبن بعضها .

الباب الثالث

فى أسماء البيت الشريف

منها : الكعبة. قال الله سبحانه وتعالى: (جَعَلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قيامًا للناسِ[1]) .

قال مجاهد رحمه الله تعالى : إنما سميت الكعبة لأنها مربَّعة .

رواه ابن أَبى شيبة ، وعبد بن حُمَيْد ، وكذا قال عكرمة . رواه ابن أبى شيبة وعبد .

وقال القاضى فى « المشارق » : الكعبة هو البيت نفسه لا غير ، سمىَ بذلك لتكعّبه[2] وهو تربيعه ، وكل بناء مرتفع مربع كعبة[3] .

وقال : النووىّ سميت بذلك لاستدارتها وعلوّها ، وقيل لتربيعها .

قال فى شفاء الغرام : وممن قال : إنها سميت بالكعبة لكونها على خِلْقَةِ الكعب ، ابنُ أَبى نجيح وابن جُرَيْج رحمهما الله تعالى .

ومنها : بَكَّة . قال أَبو مالك الغِفَارى رحمه الله تعالى: بكة : موضع البيت، ومكة ما سوى ذلك . رواه ابن أَبى شيبة وسعيد بن منصور وعَبْد بن حُميْد وابن جرير .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : مكة من الفَج إلى التنعيم . وبكَّة من البيت إلى البطحاء . رواه ابن أَبى حاتم . وقال عكرمة رحمه الله تعالى : البيت وما حوله بَكَّة وما وراء ذلك مكة . رواه ابن أَبى شيبة وعبْد بن حُمَيْد . وقال مجاهد رحمه الله تعالى : بَكَّة الكعبة ، ومكة ما حولها . رواه عبد بن حميد .

وقال ابن شهاب رحمه الله تعالى : بَكَّة البيت . ومكة الحرم كله . رواه ابن جرير ، وسمِّى البيت بذلك لما رواه ابن أَبى حاتم عن محمد بن يزيد بن المهاجر قال : إنما سميت بكَّة لأَنها كانت تبكُّ الظَّلَمة . ولهذا مزيد بيان فى باب أَسماء الحرم .

ومنها : البيت الحرام . وتقدم فى الآية السابقة .

---

(١) سورة المائدة ٩٧ . (٢) م : للتكعيب . (٣) ت م : كعب .

ومنها : المسجد الحرام . قال تعالى : (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرام) والمراد به هنا الكعبة بلا خوف . وقد ورد إطلاق المسجد الحرام على غير الكعبة كما سيأتى .

ومنها : قادِس. ذكره فى شفاء الغرام ولم يتكلم عليه . وقال أبو عبيد البكرى رحمه الله تعالى فى مُعْجمه نقلا عن كُرَاعَ : القادِس : اسم للبيت الحرام . قال غير كراع : سميت بذلك من التقديس وهو التطهير لأنها تطهِّر من الذنوب[1] .

ومنها : ناذِر. ذكره فى شفاء الغرام . ولم يتكلم على ضبطه ولا على معناه . وذكره فى القاموس فى مادة نذَر بالذال وقال إنه من أسماء مكة .

ومنها القَرْية القديمة . ذكره فى شفاء الغرام .

ومنها البيت العَتِيق قال الله تعالى : (وَلْيَطَّوفوا بالبيتِ العَتِيق[2]) . روى البخارى فى تاريخه والترمذى - وحسَّنه - وابن جَرير والحاكم - وصحَّحه - عن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « إنما سمى الله البيت العتيق لأنه أعتقه من الجبابرة فلم[3] يظهر عليه جَبَّار قط[4] » .

وروى عبد بن حميد وابن أبى حاتم عن ابن عباس مثله .وقال مجاهد : إنما سمى البيت العتيق لأنه أعتقه من الجبابرة لم يدّعِه جبار قط . وفى لفظ : فليس فى الأرض جبار يدّعى أنه له .

رواه ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جرير .

وروى ابن المنذر وابن أبى حاتم عنه قال : إنما سمى البيت العتيق لأنه لم يُردْه أحدٌ بسوء إلاَّ هلَك .

وعن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى أنه أعتق من الغرق فى زمان نوح . رواه ابن المنذر وابن أبى حاتم .

وقال الحسن رحمه الله تعالى : لأنه أول بيت وضع . رواه ابن أبى حاتم .

---

(١) معجم ما استعجم للبكرى ١/٢٧٠ .

(٢) سورة الحج ٢٩ .　　(٣) ت م : لم يظهر .

(٤) صحيح الترمذى ٢/٢٠٠ . قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح . وقد روى هذا الحديث عن الزهرى عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا .

وما رواه عبد الله بن الزبير أَوْلَى وصححه ابن جماعة فى مناسكه .

ومنها : البَنِيّة . بموحدة فنون فمثناة تحتية مشددة فى حديث البراء بن مَعْرور : « رأيت ألاَّ أجعل هذه البَنِيَّة منى بظهر[1] »، يعنى الكعبة .وقد كثر قسَمُهم بربّ هذه البنية .

ومنها الدوّار : بضم الدال المهملة وفتحها وتشديد الواو وبعدها ألف وراء .ذكره ياقوت فى المشترك وَضْعًا والمختلف صقعًا[2]

(١) انظر حديث البراء بن معرور فى سيرة ابن هشام ٢/٨١ (ط الحلبى) .

(٢) ت م : والمختلف صنعا . محرفة .

الباب الرابع

في بعض فضائل دخول الكعبة والصلاة فيها وآداب ذلك

روى ابن خُزَيْمة والطبرانى والبيهقى من طريق عبد الله بن المؤمل ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من دخل البيت فصلَّى فيه دخل فى حَسنة وخرج من سيئة مغفوراً له » .

وفى لفظ : خرج مغفوراً له .

وروى الفاكهى عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال فى دخول البيت : دخولٌ فى حسنة وخروج من سيئة .

وروى الفاكهى عن مجاهد رحمه الله تعالى قال : دخول البيت حسنةٌ وخروج من سيئة ويخرج مغفورا له .

ورَوى الفاكهى عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه قال لهند بن أَوس : أَرأَيت الكعبة ؟ من دخلها فصلى فيها خرج من ذنوبه كيوم ولدَتْه أُمُّه .

وروى الفاكِهِىّ عن عطَاء رحمه الله تعالى قال : لَأَن أُصلى فى البيت ركعتين أَحب إِلىّ أَن أُصلى أَربعًا فى المسجد الحرام .

ورَوى الفاكهى عن الحسن رحمه الله تعالى قال : الصلاة فى الكعبة تَعْدِل مائة أَلف صلاة .

وفى رسالة الحسن لأَهل مكة : مَن دخل البيت دخل فى رحمة الله عز وجل ، وفى حِمَى الله عز وجل ، وفى أَمْن الله عز وجل ، ومن خرج خرج مغفورا له .

وروى عبْد بن حميد وابن جرير وابن أَبى حاتم عن يحيى بن جَعْدة بن هُبَيْرة فى قوله تعالى : (ومَنْ دَخله كان آمنًا) . قال : آمنًا من النار .

وما أحسن ما أنشده الحافظ أبو طاهر السِّلَفى[1] رحمه الله تعالى لنفسه بعد دخول البيت [زاده الله تعالى تشريفا وتكريما][2] :

أبعد دخول البيتِ والله ضامنٌ أيبقى قبيحٌ والخطايا كَوامنُ

فحاشا وكلاَّ بل تُسَامَح كلُّها ويرجع كلٌّ وهو جَذْلان آمنُ

فائدتان :

الأولى : قال فى شفاء الغرام : دخل النبي - صلى الله عليه وسلم - البيت أربع مرات بعد الهجرة : الأُولى يوم الفتح . رواه مسلم[3] عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، الثانية : ثانى الفتح . رواه الإمام أحمد عن أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما[4] الثالثة فى عمرة القضية . نقله المحب الطبرى فى القرى عن عروة وسعيد بن المسيَّب . وفى ذلك نظر لما سيأتى عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله تعالى عنه . الرابعة : فى حجة الوداع ، رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه[5]

الثانية : اتفق الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى على استحباب دخول الكعبة ، واستحسن الإمام مالك رضى الله تعالى عنه كثرة دخولها ، وأما حديث عائشة رضى الله تعالى عنها : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندى وهو قَرِير العين طيب النفس ، ثم رجع وهو حزين فقلت له فقال : إنى دخلت الكعبة ووددت أنى لم أكن فعلت ، إنى أخاف أن أكون أتعبت أمتى من بعدى ، رواه الإمام أحمد والترمذى وصححه. فلا دلالة فيه لعدم الاستحباب ، بل دخوله صلى الله عليه وسلم دليل على استحبابه ، وتمنِّيه عدم الدخول قد علله النبي صلى الله عليه وسلم بالشفقة على أمته ، وذلك لا يدفع الاستحباب .

---

(١) أبو طاهر السلفى : أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة (بكسر السين وفتح اللام) الأصبهانى ولد بأصبهان ٤٧٨ وتوفى بالإسكندرية سنة ٥٤٦ . ونسب إلى جده إبراهيم سلفة ، وهو لفظ أعجمى ومعناه بالعربى ثلاث شفاه كما قال ابن خلكان . ترجمته فى وفيات الأعيان ٨٧/١ (ط محيى الدين) ومرآة الزمان ٣٦١/٨ .

(٢) ليست فى ط

(٣) صحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ - ٣٩٥ (ط عبد الباقى) .

(٤) مسند أحمد ٢٠٧/٦ .

(٥) سنن أبى داود ٢٠١/١ (ط نصر الهورينى) كتاب المناسك باب فى دخول الكعبة .

وصحيح الترمذى ١٦٥/١ (ط ١٢٩٢ الأميرية) كتاب الحج باب ما جاء فى دخول الكعبة .

وسنن ابن ماجه كتاب المناسك الباب الثامن والعشرون والسابع والسبعون (ط عبد الباقى) .

وحديث عبد الله بن أبي أوفى[1] رضى الله تعالى عنه : اعتمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت وصلى خلفَ المقام ركعتين ومعه من يَسْتره من الناس ، قال له رجل : أدخَل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة ؟ قال : لا. رواه الشيخان . فكذلك لا دليل فيه لعدم الاستحباب .

قال النووى : قال العلماء رحمهم الله تعالى : سبب ترك دخوله صلى الله عليه وسلم ما كان فى البيت من الأصنام والصور ولم يكن المشركون يتركونه يغيّرها[2] . فلما كان يوم الفتح أمر بإزالة الصور ثم دخلها كما فى حديث ابن عباس فى الصحيح .

* * *

وأما آداب الدخول فكثيرة ، منها : الغُسْل ، ومنها : نزع الخُفّ والنعل ، ومنها : ألاّ يرفع بصره إلى السقف لأن ؛ ذلك يؤدى إلى الغفلة واللهو عن القصد .

روى الحاكم عن عائِشة رضى الله تعالى عنها أنها كانت تقول : عجبًا للمرء المسلم إذا دخل الكعبة حين يرفع بصره قِبَل السقف يدَع[3] ذلك إجلالاً لله تعالى وإعظامًا ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة ما خلّف بصره موضع سجوده حتى خرج منها .

ومنها : ألاّ يزاحِم أحدًا زحمةً شديدة يتأذى بها أو يؤذى بها أحد . كما ذكره النووى رحمه الله تعالى :

ومنها : أن يُلْزم قلبَه الخشوع والخضوع ، وعينيه الدموع إن استطاع ذلك ، وإلاّ حاول صورتهما .

ومنها : ألاّ يسأل مخلوقا . قال سفيان بن عُيَيْنة رحمه الله تعالى : دخل هشام ابن عبد الملك الكعبة فرأى سالم بن عبد الله بن عمر ، فقال : سَلْنى حاجتك . فقال : استحى من الله تعالى أن أسأل فى بيته غيره .

وأما ما يُطلب فى الكعبة من الأمور التى صنعها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فهو : التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والثناء على الله تعالى والدعاء والاستغفار والصلاة . لأحاديث وردت فى ذلك يأتى بيانها فى غزوة الفتح إن شاء الله تعالى .

---

(١) ت م : ابن أبى الأرقم . محرفة .

(٢) ط : بغيرها .

(٣) ت م : يصنع .

الباب الخامس

فى فضل النظر إلى البيت الشريف

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : النظر إلى الكعبة مَحْض الإيمان . وقال حمَّاد ابن [أبى] سلمة رحمه الله تعالى : الناظر إلى الكعبة كالمجتهد فى العبادة فى غيرها .

وقال يونس بن خبَّاب رحمه الله تعالى : النظر إلى الكعبة عبادة فيما سواها من الأَرض عبادة الصائِم القائم الدائِم القانت .

وقال مجاهد رحمه الله تعالى : النظر إلى الكعبة عبادة .

وقال سعيد بن المسيَّب رحمه الله تعالى . من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقًا خرج من الخطايا كيوم ولدته أُمه .

وقال أبو السائب المدنى رحمه الله تعالى : من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقا تحاتَّتْ[2] عنه الذنوب كما يتحاتُّ[3] الورقُ من الشجر .

وقال زهير بن محمد رحمه الله تعالى : الجالس فى المسجد ينظر إلى البيت لا يطوف به ولا يصلى أَفضلُ من المصلِّى فى بيته لا ينظر إلى البيت .

وقال عطاء رحمه الله تعالى : النظر إلى البيت عبادة ، والناظر إلى البيت بمنزلة الصائِم القائم المُخْبِت المجاهد فى سبيل الله .

روى الجميعَ الأَزرقُّ والجندى[4]

---

(١) من أخبار مكة للأزرق ص ٢٥٦ (ط جوتنجن)

(٢) ت م : تناحت .

(٣) ت م : كما ينحات. محرفة .

(٤) أخبار مكة للأزرق ص ٢٥٦ (ط جوتنجن) .

الباب السادس

فى بعض فضائل الحجر الأسود والمقام

روى الترمذى وابن حبان والحاكم والبيهقى فى الدلائل عن ابن عمر[1] رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « الركنُ والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس[2] الله تعالى نورهما ، ولولا ذلك لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب[3] » .

وروى الحاكم عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة .

وروى البيهقى فى الشُّعَب عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن الركن والمقام من يواقيت الجنة ، ولولا ما مسَّهما من خطايا بنى آدم لأضاءا ما بين المشرق والمغرب ، وما مسَّهما من ذى عاهة ولا سقيم إلاَّ شُفى .

وروى الترمذى – وصحَّحه واللفظ له – والإمام أحمد وابن خزيمة عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « نزل الحَجَر الأسود من الجنة وهو أشدُّ بياضًا من اللبن فسوّدته خطايا بنى آدم[4] » .

وروَى ابن خزيمة عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « الحجر ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة ، وإنما سَوَّدته خطايا المشركين ، يُبْعث يوم القيامة مثل أُحد يشهدلمن استلمه وقبَّله من أَهل الدنيا » .

لطيفة : قال الإمام بدر الدين أحمد بن محمد الشهير بابن الصاحب رحمه الله تعالى :

---

(١) كذا بالأصل وفى صحيح الترمذى : قال سمعت مسافع الحاجب ، قال سمعت عبد الله بن عمرو .

(٢) ت م : خلس .

(٣) صحيح الترمذى ١٦٦/١ كتاب الحج باب ما جاء فى فضل الحجر الأسود والركن والمقام . ثم قال الترمذى : هذا يروى عن عبد الله بن عمرو موقوفا قوله . وفيه عن أنس أيضا ، وهو حديث غريب .

(٤) صحيح الترمذى ١٦٦/١ . ومسند أحمد ٣٠٧/١ ، ٣٢٩ ، ٣٧٣ وروايته : « حتى سودته خطايا أهل الشرك » .

فإن قلت : ما الحكمة فى كون الحجر من ياقوت الجنة دون غيره من جواهرها ؟ قلت : سِرٌ غريب نبهت عليه فى كتاب « الرموز فى كشف أغطية الكنوز » وأنا ضَنِين[1] بذلك ولكنى أَبوح[2] هنا بشىء من قشوره ، وذلك أن الشمس فى الفلك الرابع المتوسط :

لو لم يكن وسَط الأَشياء أَحسنها ما اختارت الشمسُ من أفلاكها الوسطَا

وهى المُمِدّة لما فوقها وما تحتها من الأَفلاك ، والمعِدَة فى الفلك[3] الرابع من الأَنفس وهى الممدة لما فوقها وما تحتها مستقرها[4] النار ، وخلق الله تعالى فيها عَيْنًا نَبَّاعة بحَمْض مُعِينة على الهضم والتبريد ، ومكة فى الفلك المتوسط من الدنيا وهو محل النار ، وهى الممدة للدنيا ، قال الله تعالى : (جَعلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قِياماً للناسِ) أى : قياماً لدينهم ودنياهم ، وجعل الحجر من ياقوت الجنة الذى لا يُبَالى بالنار ويحصل منه التبريد المعنوى والحسى :

وطالَما أُصْلِىَ الياقوتُ جَمْر غَضًا ثم انطفَا الجَمْرُ والياقوتُ ياقوتُ

ثم سِرٌّ آخر : وهو أَنهُ نقطة الدائرة الياقوتية .

ذكر ما قيل فى اسوداد الحجر بعد بياضه

قال السُّهَيْلى — رحمه الله تعالى — بعد أن ذكر شيئا يتعلق بالحجر الأَسود : وانتبه من ها هنا إلى الحكمة فى أنه سوَّدته خطايا بنى آدم دون غيره من أحجار الكعبة وأَستارها وذلك أن العهد الذى [فيه] هو[5] الفطرة التى فُطر الناس عليهامن توحيدالله تعالى ، فكل مولود يولد على تلك الفطرة وعلى ذلك الميثاق ، فلولا أن أَبويه يهوِّدانه ويُنَصِّرانه ويمجِّسانه حتى يسودَّ قلبه بالشِّرْك لما حالَ عن العهد ، فلما صار[6] قلب ابن آدم محلا لذلك العهد والميثاق وصار الحجر محلاًّ لما كتب فيه من ذلك العهد والميثاق فتناسبا ، فاسودّ من الخطايا قلبُ ابن آدم بعدما كان ولد عليه من ذلك العهد ، واسودَّ الحجر الأَسود بعد ابيضاضه ، وكانت الخطايا سبباً فى ذلك حكمة من الله تعالى[7] .

---

(١) ت م : وأنا متين . محرفة .
(٢) ت م : ولكنى ألوح . محرفة .
(٣) ت م : والفلك . محرفة .
(٤) ط : مقرها .
(٥) الروض : هى الفطرة .
(٦) الروض : فقد صار قلب ابن آدم . وفى الأصل : فلما فقد . وأظنها محرفة .
(٧) الروض الأنف ١٢٩/١ .

ورَوى أبو الشيخ عن جعفر بن محمد رحمه الله تعالى قال : كنت مع أبى محمد بن على ، فقال له رجل : يا أبا جعفر ما بدْءُ خلق هذا الركن ؟ فقال : إن الله – تعالى – لما خلق الخلق قال لبنى آدم : ألستُ بِرَبِّكم ؟ قالوا : بلى ، فأَقرُّوا فأَجرى نهراً أحلى من العسل وأَلْيَن من الزبد ، ثم أَمر القلم فاستمد من ذلك النهر ، فكتب إقرارهم وما هو كائن إلى يوم القيامة ، ثم أَلقم ذلك الكتابَ هذا الحجَر ، فهذا الاستلام الذى يُرَى إنما هو تبعية على إقرارهم الذى كانوا أقرُّوا به[1] .

ورَوى عبد الرازق فى المصنف وأَبو الشيخ عن فاطمة بنت حسن – رضى الله تعالى عنها – قالت : لمّا أَخذ الله الميثاق من بنى آدم جعله الله – تعالى – فى الركن ، فمِن الوفاء بعهد الله تعالى استلامُ الحجَر .

ورَوى الجندى فى فضائل مكة وأَبو الحسن القطّان فى المطوَّلات والحاكم والبيهقى فى الشُّعَب عن أَبى سعيد الخدرى – رضى الله تعالى عنه – قال : حَجَجْنا مع عمر بن الخطاب – رضى الله تعالى عنه – فلما دخل فى الطواف استقبل الحجَر فقال : إنى أَعلم أنك حجرٌ لاتضرّ ولاتنفع ولولا أنى رأَيت رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – يقبِّلكَ ماقبّلتُك ثم قبّله ، فقال له على – رضى الله تعالى عنه – : يا أَمير المؤمنين إنه يضرّ وينفع . قال : بم ؟ قال : بكتاب الله تعالى . قال وأين ذلك من كتاب الله قال : قال الله عز وجل : « وَإِذْ أَخذ ربُّك مِن بَنِى آدمَ مِن ظُهورِهم ذريتهم » إلى قوله : (بلى)[2] ، خلق آدم ومسح على ظهره فقرَّرهم بأَنه الرب وأَنهم العبيد ، وأَخذ عهودهم ومواثيقهم وكتب ذلك فى رقٍّ ، وكان لهذا الحجَر عينان ولسان ، فقال له : افتح فاك ، ففتح فاه فأَلقمه ذلك الرِّقَّ وقال : اشهد لمن وافاك بالموافاة يومَ القيامة ، وإنى أَشهد لَسمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : يؤتى يوم القيامة بالحجَر الأَسود وله لسان ذَلْق[3] يشهد لمن يستلمه بالتوحيد فهو يا أمير المؤمنين يضرّ وينفع . فقال عمر : أَعوذ بالله أَن أَعيش فى قوم لست فيهم يا أَبا الحسن[4] .

---

(١) الخبر (مطولا) رواه الكلاعى فى الاكتفا ٤٥/١ عن الزبير بن بكار .

(٢) سورة الأعراف : ١٧٢ ، و (ذرياتهم) بلفظ الجمع قراءة نافع وأبى عمرو وابن عامر ، كما فى إتحاف فضلاء البشر : ١٤٠ .

(٣) الزلق : الفصيح الحديد .

(٤) إنما أراد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه لا يضر لذاته ولا ينفع لذاته ، قضاء على الوثنية التى كانت تزعم للأحجار النفع والضرر . وهذه الزيادة عن على رضى الله عنه لم ترد فى رواية البخارى ومسلم .

تنبيه : قال المحب الطَّبَرى رحمه الله تعالى : وقد اعترض بعض المُلْحِدة ، فقال : كيف يسوِّدُ الحجرَ خطايا أهل الشرك ولا يبيضه توحيدُ أهل الإيمان ؟ .

والجواب عنه من ثلاثة أوجه : الأول : ما تضمنه حديث ابن عباس الذى رواه الجندى : أن الله ـ تعالى ـ إنما طمَس نوره بالسواد ليَسْتر زينة الجنة عن الظَّلَمة وكأنه لما تغيَّرت صفته التى كانت كالزِّينة له بالسواد كان ذلك السواد له كالحِجَاب المانع من الرؤية وإن رُئى جِرْمه ، إذ يجوز أن يُطْلق عليه غير مَرْئى ، كما يطلق على المرأة المستترة بثوب أنها غير مرئية .

الثانى : أجاب به ابن حبيب رحمه الله ـ تعالى ـ فقال : لو شاء الله ـ تعالى ـ لكان ذلك ، وما علمتَ أيّها المعترض أن الله ـ تعالى ـ أجرى العادة بأن السواد يَصْبغ ولا يُصْبَغ ، والبياض ينصبغ ولا يَصْبُغ .

والثالث : وهو مُنْقاس ، أن يقال : بقاؤه أسود ـ والله تعالى أعلم ـ : إنما كان للاعتبار ، وليُعْلَم أن الخطايا إذا أثَّرت فى الحجَر فتأثيرها فى القلوب أعظم .

شهادة الحجر الاسود يوم القيامة لمن استلمه بحق

روى الدارمى وابن خُزَيْمة وابن حِبَّان والحاكم عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ليَبْعثن الله الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد لمن استلمه بحق [1] »

وورد من حديث أنس رواه الحاكم ، ومن حديث سلمان رواه الأزرقى ، ومن حديث عبد الله بن عمر ، ورواه ابن خزيمة والطبرانى والبيهقى فى الأسماء والصفات.

ماجاء فى تقبيل النبى صلى الله عليه وسلم الحجر واستلامه له وسجوده عليه

قال ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ : رأيت رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستلم الحجَر ويقبِّله .

---

(١) سنن الدارمى ٤٢/٢ « باب الفضل فى استلام الحجر » ومسند أحمد ٢٤٧/١ ، ٢٦٢ ، ٢٩١ ، ٣٠٧ ، ٣٧٠ وسنن ابن ماجه « كتاب المناسك . باب استلام الحجر » حديث رقم ٢٩٤٤ . وصحيح الترمذى ١٨٠/١ .

رواه الشيخان[1].

وقال ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- :سجَد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- على الحجر.
رواه الترمذى[2].

وقال أيضا : رأيت عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - قبَّله وسجد عليه ، ثم قال : رأيتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعل ذلك . رواه البيهقى.

وقال جابر بن عبد الله - رضى الله تعالى عنهما - : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إنّ مَسْحهما - يعنى الرُّكْنين - كفارة للخطايا ».
رواه الترمذى[3].

وقال عابس - بالباء الموحدة والمهملة - ابن ربيعة : رأيت عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - يقبِّل الحجَر ، ويقول : والله إنى لأَعلم أنك حجَر لا تنفع ولا تضرّ ، ولولا أنى رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقبّلك ما قبلتك[4]. رواه الشيخان .

قال المحب الطبرى رحمه الله تعالى : إنما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الأَصنام ، فخشى عمر أن يظن الجُهّال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأَحجار كما كانت العرب تفعل فى الجاهلية ، فأَراد عمر - رضى الله تعالى عنه - أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل النبى - صلى الله عليه وسلم - لا أن الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده فى الأَوثان .

ماجاء أن الحجر الأسود يمين الله تعالى فى الأرض يصافح به عباده

روى الطبرانى عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله تعالى عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأتى الركن يوم القيامة أعظم من أَبى قُبَيْس ، له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه بحق ، وهو يمين الله - تعالى - فى الأَرض ، يصافح به خلقه » .

---

(1) صحيح البخارى 211/1 كتاب الحج باب تقبيل الحجر . وصحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم 246 .
(2) ليس فى صحيح الترمذى . انظر كتاب الحج : باب ما جاء فى استلام الحجر والركن بن اليمانى صحيح الترمذى 163/1
(3) صحيح الترمذى 180/1 ، ولكن روايته فيه عن ابن عبيد بن عمير عن أبيه أن ابن عمر كان يزاحم على الركنين زحاما ما رأيت أحدا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يفعله ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن إنك تزاحم على الركنين زحاما ما رأيت أحدا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يزاحم عليه فقال : إن أفعل فإنى سمعت رسول الله إلخ .
(4) صحيح البخارى 211/1 ، (كتاب الحج . باب تقبيل الحجر) وصحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم 248

رجاله رجال الصحيح ، إلا عبد الله بن المؤمّل ، وهو ضعيف .

وروى الطبرانى وأبو عبيد القاسم بن سلام عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : الحجَر يمين الله تعالى فى الأرض ، ورواه الأزرقى وأبو طاهر المخلّص عنه موقوفا بلفظ : الحجر الأسود يمين الله تعالى فى الأرض ، فمن لم يدرك بيعة النبى – صلى الله عليه وسلم – فمسح الحجَر فقد بايع الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم[1] .

ورواه الأزرقى أيضا عنه موقوفا بلفظ : الركن [الأسود][2] يمين الله تعالى فى الأرض ، يصافح به عباده كما يصافح أحدكم أخاه[3] .

وفى لفظ رواه محمد[4] ابن أبى عمر العَدَنى والأزرقى أن هذا الركن الأسود يمين الله تعالى فى الأرض يصافح بها خلقه ، والذى نفس ابن عباس بيده ما مِنْ مسلم يسأل الله تعالى عنده شيئاً إلا أعطاه إياه .

قال الحافظ فى المطالب العالية : موقوف صحيح الإسناد ، زاد تلميذه الحافظ السَّخَاوى فى المقاصد الحَسنة فقال : وله شواهد ، منها ما رواه الدَّيْلمى عن أنس مرفوعاً : الحجر الأسود يمين الله فى الأرض . فمن مسح يده على الحجر فقد بايع الله تعالى ألاَّ يعصيه ، ومنها : ما رواه الحارث بن أبى أُسامة والخطيب وابن عساكر عن جابر بن عبد الله – رضى الله تعالى عنهما . مرفوعاً : « الحجَر يمين الله فى الأرض يصافح بها عباده » .

قال الإمام الخَطَّابى رضى الله تعالى عنه : معنى أنه يمين الله فى الأرض أن من صافحه : أى الحجر – كان له عند الله عهد ، وجرت العادةُ بأن العهد يَعْقده الملِك بالمصافحة لمن يريدُ مولاته والاختصاص به ، فخاطبهم بما يعهدونه .

وقال فى النهاية : هذا كلام تمثيل وتخييل ، وأصله أن الملك إذا صافح رجلاً قبَّل الرجلُ يده ، فكان الحجر الأسود لله بمنزلة اليمين للملك حيث يُسْتَلم ويُلْثَم .

وقال المحب الطبرى : معناه أن كل ملِك إذا قَدِم عليه الوافد قبَّل يمينه ، فلما كان الحاجُّ أولَ ما يَقْدَم يُسَنُّ له تقبيله نُزِّل منزلة يمين الملك ولله المثل الأعلى .

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢٢٠/١ (ط مكة) . ولفظه : إن الحجر إلخ .

(٢) من أخبار مكة . (٣) أخبار مكة ٢٢٠/١ . (٤) ط : رواه أبو محمد .

الباب السابع

فى فضائل زمزم

اختلفوا لم سميت بذلك ؟ فقيل : لكثرة مائها . قال أبو عبيد البكرى يقال ماء زَمْزَم وزمزام : أى كثير . وفى « المُوعَب » لابن التيَّان[1] : ماء زمزم وزمزام وهو الكثير . وقيل : لتزمزم المـاء فيها ، وهو حركته . والزمزمة : الصوت يُسمع له دوىّ . وقيل : لاجتماعها . نُقل عن ابن هشام .

وقال مجاهد رحمه الله تعالى : سُميت زمزم لأنها مشتقة من الهَزمة . والهزمة : الغَمْز[2] بالعقب فى الأرض . رواه الفاكِهىّ بسند صحيح .

وقيل : لأنها زُمَّت بالميزان[3] لئلا تأخذ يمينا وشمالا . وقال البَكْرى فى معجمه : فى زمزم لغات : زَمْزم بفتح أوله وإسكان ثانيه وفتح الزاى الثانية ، وزُمَّزِم بضم أوله وفتح ثانيه وتشديده وكسر الزاى الثانية ، وزُمَزِم بضم أوله وفتح ثانيه بلا تشديد وكسر الزاى الثانية .

قال أبو ذرّ رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إنها طعام طُعْم وشفاء سُقْم .

رواه أبو داود الطيالسى والطبرانى والبزار ، ورجاله رجال الصحيح ، ورواه مسلم بدون « وشفاء سقم » .

---

(١) ت م : ابن السانى محرفة . وفى ط : ابن التبان . وما أثبته عن معجم الأدباء .
وابن التيان : تمام بن غالب بن عمر المرسى الأندلسى أبو غالب ، إمام فى اللغة من أهل مرسية بالأندلس ، توفى بالمرية سنة ٤٣٦ هـ . وكتابه « الموعب » فى اللغة قال ابن خلكان : لم يؤلف مثله اختصارا وإكثارا . وفى ابن خلكان : التيانى بغير ابن . قال : وأظنه منسوبا إلى التين وبيعه . وترجمته فى وفيات الأعيان ٢٦٨/١ وإنباه الرواة ٢٥٩/١ . وبغية الملتمس ٢٣٦ ومعجم الأدباء ١٤٥/٧ .

(٢) ت . م : لأنها مشتقة من الهمزة والهمزة ، والغمر بالعب محرفة .

(٣) ت : م : بالماء . محرفة .

وقال ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما -: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ماء زمزم لِمَا شُرب له».

رجاله موثقون، إلا أنه اختلف فى إرساله ووَصْله، وإرساله أصح كما قاله الحافظ.

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «خير ماء على وجه الأرض ماءُ زمزم، فيه طعام طعم وشفاء سقم».

رواه الطبرانى، ورجاله ثقاة وصححه ابن حبان.

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: «كنا نسمِّيها شَبَّاعة، يعنى زمزم، ونجدها نِعْم العون على العيال».

رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

وقال أيضا: اشربوا من شراب الأَبْرار يعنى زمزم.

رواه الأزرقى.

وقال أيضا: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أراد أن يُتحِف الرجل بتحفة سقاه من ماء زمزم.

رواه أبو نُعَيْم فى الحِلْية وصحح الدمياطى إسناده.

وقال عبَّاد بن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهم: لما حجَّ معاوية حججنا معه، فلما طاف بالبيت صلى عند المقام ركعتين، ثم مر بزمزم وهو خارج إلى الصَّفَا، فقال: انزع لى منها دَلْواً يا غلام، قال: فنزع له منها دلوا، فأُتى به. فشرب، وصبَّ على وجهه ورأسه، وهو يقول: زمزم شِفاء وهى لِمَا شُرب له.

رواه الفاكهى.

قال الحافظ: هذا إسناد حسن مع كونه موقوفا، وهو أحسن من كل إسناد وقفتُ عليه لهذا الحديث.

ورَوى الإمام أحمد وابن ماجه عن أبى[1] الزُّبَيْر، عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى

(١) ط: عن ابن الزبير.

عنهما قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ماء زمزم لِمَا شرب له » ولفظ أحمد « لمـا شُرب منه[1] » .

تنبيهان :

الأول : قد صح عن جماعة من الأئمة أنهم جربوا هذا الحديث فوجدوه صحيحا[2] .

الثانى : يُذكر على بعض الألسنة أن فضيلته ما دام فى محله ، فإذا نقل تغيّر . قال فى المقاصد الحسنة : وهذا شىء لا أصل له ، فقد كتب صلى الله عليه وسلم إلى سُهَيْل بن عمرو « إن جاءك كتابى ليلاً فلا تصبحّن أو نهاراً فلا تُمْسيّن حتى تبعث إلّى بماء زمزم » . وفيه أنه بعث له بمزادتين ، وكان حينئذ بالمدينة قبل أن تُفتح مكة ، وهو حديث حسن لشواهده .

ورَوى الترمذى ـ وحسَّنه ـ وابن خُزَيْمة فى صحيحه والحاكم والبيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها : أنها حَمَلتْ ماء زَمْزم فى القوارير ، وقالت : حمَله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الأداوى والقِرَب ، وكان يصبُّ منه على المرضى ويسقيهم[3] .

وروى الطبرانى عن حبيب ابن أبى ثابت قال : سألت عطاء رحمه الله تعالى عن حَمْل ماء زمزم ، فقال : قد حَمله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحمَله الحسن وحمَله الحسين رضى الله تعالى عنهما .

فائدة : يجوز نقل ماء زمزم باتفاق الأئمة الأربعة ، بل هو مستحب عند الشافعية والمالكية ، والفَرْق عند الشافعية بينه وبين حجارة الحرم فى عدم جواز [نقلها][4] وجواز نقل ماء زمزم أن المـاء ليس شيئا يزول فلا يعود . أشار إلى هذا الفرق الإمام الشافعى كما حكاه عنه البيهقى .

---

(١) رواه ابن ماجه فى سننه (حديث رقم ٣٠٦٢ ط عبد الباقى) كتاب المناسك باب الشرب من ماء زمزم عن جابر ابن عبد الله . وقال السيوطى فى حاشيته على ابن ماجه : هذا الحديث مشهور على الألسنة كثيرا ، واختلف الحفاظ فيه فنهم من صححه ومنهم من حسنه ، ومنهم من ضعفه والمعتمد الأول . وفى الزوائد : هذا إسناده ضعيف . بضعف عبد الله ابن المؤمل . وقد أخرجه الحاكم فى المستدرك من طريق ابن عباس . كما رواه أحمد فى مسنده ٣٥٧/٣ ، ٣٧٢ .

(٢) انظر فى ذلك : « الإعلام بأعلام بيت الله الحرام » للنهروانى ص ٣٤ .

(٣) رواه الترمذى فى صحيحه ١٨٠/١ فى آخر كتاب الحج . وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٤) سقطت من ت . م .

ذكر بعض خواص ماء زمزم غير ما تقدم

منها : أنه يبرّد الحمى لأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بذلك كما فى سنن النسائى من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما [١] .

ومنها : أنه يذهب الصُّداع . قاله الضحاك رحمه الله تعالى . ومنها : أنه لا يُرْفع ولا يَغُور إذا رفعت المياه أو غارت قبل يوم القيامة . قاله الضحاك أيضا ومنها : أنه يَفْضُل مياه الأرض كلها طِبًّا وشرعا . قال الشيخ بدر الدين بن الصاحب رحمه الله تعالى : وازنتُ[٢] ماء زمزم بماء عين مكة فوجدتُ زمزمَ أثقل من العين بنحو الربع ، ثم اعتبرتها بميزان الطب فوجدتها تَفْضل مياهَ الأَرض كلها طبا وشرعا . بل قال شيخ الإسلام البلْقينىّ رحمه الله تعالى : إنه أفضل من ماء الجنة ولهذا مزيد بيان يأتى فى باب شق صدره صلى الله عليه وسلم

ومنها : أنه يحلو ليلة النصف من شعبان ويطيب . ذكَر ذلك ابنُ الحاجّ فى مناسكه ، نقلا عن مكىّ بن أبى طالب ونص كلامه : قال الشيخ مكىّ بن أبى طالب رحمه الله تعالى : وفى ليلة النصف من شعبان يَحْلو ماءُ زمزم وَيطيب ماؤها ، يقول أهلُ مكة : إن عين سُلْوان[٣] تتصل بها تلك الليلة ، ويُبْذل على أخذ المـاء فى تلك الليلة الأموال ويقع الزحام فلا يصل إلى المـاء إلا ذو جاه وشرف[٤]. قال : وعانيتُ ذلك ثلاث سنين . انتهى .

ومنها : أنه يكثر فى ليلة النصف من شعبان كلَّ سنة بحيث أن البئر تفيض بالمـاء على ما قيل ، لكن لا يشاهِد ذلك إلا العارفون . وقد شاهد ذلك الشيخ صالح أبو الحسن المعروف بكرْباج رحمه الله تعالى .

ومنها : أن الاطلاع فيها يجلو البصر . قاله الضحاك .

ومنها : أنه يحطُّ الأوزار والخطايا . ذكر ذلك أبو الحسن محمد بن مرزوق الزعفرانى الشافعى رحمه الله تعالى فى مناسكه .

---

(١) لم أجده فى سنن النسائى « كتاب الحج باب الشرب من زمزم » وإنما هو فى مسند أحمد ١/٢٩١ .

(٢) ت . م : ووزنت .

(٣) عين سلوان : عين بالقدس عجيبة لها جرية أو جريتان فى اليوم فقط يتبرك بها « عن القاموس المحيط » .

(٤) ت م : إلا ذو شرف أو جاه .

وروى الأزْرَقى عن مكحول مُرْسلاً أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « النظر فى زمزم عبادة وهى تحط الخطَايا[1] » .

ومنها : أن الله تعالى خصَّه بالملوحة ليكون الباعث عليها الملح الإيمانىّ ، ولو جعله عذباً جداً لغلب الطبع البشرى ، وبهذا يُردُّ على أبى العلاء المعَرّى قوله :

لكَ الحمدُ أمْواهُ البلادِ بأسْرهــا ... عِـذابٌ وخُصَّت بالملوحةِ زَمْزَمُ[2]

ومنها : أن من حثَى على رأسه منها ثلاث حَثَيات لم تُصِبْه ذِلَّة أبدا .

رواه الفاكهى عن بعض ملوك الروم أنه وجد ذلك فى كتبهم .

ذكر بعض أسماء زمزم :

قال الفاكهى رحمه الله تعالى : أعطانى أحمد بن محمد بن إبراهيم كتابا ذكر أنه عن أشياخه من أهل مكة فكتبتُه من كتابه فقالوا : هذه تسمية أسماء زمزم . هى : زمزم وهزمة جبريل ، وسُقْيا إسماعيل ،لا تُنْزف ولا تُذَمْ ، وبرَكة ، وسيدة ، ونافعة ، ومَضْنونة وعونة[3] ، وبُشْرى ، وصافية ، وبَرَّة ، وعِصْمة ، وسالمة ، وميمونة ، ومبارَكة ، وكافية ، وعافية ، ومغذية ، وطاهرة ، وحرمة ، ومروية ، ومُؤنة ، وطعام طعم ، وشفاء سقم . انتهى .

زاد غيره : طَيْبة ، وتُكْتَم وشبَّاعة العِيال ، وشَراب الأَبرار ، وقرية النمل ، ونَقْرة الغُراب الأَعصم ، وهَزْمة إسماعيل . قال البَكْرى : الهزمة تطامنٌ فى الأَرض ، وهَزْمة البئر : حفرتها ، والهزائم : الآبار[4] . انتهى .

وحُفْرة العباس . ذكر هذا الاسمَ ياقوتُ فى المشترك . وهَمْزة جبريل بتقديم الميم على الزاى ذكره السُّهيلى[5] ، وسابق .

قلت : وزاد البَكْرى: الشَّيَّاعَة . قال : بتشديد الشين المعجمة وتشديد الياء أُخت الواو

---

(١) ليس فى أخبار مكة للأزرقى انظر باب فضل زمزم وما جاء فى ذلك ص ٢٨٩ (ط جوتنجن)

(٢) اللزوميات ١٣٤/٤ (ط صادر) وروايته :

تباركت أنهار البلاد سوائح ... بعذب وخصت بالملوحة زمزم

(٣) ت م : وغوثة .

(٤) الذى فى معجم ما استعجم للبكرى ص ١٣٥٣ : وهزم الأرض : ما تهزم منها ، أى تكسر وتشقق ، ومنه الحديث الآخر : إن زمزم هزمة جبريل .

(٥) الروض الأنف ٧٩/١ .

وبالعين المهملة . هذا نصه ولم يتعرض لحركات الحروف وهى فى خط مُغَلْطَاى فى « الزَّهْر » بثلاث فتحات . وذكره الزمخشرى كذلك فى أسماء الأماكن والمياه ثم نقل عن الخارْزَنْجى : شُيَاعة بضم الشين وفتح الياء مخففتين .

ورَكْضة جبريل ، وحَفِيرة عبد المطلب ونقل ذلك عن أبى عمر الزاهد رحمه الله تعالى . وزاد فى « الزَّهْر » نقلا عن ابن السِّيد فى المثلَّث : زَمَّم بفتح الميم الأُولى وبضمها مشددة فيهما . وشَيْعَة بفتح الشين المعجمة وسكون المثناة التحتية وفتح العين المهملة . وحَفِيرة[1] عبد المطلب وزاد ابن خالويْه فى كتاب « ليس »[2] : مَكْنونة بنونين . ومكْتُومة بمثناة فوقية وميم . والله تعالى أعلم .

---

(١) ط : وحفير .

(٢) لم أجده فى كتاب « ليس فى كلام العرب » لابن خالويه (ط الشنقيطى)

الباب الثامن

فى تجديد حفر زمزم على يد عبد المطلب بن هاشم

قال السهيلى : وكانت زمزم كما تقدم سُقْيا إسماعيل - صلى الله عليه وسلم - فحفرها له روحُ القدس بعقبه .

وفى تحفيره[1] إياها بالعَقِب دون أن يحفرها باليد أو غيره : إشارة إلى أنها لعَقِبه وِرَاثةً وهو محمد - صلى الله عليه وسلم - وأُمته ، كما قال تعالى : « وجَعلها كَلِمةً باقيةً فى عَقِبه[2] » أى فى أُمة محمد - صلى الله عليه وسلم -[3] . انتهى .

ولم يزل ماءُ زمزم ظاهرا ينتفع به سكان مكة .

ولما توفى الله سبحانه وتعالى إسماعيل بن إبراهيم - صلى الله عليهما وسلم - وَلِىَ البيت بعده ابنُه نابت بن إسماعيل ما شاء الله تعالى أن يليه ، ثم وَلى البيتَ مُضاض بن عمرو الجُرْهمىّ وبنو إسماعيل وبنو نابت مع جدهم مُضَاض وأخوالهم من جُرْهم . ثم نشر الله تعالى ولدَ إسماعيل بمكة ، وأخوالُهم من جُرهم ولاة البيت والحكام[4] بمكة لا ينازعهم ولدُ إسماعيل فى ذلك لخؤولتهم وقرابتهم ، وإعظاماً للحرمة أن يكون بها بَغْىٌ أو قتالٌ .

ثم إن جُرْهُماً بغَوْا بمكة واستحلُّوا حلالاً من الحرَم[5] ، فظلموا مَن دخلها من غير أهلها وأكلوا مالَ الكعبة الذى يُهْدى لها فرقَّ أمرُهم ، فلما رأت بنو بكر بن عبد مَناة من كِنانة وغُبْشان من خُزاعة ذلك أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة ، فآذَنوهم ، أى أعلموهم ، بالحرب ، فاقتتلوا ، فغلبهم بنو بَكْرٍ وغُبْشانُ فنفَوْهم من مكة ، وكانت مكة فى الجاهلية لا تُقِرُّ فيها ظلماً ولا بَغْيًا[6] ، ولا يَبْغى فيها أحدٌ إلا أخرجَتْه ، ولا يريدها ملِك يستحلّ حُرْمتها إلا أهلكتْه مكانَه[7] .

---

(١) كذا بالأصل ، وفى الروض الأنف : وفى تفجيره إياها .
(٢) سورة الزخرف ٢٨ .
(٣) الروض الأنف ٩٧/١ .
(٤) ت ، م : ولاة البيت الحكام .
(٥) ت ، م : من الحرمة .
(٦) ص ت م : لا يقر فيهم ظلم ولا بغى .
(٧) الاكتفا ٦٥/١ : إلا هلك مكانه .

فخرج عمرو بن الحارث بن مُضَاض بغَزالَىْ الكعبة وبحَجر الركن ، فدفَن الغزالين فى زمزم وردَمَها ، ومرَّت عليها السنون عصراً بعد عصر إلى أن صار موضعُها لا يُعرف حتى بوَّأها الله تعالى لعبد المطلب .

وانطلق عمرو بن الحارث بن مُضَاض ومن معه من جُرْهم إلى اليمن .

حفر عبد المطلب

ورَوَى قصة حفر عبد المطلب لزمزم ابنُ إسحاق عن علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، والبيهقىّ عن الزُّهْرى : أن عبد المطلب بيْنا هو نائم فى الحِجْر أُتى فقيل له : احفر بَرَّة . قال : وما بَرَّة ؟ فذهب عنه ، حتى إذا كان الغد فنام فى مَضْجعه ذلك فأُتى فقيل له : احفر المَضْنُونة . قال : وما المضنونة ؟ فذهب عنه ، حتى إذا كان الغد فنام فى مضجعه ذلك فقيل له : احفر طَيْبة . قال : وما طَيْبة ؟ فذهب عنه فلما كان من الغد عاد إلى مضجعه فنام فيه فأُتى فقيل له : احفر زمزم . قال : وما زمزم ؟ قال : لا تَنْزِف [أبدا][1] ولا تُذَمّ تسقى الحجيجَ الأَعظم .

ثم ادْعُ بالماء الرِّوَى غير الكدِرْ ... تَسْقى حجيج الله فى كل مَبَـــرّ

ليس يُخاف منه شىْءٌ ما عَمرْ

فخرج عبدُ المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال : تعلَّموا[2] أنى قد أُمرت بحفر زمزم . فقالوا : فهل بيِّن لك أين هى ؟ قال : لا . قالوا : فارجع إلى مَضْجعك الذى رأَيتَ فيه ما رأَيت ، فإن يَكُ حقًّا من الله يبيِّن لك ، وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك . فرجع عبد المطلب إلى مضجعه فنام فيه وقال : اللهم بيِّن لى . فأُرى فى المنام : احفرتُكْتَم . وفى لفظ: فقيل له : احفر زمزم إنْ حفرتها لم تُذَمّ[3] ، وهى تُراثٌ من أبيك الأَعظم ، لا تَنْزِف [أَبدا][4] ولا تُذَمّ ، تَسْقِى الحَجِيج الأَعظم ، مثل نَعام جافلٍ[5] لم يُقْسم ، ينفذ فيها ناذِر لِمَغْنَم ، تكون ميراثاً وعقداً مُحْكَم ، ليست كبعض ما قد تَعْلَم .

---

(١) من ابن هشام ١/١٤٣ والاكتفا ١/١٥٨

(٢) الأصل : تعلمون . وما أثبته من ابن هشام (المرجع السابق)

(٣) الاكتفا ١/١٥٨ : إنك إن حفرتها لم تندم .

(٤) من الاكتفا .

(٥) الاكتفا : حافل . بالحاء وهو : الكثير .

فقال : وأين هى ؟ فقيل له : بيْن الفَرْث والدم ، فى مبحث الغراب الأعْصم ، فى قرية النمل .

فقام عبدُ المطلب فمشى حتى جلس فى المسجد الحرام ينتظر ماسمّى له من الآيات ، فنُحرت بقرة بالحَزْوَرة فانفلتت من جازرِها بحشاشة نفسها حتى غلَبها الموتُ فى المسجد فى موضع زمزم بين الوثنين إسَاف ونائلة فنحرت تلك البقرة فى مكانها حتى احتُمل لحمها ، فأقبل غراب يَهْوى حتى وقع فى الفَرْث ، فبحث عن قرية النمل .

فقام عبد المطلب فحفر هنالك ومعه ابنه الحارث وليس له يومئذ ولدٌ غيره ، فجاءته قريش فقالت له : ما هذا الصَّنيع ؟ قال : أمرت بحفر زمزم ، فلما كشف عنه وبَصُروا بالطَّىِّ كبَّر ، فعرفتْ قريش أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه فقالوا : يا عبد المطلب إنها بئر أبينا إسماعيل وإن لنا فيها حقًّا فأشْرِكنا معك فيها . قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر خُصِصْتُ به دونكم . قالوا : تُحاكمنا ؟ قال : نعم . قالوا : بيننا وبينك كاهنة بنى سعد بن هُذَيْم[1] ، وكانت بأشراف الشام .

فركب عبدُ المطلب فى نفر من بنى أُمية وركب من كل بطن من أَفْناء قريش نفرٌ ، وكانت الأَرض مَفاوز فيما بين الشام والحجاز ، حتى إذا كانوا بمفازة من تلك البلاد فَنِى ما عند عبد المطلب وأصحابه من الماء حتى أيقنوا بالهلكة ، ثم استَسْقوا القومَ قالوا : ما نستطيع أن نسقيكم ، وإنا نخاف مثلَ الذى أصابكم . فقال عبد المطلب لأَصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رَأْينا إلا تبعٌ لرأيك . قال : فإنى أرى أن يحفر كلُّ رجل منكم حُفْرته ، فكلما[2] مات رجل منكم دفعه أَصحابه فى حفرته حتى يكون آخركم[3] يدفعه صاحبه ، فضَيْعة رجل أهون من ضيعة جميعكم . ففعلوا . ثم قال : والله إن إلقاءنا بأَيدينا للموت لا نضرب فى الأَرض ونبتغى لعل الله تعالى يسقينا لعَجْز[4] . فقال لأَصحابه : ارتحلوا . فارتحلوا وارتحل، فلما جلس على ناقته فانبعثت به انفجرت عينٌ[5] من تحت خُفِّها بماءٍ عذب ، فكبّر عبد المطلب ، وكبَّر أَصحابه ثم نزل فشرب وشرب أَصحابه

(١) الطبرى : سعد هذيم .
(٢) ت م : وكلما .
(٣) ت م : آخر يدفعه صاحبه .
(٤) ت م : لعجزنا .
(٥) ت م : عين ماء

واستقوا وأَسْقَوا ، ثم دعا القبائل من قريش فقال : هلموا إلى الماءِ فقد سقانا الله تعالى . فجاءوا واستقوا وأَسقوا ، قالوا[1] : يا عبد المطلب قد والله قُضِى لك علينا ، لا نخاصمك فى زمزم أَبدًا ، إن الذى أَسقاك هذا الماء بهذه الفَلَاة لهو سقاك زمزم ، فارجع إلى سِقَايتك راشداً . ولم يَصِلوا إلى الكاهنة وخَلَّوا بينه وبينها .

فلما رجع عبدُ المطلب أكمل حفر زمزم وجعل عليها حوضاً يملؤه ويشرب الحاج منه ، فيكسره أناس من حسَدة قريش بالليل فيصلحه عبد المطلب ، فلما أكثروا إفساده دعا عبدُ المطلب ربَّه ، فأُرى فى المنام فقيل له : قل : اللهم إنى لا أُحِلّها لمغتسل ، ولكن هى لشارب حِلّ وبِلّ . ثم كُفِيتهم . فقام عبد المطلب فنادى بالذى أُرِى ، ثم انصرف فلم يكن يُفسد حوضَه عليه أَحد إلَّا رُمِى فى جسده بداء حتى تركوا حوضه وسقايته .

وذكر ابن إسحاق – رحمه الله تعالى – أَن عبد المطلب وجد فى زمزم غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنَتْهما جُرْهُم حين خرجت ،ووجد فيها أَسيافا قَلْعيّة وأَدْرُعًا . فقالت له قريش : يا عبد المطلب لنا معك فى هذا شِرْك وحَقّ . قال : لا ، ولكن هلموا إلى أمر نِصْف[2] بينى وبينكم ، نضرب[3] عليها بالقِدَاح . قالوا : وكيف نصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قِدْحين ، ولى قدحين ، ولكم قدحين ، فمن خرج قِدْحاه على شىء كان له ، ومن تَخلَّف قدحاه فلا شىء له . قالوا : أَنصفتَ . فجعل[4] قِدْحين أصفرين للكعبة وقدحين أَسودين لعبد المطلب وقدحين أَبيضين لقريش . ثم أَعطوا صاحبَ القِداح الذى يضرب بها عند هُبَل ، وهُبَل صنم فى جوف الكعبة ، وقام عبد المطلب يدعو وصاحب القِدَاح يضرب القداح ، فخرج الأَصفران على الغزالين ، وخرج الأَسودان على الأسياف والأَدرع ، وتخلَّف قِدْحا قريش . فضرب عبد المطلب الأَسياف بابًا للكعبة وضرب فى الباب الغزالين من ذهب ، فكان أَول ذهبٍ حُلِّيتْه الكعبة .

قال ابن إسحاق – رحمه الله تعالى – : فلما حفر عبد المطلب زمزم ودلَّه الله تعالى عليها

---

(١) ت م : وقالوا . وفى الاكتفا : ثم قالوا .

(٢) ص ت م : ينصف . وما أثبته من ط .

(٣) ص ت م : فضرب .

(٤) كذا فى ط موافقا لابن هشام والاكتفا . وفى ص ت م : فجعلوا .

وخصَّه الله بها زاده الله بها شرفاً وخطَراً فى قومه ، وعطّلت كل سقاية كانت بمكة حين ظهرت ، وأقبل الناس عليها التماس بركتها ومعرفة فضلها ، لمكانها من البيت وأنها سقاية الله عزَّ وجلَّ لإسماعيل - صلى الله عليه وسلم[1] .

فوائد

الأُولى : قال السُّهيلى - رحمه الله تعالى : الأَسياف والغزالان ، كان ساسان ملك الفرْس أَهداها للكعبة ، وقيل سابور . وكانت الأَوائِل من ملوك الفرس تحجُّها إلى ساسان أو سابور[2] .

الثانية : قال السُّهيلى أيضاً : دُلَّ عبدُ المطلب على زمزم بعلامات ثلاث : بنَقْرَة الغراب الأَعْصَم ، وأَنها بين الفَرْث والدم ، وعند قرية النمل ، ولم يخص هذه العلامات الثلاث إلا بحكمة إلهية وفائدة مشاكَلة لطيفة فى علم التعبير والتوسّم الصادق لمعنى زمزم ومائها . أما الفرث والدم : فإن ماءها طعام طُعْم وشفاء سُقم . وهى لِمَا شُربت له ، وقد تقوَّتَ من مائها أبو ذَرّ - رضى الله تعالى عنه - ثلاثين ما بين ليلة ويوم فسَمِن حتى تكسَّرت عُكَن بطنه ، فهى إذًا كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى اللبَن : « إذا شرب أَحدكم اللبن فليقل : اللهم بارك لنافيه وزِدْنا منه فإنه ليس شىء يسدُّ مسدَّ الطعام والشراب إلا اللبن » وقد قال الله تعالى : « من بَيْن فَرْثٍ ودمٍ لبنًا خالصاً سائغًا للشاربين »[3] فظهرت هذه السُّقيا المباركة بين الفَرْث والدم ، وكانت تلك من دلائلها المشاكِلة لمعناها .

وأما الغراب : فهو فى التأْويل فاسق ، وهو أَسود ، فدلت نَقْرته عند الكعبة على نقرة الأَسود الحبشى بمعْوَله فى أَساس الكعبة بهدمها آخر الزمان ، فكأَن[4] نقرة الغراب فى ذلك المكان تُؤْذن بما يفعله[5] الفاسق فى آخر الزمان بقِبْلة الرحمن وسُقْيَا أَهلِ الإِيمان ، وذلك عندما يُرْفع القرآن . وتحيا عبادةُ الأَوثان .

وفى الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « ليُخرّبنَّ الكعبة ذو السُّوَيْقتَيْن من الحبشة » وفيه أيضاً من صفته أنه أَفْحج ، وهذا ينظر إلى كون الغراب أَعصمَ ، إذ الفَحج :

(١) فى خبر حفر عبد المطلب زمزم انظر سيرة ابن هشام ١/١٥٠ والاكتفا ١/١٥٥ .

(٢) الروض ١/٩٧ . (٣) سورة النحل ٦٦ .

(٤) كذا فى ط موافقا للروض . وفى بقية النسخ : فكانت .

(٥) ص ت م : بما فعله . محرفة .

تباعدٌ فى الرجلين ، كما أن العصَم اختلافٌ فيهما ، والاختلاف تَباعُد ، وقد عرف بذى السويقتين ، كما نُعت الغراب بصفة[1] فى ساقيه . فتأمَّلْه . وهذا من خَفِىِّ عِلم التعبير ، لأنها كانت رؤيا .

وأما قَرْية النمل ففيها من المشاكلة أيضاً والمناسبة : أن زمزم عَيْن مكةِ التى يَرِدها الحجيج والعُمَّار من كل جانب ، فيحملون لها البُرّ والشعير وغير ذلك ، وهى لا تَحْرث ولا تزرع . كما قال سبحانه وتعالى خبرًا عن إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : « ربَّنا إنِّى أَسْكنتُ من ذريتى بوادٍ غير ذى زَرْع [2]» الآية . وقرية النمل كذلك ، لأن النمل لا تَحْرث ولا تَزْرع وتَجْلب الحبوب إلى قريتها[3] من كل جانب ، ومكة كذلك ، كما قال تعالى : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنةً مُطْمئنَّةً يأتيها رِزْقُها رغَدًا من كلِّ مكانٍ[4] » مع أن لفظ قرية النمل مأخوذ من قرَيْت الماء فى الحوض إذا جمعته ، والرؤيا تعبَّر على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى ، فقد اجتمع اللفظ والمعنى فى هذا التأويل . والله تعالى أعلم[5] .

الثالثة : ذكر الزمخشرى – رحمه الله تعالى – فى ربيع الأبرار أن جبريل – صلى الله عليه وسلم – أَنْبَطَ ماء زَمزم مرتين : مرة لآدم – صلى الله عليه وسلم – حتى انقطعت زمن الطوفان ، ومرة لإسماعيل . وفى الزَّهْر : ويعضِّد ما قاله قولُ خُوَيْلد بن أَسَد بن عبد العُزَّى فى عبد المطلب :

أَقولُ وما قولى عليهم بِسُبَّة[6] … إليك ابن سَلْمى أنت حافرُ زمزمِ

رَكيَّة إبراهيم يومَ ابنِ هاجَـرٍ … ورَكْضة جبريلَ على عهـد آدمِ

* * *

الرابعة : فى شرح غريب ما تقدم :

روح القُدس بضم القاف والدال ، وسكون الدال : المطهَّر ، والمراد به جبريل – صلى الله عليه وسلم – ، لأنه خُلق من طهارة ، فالإضافة بيانية .

العَقِب : ما فَضل من[7] مؤخر الرِّجل عن الساق ، والمراد به فى الآية الولد . وولد الولد .

---

(١) ت م بصفر . محرفة .

(٢) سورة إبراهيم ٣٧

(٣) ت م : إلى فرشها .

(٤) سورة النحل ١١٢ .

(٥) الروض ٩٩/١ .

(٦) الاكتفا ١٦١/١ : بسنة . وقد أوردها الكلاعى عن الزبير بن بكار .

(٧) ت م : عن .

نابت : بنون ومثناة فوقية . مِضَاض بميم مكسورة وحكى ضمها وضادين معجمتين .
جُرْهُم : بضم الجيم وسكون الراء وضم الهاء . نشَر اللهُ ولدَ إسماعيل : أى كثَّرهم .
رقَّ أمرُهم : أى ساءت حالهم .
بَرَّة بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء المهملة ، سمِّيت بذلك لكثرة منافعها وسعة مائها .
المضنونة : قال ابنُ وهب[1] بن منبه ـ رحمه الله تعالى ـ : سمِّيت بذلك لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين ، فلا يتضلع منها منافق .

روى البخارى فى التاريخ وابن ماجه والطبرانى والحاكم والبيهقى عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « آيةُ ما بيننا وبَيْن المنافقين أنهم لا يتضَلَّعون من زمزم » .
له طُرق وهو بمجموعها حسَن[2] .

وروى الأزرقىّ عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : التضلُّع من ماء زمزم براءةٌ من النفاق » . وقيل سميت بذلك لأنه قيل لعبد المطلب : احفر المضنونة ، ضَنَنْت بها على الناس إلا عليك . ظَبْية : بظاء معجمة فباء موحدة فمثناة تحتية ، سميت بذلك تشبيهًا بالظبية وهى الخريطة لجمعها ما فيها . قاله فى النهاية تبعًا لأبى موسى المدينى : والذى جرى عليه السُّهيْلى والخشنى : أنها بطاء مهملة فمثناة تحتية ، فباء ، قال الخشنى : من الطِّيب . وقال السهيلى : لأنها للطيّبين والطيبات .
تُكْتَم بمثناتين فوقيتين تبنى للمفعول .

لا تَنْزِف : أى لا يفرغ ماؤها ولا يُلْحق قعرها . قال السُّهَيْلى ـ رحمه الله تعالى ـ : وهذا برهان عظيم ، لأنها لا تنزف من ذلك الحين إلى اليوم قط ، وقد وقع فيها حبشىّ فنُزحت من أجله فوجد ماؤها يفور من ثلاثة أعين أقواها وأكثرها ماء عينٍ من ناحية الحجر الأسود .

ولا تُذَمّ : قال الخُشَنِىّ : أى لا توجد قليلة الماء يقال أذْمَمْت البئر إذا وجدتها ذمَّة أى

---

(١) غير ط : قال وهب .
(٢) سنن ابن ماجه حديث رقم ٣٠٦١ كتاب الحج باب الشرب من زمزم .
قال فى الزوائد : هذا إسناد صحيح رجاله موثقون .

قليلة الماء . زاد السُّهَيْلى : وليس معناه على ما يبدو من ظاهر اللفظ من أنها لا يذمُّها أحد ، ولو كان من الذم لكان ماؤها أعذب المياه ولتضلع كلٌّ من شرب منه ، وقد تقدم أنه لا يتضلع منها منافق ، فماؤها إذًا مذموم عندهم . وفى النهاية : لا تُذَم أى لا تعاب أو لا تُلْفَى مذمومة ، من قولك : أَذْممته إذا وجدته مذموماً . وقيل : لا يوجد ماؤها قليلا من قولهم : بئر ذمّة إذا كانت قليلة الماء .

الفرث : ما يكون فى كَرِش ذى الكرش .

الأَعْصَم من الغربان : الذى فى ساقيه بياض . قاله الخشنى – رحمه الله تعالى .

قرية النمل : الموضع الذى يجتمع فيه . الرِّوَى : يقال : ماء رِوَى بالكسر والقصر ورَواء بالفتح والمدّ : أى عذْب . ما عَمر : بفتح العين المهملة أى ما عمر هذا الماءُ فإنه لا يؤذِى ولا يخاف منه ما يخاف من المياه إذا أُفرط فى شربها بل هو بركة على كل حال .

نعَام جافل : لم يقسم . الجافل : من جفَلَتِ الغنمُ إذا انفلتت بجملتها[1] ، ولم يُقْسم : أى لم يتوزع ولم يتفرق ، وعلى هذا يجوز أن يحمل قوله : لا تُذم أى لا تذم عاقبة شربها . وهذا تأْويل سائغ إلى ماقدمناه من التأْويل ، وكلاهما صحيح فى صفتها .

وفى كل مَبَرّ : مَفْعل من البِرّ ، يريد فى مناسك الحج ومواضع الطاعة . الحَزْوَرة بفتح الحاءِ المهملة ثم زاى ساكنة فواو فراء فهاء بوزن قَسْورة . قال الإمام الشافعى – رضى الله تعالى عنه – : الناس يشدّدونه وهو مخفف . وقال الدارقطنى : التشديد تصحيف وإنما هو بالتخفيف . موضع بمكة داخل المسجد.

الحُشَاشة : بقية الروح . إسَاف : بكسر الهمزة وفتح المهملة المخففة : نائلة بنون وبعد الألف مثناة تحتية . الطىُّ : قال ابن هشام : ويقال : الطوىّ : وكلٌّ واحد . قال الخشنى : وليس بظاهر ، لأَن الطى يقال للحجارة التى يُطْوَى أى يبنى بها البئر سمِّيت بالمصدر ، والطوِىّ هو البئر نفسها .

كاهنة بنى سعد بن هُذَيْم : كذا روِى ، ورواه ابن سِرَاج : سعد هذيم . بإسقاط ابن . قال الخشنى : وهو الصواب لأَن هذيماً لم يكن أَباه وإنما كفله بعد أَبيه فأُضيف إليه .

---

(١) ت م : بجملها .

أشراف الشام بالفاء أُخت القاف : وهو ما ارتفع من أرضه ، واحده شَرَف . تقول : قعدت على شَرَف من الأَرض أى على مكان مرتفع، من أفناءِ قريش . الأَفناءُ جمع فِنْو كأَحمال وحِمْل ، أى أَخلاطهم . المفاوز : القِفَار واحدها مفازة ، وفى اشتقاق اسمها ثلاثة أَقوال : فقيل لأَن راكبها إذا قطعها فقد فاز . وقيل : معناها : مَهْلكة ، يقال : فاز الرجل ، وفوَّز مشددًا ، وفاد بالدال المهملة : إذا هلك . وقيل سميت مفازة على جهة التفاؤل .

ظمئوا : عطشوا . ضَيْعة رجل : هو فى الأَصل المرة من الضياع . نضرب فى الأَرض : نسافر . انبعثَت به راحلته : قامت من بُروكها . حِلٌّ بكسر الحاء : الحلال ضد الحرام وبِلّ بكسر الباء الموحدة : المباح . وقيل : الشفاء من قولهم : بَلَّ من مرضه وأَبَلَّ . وبعضهم يجعله إتباعًا لحِلّ . قال فى النهاية : ويَمْنع من جواز الإتباع الواو .

أسيافا قلعية : منسوبة إلى بلد بالهند من جهة الصين . والقَلْعة بفتح اللام وسكونها : الموضع المرتفع . النِّصْف بكسر النون وسكون الصاد المهملة وبفتحها : النَّصَفة بفتحات ، وهو الاسم من الإنصاف. القِدَاح : جمع . قِدْح بكسر القاف فيهما ، وهو السَّهْم الذى كانوا يستقسمون به . هُبَل : بضم الهاء وفتح الباء .

الخَطَر : بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة . قال فى المصباح : خَطُر الرجل يَخْطُر خَطَرًا ، وزَان شَرُف شَرفًا إذا ارتفع قَدْره ومنزلته فهو خطير .

---

(١) ص ت م : ابن راشد . محرفة . والتصويب من ط .

(٢) ت م : والمجارد .

الباب التاسع

فى بعض أسماء البلد الشريف والحرم المنيف

قال الإمام النووى – رحمه الله تعالى : ولا يُرى فى البلاد بلدة أكثر أسماء من مكة والمدينة ، لكونهما أشرف الأرض . انتهى .

الباسَّة : بالباء الموحدة والسين المهملة . قال مجاهد – رحمه الله تعالى : سمِّيت بذلك ؛ لأنها تبسُّ من ألْحَدَ فيها أى تهلكه وتَحْطمه .

بَرَّة : نقله الزركشى عن ابن خليل – رحمهما الله تعالى .

بُسَاق : ذكره ابن رَشِيق – رحمه الله تعالى – فى « العُمْدة » . قال فى شفاء الغرام : وهو بباء موحدة فسين مهملة فألف فقاف . انتهى . وفى الصِّحَاح : بسَق فلان على أصحابه أى علاهم . وفى القاموس : أنه كغُرَاب : جبل بعرفات ووادٍ فى الحجاز . وفى المشترك لياقوت وربما قالوه بالصاد جبل بعرفات ، فيه وادٍ بين المدينة والحجاز وعقبة بين التيه وأيْلة .

بَكَّة بالباء . قال : أبو عُبَيْد البَكْرى : وهى مكة تُبْدل الميم من الباء قال تعالى: « إنَّ أولَ بيتٍ وُضِع للناسِ لَلَّذى ببَكَّة » وقال : « ببَطْن مكة » وقال عطية : بكَّة موضع البيت ، ومكة ما حوالَيْه . وهو قول إبراهيم النَّخَعى . وقال عِكْرِمة : بَكَّة : ما وَلِي البيتَ . ومكةُ ما وراء ذلك . وقال القُتَبىّ : قال أبو عبيدة : بَكَّة بالباء ، اسمٌ لبطن مكة . قال البَكْرى : والذى عليه أهلُ اللغة أن مكة وبكة شىء واحد ، كما يقال سبَد رأسَه وسمَده ، وضَرْبة لازم ولازب . قال : وقيل بل هما اسمان لمعنيين واقعان على شىء واحد ، فاشتقاق مكة [لقلة مائها][1]، فذكر ما سيأتى فى مكة . ثم قال : قالوا : وسميت بكَّة لأن الناس يَتَباكُّون فيها أى يزدحمون[2] . انتهى .

زاد الزركشى فى الإعلام ، والفاسِىّ فى شفاء الغرام : وقيل : لأنها تبكُّ أعناقَ الجبابرة

(١) بياض بالأصل وما أثبته من معجم ما استعجم ١/٢٦٩ .

(٢) المعجم ١/٢٦٩ .

إذا ألحدوا فيها ، أى تدقها. والبَكُّ : الدق . ولفظ الزركشى : أى تكسرهم فيذلُّون بها ويخضعون . وقيل : إنها تضع من نَخْوة المتكبرّين فيها . قاله – الترمذى – رحمه الله تعالى .

البلد : قال الله تعالى : « لا أُقْسِم بهذا البلَد » وروى ابن جرير وابن أبى حاتم ، عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – : « لا أُقسم بهذا البلد » قال : مكة . « وأنت حِلٌّ بهذا البلد » يعنى بذلك النبىّ – صلى الله عليه وسلم ، أحل الله تعالى له يومَ دخول مكة أن يقتل من شاء ويستحيى من شاء .

بلَدُ[1] الله تعالى : لاختياره لها على غيرها .

البلدة . قال تعالى : « بَلْدة طَيِّبةٌ وربٌّ غفُور » قال ياقوت فى « المشْتَرك » : هى مكة . وقال تعالى : « إنما أُمرتُ أنْ أَعبدَ ربَّ هذه البلدة » قال الواحدىّ فى الوسيط وابن بَرَّجَان[2] فى تفسيره : هى مكة .

وروى ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى الآية قال : هى مكة . وروى عَبْدُ بن حُمَيْد عن قَتادة مثله . وروى ابن المنذِر عن ابن جُرَيْج قال : زعم الناس أنها مكة .

البَلَد الحرام : لحُرْمة[3] مكة . وسيأتى لهذا مزيد بيان فى حجة الوداع .

البلد الأَمين : لتحريم القتال فيه ، قال تعالى : « وهذا البلدِ الأَمِين[4] » قال خُزَيْمة ابن ثابت ، وليس بالأنصارى : سألتُ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – عن هذه الآية فقال : مكة . رواه الطَّبرانى فى الأَوسط . وبه قال ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما . رواه[5] ابن جرير ، وابن أبى حاتم . ولا خلاف فى ذلك بين المفسرين .

الثَّنِيّة : ذكره الزركشى . وقال فى شفاء الغرام : هذه عن ياقوت . انتهى .

والذى ذكره ياقوت فى المشترك بعد أن ذكر الكلام على الثنية : فالأَول : الثنية البيضاء ، وهى عقَبة تُهْبطك[6] إلى فَخّ بالخاء المعَجمة وأنت مُقْبل إلى المدينة ، تريد أسفل من مكة قبل ذى طُوَى ، ولم يذكر أن مكة نفسها اسمها الثنية . فالله تعالى أعلم .

---

(١) ت م : ببلد الله . محرفة .

(٢) ابن برجان: عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمى الإشبيلى من رجال الصوفية ومفسريهم ، له كتاب فى تفسير القرآن مخطوط، جرى فيه على طريق الصوفية . توفى سنة ٥٣٦ هـ . انظر فوات الوفيات ١/ ٢٧٤، ولسان الميزان ٤/ ١٣ .

(٣) ت م : لحرم مكة .

(٤) سورة البلد .

(٥) ت م : رواه أيضاً ابن جرير .

(٦) ت م : تهبط .

الحاطِمَة : ذكره الأَزْرقى والنووى وغيرهما ، لحَطْمِها الملحدين .

الحَرَم : بحاء وراء مهملتين ذكره سليمان بن خليل فى مناسكه . الحُرْمة بالضم . الحِرْمة بالكسر . ذكرهما عديس فى الباهر .

الرأس : قال النووى : لأنه أشرف الأَرض كرأس الإنسان . وأنشد كُرَاع :

وفى الرأس آياتٌ لمن كان ذا حِجًى وفى مَدْين العَلْيا وفى مَوضع الحِجْرِ

الرِّتَاج : براء مكسورة فمثنَّاة فوقية فأَلف فجيم . ذكره المحب الطَّبرى ، وقال الزركشى المعروف أن الرتاج : الباب . قال الخليل : وربما أُريد به الكعبة . ومنه الحديث : « جعَل مالَه فى رِتَاج الكعبة » أى لها ، فكنَى عنها بالباب ، لأَن منه يُدْخل إليها .

سَبوحة : ذكره فى شفاء الغرام . وقال فى الصِّحاح : وهى بفتح السين مخففة : البلد الحرام . ويقال : وادٍ بعرفات . وذكرها الفارابىّ فى فَعُولة بفتح الفاء وضم العين .

سَلامِ : بالكسر بلا تنوين ذكره فى شفاء الغرام .

السبل . ذكره صاحب القاموس فى التحبير .

صَلاَحِ : بفتح الصاد وكسر الحاء المهملة بلا تنوين . قال النووى : سميت بذلك لأَمْنها . زاد الزركشى فى الإعلام : ولأَن فيها صلاح الخُلق ، أَو لأَنها تُعمل فيها الأَعمال الصالحة .

صلاحٍ : منونة .

طَيِّبة : بالتشديد لِطيبها .

العَذْراء : لأَنها لم تُنَلْ بمكروه .

العَرْش ، بوزن بَدْر . قاله كُرَاع – رحمه الله تعالى – وبضمتين . قاله البَكْرى .

العَرِيش : بزيادة مثناة تحتية ذكره ابن سيده، لأَن أَبياتها عِيدان تُنْصب وتظلَّل . قال الزركشى : قالوا : ويقال لها – عُروش واحدها عرش .

العَرُوض : ذكره فى التحبير.ولم يزد على ذلك . وفى الصحاح : عَرَّضَ الرجلُ إذا أَتى العَرُوض وهى مكة والمدينة وماحولهما.وذكره الفارابى فى ديوانه فى مادة فَعُول بفتح الفاءوضم العين[1].

---

(١) قال النهروانى فى الإعلام بأعلام بيت الله الحرام (ط جوتنجن) ص ١٧ : « ومنها : العروض ، بفتح المهملة ، ولذلك سمى علم عروض الشعر عروضاً ، لأن الخليل بن أحمد اخترعه بمكة فسماه باسمها » .

فاران : بفاء فألف فراء فألف فنون ، نقله فى شفاء الغرام عن ياقوت والذى فى « المشترك » له : فاران اسم جبال مكة ، وقيل اسم جبال الحجاز ، ولها ذكر فى التوراة يجىء فى أعلام نبوة النبى – صلى الله عليه وسلم .

المقدَّسة والقادس والقادسة والقادسية : أسماء لها من القُدْس وهو الطُّهْر نصيب[1] لأنها تطهِّر من الذنوب ، ذكر الأول ابن جماعة . والثانى والثالث ابن قرقول ، وذكر الزركشى الثلاثة والرابع الفاسِىّ[2] .

قرية الحُمْس : بحاء مهملة مضمومة فميم ساكنة فسين مهملة جمع أَحْمَس ، وهم قريش ومن ولدتْه قريش وكِنَانة وجَدِيلة وقيس ، سُمُّوا حُمْسًا لأنهم تحمَّسوا فى دِينهم أى تشدَّدوا . والحماسة أيضا : الشجاعة . ولهذا مزيد بيان فى باب حفظ الله تعالى نبيَّه – صلى الله عليه وسلم – فى حال طفوليته[3] .

قرية[4] النمل : ذكر هذين الاسمين صاحب القاموس فى تحبير الموَشّى[5] .

قال فى شفاء الغرام : قرية النمل ونَقْرة الغراب . علامتان لموضع زمزم حين أُمر عبدالمطلب بحفرها . وعدَّها بعضهم اسمين لزمزم مجازا . فإن كان شيخنا – رحمه الله تعالى – لَحظ كونَهما اسمين وسمّى بها مكة من[6] باب تسمية الكلّ باسم البعض ، وهو مجاز شائع ، فيصحّ على هذا أن يذكر فى أسماء مكة الصفا والمروة والحَزْوَرة وغير ذلك . وقوله : قرية[7] الحُمْس : إن كان شيخنا لَحظ فى تسمية مكة بذلك أن الحُمْس كانوا سكانَ مكة ، فيصح على هذا أن يذكر فى أسماء مكة قرية العمَاليق وقرية جُرْهم ، لكونهم كانوا سُكَّان مكة قبل الحُمْس ، اللهم إلا أن تكون سمِّيت مكة بقرية النمل ونَقْرة الغراب وقرية الحمس منقولاً عن كتب اللغة ، فلا يُقاس عليه غيره .

القرية : قال الله تعالى : « ضرَب الله مَثلاً قرية[8] » قال مجاهد – رحمه الله تعالى : يعنى مكة .

---

(١) فى ط : « أسماء كلها من القدس وهو الطهر ، لأنها تطهر . . . إلخ » .
(٢) كذا فى ط ، وهو الصواب ، وفى ص ت م : القابسى ، محرفة .
(٣) ط : فى حال الطفولية .　(٤) ت م : وقرية النمل .　(٥) ت م : فى تحبير الموشين ، محرفة .
(٦) ت م : فى باب .　(٧) ت م : وقرية الحمس .　(٨) سورة النحل ١١٢ .

كُوثَى : بكاف مضمومة وثاء مثلثة مفتوحة . نقله الأزرق عن مجاهد وجزَم به السُّهيلى . وفى المطَالع : سميت باسم بقعة فيها . وأفاد الفاكهى أن كُوثَى فى ناحية قُعَيْقعان . وقيل : كوثى جبل بمنىً .

المأمون : ذكره الزركشى ونقله الشيخ عن ابن دحْية لتحريم القتال فيه .

مُخْرَج صِدْق : روى الزُّبير بن بكَّار فى أخبار المدينة عن زيد بن أَسْلم – رحمه الله تعالى – قال: جعل الله تعالى مُدْخَل صدق : المدينة ومُخْرَج صِدْق : مكة .

المسجد الحرام : قال ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما : الحرَم كله هو المسجد الحرام . رواه سعيد بن منصور . ولهذا مزيد بيان يأتى فى تفسير أول سورة الإسراء فى أبواب الإسراء إن شاء الله تعالى .

المَعَاد : قال تعالى : « إنّ الذى فرَض عليك القرآنَ لَرادُّك إلى مَعَادٍ[1] » قال ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما : يعنى مكة . رواه البخارى .

المكَّتان : ذكره الشيخ برهانُ الدين القِيراطىّ – رحمه الله تعالى – فى قصيدة فى أسماء مكة . قال فى شفاء الغرام : ولعله أخذه من قول ورقة بن نوفل :

أرى الأَمرَ لا يَزْداد إلَّا تفاقُمًا وأنصارُنا بالمكتين قليلُ

ولهذا مزيد بيان يأتى فى باب البعثة إن شاء الله تعالى .

مكة : اختُلف فى سبب تسميتها مكة بالميم ، فقيل : لأَنها تمكُّ الجبارين ، أى تُذهب نَخوتهم . وقيل : لأَنها تمكُّ الفاجر عنها ، أى تُخرجه . وقيل : لأَنها تجذب الناسَ إليها من قولهم : امْتَكَّ الفصيلُ ما فى ضَرْع أمّه إذا لم يُبْق فيه شيئا . وقيل : لقلة مائها . وقيل : لأَنها تمك الذنوب أى تستخرجها[2] وتذهب بها كلها[3] . وقيل لأنها لمّا كانت فى بطن وادٍ تمك الماء من جبالها عند نزول المطر وتنحدر إليها السيول .

نادر : نقله فى « الزَّهْر » عن منتخب كُرَاع . وهو بخط مُغَلْطاى – رحمه الله تعالى – بنون ودال مهملة .

الناسَّة : بالنون والسين المهملة المشددة ذكره الماوردى وغيره ، لأَنها تنسُّ من أَلْحَدَ

---

(١) سورة القصص ٨٥ .

(٢) ط : أيْ تستخرج بها

(٣) معجم البكرى ١/٢٦٩ .

فيها ، أى تطرده وتنفيه . وقيل : من نَسّ[1] الشىء إذا يبس من العطش . قال فى الصحاح : يقال لمكة الناسّة لقلة الماء بها من النسّ وهو اليُبْس .

النسّاسة : بنون وسينين مهملتين : الأُولى مشددة ذكره ابن جماعة . ومعناها كمعنى الاسم الذى قبلها ، وقيل لقلة مائها من النّس وهو اليُبْس .

الناشّة بالشين المعجمة . نقله فى « الزَّهْر » عن الخطابى لأنها تنشُّ من ألحد فيها أى نطرده وتَنْفيه .

الوادِى : ورد فى كلام عمر ــ رضى الله تعالى عنه .

أُم راحِم : ذكره فى « شفاء الغرام » ، ونقله فى الزهر عن كُرَاع . ومعناه معنى الاسم الذى بعده .

أُم رُحُم : براء وحاء مهملتين قال فى الزَّهْر نقلا عن ابن السِّيد : بضم الراء والحاء ويقال[2] بتسكين الحاء ونقله الماوردى وغيره عن مجاهد ، لأَن الناس يَتَراحمون فيها ويتواصلون .

أُم الرُّحم : معناه معنى الاسم الذى قبله .

أُم الرُّحمَات : عزَاه الشيخ عبد الله المُرْجانى[3] لابن العربى ــ رحمه الله تعالى .

أُم رَوْح : بفتح الراء من الروح وهو الرحمة ذكره ابن الأَثير فى المُرَصَّع[4] .

أُم زَحْم : بزاى من الزحام . ذكره الرّشَاطِىّ ــ رحمه الله تعالى .

أُم صُبَيْح : ذكره ابن الأَثير فى كتاب المرصَّع . وهو بضم الصاد كما فى القاموس .

أُم القُرَى : قال الله سبحانه وتعالى : « لِتُنْذِر أُمَّ القُرَى » قال الضحاك ــ رحمه الله تعالى : يعنى مكة . واختلف فى سبب تسميتها بذلك . فقيل : لأَن الأَرض دُحِيت من تحتها

---

(١) ت م : تنس ، محرفة .

(٢) ت م : يقال .

(٣) كذا فى ط ، موافقاً للإعلام بأعلام بيت الله الحرام النهروانى ص ١٨ وذكر أن له كتاباً فى تاريخ المدينة . وفى بقية النسخ : ابن المرجانى .

(٤) ت م : فى الموضع ، محرفة .

قاله ابن عباس وتقدم فى باب بدء أمر البيت ، وقيل لأنها أعظم القرى ، وقيل لأن فيها بيت الله تعالى . ولما جرت العادة بأن الملك وبلده مقدَّمان على جميع الأماكن سمى أمًّا لأن الأُم متقدمة ، وقيل لأنها قِبْلة تؤمُّها جميع الأُمة ، وقيل لان أهل القُرى يرجعون إليها فى الدِّين والدنيا .

أُم كوثى : ذكره ابن المرْجانِىّ - رحمه الله تعالى - ولم يتكلم عليه[1]

(١) يراجع في اسماء مكة الاعلام للزركشي ص ٧٨ ، وشفاء الغرام ١/٤٧ ، ١٢٦ .

الباب العاشر

فى ذكر حرم مكة وسبب تحريمه

حَرَمُ مكة : ما أحاط بها وأطاف بها من جوانبها ، جعل الله تعالى لها حُكْمها فى الحُرْمة تشريفاً لها . قال الإمام النووى — رحمه الله تعالى — فى الإيضاح : وحَدُّه من طريق المدينة دون التنعيم عند بيوت نِفَار على ثلاثة أميال من مكة ، ومن طريق اليمن طرف أَضَاة لِبْن فى ثنية لِبْن على سبعة أميال . ومن طريق العراق على ثنية جبل بالمُقطَّع[1] على سبعة أميال . ومن طريق الجعْرانة فى — شعب آل[2] عبدالله بن خالد على تسعة أميال بمثناة فوقية فسين مهملة . وليس فى الحدود تسعة بتاء فسين غير هذا الموضع .

ومن طريق الطائف على عرفات من بطن نَمرة على سبعة أميال ، ومن طريق جدة منقطع الأعشاش على عشرة أميال .

فهذا حد ماجعله الله تعالى حرمًا لما اختُص به من التحريم وباينَ بحكمه سائر البلاد . وهكذا ذكر حدوده أبو الوليد الأزرقى فى كتاب مكة وأصحابُنا فى كتب الفقه ، ومنهم الماوردى فى الأحكام السلطانية . إلا أن الأزْرَقى قال فى حدّه من طريق الطائف : أحد عشر ميلا . والجمهور قالوا : سبعة كما ذكرنا . وقال فى شفاء الغرام :وتبعه عليه[3] الفاكهى وأبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة فى كتابه « المسالك » ولا يعرف للأزرقى فيما قاله مخالف قبله ولا معاصر له ولا بعده غير الماوردى وصاحب المهذَّب ومن تبعهما — رحمهم الله تعالى .

وقد نظم ذلك بعضهم فقال :

وللحرَم التحديدُ من أرض طيبةٍ ثلاثةُ أميال إذا رُمْتَ إتقانَــهْ

وسَبْعة أميــال عــراق وطـائف وجُدّة عَشْر ثم تسع جعِرّانَــهْ

ومن يَمَن سَبْع بتقديم سِينها لذلك سَيْل[4] الحل لم يَعْدُ بنيانه

---

(١) ت م : بالمنقطع ، محرفة .

(٢) ت م : أبى عبد الله ، محرفة .

(٣) ت م : على ، محرفة .

(٤) ص ت م : سبيل الحل ، محرفة ، والتصويب من ط

يعني أن سَيْل الحل لا يدخل الحرم . كما ذكره جماعة . قال الأزرقي : إلا من موضع واحد عند التَّنْعيم .

التَّنْعيم بفتح المثناة الفوقية وسكون النون وكسر العين المهملة بعدها مثناة تحتية ، وهو من الحِلّ .

نِفَار : بنون مكسورة ففاء فراء . أَضاة بفتح الهمزة وبالضاد المعجمة على وزن قَنَاة . لِبْن بكسر اللام وسكون النون . قاله الحازمي – رحمه الله تعالى .

المُقطَّع ضبطه ابن خليل بضم الميم وفتح الطاء المشددة . وفي خط الطبري ؛ بفتح الميم وإسكان القاف . الجعْرانة بكسر الجيم وسكون العين وتخفيف الراء ، وتشدَّد . نَمِرة بفتح النون وكسر الميم : موضع : قيل مِنْ عرفات[1] وقيل بقربها . الجُدّة بضم الجيم ساحل مكة معروفة سميت بذلك لأنها حاضرة البحر ، والجدة من البحر والنهر ما وَلِي البَرَّ ، وأصل الجُدّة : الطريق الممتد . مُنْقَطع الأَغْشاش : بفتح الهمزة وبالشينين[2] المعجمتين جمع غُشّ .

قال المحب الطبري في « القرى » في سبب تحديد الحرم واختلاف حدوده أربعة أوجه :

الأول ما رواه سعيد بن جُبير عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – قال : لما أُهبط آدم – صلى الله عليه وسلم – خرَّ ساجدًا معتذراً ، فأَرسل الله تعالى إليه جبريلَ بعد أَربعين سنة فقال : ارفع رأسك فقد قُبلت توبتكُ . فقال : يا رب إنما أَتلهَّف على ما فاتني من الطواف بعرشك مع ملائكتك . فأَوحى الله تعالى إليه : إني سأنزل لك بيتاً أَجعله قِبْلةً . فأَهبط الله تعالى إليه البيتَ المعمور وكان ياقوتة حمراء تَلْتهب التهابًا[3] ، وله بابان شرقي وغربي قد نظمت حيطانه بكواكب بيض من ياقوت الجنة ، فلما استقر البيتُ في الأرض أَضاء نوره ما بين المشرق والمغرب ، فنفرت لذلك الجن والشياطين وفزعوا ، فصعدوا[4] في الجوّ ينظرون من أَين ذلك النور ، فلما رأَوه من مكة أَقبلوا يريدون الاقتراب إليه ، فأرسل الله تعالى ملائكة فقاموا حول الحرم في مكان الأَعلام اليوم ، فمنعتهم ، فمن ثم ابتدئ اسم الحرم .

الثاني : ما رواه وهب بن منبه رحمه الله تعالى فقال : إن آدم – صلى الله عليه وسلم –

(1) ت م : موضع قبل عرفات . (2) ط : والشينين .

(3) ص ت م : ملتهب التهابا ، محرفة ، والتصويب من ط .

(4) ت م : وصعدوا .

لمّا نزل إلى الأرض اشتد بكاؤه ، فوضع الله تعالى له خيمة بمكة موضع الكعبة قبل الكعبة ، وكانت الخيمة ياقوتة حمراء من الجنة ، وفيها ثلاثة قناديل فيها نور يتلهب من الجنة ، وكان ضوء النور ينتهى إلى مواضع الحرم ، وحرس الله تعالى تلك الخيمة بملائكة فكانوا يقفون على مواضع أنصاب الحرم يحرسونه ويذودون عنه سكانَ الأرض من الجن ، فلما قَبض الله تعالى آدم رفعها إليه .

الثالث : روى أن إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – لما بنَى البيتَ قال لإسماعيل : ابغنى حجرًا أَجعله للناس آية . فذهب إسماعيل ولم يأته بشيء ووجد الركن عنده فقال : من أين لك هذا ؟ قال : جاء به من لا يَكلِنِى إلى حَجرك ، جاء به جبريل . فوضعه إبراهيم موضعه هذا ، فأنار الحجرُ شرقًا وغربًا ويمينا وشمالا ، فحرَّم الله الحرَم حيث انتهى إليه نورُ الركن وإشراقه من كل جانب .

الرابع : أن آدم – صلى الله عليه وسلم – لما أُهبط إلى الأرض خاف على نفسه من الشياطين واستعاذ بالله تعالى ، فأرسل[1] الله تعالى ملائكة حفُّوا بمكة من كل جانب ووقفوا حواليها ، فحرم الله تعالى الحرم حيث وقفت الملائكة . انتهى .

وزاد فى شفاء الغرام تبعا للسُّهيلى : وقيل لأن الله تعالى حين قال للسموات والأرض : « ائتيَا طَوْعًا أَو كَرْهًا قالتَا أَتَيْنا طائعين » لم يجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرضُ الحرم ، ولذلك حرَّمها .

وقال الزركشى رحمه الله تعالى فى الإعلام : فإن قيل : ما الحكمة فى تحديد الحرم ؟ قيل[2] فيه وجوه : أحدها التزام ما ثبت له من الأحكام وتبيين ما اختص به من البركات . الثانى : ذُكِر أن الحجر الأسود لما أتى به من الجنة كان أبيض مستنيراً أضاء منه نور ، فحيثما انتهى ذلك النور كانت حدود الحرم . وهذا معنى مناسب والأمر فوق ذلك .

الثالث : أنه أنوار موضوعة من العالم الأعلى ربّانى ، وسرٌّ روحانى ، توجَّه إلى تلك البقاع . ويذكر أهل المشاهدات أنهم يشاهدون تلك الأنوار واصلة إلى حدود الحرم ، ولها منار يَنْبع منها ويكون عنها فى الحرمين والأرض المقدسة[3] .

---

(١) ت م : فقال ، فأرسل .
(٢) كذا فى ط ، وفى ص ت م : فقيل .
(٣) يراجع فى حدود الحرم إعلام الساجد ٦٣ ، وشفاء الغرام ١/٥٥ .

ذكر علامات الحرم

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أول من نصبَ أنصاب الحرم إبراهيمُ يريه ذلك جبريل ، فلما كان يوم الفتح بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تميمَ بن أسد الخزاعى فجدَّد مارثًا منها . رواه ابنُ سعد[1] والأزْرقى .

وروى الأزرقى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة رحمه الله تعالى قال : إن إبراهيم – صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم – نصَب أنصابَ الحرم يريه جبريلُ – صلى الله عليه وسلم – ثم لم تُحرَّك حتى كان قُصَىّ فجددها ، ثم لم تُحرك حتى كان رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يومَ الفتح ، فبعث عام الفتح تميمَ بن أسد الخُزَاعى فجددها .

رَثَّ الشئ يَرِثُّ بالكسر وأَرثَّ : خلَق .

---

(١) ص ت م : أبو سعد ، والتصويب من ط ، وانظر طبقات ابن سعد ٩٩/٢ القسم الثانى (ط ليدن) .

الباب الحادى عشر

فى تعظيم مكة وحرَمها ، وتعظيم الذنب فيها

عن أبى شُرَيْح العدَوى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قام الغدَ من يوم الفتح فقال : « إن مكة حرَّمها الله ولم يحرِّمْها الناسُ ، فلا يحلُّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسْفك بها دمًا ولا يَعْضِد بها شجرةً ، فإن أَحدٌ ترخَّصَ لقتال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها فقولوا له : إنّ الله تعالى قد أَذِن لرسوله ولم يأْذن لكم ، وإنما أَذِن لى ساعةً من نهارٍ ، وقد عادت حُرمتها اليوم كحرمتها بالأَمس ، وليبلِّغ الشاهد الغائب » .

رواه الإمام الشافعىّ والشيخان [1] .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله حرَّم هذا البيت يومَ خَلَق السموات والأَرض وصاغه يومَ صاغ الشمسَ والقمر وما حِيَاله من السماء حَرام ، وإنه لا يحلّ لأَحد بعدى وإنما أُحِلَّ لى ساعةً من النهار ثم عاد كما كان » .

رواه الطبرانى [2] .

وعن عيَّاش بن أَبى ربيعة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا تزال هذه الأُمة بخير ما عظَّموا هذه الحرمة حقَّ تعظيمها فإذا ضيَّعوا ذلك هلكوا » .

رواه ابن ماجه [3] .

وعن صفية بنت شَيْبة ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت : سمعت رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « يا أَيها الناس إن الله حرَّم مكة يومَ خَلَق السموات والأَرض ، وهى حرام

---

(١) صحيح البخارى ٣/٥٣ (ط الأميرية) كتاب المغازى .

وصحيح مسلم كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها . . . إلخ ، حديث رقم ٤٤٦ (ط الحلبى) .

(٢) مجمع الزوائد ٣/٢٨٤ وقال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط .

(٣) سنن ابن ماجه كتاب المناسك باب فضل مكة (حديث رقم ٣١١٠) ، وفى إسناده يزيد بن أبى زياد ، واختلط بأخره .

إلى يوم القيامة ، لا يُعْضد شجرها ولا يُنفَّر صيدها ولا تؤخذ لُقطتها إلا لمنشِد . فقال العباس : إلاَّ الإِذْخَر فإنه للبيوت والقبور . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إلا الإذخر .

رواه البخارى تعليقا . ووصلَه ابنُ ماجه[1] .

وعن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة : « إن هذا البلد حرَّمه الله يومَ خلق السموات والأرض والشمس والقمر ووضع هذين الأخْشَبَيْن ، فهو حرام بحُرْمَةِ الله تعالى إلى يوم القيامة ، ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحدٍ قَبْلى ولا يحل لأحد بَعْدِى، ولم يحل لى إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يُخْتلى خلاؤها ولا يُعْضَد شجرها ولا ينفَّر صيدها ، ولا تُلتقط لقطتها إلا لمن عرَّفها إلى أَخَرةٍ » .

رواه ابن أبى شيبة والخمسة[2] .

وروى الأزرقى عن الزهرى مرسَلا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الناس لم يحرِّموا مكة ولكن الله تعالى حرَّمها فهى حرام إلى يوم القيامة ، وإن من أَعْتَى الناس على الله تعالى رجلاً قَتل فى الحرم ورجلاً قتل غير قاتله ، ورجلاً أخذ بذُحول الجاهلية » .

الذُّحُول جمع ذَحْل بذال معجمة فحاء مهملة، وزان فَلْس : الحقدُ والعداوة . وطلب بذَحْله أى بثأره ، وهو المراد هنا .

وروى الأزرقى عن قتادة رحمه الله تعالى قال : ذكرلنا أن الحرم حُرِّم بحِيَاله إلى العرش.

وروى أيضا عن مجاهد قال : إن هذا الحرَم حُرِّم مَناه[3] وقَصْده من السموات السبع . والأرضين السبع ، وإن هذا البيت رابع أربعة عشر بيتا فى كل سماء بيت ، وفى كل أرض بيت ، ولو وقعن وقعن بعضهن على بعض .

---

(١) صحيح البخارى ٢٠٨/١ ، ٢٣٩ كتاب الحج .
وسنن ابن ماجه كتاب المناسك باب فضل مكة (حديث رقم ٣١٠٩) .

(٢) صحيح البخارى ٢٣٩/١ ، وصحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ٤٤٥ ، وسنن أبى داود ٢٠٠/١ ، كتاب المناسك باب تحريم حرم مكة ، وصحيح الترمذى ١٥٤/١ ، ٢٦٤ (كتاب الحج) و (كتاب الديات) ، وسنن النسائى بشرح السيوطى ٢٠٢/٥ كتاب الحج باب حرمة مكة ، باختلاف فى اللفظ .

(٣) فى هامش ط : أي حذاه وقصده .

وروى الأزرقى عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « البيت المعمور الذى فى السماء يقال له الضراح وهو على مَنَا الكعبة ، يعمره كلَّ يوم سبعون ألف ملك لم يزره قط ، وإن للسماء السابعة لَحرمًا على مَنَا حَرم الكعبة » .

وروى الأزرقى والطبرانى والبيهقى فى الشُّعَب عن عائشة – رضى الله تعالى عنها : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « ستةٌ لعَنْتهم وكلُّ نَبيٍّ مُجَابُ الدعوة : الزائدُ فى كتاب الله ، والمكذِّب بقدَر الله ، والمُتسلِّط[1] بالجبروت ليُذلّ من أعزَّ الله ويعز من أذلّ الله ، والتارك لسُنَّتى ، والمستحل من عِتْرتى ما حرَّم الله ، والمستحلّ لحرَم الله[2] » .

ذكر تعظيم مالا يعقل للحرم

روى ابن أبى الدنيا فى « ذَمِّ الملاَهى » عن جُوَيْرِية بن أسماء عن عمه رحمهما الله تعالى قال : حججتُ مع قوم فنزلنا منزلا ومعنا امرأة ، فنامت فانتبهتْ وحيّة منطوية عليها جمعت رأسها مع ذنَبها بين ثديبها فهالنا ذلك وارتحلنا فلم تزل مَطْوية[3] عليها لا تضرّها شيئا ، حتى دخلنا أنصابَ الحرم فانسابت فدخلنا مكة فقضينا نُسكنا وانصرفنا ، حتى إذا كنا بالمكان الذى تطوّقت عليها فيه الحية ، وهو المنزل الذى نزلنا فنامت فاستيقظت والحية منطوية عليها ، ثم صفَرت الحية فإذا بالوادى يسيل علينا حَيّات فنهَشْنها حتى بقيتْ عظاما ، فقلت لجارية لها : ويحك أخبرينا عن هذه المرأة . قالت : بغَتْ ثلاثَ مرات ، كل مرة تلد ولدا فإذا وضعته سجَرت التَّنُّور ثم ألقته فيه .

وروى الأزرقى عن ابن أبى نَجيح – رحمه الله تعالى – قال : لم تكن كِبَار الحيتان[4] تأكل صغارها فى الحرم زمنَ الطوفان[5] .

---

(١) هكذا الرواية فى صحيح الترمذى : والمتسلط بالجبروت ، وفى الأصل : « والمقسط بالجبروت » .

(٢) صحيح الترمذى ٢/٢٢ (كتاب القدر) ثم قال الترمذى : هكذا روى عبد الرحمن بن أبى الموالى هذا الحديث عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب ، عن عمرة ، عن عائشة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ورواه سفيان الثورى وحفص بن غياث ، وغير واحد عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب ، عن على بن الحسين ، عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا ، وهذا أصح .

(٣) ت م : منطوية .

(٤) الأصل : كبار الحيات ، وما أثبته من أخبار مكة .

(٥) أخبار مكة (ط جوتنجن) للأزرقى ص ٣٦٢ .

وروى ابن أبى شَيْبة عن ابن سابط - رحمه الله تعالى - قال : كان الناس إذا كان الموسم فى الجاهلية خرجوا ولم يبق أحد بمكة ، وإنه تخلّف رجل سارق فعمد إلى قطعة من ذهب فوضعها ليأخذ أخرى ، فلما أدخل رأسه هَمزه البيتُ فوجدوا رأسَه فى البيت واسته خارج البيت[1] فألقوه للكلاب .

وروى الجندى عن طاووس - رحمه الله تعالى - قال : إن أهل الجاهلية لم يكونوا يصيبون فى الحرم شيئا إلا عجّل لهم ويوشك أن يرجع إلى ذلك .

والأحاديثُ والآثار فى تعظيم حُرمة الحرم أكثر من أن تُحصر .

وروى الأزرقى عن حُوَيْطب بن عبد العُزّى - رضى الله تعالى عنه - قال : كنا جلوسًا بفناء الكعبة فى الجاهلية فجاءت امرأة إلى البيت تَعُوذ به من زوجها فجاء زوجها فمد يده إليها فيبست يدُه ، فلقد رأيته فى الاسلام وإنه لأشَلّ[2] .

وروى الأزرقى عن ابن جُرَيْج - رحمه الله تعالى - قال : الحِطَيم ما بين الركن والمقام وزمزم والحِجْر ، وكان إسَافٌ ونائلة (رجلٌ وامرأةٌ) دخلا الكعبة فقبّلها فيها فمسخا حجرين فأُخرجا من الكعبة فنُصب أحدهما فى مكان زمزم والآخر فى وجه الكعبة يعتبر بهما الناس ويزدجروا عن مثل ما ارتكبا ، فسمِّى هذا الموضع الحَطِيم لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمان ويستجاب فيه الدعاء على الظالم للمظلوم ، فقلَّ من دعا هنالك على ظالم إلا هلَك ، وقلَّ من حلف هنالك إثمًا إلا عُجِّلت عليه العقوبة ، وكان ذلك يحجز بين الناس عن الظلم ويتهيب الناس الأيمان هنالك ، فلم يزل ذلك كذلك حتى جاء الله تعالى بالإسلام فأخَّر الله تعالى ذلك لما أراد إلى يوم القيامة[3] .

تنبيه : فى الأحاديث السابقة أن الله تعالى حرَّم مكة . ولا يخالف ذلك ما رواه الإمام أحمد ومسلم والنسائى وغيرهم ، عن جابر بن عبد الله - رضى الله تعالى عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن « إبراهيم حرَّم مكة ، وإنى حرَّمْتُ المدينة[4] »

---

(١) ت م : خارجه .

(٢) ليس فى أخبار مكة ، انظر باب تعظيم الحرم وتعظيم الذنب فيه والإلحاد ص ٣١١ (ط جوتنجن) .

(٣) أخبار مكة ص ٣٩٧ (ط جوتنجن) .

(٤) صحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ٤٥٨ ، وسنن ابن ماجة كتاب المناسك باب فضل المدينة ، ومسند أحمد ١١٩/١ .

ان إبراهيم حرَّم مكة بأمر الله تعالى لا باجتهاده ، أو أن الله قضى يوم خَلق السموات والأرض أن إبراهيم سيحرّم مكة . أو المعنى : أن إبراهيم أولُ من أَظهرَ تحريمها بين الناس وكانت قبل ذلك عند الله حراما ، وأولُ من أظهره بعد الطوفان .

وقال القرطبي : معنى الأحاديث السابقة : أن الله تعالى حرَّم مكة ابتداءً من غير سبب يُنسب لأحد . ولا لأحد فيه مدخل ، ولأجل هذا أكّد هذا المعنى بقوله : « ولم يحرِّمها الناس » . والمراد بقوله : ولم يحرمها الناس أن تحريمها ثابت بالشرع لا مدخل للعقل فيه . أو المراد : أنها من محرَّمات الله تعالى فيجب امتثال ذلك ، وليس ذلك من محرَّمات الناس ، يعنى فى الجاهلية كما حَرَّموا أشياء من عند أنفسهم ، فلا يَسُوغ الاجتهاد فى تركه . وقيل معناه : أن حرمتها مستمرة من أول الخَلْق وليس مما اختصت به شريعة النبي - صلى الله عليه وسلم .

الباب الثانى عشر

فى حج الملائكة وآدم والأنبياء وتعظيمهم للحَرم

روى الأزرقى عن عثمان بن ساج رحمه الله تعالى قال : أخبرنى سعيد أن آدم لما فَرغ من حجته لقيته الملائكة بالمأزِمين فقالوا : « بَرَّ حجُّك يا آدم فلقد حَجَجْنا هذا البيتَ قبلَك بألفى عام[1] » .

المأزِمين : تثنية مَأْزِم بالهمز والزاى : المضِيق فى الجبال .

وروى الأزرقى عن أبى هريرة – رضى الله تعالى عنه – أن آدم – صلى الله عليه وسلم – لما فرغ من حجه لقيته الملائكة بالردْم[2] فقالوا : بَرَّ حجّك يا آدم ، إنا قد حَجَجْنا هذا البيت قبلك بألفى عام . قال : فما كنتم تقولون حوله ؟ فقالوا : كنا نقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . فكان آدم إذا طاف قال هذه الكلمات[3] .

الرَّدْم بفتح الراء وسكون الدال المهملتين : موضع بمكة .

وروى الأزرقى عن عمرو بن يسَار المكّى – رحمه الله تعالى – قال : بلَغنى أن الله تعالى إذا أراد أن يبعث ملَكا من الملائكة لبعض أموره فى الأرض استأذنه ذلك الملَك فى الطواف ببيته ، فهبط الملك مُهِلاًّ[4] .

وروى الأزرقى وابن المنذِر والجندى عن وهب بن مُنَبِّه رحمه الله تعالى قال : قرأت فى كتاب من الكتب الأُوَل ذكِر فيه أمرُ الكعبة وأنه ليس من ملَك بعثه الله تعالى إلى الأرض إلاَّ أمره بزيارة البيت فينقضّ من عند العرش مُحْرِما ملبِّيا حتى يستلم الحجَر ، ثم يطوف سبعاً بالبيت ويصلى فى جوفه ركعتين[5] .

---

(١) أخبار مكة ص ١٣ .

(٢) كذا بالأصل . والذى فى أخبار مكة : لقيته بالمأزمين .

(٣) أخبار مكة ص ١٣ (ط جوتنجن) .

(٤) أخبار مكة ص ٦ ، وفى الأصل : مهللا ، وما أثبته من أخبار مكة .

(٥) أخبار مكة ص ٩ .

وروى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : أولُ من طاف بالبيت الملائكة .

وروى الأَزْرَقى عنه أن جبريل عليه السلام وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه عصابة خضراء قد علاّها الغبار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا الغبار الذى أرى عليك ؟ قال : إنى زرتُ البيت فازدحمت الملائكة على الركن فهذا الغبارُ الذى تَرى مما تُثير[1] بأجنحتها[2] .

فائدة : قول الملائكة : بَرَّ حجُّك . قال فى النهاية : الحج المبرور الذى ليس له ثواب إلا الجنة هو الذى لايخالطه شيء من الإثم . وقيل : هو المقبول المقابَل بالبِرّ وهو الثواب يقال بَرَّ حجُّه وبُرَّ حجه ، وبَرَّ الله حجَّه وأَبَرَّه بِرًّا بالكسر وإبْرارا .

حج آدم صلى الله عليه وسلم

روى سعيد بن منصور عن عطاء بن أبى ربَاح رحمه الله تعالى أن آدم صلى الله عليه وسلم هبط بأرض الهند ومعه أربعة أعواد من الجنة ، فهى هذه التى يتطيَّب بها الناس ، وأنه حجَّ هذا البيتَ وطاف بين الصفا والمروة وقضَى مناسك الحج .

وروى الأَزْرقى عن عثمان بن ساج قال : أخبرنى سعيد رحمه الله تعالى أن آدم صلى الله عليه وسلم حجَّ على رجليه سبعين حجةً ماشيًا[3] .

وروى أيضا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : حج آدم صلى الله عليه وسلم فقضى المناسكَ ، فلما فرغ قال : يارب إنّ لكل عامل أجراً[4] . قال الله تعالى : ياآدم أمّا أنت فقد غفرتُ لك ، وأما ذريتك فمنجاء منهم هذا البيت فباء بذَنْبه فقد غفرتُ له[5]

باء بذنبه : اعترف به .

وروى ابن خُزَيْمة وأبو الشيخ فى العظمة والدَّيْلمِىّ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن آدم أتى هذا البيت ألف أتْية لم يركب قط

(١) ت م : مما تنثر . (٢) أخبار مكة ٤/١ (ط مكة) .
(٣) أخبار مكة ١٢/١ (ط مكة) ، و ص ١٤ (ط جوتنجن) .
(٤) ت م : جزاء .
(٥) أخبار مكة ١١/١ ، (ط مكة) ، و ص ١٣ (ط جوتنجن) .

فيهن من الهند على رجليه ، ثلاثمائة حجة وسَبْعمائة عُمرة ، وأول حجة حجَّها آدم وهو واقف بعرفة أتاه جبريل فقال : يا آدم بَرَّ نُسكك ، أمّا نحن فقد طُفْنا بهذا البيت قبل أن تُخلق بخمسين ألف سنة .

وروى الأزرقى والجندى وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : حج آدم فطاف بالبيت سبعا فلقيتْه الملائكة فى الطواف فقالوا : بَرَّ حجك ياآدم ، إنا قد حجَجْنا هذا البيت قبلك بألفى عام . قال : فماذا كنتم تقولون فى الطواف ؟ قالوا : كنا نقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . قال آدم : فزيدوا فيها : ولا حول ولا قوة إلا بالله . فزادت الملائكة فيها ذلك .

ثم حج إبراهيم بعد بنائه البيتَ فلقيتْه الملائكة فى الطواف فسلَّموا عليه فقال لهم : ماذا كنتم تقولون فى طوافكم ؟ قالوا : كنا نقول قبلَ أبيك آدم : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . فأعلمناه بذلك فقال : زيدوا : « ولا حول ولا قوة إلا بالله » فقالوها . فقال إبراهيم : زيدوا فيها : العلىّ العظيم . فقالت الملائكة ذلك[1] .

حج ابراهيم واسماعيل واسحاق صلى الله وسلم عليهم

تقدم ذلك فى قصة بناء إبراهيم البيت صلى الله عليه وسلم حجُّ نوح وهود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام :

روى الأزْرقى عن عبد الرحمن بن سابط مرسلاً عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كان النبى من الأنبياء إذا هلكتْ أمتُه لَحِق بمكة فيعبد الله تعالى فيها ومن معه حتى يموت ، فمات فيها نوح وهود وصالح وشعيب . وقبورهم بين زمزم والحِجْر[2] .

وروى ابن الجَوْزى فى « مُثير العَزْم الساكن إلى أشرف الأماكن » عن عروة بن الزبير رحمه الله تعالى أن نوحاً صلى الله عليه وسلم حج البيت قبلَ الغرق .

وروى الأزْرقى عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى أن هودا وصالحا وشُعَيْبا حجُّوا البيت بمن آمن معهم ، وأنهم ماتوا بمكة ، وأن قبورهم غربىّ الكعبة بين دار النَّدوة ودار بنى هاشم[3] .

---

(١) أخبار مكة ص ١٤ (ط جوتنجن) .
(٢) أخبار مكة ص ٣٤ (ط جوتنجن) .
(٣) أخبار مكة ص ٣٩ (ط جوتنجن) .

تنبيه : وردت أحاديث وآثار بحج هود وصالح عليهما الصلاة والسلام . وهو أقوى أسانيد من حديث : « ما من نبيٌّ إلاَّ وقد حجَّ البيت إلا ما كان من هود وصالح » : قال الشيخ رحمه الله تعالى : فإن إسناده ضعيف .

حج موسى ويونس صلى الله عليهما وسلم

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : سِرْنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة فمررنا بوادٍ فقال : أىّ وادٍ هذا ؟ قالوا : وادى الأَزرق . فقال : كأَنى أنظر إلى موسى واضعاً إصبعه فى أذنه له جُؤَار إلى الله تعالى بالتَّلْبية مارًّا بهذا الوادى . قال : ثم سرنا بالوادى حتى أتينا إلى ثَنِيّة فقال : ما هذه الثنية ؟ قيل : ثنية هَرْشَى . فقال : «كأَنى أنظر إلى يونس على ناقة حمراء خُطَام ناقته ليف خُلْبة ، وعليه جبة له من صوف يُهلّ نهارا بهذه الثَّنية ملبيًّا » .

رواه الشيخان وابن حِبَّان[1] .

الجؤار بجيم مضمومة فهمزة مفتوحة : رفع الصوت بالاستغاثة. ليف خُلْبة : بخاء معجمة مضمومة فلام ساكنة فباء موحدة مفتوحة . يروى بتنوين الكلمتين على البدل ، وبإضافة الأَول للثانى . قال فى التقريب : وكأَنه على الإضافة[2] متقاوب . قال فى الصحاح : الخُلْب حَبْل رقيق من ليف أو قنب[3] ، فالوجه بخُلْبة ليف .

هَرْشى بهاء مفتوحة فراء ساكنة فشين معجمة مفتوحة فألف مقصورة : جبل قريب من الجُحْفة .

وعن عبد الله بن مسعود[4] رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كأَنى أنظر إلى موسى بن عمران فى هذا الوادى مُحْرِما يلبِّى بين قَطْوانيّتين »[5] .

رواه أبو ذر الهرَوى فى مناسكه .

قطوانيتين : تثنية قَطْوانية ، وهى عَباءة[6] بيضاء قصيرة .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ومسند أحمد ٢١٦/١ ، وسنن ابن ماجه كتاب المناسك باب الحج على الرحل (حديث رقم ٢٨٩١) ، وصحيح البخارى ١٠٧/٢ ط الأميرية.

(٢) كذا فى ط وفى ت م : على الإخبار ، محرفة . (٣) ت م : أو نسب . (٤) ط : وعن ابن مسعود .

(٥) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٠٤/٨ وقال : رواه الطبرانى ، وفيه يزيد بن سنان الرهاوى وهو متروك .

(٦) ت م : وهى عباء .

وعن مجاهد رحمه الله تعالى قال : حجَّ موسى صلى الله عليه وسلم على جمل أحمر فمر بالرَّوْحاء عليه عباءتان قطوانيتان مؤتزراً بإحداهما مُرْتديا بالأُخرى، فطاف بالبيت ثم طاف بين الصَّفا والمروة إذ سمع صوتا من السماء وهو يقول : لبَّيْك عبدى وأنا معك . فخرَّ موسى ساجداً .

رواه الأَزْرَقى[1] .

وعن مجاهد رحمه الله تعالى قال: حج البيتَ سبعون نبيًّا فيهم موسى صلى الله عليه وسلم عليه عباءتان قَطْوانيّتان ، وفيهم يونس يقول : لبَّيْك كاشفَ الكَرْب .

رواه سعيد بن منصور .

حج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير من سمى

روى ابن أَبِى شَيْبة عن مجاهد رحمه الله تعالى قال : كانت الأَنبياء إذا أَتت حكم الحرم نزعوا نعالَهم .

وروى أَبو ذَرّ الخُشَنى فى مناسكه عن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما قال : حج البيتَ أَلفُ نبى من بنى إسرائيل لم يدخلوا مكة حتى وضعوا نِعَالَهم بذى طُوَى .

ذو طُوَى بضم الطاء المهملة وفتح الواو وألف مقصورة : وادٍ معروف عند باب مكة

وعن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : مرَّ بصِفَاح الرَّوْحاء سبعون نبيّا حُجاجاً عليهم لباس الصوف إبلهم مُخَطَّمة بالليف .

وفى رواية : لقد سلَك فجَّ الرَّوْحاء سبعون نبيا حُجاجا عليهم لباس الصوف خُطم إبلهم الليف .

رواه الأَزرقى[2] .

صِفاحُ الرَّوْحاء : جانبها . الروحاء : بفتح الراء وبالحاء المهملة : ممدود : اسم قرية . الفج بفتح الفاء والجيم : الطريق الواسع .

وروى أَيضا عن عثمان بن ساج قال : أَخبرنى صادق أنه بلغه أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مرَّ بفجّ الروحاء سبعون نبيا على نوق حُمْر خُطمهم اللّيف لبوسهم العَباء وتلبيتهم شَتَّى . أَى متفرقة[3] .

---

(١) أخبار مكة ص ٣٦ (ط جوتنجن) . (٢) أخبار مكة ص ٣٧ (ط جوتنجن) .

(٣) أخبار مكة ص ٣٨ (ط جوتنجن) .

وروى أيضا عن مجاهد قال : حج خمسة وسبعون نبيا كل قد طاف بالبيت وصلّى[1] فى مسجد مِنًى ، فإن استطعت أن لا تفوتك الصلاة فى مسجد منى فافعل[2] .

وروى أيضا عن عبد الرحمن بن سابط رحمه الله تعالى قال : سمعت عبد الرحمن ابن ضَمْرة السَّلُولى[3] يقول : مابين الركن إلى المقام إلى زمزم قبرُ سبعين نبيا جاءوا حجاجاً فقُبروا هنالك .

حج بنى اسرائيل وغيرهم

روى أبو نُعَيم عن مجاهد رحمه الله تعالى قال: كان[4] يحج من بنى إسرائيل مائة ألف فإذا بلغوا أنْصاب الحرم خلعوا نعالهم ثم دخلوا الحرم حُفاة .

وروى ابن أبى شيبة والأَزْرقى عن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما قال : إنْ كانت الأُمّة من بنى إسرائيل لَتَقْدم مكة فإذا بلغت ذا طُوىً خلعت نعالها تعظيما للحرم[5] .

وروى الأَزرقى وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : حجَّ الحواريّون فلما دخلوا الحرم مَشَوْا حُفَاةً تعظيما للحرم .

حج ذى القرنين رضى الله تعالى عنه

روى الأَزرقى عن عطاء بن السائب رحمه الله تعالى أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يطوف بالبيت فأنكره فسأله ممن أنت ؟ قال من أصحاب ذى القرنين . قال : وأين هو ؟ قال : بالأَبْطَح. فتلقَّاه إبراهيم فاعتنقه فقيل لذى القرنين: ألا تركب[6] ؟ قال : ما كنت لأَركب وهذا يمشى . فحج ماشيا[7] .

وروى ابن أبى حاتم عن عَلْباء بن أحمر رضى الله تعالى عنه أن ذا القرنين قدِم مكة فوجد إبراهيمَ وإسماعيل يبنيان الكعبة فاستَفْهَمهما عن ذلك فقالا : نحن عبدان مأْموران . فقال : من يشهد لكما ؟ فقامت خمسة أَكْبُش فشهدت فقال : قد صدقتما . ولهذا تتمة تأْتى فى باب أسئلة المشركين رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أشياء على وجه العناد[8] .

---

(١) ط : ولى . (٢) أخبار مكة ص ٣٥ (ط جوتنجن) . (٣) ت م : السكونى .
(٤) ت م : كنا نحج محرفة . (٥) أخبار مكة ص ٣٩١ (ط جوتنجن) .
(٦) ت م : لم لا تركب . (٧) أخبار مكة ص ٣٩ (ط جوتنجن) .
(٨) ت م : على وجه الفساد .

حج عيسى صلى الله عليه وسلم بعد نزوله وأصحاب الكهف

روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيُهِلَّن ابنُ مريم بفَجّ الرَّوْحاء حاجًّا أو معتمراً » .

وروى سعيد بن منصور رحمه الله تعالى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تقوم الساعة حتى يمرّ عيسى بن مريم ببطن الرَّوْحاء حاجاً أو معتمراً يلبي : لبيَّك اللهم لبيك .

وروى ابن الجوزى فى « المثير » عن عطاف بن خالد رحمه الله تعالى قال : « يحج عيسى ابن مريم إذا نزل فى سبعين ألفا فيهم أصحاب الكهف فإنهم ماتوا ولم يحجّوا » .

الباب الثالث عشر

فى قصة إهلاك أصحاب الفيل[1]

وذلك عام ولادته صلى الله عليه وسلم على الصحيح الذى عليه أكثر العلماء .

وكان إهلاكهم[2] تشريفاً له صلى الله عليه وسلم ولبلده ، وإلا فأَصحابُ الفيل كانوا نصارى أهل كتاب ، وكان دينهم إذ ذاك أقربَ حالا مما كان عليه أهل مكة ، لأَن أهل مكة كانوا عُبَّاد أوثان ، فنصرهم الله تعالى نصرا لاصُنْع للبشر فيه ، ولسان حال القدَر يقول : لم ننصركم يامعشر قريش على الحبشة لخَيْريتكم عليهم ، ولكن صيانةً للبيت العتيق الذى نشرّفه ونعظّمه ونوقره ببعثة النبى الأُمىّ خاتم الأَنبياء محمد صلى الله عليه وسلم .

قال الله سبحانه وتعالى . بسم الله الرحمن الرحيم « أَلَمْ تَرَ » الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم . أي : ألم تعلم . قدّره على وجودِ علمه بما يَذْكر . وقيل : الاستفهام هنا للتعجب إذ هو أمرٌ منقول نقلَ المُتَواتِر . فكأَنه قيل : قد علمتَ أو تعجَّب[3] « كيف فعل ربُّك » عبَّر بكيف دون ما . لأَن المراد تذكير مافيها من وجوه الدلالة على كمال عِلْم الله تعالى وقُدْرته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فإنها من الإرهاصات لنبوّته ، إذ مجيء تلك الطيور على الوصف المنقول من خوارق العادات والمعجزات المتقدمة بين أيدى[4] الأَنبياء صلى الله وسلم عليهم « بأَصحاب الفيل » محمود . « أَلم يَجْعَلْ » أى يجعل كيدهم فى هدم الكعبة « فى تَضْلِيل » خسَار وهلاك بأَن أحرق البيت الذى بنوه قاصدين أن يرجع حجُّ العرب إليه ، وبأَن أهلكهم لمّا قصدوا هدمَ الكعبة بيت الله تعالى « وأرسلَ عليهم طَيْراً » اسم جمع يجوز تأْنيثه وتذكيره « أَبَابِيل » جماعات قيل لا واحد له وقيل واحده : أَبُول .أو إبّال . أو إبِّيل كعَجُول . ومفتاح ، ومسكين . وعلى تذكير الطير قرىءَ[5] : « ترميهم » بالمثناة التحتية . وقيل الضمير للرب سبحانه « بحجارة »

(١) فى هامش ط : قال الحافظ الدمياطى فى سيرته : «كان بين الفيل وبين مولد النبى صلى الله عليه وسلم خمس وخمسون ليلة ».

(٢) ت م : هلاكهم .

(٣) ت م : علمت و أتعجب ، محرفة .

(٤) ت م : بين يدى .

(٥) ت م : وهى ، محرفة .

فوق العدسة ودون الحمصة ، كما فى أكثر الأخبار ، مكتوب على كل حجر اسم مَرْمِيّه ، يحمل كلٌّ طائر ثلاثةَ أحجار: واحدًا بمنقاره وحجرين برجليه « من سِجّيل » طين مطبوخ « فجعلهم كعَصْف مأكول » كورق زرع أكلته الدواب وراثَتْه فيبس و تفرقت أجزاؤه شبه تفرق أجزائهم بتفرق أجزاء الرَّوْث .

الاشارة الى القصة على وجه الاختصار :

كان ذو نُوَاس آخر ملوك اليمن مشركا ، وهو الذى قَتل أصحابَ الأخدود ، وكانوا نصارى قريبا من عشرين ألفا فنجا منهم دَوْس ذو ثلعبان ، فذهب فاستغاث بقيصر ملك الروم [1] وكان نصرانيا فكتب له إلى النجاشى ملك الحبشة لكونه أقرب إليهم ، فبعث معه أميرين : أرياط وأبرهة بن الصباح أبا يَكْسوم فى جيش كثيف ، فدخلوا اليمن فجاسوا خلالَ الديار واستلبوا المُلْك من حِمْير ، وهلك ذو نُوَاس غريقا فى البحر .

واستقل الحبشةُ بملك اليمن وعليهم هذان الأميران أرْيَاط وأبْرهَة ، فاختلفا فى أمرهما وتصاولا وتقاتلا ، وتصَافّا ، فقال أبرهة لأرياط : إنه لا حاجة بنا إلى اصطلام الجيش بيننا ، ولكن ابرزْ إلىّ وأبرزُ إليك، فأَيُّنا قتلَ الآخرَ استقل بالمُلْك بعده . فأجابه إلى ذلك ، فتبارزَا وخلْف كل واحد منهما فتاه ، فحملَ أرياطُ على أبرهة فضربه بالسيف فشرمَ أنفه وشق وجهه وحمل عَتودة مَوْلَى أبرهة على أرياط فقتله ، ورجع أبرهة جريحا ، فداوى جرحه فبرئ واستقلَّ بمُلْك الحبشة باليمن .

فكتب إليه النجاشى يلومه على ما كان منه ويتوعده وحلف لَيطأَنَّ بلاده وليَجُزَنَّ ناصيته ، فأرسل إليه أبرهة يترفَّق له ويصانعه ، وبعث مع رسوله بهداياوتحف وبجراب فيه من تراب اليمن [2] ، وجزَّ ناصيته وأرسلها معه ويقول فى كتابه : لِيطَأْ المِلك على هذا التراب فيبَرَّ قسَمه ، وهذه ناصيتى قد بعثت بها إليك، وأنا عبدُ الملك .

فلما وصل ذلك إليه أعجبه ورضِى عنه وأقَرَّه .

ثم إن أبرهة رأى الناس يتجهزون أيامَ الموسم للحج إلى بيت [3] الله الحرام فسأل :

---

(١) ت م : ملك الشام . (٢) ت م : وبجراب فيه تراب . (٣) ط : إلى البيت الحرام .

أين يذهب الناس ؟ فقيل له : يحجون إلى بيت الله بمكة. قال : ما هو ؟ قالوا من حجارة ؟ قال : فما كسوته ؟ قالوا : ما يأتى من هاهنا من الوصائل. قال : والمسيح لأبنين لكم خيرا منه

فبنى لهم كنيسة هائلة بصنعاء رفيعة البناء مزخرفة الأرجاء ، فسمتها العرب القُلَيْس [1] لارتفاعها لأن الناظر إليها ، يكاد تسقط قلنسوته عن رأسه لارتفاع بنائها ، ونقل من قصر بلقيس ما تحتاج [2] إليه ، واستذلّ أهلَ اليمن فى بنيان هذه الكنيسة ، وبناها بالرخام المجزّع والأبيض والأحمر والأصفر والأسود ، وحلاّه بالذهب والفضة وفصل بينهما بالجواهر ، وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة ونصب فيها صُلْبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والآبنس ، وكان يوقد فيها بالمندل ويلطخ جُدرها بالمسْك ، وكان حُكمه فى العامل إذا طلعت عليه الشمسُ قبل أن يأخذ فى عمله أن يقطع يده ، فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه أمّه وهى امرأة عجوز فتضرعت إليه تشفع لابنها فأبى [3] إلا أن يقطع يده ، فقالت : اضرب بمِعْولك اليوم لك وغدا لغيرك . فقال : ويحك ما قلت ؟ قالت : نعم ، صار هذا الملْك من غيرك إليك، وكذلك يصير إلى غيرك: فأخذته موعظتُها وأعفَى الناسَ من ذلك..

ثم كتب إلى النجاشى : إنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبْن مثلها لملك قبلك ، ولست بمُنْتهٍ حتى أصْرف حج العرب إليها. فأمر الناسَ فحجوها، فحجه كثير من قبائل العرب سنين ، ومكث فيها رجال يتعبدون ويتألّهون ونسكوا له .

قال ابن إسحق رحمه الله تعالى : فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشى غضب رجل من النَّسَأَة أحد بنى فُقَيْم فخرج إلى القُلَيْس فقعد فيها ، يعنى أَحْدَث ، ثم خرج فلحق بأرضه .

وقال ابن سعد رحمه الله تعالى : وكان نُفَيْل بن حبيب الخَثْعمى يُوَرِّض [4] له ما يكره ، فأمْهَل حتى إذا كان ليلة من الليالى لم ير أحدا يتحرك فقام فجاء بعَذِرة فلطخ بها قِبْلته وجمع جِيَفا فألقاها فيها .

---

(١) ت م : قليس .
(٢) ت م : ما يحتاج .
(٣) ط : وأبى .
(٤) ط : يروض .

وقال مقاتِل رحمه الله تعالى : إن فتية من قريش دخلوها فأطلقوا فيها ناراً وكان يوماً فيه هواء شديد فاحترقت وسقطت . انتهى .

فأُخبر بذلك أبرهة فقال : من صنَع هذا : قيل : صنعه رجالٌ من أهل هذا البيت الذى يحجه العرب ، يعنى أنها ليست لذلك بأهل .

فغضب غضباً شديدا وحلَف لَيسيرنَّ حتى يهدم الكعبة وينقضها حجراً حجراً ، وكتب إلى النجاشى يخبره بذلك ويسأله أين يبعث إليه بفيله ، وكان له فيل يقال له محمود ، وكان فيلا عظيما لم يُرَ مثله فى الأرض عِظَما وقوة ، فبعث به إليه ، فأمر الحبشة فتجهَّزت فى ستين ألفا ثم سار نحو أرض مكة .

فلما سمعت العرب ذلك أعْظموه وفَظِعوا به ورَأوا جهاده حقًّا عليهم حين سمعوا أنه يريد هَدْم الكعبة .

فخرج له رجل من أشراف اليمن يقال له ذو نَفْر ، فدعا قومَه ومن أطاعه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله تعالى وما يريده من هدمه وخرابه ، فأجابه من أجابه إلى ذلك ، ثم عرَض له فقاتله ، فهزِم ذو نَفْر وأصحابه[1] وأُخذ له[2] ذو نفر فأُتى به إليه أسيرا ، فلما أراد قتله قال له ذو نفر : أيها الملِك لا تقتلنى فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيرا لك من القتل . فتركه وحبسه عنده فى وثَاق.

ثم سار أبرهةُ يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خَثْعم عرض له نُفَيْل بن حبيب الخَثْعمى فى قومه ومن أطاعه من قبائل العرب فقاتله ، فهزمه أبرهة وأُخذ له نُفَيْل أسيرا فأُتى به ، فلما همَّ بقتله قال له نفيل : أيها الملك لا تقتلنى فإنى دليلك بأرض[3] العرب . فخلَّ سبيله .

وخرج أبرهة يريد مكة ، حتى مرّ بالطائف فخرج إليه مسعود بن مُعتِّب فى رجال من ثَقِيف فقالوا : أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ، وليس لك عندنا خلاف وليس بَيْتُنا البيت[4] الذى تريد ، يعنون اللات ، وهو بيت الطائف كانوا

---

(١) ص ت م : فهزمه أبرهة . وما أثبته من ط .　(٢) ص ت م : وأخذ ذا نفر فقال له .

(٣) ت م : لأرض العرب .

(٤) ابن هشام : وليس بيتنا هو البيت ، وفى ت م : وليس بيتنا إلا الذى تريد ، محرفة .

يعظِّمونه نحو تعظيم الكعبة ، إنما تريد البيت الذى بمكة ، ونحن نبعث معكْ من يدلك عليه . فتجاوزَ عنهم فبعثوا معه أبا رِغَال يدلّه على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهةُ ومعه أَبو رِغَال حتى أنزله بالمُغَمِّس ، فلما أنزله به مات أبو رغال فرجمت العربُ قبره ، فهو القبر الذى يرجم الناس بالمغمِّس .

فلما نزل أَبرهة بالمغمِّس بعث رجلا من الحبشة يقال له الأَسود بن مقصود على خَيْل له حتى انتهى إلى مكة فساق أموالَ تِهَامة من قريش وغيرها ، وأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها فهمت قريش وكنانة وهُذَيْل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم بحَرْبه .

وبعث أَبرهةُ حُنَاطةَ الحِمْيرى إلى مكة وقال له : سَلْ عن سيد أَهل البلد وشريفهم ، ثم قل له : إن الملِك يقول : إنى لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تَعْرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم ، فإن هو لم[1] يُردْ حَرْبى فأتنى به .

فلما دخل حنَاطة مكة سأَل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل : عبد المطلب بن هاشم . فجاءه فقال له ما أَمره به أبرهة ، فقال عبد المطلب : والله ما نريد حَرْبه وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيتُ الله الحرامِ وبيتُ خليله إبراهيم — صلى الله عليه وسلم — فإن يَمْنعه فهو بيته وحَرَمه وإن يخلِّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دَفْع عنه . قال حُنَاطة : فانطلقْ إليه فإنه قد أَمرنى أن آتيه بك . فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأَل عن ذى نَفْر وكان صديقا له ، فدخل عليه وهو فى مجلسه فقال له : يا ذا نفر هل عندك غنَاء من شىء مما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر : ما[2] غناء رجل أَسير بيد ملِك ينتظر قتله غدوًا وعشيًا ، والله ما عندى غناء من شىء مما نزل بكم إلا أن أُنَيْسًا سائس الفيل صديق لى فأرسلُ إليه فأُوصيه بك وأعظِّم عليه حقَّك[3] وأساله أن يستأذن لك على الملك فتكلِّمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير إن قدر عليه . فقال : حسبى .

فبعث ذو نَفْر إلىأُنَيْس فجاء فقال : هذا عبد المطلب سيد قريش وصاحب عَيْن مكة ،

---

(١) ص ت م : فإن هو لا لم يرد ، محرفة ، والتصويب من ط .

(٢) ت م : ومن . (٣) ت م : حبك .

يطعم الناسَ بالسَّهْل والوحوشَ فى رءوس الجبال ، قد أصاب الملكُ له مائتى بعير ، فاستأْذِن له عليه وانفعه عنده بما استطعتَ . قال : أفعل .

فكلَّم أُنَيْس أبرهة فقال : أيها الملِك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عَيْن مكة ، يُطْعِم الناسَ بالسهلِ والوحوش فى رءوس الجبال فائذن له عليك فليكلمك فى حاجته . فأَذِن له أبرهة .

وكان عبد المطَّلب أوسمَ الناس وأجْملهم وأعظَمهم ، فلما رآه أبرهة أجلَّه وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سريره ، فجلس على بُساطه وأجلس عبدَ المطلب معه إلى جنبه .

وفى « الدرّ المنظَّم » أن عبد المطلب لما دخل على أبرهة سجد له فيلٌ من الفيلة ، وكان لا يسجد لأبرهة كغيره من الفيلة ، فتعجب أبرهةُ من ذلك ودعا بالسحرة والكهان فسألهم عن ذلك فقالوا : إنه لم يسجد له وإنما سجد للنور الذى بين عينيه . انتهى .

ثم قال[1] لترجمانه : قل له ما حاجتك ؟ ففعل الترجمان ، فقال : حاجتى أن يردّ علىّ الملكُ مائتى بَعير أصابَها لى . فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كنتَ أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدتُ فيك حين كلَّمتنى فى مائتى بعير أصبتها لك وتترك بيتًا هو دِينك ودين آبائك جئتُ لهدمه لا تكلِّمنى فيه ؟!

قال عبد المطلب : أنا ربُّ الإبل وإن للبيت ربًّا سيمنعه . قال : ما كان ليمتنع منّى . قال : أنت وذاك .

قال ابن السائب ومقاتِل رحمهما الله تعالى : ثم إنّ عبد المطلب عرَض على أبرهة أموال تهامة ويرجع عن خراب البيت ، فأَبى . وردّ أبرهةُ على عبد المطلب الإبل التى[2] أصاب فقلَّدها وأشعرها وجلَّلها وجعلها هَدْيًا للبيت وبثَّها فى الحرم ، فعمد القوم إليها فحملوا عليها وعقروا بعضَها ، فدعا عليهم عبد المطلب .

قال مقاتل : فقال عبد المطلب :

لا هُمَّ أخزِ الأسودَ بن مَقْصود ... الآخذ الهَجْمة بعد[3] التَّقليد

---

(١) ط : وقال .

(٢) ت م : الذى .

(٣) ابن هشام : فيها التقليد .

فتلّها[1] إلى طَمَاطِمٍ سُـــودْ   بين ثَبير وحِـــرًا والبيــدْ

والمرْوَتين والمسَاعِى السُّنـــود   يُهَدِّم البيتَ الحــرام المقصودْ

قد أجْمعوا أن لا يكون لك عِيد   أخْفِرْهمُ ربِّى وأنت المحمـــودْ

وذكر ابن إسحاق – رحمه الله تعالى – نحوها لعكرمة بن عامر وهو من مُسْلمة الفتح فالله تعالى أعلم .

ثم انصرف عبدُ المطلب إلى قريش فأَخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرّز فى شعف الجبال والشِّعاب خوفا عليهم من مَعَرَّة الجيش .

ثم قام عبد المطلب فأَخذ بحَلْقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله تعالى ويستنصرونه على أَبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب :

لا هُمَّ إن المرء[2] يَمْـــ   ـنَعُ رَحْله فامنع حِلالكْ

لا يَغْلـــبن صَـلِيبهم   ومِحالهم غَـــدْوًا مِحَـالَكْ

انصُـــرْ على آلِ الصَّلِيـ   ـب وعابِديه اليوم آلَكْ

إنْ كنت تاركهم وكَعْـ   ـبتنا[3] فأمرٌ ما بدالَكْ

وعند البيهقى رحمه الله تعالى أن عبد المطلب قام يدعو على الحبشة فقال :

يا ربِّ لا أرجو لهم سِوَاكا   يا ربِّ فامنع منهمُ حِمَاكا

امنَعْهم أن يُخْربوا قُرَاكا   إنّ عدوَّ البيت من عادَاكا

قال ابن إسحاق – رحمه الله تعالى – : ثم إن عبد المطلب انطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال فتحرّزوا فيها ينظرون ما أَبرهة فاعلٌ بمكة إذا دخلها .

وذكر مقاتل – رحمه الله تعالى – أن عبد المطلب لم يخرج معهم بل أقام بمكة وقال : لا أَبْرح حتى يقضى الله تعالى قضاءه . ثم صعد هو وابن مسعود الثقفى على مكان عال لينظر ما يفعله أبرهة .

فلما أصبح أبرهة تهيأَ لدخول مكة وهيأَ فيله وعبّأَ جيشه .

قال ابن جرير – رحمه الله تعالى : ويقال كان معه ثلاثة عشر فيلا هلكت كلها .

---

(١) ابن هشام : فضمها .   (٢) ابن هشام : إن العبد .

(٣) رواية الواقدى وابن هشام : وقبلتنا .

ونقل الماورديّ عن الأكثرين أنه لم يكن معهم إلا فيل واحد اسمه محمود[1]. وعن الضحاك كان معه ثمانية أفيلة .

وأبرهة مُجْمع لهَدْم البيت . زاد مقاتل : وجعل الفيل مُقَابل[2] الكعبة ليعظِّم ويعبد كتعظيم الكعبة. وقال غيره : بل ليجعل السلاسل فى أركان الكعبة وتوضع فى عنق الفيل ثم يُزْجر ليُلْقِى الحائطَ جملةً واحدة .

فلما وجَّهوا الفيل نحو الكعبة أقبل نُفَيْل بن حَبِيب[3] فأخذ بأُذنه وقال : يامحمود أنت بحرَم الله . ثم خرج نُفَيْل يشتدّ حتى أصْعَد فى الجبل فبرَك الفيل فضربوه بالطَّبَرْزين ليقوم فأَبى فأَدخلوا مَحَاجِنَ لهم فى مراقِّه فبزَغوه بها ليقوم فأَبى ، فوجَّهوه جهة اليمن فقام يُهَرْول ، ووجَّهوه نحو الشام ففعل مثلَ ذلك ، ووجهوه نحو المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى جهة مكة فبرك وألقى جِرَانه إلى الأَرض وجعل يعجُّ عَجّا .

وفى رواية يونس بن بُكَيْر عن ابن إسحاق أَن الفيل لما ربَض جعلوا يُقْسمون له بالله أَنهم رادُّوه إلى اليمن فيحرك لهم أُذنيه ـ كأَنه يأخذ عليهم بذلك عهدا ـ فإذا أَقسموا عليه[4] قام يهرول فيردّوه إلى مكة فيربض ، فيحلفون له فيحرك أُذنيه كالمؤكد عليهم القسم ، ففعلوا ذلك مرارا .

وفى معانى القرآن للزّجاج أَن دوابَّهم لم تَسِر نحو البيت ، فإذا عطَفوها راجعين سارت ، فوعظهم الله تعالى بأَبلغ موعظة .

فأَقاموا على قَصْد أَن يخربوا البيت فلم يزالوا يعالجون الفيل حتى غَشِيهم الليل .

وفى رواية يونس عن ابن إسحاق أَنهم استشعروا العذاب فى تلك الليلة ، لأَنهم نظروا إلى النجوم كالحةً إليهم تكاد تكلمهم من اقترابها منهم ، فلما كان السَّحَر أرسل الله الطير الأَبابيل من البحر أَمثال الخَطَاطيف مع كل طير منها[5] ثلاثة أَحجار يحملها ، حجرٌ فى منقاره وحجران فى رجليه أَمثال العدس والحمص ، ثم جاءت حتى صفَّت على رءوسهم ،

---

(1) الذى فى أعلام النبوة للماوردى ص ١٣٤ : فساروا بالجيش مع الفيل ، وليس فيه ذكر لاسمه .

(2) ص ت م : مكان الكعبة .

(3) وقيل هو نفيل بن عبد الله بن جزء بن عامر ، كما فى الروض الأنف ٤٥/١ .

(4) ت م : فإذا أقسموا له .

(5) ط : منهم .

فلما رأوها أشفقوا منها وسُقِط فى أيديهم ، فصاحت وألقت ما فى أرجلها ومناقيرها ، فما من حجرَ وقع على جنب رجل إلا خرج من الجنب الآخر ، وإن وقع على رأسه خرج من دبُره ولا تصيب شيئاً إلا هشمتْه وإلا سقط ذلك الموضع . فكان[1] أول مارُئى الجُدرى والحَصْبة ، وبعث الله تعالى ريحا شديدة فضربت بأرجلها فزادتها قوة .

وروى أبو نُعَيْم عن عطاء بن يَسار رحمه الله تعالى قال : حدثنى من كلَّم قائد الفيل وسائسه قال : إنهما أخبرانى خبر الفيل قالا : أقبلنا معنا فيل الملِك الأكبر لم يسرْ به قط إلى جَمْع إلاَّ هزمهم ، فلما دنونا من الحَرَم جعلنا كلما نوجهه إلى الحرم يَرْبض ، فتارة نضربه فيهبط وتارة نضربه حتى نملّ ثم نتركه . فلما بلغ المُغَمِّس ربض فلم يقم فطلع العذاب ، فقلت : نجا غيركما[2] ؟ قالا : نعم ليس كلهم أصابهم العذاب[3] .

وولّى أبرهة ومن تبعه يريد بلاده ، فكلما دخل أرضاً وقع منه عضو حتى انتهى إلى بلاد خثعم وليس عليه غير رأسه فمات . وأفلت وزيره وطائره يتبعه حتى وصل إلى النجاشى فأخبره بما جرى للقوم ، فلما فرغ رماه الطير بحجره فمات بين يدى الملك[4] .

وروى سعيد بن منصور عن عِكْرمة رحمه الله تعالى أن رءُوس هذه الطيور مثل رءُوس السِّباع لم تُرَ قبل ذلك ولابعده ، فأثرت فى جلودهم فإنه لأوّل[5] مارئى الجدرى .

وروى أيضا عن عُبَيْد بن عُمَيْر[6] رحمه الله تعالى أنها كالخطاطيف بُلْق .

وروى عَبْد بن حُمَيْد وابن المنذِر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : دعا الله تعالى الطيرَ الأبَابيل فأعطاها حجارة سوداً عليها الطين ، فلما حاذتهم صفّت عليهم ثم رمتهم[7] ، فما بقى منهم أحد إلا أخذته الحِكَّة فكان لايحك إنسان منهم جِلْده إلا تساقط لحمه .

وروى الفِرْيابىّ وعبد بن حميد وابن أبى حاتم عن عُبَيْد بن عمير رحمه الله تعالى أنها خرجت من قِبَلَ البحر كأنها رجال الهند معها حجارة أمثال الإبل البوارك ، وأصغرها

---

(١) ت م : وكان . (٢) ت م : غيرهما .

(٣) ليس فى دلائل النبوة لأبى نعيم المطبوع ، انظر فصل ذكر ما جرى على أصحاب الفيل ص ١٠٠ .

(٤) خبر أبرهة فى سيرة ابن هشام ٤٥/١ ، والاكتفا ١٢٨/١ . وسيرة ابن كثير ٢٨/١ .

(٥) ط : فلأول . (٦) ت م : عن عبيد الله بن عمير .

(٧) ت م : ورمتهم .

مثل رءوس الرجال ، لاتريد أحدا منهم إلا أصابته ولا أصابته إلا قتلته . والأبابيل : المتتابعة .

وروى أبو نُعَيْم عن نوفل بن معاوية الدِّيلى رضى الله تعالى عنه قال : رأيت الحصى التى رُمى بها أصحاب الفيل ، حصى مثل الحمص وأكبر من العدس حُمْر مختمة كأنها جَزْع ظَفَار[1] .

وروى أيضا عن حكيم بن حزام رضى الله تعالى عنه قال: كانت فى المقدار بين الحمصة والعدسة حصى به نضح أحمر مُخَتَّم كالجَزْع .

وروى ابن إسحاق والواقدى وأبو نُعَيْم والبيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : لقد رأيت قائدَ الفيل وسائسه أعميَيْن مُقْعَدين يستطعمان الناسَ [2] .

وروى أبو نعيم وابن مردويه عن أبى صالح رحمه الله تعالى أنه رأى عند أم هانىء بنت أبى لهب من تلك الحجارة نحواً من قَفِيز مخطَّطة كأنها جَزْع ظَفَار مكتوب فى الحجر اسمه واسم أبيه .

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى : وليس كلهم أصيب . فخرجوا[3] هاربين يبتدرون الطريقَ الذى جاءوا منه يسألون عن نُفَيْل بن حبيب ليدلَّهم على الطريق ، فقال نُفَيل ابن حبيب فى ذلك :

أين المفَـــرُّ والإلــهُ الغالِبُ والأشْرمُ المغلوب ليس الغالبُ

وخرجوا يتساقطون بكل طريق ويَهْلكون على[4] كل مَنْهل .

وأُصيب أبرهة فى جسده وخرجوا به معهم يَسْقط[5] منه أنملة أنملة ، كلما سقطت أنملة أتبعتها مِدّة ودم وقيح حتى قَدِموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع قلبه .

ولما أصبح عبدُ المطلب أشرف ومعه أبو مسعود يقوده. فقال له أبو مسعود : انظر نحو البحر . قال : أرى طيرا بيضا . فقال : ارمقها ببصرك أين قَرارها ؟ قال : قد دارت

---

(١) ت م : أظفار .
(٢) ابن هشام ١/٥٧ .
(٣) ت م : وخرجوا .
(٤) كذا فى ط موافقاً لابن هشام ، وفى سائر النسخ : بكل منهل .
(٥) ت م : فسقط .

فوق رءوسنا . قال : هل تعرفها ؟ قال : لا .قال : ما هى بنَجْدية ولاتِهَامية ولا يَمَانية ولا شامِيّة وإنها لَطير بأرضنا غير مُؤْنسة . قال : ما قَدْرها ؟ قال : أمثال اليَعَاسيب فى مَنَاقيرها الحصى كحصى الخَذْف وهى أبَابيل يَتْبع بعضها بعضا ، أمام كل رفّة منها طائر يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العُنق ، حتى إذا جازت عسكرَ القوم ركدت فوق رءوسهم . فقال أبو مسعود : لأمرٍ ما هو كائن .

ثم إن عبد المطلب أرسل ابناً له على فرس له سريع لينظر ماجرى للقوم فذهب الفرسُ نحوهم[1] فرآهم مشدّخين جميعا فرجع يرفع فرسه[2] كاشفاً عن فخذه فلما رأى ذلك عبدُ المطلب قال : إنَّ ابنى لأفرس العرب وما كشف عنعورته إلا بَشِيرا أو نذيرا . فلما دنا منهما قالا له : ماوراءك ؟ قال : هلكوا جميعا . فانحطَّا من الجبل ربوة أو ربوتين فلم يُؤْنسا أحدا ، فلما دنَيا من العسكر وجَدا القومَ خامدين ، فعمد عبد المطلب وأخذ فأساً وحفر حتى أعمق فى الأرض وملأ من الذهب والجوهر وحفر أيضا لصاحبه حَفِيرة وملأها كذلك ،وجلس كل واحد على حفرته ، ونادى عبد المطلب فى الناس فتراجعوا وأصابوا من ذلك ما ضاقوا به ذرعا .

وازداد عبد المطلب عِظَما لعدم خروجه من مكة .

وأرسل الله سبحانه وتعالى سَيْلا عظيما فاحتمل جثث الحبشة فألقاهم فى البحر .

* * *

ولما أهلك الله تعالى الحبشة عظَّمت العربُ قريشا وقالوا : أهلُ الله تعالى ، قاتَل عنهم وكفاهم مُؤْنَة عدوِّهم وقالوا فى ذلك أشعارا كثيرة ، منها قول عبد المطلب كما ذكره البلاذرى ورجح الزبير أنها لمغيرة :

قلت والأشرم يَرْدِى خَيْلــــه	إنَّ ذا الأشرم غِــرٌّ بالحــرَمْ
رامَــــه تُبَّع فيمن جمَّعت	حِمْيَر والحيُّ من آل قــدمْ
فانثنى عنــه وفى أوْداجــــه	جارض أمسك منـــه بالـكظَمْ
نحن آلُ الله فى بلـدتــــه	لم نَزلْ فيها على عهـد إبْرَهَمْ

أشار عبد المطلب إلى قصة تُبَّع ، وخلاصتها ـ كما ذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى

(١) ت م : فدهم نحوهم .
(٢) ت م : يرفع رأسه .

وغيره : أن تُبَّعا لما توجه راجعا لبلاده أتاه نفر من هُذَيل بن مدركة بن الياس بن مضر فقالوا له : أيها الملك ألاَ ندلك على بيت مال داثر أغفلته الملوكُ قبلك ، فيه اللولؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى . قالوا : بيتٌ بمكة [1] . وإنما أراد الهُذَليون هلاكه بذلك ، لِمَا عرفوا من هلاك من أراده بسوء وبغى عنده . فراح تُبَّع وهو مُجْمع لهدم البيت فبعث الله تعالى عليهم ريحاً فعقفت يديه ورجليه وشنجت جسده ، فأرسل إلى من كان معه من يهود فقال : ويحكم ما هذا الذى أصابنى . فقالوا : أَحْدَثْت شيئاً . فقال : ما أحدثت ؟ فقالوا : حدّثْتَ نفسك بشيء . قال : نعم . فذكر ما أجمع عليه من هدم البيت وإصابة ما فيه . قالوا : ذاك بيت الله الحرام ومن أراده هلك . قال : ويحكم وما المخرج مما دخلتُ فيه ؟ قالوا : تحدِّث نفسك أن تطوف به وتكسوه وتعظمه . فحدَّث نفسه بذلك فأطلقه الله تعالى ، فسار حتى دخل مكة فطافه وسعى بين الصفا والمروة وحلق رأسه ، وأقام بمكة ستة أيام ينحر فيها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل . وأرى فى المنام أن يكسوه فكساه الخصف ، ثم أُرِى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المَعَافِر ، ثم أُرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المُلَاء والوصَائل . وذكر القصة .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : أكثر الآثار على أن الحجارة كانت أكبر من العدسة ودون الحمصة ، وفى بعضها أنها كانت أكبر من ذلك ، فكأنها والله تعالى أعلم كان فيها الكبير والصغير ، فحدَّث كلٌّ راءٍ [2] بما رأى أو سمع .

الثانى : إن قيل : قد وقع فى زمن يزيد بن معاوية لما أرسل الحُصيْن بن نمير السَّكُونىّ فنصب المنجنيق على أبى قُبَيْس وغيره من جبال الكعبة ورمى الكعبة وكسر الحجرَ الأسود واحترقت الكعبة حتى انهدم جدارها وسقط سقفها ، إلى غير ذلك .

فالجواب : إنما لم يمنعوا لأن الدعوة قد تمت والكلمة قد بلغَت والحُجّة قد ثبتت فأُخّر [3]

(١) ت م : بيت مكة .
(٢) ط : كل راو بما سمع .
(٣) ت م : وأخر .

الله تعالى أمرهم إلى الدار الآخرة ، وقد أخبر- صلى الله عليه وسلم- بوقوع الفتن وأن الكعبة ستهدم[1] .

الثالث : فى شرح غريب ماتقدم : أَبْرَهة بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الهاء . يَكْسُوم بمثناة تحتية وسين مهملة . الوصَائل : ثياب حُمْر مخططة يمانية . القُلَّيْس بقاف مضمومة ولام مشددة مفتوحة بعدها مثناة تحتية ساكنة فسين مهملة على وزن جُمَّيْز[2] ذكره الفارَابِىّ فى ديوانه . ووجد بخط القسطلى : بضم القاف وفتح اللام المخففة ، وفى موضع آخر بفتح القاف وكسر اللام ، سمى بذلك لارتفاعه وعلوّ بنائه ، ومنه القَلاَنس لأنها فى أعلى الرأس ، ويقال : تَقَلْنَس الرجل ، وتقلَّس إذا لبس القلنسوة .

وجَشَّمهم بجيم فشين معجمة : كلفهم مالا يطيقون : الرخام المجذَّع : هو الذى حُكَّ بعضه على بعض حتى ابيض الموضع المحكوك منه وبقى الباقى على لونه تشبيها بالجَذْع وهو بفتح الجيم وسكون الزاى : العاج الذَّبْل بذال معجمة وزان فَلْس ، وقيل هو شىء يتخذ[3] من ظهر السلحفاة البحرية ، والعاج أيضا : عظم الفيل ، الأَبُنس بحذف الواو لغة فى الأَبنوس بضم الباء : خشب معروف يجلب من الهند ، وهو معرب واسمه بالعربية : بَأْسَم بالهمز وزن جعفر .

المِعْوَل بالكسر : الفأس الذى يكسر به[4] الحجارة . يتألَّهون : يتعبدون . نَسكُوا له : تقربوا[5] بالذبائح له . النَّسَأة بالهمز ، جمع ناسىء مثل فاسق وفسقة : والنسىء مصدر نسأَه إذا أخره . كانوا يؤخرون حُرْمة شهر إلى آخر ، قال الله تعالى : « إنما النسىءُ زِيَادةٌ فى الكُفْر[6] » .

فُقَيْم بفاء مضمومة فقاف مفتوحة فمثناة تحتية : حىّ من كِنَانة والنسبة إليه فقَمِى ،

---

(١) أخرج البخارى فى الصحيح عن أبى هريرة : يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ، انظر عمدة القارى ٩/٢٣٢ ، وقال الماوردى فى أعلام النبوة ١٣٦ بعد أن ذكر الاعتراض : لم لم يمنع الحجاج من هدم الكعبة وقد صارت قبلة ومنسكا : « فعل الحجاج كان بعد استقرار الدين فاستغنى عن آيات تأسيسه ، وأصحاب الفيل كانوا قبل ظهور النبوة ، فجعل المنع منها آية لتأسيس النبوة ومجىء الرسالة ، على أن الرسول قد أنذر بهدمها فصار الهدم آية بعد أن كان المنع آية ، فلذلك اختلف حكمها فى الحالين » .

(٢) ط : على وزن الجميز .

(٣) ت م : ينحل .

(٤) ط : بها .

(٥) ت م : زاوا ، محرفة .

(٦) سورة التوبة ٣٧ .

وهم نَسَأَة الشهور . الخَثْعمى بخاء معجمة مفتوحة فثاء مثلثة ساكنة فعين مهملة ، نسبة إلى خثعم بن أنمار . يُوَرِّضُ له : أى ينوى له ما يكره : فَظِعوا بفاء فظاء معجمة يقال : فظع بالأمر فظاعة فهو فظيع أى شديد شنيع جاوز المقدار .

ذو : نَفْر بالنون والفاء والراء . أبو رِغَال بكسر الراء وتخفيف الغين، سمى باسم الجد الأعلى لثقيف . المُغَمِّس بضم الميم وفتح الغين المعجمة بعدها ميم مشددة مكسورة فسين مهملة : موضع فى طرف الحرم ، ذكره البَكْرى ثم أورد شعراً لابن أبى ربيعة فى ذكر المغمِّس وقال هكذا رواه أبو على بفتح الميم ورواه أبو على عن أبى بكر بن دُرَيْد فى شعر المؤرِّق الهُذَلى بالكسر .

ابن مَقْصود بقاء: قصاد مهملة . تِهَامة : بكسر التاء : كل ما انخفض من أرض نجد ، سميت بذلك لتغير هوائها من قولهم : تَهِم الدهن إذا تغيرت رائحته . هُذَيْل بضم الهاء وفتح الذال المعجمة بعدها مثناة تحتية فلام .

حُنَاطة : بحاء مهملة مضمومة ونون وطاء مهملة . أُنَيْس بضم الهمزة وفتح النون وسكون المثناة التحتية . سائس الفيل : أى خادمه .

أَوْسَم الناس : أجملهم ، من الوسامة وهى الجمَال . وأجمله : قال السهيلى : هذا الكلام حكاه سيبويه عن العرب ، ووجهه عندهم أنه محمول على المعنى ، كأنك قلت : أحسن رجل وأجمله ، فأفردَ الاسم المضمَر[1] التفاتا إلى هذا المعنى ، وهو عندى محمول على الجنس كأنه حين ذكر الناس قال : هو أَجْمل هذا الجنس ، وإنما عدَلْنا عن ذلك التقدير الأول لأن فى الحديث الصحيح : « خيرُ نساءٍ رَكِبْن الإبلَ صَوَالح قُريش أَحْنَاه على ولد فى صِغره وأَرْعاه على زوجٍ فى ذات يد[2] » ولا يستقيم هاهنا حَمْله على الإفراد ، لأن المفرد ها هنا امرأة، فلو نظر إلى واحد النساء لقال أحناها على ولد، فإذن التقدير : أَحْنَى هذا الجنس الذى هو النساء أو هذا الصنف . ونحو هذا .

لترجمانه : بفتح التاء وضمِّها بعضهم، وهو من يفسر لغةً بلغة .

---

(١) ت م : فأراد الاسم الضم ، محرفة .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب النكاح وكتاب النفقات ، وأحمد فى مسنده ٢/٢٦٩ ، ٤/١٠١ .

قلَّدها: علَّق فى أعناقها قطعة من جلد لِيُعْلَم أنها هَدْى فيكفَّ الناسُ عنها . أشعرها : حزَّز أسمنتها حتى يسيل الدم فيعلم أنها هَدْى . بثَّها : فرَّقها .

لاهُمَّ : أصله اللهم ، والعرب تحذف الأَلف واللام وتكتفى بما بقى ، وكذلك تقول لاه أبوك تريد : لله أبوك، وهذا لكثرة دَوْر هذا الاسم على الأَلسنة .

الهَجْمة بفتح الهاء وسكون الجيم. قال السُّهيلى : وهى مابين التسعين إلى المائة من الإبل ، والمائة منها هُنَيْدة والمائتان هند . وقال بعضهم والثلاثمائة أمامة . وقال الخُشَنى : هى القطعة من الإبل. وقال بعضهم : هى ما بين الخمسين إلى الستين .

وفيها التقليد : أى فى أعناقها قلائد .

حراء بكسر الحاء المهملة : يُمَّد ، ويُقْصر ، ويذكَّر فيُصْرَف ، ويؤنث فيمنع .

ثَبِير : بثاء مثلثة فباء موحدة مكسورة فمثناة تحتية . وهما جبلان بمكة .

البِيد : بباء موحدة فمثناة تحتية جمع بيداء وهى القَفْر .

الطَّماطِم : العُلوج يقال لكل أعجمى : طِمْطِم بكسر الطاءين . وطُمْطُمانى بضمهما .

أَخْفِرْهم : بالخاء المعجمة والفاء، أى انْقُضْ عَزْمهم وعهدهم ولا تُؤَمِّنهمْ، يقال : أَخْفَرت الرجلَ إذا نقضت عهده . وخفَرْتُه إذا أَجَرْتُه ، فينبغى أَن لا يضبط هذا إلا بقطع الهمزة وفتحها لئلا يصير الدعاء عليه دعاء له . ويروى[1] احْفز بالحاء المهملة أى اجعله متحفزا يريد خائفا وَجلا .

شَعَف الجبال بشين معجمة فعين مهملة مفتوحة : رءوسها . الواحدة شَعَفة. الشِّعاب : جمع شِعْب بالكسر : الطريق فى الجبل .

معَرَّة : الجيش شدته. الرَّحْل بفتح الراء وسكون الحاء المهملة : مأوى الشخص فى الحضَر ثم أُطلق على أَمتعة[2] المسافر لأَنها هناك مأواه .

حِلالك : قال : الخُشَنى: بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهى جماعة البيوت . وقال السُّهيلى : الحِلَال فى هذا البيت: القوم الحُلول فى المكان . والحلَال مَرْكَب من مراكب النساء : والحلال أَيضا : متاع البيت . وجائز أَن يستعيره هنا .

(١) ت م : وروى .   (٢) ت م : على متعة .

المِحَال : بكسر الميم: القوة والشدة .

غَدْوا : بالغين المعجمة قال فى النهاية : أَصل الغَدْو : هو اليوم الذى يأتى بعد يومك فحذفت لامه ولم يستعمل[1] تاما إلا فى الشعر . ومنه قول ذى الرُّمة :

وما الناسُ إلا بالديارِ وأهلُها ... بها يوم حَلُّوها وغَدْوًا بَلَاقِعُ[2]

قال : ولم يُرِدْ عبد المطلب الغدَ بعينه ، وإنما أرادتقريب الزمان .

فأَمرٌ ما بدَالك : ما زائدة مؤكدة أو موصولة أى الذى بدَالك من المصلحة فى تركهم قاله الطيبى رحمه الله تعالى .

عبَّى جيشه : يقال : عبَّيْت الجيشَ بغير همز، وعبأت المتاع : بالهمز . وحكى : عبَّأْت الجيشَ بالهمز . وهو قليل . قاله السهيلى قال فى الزَّهْر : وفيه نظر ، لأَن ثعلبا حكى فى باب ما يهمز من الفعل فى فصيحه عن أبى زيد وابن الأَعرابى: هما مهموزان يعنى الجيش والمتاع سوَّى بينهما . قال ابن فارس : وهو الاختيار. وبسَط فى الزَّهْر الكلام على أنهما سواء .

محمود : قال الخُشَنى يقال : إن هذا الاسم كان علَما لهذا الفيل خاصة . وقيل : بل هو علم للجنس كله ، كما يقال للأَسد أسامة .

أَصْعَد فى الجبل : علا .

الطَّبَرْزِين : بفتح الطاء المهملة وقيَّد أَبو بَحْر الباء بالسُّكون ، والبَكْرى بالفتح : آلة مُعوَّجة من حديد .

مَحَاجن : جمع مِحْجَن ، وهى عصا معوجة وقد يجعل فى طرفها حديد .

مَرَاقِّه : أسفل بطنه . بزَّغُوه : بفتح الباء الموحدة والزاى المشددة بعدها غين معجمة أى شرَطوه بالحديد الذى فى تلك المحاجن .

يُهَرْوِل : يسرع .

---

(١) ت م : ولم يستعملها .

(٢) لم أجده فى ديوانه المطبوع فى أوروبا ، ولعله سقط من قصيدته التى مطلعها :

أمنزلتى مى سـلام عليكما ... هل الأزمن اللائى مضين رواجع

الديوان ص ٣٣٢ .

بَرك : ورد برُوك الفيل فى عدة آثار . وقول السُّهيلى : إنه لا يَبْرك ليس بشىء وقد شوهد فى زماننا . قيل : عصى على سائِسه وبرك .

جِرَانه – بكسر الجيم – مقدَّم عنقه من مَذْبَحه إلى منحره . والجمع جُرُن . وأَجْرنة ، مثل حِمَار وحُمُر وأَحْمِرة .

يعجّ : يرفع صوته .

الحِمَّص : بكسر الحاء المهملة وتفتح .

الجُدَرى بفتح الجيم وضمها وأما الدال المهملة فمفتوحة فيهما : قُروح تَنفَّط[1] عن الجلد ممتلئة ماءً ثم تتقيَّح[2] وصاحبها جَدِير ومُجَدَّر[3] .

الحَصِبة وزان كَلِمة وإسكان الصاد لغة : بَثْر يخرج بالجسد ويقال : هى الجدرى .

ظَفَار بوزن قَطَام : اسم لمدينة بحِمْير باليمن وهو الصواب . قاله فى التقريب . نَضْج أحمر : أى رش أحمر . مختمة ببياض... [4] .

تسقط أنملة أنملة : أى ينتثر جسمه ، والأنملة طرف الإصبع ، ولكن قد يعبَّر بها عن طرف غير الإصبع[5] والجزء الصغير . مِدّة بكسر الميم وفتح الدال المهملة المشدودة . وهى القَيْح وهى الغَثِيثة الغليظة ، وأما الرقيقة فهى صديد .

انصدع قلبُه : انشقَّ . فاضت نفسه : خرجت . ازْمقها : اتْبعها بصَرك . نَجْدية : نسبة إلى نجد ، وهو ما ارتفع من أرض تِهامة إلى أَرض العراق . تِهَامية : نسبة إلى تِهَامة وتقدمت .غير مُؤْنسة : أى لم تُعهد بهذه البلاد . اليَعَاسيب : جمع يعسوب وهو ضرب من الحجلان .

الخَذْف – بفتح الخاء وسكون الذال المعجمتين – : الرمى بالحصى . رَفَّة : براء مفتوحة ففاء : جماعة . ركدت على رءوسهم : وقفت . رَتْوة . الرَّتْوة بمثناة فوقية وزان رَكْوة : الخطوة . لم يُؤْنسا : لم يُبْصِرا

---

(١) ت م : تسقط ، محرقة ، وتنفط : تتقرح .

(٢) فى ط : ثم تنتفخ ، وفى ص ت م : ثم تنفتح ، وما أثبته من القاموس .

(٣) ط : جدير مجدر . (٤) بياض فى ط

(٥) ص ت م : غير الأصابع .

ضاقوا به ذرعا : ضيق الذراع والذَّرْع : قصرها ، كما أَن[1] معنى سعتها وبسطها طولُها ، ووجه التمثيل أَن القصير الذراع لا ينال ما يناله الطويل الذراع ولا يطيق طاقته ، فضرب مثلا للذى سقطت قوّته دون بلوغ الأَمر والاقتدار عليه .

الجارض : اسم فاعل من جَرَض بفتح الجيم والراء : وهو بلوغ الروح الحلق . الكَظَم بفتح الكاف والظاء المعجمة . والله سبحانه وتعالى أَعلم

(١) ت م : كأن ، محرفة .

جُمَاعُ أَبْوَابِ نَسَبِهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



الباب الأول

فى فضل العرب وحُبّهم

لما كانت العرب أصلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حَسُن ذكر بعض فضائِلهم .

وقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : ليس فى العرب قبيلة إلا وقد ولدت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مُضَريّها وربيعيّها ويَمَانيها[1] .

رواه عَبْد بن حُمَيْد وابن أبى أُسامة وابن المنذر.

وفيه أنواع : الأول : فى أن الله تعالى تخيَّر العرب من خلقه وتخيره صلى الله عليه وسلم منهم .

عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلق الله الخلَق فاختار من الخلق بنى آدم ، واختار من بنى آدم العربَ ، واختار من العرب مُضَر ، واختار من مضر قريشًا ، واختار من قريش بنى هاشم ، واختارنى من بنى هاشم ، فأنا خِيَار من خيار إلى خيار ، فمنَ أَحبَّ العرب فبحبِّى أَحبَّهم ومن أَبغض العرب فببغضى أَبغضهم » .

رواه الطبرانى والحاكم والبيهقى وأبو نُعَيْم .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله الخلق اختار العرب ، ثم اختار من العرب قريشًا ، ثم اختار من قريش بنى هاشم ، ثم اختارنى من بنى هاشم ، فأنا خيرة من خيرة » .

رواه الحاكم وصححه .

وعن أَبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله حين خلَق الخلق بعث جبريل فقسَم الناس قسمين ، فقسم العرب قسما وقسم العجَم قسما ،

---

(١) الوفا ٧٩/١ عن ابن عباس فى تفسير قول الله سبحانه « لقد جاء كم رسول من أنفسكم » .

وكانت[1] خيرة الله فى العرب ، ثم قسم العرب قسمين ، فقسم اليَمَنَ قسمًا وقسم مضر قسما وقريشا قسما ، وكانت خيرة الله فى قريش ، ثم أخرجنى من خير من[2] أنا منه » .

رواه الطبرانى وحَسَّن الحافظ أبو الفضل العراقى إسناده .

وعن واثلة بن الأسقع رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى كنانة من بنى إسماعيل ، واصطفى من بنى كِنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم » .

رواه مسلم والترمذى وصححه[3] .

* * *

النوع الثانى : فى أن حب العرب حب للنبى صلى الله عليه وسلم .

عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحبَّ العرب فقد أَحبَّنى ، ومن أبغض العرب فقد أبغضنى » .

رواه الطبرانى :

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أَحب العرب فبحبِّى أحبَّهم ومن أَبْغض العربَ فببغضى أبغضهم»[4] .

رواه الحاكم .

وروى الطبرانى والحاكم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَحبُّوا العرب لثلاث : لأَنى عربىّ ، والقرآن عربى ، وكلام أهل الجنة عربى »[4] .

النوع الثالث : فى أن بغض العرب مفارقة للدّين .

عن سلمان رضى الله تعالى عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا سَلْمان لا تُبْغضنى فتفارق دِينك » قلت : يا رسول الله كيف أُبْغضك وبك هدانى الله ؟ قال: تُبْغض العرب فتبغضنى .

---

(١) ت م : وكان .   (٢) ت م : ما أنا .

(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبى صلى الله عليه وسلم ، وصحيح الترمذى ٢٨١/٢ .

(٤) قال ابن أبى حاتم : قال أبى : هذا حديث منكر ، علل الحديث ٣٦٨/٢ .

(٥) ذكره السيوطى فى اللآلئ المصنوعة ٤٤٢/١ ، وقال : قال العقيلى : منكر لا أصل له ، قال المؤلف : يحيى يروى المقلوبات ، ثم نقل عن الذهبى بعد أن تعقب طريق الحديث أنه قال : وأظن الحديث موضوعاً .

وقال ابن أبى حاتم فى كتابه علل الحديث ٣٣٦/٢ : قال أبى : هذا حديث كذب .

رواه الترمذى[1] وقال حسن غريب .

وعن على رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يُبْغض العربَ إلا منافق » .

رواه الطبرانى .

النوع الرابع فى فضل قريش :

عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .: « حُبُّ قريش إيمان وبُغْضهم كفر »

رواه الطبرانى[2]

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الناسُ تَبَع لقريش فى هذا الشأن مُسْلمهم تبعٌ لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم » .

رواه الشيخان[3] .

وعن معاوية رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ هذا الأمر فى قريش لا يعادِيهم أحد إلاَّ كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدِّين » .

رواه البخارى[4] .

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يُرِدْ هوانَ قريشٍ أهانه الله » .

رواه الترمذى[5] وحسَّنه .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لولا أن تَبْطر قريش لأخبرتُها بما لها عند الله » .

---

(١) صحيح الترمذى ٣٢٥/٢ وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبى بدر شجاع بن الوليد ، وفى إسناده قابوس بن أبى ظبيان . قال أبو حاتم : لا يحتج به ، وضعفه النسائى .

(٢) ذكره فى مجمع الزوائد ٥٣/١٠ عن الطبرانى فى الأوسط وقال : وفيه الهيثم بن جماز وهو متروك .

(٣) صحيح البخارى ١٣٢/٢ وكتاب بدء الخلق باب المناقب ، صحيح مسلم (٣/٦ ط استامبول) كتاب الإمارة باب « الناس تبع لقريش والخلافة فى قريش » .

(٤) صحيح البخارى ٢٨٨/٣ (ط الأميرية سنة ١٢٨٠) كتاب الأحكام باب « الأمراء من قريش » .

(٥) صحيح الترمذى ٣٢٥/٢ ، ثم قال الترمذى : هذا حديث غريب ، وقال ابن أبى حاتم : قال أبى : يخالف فى هذا الإسناد واضطرب فى هذا الحديث ، علل الحديث ٣٦٦/٢ .وقد روى نحوه أحمد فى مسنده ٤٦/١ .

رواه الإمام أحمد[1] ، وصحح العراقى إسناده .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « التمسوا الأَمانة فى قريش فإن الأَمين فى قريش له فضلان على أمينٍ من سواهم ، وإنَّ قويّ قريش له فضلان على قوى من سواهم » .

رواه الطبرانى وأبو يعلى . وحسَّن الهيثمى إسناده[2] .

وعن عبد الله بن الحارث الزبيدى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العِلْم فى قريش والأَمانة فى الأَزْدِ » .

رواه الطبرانى ، وحسن الهيثمى إسناده[3] .

وعن رفاعة بن رافع رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن قريشًا أهلُ أَمانة ، فمن بغَى لهم العَوَاثر أَكبَّه الله على مِنْخريه » قالها ثلاثا .

رواه البَزَّار ورجاله ثقات[4] .

وعن قتادة بن النعمان رضى الله تعالى عنه أنه وقع بقريش فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا قَتادة لا تسبَّنَّ قريشًا فإنه لعلك أن ترى منهم رجالاً تَزْدرى عملك مع أعمالهم وفعلك مع أفعالهم وتغبطهم إذا رأَيتهم ، لولا أن تطغى قريش لأَخبرتهم الذى لهم عند الله » .

رواه الإمام أحمد والطبرانى والبزار ، وصحح العراقى إسناده[5] .

وفى لفظ : أن أبا قتادة الأَنصارى السُّلَمى قال لخالد بن الوليد يوم فتح مكة : هذا يوم يذلُّ الله فيه قريشا . فقال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَلاَ تسمع ما يقول أَبو قَتادة يا رسول الله ؟ فقال : مهلا يا أَبا قتادة إنك لو وزنت حلْمك مع حُلومهم لتحاقَرْتَ حلمك مع حلومهم ، ولو وزنت رأيك مع رأْيهم لتحاقَرْت رأْيك مع رأْيهم ، ولو

(١) مسند أحمد ١٠١/٤ ، ١٥٨/٦ .

(٢) مجمع الزوائد ٢٥/١٠ .

(٣) مجمع الزوائد ٢٥/١٠ .

(٤) مجمع الزوائد ٢٦/١٠ .

(٥) فى مجمع الزوائد ٢٣/١٠ عن محمد بن إبراهيم التيمى أن قتادة بن النعمان . . . إلخ .
وقال : رواه أحمد مرسلا ومسنداً . والبزار كذلك ، والطبرانى مسنداً ورجال البزار فى المسند رجال الصحيح ، ورجال أحمد فى المرسل والمسند رجال الصحيح غير جعفر بن عبد الله بن أسلم .. وفى بعض رجال الطبرانى خلاف .

وزنت فعالك مع فعالهم لتحاقرت فعلك مع فعالهم ، لا تُعلِّموا قريشا وتعلَّموا منهم ، فلولا أن تبطر قريش لأَخبرتهم بما لهم عند رب العالمين » .

رواه البيهقى فى المدخل .

وعن جُبَيْر بن مُطْعِم رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس لا تقَدَّموا قريشا فتهلكوا ولا تتخلفوا عنها فتضلّوا ولا تعلِّموها وتعلَّمُوا منها ، فإنها أعلم منكم ، اولا أن تَبْطر قريش لأَخبرتهم بالذى لها عند الله » .

رواه البيهقى فى المدخل وحسَّن العراقى إسناده .

وعن أم هانئ رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فضَّل الله قريشا بسبع خصال لم يعطها أحدا قبلهم ولا يعطيها أَحدا بعدهم : فضَّل الله قريشا بأَنّى منهم ، وأن النبوة فيهم ، وأن الحجابة فيهم ، وأن السقاية فيهم[1] ونصَرهم على الفيل ، وعبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم ، وأنزل فيهم سورة من القرآن لم تنزل فى أحد من غيرهم » [2]

رواه الطبرانى وحسن العراقى إسناده[3] .

والأَحاديث فى ذلك كثيرة .

ويرحم[4] الله تعالى العلامة ابن جابر حيث قال فى بَابِيعيَّته :

مِنْ أعْرَبِ العُرْبِ إلا أن نِسْبَته	إلى قريش حُمَاة البيت والحرم
لا عَيْب فيهم سوى ألاَّ تَرى لهمُ	ضيفًا يَجُوع ولا جاراً بمُهْتَضَمِ
ما عابَ منهم عدوٌّ غير أنهمُ	لم يَصْرفوا السيفَ يومًا عن عدوهمِ
من غضَّ من مَجْدهم فالمجد عنه نأَى	لكنه غُصَّ إذ سادوا على الأُممِ
لا خير فى المرءِ لم يَعْرِف حقوقهم	لكنه مِن ذوى الأَهواء والتهمِ
عِيبت عِداهم فزانوهم بأَن تركوا	سيوفهم وهى تيجانٌ لِهَامِهِمِ

(١) فى ت م زيادة : وأن الرفادة فيهم ، وليست فى مجمع الزوائد .

(٢) من مجمع الزوائد .

(٣) قال فى مجمع الزوائد ٢٤/١٠ : رواه الطبرانى ، وفيه من لم أعرفه .

(٤) ط : ورحم .

تجرى دماءُ الأعَادى من سيوفهمُ ... مثلَ المواهب تَجْرى من أكفِّهم

لهم أحاديثُ مجدٍ كالرياض إذا ... أهْدت نَوَاسم حُبِّى[1] بارئُ النسمِ

ترى الغنىَّ لديهم والفقيرَ وقــد ... عادوا سواءً فلازِمْ باب قَصْدهمِ

قُلْ للصباح إذا ما لاح نورهم ... إنْ كان عندك هذا النورُ فابتسِم

إذا بَدا البدرُ تحت الليل قلت له ... أأنت يابدرُ[2] أمْ مَرْأى وجوهِهم

كانوا عيــونًا ولكن للعُفاة كما ... كانوا لُيوثًا ولكن فى عِدَاتهمِ

كم قائلٍ قال حازَ المجــدَ وارثُه ... فقلت هم وارثوه عن جُدودهمِ

قد أورثَ المجدَ عبدَ الله شَيْبةُ عن ... عمرو بن عبد مناف عن قُصَيِّهم

فجاء فيهمْ بمن جــال السماء ومن ... سمَا على النجم فى سامى بيــوتهمِ

فالعُرْب خيرُ أناس ثم خَيْرهم ... قريشُ هم وهو منهم خيرُ خيرهمِ

قومٌ إذا قيل من ؟ قالوا نبيكم ... منَّا ، فهل هــذه تُلْفَى لغيرهمِ

إنْ تقرأ « النَّحْل» تَنْحل جسمَ حاسدهم ... وفى « براءة » يبدو وجهُ جاههم

قومُ النبىّ فإن تحفــــلْ بغيرهم ... بين الورى فقد استسمنت ذا ورم

إن يَجْحد العُجْم فضل العُرْب قل لهمُ ... خيرُ الورى منكمُ أم من صَمِيمهم[3]

من فَضَّل العُجْمَ فضَّ اللهُ فاه ولو ... فاهُوا لغصّوا وغَصُّوا من نبيِّهم

(١) كذا فى ط ، وفى ص ت م : يحيى.

(٢) ت م : آأنت بدر.

(٣) ت م : أو من صميمهم.

الباب الثانى

في طهارة أصله صلى الله عليه وسلم وشرف مَحْتِده[1] غير ما تقدم

وذلك مما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ، فإنه نُخْبة بنى هاشم وسُلَالة قريش وأشرف العرب وأعزهم نفرا من قِبَل أبيه وأمّه ، ومن أهل مكة أكرم بلاد الله تعالى على الله وعلى عباده .

وأعداؤه صلى الله عليه وسلم كانوا يشهدون له بذلك ولهذا شهد له به عدوُّه إذ ذاك أبو سفيان بن حرب بين يدىْ ملِك الروم .

فأشرفُ القومِ قومُه وأشرف القبائل قبيلته وأشرف الأفخاذ فَخِذُه صلى الله عليه وسلم .

قال الله سبحانه وتعالى : « الله أعْلَم حيث يَجْعل رسالته » [2]

وعن عِكْرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى « وتقلّبك فى الساجدين »[3] قال : من صُلْب نبىّ إلى صلب نبى حتى صرت نبيا .

رواه البزّار ، والطبرانى . رجاله ثقات .

وعن عطاء عنه فى الآية قال : «مازال نبى الله صلى الله عليه وسلم يتقلّب فى أصلاب الأنبياء حتى ولدتْه أمه » رواه أبو نعيم[4]

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعثت من خير قرون بنى آدم قرنًا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت فيه » .

رواه البخارى[5] .

---

(١) ت م : وشرف مجده .

(٢) سورة الأنعام ١٢٤ ، وفى الأصل : « رسالاته » . (٣) سورة الشعراء ٢١٩ .

(٤) دلائل النبوة لأبى نعيم ٢٥ .

(٥) صحيح البخارى ٢١٩/٢ (كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم) .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير العرب مُضَر ، وخير مضر بنو عبد مناف ، وخير بنى عبد مناف بنو هاشم ، وخير بنى هاشم بنو عبد المطلب ، والله ما افترقت فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت فى خيرهما » رواه أبو نعيم[1] .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قسم خلقه قسمين فجعلنى فى خيرهما قسما ، ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلنى فى خيرهما ثلثا ، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلنى فى خيرها[2] قبيْلة ، ثم جعل القبائِل بيوتا فجعلنى فى خيرها[2] بيتا فذلك قوله تعالى : « إنما يُريد اللهُ ليُذْهب عنكم الرجسَ أهلَ البيت » الآية .

رواه الطبرانى وأبو نعيم[3] .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال جبريل قلبت مشارق الأرضِ ومغاربها فلم أجد أفضل من محمد ، ولم أجد بَنى أبٍ أفضل من بنى هاشم » .

رواه الطبرانى والبيهقى وابن عساكر .

قال الحافظ فى أماليه : لوامح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه مُعْضَلا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أتانى جبريل فقال : يا محمد إن الله بعثنى فطُفْت شرق الأرض وغربها وسَهْلها وجبلها فلم أجد حيًّا خيرا من مضر . ثم أمرنى فطُفْت فى مضر فلم أجد حيًّا خيرًا من كِنَانة ، ثم أمرنى فطفت فى كنانة فلم أجد حيًّا خيرا من قريش ، ثم أمرنى فطفت فى قريش فلم أجد حيًّا خيرا من بنى هاشم ، ثم أمرنى أن أختار فى أنفسهم فلم أجد نفسا خيرا من نفسك » .

رواه الحكيم الترمذى .

---

(١) لم يرد فى دلائل النبوة المطبوع ، وإن كان فيه نحوه فى المغنى ، انظر فصل « ذكر فضيلته صلى الله عليه وسلم بطيب مولده وحسبه ونسبه » .

(٢) ت م : فى خيرهما ، محرفة .

(٣) قال أبو حاتم فى علل الحديث ٢/٢٩٥ بعد أن أورد هذا الحديث عن ابن عباس : هذا حديث باطل . وكان عند الحمانى أحاديث عن قيس الأعمش عن عباية ، بعضها عن أبى أيوب وبعضها عن على .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ماولدتنى بَغِيّ قط منذ خرجتُ من صُلْب آدم ، ولم تَزَل تنازعنى الأُمَم كابرًا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيَّيْن من العرب : هاشم وزُهْرة » .

رواه ابن عساكر .

وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد جاءكم رسولٌ من أنْفَسكم » بفتح الفاء وقال : « أنا أَنْفَسُكم نسَبًا وصِهْرا وحَسبا ، ليس فى آبائى من لدن آدم سِفَاح ، كلُّنا نكاح » .

رواه ابن مَرْدَويه .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خرجت من لدُن آدم من نِكَاح غير سِفَاح » .

رواه ابن سعد وابن عساكر[1] .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خرجتُ من نكاح غير سِفَاح

رواه ابن سعد وابن عساكر[2] .

وعن على رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خرجت من نكاح ولم أَخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدنى أَبى وأُمى لم يُصبْنى من نكاح الجاهلية شىء ما ولدنى إلاَّ نكاحُ كنكاح الإسلام » .

رواه العدنىّ فى مُسْنده والطبرانى وأَبو نعيم[3] وابن عساكر .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ولدنى من سفاح الجاهلية شىء ما ولدنى إلا نكاح كنكاح الإسلام »

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٢٧٨/١ ، وطبقات ابن سعد ٣٢/١ القسم الأول .

(٢) طبقات ابن سعد ٣١/١ (القسم الأول) ونصه : « إنما خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح » .

(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم ٢٤ ، وقد أورده ابن كثير فى سيرته ١٩٠/١ ، ثم قال : « هذا غريب من هذا الوجه ولا يكاد يصح » .

رواه الطبرانى ، وله طرق عن ابن عباس رواها أبو نعيم ،

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال :إن قريشا - أى المسْعَدة بالإسلام - كانت نورا بين يدى الله تعالى قبل أن يخلق آدم صلى الله عليه وسلم بألْفى عام يُسبّح ذلك النور وتسبّح الملائكة بتسبيحه ، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور فى صلبه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأهبطنى الله تعالى إلى الأرض فى صلب آدم وجعلنى فى صلب نوح ، وقذف بى فى صلب إبراهيم ، ثم لم يزل الله يَنْقلنى من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجنى من بين أبوىّ لم يلتقيا على سفاح قط[1]

رواه ابن أبى عمر العَدنى فى مسنده .

ويرحم[2] الله تعالى القائِل :

حفظ الإله كرامــــة لمحمد	آباءه الأمجادَ صَوْنًا لاسمهِ
تركوا السِّفاحَ فلم يصبهم عارُه	من آدم وإلى أبيـه وأمـهِ

ويرحم[2] الله تعالى القائل :

مِنْ عَهْد آدم لم يزل تَحْمى له	فى نسلها الأصلاب والأرحــامُ
حتى تنقَّلَ فى نكاحٍ طاهـــرٍ	ما ضَمَّ مجتمعين فيه حــرامُ
فبدَا كبَدْر التِّم ليلة وَضْعــه	ما شان مطْلَعه المنير قَتَــامُ
فانجابت الظَّلْماء من أنــواره	والنــــورُ لايَبْقى عليه ظلامُ
شكرا لمُهْديه إلينـــا نعمـــةً	ليست تحيط بكنهها الأوهامُ

وروى ابن سعد وابن عساكر عن الكلبى رحمه الله تعالى قال : كتبتُ للنبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة أمّ فما وجدت فيهن سفاحًا ولا شيئا من أمر الجاهلية[3]

---

(١) ذكر السيوطى فى اللآلئ المصنوعة ٢٦٤/١ نحو هذا الحديث عن ابن عباس . وقال : موضوع ، وضعه بعض القصاص .

(٢) ط : والقائل .

(٣) طبقات ابن سعد ٣١/١ (القسم الأول) ط ليدن .

قوله خمسمائة أمّ : يريد الجدّات وجدات الجدات من قِبَل أبيه وأمه .

القَرْن بسكون الراء : اختلف السَّلف فى تعيين مدته ، فقيل : مائة سنة . قال الحافظ : وهو الأَشهر . وحكى الحرْبى رحمه الله تعالى الاختلاف فيه ثم قال : وعندى أن القرن كلُّ أُمة هلكتْ فلم يبق منها أَحد .

السِّفَاح بكسر السين المهملة : الزنا .

الباب الثالث

فى سرد أسماء آبائه إلى آدم صلى الله عليه وسلم

وهو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَىّ ابن كِلَاب .

وأُمّ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرة ابن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خُزَيْمة بن مُدْركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان .

هذا هو النسب الصحيح المتفق عليه فى نسب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما فوق ذلك مختلَف فيه .

ولا خلاف أن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، إنما[1] الخلاف فى عدد من بين عدنان وإسماعيل من الآباء فمُقِلٌّ ومكثر ، وكذلك من إبراهيم إلى آدم صلى الله عليهما وسلم لا يعلم ذلك على حقيقته إلا الله تعالى .

والذى رجَّحه الإمام العلامة الشريف النسَّابة أبو على محمد بن أسعد بن على بن حسن الجَوَّانى بفتح الجيم والواو المشددة وكسر النون وقال : إنه أَصح الطرق وأَحسنها وأوضحها وإنه رواية شيوخه فى النسب كالشيخ شرف الدين بن أَبى جعفر البغدادى المعروف بابن الجوَّانية ، وأَبى الغنائم الزيدى والبطحاوى والسِّجْزى وأَبى بكر محمد بن عبدة الفَقْعَسىّ وغيرهم وهى عهدة أَكثر النسابين الأَجلاء وهى رواية عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما وعليها استقر رأى أَكثر أَهل العلم . انتهى . وتبعه على ذلك الحافظ شرف الدين الدمياطى والقاضى عز الدين بن جماعة وأَبو الفتح والعلامة بدر الدين حسن بن حبيب الحلبى فى سيرهم : أَن عدنان بن أُدّ بن أُدَد بن اليسَع بن الهَميسع ابن سلامان بن نَبْت ابن حمْل بن قيدار بن إسماعيل .

---

(١) ت م : وإنما .

وقال ابن إسحاق ومن تبعه في السيرة تهذيب ابن هشام : إن أُدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يَعْرب بن يَشْجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل صلى الله عليهما وسلم بن آزر بن ناحور بن ساروح بن راغو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أَرفخشذ ابن سام بن نوح صلى الله عليه وسلم بن لامك بن متوشلخ بن أَخنوخ ، وهو إدريس صلى الله عليه وسلم ، بن يرْد بن مهلاييل بن قينان بن يانش بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم[1].

ويرحم الله تعالى القائل حيث قال :

فأُولئك السـادات لم تـر مِثْلَهم ... عينٌ على مُتتَابع الأَحقـابِ
لم يَعْـرفوا ردَّ العُفَاة وطالمـا ... رَدُّوا عِـدَاتَهمُ على الأَعقابِ
زُهْر الوجـوِ كريمـةٌ أَحسابهمْ ... يُعْطون عافِيهمُ بغير حِسَابِ
حَلُموا إلى أَن لا تكاد تراهمُ ... يوماً على ذى هَفْوةٍ بغِضَـاب
وتكرَّمـوا حتى أَبَوْا أَن يجعلوا ... بين العُفَـاة ومالهم من باب
كانت تعيش الطيرُ فى أَجْنَابهم ... والوحش حين تشحُّ كلُّ سَحَابِ
وكفاهمُ أَنَّ النبيَّ محمـدا ، ... منهمْ فمَـدْحهمُ بكل كتابِ

ويرحم[2] الله تعالى القائل أَيضا :

نَسَبٌ أَضاء وشَمْسه من هاشمٍ ... وسماؤه من يعْرب ونِـزَارِ
من معشر وَرِثوا السيادَة كابـراً ... عن كابرٍ فهمُ كِبَـار كبـارِ
أَقمـارُ أَنديـةٍ أُسودُ وقائعٍ ... أَطْوَاد أَحلامٍ سَحَابُ قِطَـارِ[3]
لا عارَ فيهم غير طُولِ تيقُّظ ... ما زال يَنْفِى ضيق طَيْف العـارِ
أَهل الرِّفَادة والحِجَابة والحِجَا[4] ... وسِقايـة الحُجَّـاج والزوار
المطْعمونَ إذا البلادُ مَجيعـة ... ومُبـدِّلو الإعْسار بالإيسـارِ
والمجتبَى الهـادِى خِيَارهم وهمْ ... بين الأَنام خِيَـار كلِّ خِيَـارِ

* * *

(١) سيرة ابن هشام ١/٢ .

(٢) ط : والقائل .

(٣) القطار : جمع قطرة .

(٤) ص ت م : والحمى .

قال أبو عمر رحمه الله تعالى : ولقد[1] اعتنى الناس بنظم نَسَب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحسن ما جاء فى ذلك ما نظمه أبو العباس عبد الله محمد بن محمد النارى[2] رحمه الله تعالى . قلت : وهو بالنون والشين المعجمة على وزن الماشِى ، وفيه بعض مخالفة لما تقدم ، فى قوله :

مَدَحتُ رسولَ الله أَبْغِى بمَدْحِهِ ... وُفورَ حُظوظِى من كريم المواهِب

مدحت امرءًا فات المديحَ موحَّدا ... بأوصافِه من مُبْعِد أو مُقَارِبِ

نبيًّا تسامَى فى المشَارق نوره ... فلاحَتْ هَوادِيه لأَهلِ المغَارِبِ

أَتَتْنا به الأَنْبَاء قبلَ مجيئه ... وشاعَتْ به الأَخبارُ فى كلِّ جانب

وأصبحتِ الكهانُ تهتف باسمه ... وتَنْفِى به رَجْم الظُنونِ الكواذبِ

وأُنْطقت الأَصنامُ نُطْقا تبرَّأَتْ ... إلى الله فيه من[3] مَقَال الأَكاذبِ

وقالتْ لأَهلِ الكفر قولاً مبيَّناً ... أَتاكم نبىٌّ[4] من لُؤَىّ بن غالب

ورامَ استراقَ السمعَ جِنٌّ فزَيَّلتْ ... مَقاعدَهم منها رُجومُ الكواكب

هدانا إلى ما لم نكن نهتدى له ... لطُول العمَى عن[5] موضحات المذاهب

وجاء بآياتٍ تبيَّن أنها ... دَلائلُ جَبَّار مُثيبٍ مُعاقِب

فمنها انشقاقُ البدر حتى[6] تعمَّمت ... شُعوب الضِّيَا منه رءوسَ الأَخَاشِبِ

ومنها نبوع الماء بين بَنَانه ... وقد عَدِمَ الوُرَّادُ قُرْبَ المشارب

فروَّى بها جمًّا غفيرا وأَسْهلت ... بأَعناقه طوعاً أَكفُّ المَذَانب

وبئر طغَتْ بالماء من مسِّ سَهْمه ... ومن قبلُ لم تَسْمح بمَذْقَةِ[7] شارب

---

(١) ط : وقد .

(٢) أبو العباس الناشى : عبد الله بن محمد الناشى المعروف بابن شرشير أصله من الأنبار ، ورد بغداد ، ثم ارتحل إلى مصر فأقام بها حتى مات سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان متكلماً معتزلياً يحكى عنه الشيخ أبو الحسن الأشعرى فى كتابه « المقالات » فيما يحكى عن المعتزلة . وكان شاعراً مطبقاً قادراً على النظم البديع والمعانى المخترعة ، وذكر الخطيب البغدادى أن له قصيدة على قافية واحدة قريباً من أربعة آلاف بيت ، انظر تاريخ بغداد ٩٢/١٠ ، ووفيات الأعيان ٢٦٣/١ ، وسيرة ابن كثير ٨١/١ .

(٣) ت م : عن مقال .

(٤) ط : أتاكم رسول .

(٥) ط : من موضحات .

(٦) ط : حين تعممت .

(٧) المذقة : قال فى الأساس : مذق اللبن بالماء يمذقه ومذق الشراب : مزجه فأكثر ماءه ، ولبن مذيق ، وسقانى مذقاً ومذقة . فلعل المراد : لم تسمح بالقليل من الماء ، ولو مقدار ما يمزج بالشراب .

وضَرْع مَـرَاه[1] فاسْتَـدرَّ ولم يكن ... به دَرَّة تُصْغِى إلى كَفِّ حـالب

ونُطْقٌ فصيحٌ من ذِراع مُبِينـة ... لكَيْد عدوٌّ للعَـداوة ناصب

وإخبـاره بالأمر من قبل كَوْنـه ... وعند مَبَاديه بمـا فى العواقب

ومن تِلْكمُ الآيات وَحْىٌ أتَى بـه ... قَريب المـآتى مُسْتجم[2] العجائب

تقاصَرت الأفكارُ عنـه فلم تُطِعْ ... بليغاً ولم يَخْطر على قلب خاطب

حوَى كلَّ علْم واحتَوى كلَّ حكمة ... وفات مَرام المستمِرِّ المُوارِب[3]

أتانا بـه لا عن رَوِيّـة مُرْتَئٍ ... ولا صُحْف مُسْتَمْلٍ ولا وَصْف كاتب

يُوَاتيه طَوْراً فى إجابـة سائل ... وإفتاء مُسْتفت ووعظ مخاطِب

وإتيان بُرْهان وفرض شرائعٍ ... وقصٍّ أحاديث ونَصْب مـآدب[4]

وتصريف أمثـال وتثبيت حجـة ... وتعريف ذى جَحْدٍ وتوقيف كاذب

وفى مَجْمَع النادى وفى حَوْمة الوغى ... وعندَ حـديث المُعْضلات الغرائب

فيأْتى على ماشئت من طرقاتـه ... كريمَ المعانى مُسْتدِرَّ الصَّوَائبِ[5]

وصدَّق منه البعضُ بعضاً كأنمـا ... يُلاَحظ معنـاه بعَيْن المراقِب

وعَجْزُ الورَى عنأن يجيئوا[6] بمثلِما ... وصَفْناهُ مَعْلومٌ بطُول التجارب

تـأبَّى[7] بعبـد الله أكرم والـد ... تبلَّج منـه عن كَريم مَنَاسب

وشَيْبة ذى الحمد الذى فخَرْت به ... قريشٌ على أهل العُلَى والمناصب

ومن كان يُستسقى الغمام بوجهه ... ويُصْدَر عن آرائـه فى النوائِب

وهاشم البانى مَشِيـد افتخاره[8] ... بغرِّ المساعى وابتـذالِ[9] المَوَاهب

وعبد مناف وهو علَّم قومَـه ... اشتطاط الأمانى واحتكام الرغائب

---

(١) مراه : حلبه .

(٢) الأصل : مستحم ، والتصويب من سيرة ابن كثير ١/٧٨ .

(٣) المستمر : القوى ، والموارب : المخاتل .

(٤) رواية ابن كثير : ونص مآرب .

(٥) الصوائب : الأمطار ، والرواية عند ابن كثير : قويم المعانى مستدر الضرائب .

(٦) ص ت م : عن أن يجيبوا .

(٧) تأبى بعبد الله : أى كان له عبد الله أباً .

(٨) ت م : مشيد الفخاره ، محرفة .

(٩) رواية ابن كثير : وامتنان المواهب .

وإن قُصَيًّا من كِرَامِ غِرَاسِهِ ... لفى مَنْهل لم يَدْنُ من كفِّ قاضب[1]
به جَمع الله القبائِلَ بعدَما ... تَقسَّمها نَهْبُ الأكُفِّ السَّوالب
وحَلَّ كلابٌ من ذُرَى المجْد مَعْقلا ... تقاصَرَ عنه كلُّ دانٍ وعَازِب[2]
ومُرَّة لم يَحْلُلْ مَرِيرةَ عَزْمِهِ ... سفَاه سفيه أو مَحُوبةُ حائب[3]
وكَعْب علاَ عن طالب المجد كعبُه ... فنال بأَعْلَى السَّعْى أَعلَى المراتب
وألْوى لُؤَىٌّ بالعداة فطوّعت ... له هِمَم الشُّم الأُنوف الأَغالب
وفى غالب بأْسُ أبى الناس دونهم ... يُدَافِع عنه[4] كلَّ قِرْنٍ مُغَالب
وكانت لفِهْر فى قريش خَطَابَةٌ ... يَعُوذ بها عند اشتجار المخَاطِبِ
وما زال منهم مالكٌ خيرَ مالك ... وأَكْرَم مصحوب وأَنْجدَ صاحب
وللنَّضْر طَوْلٌ يَقْصر الطَّرْفُ[5] دونه ... بحيث التقى ضوءُ النجوم الثواقب
لعَمْرى لقد أَبدَى كنَانةُ قَبْلَه ... محاسنَ تأبى أن تَطُوع لغالبِ[6]
ومن قبله أَبقَى خُزَيْمةُ حَمْدَه ... تَلِيدَ تُرَاثٍ عن حَميد الأَقارب
ومُدْرِكَةٌ لم يدرك الناسُ مثلَه ... أعفَّ وأَعْلَى عن دَنىء[7] المكاسبِ
وإلياس كان اليأْس منه مقارِنا ... لأَعدائه قبل اعتداد الكتائب
وفى مُضَر مُسْتَجمَع الفَخْر كله ... إذا اعتركتْ يوماً زحوفُ المقَانب[8]
وحَلَّ نزَار من رياسةِ أهلِهِ ... مَحلاًّ تسامَى عن عيون الرَّوَاقبِ
وكان مَعَدٌّ عُدَّةً لوليِّهِ ... إذا خاف من كَيْد العدوِّ المحارب
وما زال عدنان إذا عُدَّ فضلُه ... توحَّد فيه عن قريب وصاحب
وأُدٌّ تأَدَّى الفضلُ منه لغايةٍ ... وإرْثٍ حَوَاه عن قُروم أَشَايبِ[9]
وفى أُدَدٍ حلْم تَزَيَّن بالحجَا ... إذا الحِلْم[10] أَزْهاه قُطوبُ الحواجب

---

(1) القاضب : الفارس .
(2) ت م : وغارب . وابن كثير : وغائب .
(3) الحائب : الآثم .
(4) ت م : عنهم ، وهى رواية ابن كثير .
(5) ت م : الطوق ، محرفة . (6) ت م : لغائب . (7) ت م : عن وفى المكاسب ، محرفة .
(8) ط : زحوف المناقب ، والمقانب : جمع المقناب ، وهو الطائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى أربعين ، والرواية عند ابن كثير : وفى مضر يستجمع الفخر . . . إلخ .
(9) القروم : السادة ، والأشايب : جمع أشيب ، والذى فى كتب اللغة : شِيبٌ وشُيَّب وشُيُب .
(10) ص ت م : إذا الحكم ، وأزهاه : استخف به .

وما زال يَسْتعلى هَمَيْسع بالعُلَى ... ويَتْبع آمـالَ البعيـد المراقب
ونَبْت نَمتْـه دَوْحَـةُ العِزّ وابتنَى ... مَعَاقلَـه فى مُشْمخِرّ الأَهاضبِ[1]
وحِيزتْ لقيـدارٍ سماحـةُ حاتمٍ ... وحِكْمة لقمان وهِمّـةُ حاجِبِ
همُ نَسْل إسماعيل صادقُ وَعْـده ... فما بَعْـده فى الفخر مَسْعًى لذاهب
وكان خليل الله أكرم من عنَتْ ... له الأَرْضُ من ماشٍ عليها وراكبِ
وتارحُ مازالت لـه أرْيَحيَّـة ... تبيِّن منه عن حَميد الضرائب[2]
وناحور نَحّار العـدَى حفظت له ... مآثر لمـا يُحْصِها عَـدُّ حاسب
وساروغ فى الهيجـاء ضَيْغم غابـة ... يقدّ الكُمَاةَ بالمرهَفاتِ القَواضب[3]
وأَرغو[4] فناب فى الحروب محكَّم[5] ... ظَنِين على نفس المشِيح المُغَالب
وما فالغٌ فى فضلـه تِلْوَ قومـه ... ولا عابرٌ من دونهم فى المـراتبِ
وفالخْ وأرفخشذ وسام سمَتْ بهم ... سَجايا حَمتْهم كلَّ زارٍ[6] وعائِبِ
وما زال نوح عند ذى العرش فاضلا ... يعـدّده فى المصطفَيْن الأَطايبِ
ولَمْكٌ أبوه كان فى الرَّوْع رائِعـاً ... جريًّا على نفس الكَمِيّ المضارب
ومن قبل لَمْكٍ لم يَزلْ مَتُّوشَلِخٌ ... يذود العِدى بالذائدات الشوازب[7]
وكانت لإدريس النبى منـازل ... من الله لم تُقْرن[8] بهمة غالبٍ[9]
ويارِدُ بحرٌ عنـد أهل سَراتـه ... أبِيُّ الخزَايا مُسْتدِقّ المـذاهبِ
وكانت لمهاييل فيهم فضائِلٌ ... مهـذَّبة من فاحشاتِ المَثَالبِ
وقَيْنان من قبلُ اقتنى مجدَ قومه ... وفات بَشأْوِالفضلِ وَخْدَ الركائبِ[10]
وكان أنوش ناشَ للمجد نفسه ... ونزَّهها عن مُرْدِيات المطالب

---

(١) المشمخر: المرتفع، والأهاضب: الجبال الطويلة الممتنعة.
(٢) الضرائب: جمع ضريبة، وهى الطبيعة، ورواية ابن كثير: عن حميد المضارب.
(٣) القواضب: القواطع.
(٤) ط: وراغو، وفى الأصل: فبابه، محرفة، وعند ابن كثير: وأرغو ناب. وعنده أيضاً: ضنين على نفس المشح.
(٥) ط: محكم. (٦) ط: كل راد.
(٧) الشوازب: الخشنة. (٨) ت م: لم تتر، محرفة.
(٩) ط: بهمة راغب موافقاً لابن كثير.
(١٠) ت م: وجد كالربيب، محرفة، والوخد: الإسراع، للبعير.

ومازال شِيث بالفضائِل فاضلا شريفاً بريًّا من ذَمِيم المعـائبِ
وكلهُم من نـور آدم أُقْبِسُوا وعن عُوده أَجْنَوا ثمـارَ المناقب
وكان رسولُ الله أكـرمَ مُنْجَب جرَى فى ظهور الطيِّبين المناجِبِ
مقابِلَــة آباؤه أُمهـاتِــه مبـرّاة من فاضحات المثَالِبِ
عليــه سلام الله فى كل شارق ألاح لنا ضوءًا وفى كل غارب[1]

(١) القصيدة بتمامها فى سيرة ابن كثير ١/٧٧ - ٨١ .

الباب الرابع

فى شرح أسماء آبائه صلى الله عليه وسلم وبعض أحوالهم على وجه الاختصار

عبد الله : علَم منقول من مركب إضافى . أما المضاف إليه ففى كونه منقولا فى الأصل أو مرتَجلاً خلاف مشهور لا نطيل بذكره ، وهو الاسم الأعظم للبارى تعالى فى قول أكثر أهل العلم كما حكاه البَنْدَنِيجىّ رحمه الله تعالى ، وقد أشبعت الكلام على هذا الاسم العظيم فى كتابى « القول الجامع الوجيز الخادم للقرآن العزيز » .

وأما المضاف فإنه صفة فى الأصل ، كما صرح به ابن الحاجب . والعبد هو المملوك من نوع من يعقل ، مشتق من التعبد وهو التذلل .

قال ابن الأَنْبَارى رحمه الله تعالى : العبد الخاضع لله ، من قولهم : طريق مُعَبَّد إذا كان وطئها الناسُ والعُبودية : أَشرفُ أَوصاف العبد ، وبها نَعت الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فى أعلى مقاماته وهو الإسراء . كما سيأتى بيان ذلك هناك .

وكنيته قال ابن الأثير : أَبو قُثَم . والقُثَم من أسمائه صلى الله عليه وسلم ، مأخوذ من القَثْم وهو الإعطاء أو من الجمع ، يقال للرجل الجموع للخير : قَثُوم وقُثَم . وقيل كنيته : أَبو محمد . وقيل أبو أحمد ويلقب بالذَّبِيح ، لقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فيما رواه ابن سعد ، ومعاوية بن أبى سفيان فيما رواه الحاكم ، وابن جرير والزهرى فيما رواه البيهقى ، وابن إسحاق فيما رواه البيهقى : أن أباه عبد المطلب لما أُمر فى منامه بحفر زمزم ولم يكن له من الولد إلا الحارث وبه كان يكنى . فنذَر إن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا أن يمنعوه ليَنْحرن أحدهم عند الكعبة . وكان السبب فى ذلك كما رواه ابن سعد والبلاذرى أن عَدِىّ بن نوفل بن عبد مناف والد المُطْعِم قال له : يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فَذٌّ لا ولدَ لك ؟ فقال عبد المطلب أبالقِلَّة تُعيِّرنى[1] ؟ ! فوالله[2] لئن آتانى

(١) ت م : تعيرونى.

(٢) ط : والله.

الله عشرةً من الولد ذكوراً لأنحرنَّ أحدهم عند الكعبة . انتهى .

فلما توافَى بنوه عشرةً وعرف أنهم سيمنعونه[1] ــ وذلك بعد حفره زمزم بثلاثين سنة ــ جمَعهم ثم أخبرهم بنَذْره ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : أَوْفِ بِنَذْرك وافعل ما شئت كيف تصنع . قال : ليأْخذ كلُّ رجل منكم قِدْحا ثم يكتب فيه اسمه ، ثم ائتوني ففعلوا ، فدخل بهم على هُبَل فى جوف الكعبة وكان على بئر فى جوف الكعبة . وكانت البئر هى التى يُجْمع فيها ما يُهدى للكعبة ، وكان عند هُبَل قِدَاح سبعة بها يَضْربون على ما يريدون وإلى ما يخرج ينتهون فى أمورهم . فقال عبد المطلب لصاحب القِدَاح : اضربْ على بَنِىَّ هؤلاء بقِدَاحهم هذه . وأَخبَره بنذره الذى نذَر. وأعطاه كلُّ رجل منهم قِدْحه الذى فيه اسمه[2] . قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى : وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغَر بنى أبيه وأحبَّهم إليه ، وكان عبد المطلب يرى أن السَّهْم إذا أخطأَه فقد أَشْوَى . فلما أخذ صاحبُ القداحِ القداحَ ليضرب بها قام عبدُ المطلب عند هُبَل يدعو الله تعالى ، ثم ضرب صاحبُ القداحِ القداحَ ، فخرج السهمُ على عبد الله فأَخذ عبدُ المطلب بيَده[3] وأخذ الشَّفْرة ثم أقبل به إلى إسَاف ونائلة ليذبحه ، فجذَب العباسُ عبدَ الله من تحت رجل أبيه حين وضعها عليه ليذبحه ، فيقال إنه شجَّ وجهه شجةً لم تزل فى وجه عبد الله حتى مات ، فقامت إليه قريش من أنديتها وقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه . فقالت له قريش وبنوه : والله لا تذبحه أبدا حتى تُعْذِر فيه ، لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجلُ يأْتى بابنه فيذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟ وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكان عبد الله ابن أخت القوم: والله لا تذبحه أبدا حتى تُعْذر فيه ، فإن كان فداؤه بأَموالنا فديناه . وقالت قريش وبنوه : لا تفعل وانطلقْ إلى الحجاز فإن به عرَّافة لها تابعٌ من الجن فتسأَلها ثم أنت بعد ذلك على رأس أمرك ، إن أمرتْك بذبحه ذبحتَه ، وإن أمرتك بأَمر لك وله فيه فَرَج فعَلْته .

فانطلقوا حتى قدِموا المدينة فوجدوها بخيبر ، فركبوا حتى جاءوها فسأَلوها ، وقصَّ عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه وما أراد به فى نَذْره . فقالت لهم : ارجعوا عنِّى اليوم

(١) ت م : سيمنعوه ، محرفة .

(٢) طبقات ابن سعد ٥٣/١ (القسم الأول) .

(٣) ت م : فأخذ عبد المطلب عبد الله .

حتى يأتيني تابِعى فأسأله . فرجعوا من عندها فلما خرجوا من عندها قام عبد المطلب يدعو الله تعالى ، ثم غدَوْا عليها فقالت لهم : قد جاءنى الخبر ، كم الدِّية فيكم ؟ قالوا : عشرة من الإبل . وكانت كذلك. قالت : فارجعوا إلى بلادكم ثم قرِّبوا صاحبَكم وقرِّبوا عَشْرا من الإبل ، ثم اضربوا عليه وعليها بالقِدَاح ، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم .

فخرجوا حتى قدِموا مكة ، فلما أجمعوا لذلك قام عبدُ المطلب يدعو الله ، فقرَّبوا عبدَ الله وعشرةً من الإبل ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل عشرين ، فقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا القدح فخرج على عبد الله ، فزادوا عشرا من الإبل، وما زالوا كذلك يزيدون عَشْرا فعشرا من الإبل ويضربون عليها بالقداح ، كلُّ ذلك يخرج القِدْح على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القِدْح على الإبل ، فقالت قريش: قد انتهى رضا ربِّك يا عبد المطلب . فقال عبد المطلب[1] : لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات . فضربوا على عبد الله وعلى الإبل ، وقام عبد المطلب يدعو الله فخرج القدح على الإبل ، ثم عادوا الثانية والثالثة ، وعبد المطلب قائِم يدعو الله فخرج القدح فى كلتيهما على الإبل ، فنُحِرت ثم تُركت لا يُصدّ عنها إنسان ولا سبع .

قال الزهرى : وكان عبد المطلب أول من سَنَّ دية النفس مائة من الإبل ، فجَرتْ فى قريش والعرب ، وأقرها رسول الله – صلى الله عليه وسلم[2] .

وروى الحاكم وابن جرير والأموى عن معاوية رضى الله تعالى عنه أن أعرابيا قال للنبى صلى الله عليه وسلم: يا ابن الذَّبيحين . فتبسم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولم ينكر عليه . فقيل لمعاوية : من الذبيحان ؟ قال : إسماعيل وعبد الله[3] .

قال ابن حزم رحمه الله تعالى: لاعَقِب لعبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وسلم أصلا ولم يولد لعبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ذكَر ولا أنثى .

---

(١) ط : فقال عبد الله .

(٢) سيرة ابن هشام ١٥٣/١ .

(٣) قصص الأنبياء لابن كثير ٢١٧/١ .

وقال ابن سعد رحمه الله تعالى : لم تلد آمنة ولا عبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

وأم عبد الله : فاطمة بنت عمرو بن عائذ ـ بعين مهملة فمثنّاة تحتية فذال معجمة ـ ابن عمران ابن مخزوم .

تفسير الغريب

إسَاف : بكسر الهمزة وفتح السين المخففة . نائلة ـ بنون فألف فمثناة تحتية : اسما صنمين .

أصغر بنى أبيه : قال السُّهيلى : هذا غير معروف . ولعل الراوية أصغر بنى أمّه ، وإلا فحمزة كان أصغر من عبد الله ، والعباس كان أصغر من حمزة . قال السهيلى: وله وجه وهو أن يكون عبد الله أصغر ولد أبيه حين أراد نحره ثم ولد بعد ذلك حمزة والعباس[2] .

قال أبو ذر الخُشَنِيّ رحمه الله تعالى : قوله أصغر بنى أبيه : يعنى فى ذلك الوقت[3].

أشْوَى بشين معجمة : قال فى النهاية : يقال رَمَى فأشْوَى إذا لم يُصب المقْتَل . وقال الخُشَنى : يقال أشْويت من الطعام إذا أبقيت منه .

القِدَاح ـ بكسر القاف : جمع قِدْح . كذلك[4] : السهمُ الذين[5] كانوا يستقسمون به .

* * *

ومن شعر عبد الله والد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أورد الصلاح الصَّفَدى فى تذكرته وشيخنا رحمهما الله فى المسالك :

لقد حكم السارُون فى كل بلـــدة ... بأن لنا فَضْلا على سادة الأرضِ
وأن أبى ذو المجـــد والسؤدد الذى ... يُشَــار به ما بين نَشْز إلى خَفْضِ
وجـــــدّى وآباء له أثّلــوا العُلَى ... قَدِيما بطِيب العِرْق والحسَبِ المحْضِ

وسيأتى الكلام على وفاته فى أبواب المولد إن شاء الله تعالى .

تنبيه : روى مسلم من طريق حماد بن سلَمة ، عن ثابت ، عن أنس رضى الله تعالى

(١) طبقات ابن سعد ٦١/١ (القسم الأول) ط ليدن .
(٢) الروض الأنف ١٠٣/١ .
(٣) شرح السيرة لأبى ذر ص ٥٣ .
(٤) كذلك : أى بكسر القاف أيضا .
(٥) كذا ولعلها : الذى كانوا .

عنه أن رجلا قال : يارسول الله أين أبى ؟ قال : فى النار . فلما قفى[1] دعاه فقال : إن أبى وأباك فى النار[2] .

قال الشيخ رحمه الله تعالى فى مسالك الحُنفا فى والدَى المصطفى: قوله : « إن أبى وأباك فى النار » لم يتفق عليه الرواة ، وإنما ذكره حماد بن سلمة ، عن ثابت . وقد خالفه معمر عن ثابت ، فلم يذكر: إن أبى وأباك فى النار. ولكن قال له : إذا مررت بقبر كافر فبشِّره بالنار . وهذه اللفظة[3] لا دلالة فيها على والده صلى الله عليه وسلم بأمرٍ البتة . وهو أثْبَت من حيث الرواية . فإن مَعْمَرًا أثبت من حمَّاد . فإن حمادًا تُكلِّم فى حفظه ، ووقع له أحاديث مَنَاكير ذكروا أن رَبيبه دسَّها فى كتبه . وكان حمَّاد لا يحفظ فحدَّث بها فوَهِم . ومن ثم لم يخرِّج له البخارى شيئا ، ولا أخرج له مسلم فى الأُصول إلاَّ من روايته عن ثابت .

وقد قال الحاكم فى المدخل : ما خرَّج مُسْلم لحمَّاد فى الأُصول إلا من حديثه عن ثابت وقد أخرج له فى الشواهد عن طائفة ، وأمَّا مَعْمَر فلم يُتَكلم فى حفظه ولا استنكر شىء من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثْبت .

ثم وجدنا الحديث ورَدَ من حديث سعد بن أبى وقاص بمثل رواية مَعْمَر ، عن ثابت ، عن أنس .

فروى البزَّار والطبرانى والبيهقى من طريق إبراهيم بن سعد ، عن الزُّهْرى ، عن عامر ابن سعد ، عن أبيه ، أن أعرابيا ، قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أين أبى؟ قال : فى النار . قال : فأين أبوك ؟ قال « : حيثما مررتَ بقبر كافر فبشِّره بالنار » .

وهذا الإسناد على شرط الشيخين . فتعيَّن الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره .

وقد زاد الطبرانى والبيهقى فى آخره قال : فأسلم الأعرابى بعد وقال : لقد كلَّفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا ! ما مررتُ بقبر كافر إلا بشَّرْته بالنار .

---

(١) ت م : فلما نمى .

(٢) صحيح مسلم (١٣٢/١ ط استامبول) كتاب الإيمان ، باب بيان أن من مات على الكفر فهو فى النار .

(٣) ط : وهذا اللفظ .

وقد روى ابن ماجه عن طريق إبراهيم بن سعد ، عن الزهرى عن سالم ، عن أبيه قال : جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبى كان يصل الرحم وكان . فأين هو ؟ قال : فى النار . قال : فكأنه وجد من ذلك فقال : يا رسول الله ، فأين أبوك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حيثما مرَرْت بقبر مُشْرك فبشِّره بالنار » . قال : فأسلم الأعرابى بعدُ وقال لقد كلَّفنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تعبًا ! ما مررتُ بقبر كافر إلا بشَّرتُه بالنار[1] .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : فهذه الزيادة أوضحت بلا شك أن هذا اللفظ العامّ هو الذى صدَر منه صلى الله عليه وسلم ورآه الأعرابى بعد إسلامه أمرًا مقتضِيًا للامتثال ، فلم يسعه إلا امتثاله ، ولو كان الجواب باللفظ الأول لم يكن فيه أَمرٌ بشئ البتة . فعلِم أن اللفظ الأول من تصرّف الراوى ، رواه بالمعنى على حسب فهمه .

وقد وقع فى الصحيحين روايات كثيرة من هذا النمط فيها لفظٌ تصرف فيه الراوى ، وغيرُه أثْبت منه . كحديث أنس فى نفى قراءة البسملة . وقد أعلَّه الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه بذلك وقال : إنَّ الثابت من طريق آخر نفى سماعها[2] ، ففهم منه الراوى نفى قراءتها فرواه بالمعنى على ما فهمه ، فأخطأ .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : ونحن أجبنا عن حديث مسلم فى هذا المقام بنظير ما أجاب به إمامنا الشافعى عن حديث مسلم فى نفى قراءة البسملة .

ثم رأيت طريقا أخرى للحديث مثل لفظ رواية مَعْمَر وأزْيد وضوحا . وذلك أنه قد صرّح فيه بأن السائل أراد أن يسأل عن أبيه صلى الله عليه وسلم ، فعدَل عن ذلك تجمُّلا وتأدبًا[3] . فروى الحاكم فى المستدرك وصححه عن لقيط بن عامر رضى الله تعالى عنه أنه قال : يا رسول الله هل أحد ممن مضى منا فى جاهليته فى خير[4] ؟ فقال رجل من عرض قريش : إن أباك المنتفق فى النار . فكأنه وقع حَرٌّ بين جلد وجهى ولحمى مما قال لأبى على رءوس الناس ، فهمَمْت أن أقول : وأبوك يا رسول الله ؟ ثم نظرت فإذا الأخرى أجمل ،

---

(١) سنن ابن ماجه ٥٠١/١ ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء فى زيارة قبور المشركين (حديث رقم ١٥٧٣) .
(٢) ت م : سماعهم .
(٣) ط : وأدبا .
(٤) ت م : من خير .

فقلت : وأَهْلك[1] يا رسول الله ؟ فقال : ما أتيت عليه من قبر قرشِىّ ولا عامِرىّ مشرك فقل : أرسلنى إليك محمد فأبشِّرك[2] بما يسوؤك .

هذه الرواية لا إشكال فيها ، وهى أوضح الروايات وأَبْينها .

ثم لو فرض اتفاق الرواة على اللفظ الأَول كان معارَضا بالأَدلة الآتية فى المسلك الأَول والحديث الصحيح إذا عارضه أدلة أخرى هى أَرجح منه وجب تأْويله وتقديم تلك الأَدلة عليه كما هو مقرَّر فى الأُصول .

تتمة : ثبت فى الحديث الصحيح أن أَهْوَن أهل النار عذابًا أَبو طالب ، وأنه فى ضَحْضاح من النار فى رجليه نعلان من نار يَغْلى منهما دماغه ، وهذا مما يدل على أن أَبوى النبى صلى الله عليه وسلم ليسا فى النار . لأَنهما لو كانا فيها لكانا أَهون عذابا من أَبى طالب ، لأَنهما أَقرب منه مكانًا ، وأَبْسط عُذْرًا ، فإنهما لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما الإسلام فامتنعا . بخلاف أَبى طالب ، وقد أَخبر الصادق المصدوق أنه أهون أَهل النار عذابًا .فليس أَبواه من أَهلها . وهذا يسمَّى عند أَهل الأُصول دلالة الإِشارة .

تنبيه : أجاب جماعة عن الأَحاديث الواردة فى عدم نجاة الأَبوين بأَنها وردت قبل ورود الآيات والأَحاديث الآتية فى المسلك الأَول . كما أَجابوا بذلك عن الأَحاديث الواردة فى أطفال المشركين أَنهم فى النار . وقالوا : الناسخ لأَحاديث الأَطفال قوله تعالى : « وما كنا مُعَذِّبين حتى نَبْعث رسولاً »[3] . وإذا عُلم ما تقرر فللعلماء رضى الله تعالى عنهم فى والدى المصطفى صلى الله عليه وسلم مسالك :

الأَول : أَنهمالم تبلغهما دعوة أَحد وذلك لمجموع أُمور : تأَخر زمانهما وبُعد ما بين الأَنبياء السابقين . فإن آخر الأَنبياء قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم : عيسى صلى الله عليه وسلم . وكانت الفترة بينه وبين بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم نحو ستمائة سنة ، ثم إنهما كانا فى زمن جاهلية . وقد طبَّق الجهلُ الأَرضَ شرقا وغربا وفُقد من يعرف الشرائع ويبلِّغ الدعوة على وجهها إلا نفرا يسيرا من أَحبار أَهل الكتاب مفرَّقين فى أَقطار الأَرض كالشام وغيرها . ولم يُعهد لهما تقلّب فى الأَسفار سوى إلى المدينة ولا عَمَّرا عمراً طويلا بحيث يقع لهما فيه

---

(١) ت م : وأصلك . (٢) ط : يبشرك . (٣) سورة الإسراء ١٥ .

التنقيب ، فإن والده صلى الله عليه وسلم صحح الحافظ العلائى أنه عاش من العمر نحو ثمانى عشرة سنة . ووالدته صلى الله عليه وسلم ماتت وهى فى حدود العشرين تقريبا . ومثل هذا العمر لايسع الفحصَ عن المطلوب فى مثل ذلك الزمان لا سيما وهى امرأة مضنونة محجَّبة فى البيت عن الاجتماع بالرجال ، والغالب على النساء أنهن لايعرفن ما الرجال فيه من أمر الديانات والشرائع ، خصوصا فى زمان الجاهلية الذى رجاله لا يعرفون ذلك فضلا عن نسائه . ولهذا لمّا بُعث النبي[1] صلى الله عليه وسلم تعجب من بعثته أهل مكة وقالوا : « أَبَعث الله بَشراً رسولاً » وقالوا : « لو شاء ربُّنا[2] لأَنزل ملائكةً ماسمعنا بهذا فى آبائنا الأوّلين » .

فلو كان عندهم عِلْم من بعثة الرسل ما أنكروا ذلك وربما كانوا يظنون أن إبراهيم بُعث بما هم عليه ، فإنهم لم يجدوا من يبلغهم شريعة إبراهيم على وجهها لدُثورها وفَقْد من يعرفها ، إذ كان بينهم وبين زمن إبراهيم أزيدُ من ثلاثة آلاف سنة ، وحُكم من لم تبلغه الدعوة أنه يموت ناجياً بشرطه الآتى فى الأحاديث الآتية ، وأنه لا[3] يعذَّب ابتداء قبل الامتحان كما سيأتى بيان ذلك .

هذا مذهبنا لا خلاف فيه بين أئمتنا الشافعية فى الفقه والأشاعرة فى الأُصول . وقد نصَّ على ذلك إمامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه فى الأُم والمختصر ، وتبعه جميع الأَصحاب فلم يشذّ أَحدٌ منهم بخلاف ، واستدلوا على ذلك بعدّة آيات منها قوله تعالى: « وما كنا مُعَذِّبين حتى نبعث رسولاً[4] » روى ابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيرهما عن قتَادة فى الآية قال : « إنَّ الله ليس بمعذِّب أحدًا حتى يسبق إليه من الله خبرٌ أو تأتيه من الله بينة » ومنها قوله تعالى : « ذلك أن لم يَكُنْ ربُّك مُهْلك القُرَى بظُلْم وأَهلُها غافلون »[5] ومنها قوله تعالى : « ولولا أن تُصيبهم مصيبةٌ بما قدَّمت أَيديهم فيقولوا : ربَّنا لولا أَرسلتَ إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين »[6] أوردهما الزركشى فى شرح جمع الجوامع استدلالاً على قاعدة أَن شُكر المنعِم ليس بواجب عقلاً بل بالسمع ، وهذه القاعدة أى قاعدة شُكْر المنْعم مرجعها إلى قاعدة كلامية وهى قاعدة التحسين والتقبيح العقليين، وإنكارهما متفق عليه

(١) ط : لما بعث رسول الله .
(٢) ط : لو شاء الله .
(٣) ت م : لم يعذب .
(٤) سورة الإسراء ١٥ .
(٥) سورة الأنعام ١٣١ .
(٦) سورة القصص ٤٧ .

بين الأَشاعرة كما هو معروف فى كتب الكلام والأُصول . وقد أَطنب الأَئمة فى تقريرها .

وتَرْجع مسأَلة من لم تَبْلغه الدعوة إلى قاعدة ثانية أُصولية وهى : أَن الغافل لا يكلَّف . وهذا هو الصواب فى الأُصول للآية الثانية .

ثم اختلفت عباراتُ[1] الأَصحاب فيمن لم تَبْلغه الدعوة ، وأَحسنُها من قال : إنه ناجٍ . وإياها اختار السُّبْكى رحمه الله تعالى .

ومنهم من قال : على الفِطْرة . ومنهم من قال : مُسْلم .

قال الغزالىُّ رحمه الله تعالى : التحقيق أَن يقال : فى معنى المُسْلم .

وقد مشى على هذ المسلك فى والدَىْ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قومٌ من العلماء فصرَّحوا بأَنهما لم تبلغهما الدعوة . حكاه عنهم سِبْط ابن الجوزى رحمه الله تعالى فى « مرآة الزمان » ومشى عليه الإمام الآبِىّ فى شرح مسلم .

وكان شيخنا شيخ الإسلام شرف الدين المنَاوِىّ يعوِّل عليه ويجيب به إذا سئل عنهما .

وقد ورد فى أَهل الفترة أَحاديث كثيرة أَنهم موقوفون إلى أَن يُمتحنوا يوم القيامة ، فمن أَطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار . والمصحَّح منها ثلاثة : الأَول ؛ حديث الأَسود ابن سريع رضى الله تعالى عنه أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَربعةٌ يحتجُّون يومَ القيامة : رجل أَصمّ لا يسمع شيئا ، ورجل أَحمق ، ورجل هَرِم : ورجل مات فى الفترة[2]. فأَما الأَصمّ فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أَسمع شيئا . وأَما الأَحمق فيقول : ربِّ لقد جاء الإسلامُ والصبيان يَحْذفوننى بالبَعْر . وأَما الهَرِم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أَعقل شيئا . وأَما الذى مات فى الفترة فيقول : رب ما أَتانى لك رسول . فيأْخذ مواثيقهم لَيُطيعُنَّه ، فيرسل إليهم : أَن ادخلوا النار . فمن دخلها كانت عليه بَرْدا وسلاما ، ومن لم يدخلها فيُسحب[3] إليها » .

الثانى : حديث أَبى هريرة رضى الله تعالى عنه موقوفا ، مثل حديث الأَسود بن سريع . رواهما الإمام أَحمد[4] وإسحاق فى مسنديهما والبيهقى فى كتاب الاعتقاد ، وإسنادهما صحيح. ورواه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق آخر عنه .

---

(١) ط : عبارة .

(٢) ط : فى فترة .

(٣) ط : يسحب .

(٤) مسند أحمد ٢٤/٤ (ط الميمنية) .

الثالث : حديث ثَوْبَان رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يومُ القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوزارهم على ظهورهم ، فيسألهم ربهم فيقولون: ربنا لَمْ ترسل إلينا رسولا ولم يأْتنا لك أمر ، ولو أرسلت إلينا رسولا لكنا أطوعَ عبادك . فيقول لهم ربهم : أرأيتكم إن أمرتكم بأمر تطيعونى ؟ فيقولون : نعم . فيأمرهم أن يَعْمدوا إلى جهنم فيدخلوها ، فينطلقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تَغَيُّظاً وزفيراً فيرجعون إلى ربهم فيقولون : ربنا أَجِرْنا منها . فيقول لهم: ألم تزعموا أنى إن أمرتكم بأمر تطيعونى ؟ فيأْخذ على ذلك مواثيقهم فيقول : اعمدوا إليها . فينطلقون حتى إذا رأوها فَرِقوا ورجعوا فقالوا : ربنا فَرِقْنا منها ولا نستطيع أن ندخلها . فيقول : ادخلوها داخرين . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً و سلاما .

رواه البزّار والحاكم وصححه وأقرَّه الذهبى[1] .

وورد من حديث أبى سعيد رضى الله تعالى عنه مرفوعا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُؤتى بالهالك فى الفترة والمعتوه والمولود ، فيقول الهالك فى الفترة : لم يأْتنى كتاب ولا رسول. ويقول المعتوه: أى رب لم تجعل لى عقلاً أعقل به خيراً ولا شرا . ويقول المولود : لم أُدرك العمل . قال : فتُرفع لهم نار فيقال لهم :رِدُوها . أو قال : ادخلوها . فيدخلها من كان فى علم الله سعيدا لو أدرك العمل ، ويُمْسك عنها من كان فى علم الله شقيّا لو أدرك العمل ، فيقول الله تبارك وتعالى : « إياى عصيتم فكيف برسلى بالغيب » .

رواه البزار[2] من طريق عطية العوفى وفيه ضَعْف . والترمذى يحسِّن حديثه خصوصا إذا كان له شاهد ، وحديثه هذا له عدة شواهد تقتضى[3] الحكم بحسنه وثبوته .

ومن حديث أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يؤتى بأربعة يوم القيامة : بالمولود ، والمعتوه ، ومن مات فى الفترة ، وبالشيخ الفانى ، كلهم يتكلم بحجته ، فيقول الله تبارك وتعالى لِعُنُقٍ من جهنم : ابرُزى . فيقول لهم : إنى كنت أبعث إلى عبادى رسلا من أنفسهم ، وإنى رسول نفسى إليكم ، ادخلوا هذه : فيقول من

---

(١) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣٤٧/١٠ وقال : رواه البزار بإسنادين ضعيفين .

(٢) مجمع الزوائد ٢١٦/٧ وقال الهيثمى : رواه البزار ، وفيه عطية وهو ضعيف .

(٣) ت م : ينبغى .

كُتب عليه الشقاء يا ربّ أندخلها[1] ومنها كنا نَفْرَق ، ومن كتب له السعادة فيمضى فيقتحم فيها مسرعا فيقول الله : قد عصيتمونى فأنتم لرسلى أشدّ تكذيبا ومعصية . فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار .

رواه البزار[2] وأبو يَعْلى .

ومن حديث معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلاً وبالهالك فى الفترة وبالهالك صغيرا ، فيقول الممسوخ عقلا : يا رب لو آتيتنى عقلاً ما كان من آتيته عقلا بأسعد بعقله منىّ . وذكر فى الهالك فى الفترة والصغير نحو ذلك ، فيقول الرب . إنى آمركم بأمر فتطيعون ؟ فيقولون : نعم . فيقول : اذهبوا فادخلوا النار . قال : ولو دخلوها ما ضَرَّتهم فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شىء فيرجعون سراعا ، ثم يأمرهم الثانية ، فيرجعون كذلك فيقول الرب : قبل أن أخلقكم علمتُ ما أنتم عاملون وعلى عِلْمى خلقتكم وإلى علمى تصيرون ، ضُمِّيهم[3] . فتأخذهم .

رواه الطبرانى وأبو نعيم[4] .

قال الحافظ رحمه الله تعالى فى الإصابة فى ترجمة أبى طالب فى القسم الرابع من حرف الطاء من الكُنَى ، بعد أن أورد قصة الامتحان : ونحن نرجو أن يدخل عبد المطلب وآل بيته فى جملة من يدخلها طائعًا فينجو ، إلا أبا طالب فإنه أدرك البَعْثة ولم يؤمن ، وثبت أنه فى ضَحْضاح من النار[5] .

وذكر الحافظ عماد الدين ابن كثير رحمه الله تعالى قصة الامتحان أيضا فى والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر أهل الفترة وقال : إن منهم من يجيب ومنهم من لا يجيب إلا أنه لم يقل إن الظن فى أبوى النبى صلى الله عليه وسلم أن يجيبا .

---

(١) ت م : أتدخلناها .
(٢) مجمع الزوائد ٢١٦/٧ قال الهيثمى : وفيه عطية ، وهو ضعيف
(٣) ت م : فتضمهم فتأخذهم .
(٤) مجمع الزوائد ٢١٦/٧ ، قال الهيثمى : وفيه عمرو بن واقد ، وهو متروك عند البخارى وغيره ، ورمى بالكذب . وقال محمد بن مبارك الصورى : كان يتبع السلطان وكان صدوقاً .
(٥) الإصابة ١١٥/٧ .

ولا شك أن الظن بهما أن يوفقهما الله تعالى حينئذ للإجابة ، لشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم ، كما رواه تمام فى فوائده بسند ضعيف من حديث ابن عمر مرفوعا : « إذا كان يوم القيامة شفعتُ لأبى وأمى » الحديث .

وروى الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أبويه فقال : « ماسألتهما ربى وإنى لقائم يومئذ المقام المحمود » . فهذا تلويح بأنه يُرْجَى لهما الخير عند قيامه المقام المحمود ، وذلك بأن يشفع لهما لِيوفَّقا للطاعة عند الامتحان . ولا شك فى أنه صلى الله عليه وسلم يقال له عند قيامه فى ذلك المقام : سَلْ تُعْطَ واشفع تُشفَّع ، كما فى الأحاديث الصحيحة ، فإذا سأل ذلك أعطيه .

وينضم إلى ذلك ما رواه أبو سعد النيسابورى فى « شَرف المصطفى » وعمر الملاَّ فى سيرته عن عِمْران بن حُصَيْن مرفوعا : «سألت ربى أن لا يدخل النارَ أحدًا من أهل بيتى . فأعطانى ذلك[1] » وروى ابن جرير عن ابن عباس فى قوله تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » قال : مِنْ رضَا محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل أحدا من أهل بيته النار .

فهذه الأحاديث يشد بعضها بعضا ، لأن الحديث الضعيف إذا كثرت طرقه أفاد ذلك قوة ، كما تقرر فى علم الحديث .

وروى الطبرانى عن أم هانئ رضى الله تعالى عنها ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما بال أقوام يزعمون أن شفاعتى لا تنال أهلَ بيتى ، وإن شفاعتى تنال حاء وحكم » .

قال فى النهاية : حاء وحكم :قبيلتان جافيتان من وراء رمل يَبْرِين . انتهى . ويبرين بمثناة تحتية فباء موحدة فراء فمثناة تحتية فنون ويقال يبرون . قال أبو عبيد البَكْرى : هو رمل معروف فى ديار بنى سعد بن[2] تميم .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن خلف الآبى فى شرح مسلم فى شرح حديث :« إنّ أبى وأباك فى النار » وأورد قولَ الإمام النووى فيه أى الحديث : إن من مات كافرا فى النار ولا تنفعه قرابة الأقربين . ثم قال الآبى : انظر هذا الإطلاق وقد قال السُّهيلى رحمه

---

(١) يناقض ذلك ما جاء فى الأحاديث الصحيحة من قوله صلى الله عليه وسلم لأهل بيته : « اعملوا فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً » .

(٢) فى معجم البكرى ١٣٨٧ : من تميم .

الله تعالى : ليس لنا أن نقول ذلك . فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات . وقال تعالى : « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذابا مهينا[1] » ولعله يصح ما جاء أنه صلى الله عليه وسلم أحيا [الله] له أبويه فآمنا به، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فوق هذا . ولا يُعْجز الله سبحانه وتعالى شيء .

ثم أورد قول النووى وفيه أن من مات على الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فى النار ، وليس هذا من التعذيب قبل بلوغ الدعوة لأنه بلغتهم دعوةُ إبراهيم وغيره من الرسل .

ثم قال : قلت : تأمل ما فى كلامه من التنافى ، فإنَّ من بلغتهم الدعوة ليسوا بأهل فترة ، فإن أهلَ الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يُرسل إليهم الأول ولم يُدركوا[2] الثانى ، كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى ولا لحقوا النبى صلى الله عليه وسلم . والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كلِّ رسولين . ولكن الفقهاء إذا تكلموا فى الفترة فإنما يعنون التى بين عيسى والنبى صلى الله عليه وسلم .

ولما دلت القواطع على أنه لا يعذَّب حتى تقوم الحجة علمنا أنهم غير معذَّبين .

فإن قلت : صحت أحاديث بتعذيب أهل الفترة كصاحب المِحْجَن وغيره . قلت : قد أجاب عن ذلك عقيل بن أبى طالب بثلاثة أجوبة : الأول أنها أخبار آحاد فلا تُعارض القاطع[3] .

الثانى : قَصْر التعذيب على هؤلاء والله أعلم بالسبب .

الثالث : قصر التعذيب فى هذه الأحاديث على من بدَّل وغيَّر الشرائع وشرع من الضلال ما لا يُعْذَر به . فإن أهل الفترة ثلاثة أقسام : الأول من أدرك التوحيد ببصيرته ثم من هؤلاء من لم يدخل فى شريعة كقُسّ بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نُفَيْل . ومنهم من دخل فى شريعة حقٍ قائمة الرسم كتُبَّع وقومه .

الثانى : من بدَّل وغيّر وأشرك ولم يوحد وشرع لنفسه فحلّل وحرَّم وهم الأكثر ، كعمرو ابن لُحَىّ أول من سيَّب السوائب ووصَل الوصيلةَ وحمى الحامى . وزادت طائفة على

---

(١) سورة الأحزاب ٥٧ .
(٢) ت م : ولا أدركوا .
(٣) ت م : فلا تعارض القطع .

ما شرَعه أن عبدوا الجن والملائكة وخَرَقوا البنين والبنات[1]، واتخذوا بيوتا جعلوا لها سَدَنة وحُجّابا يضاهون بها الكعبة كاللات والعزى ومناة .

الثالث : من لا يشرك ولم يُوحد ولا دخل فى شريعة نبى ، ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا ، بل بقى عمره على حال غفلة عن هذا كله . وفى الجاهلية من كان كذلك .

فإذا انقسم أهلُ الفترة إلى الثلاثة أقسام فيُحمل من صحّ[2] تعذيبه على أهل القسم الثانى بكفرهم بمالا يُعذرون به. وأما القسم الثالث فهم أهل فترة حقيقةً، وهم غير معذَّبين للقطع كما تقدم .

وأما القسم الأول فقد قال صلى الله عليه وسلم فى كلٍّ من قُسّ وزيد : إنه يُبعث أمّةً وَحْده . وأما تُبّع ونحوه[3] فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه ما لم يلحق أحد منهم الإسلامَ الناسخ لكل دين . انتهى . ما أورده الآبى رحمه الله تعالى .

المسْلَك الثانى : أنهما لم يثبت عنهما شِرْك بل كانا على الحنيفيّة دين جَدِّهما إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، كما كان زيد بن عمرو بن نُفيْل وأضرابه فى الجاهلية . ومال إلى هذا المسلك الإمام فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى . وزاد أن آباءه صلى الله عليه وسلم كلهم إلى آدم كانوا على التوحيد . كما قال فى كتابه « أسرار التنزيل » ما نصه : قيل إن آزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه . واحتجوا عليه بوجوه . منها : أن آباء الأنبياء ما كانوا كفارا . ويدل عليه وجوه . أحدها : قوله تعالى : «الذى يراك حين تقومُ وتقلُّبَك فى الساجدين[4] » . قيل معناه : أنه كان يُنقل نوره من ساجد إلى ساجد قال : وبهذا[5] التقدير فالآية دالَّة على أن جميع آباء محمد صلى الله عليه وسلم كانوا مُسْلمين ، وحينئذ يجب القَطْع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين إنما ذاك عمّه ، أقصى ما فى الباب أن يحمل قوله : « وتقلُّبك فى الساجدين » على وجوه أخرى ، وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل ، ومتى صحّ ذلك ثبت أن والد إبراهيم ما كان من عَبدة الأوثان .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : « وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » سورة الأنعام .
(٢) ت م : موضع تعذيبه .
(٣) ت م : ونحوهم .
(٤) سورة الشعراء ٢١٩ .
(٥) ط : ولهذا .

قال : ومما يدل على أن آباء محمد صلى الله عليه وسلم . ما كانوا مشركين قوله عليه الصلاة والسلام : « لم أزل أُنْقَل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» وقال تعالى: « إنما المشركون نجَس » فوجب أن لا يكون أحد من أجداده صلى الله عليه وسلم مشركا . انتهى كلام الإمام فخر الدين .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وقد وجدتُ له أدلةً قوية ما بين عامّ وخاص . فالعامّ مركَّب من مقدمتين : إحداهما : أنه قد ثبت فى الأَحاديث الصحيحة أن كل جَد من أَجداده صلى الله عليه وسلم خير أهل قرنه لحديث البخارى : « بُعثتُ من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا ، حتى بُعثت من القرن الذى كنت فيه » وتقدمت أَحاديث كثيرة فى هذا المعنى فى باب فضل العرب وفى باب طهارة أصله صلى الله عليه وسلم .

الثانية : أنه قد ثبت أن الأَرض لم تخلُ من سَبْعة مسلمين فصاعدا يدفع الله تعالى بهم عن أهل الأَرض . فروى عبد الرزَّاق فى المصنف وابن المنذِر فى التفسير بسند صحيح على شرط الشيخين عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : « لم يزل على وجه الدهر فى الأَرض سبعة مسلمون فصاعدا فلولا ذلك هلكت الأَرض ومن عليها »[1] .

وروى الإمام أَحمد فى الزهد والخلاَّل فى كرامات الأَولياء بسند صحيح على شرطهما ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : ما خلت الأَرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله تعالى بهم عن أَهل الأَرض .

وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أنتج ما قاله[2] الإمام . لأَنه إن كان كل جد من أجداده صلى الله عليه وسلم من جملة السبعة المذكورين فى زمانه فهو المدَّعى . وإن كان غيرهم لزم أَحد أمرين : إما أَن يكون غيرهم خيراً منهم ، وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح ، وإما أَن يكونوا خيرا منه وهم على الشِّرْك وهو باطل بالإجماع ، وفى التنزيل : « ولعَبْدٌ مؤمن خيرٌ من مشرك[3] » فثبت أَنهم على التوحيد ليكونوا خير أَهل الأَرض كلٌّ فى زمانه .

وأَما الخاص فروى ابن سعد فى الطبقات عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : « ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام[4] » .

(١) انظر أحاديث الأبدال فى مجمع الزوائد ٦٢/٩ .
(٢) ت م : كما قاله .
(٣) سورة البقرة ٢٢١ .
(٤) طبقات ابن سعد ٢٦/١ (القسم الأول) ، ونصه : « كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام » .

وروى ابن المنذر وابن أبي حاتم والبزّار فى مسنده والحاكم وصححه ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين . قال : وكذلك هى فى قراءة عبد الله: كان الناس أمة واحدة فاختلفوا. وفى التنزيل حكاية عن نوح صلى الله عليه وسلم : « رب اغفر لى ولوالدّى ولمن دخلَ بيتى مؤمنا » وسام بن نوح مؤمن بنص القرآن والإجماع ، بل ورد فى أثر أنه نبى رواه ابن سعد والزبير بن بكّار فى الموفقيات وابن عساكر عن محمد بن السائب. وولده أرفخشذ صُرِّح بإيمانه فى أثر عن ابن عباس. رواه ابن عبد الحكم فى تاريخ مصر وفيه أنه أدرك جدَّه نوحا وأنه دعا له أن يجعل الله تعالى المُلْك والنبوة فى ولده . وولدُ أرفخشذ إلى تارح وَردَ التصريحُ بإيمانهم .

روى ابن سعد من طريق محمد بن السائب ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الناس ما زالوا ببابل وهم على الإسلام من عهد نوح إلى أن ملكهم نمرودُ فدعاهم إلى عبادة الأوثان ففعلوا[1] .

نعُرف من مجموع هذه : الآثار أن أجداد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين بيقين من آدم إلى زمن نمرود . وفى زمنه كان إبراهيم صلى الله عليه وسلم . وآزر إن كان والد إبراهيم فيستثنى من سلسلة النسب وإن كان عمه فلا استثناء .وهذا القول ، أعنى أن آزر ليس أبا إبراهيم ، ورد عن جماعة من السلف. رواه ابن أبي شيبة وابن المنذر عن مجاهد ، من طرق بعضها صحيح . ورواه ابن المنذر عن ابن جُرَيْج بسند صحيح وابن أبى حاتم عن السّدّى بسند صحيح .

وقد وجِّه من حيث اللغة بأن العرب تطلق لفظ الأب على العم إطلاقا شائعا وإن كان مجازا. وبسط الشيخُ الكلام على ذلك ، وتركْته لأنه خلاف الظاهر .

وقد صحت الأحاديث فى البخارى وغيره وتضافرت نصوص العلماء بأن العرب من عهد إبراهيم وهم على دينه ولم يكفر أحد منهم إلى عهد عمرو بن عامر الخزاعى ، وهو الذى يقال له عمرو بن لُحَىّ، فهو أول من عبد الأصنام وغيَّر دين إبراهيم وحمل العرب على

---

(١) طبقات ابن سعد ١٩/١ (القسم الأول) .

ذلك فتبعته . وكان عمرو بن لُحىٍّ قريبا من زمن كنانة جد النبى صلى الله عليه وسلم ولهذا مزيد بيان يأتى قبيل أبواب البعثة .

ثم ذكر الشيخ رحمه الله تعالى ما يشهد لإيمان عدنان ومعدّ وربيعة ومضر وخزيمة وأسد وإلياس وكعب بن لؤى . وسيأتى بيان ذلك فى تراجمهم .

ثم قال : فتلخص من مجموع ما سقناه : أن أجداده صلى الله عليه وسلم من آدم إلى كعب بن لُؤَىّ ومن ولده مُرّة مصرَّحٌ بإيمانهم ، إلا آزر فإنه مختلَف فيه . فإن كان والدَ إبراهيم فإنه مستثنى ، وإن كان عمه كما هو أحد القولين فيه فهو خارج عن الأجداد وسَلِمت سلسلة النسب .

وبقى بين مُرة وعبد المطلب أربعة أجداد لم أظفر فيهم بنقل . وعبد المطلب يأتى الكلام عليه فى ترجمته إن شاء الله تعالى .

ويرحم[1] الله الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقى حيث قال :

تنقَّل أحمدٌ نوراً مبينـــــا ... تلألأَ فى وجـــوه[2] الساجدينَا

تقلَّب فيهمُ قــرناً فقرنا ... إلى أن جاء خيرَ المرسَلينَـــا

* * *

المسلك الثالث : أن الله تعالى أحياهما له صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به . وهذا المسلك مال إليه طائفة كثيرة من الأئمة وحفَّاظ الحديث واستندوا إلى حديث ورد بذلك لكن إسناده ضعيف . وقد أورده ابن الجوزى فى الموضوعات ، وليس بموضوع ، وقد نص ابن الصلاح فى علوم الحديث وسائر من تبعه على أن ابن الجوزى تسامحَ فى كتابه الموضوعات فأورد فيه أحاديث وحكَم بوضعها وليست بموضوعة بل هى ضعيفة فقط ، وربما تكون حسنة أو صحيحة .

قال الحافظ زين الدين العراقى رحمه الله تعالى فى ألفيته :

وأكثرَ الجامعُ فيه إذ خرجْ ... لمُطْلَق الضَّعْف عنى أبا الفرَجْ

وقد ألف شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر رحمه الله تعالى كتابا سماه : « القول المُسَدَّد فى الذَّب عن مُسْنَد أحمد » أورد فيه جملةً من الأحاديث التى أوردها ابن الجوزى

(١) ط : ورحم .

(٢) ط : فى جباه .

فى الموضوعات وهى فى مسند أحمد . وَدَرَأَ عنها أحسنَ الدَّرْء ، ووهَّمَ ابن الجوزى فى حكمه[1] عليها بالوضع ، وبيَّن أن منها ما هو ضعيف فقط من غير أن يصل إلى حد الوضْع ، ومنها ما هو حسَن ، ومنها ما هو صحيح ، وأبْلغ من ذلك أن منها حديثا مخرَّجا فى صحيح مسلم . حتى قال شيخ الإسلام : هذه غفلة شديدة من ابن الجوزى حيث حكم على هذا الحديث بالوضع وهو فى أحد الصحيحين . انتهى .

وسبَقه إلى شيء من هذا التعقب شيخه حافظ عصره زَيْن الدين العِرَاقى ، ورأيت فى فهرست مصنفات شيخ الإسلام أنه شرع فى تأليف تعقبات على ابن الجوزى ، ولم أَقف على هذا التأليف ، وقد تتبَّعت أنا منه جملة من الأَحاديث ليست بموضوعة ، فمنها ما هو فى سنن أَبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ومستدرك الحاكم وغيرها من الكتب المعتمدة وبيَّنْتُ حالَ كل حديث منها ضَعْفا وحُسنا وصحةً فى تأليف حافل ، يسمى : « النكت البديعات على الموضوعات » .

وهذا الحديث الذى نحن فى ذِكْره خالَف ابنَ الجوزى فيه كثيرٌ من الأَئمة والحفاظ فذكروا أَنه من قسم الضعيف الذى يجوز روايته فى الفضائل والمناقب ، لا من قسم الموضوع ، منهم[2] الحافظ أَبو بكر الخطيب البغدادى ، والحافظ أَبو القاسم ، ابن عساكر والحافظ أَبو حفص ابن شاهين ، والحافظ أَبو القاسم السُّهَيْلى ، والإمام القرطبى ، والحافظ محب الدين الطبرى ، والعلاَّمة ناصر الدين بن المنير ، والحافظ فتح الدين بن سيّد الناس ، ونقله عن بعض أَهل العلم . ومشَى عليه الصلاح الصَّفَدى فى نظم له والحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقى فى أَبيات له فقال :

حَبَــا اللهُ النبيَّ مَزِيدَ فَضْلٍ ... على فضــل وكان به رءوفا
فأَحيا أمَّـــه وكـــذا أَباه ... لإيمـــانٍ به فَضْلا لَطِيفا[3]
فسلِّم فالقديمُ بـــذا قـــديرٌ ... وإن كان الحديث بـــه ضَعِيفَا

وأَخبرنى بعض الفضلاء أَنه وقف على فُتْيَا بخط شيخ الإسلام ابن حجرأنه أَجاب فيها بهذا ، إلا أَنى لم أَقف على ذلك ، وإنما وقفت على كلامه الذى قدمتُه فى المسلك الثانى .

(١) ط : فى الحكم . (٢) ط : قال : منهم .
(٣) كذا فى ط موافقاً للسيوطى فى اللآلئ المصنوعة ٢٦٨/١ ، وفى بقية النسخ : لطفاً منيفاً .

وقال السُّهيلى رحمه الله تعالى فى أوائل « الروض الأُنف » بعد إيراد حديث أنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يُحْيي أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما ما نصه : « والله قادر على كل شيء وليس تَعْجز رحمته وقدرته عن شيء ، ونبيه صلى الله عليه وسلم أهلٌ أن يختصه[1] بما شاء من [فضله وينعم عليه بما شاء[2] من] كرامته[3] . وقال فى موضع آخر من الكتاب فى[4] حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة : « لو كنتِ بلغتِ معهم الكُدَى ما رأيت الجنة حتى يراها جدُّ أبيك » ما نصه : « فى قوله : جدّ أبيك ولم يقل جدك يعنى أباه تقوية للحديث الضعيف الذى قدمنا ذكره : أن الله تعالى أحيَا أمه وأباه وآمنا به » انتهى .

مع أن الحديث الذى أورده السهيلى لم يذكره ابن الجوزى فى الموضوعات ، وإنما أورد ابن الجوزى حديثا آخر من طريق آخر فى إحياء أمه فقط وفيه قصة بلفظٍ غير لفظ الحديث الذى أورده السهيلى . فعلم أنه حديث آخر مستقل وقد جعل هؤلاء الأئمة هذا الحديث ناسخا للأحاديث الواردة لما يخالف ذلك ، ونصُّوا على أنه متأخِّر عنها فلا تعارض بينه وبينها .

وقال القرطبى رحمه الله تعالى : فضائل النبى صلى الله عليه وسلم لم تزل تتوالى وتتابع إلى آخر مماته ، فيكون هذا مما فضَّله الله به وأكرمه . قال : وليس إحياؤهما وإيمانهما به بممتَنع عقلا ولا شرعا ، فقد ورد فى القرآن إحْياء قتيل بنى إسرائيل وإخباره بقاتله ، وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم قال : وإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادةً فى كرامته صلى الله عليه وسلم وفضيلته ؟

وبسط الشيخ رحمه الله تعالى الكلام على ذلك فى « مسَالك الحُنفَا » ويأْتى لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى فى باب وفاة أمّه صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) ت م : أن يختص .
(٢) من الروض الأنف .
(٣) الروض الأنف ١١٣/١ .
(٤) ت م : على حديث .

وجمعٌ من العلماء لم تَقْوَ عندهم هذه المسالك فأبقوا حديث مسلم ونحوه على ظاهرها من غير عدول عنها بدعوى نسخ ولا غيره ، ومع ذلك قالوا : لا يجوز لأحد أن يذكر[1] ذلك .

قال السُّهيلي فى الروض الأنف بعد إيراده حديثَ مسلم : وليس لنا نحن أن نقول ذلك فى أبويه صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تُؤْذوا الأحياءَ بسبِّ الأموات » . وقال تعالى : « إن الذين يُؤْذون الله ورسوله » الآية .

وسئل القاضى أبو بكر بن العربى أحد أئمة المالكية رحمه الله تعالى عن رجل قال : إن أبا النبى صلى الله عليه وسلم فى النار . فأجاب : بأن من قال ذلك فهو ملعون لقوله تعالى : « إن الذين يؤذون اللهَ ورسولَه لَعَنهم اللهُ فى الدُّنْيَا والآخِرَة »[2] قال ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه : إنه فى النار .

ومن العلماء من ذهب[3] إلى قول خامس وهو الوقف . قال الشيخ تاج الدين الفاكهانى فى كتابه « الفجر المنير » : الله أعلم بحال أبويه صلى الله عليه وسلم . وقال الباجِىّ فى شرح الموطأ : قال بعض العلماء : إنه لا يجوز أن يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم بفعل مُباح ولا غيره ، وأما غيره من الناس فيجوز أن يؤذَى بمباح وليس له المنع منه ، ولا يأثم فاعل المباح وإن وصل ذلك إلى أذى غيره . قال : ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم إذ أراد علىّ ابن أبى طالب أن يتزوج ابنة أبى جهل : «إنما فاطمةُ بَضْعة منِّى وإنى لا أُحرِّم ما أحلّ الله ، ولكن لا والله لا تجتمع ابنةُ رسول الله وابنةُ عدوِّ الله عند رجل أبدا » . فجعل حكمها فى ذلك حكمه أنه لا يجوز أن تؤذَى بمباح . واحتج على ذلك بقوله تعالى : «إنّ الذين يُؤْذون اللهَ ورسوله لعنَهم اللهُ فى الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذابا مهينا . والذين يُؤْذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتَسَبُوا فقد احتَملوا بُهْتانا وإثما مُبينا » فشرط على المؤمنين أن يؤذَوا بغيرِ ما اكتسبوا . وأطلق الأذى فى خاصة النبى صلى الله عليه وسلم من غير شرط . انتهى .

---

(١) ت م : لا نجد أن نذكر ذلك ، محرفة .

(٢) سورة الأحزاب ٥٧ .

(٣) ت م : من ذلك .

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه من طريق يحيي بن عبد الملك بن أبى عتبة قال : حدثنا نوفل بن الفُرَات . وكان عاملاً لعمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه قال : كان رجل من كُتّاب الشام مأمونا عندهم استعمل رجلا على كورة الشام وكان أبوه يُزَنّ بالمَانِيّة[1] فبلغ ذلك عمرَ بن عبد العزيز فقال : ماحملَك على أن تستعمل رجلا على كورة من كور المسلمين كان أبوه يُزَن بالمانِيّة ؟ قال : أصلَح الله أمير المؤمنين وما علىّ[2] من كان أبوه كان أبو النبي صلى الله عليه وسلم مُشْركا . فقال عمر آه . ثم سكت ثم رفع رأسه ثم قال : أأقطع لسانه ؟ أأقطع يده ورجله ؟ أأضرب[3] عنقه ؟ ثم قال : لا يَلِي شيئاً ما بقيتُ .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وقد سئلت أن أنْظم فى هذه المسألة أبياتا أختم بها هذا التأليف فقلت :

إنَّ الذى بَعث النبيَّ محمــداً ... أنْجَى بـه الثَّقَلَيْن ممـا يُجْحِفُ
ولأُمـــه وأبيه حكم شائعٌ ... أبْداه أهلُ العلم فيما صنَّفـــوا
فجماعة أجرَوْهما مُجْرَى الذى ... لم يأته خَبَر الدعــاةِ المسْعِفُ
والحكم فيمن لم تجئه دعوةٌ ... أنْ لا عَذاب عليه حُكْم يُؤْلَفُ
فبِذاك قال الشافعيــة كلهمْ ... والأشعريّة مــا بهم متوقِّفُ
وبسورة الإسراء فيـــه حُجَّـة ... وبنحو ذا فى الذكر آىٌ تُعْـرَف
ولبعض أهل الفقــه فى تعليله ... معنًى أدق من النسيم وألطفُ
ونَحا الإمام الفخر رازىّ الورَى ... مَنْحىً به للســامعين تشنُّفُ
إذ هم على الفِطْر الذى ولِدوا ولم ... يَظْهر عِنَــادٌ منهمُ وتخلُّفُ
قال الأُلى ولد النبيّ المصطفى ... كلٌّ على التوحيـد إذ يتحنَّفُ
من آدم لأبيــه عبد الله ما ... فيهم[4] أخو شرك ولا مستنكِفُ
فالمشركون كما بسُورة تَوْبة ... نَجَسٌ وكلهمُ بطُهْــرٍ يوصَفُ
وبسورة الشعراء فيــه تقلُّبٌ ... فى الساجدين فكلهم متحنِّفُ

---

(١) يزن : يتهم ، والمانية : نسبة إلى مانى ، وهى أحد مذاهب المجوس ، وفى الأصل : بالمنانية .

(٢) ط : وما كان من كان أبوه .

(٣) ت م : لأضرب عنقه . (٤) ت م : بهم .

هــذا كلام الشيخ فخر الدين فى أسراره هطلَتْ عليـه الذُّرَّفُ[1]

فجزاه ربُّ العرش خيرَ جزائه وحباه جناتِ النعيم تُزَخْـرَفُ

فلقــد تديَّن فى زمان الجـاهلـيةفرقـــة دِينَ الهدى وتحنَّفُوا

زيد بن عمرو بن نَوْفل هكذا الصدِّيق ماشِرْكٌ عليـــه يَعْكُفُ

قــد فسَّر السُّبْكِى بـذاك مقالةً للأشعرىّ وما ســواه مزيَّفُ

إذ لم تزل عَيْن[2] الرضا منه على الـصديق وهو بطول عمرٍ أَحْنَفُ

عادتْ عليه صُحبة الهــادى فما فى الجاهليــة للضلالة يَقْرِفُ

فلأُمّـــه وأبوه أَحْرَى سِيّما ورأت من الآياتِ مالا يوصَفُ

وجماعةٌ ذهبوا[3] إلى إحيائه أَبَوَيْه حتى آمنَا لاخَرَّفُـــوا

وروى ابن شاهين حديثاً مُسْنَداً فى ذاك لكنّ الحديث مُضَعَّفُ

هــذى مسالك لو تفرَّد بعضُها لكفى فكيف بها إذا تتـألّفُ

وبحسب من لا يرتضيها صَمْتُه أدباً ولكن أين من هو مُنْصِفُ

صلَّى الإله على النبى محمد ماجدَّد الدينَ الحنيف مُحنفُ

* * *

ابن عبد المطلب

عبد المطلب : مفتعل من الطلب . يكنى أبا الحارث ، وأبا البطحاء ، واسمه[4] شيبة الحمد. قال السُّهيْلى: وهو الصحيح. وقيل عامر . قال أبو عمر رحمه الله تعالى : ولا يصح. واختلف لِمَ سمِّى شَيْبة . فقيل : إنه ولد وفى رأسه شيبة وكانت ظاهرة فى ذُؤَابته . وقيل : لأن أباه وصَّى أمه بذلك . ولقِّب عبدَ المطلب لأن أباه هاشما قدِم المدينة تاجرا فنزل على عمرو بن زيد بن لبِيد بن خِدَاش بن عامر بن غَنْم بن عدِىّ النجار . ذكرهذا النسب مُصْعَب . وقال الزُّهْرى : عمرو بن زيد بن عدِىّ بن النجّار . وقال ابن إسحق رحمه الله تعالى : زيد بن عمرو بن أسد بن حَرام بن خِدَاش بن جُنْدَب بن عَدِىّ بن النجّار .

---

(١) الذرف : السحب الممطرة .
(٢) ت م : كنف الرضا .
(٣) ت م : ذهبت .
(٤) ط : اسمه .

فلمح ابنته سَلْمى بنت عمرو فأَعجبته فخطبها إلى أَبيها فأَنكحه إياها وشرط عليه أَنها لا تلد ولدًا إلا فى أَهلها. فمضى هاشم ولم يَبْنِ بها حتى رجع، فبنى بها عند أَهلها وسكن معها سنين ، ثم ارتحل إلى مكة بها ، فلما أثقلت خرج بها فوضعها عند أَبيها ومضى إلى الشام فمات بغزة من وجهه ذلك . وولدت عبدَ المطلب فمكث بالمدينة سبع سنين أَو ثمانيًا ، ثم إن رجلا من أَهل تِهَامة من بنى الحارث بن عبد مناف مرَّ بالمدينة فإذا غِلْمان يَنْتضلون وإذا غلام فيهم إذا أَصاب قال : أَنا ابن هاشم، أَنا ابن سيد البَطْحاء . فقال له الرجل : ممن أَنت يا غلام ؟ قال : أَنا شَيْبة بن هاشم بن عبد مناف . فانصرف الرجل حتى قدِم مكة فوجد المطَّلب بن عبد مناف جالسا فى الحِجْر فقال له : قم يا أَبا الحارث . فقام إليه فقال : تعلَّم أَنى جئت الآن من يثرب فوجدت غلمانًا يَنْتضلون . وقصَّ عليه ما رأَى من عبد المطلب . قال : وإذا أَظرف غلام رأيته قط ولا يَحْسُن أَن يُترك مثله . قال المطَّلب : أَغْفَلْتُه والله ! أَمَا والله لا أَرجع إلى أَهلى ومالى حتى آتيه . فأَعطاه الحارث ناقته فركبها .

فخرج المطلب بن عبد مناف حتى أَتى المدينةَ عشِيّا ثم خرج براحلته حتى أَتى بنى عدىّ ابن النجار فإذا بغلمان من بين ظَهْرانى المجلس ، فلما نظر إلى ابن أَخيه قال : هذا ابن هاشم ؟ فقال القوم : نعم . وعرف القومُ المطَّلب . فقالوا : نعم هذا ابن أَخيك ، فإن كنت تريد أَخذه فالساعة لا تُعْلِم أمه فإنها إن علمت حُلْنا بينك وبينه . فأَناخ راحلته ثم دعاه فقال : يابن أَخى أَنا عمُّك وقد أَردت الذهاب بك إلى قومك فاركب . فوالله ما كذب أَن جلس على عَجُز الرَّحْل وجلس المطَّلب على الرحل ثم بعث راحلته فانطلق به . فلما علمت أُمه أَن عمه ذهب به عَلِقت تدعو من حُزْنها على ابنها وقالت :

كنـــا ولاة حُمِّـــه ورُمِّـــه ... حتى إذا قام على أَتَمِّـــه
انتزعـوه غيلـةً مـن أُمِّـــه ... وغلَب الأَخـوالَ حقُّ عمِّـه

وقيل إنه أَخذه بإذن أُمه .

ولمّا دخل المطلب مكة دخل ضحوةً مُرْدِفه خَلْفه والناس فى أَسواقهم ومجالسهم ، فقاموا يرحِّبون به ويقولون : من هذا معك ؟ فيقول هذا عبدى ابتعته بيثرب . ثم خرج به حتى جاء الحَزْوَرة فابتاع له حُلَّة ، ثم أَدخله على امرأَته خديجة ابنة سعيد بن سعد بن

سهم ، فلما كان العشى ألبسه الحلّة ثم أجلسه فى مجلس بنى عبد مناف وأخبرهم خبره . وجعل بعد ذلك يخرج فى تلك الحلة فيطوف فى سكك مكة وكان أحسن الناس وجها فيقولون : هذا عبد المطلب . لقول المطلب : هذا عبدى . فثبت اسمُه عبدَ المطلب . وتُرك شَيْبة .

وكان عبد المطلب يكثر زيارة أخواله ويَبرُّهم .

حُمّة : بحاء مهملة يجوز ضمها وفتحها يعنى قليله . رُمّة : براء يجوز فتحها وضمها يعنى كثيره .

وروى البلاذرىّ عن محمد بن السائب وغيره قالوا : كان عبد المطلب من حلماء قريش وحكمائها ، وكان نديمُه حرب بن أُمَيّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وكان فى جوار عبد المطلب يهودى يقال له أُذَيْنة وكان اليهودى يتسوّق فى أسواق تهامة بماله ، فغَاظ ذلك حَرْبًا فألّبَ عليه فتيانَ قريش وقال : هذا العِلْج الذى يقطع الأرض إليكم ويخوض فى بلادكم بمالٍ جَمّ كثير من غير جوار ولا خيل ، والله لو قتلتموه وأخذتم ماله ما خفتم تَبِعةً ولا عرَض لكم أحدٌ يطلب دمه . فشدّ عليه عامر بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَىّ وصخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة فقتلاه . فجعل عبد المطلب لا يعرف له قاتلا ، فلم يزل يبحث عن أمره حتى عرف خبره ، فأتى حربَ بن أمية فأنّبه بصنيعه وطلب دمَ جاره ، فأجار حربٌ قاتِليه ولم يُسْلمهما وأخفاهما ، وطالبه عبد المطلب بهما فتغالَظا فى القول حتى دعاهما المحْك واللّجاج إلى المنافرة، فجعلا بينهما النجاشىَّ صاحب الحبشة، فأبى أن يدخل بينهما ، فجعلا بينهما نُفَيْل بن عبد العُزّى بْن رَباح[1] بن عبد الله بن قُرْط بن رزَاح بن عَدِىّ بن كعب بن لُؤَى جد عمر بن الخطاب ، فقال لحرب : يا أبا عمرو تُنَافر رجلا هو أطول منك قامة ، وأوْسَم منك وسامة ، وأعظم منك هامة ، وأقل منك لامَة . وأكثر منك ولدا ، وأجْزَل منك صَفَدًا ، وأطول منك مَدَدا ، وإنى لأقول قولى هذا ، وإنك لَبعيد الغضب ، رفيع الصِّيت فى العرب ، جَلْد المريرة ، تحبّك العشيرة ، ولكنك

(١) ط : ابن رياح .

نافرت مُنْفِرًا . فنَفر[1] عبدُ المطلب ، فغضب حرب . وأغلظ لنفيل وقال : من انتكاس الدهر جُعِلتَ حكَما . وكانت العرب تتحاكم إليه فقال فى ذلك نفيل :

أولادُ شَيْبة أهل المجدِ قد عَلمتْ ... علْيا معدّ إذا ما هَزْهزَ الورعُ
وشيخهم خير شيخ لست تبلغه ... أنىَّ وليس به سُخْف ولا طمَعُ
يا حربُ ما بلغت مَسْعاتكم هُبَعًا ... يَسْتى الحجيج وماذا يبلغ الهُبَعُ
أبوكما واحـدٌ والفرع بينكما ... منه العِشَاش ومنه الناضِر اليَنَعُ

فترك عبدُ المطلب منادمة حرب ، ونادم عبدَ الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تَيْم بن مرة . ولم يفارق حربًا حتى أخذ منه مائة ناقة ودفعها إلى ابن عم اليهودى ، وارتجع ماله إلا شيئا يسيرا كان قد تلِف فغرِمه من ماله . فقال الأرْقم بن نَضْلة بن هاشم فى ذلك :

وقَبْلك ما أرْدَى أميـةَ هاشمٌ ... فأورده عمرو إلى شَـرِّ مَوْردِ
أيَـا حربُ قد حاربْتَ غير مقصِّرٍ ... شآكَ إلى الغاياتِ طلاَّع أنْجُدِ

تفسير الغريب

الصَّفَد : بفتح الصاد والفاء : العطاء . الهُبَع : بضم الهاء وفتح الباء الموحَّدة : الفَصِيل الذى نتَج فى آخر النتاج . العِشاش : بعين مهملة مكسورة وشينين معجمتين : جمع عُشّ وهو ما يجمعه الطائر من حطام العيدان . اليَنَع : بفتح المثناة التحتية : وهو من الثمر النضيج الطيب .

وروى البلاذرىّ عن محمد بن السائب عن أشياخه قالوا : كان لعبد المطلب ماء يدعى الهرم فغلبه عليه جُنْدب بن الحارث الثقفى فى طائفة من ثَقِيف ، فنافرهم عبد المطلب إلى الكاهن القُضاعى ، وهو سلمة بن أبى حيّة بن الأسحم بن عامر بن ثعلبة بن سعد بن[2] هُذَيم ، وكان منزله بالشام ، فخرج إليه عبد المطلب فى نفر من قريش وخرج جُنْدَب فى جماعة من ثقيف ، فلما انتهوا إلى الكاهن خبأُوا له رأس جَرَادة فى خرز مَزَادة ، فقال : خبأْتم لى شيئا طار فسطَع ، وتصوَّب فوقع ، ذا ذَنَب جَرّار وساق كالمنشار . قالوا : ذه . أى بَيِّن . قال : إلاَّ ذه فلاذه. يقول : إن لم يكن قولى بيانا ، وهو رأس جرادة ، فى خرْز مزادة ، فى ثنى

(١) ت م : فنذر ، محرفة ، ونفر : غلب فى المنافرة .
(٢) ط : مسعد هذيم .

القِلَادة . قالوا : صدقتَ . وانتسبوا له ، فقال : أُحلف بالضِّياء والظُّلَم ، والبيت ذى الحرَم ، إن المـاء ذا الهرم ، للقُرَشى ذى الكرم . فغضب الثقفيون وقالوا : اقضِ لأَرفعنا مكانا وأَعْظمنا جِفَانا[1] ، وأَشدّنا طِعَانا . فقال عبد المطلب : اقضِ لصاحب الخيرات الكُبَرْ ، ولمن أَبوه سيِّد مُضَر ، وساق الحجيج إذا كثر . فقال الكاهن :

أَمَـا وربِّ القُلُـص الرَّوَاسِم   يَحْملن أَزْوالاً بَقِيَّ طـاسِمِ

إن سـنـاء المجـدِ والمكارمِ   فى شَيْبة الحمْـد سليل هاشِمِ

أَبِى النبىِّ المرتضَى للعـالَمِ

ثم قال :

إنَّ بنى النَّضْر كِرَامٌ ســـادَه   من مُضَر الحمراء فى قِلَاده

أَهلُ سَنًا وملوكٌ قـــاده   مَزارهم بأَرضهم عبـــاده

إنَّ مقَالى فاعلموا شهاده

ثم قال :

إن ثَقِيفا عَبْدٌ أَبَق ، فثُقِف[2] فعتق ، فليس له فى المَنْصِب الكريم من حق .

فلما قضى لعبد المطلب بذى الهَرِم استعار عبدُ المطلب قدورا ثم أَمر فنحرت الجزائر ودعا من حوله[3] فأَطعمهم وبعث إلى جبال مكة بجزائر منها ، فأَمر بها فنُحرت للطير والسِّباع شكرا لله . فلذلك قال أبو طالب ولده :

ونُطْعِم حتى تأْكل الطير فَضْلَنا   إذا جَعلت أَيدى المُنِيضين تُرْعِـدُ

تفسير الغريب

الهَرِم بفتح الهاء وكسر الراء . وأَما بالفتح والسكون فمالٌ لأَبى سفيان بن حرب بالطائف أيضا . القُلُص بضم القاف واللام وبالصاد المهملة : جمع قَلُوص ، وهى من الإبل بمنزلة الجارية من النساء ، وهى الشابة . رواسم : جمع رَسُوم وهى الناقة التى تؤثر فى الأَرض من شدة الوطء . الأَزوال : بالزاى واللام : النساء . بقى : بالقاف . طاسم بطاء وسين مهملتين وهو حى من عاد . المنيضين : جمع منيض المعالج للشىء يقال : نُضْتُ الشىءَ إذا عالجته .

(١) ت م : جناناً .   (٢) ثقف : أدرك .   (٣) ط : من حولهم .

ونقل البلاذريّ عن محمد بن السائب رحمه الله تعالى أن ركْبًا من جُذَام صدَروا عن الحج ففقدوا رجلا منهم غالَتْه بيوت مكة ، فلقوا حُذافة بن غانم بن عامر بن عوف فأخذوه فربطوه ثم انطلقوا به ، فتلقّاهم عبد المطلب مُقْبلا من الطائف معه ابنه أبو لهب يقوده وقد ذهب بصره ، فلما نظر إليه حذافة هتف به فقال عبد المطلب لابنه أبى لهب : ويلك ما هذا ؟ قال : هذا حذافة بن غانم مربوطا مع رَكْب . قال : فالحقهم فاسألهم[1] ما شأنهم . فلحقهم فأخبروه فرجع إلى عبد المطلب فأخبره فقال : ما معك . قال : والله ما معى شيء . قال فالحقهم لا أمّ لك فأعطهم بيدك وأطْلق الرجل . فلحقهم أبو لهب فقال : قد عرفتم تجارتى ومالى وأنا أحلف لكم لأعطينكم عشرين أُوقية ذهبا وعَشْرا من الإبل وحُمرا وفرسا، وهذا ردائى رهنًا بذلك. فقبلوا منه فأطلقوا حذافة فأقبل به ، فلما سمع عبدُ المطلب صوتَ أبى لهب قال :وأبى إنك لَعاصٍ ارجع لا أمّ لك ! قال : يا أبتاه هذا الرجل معى فناداه عبد المطلب : يا حُذافة أسمعنى صوتك. فقال حذافة[2] : هأنذا بأبى أنت وأمى يا ساقى الحجيج أرْدِفْنى . فأردفه حتى دخل مكة فقال حذافة :

بنو شَيْبة الحمد الذى كان وجهه ... يضيء ظلامَ الليل كالقمر البدْرِ

كهولُهم خيــــرُ الكهول ونَسْلُهم ... كنسل ملوكٍ لا قِصَار ولا خُزْرِ

لِساقى حجيجٍ[3] ثم للخير هاشمٍ ... وعبد مناف ذلك السيد الفِهْر[4]

ملوكٌ وأبناءُ الملوك وســـــادة ... تفَلَّق عنهم بَيْضَة الطائر[5] الصقرِ

متى تَلْق منهم خارجًا فى شبابه ... تجده على أَحْراء والده يَجْرى

هُم ملأوا البطحاء مجدًا وسُؤْددا ... وهمْ نكَلوا عنا غُوَاة بنى بكرِ

وهم يغفرون الذنب يُنْقَم مثله ... وهم تركوا رأى السفاهة والهُجْرِ[6]

أخَـــارج إمّا أهلكن فلا تزل ... بشَيْبة منكم شاكرا آخر الدهرِ

والقصيدة أطول مما ذكر وهذه[7] خلاصتها .

وروى البلاذرى عن محمد بن السائب أن عبد المطلب أول من خضَب بالوسمة لأن

---

(١) ط : فسلهم .
(٢) ط : فقال حذيفة .
(٣) ت م : بساقى حجيج .
(٤) ت م : القمر .
(٥) ط : بيضة الصائد .
(٦) ت م : والفسر .
(٧) ت م : وهو .

الشيب أسرع إليه فدخل على بعض ملوك اليمن[1] فأشار عليه بالخِضَاب فغيّر شيبته بالحنّة ثم علاه بالوسِمة ، فلما انصرف وصار بقرب مكة جدد خضابه وقد كان تزود من الوسمة شيئا كثيرا ، فدخل منزله وشعره مثل حَلك الغراب ، فقالت امرأته نَتِيلة أم العباس : يا شيب ما أحسن هذا الصبغ لو دام . فقال عبد المطلب :

لو دام لى هذا السواد حمِدْته — وكان بَدِيلاً من شباب قد انصرمْ

تمتعتُ منـه والحياةُ قصيـرة — ولابُدَّ من موتٍ نَتِيلة أو هَرَمْ

وماذا الذى يُجْدِى على المرء خَفْضه — ونِعْمته يومًا إذا عَرْشُه انهـدَمْ

ثم إن أهل مكة خضبوا بعده[2] .

الوَسِمة : كنَبِقة وتسكن : نَبْت يُختضب بورقه .

***

وكان عبد المطلب جَسِيما أبيض وَسِيما طِوَالاً فصيحا ما رآه أحد قط إلا أحبَّه ، وصار إليه السِّقَاية والرِّفَادة ، وشَرُف فى قومه وعظم شأنه . وكان يعرف فيه نور النبوة وهيبة المُلْك .

ومكارمه أكثر من أن تُحصر ، فإنه كان سيد قريش غير مدافَع نفسًا وأبًا وبيتًا وجمالاً وبهاء وفِعَالا .

قال الرشَاطِىّ رحمه الله تعالى : وكان ممن حرَّم الخمر فى الجاهلية . وله عدة بنين وبنات يأتى ذكرهم عند ذكر أعمام النبى صلى الله عليه وسلم وعماته ، وتوفى وله مائة وعشرون سنة ، وقيل خمسٌ وثمانون وقيل غير ذلك .

تنبيـه :

قال السُّهَيلى رحمه الله تعالى: ظاهر حديث أبى طالب لمّا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل لا إله إلا الله كلمةً أشهد لك بها ، فكان آخر كلامه أنه على مِلّة عبد المطلب يقتضى أن عبد المطلب مات على الشِّرك .قال : ووجدت فى بعض كتب المسعودِىّ اختلافا فى عبد المطلب ، وأنه قد قيل فيه مات مُسْلما لِمَا رأى من الدلالات على نبوته صلى الله عليه وسلم وعلم أنه لا يُبعث إلا بالتوحيد . فالله أعلم .

(١) ط : على بعض الملوك .

(٢) طبقات ابن سعد ٥٢/١ (القسم الأول) .

غير أن فى مسند الدّارِمىّ وسنن النّسائى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة وقد عزّتْ قومًا من الأنصار : « لعلك بلغتِ معهم الكُدَى » ويروى الكُرَى بالراء يعنى القبور ؟ قالت لا . قال:[1] « لو بلغتِ معهم ذلك ما رأيتِ الجنة حتى يراها جَدُّ أبيك » وهذا ظاهر فى عدم إسلامه . انتهى .

وقد ذكره ابن السّكن فى الصحابة لما جاء عنه أنه ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم سيبعث كما ذكر بَحِيرى الراهب وسيف بن ذى يزَن وقُسّ بن ساعدة ونظائرهم ممن كان قبل البعثة .

والخبر رواه عنه العباس وتقدم . ولم يتعقب الحافظُ فى الإصابة ابنَ السكن بشىء غير أنه أورده فى القسم الرابع وقد قال فى أول الكتاب : إن القسم الرابع فيمن ذكِر[2] فى كتب الصحابة على سبيل الوهم والغلط، وبيّن ذلك البيانَ الظاهر الذى يعوّل عليه على طريق أهل الحديث . إلى آخره .

والظاهر أن إيراده له فى القسم الرابع إنما هو لكونه لم يدرك البعثة ، فكيفَ يُعدّ من الصحابة كسَيْف بن ذى يزَن فإنه مات بعد المولد بنحو ثلاث سنين، فإنه وإنْ أقر ببعثة النبى صلى الله عليه وسلم فلا يسمّى صحابيا ، لأنه لم يره بعد البعثة ، بل لم يره أصلا .

وقال فى ترجمة أبى طالب فى الكنى، بعد أن أورد قصة الامتحان يوم القيامة : ونحن نرجو أن يدخل عبد المطلب وآل بيته فى جملة من يدخلها طائِعا فينجو[3] . إلى آخره . وتقدم لهذا مزيد بيان فى ترجمة ابنه عبد الله .

ابن هاشم

هاشم : اسم فاعل من الهشْم وهو كسر الشىء اليابس والأجوف. واسمه عمرو العُلَا ، وهو منقول إما من العَمْر بفتح العين الذى هو من العُمر بضمها أى البقاء ، ذكره أبو الفتح ابن جنىّ رحمه الله تعالى فى المبهج[4] وأنشد لأبى القماقم :

يارب زِدْ من عمره فى عمرى   واستوفِ منى يا إلهى نَذْرِى[5]

---

(١) ت م : فقال .
(٢) ت م : فيمن ذكره .
(٣) الإصابة ١١٤/٧ .
(٤) ت م : فى المنهج .
(٥) البيت محرف فى ت م : واستقرى منى ما التى تدرى .

ويحكى أن عيسى بن عمر سأل عمرو بن عبيد فقال : لمَ سُميتَ عَمْرا ؟ فقال له : العَمْر البقاء أطال الله عَمْرك وعُمْرك . قال ابن دِحْية رحمه الله تعالى : إن استعمل العَمْر فى القَسَم فالفتح لا غير . قال تعالى « لعَمْرك إنهم لفى سَكْرتهم يَعْمهون[1] » .

أو من[2] غيره مما هو مذكور فى الروض والزَّهر وغيرهما .

ولُقِّب هاشما لأنه أول من هشَم الثريد لقومه بمكة وأطعمه ، وذلك أن أهل مكة أصابهم جَهْد وشدة فرحل إلى فلسطين فاشترى منها دقيقا كثيرا وكعكا وقَدِم بذلك إلى مكة فأمر به فخبِز ثم نحر جَزُورا وجعلها ثريدا عمَّ به أهل مكة ، ولا زال يفعل ذلك حتى استكفوا[3] وهو أول من سَنَّ الرحلتين ، رحلة الشتاء إلى الحبشة ورحلة الصيف إلى الشام .

قال الرشاطى : كانت قريش تجارتهم لا تَعْدو مكة ، وكانت الأعاجم تَقْدَم عليهم بالسلع فيشترون منهم ، حتى ركب هاشم [إلى] الشام فنزل بقيصر وكان كل يوم يذبح شاة فيصنع جفنة ثريد ويدعو من حوله فيأكلون فذكر [ذلك[4]] لقيصر أن هاهنا رجلا من قريش يَهْشِم الخبز ثم يصبّ عليه المرق ويفرغ عليه اللحم ، وإنما كانت العجم تضع المرق فى الصحاف ثم تأتدم عليه بالخبز ، فدعا به قيصر وكلّمه فأعجبه كلامه وأعجب به وجعل يرسل إليه ويدخل عليه ، فلما رأى مكانه منه قال : أيها الملك إنّ لى قوما وهم تجار العرب فإن رأيت أن تكتب لى كتابا تؤمِّنهم وتؤمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يُستطرف من أَدْم الحجاز وثيابه فيمكّنوا من بيعه[5] عندكم فهو أرخص عليكم . فكتب له كتابَ أمانٍ لمن أتى منهم فأقبل هاشم بالكتاب فجعل كلمّا مرّ بحىٍّ من العرب على طريق الشام أخذ لهم من أشرافهم إيلافًا ، والإيلاف أن يأْمنوا عندهم وفى طريقهم وأرضهم بغير حِلْف ، إنما هو أمان الطريق ، فأخذ هاشم الإيلاف فيمن بينه وبين الشام حتى قدِم مكة فأعطاهم الكتاب ،فكان ذلك أعظم بركة . ثم خرجوا بتجارة عظيمة وخرج هاشم معهم يجُوزهم ويوفيهم إيلافهم الذى أخذ لهم من العرب ، فلم يبرح يجمع بينهم وبين العرب حتى ورد الشام . وماتَ فى تلك السَّفْرة بغزة . فهذا سبب تسميته بهاشم .

---

(١) سورة الحجر ٧٢ .

(٢) أى اشتقاق عمرو من غير ما ذكر .

(٣) ت م : حتى استقلوا .

(٤) من ط .

(٥) ت م : فيملكو ابيعه .

كذا قاله الرشاطى رحمه الله تعالى . وما ذكرناه فى سبب تسميته هاشما هو المشهور . ولامانع أن يكون سُمِّى ببلاد مكة هاشما لِمَا تقدم ، وببلاد قيصر كذلك . والله تعالى أعلم .

وخرج أخوه عبد شمس إلى النجاشي بالحبشة وأخذ لهم كذلك . وخرج أخوهما نَوْفل إلى الأكاسرة بالعراق وأخذ لهم كذلك . وخرج المطَّلب إلى حِمْير باليمن وأخذ لهم كذلك . فكان يقال لهاشم ولعبد شمس وللمطلب ولنوفل ، أولاد عبد مناف : المجِيزون[1] فسادُوا كلهم ، فقال فيهم عبد الله بن الزِّبَعْرَى[2] رضى الله تعالى عنه ، ويقال بل أبوه قائِل ذلك . قال البلاذرى : والأول أثبت :

يا أيها الرجلُ المحوِّل رَحْلَــه	هلاَّ نَزْلت بآلِ عبد منــافِ
الآخذون[3] العَهْد من آفاقها	والــراحلون لرِحْـــلة الإيلافِ
والرائشون وليس يوجد رائشٌ	والقائلون هَلُمّ للأضيــافِ
والخالطون غنيَّهم بفقيــرهم	حتى يكون فقيرهم كالكافى
عمرو العُلَا هشَم الثريد لقومه	سفَر الشتاء ورحلة الإيلافِ[4]

وروى[5] الزبير بن بكّار فى الموفَّقيّات ، عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى قال : كانت قريش فى الجاهلية تَحْتفد ، وكان احتفادها أن أهل البيت منهم كانوا إذا سافَتْ ــ يعنى هلكت ــ أموالُهم خرجوا إلى برازٍ من الأرض فضربوا على أنفسهم الأَخْبية ثم تناوبوا فيها حتى يموتوا خوفا[6] من أن يُعلم بخَلَّتهم . حتى نشأ هاشم بن عبد مناف فلما رَبَل[7] وَعَظُم قَدره[8] فى قومه قال : يا معشر قريش إن العِزَّ مع كثرة العدد ، وقد أصبحتم أكثرَ العرب أموالا وأعزَّهم نَفَرا ، وإن هذا الاحتفاد قد أتى على كثير منكم ، وقد رأيت رأيا . قالوا : رأيك رشيد ، فمُرْنا نأْتمر . قال رأيت أن أخلط فقراءكم بأغنيائكم فأعمد إلى رجل غنى فأضم إليه فقيرا عَدده بعدد عياله[9] فيكون يؤازره فى الرحلتين رحلة الشتاء ورحلة الصيف ، رحلة الصيف إلى الشام ورحلة الشتاء إلى اليمن ، فما كان فى مال الغنى من فضل

---

(١) ت م : : المخبرون ، محرفة .

(٢) ط : عبد الله بن الزبير .

(٣) ط : الآخذ .

(٤) ت م : ورحلة الأضياف .

(٥) ت م : وقال الزبير .

(٦) ط : حتى يموتوا من قبل أن يعلم .

(٧) ت م : فلما رفل ، وربل : قوى واشتد .

(٨) ت م : وعظم قدراً .

(٩) ت م : عياله يعدو مع عياله ، محرفة .

عاش الفقير وعياله فى ظله، وكان ذلك قطعًا للاحتفاد. قالوا: نِعْم ما رأيت. فألّف بين الناس.

[الاحتفاد : خفة العمل والإسراع فيه][1].

وروى البلاذرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال : والله لقد عَلمتْ قريش أن أول من أخذ لها الإيلاف وأجاز لها العِيرات لَهاشم ، والله ما أخذت قريش حَبْلا لسفر ولا أناخت بعيراً لحَضر إلا بهاشم .

وكان هاشم رجلا موسِرًا ، وكان يقوم أول يوم من ذى الحجة فيُسْند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها فيخطب فيقول : يا معشر قريش أنتم سادة العرب أنسابًا ، وأنتم أقربُ العرب بالعرب أرحاما ، يا معشر قريش إنكم جيران بيت الله أكرمكم الله تعالى بولاية بيته وخصّكم بجواره دون بنى إسماعيل، حفظ منكم أحسنَ ما حفظ جارٌ من جاره فأكرموا ضيفه وزوّار بيته ، فإنهم يأتون شُعْثا غُبْرا من كل بلد على ضَوامر كالقِدَاح وقد أرْحَضُوا وتَفِلوا وقَمِلُوا وأرْملوا[2] ، فاقْرُوهم وأَعِينوهم ، ولو كان[3] لى مال يحمل ذلك كله كفيتُكموه[4] وأنا مُخْرِج من طيِّب مالى وحَلَاله ما لم تُقطع فيه رحِم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فواضِعه ، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل ، وأسألكم بحرمة هذا البيت ألّا يُخرج رجلٌ منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله ومعونتهم إلا طيّبا لم يؤخذ ظلما ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا .

فكانت بنو كعب بن لؤى كلها تجتهد فى ذلك ، ثم يخرجون ذلك من أموالهم حتى إنْ كان أهل البيت لَيرسلون بالشىء اليسير على قدرهم ، وكان أهل اليسار منهم ربما أرسل بمائة مثقال هِرَقْلية فيأتون[5] به هاشما فيضعونه[5] فى داره[6] دار النَّدْوة.

وكان هاشم يُخْرِج فى كل سنة مالا كثيرا . وكان يأمر بحِيَاض من أدَم فتجعل فى موضع زمزم من قبل أن تحفر زمزم ثم يستقى فيها من الآبار[7] التى بمكة فيشرب الحاج .

(١) من ط .

(٢) أرحضوا : عرقوا ، وتفلوا : اتسخت أجسامهم، والتافل : ما استقر تحت الشىء من كدرة . وأرملوا : فنى زادهم .

(٣) ط : لو كان .

(٤) ط : كفيتموه .

(٥) الأصل : فيأتوا ، فيضعوه .

(٦) ت م : فى دارهم .

(٧) ط : من الثار .

وكان يطعمهم أول ما يطعمهم قبل التروية بيوم بمكة وبمنى وبِجَمْع وعرفة وكان يَثْرد لهم الخبز واللحم ، والخبز والسمن ، والسويق والتمر ، ويحمل لهم الماء ، ويتفرق الناس لبلادهم .

وكان من أحسن الناس وأجملهم ، وكانت العرب تسميه قِدْح النُّضَار والبدر .

قال أبو سعد النيسابورى رحمه الله تعالى فى « الشَّرَف » : كان النور يُرى على وجهه كالهلال يتوقد ، لا يراه أحد إلا أحبَّهُ وأقبل نحوه .

وبعث إليه قيصر رسولا ليتزوج ابنته لما وجد فى الإنجيل من صفته فأبى .

***

ولهاشم من الأولاد : نَضْلة ، وبه كان يكنى ، وعبد المطلب والعَقِب منه . وأسد والد فاطمة بنت أسد أم سيدنا على رضى الله تعالى عنهما . وأبو صيفى . والشَّفاء ، وخلدة . ورقية وحبيبة .

وله من الإخوة : المطَّلب ، وعبد شمس ، وتماضر ، وقلاَبَة . وأُمهم عاتكة بنت مُرة بن هلال ابن فالج ، بالجيم ، بنَ ذَكْوان بن ثعلبة بن الحارث بن بَهْثة بن سُلَيْم السلمية . ونوفل ، وأبو عمرو واسمه عبيد . قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى : ولا عقب له . وأُميمة ، أُمهم واقدة بنت أبى عدى بن عبد فهم من بنى مازن بن صعصعة .

ورَيْطة بنت عبد مناف ، ولدت فى بنى هلال بن معيط من بنى كنانة وأمها من ثقيف .

وقيل إن هاشما وعبد شمس توأمان وإن أحدهما ولد قبل الآخر . قيل إن الأول هاشم وإن إصبع أحدهما ملتصقة بجهة صاحبه فنحيت فسال دم ، فقيل يكون بينهما دم .

وولى هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان إليه من السقاية والرفادة فحينئذ حسده أُمية ابن عبد شمس بن عبد مناف فنال[1] من هاشم .

فروى البلاذرى عن هشام بن محمد بن السائب رحمه الله تعالى قال : كان أُمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ذا مال فتكلَّف أن يفعل كما فعل هاشم فى إطعام قريش ، فعجز عن ذلك ، فشمت به أُناس من قريش وعابوه لتقصيره ، فغضب ونافرَهاشمًا على خمسين

---

(١) ط : فقال : من هاشم .

ناقة سود الحدق . تُنحر بمكة وإجلاء[1] عشر سنين، وجعَلا بينهما الكاهن الخزاعى، وهو جد عمرو بن الحَمِيق وكان منزله عُسْفان . وكان مع أُمية أَبو هَمْهَمة بن عبد العُزَّى الفِهْرى ، وكانت ابنته عند أُمية ، فقال الكاهن : والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر، وما بالجوّ من طائِر . وما اهتدى بعلَم مسافر ، فى مُنْجد وغائرلقد سبق هاشم أمية إلى المآثر ، أَول منها وآخر ، وأَبو همهمة بذاك خابر . فأَخذ هاشم الإبل ، فنحرها وأَطعم لحمها من حضر . وخرج أُمية إلى الشام فأَقام عشر سنين . فتلك أَولُ عداوة وقعت بين بنى[2] هاشم وأُمية .

مات هاشم بغزة وله عشرون سنة . ويقال خمس وعشرون سنة .

قال البلاذُرِىّ رحمه الله تعالى : وهذا أَثْبت . وهو أَول من مات من بنى عبد مناف . ثم مات[3] عبد شمس بمكة فقُبر بأَجياد . ثم مات [3] نوفل بسلمان من طريق العراق . ومات المطلب برَدْمان من طريق اليمن . وسَلْمان بوزن اسم سلمان الفارسى ، ورَدْمان بوزنه .

ابن عبد مناف

عبد مناف : قال السهيلىّ [مَفْعل من أَناف يُنيف إنافة : إذا ارتفع . وقال المفضَّل رحمه الله تعالى : الإنافة : الإشراف والزيادة . وبه سمى عبد مناف . ومنه تقول : مائة ونيف أَى شىء زائد على المائة][4] واسمه المغيرة منقول من الوصف . والهاء فيه للمبالغة . أَى أَنه يغير على الأَعداء . أَو مُغير من أَغار الحَبْلَ إذا أَحْكمه . ودخلت الهاء للمبالغة ، كما دخلت فى عَلَّامة ونسابة[5] .

قال السهيلى رحمه الله تعالى : ويجوز أَن تكون الهاء فى المغيرة للتأْنيث ، ويكون منقولا من وصف المؤنث[6] .

وكنيته أَبو عبد شمس وأَمّه حُبِّى بضم الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة الممالة . وكان يقال له قمر البَطْحاء لجماله .

---

(1) ط : وعلى جلاء .

(2) ط : بين هاشم .

(3) ط : ومات .

(4) ما بين القوسين ليس فى الروض الأنف .

(5) الروض الأنف ٦/١ ، باختلاف .

(6) الروض : من وصف كتيبة مغيرة أو خيل مغيرة .

وسبب تلقيبه بعبد مناف أن أُمَّه حُبَّى بنت حُلَيْل، بضم الحاء المهملة وفتح اللام، ابن حُبْشِية، بضم الحاء المهملة وقيل بفتحها وسكون الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة وتشديد الياء وقيل بتخفيفها، ابن سَلُول بفتح السين المهملة ولامين الأولى مضمومة، ابن كعب ابن خزاعة[1] قد أَخْدَمَتْه مَناة، وكان صنما عظيما لهم فسمى عبد مناة به. ثم نظر أبوه قُصَىّ فرآه يوافقُ عبد مناة بن كنانة فحوَّله عبد مناف.

وسادَ فى حياة أبيه وكان مطاعًا فى قريش وإياه عنى القائل بقوله:

كانت قريش بَيْضةً فتفلَّقَتْ فالمُحُّ خالِصُه[2] لعبد منافِ

المحُّ بالحاء المهملة: صفرة البيض.

وروى البلاذرىّ عن زيد بن أَسْلَم - رحمه الله تعالى - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع جارية تنشد:

كانت قريش بيضةً فتفلقت فالمحُّ خالِصُه لعبد الدارِ

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبى بكر: كذا قال الشاعر؟ قال أبو بكر: لا. إنما قال[3]: لعبد مناف. قال: كذاك.

قال البلاذرىّ: وزعموا أنه وجد كتاب فى حجَر: أن المغيرة أوصى قريشا بتقوى الله وصلة الرحم.

ابن قصى

قُصَىّ بضم القاف وفتح الصاد المهملة: تصغير قَصِى[4] بفتح القاف، من قصا يَقْصُو إذا أَبْعَد. قاله ابن الأنبارى والزجّاجى - رحمهما الله تعالى: واسمه زيد. قال السُّهيلى: وصُغِّر قَصِىّ على فُعَيْل. لأنهم كرهوا اجتماع ثلاث ياءاتٍ، يعنى ياء التصغير وياء فَعِيل المكبر، والياء المنقلبة عن الواو التى هى لام الفعل لتطرّفها وانكسار ما قبلها، فحذفوا إحداهن وهى الياء [الزائدة[5]] الثانية التى تكون فى فعيل نحو قَضِيب، فبقى على وزن فُعَيْل[6]. قال: ويجوز أن يكون المحذوف لام الفعل. يريد المبْدَلة من لام الفعل، فيكون

---

(1) ت م: من خزاعة. (2) ط: خالصه. (3) ت م: إنما ذلك.

(4) فى الاشتقاق لابن دريد ١٩: وقصى: تصغير قاص. واسمه زيد.

(5) من الروض الأنف. (6) الروض ١/٦.

وزنه فُعَيًّا وتكون ياء التصغير هى الثانية[1] مع الزائدة .

قال الرّشَاطِىّ – رحمه الله تعالى : وإنما قيل له قُصَىّ لأَن أَباه كِلاَب بن مُرّة كان تزوج فاطمة بنت سعد بن سَيَل – بسين مهملة فمثناة تحتية مفتوحتين فلام – لقِّب باسم جبل لطوله . واسمه خَيْر ضد شَرّ . وفى سعد قال الشاعر :

ما أرى فى النـــاس طُرًّا رجلا حضرَ البأْسَ كسعد بن سَيَلْ
فــارس أَضْبَط فيــــه عُسْرة وإذا ما وافق القِـــرْنَ نزَلْ
وتـــراه يَطْـــرد الخيــلَ كمَا يطردالحَرُّ[2] القطامىُّ الحجَلْ[3]

ويقال : إن سعدًا هذا أَول من حلىَّ السيوف بالفضة والذهب .

فولدت له زهرة وقُصَيًّا . فهلك كِلاَب وقصىٌّ صغير . فتزوج فاطمةَ أَمَّ قصى ربيعةُ ابن حرام بن ضَبّة فاحتملها – ربيعةُ ومعها قُصَى صغير . وقال السهيلى : رضيع . قال الرشاطى : فولدت فاطمةُ لربيعة رزَاحا وكان أَخاه لأُمه ، فربىّ فى حجر ربيعة ، فسمى قُصَيًّا لبعده عن دار قومه .

قال الرشاطى : وقال الخطَّابى : سمى قُصَيًّا لأَنه قصا قومَه أَى تقصَّاهم بالشام ، فنقلهم إلى مكة[4] .

قال الرشاطى . وإن زيدًا وقع بينه وبين آل ربيعة شر فقيل له : أَلا تلحق بقومك ! وعيِّر بالغربة وكان لا يعرف لنفسه أَبًا[5] غير ربيعة فرجع إلى أُمه وشكا إليها ما قيل له . فقالت : يا بنى أَنت أَكرم نفسًا وأَبًا ، أَنت ابن كِلاَب بن مرة وقومُك بمكة عند البيت الحرام . فأَجمَع قصى على الخروج ، فقالت له أُمه : أَقم حتى يدخل الشهر الحرام فتخرج فى حاجّ العرب ، فلما دخل الشهر الحرام خرج مع حاج قُضَاعة حتى قدم مكة فحج وأَقام ، فعرفت له قريش قَدْره وفضله وعظَّمته[6] وأَقرتَّ له بالرياسة والسؤدد ، وكان أَبعدها[7] رأْيًا وأَصدقها لَهْجة وأَوسعها بَذْلا ، وأَبْيَنها عَفافا ، وكان أَولُ مالٍ أَصابه مالَ رجل قدم مكة بأُدْمٍ كثير فباعه وحضرته الوفاة ولا وارث له فوهبه لقصى ودفعه له .

---

(١) الروض : هى الباقية . (٢) ت م : الحى . (٣) ط : الجدل .
(٤) وقال ابن دريد فى الاشتقاق ١٨ : وإنما سمى قصياً لأنه قصا عن قومه ، فكان فى بنى عذرة مع أخيه لأمه .
(٥) ت م : آل ، محرفة . (٦) ط : وأعظمته .
(٧) ت م : وكان أسعدها .

وكانت خزاعة مستولية على الأَبْطَح ، وكانت قريش تنزل الشِّعاب والجبال وأَطراف مكة وما حولها فخطب قُصَى إلى حُلَيْل بن حُبْشية الخُزَاعى ابنته حُبَّى ، فعرف حليل نسَبه فزوجه ابنته وحليل يومئذ يلى الكعبة وأَمْر مكة .

فأَقام قُصَى معه وولدت له حُبَّى أَولاده ، فلما انتشر ولده وكثر ماله وعَظُم شرفه هلَك حُلَيْل ، وأَوصى بولاية البيت لابنته حُبّى فقالت : لا أَقدر على فتح الباب وإغلاقه . فجعل ذلك لأَبى غُبْشان ، بضم الغين المعجمة وسكون الموحدة بعدها شين معجمة – واسمه المحترش – بميم فحاء مهملة ويقال بمعجمة فتاء مثناة فوقية ، فراء فشين معجمة – بن حُلَيْل وكان فى عقله خَلل، فاشترى قصىّ منه ولاية البيت بزقّ خمر وقَعُود. فضربت به العرب المثل فقالت : أَخْسَر صفقة من أبى غُبْشان !

فلما أخذ قصى مفتاح البيت إليه أنكرت خزاعة ذلك وكثر كلامها ، وأَجمعوا على حرب قصى وقريشٍ وطَرْدهم عن مكة ومَا والاها :

فبادَر قصىّ فاستصرخ أَخاه رزَاحَ بن ربيعة فحضر هو وإخوته ، وكانت بنو صوفة تَدْفع الناس بالحج من عرفة إذا نفروا من مِنىً، فلم يَجْسر أَحدٌ من الناس أن ينفر ولا يرمى حتى يرموا ، فلما كان هذا العام فعلت بنو صوفة كما كانت تفعل ، فأَتاهم قصى بمن معه من قريش وكنانة وقُضاعة عند العقَبة فقال لبنى صوفة : نحن أَوْلى بهذا منكم . فقاتلوه فاقتتل الناس قتالا شديدا وكثر القتلُ فى الفريقين فانهزمت صوفة وغلبهم على ما كان بأَيديهم من ذلك ، فانحازت خزاعة وبنو بكر عن قصىّ ، وعلموا أنه سيمنعهم كما منع من ذلك بنى صوفة ، وأَنه سيَحُول بينهم وبين الكعبة وأَمر مكة ، فاجتمع لحربهم فخرجت خزاعة وبنو بكر فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا ، ثم إنهم تداعَوْا إلى الصلح وأَن يحكِّموا رجلا من العرب ، فحكموا يَعْمر بن عوف بن كعب المعروف بالشدَّاخ فقضى بينهم بأَن قُصَيًّا أَولى بالكعبة وأَمرِ مكة من خزاعة ، وأَن كل دمٍ أَصابته قريش من خزاعة موضوع يَشْدَخه[1] تحت قدميه ، وأَن ما أَصابته خزاعة وبنو بكر من قريش

(١) ت م : شدخه .

وبنى كنانة فيه الدِّية . فودَوا[1] خمسمائة وعشرين دية وثلاثين جريحا . وأن يخلَّى بين قُصَىّ وبين البيت . فسمى يَعْمر بن عوف الشدَّاخ لِمَا شدخ من الدماء ووضع .

فولِيَ قصىٌّ أمرالكعبةومكة وجمعَ قومه من منازلهم إلى مكة فملَّكوه عليهم ، ولم تكن مكة بها بيت فى الحرم وإنما كانوا يكونون بهاحتى إذا أَمسَوْا خرجوا لا يستحلون أن يصيبوا فيها جناية ، ولم يكن بها بيت قديم .

فلما جمع قصىٌّ قريشا – وكان أدْهَى من رئى من العرب – قال لهم : هل لكم أن تصبحوا بأَجمعكم فى الحرم حولَ البيت؟ فوالله لا يستحل العرب قتالكم ولا يستطيعون إخراجكم منه وتسكنونه فتسودوا العربَ أبدا . فقالوا : أنت سيدنا ورَأْيُنا تبعٌ لرأيك . فجمعهم ثم أصبح بهم فى الحرم حول الكعبة .

وكان قُصَىّ أول بنى كَعْب بن لُؤَىّ أصاب مُلْكا أطاع له به قومه ، فكانت إليه الحِجَابة والسِّقَاية والرِّفادة والنَّدْوة واللواء ، وحاز شرف مكة كله جميعا . فسمى مجمِّعا لجمعه قومَه . وفى ذلك قال الشاعر :

أَبوكم قُصَىٌّ كان يُدْعى مُجَمِّعا ... به جمَع الله القبائلَ من فِهْـرِ
وأَنتم بنـــو زيــدٍ وزيدٌ أَبوكم ... به زِيدت البطحاءُ فَخْرًا على فَخْرِ

وبنى دار الندوة . والندوة فى اللغة : الاجتماع . لأنهم كانوا يجتمعون فيها للمشورة وغير ذلك ، فلا تنكح امرأة ولا يتزوج رجلٌ من قريش ، ولا يتشاورون فى أمر إلا فى داره ، ولا يعقدون لواء حرب إلا فيها يعقدها لهم قصى أو بعض بنيه[2] .

قال أبو عبيدة : ولما وَلِى قصى أمرَ مكة قال : يا معشر قريش ، إنكم جيران الله وجيران بيته ، وأهل حرَمه ، وإن الحاج زوّار بيت الله فهم أضياف الله وأحق الأَضياف بالكرامة أضياف الله فترافدوا ، فاجعلوا لهم طعاما وشرابًا أيامَ الحج حتى يَصْدروا ، ولو كان مالى يسَع ذلك قمت به ، ففرض عليهم[3] خَرْجا تُخْرِجه قريش من أموالها فتدفعه إليه فيصنع به طعامًا وشرابا ولبنا وغير ذلك للحاج[4] بمكة وعرفة فجرى ذلك من أمره حتى قام الإسلام .

---

(١) ط : فدوا .

(٢) خبر قصى وولايته البيت فى سيرة ابن هشام ١/١١٧ ، والاكتفا ١/٧٢ ، وتاريخ الطبرى ٢/١٨٢ .

(٣) ط : عليه . (٤) ط : للحجاج .

قال السهيلى رحمه الله تعالى : وكان قُصَىّ يسقى الحجيج فى حياض من أدمٍ يُنقل إليها الماء من بئر ميمون وغيرها خارج مكة ، وذلك قبل أن يحفر العَجُول .

وروى البَلَاذُرىّ عن معروف بن خَرّبُوذ وغيره قالوا : كانت قريش قبل قصى تشرب من بئر حفرها لُوَىّ بى غالب خارج مكة ومن حياض ومن مصانع على رؤوس الجبال ومن بئر حفرها مُرّة بن كعب مما يلى عرفة . فحفر قصى بئرًا سماها العَجُول ، وهى أول بئر حفرتها قريش بمكة وفيها يقول رَجّاز الحاجّ :

نَرْوى [من][1]العَجُول ثم نَنْطلق   إنَّ قصيّا[2]قد وفَى وقد صَـدَقْ

بالشِّبْع للناس ورِىّ مُغْتَبقْ

وقال آخر :

آبَ الحجيجُ طاعمين دسَما   أَشبعهم زيدُ قُصىٌّ لَحْمَا

ولَبَنًا مَحْضا[3] وخبزا هَشْما [4]

خرٌبوذ بفتح المعجمة وتشديد الراء وبسكونها ثم بموحدة مضمومة وواو[5] ساكنة .

وآب . بالمد : رجع .

ويروى أن قصيا قال للأكابر من ولده : من عظَّم لئيما شرَ كه فى لؤمه ، ومن استحسن مستقبحا شرَكه فيه ، ومن لم تُصْلحه كرامتكم فداووه[6] بهوانه ، فذاك دواء يحسم الداء والعِىُّ عِيَّان : عىّ إفحام ، وعى المنطق بغير سَدَاد ، والحَسُود : العدوُّ الخَفِىّ ، ومن سأَل فوق قَدْره استحقّ الحِرْمان .

وقُصَىّ أَحدثَ وقود النار بالمُزدلفة ليراها من دَفع من عرفة . وقسم قصىٌّ مكارمه بين ولده ، فأَعطى عبدَ مناف السِّقاية والندوة ، فكانت فيه النبوّة والثروة . وأَعطى عبدَ

---

(١) من أخبار مكة ص ٣٣٧ (ط جوتنجن) وروايته فيه :

« أروى من العجول ثمت انطلق »

ورواية البلاذرى فى أنساب الأشراف ٥١/١ :

« تروى على العجول ثم تنطلق »

(٢) ط : إن قريشاً .

(٣) ت م ص : مخضاً ، وما أثبته من ط .

(٤) أنساب الأشراف للبلاذرى ٥١/١ .

(٥) ت م ص : وراء ، محرفة ، والتصويب من ط .

(٦) ط : فداروه .

الدار الحجابَة واللواء . وأعطى عبدَالعُزَّى الرِّفَادة [1] والضيافة أيامَ منى ، فكانوا [2] لا يُجيزون [3] إلا بـأَمره .

وأعطى عبدَ قصى جَلْهَمَتَى [4] الوادى . فسادت بنو قصى الثلاثة .

ثم مات [5] قصى بمكة فأَقام بنوه أَمرَ مكة بعده فى قومهم [6] ودفن بالحَجُون ، فتدافن الناسُ بعده بالحَجُون .

ابن كلاب

كِلاَب : بكسر الكاف وتخفيف اللام منقول . وفى وجه نقله عن الجمع وجهان : أَحدهما : ما ذكره السُّهيلى : إما من المصدر الذي فى معنى المكالبة نحو كالَبْتُ العدوَّ مُكَالبةً وكِلابا ، وإما من الكلاب [7] جمع كَلْب لأَنهم يريدون الكثرة كما سمَّوا بسبَاع وأَنمار [8] .

والثانى : ما نقله فى « المورِد » و « الفتح » عن بعضهم أنه كان محبًّا للصيد مولَعًا به بالكلاب وجمع منها شيئا كثيرا ، فكان إذا مرَّ بكِلاَب على قوم قيل : هذه كلاب ابن مُرّة . فبقى لقبًا له .

فائدة : قيل لأَبى الدُّقَيْش الأَعرابى : لم تسمون أبناءكم بأَشرّ الأَسماء نحو كلاب [9] ، وذئب وعبيدَكم بأَحسن الأَسماء نحو مَرْزوق ورباح . فقال : إنا لَنسمى [10] أبناءنا لأَعدائنا وعبيدَنا لأَنفسنا [11] يريد أن الأَبناء عدة للأَعداء وسهام فى نحورهم [12] فاختاروا لهم هذه الأَسماء .

قال ابن دِحْية رحمه الله تعالى : فكان الرجل إذا تشاجرَ مع كُفْوه قال [13] : اخرج يا كلب أَو يا سباع أَو يا نمر أَو يا عَلْقمة إلى غير ذلك . وقيل لدفع السُّوء عن أَبنائهم .

واسمه حكيم . ويقال : الحكيم . وقيل : المهذَّب . وقيل عُرْوة . نقله الجوّانى فى المقدمة .

قال المحب بن الشهاب بن الهائم : والصحيح الأَول . قال بعض العرب :

---

(1) ط : الرفادة . والرفادة الضيافة وأيام منى .

(2) ط ت م : كانوا ، وما أثبته من ص .

(3) كذا فى ط ، وفى ص ت م : لا يخبزون .

(4) الجلهمة : فم الوادى أو وسطه . وانظر النهاية لابن الأثير وبهامشها الدر النثير ١/٢٠٢ .

(5) ط : ومات .

(6) ت م ص : فى يومهم ، وما أثبته من ط .

(7) ت م ص : من الكلبى ، والتصويب من ط .

(8) الروض الأنف ١/٦ .

(9) ط : نحو كلب .

(10) ط : إنا نسمى .

(11) الاشتقاق لابن دريد ص ٤ : وقيل للعتبى . . فذكر نحوه .

(12) ط : لنحورهم .

(13) ط : يقال .

حكيم بن مُـــرّة ساد الورى ببَذْل النوالِ وكفِّ الأذى[1]

وكنيته أبو زهرة . وهو أول من جعل[2] السيوف المحلاّة بالبيت ، وذلك أن سعد ابن سيَل جد ابنه قصى لأُمّه هو[3] أول من حلَّى السيوفَ بالذهب والفضةو أهدى إلى كلاب بن مرة مع ابنته فاطمة أُمِّ قُصَىّ سيفين مُحَلَّيين فجعلهما كلاب فى خزانة الكعبة . ذكره أبو الربيع[4] .

وأُمّه هند، ويقال نعم[5] بنت سُرَيْرٍ[6] ـ بمهملات مصغراً ـ ابن ثعلبة .

قال البلاذرىّ : والأول أثبت . وكان له من الذكور ابنان قُصَىّ وزُهْرة ، بضم الزاى بلا خلاف . وبه كان يكنى كما تقدم . وهو جد النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم من قِبَل أمه .

قال الحافظ : والمشهور عند أهل النسب أن زُهْرة اسم رجل . وشذّ ابن قتيبة فزعم أنه اسم امرأة . وهو مردود بقول إمام أهل النسب هشام بن الكلبى : أن اسم زُهْرة : المغيرة .

قال السهيلى : وما قاله ابن قتيبة منكَر غير معروف .

ابن مرة

مُرّة . بضم الميم . وفيما نقل منه وجوه : أحدها : أنه منقول من وصف الحنظلة والعلقمة ، وكثيرا ما يسمون بحنظلة وعلقمة . والتاء على هذا للتأنيث .

الثانى : أنه منقول من وصف الرجل بالمرارة . قاله أبو عبيد. يقال : مرَّ الشىء وأمرَّ إذا اشتدت مرارته .

قال السهيلى : ويقوّى هذا قولهم : تميم بن مُرّ . فالتاء على هذا للمبالغة .

---

(١) ص : وكف العطا .

(٢) ط : أول من جلب .

(٣) ط : وهو .

(٤) الاكتفا ١/٣٢ .

(٥) هامش ط : لعله نعيم مصغراً .

(٦) هامش ط : لعله : سويد ، والذى فى طبقات ابن سعد ١/٣٥ ، وأم كلاب بن مرة : هند بنت سرير بن ثعلبة ابن الحارث .

الثالث : قال السهيلى : وأحسب أنه من المسمَّيْن[1] بالنبات لأن أبا حنيفة ذكر أن المرّة بقْلة تُقْطع[2] فتؤكل بالخل يشبه ورقها ورق الهندباء .

الرابع : أنه مأخوذ من القوة كما فى قوله تعالى (ذو مِرَّة)[3] أى قوة . ويقال مَرَّ الرجلُ[4] إذا أَحْكم صنعته .

الخامس : أنه منقول من قولهم : مرَّ الشىء إذا اشتدت مرارته . قال تعالى : (والساعةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ)[5] نقله ابن دِحْية عن أبى عبيدة .

وكنيته أبو يَقَظة – بمثناة تحتية فقاف فظاء معجمة مفتوحات ثم هاء – وأمّه مَخْشِيّة – بميم مفتوحة فخاء ساكنة فشين مكسورة معجمتين فمثناة تحتية مشددة – ويقال : وَحْشية ، بنت شَيْبان بن محارب بن فِهْر .

وله من الولد ثلاثة : كِلاَب وتيم ، رهط أبى بكر الصديق ، وطلحة بن عُبَيد الله أحد العشرة رضى الله تعالى عنهم . ويقظَة المكنى به ، ومنه بنو مخزوم .وأمهما[6] البارقة .

ابن كعب

كعب : اختلف مما ذا نُقل على أقوال : الأول : أنه منقول من الكعب الذى هو قطعة من السمن الجامد فى الزِّق أو فى غيره من الظروف ، كما أن الكعب القطعة من الأقط[7] حكاه الزَّجاجى والسهيلى[8] فى آخرين .

الثانى : أنه منقول من كعب الإنسان وهو ما شرف فوق رُسْغه عند قدمه . وعلى هذا فقيل : نقل منه لارتفاعه وشرفه على قومه . واختاره الزجاجى وغيره لثبوته ، من قولهم ثبت ثبوتَ الكعب . واختاره السهيلى ، واستدل له بما جاء فى خبر ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما : أنه كان يصلى عند الكعبة يوم قُتل وحجارة المنجنيق تمرّ بأُذنه ، وهو لا يلتفت كأنه كعبٌ راتِب[9] .

---

(١) فى ص ت م : من اسمين . والتصويب من ط .
(٢) ط : تقلع .
(٣) سورة النجم ٦ .
(٤) كذا فى ط . وفى ص ت م : مرالشئ .
(٥) سورة القمر ٤٦ .
(٦) ص ت م : أمهما .
(٧) ص ت م : من الإبط ، وما أثبته من ط .
(٨) الروض ١/٦ .
(٩) الراتب : المقيم الثابت .

الثالث : أنه من كعب القناة . ذكره[1] ابن دُرَيد[2] . قال فى الزَّهْر : ولعله أَشْبه ويترشح بقول بعضهم : سمِّى بذلك لارتفاعه على قومِهِ وعلوّه عليهم وشرفه فيهم.

وكنيته أبو هُصَيْص - بمهملتين مصغر - والهَصُّ : شدة القبض والغمز[3] : وقيل : شدة الوطء للشيء حتى يَشْدخه .

وأُمّه ماوِيّة - بواو - مكسورة فمثناة تحتية مشددة - بنت كعب بن القَيْن القضاعية .

وكان عظيم القَدْر عند العرب ، ولهذا أَرَّخوا بموته، إلى أن كان عام الفيل فأَرخوا به ، ثم أَرّخوا بموت عبد المطلب .

قال السُّهيلى : وكعب بن لؤىّ هذا أول من جَمَّع[4] يومَ العَرُوبة ، ولم تسم العَرُوبة الجمعة إلاَّ منذ جاء الإسلام فى قول بعضهم . وقيل هو أول من سماها الجمعة . انتهى . وصحح هذا الثانى المحب ابن الهائم . وقال ابن حزم : يوم الجمعة اسم إسلامى ولم يكن فى الجاهلية لأنه يجتمع فيه للصلاة أحد من الجَمْع . قال فى الزهر[5] : وفى تفسير عبد ابن حُمَيْد بسند صحيح عن ابن سيرين رحمه الله تعالى قال : جَمَّع أَهلُ المدينة قبل أن تنزل الجُمْعة وقَبْل[6] قدوم النبى صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين سمَّوها الجمعة . وهو يؤيد ما ذكره ابن حزم ولهذا مزيد بيان يأْتى إن شاء الله تعالى فى الباب الثانى[7] من أبواب الحوادث .

وكان يجمع قومه فى هذا اليوم ويخطبهم . قال أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف رحمه الله تعالى : فيقول أَمّا بَعْد فاسمعوا وَعُوا ، وافهموا وتعلموا ، ليلٌ ساجٍ ، ونهار ضاحٍ والأَرض مِهَاد ، والسماء بِنَاء ، والجبال أَوتاد ، والنجوم أَعلام ، لم تُخْلَق عبَثا فتَضْربوا عنا صَفْحًا ، الآخِرون كالأَوّلين ، والذكَرُ كالأُنثى ، والزَّوجُ والفَرْد إلى بِلَى . فصِلُوا أَرحامَكم ، وأوفوا بعهودكم ، واحَفظُوا أَصهارَكم ، وثَمِّروا أَموالكم[8] ، فإنَّها قِوَام مروءتكم فهل رأيتم من هالك رجع ، أَو ميت نُشر ، الدار أَمامكم .واليقين غير ماتظنون،

---

(١) ط : وذكره .
(٢) الاشتقاق ٢٤ .
(٣) ط : والغمر .
(٤) جمع : أى جمع قومه وخطبهم .
(٥) ص ت م : وفى الزهر .
(٦) ت م : وعند قدوم .
(٧) من ط .
(٨) ص : أبوابكم ، وت م : أبوالكم ، وهو تحريف ، وما أثبته من ط .

حرَمكم زيّنوه وعظّموه ، وتمسكوا به ، فسيأتى له نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبى كريم ، بذلك جاء موسى وعيسى صلى الله عليهما وسلم ، ثم يقول :

نهارٌ وليل كل أوْب بحادث[1] سواء علينا ليلُها ونهارُها

على غفلة يأتى النبىُّ محمدٌ يخبّر أخبارًا صدوقا[2] خبيرُها

والله لو كنت ذا سمع وبصرٍ[3] ، ويدٍ ورجل ، لَتَنَصَّبْتُ فيها تنصُّبَ الجمل ، ولأرْقلتُ فيها إرقال الفحل . ثم يقول :

يا ليتنى شاهدٌ فحواء[4] دعوته حِين العشيرةُ تبغى الحقَّ خُذْلَانا

وكان بين موته ومبعث النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وستون سنة . رواه أبو نُعَيْم[5] وغيره .

وهو أول من قال : « أمّا بَعْد » فى أحد الأقوال . وله من الذكور ثلاثة : مُرّة ، وهُصَيْص المكنىّ به ، وعَدِى .

ابن لؤى

لُؤَىّ : بضم اللام ويهمز ويسهَّل : واختلف فى المنقول منه على أقوال : أحدها أنه تصغير لَأْى واختلف فى اللأْى ما هو ؟ فقال : ابن الأنبارى فى جماعة منهم أبو ذَرّ الخُشَنى : اللَّأْى الثور الوحشى. وقال أبو حنيفة : اللأْى : البقرة قال : وسمعت أعرابيا يقول : بكَم لَأْيُك هذه ؟ وقال السُّهيلى : اللأْى : البُطْء بضم الباء مهموزا ضد الأَناة وتَرْك العجلة[6] .

الثانى : أنه منقول من لواء الجيش .

الثالث : أنه منقول من لِوَى الرمل المقصور : قالهما ابن دريد[7] .

وكنيته أبو كعب .

وكان له من الذكور سبعة : كعب المكنّى به وعامر رَهْط سُهَيْل بن عمرو وهما

---

(١) ص ت م : وحادث. (٢) ص ت م : صدوق . (٣) ص : وذا بصر .

(٤) ص : فى وقت دعوته ، وت م : فى هذا الوقت دعوته ، والشطر الثانى من البيت منقول فى غير موضعه فى ص ت م ، وما أثبته من ط .

(٥) دلائل النبوة لأبى نعيم ٥١ ، والوفا ٧٣/١ . (٦) الروض ٦/١ .

(٧) الاشتقاق ٢٤ ونصه : « إما تصغير لواء الجيش وهو ممدود ، أو تصغير لوى الرمل وهو مقصور أو تصغير لأى تقديره لعى وهو الثور الوحشى » .

صريحًا لُؤَىّ . وسامَة بسين مهملة بلا ألف قبلها وأمهم ماويّة . وهم بنو ناجِيَة فى عُمَان وخُزَيْمة بن لؤىّ بطن هم عائِذَة قريش ، وسعد بن لُؤَىّ بطن وهم بُنَانَة بموحدة مضمومة ونونين، والحارث وهم[1] جُشَم ، كان جُشَم عبدًا للؤىّ حضَنه فغلب عليه . وعوف وهم من[2] غطَفان .

وأمه عاتكة بنت يَخْلُد – بمثناة تحتية فخاء معجمة ساكنة فلام مضمومة فدال مهملة – ابن النضر بن كنانة . ويقال : بل سَلْمى بنت الحارث بن تميم بن هُذَيْل بن مُدْرِكة .

وكان لؤى حليما حكيما[3] نطق بالحكمة صغيرا . قال البَلَاذُرِىّ : روى أن لؤيا قال : من رَبَّ معروفَه لم يَخْلَق ولم يَخْمل ، فإذا خمل الشىء لم يُذكر ، وعلى من أُولِى معروفا نَشْره ، وعلى المولِى تصغيره وطَيّه .

ابن غالب

غالب : منقول من اسم فاعل مشتق من الغَلَب ، يقال : غلَبْته غلَبًا بفتحات فأنا غالب .

وكنيته أبو تميم . وله ولدان لا غير : لؤى وتَيْم المكنى به . وهو المعروف بتيم الأَدْرَم لأن أحد لحْيَيْه كان أنْقَص من الآخر . وفى قريش تَيْمان : تَيْم بن مُرّة . وتيم الأَدْرم ، وكان كاهنا وأمه ليلى بنت الحارث بن تميم بن هُذَيْل بن مُدْرِكة .

ابن فهر

فِهْر بكسر الفاء وسكون الهاء فراء منقول من الفِهْر ، وهو من الحجارة الطويل . قاله السُّهيلى[4] . قال الخُشَنِى : الفِهْر حَجَر ملء الكف يذكر ويؤنث[5] وفى « تقويم المفْسَد »[6] عن الأصمعى : من أنث الفِهْر أخطأ .

وكنيته أبو غالب. وأمه جَنْدلة، بجيم فنون ساكنة فدال مُهْملَة، بنت عامر بن الحارث

(١) ط : وهو ، قال فى القاموس : وجشم عبد حبشى حضن الحارث بن لؤى فقيل لبنيه : بنو جشم .

(٢) ص ت م : وعرف فى غطفان ، محرفة عن التصويب بن ط .

(٣) كذا فى ط ، وفى ت م : وكان لؤى حليما نطق . . . إلخ ، وفى ص : وكان لؤى حكيما نطق . . . إلخ .

(٤) الروض ١/٧ .

(٥) شرح السيرة لأبى ذر ص ٣ ، ونصه : الحجر على مقدار ملء الكف .

(٦) كذا فى ط ، وفى ص ت م : تقويم المفسرين ، محرفة .

ابن مُضَاض الجُرْهمىّ ، وكان رئيس أهل مكة وكان له من الولد : غالب ، وأسد ، وعوف ، وجَوْن ، ورَيْث[1] والحارث ، بطن ، ومحارب ، بطن ، وهما من قريش الظواهر . وقيس : وهو قريش فى قول أبى بكر محمد بن شهاب الزُّهْرى ونسبَه البيهقىّ والحافظ لأكثر أهل العلم .

قال ابن شِهاب : وهو الذى أدركتُ عليه من أدركتُ من نُسَّاب العرب : أن من جاوز فِهْرا فليس من قريش . وبه قال الشَّعْبى وهشام بن محمد الكلبى ، ومُصْعَب بن عبد الله الزبيرىّ وخَلْق ، وصحّحه الحافظ شرف الدين الدمياطى والحافظ أبو الفضل العراقى وغيرهما .

قال الحافظ صلاح الدين بن العَلَائىّ : وعليه جمهور أهل النسب .

وقيل : إن قريشا هم بنو النَّضْر بن كنانة . وإليه ذهب محمد بن إسحاق ، وأبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى ، وأبو عبيد القاسم بن سلام . وبه قال الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه وعنهم وغيره .

قال الحافظ صلاح الدين العلائى : وهو الصحيح الذى عليه المحققون والحجة له حديث الأشعث بن قيس رضى الله تعالى عنه قال : قدِمْت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد كِنْدة فقلت : ألستم منا يا رسول الله ؟ قال : لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نَقْفُوا[2] أُمَّنا ولا نَنْتفى من أبينا .

رواه ابن ماجه[3] . قال العلائى رجاله ثقات .

ووجه الدلالة منه ظاهر[4]. أى لا نترك النسب إلى الآباء وننتسب إلى الأمهات .

وقيل : إن قريشا بنو إلياس بن مضر . نقله الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر عن التميمية وصححه قال : وهو اختيار أبى عمرو بن العَلاء وأبى الحسن الأخفش وحمَّاد ابن سلمة وعبيد الله بن الحسن بن سوار[5] . وروى مثله عن أبى الأسود الدؤلى .

---

(١) كذا فى ط ، وفى ص ت م : وذئب .

(٢) كذا فى ط ، وهو الصواب ، وفى ص ت م : لا تقفو .

(٣) سنن ابن ماجه ٨٧١/٢ كتاب الحدود باب من نفى رجلا من قبيلته (حديث رقم ٢٦١٢) .

(٤) ط : ظاهرة .

(٥) كذا فى ط ، وفى ص ت م : ابن سيوار ، محرفة .

وقيل إنهم جميع بنى مُضَر بن نِزَار . ونقله الأُستاذ عن القَيْسية وبه قال مِسْعَر بن كِدَام . وروى مثله عن حُذَيْفة بن اليمَانى رضى الله تعالى عنهما .

وقيل إنهم بنو قُصَىّ بن كلاب . حكاه الماوردى وأبو عمرو بن الأثير فى الجامع وغيرهما[1] وهو قول المبرِّد. قال فى النُّور : وهو قول باطل . وكأنه قول رافضىّ ، لأنه يقتضى أن يكون أبو بكر وعمر ليسا من قريش ، وإذا لم يكونا من قريش فإمامتهما باطلة ، وهذا خلاف إجماع المسلمين . انتهى .

واختلفوا لم سمى بقريش على أقوال : أحدها بدابّة عظيمة فى البحر من أقوى دوابه سميت به قريش لقوتها لأنها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تُعْلَى . قاله ابن عباس حين سأله معاوية ، واستشهد له بقول الشاعر الجُمَحىّ :

وقريش هى التى تسْكن البحر ... بها سُمِّيت قريش قُرَيْشَا

سَلَّطت بالعلوّ فى لُجة البحر ... على ساكنى البحور جيوشَا

تأكل الغَثَّ والسَّمين ولا تَتْـ ... ـرك يومًا لذى الجناحَيْن رِيشَا

هكذا فى العِبَاد حىُّ قريشٍ ... يأكلون البلادَ أكْلا كَشِيشا[2]

ولهم فى آخِر الزمانِ نبىٌّ ... يُكثر القتلَ فيهمُ والخمُوشَا

تملأ الأرضَ خيلُه ورجالٌ ... يَحْشرون المطىَّ حَشْرا كَمِيشَا

رواه ابن عساكر .

وروى ابن أبى شيبة أن ابن عباس سأله عمرو بن العاص : لم سميت قريشٌ قريشا ؟ قال : بالقرش دابّة تأكل الدوابَّ لشدتها . وإلى هذا القول ذهب محمد بن سَلَام ، ورجحه أبو بكر بن الأنبارى . وقال المطرزىّ رحمه الله تعالى عن[3] هذه الدابة : إنها ملكة دواب البحر وأشدها ، فكذلك قريش سادات الناس .

وقيل سموا قريشا لأنهم كانوا يتّجرون ويأخذون ويعطون ، من قولهم قرَش الرجلُ يَقْرش إذا اتَّجرَ وأخذ وأعطى وقيل إنما سميت قريشًا من الإقراش وهو وقوع الرايات

---

(١) ط : وغيرهم .

(٢) كذا فى ط ، وفى ص : كفيشا ، وفى ت م : كنيشا ، وكلاهما تحريف. والكشيش : صوت الأفعى من جلدها ، ومن الزند : صوت خوار عند خروج النار .

(٣) ص ت م : فى هذه .

والرماح بعضها على بعض . وقيل إنها سميت قريشا من التَّقْريش وهو التحريش . حكاه ابن الأَنْبَارى .

[وقيل : من تزيين الكلام وتحسينه][1]

قال الزجاجى : وهو بعيد لأَن المعروف فى اللغة أَن التقريش هو التحريش لا أَن التقريش هو تزيين الكلام وتحسينه. وقيل إنما سميت قريشا ، من التقريش وهو التفتيش ، لأَنهم كانوا يفتشون عن ذى الخَلَّة ويسدّون خلته . ذكره بعض العلماء .

وقيل إنما سمِّيت قريشا بقريش ابن بدر بن يَخْلُد بن النَّضْر بن كِنَانة ، فكان دليل بنى النضر وصاحب مِيرتهم[2] ، وكانت العرب تقول : قد جاءت عِيرُ قريش ، وخرجت عِير قريش . نقله أَبو عمرو وغيره . وهو ما يعضِّد قولَ ابن إسحاق .

وقيل إنما سميت قريشا لما جمعهم قُصىّ بن كلاب حين قدِم مكة كما تقدم ، والتقرش : التجمع . نقله أَبو عمرو وغيره .

***

إذا عُلِم ذلك : فقريش فرقتان : بطَاح . وظواهر . فقريش البِطَاح : من دخل مكة مع قُصَىّ الأَبطح . والظواهر : من أَقام . بظواهر مكة [3]ولم يدخل الأَبطح ولهذا مزيد بيان فى اسمه الأَبطحى صلى الله عليه وسلم .

والنسبة إلى قريش : قُرَشِى وقُرَيْشى والثانى هو القياس .

واختلف القائلون أَن فهرًا هوقريش . هل الأَول اسم ، والثانى لقب ؟ أَو بالعكس . قولان رجَّح الزبيرُ[4] وغيره أَن فِهْرًا لقَب وأَن الاسم الذى سمَّته به أُمّه : قريش . والله تعالى أَعلم .

وله من الذكور سبعة : غالب ، والحارث ، وأَسد ، وعوف ، ورَيْث ، وجَوْن ومُحَارِث . ومن الإناث واحدة وهى جَنْدلة .

---

(1) زيادة يستقيم بها الكلام .

(2) كذا فى ط ، وهو الصواب ، فى ص ت م : صاحب سيرتهم .

(3) ط : من أقام بمكة .

(4) كذا فى ط وهو صواب ، وبقية النسخ : ابن الزبير ، محرفة ، وهو الزبير بن بكار .

ابن مالك

مالك : اسم فاعل من ملك يملك فهو مالك . وجمعه مُلَّاك ومُلَّك .

ويكنى أبا الحارث وأمه عاتِكة . ولقبها عِكْرِشَة بنت عَدْوان بن عمرو بن قيس بن عَيْلان بعين مهملة مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة . وقيل : عرابة بنت سعد القَيْسية . وقيل غير ذلك .

ولم يكن له من الولد غير فِهْر .

ومن حِكَمه : رُبَّ صورة تخالف المخْبَرة ، قد غَرَّت بجمالها ، واختُبر قبيح فِعَالها[١] فاحذر الصُّوَر ، واطلب الخُبَر .

ابن النضر

النَّضْر : بفتح النون وإسكان الضاد المعجمة ثم راء واسمه قيس ، ولقِّب النَّضْر لنضارة وجهه وجماله ، منقول من النضر اسم للذهب الأحمر ، ويكنى أبا يَخْلُد بمثناة تحتية مفتوحة فخاء معجمة فلام مضمومة فدال مهملة .

وله من الذكور : مالك ويَخْلد . وبه كان يكنى ، والصَّلْت وأُمّه بَرَّة[٢] بنت مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر . قال السهيلى : خلَف عليها كنانةُ بعد أبيه فولدت له النضرَ بن كنانة وكان ذلك مباحا فى الجاهلية بشرع متقدِّم ولم يكن من المحرَّمات التى انتهكوها ولا من العظائم التى ابتدعوها ، لأنه أمرٌ كان فى عمود النسب . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « أنا من نِكَاح لا من سِفَاح » . ولذلك[٣] قال تعالى : (وَلا تَنْكحوا ما نكَح آباؤكم من النساء إلاَّ ما قد سلَف[٤]) أى ما قد سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام وفائدة الاستثناء أنه لا يعاب نسب النبى صلى الله عليه وسلم ، وليُعْلمه أنه لم يكن فى أجداده من كان لِغِيَّة[٥] ولا من سِفَاح ، ألا ترى أنه لم يقل لشىء نهى عنه فى القرآن « إلا ما قد سلَف » نحو قوله (ولا تَقْربوا الزِّنَا[٦]) ولم يقل إلا ما قد سلف . ولا فى شىء

---

(١) ص ت م : قبيح أفعالها .
(٢) ص ت م : مرة بنت مرة ، محرفة ، والتصويب من ط .
(٣) ص ت م : وكذلك .
(٤) سورة النساء ٢٢ .
(٥) كذا فى ط ، وهو الصواب ، وفى ص : من كان بغياً ، وفى ت م : من كان بغيته .
(٦) سورة الإسراء ٣٢ .

من المعاصى التى نهى عنها إلا فى هذه الآية . وفى الجمع بن الأختين، لأن الجمع بين الأختين قد كان مباحا أيضا فى شرع مَنْ قَبْلنا ، وقد جمع يعقوب صلى الله عليه وسلم بين راجيل[1] أى بالجيم وأختها ليّا . فبقوله (إلا ما قد سلف) التفات فى هذه المعنى وتنبيه على[2] هذا المَغْزَى[3] وهذه النكتة تلقَّيتها من شيخنا الإمام الحافظ أبى بكر محمد بن العربى رحمه الله تعالى . انتهى . وتبعه على ذلك أبو الرَّبيع[4] وزاد أن عادة أهل الجاهلية إذا مات الرجل خلَف على زوجته بعده أكبرُ بنيه من غيرها إلى آخره .

قال فى المورد : ولما وقفت على هذا القول أقمت مفكرًا مدة ، لكون بَرَّة[5] المذكورة كانت زوجا لخزيمة بن مُدْركة . فتزوجها بعده ولده كِنَانة بن خزيمة فجاء له منها النضر ابن كنانة ، وأن هذا وقع فى نسب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروينا من طريق المدَائِنِيّ عن أبى[6] الحُوَيْرث ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ولدنى من سفاح أهل الجاهلية شىء ما ولدنى إلا نكاحٌ كنكاح أهل الإسلام » ويقول ابن الكلبى رحمه الله تعالى إنه كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة أمّ فلم يجد فيها شيئا مما كان من أمر الجاهلية[7] .

ثم[8] رأيت أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله تعالى قد ذكر فى كتاب له سمّاه كتاب « الأصنام » قال فيه : وخلَف كنانة بن خزيمة على زوجة أبيه بعد وفاته وهى بَرَّة بنت أدّ بن طانجة بن الياس بن مُضَر وهى أم أسد بن الهُون بن خُزَيْمة . ولم تلدْ لكنانة ولدا ذكرًا . ولكن كانت بنت أخيها وهى برة بنت مر بن أد بن طانجة ، أخت لجشم بن مُرّ، عند كنانة بن خزيمة ، فولدت له النضر بن كنانة. قال : وإنما غلط كثير من الناس لمّا سمعوا أن كنانة خلَف على زوجة أبيه ، ولاتفاق اسمهما وتقارب نسبهما وقع هذا الذى عليه مشايخنا وأهل العلم بالنسب . قال : ومعَاذ الله أن يكون أصابَ نسبَ سيدنا رسول الله صلى

(١) ص ت م : مراجيل .
(٢) ص ت م : عن هذا .
(٣) ت م : المغمى .
(٤) الاكتفا ٢٣/١ .
(٥) ت م : لكون أن برة .
(٦) كذا فى ط ، وهو الصواب ، وفى ص ت م : على بن الحويرث ، محرفة .
(٧) طبقات ابن سعد ٣١/١ (القسم الأول ط ليدن) .
(٨) ط : ورأيت .

الله عليه وسلم مَقْتُ نكاح . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما زلت أخرج من نكاح كنكاح الإسلام حتى خرجت من أبي وأمى » قال: فمن اعتقد غير هذا فقد كفر وشك فى هذا الخبر .

ونقل فى الزَّهْر كلام الجاحظ وفيه أن بَرَّة كانت بنت أد بن طابخة التى خلَف عليها كنانة ماتت ولم تلد له فتزوج بعدها بابنة أخيها بَرّة ، فأولدها أولادًا . انتهى . قال فى الزهر : وهذا هو الصواب . وقال بعد ذلك فى موضع آخر : وإن خلافه غلط ظاهر ، لأنه مصادِم لقوله صلى الله عليه وسلم : « لم يجمع الله أبوىَّ على سفاح قط . » وهذا سفاح بإجماع ، ولا يَعتقد هذا فى نسبه الطاهر أحدٌ من المسلمين . ثم قال[1] : وهذا الذى يَثْلج به الصدرُ ويذهب به وحَره ويزيل الشكَّ ويطفئ شرَره .

قلت : وما ذكره الجاحظ من النفائس التى يُرحل إليها . وقد قدمنا فى طهارة نسبه صلى الله عليه وسلم ما يؤيد ذلك . والسهيلى رحمه الله تعالى تبع فى ذلك الزبير ، والزبير كأنه تبع الكلبى ، والكَلْبى ذكر[2] ذلك كما نقله عنه البلَاذُرِىّ ، والكَلْبى متروك ، ولو نقلَ ذلك ثقةٌ لم يُقْبَل قولُه فى ذلك لبُعد الزمان وعدَم المشاهَدة ومخالفة الأحاديث السابقة فى طهارة نسبه صلى الله عليه وسلم .

على أن الزمخشرى جزَم بأن الاستثناء فى الآية إنما سيق للمبالغة فى التحريم وسدّ الطريق[3] إلى الإباحة لأن المعنى إن أمْكنكم أن تَنْكحوا ما قد سلَف فانكحوه . فإنه لا يحل لكم غيره ، من قِبَل أنه علّق نقيضَ المدَّعى وهو إثبات الحل بالمحال وهو نكاح ما[4] سلف ، فيكون مُحَالاً ، وحينئذ فعدَم الحِلِّ متحقق إذ ذاك ، لا سيّما وقد أخبر عنه بأنه كان فاحشة ومَقْتا وساء سبيلا ، بخلاف الجمْع بين الأختين فإنه مع ذكر الاستثناء فيه أيضا وقع مقترنا بما يدل على أن ما وقع منه قبلُ كان مغفورا حيث عقَّب[5] بقوله تعالى : « إن الله كان غفورا رحيما » . وهذا كما فى قوله :

ولا عَيْبَ فيهم غير أن سيوفهم ... بهنَّ فُلُولٌ من قِرَاع الكتائب

(١) ط : وقال .
(٢) ص : قال . والكلمة ساقطة من ت م .
(٣) ط : وسد الطرق .
(٤) ص ت م : من سلف .
(٥) ص : عقبه .

فأكد المدحَ بما يشبه الذم ، لأن المعنى إن كان فلول السيف عيبا فهو عيب ، وليست بعيب لأنها من كمال الشجاعة فإثبات العيب على هذا التقدير تعليق بمحال ، كما فى قوله تعالى : « حتى يَلج الجملُ فى سَمِّ الخِيَاط »(١) وعلى هذا جرى الإمام الطيبى رحمه الله تعالى وبسط الكلام عليه ، والله تعالى أعلم .

ابن كنانة

كنانة : بكسر الكاف ونونين مفتوحتين بينهما ألف ثم هاء منقول من الكِنَانة التى هى الجَعْبَة بفتح الجيم وسكون العين المهملة ، سمى بذلك لأنه كان سترا على قومه كالكنانة الساترة للسهام . قال الزجاجى من أمثالهم : « قبل الرِّمَاء تُملأُ الكَنَائن » . ويكنى أبا النضر وأمه عَوانة بنت سعد بن قيس بن عَيْلان بن مضر . ويقال هند بنت عمرو(٢) بن قيس بن عَيْلان . وقال أبو الحسن سلاَّم بن عبد الله بن سلاَّم الإشْبِيلى . قال أبو عمرو رحمه الله تعالى : قال عامر العَدْوانى لابنه فى وصيته : يا بنى أدركتُ كنانة بن خزيمة وكان شيخا مُسِنًّا عظيم القَدْر ، وكانت العرب تحجُّ إليه لِعلْمه وفَضْله ، فقال : إنه قد آنَ خروجُ نبيٍّ من مكة يُدْعَى أَحمد ، يدعو إلى الله وإلى البِرّ والإحسان ومكارم الأخلاق ، فاتَّبعوه تَزْدادوا شرفا وعِزًّا إلى عزكم .

قال أبو الربيع رحمه الله تعالى : إن كنانة رأى وهو نائِم فى الحجر فقيل له : تخيَّر يا أبا النضر بين الصَّهِيل والهَدْر وعمارة الجُدر وعزِّ(٣) الدهر . فقال : كلٌّ يارب . فصار هذا كله فى قريش(٤) .

وله من الذكور : مِلْكان : بكسر الميم وسكون(٥) اللام والنضر . وهو المكنىّ به وعمرو وعامر .

ابن خزيمة

خُزَيْمة : بضم الخاء المعجمة وفتح الزاى منقول من مصغر خَزْمة بفتح الخاء وسكون الزاى وقيل من مصغر خِزْمة بكسر الخاء . فعلى الأول اختلف فى الخزمة ما هى . فقيل هى :

---

(١) سورة الأعراف ٤٠ .

(٢) ط : قال أبو عمرو عامر العدوانى .

(٣) ص ت م : وعزة الدهر .

(٤) الاكتفا ٢٣/١ .

(٥) ط : وإسكان .

واحد الخَزم وهو مثل الدَّوْم غير أنه أقصر وأعرض وأعْبَل وله أقناء وبُسْر يَسْوَدّ إذا أينع ، لأنه صغير معرفص ، يتخذ من سعفه الحبال ويصنع من أسافله خلايا للنحل ، وله ثمر لا يأكله الناس ولكن تألفه الغربان وتستطيبه . قاله[١] أبو حنيفة الدِّينَوَرِىّ رحمه الله تعالى . وقيل : الخزمة خوصة المقل . حكاه الزجَّاج رحمه الله تعالى. وقيل هى مصدر للمرّة من الخزم . وهو شدّ[٢] الشئ وإصلاحه حكاه السهيلى . وقيل إنما هي[٣] من الخَزْم وهو من الشك يقال شراك مخزوم ومَشْكوك . حكاه الزجاجى أيضا .

وعلى الثانى فالخزامة قيل هى بُرَة فى أنف البعير يشد بها[٤] الزمام . وقيل إنما هى الحلقة التى تجعل فى أنف البعير من شعر ونحوه،قال فى «الغُرَر المُضِيّة» ولم أر من تعرض لوجه المناسبة للنقل مما ذكر ، لكن قد يقال إن الانتقال لا يراعى فيه ذلك . بخلاف الألقاب .

ويكنى أبا أسد . وأمه سلمى بنت أسلم بن الحاف بن قضاعة ، وقيل سلمى بنت أسد ابن ربيعة .

وله من الذكور أربعة : كنانة وأسد المكنى ، وأسدة وهو رجل . وعبد الله، والهُون .بضم الهاء .

قال البلَاذُرِىّ : وأمهم بَرّة بنت مُرّ بن أدّ بن طابخة أخت تيم بن مرة[٥] وكانت له على الناس مكارم أخلاق وأفضال بعدَد الزمان حتى قيل فيه :

أمّا خُزَيْمة فالمكارمُ جَمّـــــــةٌ ... سبقَتْ إليه وليس ثَمَّ عَتِيـــدُ

وروى ابن حبيب بسند جيد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : مات خزيمة على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

ابن مدركة

مُدْركة : بضم الميم وإسكان الدال المهملة وكسر الراء وفتح الكاف ثم هاء مبالغة ، منقول من اسم فاعل من الإدراك . واسمه عمرو على الصحيح الذى قال به الكَلْبى والبلاذرىّ

---

(١) ص ت م : قال .

(٢) ص ت م : شدة ، وما أثبته من ط .

(٣) ص ت م : إنما هو .

(٤) ط : يشد فيها .

(٥) أنساب الأشراف ٣٥/١ (ط دار المعارف) : أخت تميم بن مر ، وهي كذلك فى الاكتفا ٢٣/١ .

وأبوعبيد القاسم بن سَلَّام وابن دُرَيْد[1] والمبّرد . حتى بالغ الرضيّ الشاطبي وادَّعى فيه الإجماع .

وقال ابن إسحاق : عامر[2] . وضعِّف .

وكنيته أَبو هذيل ويقال له أَبو خزيمة .

والسبب فى تلقيبه بذلك أن أَباه إلياس خرج هو وبنوه مُدْرِكة وعمرو وعامر وعُمَيْر ، وأمهم ليلى بنت حُلْوان[3] بن الحاف فى نُجْعَة[4] فنفرت إبلُهم من أَرنب فخرج إليها قال ابن السائِب : عمرو . وقال الزبير : عامر[5] فأَدركها . وخرج عامر ، وقال الزبير: عمرو: فاصطاد الأَرنب فطبخها فسمى طابِخة ، وانقمع عُمَير فسمِّى قَمْعة . وخرجت أُمُّهم لَيْلَى مُتَخنْدفَة ، والخَنْدَفة : مَشْىٌ فيه سُرْعة وتقارُب الخطى . والنون زائِدة . وعن الخليل أن الخَنْدفة مِشْية كالهَرْولة للنساء خاصة دون الرجال . فقال لها الياس أين[6] تُخَنْدفين ؟ فسميت خِنْدِف .

وقال أَبو محمد عبد الله البطليوسى رحمه الله تعالى : مرَّ عامر بالأَرنب فقتلها فقال له أَخوه عمرو : وأَنا[7] أَطبخ صيدك . فطبخه عمرو وأَدرك عامر الإِبل فردها فحدَّثا بِهَا أَباهما فقال :

أَدركْتَ ياعامرُ ما أَرَدْنَا وأَنت ما أَدركتَ قد طَبَخْنَا

وقال لعُمير : وأَنت قد أَسَأْت وانقَمَعْنَا

قيل : ومن ذرية قَمعة عمرو بن لُحَىّ بن قمعة بن إلياس ، وهو الذى غيَّر دين إبراهيم صلىالله عليه وسلم كما سيأتى بيان ذلك .

ابن الياس

الياس بهمزة وصل تفتح فى الابتداء وتسقط فى غيره ، واللام فيه للتعريف وقيل للَمْح الصفة ، مشتق من اليأس الذى هو ضد الرجاء وصححه السُّهيلى وقال ابن الأَنبارى : بهمزة قطع فى الوصل والابتداء .

---

(١) الاشتقاق ٣٠ . (٢) سيرة ابن هشام ٢/١ .

(٣) كذا فى ط ، وهو الصواب ، وفى ص ت م : بنت جوان .

(٤) النجعة : طلب الكلأ فى موضعه .

(٥) الاكتفا ٢٠/١ ، وخرج عمرو وعامر فى آثار الإبل .

(٦) ص ت م : أنت تخندفين . (٧) ط : أنا .

واختلف فى اشتقاقه فقيل : من قولهم : رجل أَلْيَس وهو الشجاع الذى لايفر . وقال البَلَاذُرِىّ : أخبرنى الأَثْرم عن أبى عبيدة قال : يقال للسلّ والنحافة : اليأس قال الشاعر[1] :

هو اليأسُ أو دَاء الهُيَـامِ أَصابَنِى ... فإياكَ عنِّى لا يَكُنْ بك مابِيَـا

قال : وقد يكون الياس مشتقا من قولهم : فلان أَلْيَس وهو الشديد المِقْدام الثابت القلب فى الحروب . قال العَجَّاج :

أَلْيَسُ يَمْشى قُـدما إذا اذكَـر ... ما وعـد الصابرُ من خيرٍ صَبَرْ[2]

وقال الأَثْرم : حكى خالد بن كلثوم : الأَسد أَلْيَس . وقال أَلْيَس: بَيِّن اللَّيَس . وجمع أَلْيَس أَلياس . وقيل غير ذلك .

والمعروف أن الياس اسمه وحكى بعضهم أن اسمه حبيب وكنيته أبو عمرو .

وأمّه : قيل من ولد معدّ بن عدنان وعليه فقيل هى الرَّبَاب بنت حَيْدة بن معدّ بن عدنان . ذكره الطبرى[3] . وقيل هى الحَنْفَاء بنت إياد : بن مَعَدّ بن عَدْنان . نقله أبوالربيع عن الزبير[4] وقيل جُرْهمية . ذكره ابن هشام ولم يسمّها .

قال ابن الزبير : ولما أدرك الياس أنكرَ على بنى اسماعيل ماغيّروا من سنن آبائهم وسيرهم ، وبان فضلُه عليهم وجمعهم رأيه ورضوا به فردَّهم إلى سنن آبائهم ، ولم تزل العرب تعظمه تعظيمَ أهل الحكمة ، كتعظيمها لقمانَ وأشباهه .

قال ابن دِحْية رحمه الله تعالى : وهو وَصِىّ أبيه . وكان ذا جمال بارع .

قال السُّهَيْلى : ويُذْكر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاتسبُّوا الياس فإنه كان مؤمنا[5] » انتهى . وسيأتى لهذا مزيد بيان فى ترجمة مضر . وذكر أنه كان يُسمع فى صلبه تلبية النبى صلى الله عليه وسلم بالحجّ . وهو أول من أهدى إلى البيت البُدن . قاله ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما .

---

(١) نسبه السهيلى فى الروض ٧/١ إلى عروة بن حزام ، وروايته عنده : بى اليأس ، ونسبه فى الأغانى إلى مجنون ليلى من قصيدته اليائية التى تسمى المؤنسة ، وهو كذلك فى ذم الهوى ٤٠٤ .

(٢) ص ت م : ما وعد الصابر خير معتبر ، وما أثبته من ط .

(٣) تاريخ الطبرى ١٨٩/٢ .

(٤) الاكتفا ١٩/١ .

(٥) الروض ٨/١ .

ابن مضر

مُضَر بضم الميم وفتح الضاد المعجمة . وهو غير مصروف للعلمية والعدل عن ماضر . لقب بذلك لأنه كان يضير[1] قلبَ من رآه لحسنه وجماله . وقال القُتَبى : مشتق من المضِيرة ، أو من اللبن الماضر . والمضِيرة شئ يصنع من اللبن[2] . فسمى مضرا لبيضه .

واسمه عمرو . وكنيته أبو الياس . وأمّه سَوْدة بنت عَكّ بن عدنان . وكان يقال له مضر الحمراء ، قيل : لأن العرب تسمى الأبيض الأحمر . قاله السُّهَيْلى[3] . والذى ذكره ابن جَرِير والماوردى والزبير والبَلاذُرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن نِزَاراً أباه لما حضرتْه الوفاة أوصى بنيه وهم : مضر وربيعة وإياد وأنمار فقال : هذه القبة ــ لقبة حمراء من أدَم ــ وما أشبهها من المال لمضر . وهذا الخِبَاءُ الأسود وما أشبهه لربيعة . وهذه الخادم وكانت شمطاء وما أشبهها لإياد . وهذه البَدْرة[4] والمجلس لأنمار يجلس فيه وقال البَلاذُرى رحمه الله تعالى إنه أوصى له بحمار وفى ذلك قال الشاعر :

نِزَار كان أَعْلَم إذ تولّى[5] ... لأىٍّ بنيــه أَوْصَى بالحِمــارِ

وقال لهم : إذا أَشْكَلَ عليكم الأمر فى ذلك واختلفتم فى القسمة فعليكم بالأَفْعَى الجُرْهمى ، وكان بنجران .

فلما مات نِزَار اختلفوا وأشكل عليهم أمرُ القسمة فتوجهوا إلى الأفعى ، فبينما هم فى مسيرهم إليه إذ رأى مُضَرُ كَلأً قد رُعِيَ فقال : إنَّ البعير الذى رعَى هذا لأعوَر . فقال ربيعة : وهو أَزْوَر . وقال إياد : وهو أَبْتَر . وقال أنمار وهو شَرُود . فلم يسيروا إلا قليلا حتى لقيهم رجل تُوضِع به راحلته فسألهم عن البعير فقال مضر : أهو أعور ؟ قال: نعم . قال ربيعة : أهو أَزْوَر ؟ قال : نعم . قال إياد : أهو أبتر ؟ قال : نعم . قال أنمار : أهو شَرُود ؟ قال : نعم هذه والله صفة بعيرى دُلُّونى عليه فحلفوا له أنهم ما رأوه . فلزمهم وقال كيف أفارقكم وأنتم تَصِفون بعيرى بصفته ؟ فساروا وسار معهم حتى قدِموا نجران فنزلوا

---

(١) كذا فى ط ، وفى ص ت م : يمضر .

(٢) ص ت م : فى اللبن .

(٣) الروض ١/٨ .

(٤) ص ت م : وهذه البردة ، وما أثبته من ط .

(٥) كذا فى ط ، وفى ص ت م : إذ توفى .

بالأَفعى الجُرْهمى ، فحاكمهم صاحبُ الجمل إلى الأفعى وقال : بعيرى وصَفُوا لى صفته ثم قالوا لم نره .

فقال لهم الأَفعى : كيف وصفتموه ولم تروه ؟ فقال له مضر : رأَيته يرعَى جانبا ويترك جانبا فعرفت أَنه أعور . وقال ربيعة : رأَيت إحدى يديه ثابتةً والأُخرى فاسدة الأَثر فعلمت أنه أَفْسدها بشدة وطئه[1] وطلبه لازوراره وقال إياد : عرفتُ بَتَره باجتماع بَعْره ولو كان ذيَّالاً لمصَعَ به[2] . وقال أنمار : عرفت أنه شَرُود بأَنه كان يرعى فى المكان الملتفّ نَبْته ثم يَجُوزه إلى مكان أَرقّ منه وأَخْبَث . وحلفوا أَنهم ما رأَوه . فقال الأَفعى : ليسوا بأَصحاب بعيرك فاطلبه .

ثم سأَلهم من أَنتم ؟ فأَخبروه فرحَّب وقال : تحتاجون إلىَّ وأَنتم فى جَزالتِكم وصحة عقولكم وآرائكم على ما أَرى ؟ ! .

ثم خرج عنهم وأرسل إليهم بطعام فأَكلوا وبشراب فشربوا فقال مضر : لم أَر خمرا أَجود منها لولا أَنها نبتت على قبر . وقال ربيعة : لم أَر كاليوم لحماً أَطيب لولا أنه ربى بلبن كلب[3] وقال إياد : لم أَر كاليوم رجلا أَسْرَى[4] لولا أَنه ليس لأَبيه الذى يُدعى له . وقال أنمار : لم أَر كاليوم كلاما أَنفع فى حاجتنا . وسمع الأَفعى كلامهم فقال : ما هؤلاء الشياطين ، ثم أَتى أُمّه فسأَلها فأَخبرته أَنها كانت تحت ملِك لا يولد له فكرهتُ أَن يذهب الملك فأَمكنتُ رجلاً نزل بنا فجئت أَنت منه . وقال للقهرمان : الخمر الذى شربنا ما أَمرها ؟ قال : من حبْلة غرستُها على قبر أَبيك . وسأَل الراعى عن اللحم فقال : شاة أَرضعناها من لبن كلبة[5] ولم يكن فى الغنم غيرها . فقيل لمضر : من أَين عرفت الخمر . فقال : لأَنى أَصابنى عطش شديد . وقيل لربيعة من أَين علمت اللحم ؟ قال لأَن لحم الكلب يعلو شَحْمه بخلاف لحم الشاة فإن شحمها يعلو لحمها . وقيل لإياد : من أَين علمت أن نَسَبى لغير أَبى ؟ قال : لأَنه وضِع الطعام ولم تجلس معنا فيكون أَصلك دنيئا .

---

(١) كذا فى ط وهو الصواب ، وفى ص ت م : بشدة نعليه لازدواره . وفى الاكتفا ١٧/١ : لشدة وطئه .

(٢) مصعت الدابة بذنبها : حركته وضربت به .

(٣) الاكتفا : بلبن كلبة .

(٤) ت م : أنضر .

(٥) ص ت م : من لبن كلب .

فقال : قصُّوا علىّ قصتكم . فقصوا عليه ما أوصى به أبوهم وما كان من الاختلاف بينهم . فقال : ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر . فصارت إليه الدنانير والإبل ، فسمى مُضَر الحَمْراء . قال : وما أَشبه الخِبَاء الأَسود من دابة ومال فهو لربيعة فصارت إليه الخيل وهى دهم . فسمى ربيعة الفَرس . قال : وما أشبه الخادم وكانت شمطاء من مال فيه بلق فهو لإياد فصارت الماشية البُلْق له فقيل إياد الشمطاء . وقضى لأنمار بالدراهم والأَرض فساروا من عنده وهم على ذلك[1] .

قال محمد بن السائب فيما رواه البَلاذُرىّ عنه : ومُضَر أول من حدا للإبل[2] وكان سبب ذلك أنه سقط من بعيره وهو شاب فانكسرت يده فقال : يا يداه يا يداه فأَتَتْ إليه الإبل من المرعى فلما صح وركب حدَا ، وكان من أحسن الناس صوتا . قال البلاذرى : وقيل بل كسرت يد مولى له فصاح فاجتمعت عليه الإبل فوضع الحُداء وزاد الناس فيه قال السهيلى وفى الحديث : « لاتسبُّوا ربيعة ومضر فإنهما كانا مؤمنَيْن » .

وروى ابن حبيب بسند جيد عن سعيد بن المسيَّب مرسَلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تسبُّوا مضر فإنه كان على ملة إبراهيم » ورواه الزبير والبلَاذُرى بسند جيد عن الحسن مرسلا مثله . ورواه البلاذرى عن عبيد الله بن خالد مرسلا نحوه .

وروى ابن حبيب بسند جيد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : مات أُدَد والد عدنان ، وعدنان، ومعدّ ، وربيعة ، ومضر ، وقيس عَيْلان[3] وتيم وأسد وضبة وخزيمة على الإسلام على ملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم .

ومما يؤثر من حِكَم مضر : من يزرع شرا يحصد ندامة ، وخير الخير أَعْجَله ، فاحملوا أنفسكم على مكروهها فيما يصلحكم ، واصرفوها عن هواها فيما أفسدها ، فليس بين الصلاح والفساد إلاَّ صَبْر فَواق .

الفَواق : قال فى الصِّحاح ما بين الحَلْبَتين من الوقت ، لأنها تحلب ثم تترك سُوَيْعة يرضعها الفصيل لتَدِرّ ثم تُحلب .

---

(١) ص ت م : وهم كذلك . والخبر فى الاكتفا ١٦/١ — ١٨ .
(٢) ص ت م : حدا الإبل .
(٣) ص ت م : وقيس بن عيلان .

وله من الولد الياس بالمثناة التحتية ، والنّاس بالنون . قال الوزير المغربى : بتشديد السين المهملة ، وهو عَيْلان بعين مهملة فمثناة تحتية . قال البلاذرى : حضنه غلام لمضر يقال له عَيْلان فسمى به ، فقيل لابنه قيس بن عَيْلان بن مُضَر وهو قيس بن النّاسّ وأمّهما الرَّبَاب .

وقال الجوّانى : قولهم قيس المراد به من ولد قيس بن عيلان بن مضر قال : ومن العلماء من يقول إن عيلان كان حاضنا لقيس[1] وليس بابن . فتقول قيس عَيْلان بن مُضَر فتضيفه إليه كما قيل فى قضاعة سعد هُذَيْم . وهذيم حاضنه . والأول أصح وهذه روايتنا عن شيوخنا .

ابن نزار

نِزَار بكسر النون وتخفيف الزاى . قال أبو الفرج الأموىّ : مأُخوذ من التَّنزُّر[2] لأَنه كان فريد عصره . وقال السُّهيلى : من[3] النَّزْر وهو القليل ، لأَن أباه حين ولد له ونظر إلى النور بين عينيه وهو نور النبوة الذى كان ينقل فى الأَصلاب ، فرح به فرحا شديدا ونَحَر وأطعم شيئاً كثيرا وقال : هذا نَزْر قليل فى حق هذا المولود. فسمى نِزَارا لذلك .

وقال الإمام أبو الحسن الماوردىّ رحمه الله تعالى فى كتاب « أَعْلام النبوة » له : إن نزارا كان اسمه خلدان وكان مقدَّما وانبسطت له[4] اليَدُ عند الملوك ، وكان مهزول البدن . فقال له ملك الفُرْس : مالك يا نزار ؟ قال وتفسيره فى لغة الفرس : يا مهزول . فغلب عليه هذا الاسم[5] . قال العلامة المحب ابن شهاب الدين بن الهائِم : وهو غريب جدا .

وكنيته أَبو إيَاد . وقيل أَبو ربيعة . وأُمّه معانة بعين مهملة فنون بنت جَوْشم بجيم وزن جعفر . وقيل اسمها عَنَّة بفتح العين المهملة وتشديد النون بنت جَوْشَن بنون بدل الميم . وقيل فى اسمها غير ذلك واتفقوا على أنها جُرْهمية .

---

(١) ط : حاضنا قيساً .

(٢) ط : من التفرد .

(٣) ص ت م : بمعنى .

(٤) ط : به اليد .

(٥) أعلام النبوة للماوردى ص ١١٨ .

مَعَدّ : بفتح الميم والعين وتشديد الدال المهملتين ، وفيما هو منقول منه أقوال : أحدها أن يكون مَفْعلًا بفتح العين من قولك عددت الشئ أعده عدًّا . حكاه ابن الأنبارى والزجاجى عن قطرب .

الثانى : أن يكون فَعَلاً بفتح العين من قول العرب معَد الرجلُ فى الأرض إذا ذهب . فيما حكاه الزجاجى فى مختصر الزاهر وحكاه أيضا السهيلى ، إلا أنه فسر قولهم معَدَ فى الأرض بأفسَد فيها . قال السهيلى : وإن كان ليس[1] من الأسماء غير الأعلام ما هو على وزن فعل إلا مع التضعيف فإن التضعيف يُدخل فى الأسماء[2] ما ليس منها[3] . كما قالوا : شمَّر[4] وقشعزيرة ونحو ذلك[5] .

الثالث : أن يكون من المعْد[6] وهو موضع رِجْل الفارس من الفَرس وموضع رجل الراكب من المركوب . حكاه الزجاجى فى مختصر الزاهر . وحكى السهيلى نحوه عن ابن الأنبارى ، إلا أنه قال من المعدَيْن وهما موضع عقِبَىِ الفارس من الفرس . قال السهيلى : وأصله على القولين الأخيرين من المعْد بسكون العين وهى القوّة . ومنه اشتقاق المِعدة . وذكر الزجاجى نحوه فقال : ويجوز أن يكون من قول[7] العرب : قد تَمَعْدد الرجلُ إذا قوى واشتد وقال أبو الفتح بن جِنّى فى شرح تصريف أبى عثمان المازنى: ويقال تَمَعْدَد الغلامُ إذا صلب واشتد . وقد يكون تمعدد بمعنى خطب وتعبَّد وتكلم . وأنشد قول الراجز :

ربَّيْتـــه حتى إذا تَمَعْـــدَدَا[8] وصار نَهْـــداً كالحصانِ أجرَدَا

كان جَزائى بالعصَا أن أجْلدَا[9] .

قال : وقال عمر رضى الله تعالى عنه : « اخشوشنوا وتمَعْدَدوا » أى كونوا على خلق معد .

---

(١) ط : وإن كان فى الأسماء .

(٢) الروض الأنف : يدخل فى الأوزان .

(٣) ط : فيها .

(٤) ص ت م : فى شمر .

(٥) الروض ١/٨ .

(٦) ص ت م : من المعدى .

(٧) ص ت م : من القول العرب ، محرفة ، وما أثبته من ط .

(٨) ص ت م : وربيته حتى إذا ما تمعددا ، محرفة . وهذا الشطر فى اللسان ٤/٤١٥ .

(٩) ص ت م : وكان جزائى بالغضا أن يعتوى .

وكنيته أبو قضاعة . وقيل أبو نزار . وأمه مَهْدَد بنت اللَّهْم بكسر اللام وسكون الهاء ويقال بالحاء بدل الهاء بن حَجب بجيم مفتوحة فحاء مهملة ابن جديس. وقال بعضهم هى من طَسم .

قال البلاذرى والأول أثبت .

جَدِيس بالجيم والدال المهملة كأمير طَسم بالطاء والسين المهملتين كغَلَس ، قبيلة من عادٍ انقرضوا .

ولما كان زمان بُخْتُ نَصَّر كان لمَعَدّ بن عدنان ثنتا عشرة سنة . قال أبو جعفر الطبرى رحمه الله تعالى : أوحى الله تعالى فى ذلك الزمان إلى أرميا بن خَلِيقا أن اذهب إلى بخت نصر فأعلمْه أنى قد سلَّطْته على العرب واحمل مَعَدًّا على البراق كيلا تصيبه النقمة منهم ، فإنى مستخرج من صُلبه نبيا كريما أختم به الرسل. فاحتمل معدّا على البراق إلى أرض الشام فنشأ فى بنى إسرائيل وتزوج هناك امرأة يقال لها مُعانة[1] بنت جوشن[2] . وقيل إنما حمل معد إلى أرض العراق .

وقال الماوردى فى كتابه أعلام النبوة : إن بخت نصر أراد قتل معدّ حين غزا بلادَ العرب فأنذره نبيٌّ من أنبياء الله تعالى كان فى وقته بأن النبوة فى ولده. فاستبقاه وأكرمه[3].

وروى[4] أبو الربيع غير ذلك من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وهو أنه لما غزا بخت نصر العرب بعث الله تعالى ملكين فاحتملا معدا ، فلما أدبر الأمر ردّاه فرجع[5] موضعه من تِهامة بعد ما رفع الله تعالى بأْسَه عن العرب فكان بمكة وناحيتها مع أخواله من جُرْهم وبها يومئذ بقية هم ولاة البيت يومئذ. فاختلط بهم يومئذ ونا كحهم. وقيل إنما المحمول عدنان قال أبو الربيع . والصحيح الأول[6] .

واختلف فى ولد مَعَدّ . فقال عبد الملك بن حبيب : إنهم سبعة عشر رجلا درَج منهم بلاعقِب تسعة وأعقب ثمانية. فالذين أعقبوا : قُضَاعة بضم القاف وهو بِكْر والده واسمه عمرو

---

(١) ط : نعامة .

(٢) ذكر الطبرى هذا الخبر فى قصة غزو بختنصر العرب ٢٩١/١ ، وفى ذكر نسب معد ١٩١/٢ .

(٣) أعلام النبوة ١١٨ .

(٤) ط : وذكر .

(٥) ط : فجعل .

(٦) الاكتفا ١٢/١ ، ونصه : والأول أكثر .

ولقب قضاعة لمّا تقضّع عن قومه أى بَعُد. ونزار، وإياد الأكبر[1] وحَيْدان، بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وعبيد وهو الرمّاح. وجُنَيْد بجيم مضمومة فتاء مثناة فوقية فتحتية ساكنة فدال مهملة. وسليم وقنص[2] وكلهم انتقلوا إلى اليمن إلا نزارا. وقيل فى عددهم غير ذلك.

وروى الطبرانى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لما بلغ ولد معدّ بن عدنان أربعين رجلا وقعوا فى عسكر موسى فانتهبوه، فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فأوحى الله تعالى إليه لا تَدعُ عليهم فإن منهم النبىَّ الأمىَّ النذير البشير، ومنهم الأمة المرحمة أمة محمد يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى منهم بالقليل من العمل فيدخلهم الجنة بقول لا إله إلا الله، نبيهم محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب المتواضع فى هَيْبته المجتمع له اللِّين[3] فى سكوته، ينطق بالحكمة ويستعمل الحلم، أَخرجتُه من خير جِيل من أمة[4] قريش، ثم أخرجته من صفوة قريش فهو خيرٌ من خير إلى خير هو وأُمته إلى خير يصيرون[5]

وروى الزُّبَيْر بن بَكّار عن مكحول رحمه الله تعالى قال: أغار الضَّحَّاك بن معَدّ على بنى إسرائيل فى أربعين رجلا من بنى معَدّ عليهم درَارِيع الصُّوف خاطمى خيلهم بحبال الليف، فقتلوا وسبَوْا وظفروا. فقالت بنو إسرائيل: يا موسى إن بنى مَعَدّ أغاروا علينا وهم قليل فكيف لو كانوا كثيرا وأغاروا علينا وأنت بيننا فادع الله عليهم فتوضأ موسى وصلى، وكان إذا أراد حاجة من الله صلى ثم قال: يارب إن بنى مَعَدّ أغاروا على بنى إسرائيل فقتلوا وسبَوْا وظفروا وسألونى أن أدعوك عليهم فقال الله: يا موسى لا تَدْعُ عليهم فإنّهم عِبَادى وإنهم ينتهون عند أول أمرى، وإن فيهم نبيا أحبه وأُحب أُمَّته قال: يارب ما بلَغ من محبتك له؟ قال: أغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأَخَّر. قال: يارب ما بلغ من محبتك لأُمته قال: يستغفرنى مستغفرهم فأغفر له ويدعونى داعيهم فأستجيب له قال: يارب فاجعلنى منهم قال: تقدمْت واستأخروا[6].

(١) ص ت م: والأكبر.

(٢) ص ت م: وقنيص، محرفة.

(٣) ص ت م: الملين.

(٤) ط: من أمته.

(٥) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢١٨/٨، ثم قال: وفيه حسن بن فرقد وهو ضعيف.

(٦) الاكتفا ١٣/١، وهى رواية أسطورية لا يؤيدها دليل صحيح، ولا تتفق مع أصول الشرائع.

فائدة : قال النحويون الأغلب على مَعَدّ وقريش وثَقيف التذكير والصرف .

ابن عدنان

بفتح العين وإسكان الدال المهملتين[1] ثم نونين بينهما ألف : مأخوذ من عدَن بالمكان إذا أقام به . حكاه ابن الأَنْبارِىّ والزجَّاجى وغيرهما .

وكنيته أبو معَدّ قال البلَاذُرىّ ويقال إن أول من كسا الكعبة عدنان ، كساها أنطاع الأَدَم .

وله من الولد معَدّ والدِّيث بدال مهملة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فمثلثة . وأبى وأَلْعَىّ[2] بهمزة وعين مهملة[3] مفتوحتين وسكون المثناة التحتية وبعضهم يقول بكسر العين وتشديد الياء والثبت الأول . وعُدَىّ بضم العين وفتح الدال المهملة مصغرا ، كذا وجدته فى نسخة صحيحة مقروءة مقابَلة على عدة نسخ من تاريخ البلَاذُرى .

وذكر السُّهيلى عدن بن عدنان وقال : وإليه[4] تُنسب عَدن[5] ونازَعه فى الزهر فى ذلك ،وقال إنها[6] منسوبة إلى غيره فالله تعالى أعلم .

والحارث والمذْهب[7] ولذلك يقال فى المثل : أَجْمل من المذهب .

وذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى من ولد عدنان عَكًّا[8] ونوزع فى ذلك بأمرين : أَحدهما أَن عدنان والد عَكّ بفتح العين وهو ابن عبد الله بن الأَزْد. وقال ابن المعلَّى فى كتاب الترقيص : وعلى ذلك علماء عَكّ[9] والثانى على تقدير تسليم ما ذكره ابن إسحاق : ليس عكٌّ ابنًا لصُلْب عَدْنان إنما هو على ما ذكره الكلبي والبَلَاذُرىّ فى آخرين : عك واسمه الحارث بن الدِّيث بن عَدْنان .

تنبيه : قد قدَّمنا أن ما سبق هو النسب الصحيح المجمَع عليه فى نسب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن ما بين[10] عدنان إلى إسماعيل فيه اضطراب شديد واختلاف

---

(١) ص ت م : المهملة .

(٢) هامش ص : وألفى .

(٣) ص ت م : مهملتين .

(٤) ط : إليه .

(٥) الروض ١٣/١ .

(٦) كذا فى ص ، وفى ط : وإنها ،وفى ت م : فإنها .

(٧) ط : من الذهب ، محرفة ، وانظر الروض ١٣/١

(٨) سيرة ابن هشام ٨/١ .

(٩) كذا بالأصل .

(١٠) ص ت م : ما بعد .

متفاوت حتى أعرضَ الأكثر عن سِيَاق النسب بين عدنان وإسماعيل .ولكن لاخلاف أن عدنان من ذرية إسماعيل . وإنما الخلاف فى عدد ما بينهما . وقد اختلف النسَّابون فى ذلك ، فذهب جماعة إلى أنه لا يُعرف . ومما استدلوا به ما رواه ابن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا انتسب لم يجاوز فى نَسَبه مَعدَّ بن عدنان بن أدَد ، ثم يُمْسك ثم يقول : كذب النسَّابون[1] وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لو شاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَعْلمه لَعلمه[2] .

وأجيب بأن هشاما وأباه متروكان . وقال السُّهيلى : الأَصح فى هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود[3] .

والقائلون بأنه معروف اختلفوا فقيل : بين عدنان وإسماعيل أربعة وقيل :سبعة وقيل : ثمانية . وقيل :تسعة . وقيل :عشرة . وقيل :خمسة عشر . وقيل :عشرون . وقيل : ثلاثون . وقيل : ثمانية وثلاثون . وقيل :تسعة وثلاثون . وقيل : أربعون . وقيل : أحد[4] وأربعون . وقيل : غير ذلك وبسَط الكلام على ذلك ابن جرير[5] وابن حِبّان وابن مسعود فى تواريخهم وغيرهم ولا حاجة بنا إلى ذلك .

وقال الحافظ رحمه الله تعالى : الذى ترجَّح فى نظرى أن الاعتماد على ما قال ابن إسحاق أولى .

قلت : وصححه أبو الفضل العِرَاقى فى أَلْفِيّة السيرة .

قال الحافظ : وأَوْلى منه ما رواه الطبرانى والحاكم عن أُم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : مَعَدّ بن عَدْنان بن أدد بن زنْد بن اليَرى[6] بن أَعْراق الثَّرَى . قالت : ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « [وأنه] أهلَك عاداً [الأُولى] وثمودَ » « وقُروناً بَيْن ذلك كثيراً » لا يعلمهم إلا الله تعالى . قالت : وأعراق الثّرى: إسماعيل . وزند : هَمَيْسع . ويرى : نَبْت .

---

(١) طبقات ابن سعد ٢٨/١ (القسم الأول) .
(٢) هامش ص : لعلمه – بتشديد اللام الثانية .
(٣) الروض ٨/١ .
(٤) ص ت م : واحد .
(٥) انظر روايات الطبرى فى شأن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عدنان فى تاريخه ١٩١/٢ (ط المصرية) .
(٦) ص ت م : ابن البرا .

قلت : وصححه الحاكم وأقره الذهبي . وقال الحافظ نور الدين الهَيْثمى فى مجمع الزوائد (انتهى) [رواه الطبرانى فى الصغير وفيه عبد العزيز بن عمران من ذرية عبد الرحمن ابن عوف وقد ضعّفه البخارى وجماعة ، وذكره ابن حبّان فى الثقات][1] انتهى .

وزند والد أدد بزاى معجمة فنون[2] فدال مهملة . قال الدارقطنى رحمه الله تعالى : لا نعلم زنداً إلا فى هذا الحديث وزند بن الجون وهو أَبو دُلَامة [3] الشاعر . واليَرى بمثناة تحتية فراء خفيفة مفتوحتين قال الحافظ فى التبصير : واليرى : شجر طيّب الرائحة . انتهى . والثَّرى : بمثلثة فراء لقب إسماعيل لقب بذلك لأنه ابن إبراهيم ، وإبراهيم لم تأكله النار ، كما أَن النار لا تأكل[4] الثرى والله تعالى أعلم .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : فعلى هذا يكون معَدّ بن عدنان كما قال بعضهم : كان فى عهد موسى لا فى عهد عيسى صلى الله عليه وسلم ، وهذا أَوْلى ، لأَن عدد الآباء بين نبينا وبين عدنان نحو العشرين فيبعد كل البعد مع كون المدة التى بين نبينا وبين عيسى كانت ستمائة سنة مع ما عُرف من طول أعمارهم أن يكون معد فى زمن عيسى . وإنما رجَّح من رجح [كون][5] بين عدنان وإسماعيل العدد الكثير استبعادهم أن يكون بين معد وهو فى عصر عيسى بن مريم وبين إسماعيل أربعة [آباء[6]] أو خمسة مع طول المدة ، وما فرُّوا منه وقعوا فى نظيره كما أشرت إليه .

والأَقرب : ما حرَّرْته وهو إن ثبت أن معَدّ بن عدنان كان فى زمن عيسى فالمعتمد أن يكون بينه وبين إسماعيل العدد الكثير من الآباء ، وإن كان فى زمن موسى فالمعتمد أن ما بينهما العدد القليل . انتهى كلام الحافظ رحمه الله تعالى .

وقد تقدم فى ترجمة معَدّ أن أولاده أغاروا على عسكر موسى عليه الصلاة والسلام .

قال السهيلى : وحديث أم سلمة أصح شئ روى فى هذا الباب . ثم قال : وليس هو عندى بمعارِض لما تقدم من قوله : « كذَب النسَّابون » ولا لقول عمر ، لأَنه حديث متأَوّل

---

(١) بياض فى الأصل ، وما أثبته من مجمع الزوائد ١/١٩٣ .

(٢) الأصول : بنون فزاى معجمة .

(٣) ص ت م : أبوه لأمه ، محرفة .

(٤) ص ت م : لم تأكل ، وما أثبته من ط .

(٥) سقطت من ت م ، وهى مثبتة فى هامش ص .

(٦) سقطت من ص ت م ، وأثبتها من ط .

يحتمل أن يكون قوله ابن اليرى بن أعراق الثرى كما قال : « كلكم بنو آدم وآدم من تُرَاب » لا يريد أن الهَمَيْسع ومن دونه ابن لإسماعيل[1] لصلبه ، ولابد من هذا التأويل أو غيره ، لأن أصحاب الأخبار لايختلفون فى بُعْد المدة بين عدنان وإبراهيم ، ويستحيل فى العادة أن يكون بينهما أربعة آباء أو سبعة كما ذكر ابن إسحاق ، أو عشرة أو عشرون ، فإن المدة أطول من ذلك كله . وذلك أن مَعدّ بن عدنان كان فى مدة بُخْتُ نَصَّر ابن اثنتى عشرة سنة . قال الطبرى[2] .

قلت : وإذا[3] تأملت الكلام السابق للحافظ تبيَّن لك الجواب عن السُّهيلى .

قال الجوَّانى رحمه الله تعالى: وسبب الخلاف فى النسب أنه[4] قد جاء أن العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون إليها ، وإنما كانوا يرجعون إلى حفظ بعضهم من بعض ، فمن ذلك حدث الاختلاف . انتهى .

وإذا علم ما تقررَّ فهذه فوائد تتعلق بالأسماء الآتية : الأُولى : قال ابن دُرَيْد : ما بَعْد عدنان أسماء سُرْيانية لا يوضِّحها الاشتقاق[5] .

الثانية : قال الحافظ محمد بن على التَّوزرى[6] الشهير بابن المصرى رحمه الله تعالى فى شرحه على القصيدة[7] الشقراطيسية وهو فى ست مجلدات كِبار[8] فى وَقْف خِزانة المَحْموديّة : ما كان من هذه الأسماء العجمية على أربعة أحرف فصاعدا فلا خلاف أن منعه من الصرف للعُجْمة والتعريف . وما كان منها على ثلاثة أحرف فإمّا أن يكون متحرك الوسَط فحكمه حكم الأول ، وإما أن يكون ساكن الوسط كنوح ويرْد فحكمه الصرف على المشهور .

الثالثة : قال الحافظ فى الفتح بعد أن ساق نَسَب سيدنا إبراهيم إلى نوح صلى الله

---

(١) ص : من ولد إسماعيل لصلبه .

(٢) ص ت م : قال المحب الطبرى ، محرفة .

(٣) ط : فإذا .

(٤) ط : أن .

(٥) الاشتقاق ٣٢ .

(٦) ص ت م : التورزى ، محرفة ، وهو محمد بن على بن محمد بن على بن عمر ، أبو عبد الله المصرى التوزرى نسب إلى توزر ، من بلاد قسطيلة بأقصى إفريقية ، ولد سنة ٦١٨ ، وتوفى سنة ٦٨١ هـ ، وكتابه « صلة السمط وسمة المرط » جعله شرحاً لتخميس القصيدة الشقراطيسية فى السيرة ، انظر الأعلام ١٧٢/٧ ، وكشف الظنون ١٣٣٩ .

(٧) ص ت م : فى شرح القصيدة الشقراطية ، محرفة .

(٨) كذا فى ط . وفى ص ت م : كان فى وقف .

عليهما وسلم كما سيأتى : لا يختلف جمهور أهل النسب ولا أهل الكتاب فى ذلك إلا فى النطق ببعض هذه الأسماء . نعم ساق ابن حبان فى أول تاريخه خلاف ذلك وهو شاذ انتهى .
وقال ابن دُرَيْد : فى كتاب الاشتقاق : وأما نسب إبراهيم إلى آدم عليهما الصلاة والسلام فصحيح لا خلاف[1] فيه لأنه[2] منزَّل فى التوراة مذكور فيها نَسَبهم ومَبْلغ أعمارهم[3] .

وقال الجوَّانى فى المقدمة : النَّسَب فيما بين آدم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام صحيح لا خلاف فيه بينهم ولا خلاف إلا فى أسماء[4] الآباء لأجل نقل الألسنة .

الرابعة : اختلف العلماء فى كراهة رفع النسب إلى آدم صلى الله عليه وسلم : فذهب ابن إسحق وابن جرير وغيرهما إلى جوازه ، وأما الإمام مالك رضى الله تعالى عنه فسئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك ، فقيل له : فإلى إسماعيل ؟ فأنكر ذلك أيضا . وقال : من يخبره به ! وكره أيضا أن يرفع فى نسب الأنبياء : مثل أن يقول إبراهيم ابن فلان بن فلان . قال : ومن يخبره به ؟ لنقله فى الروض عن كتاب عبد الله بن محمد ابن حسين[5] المنسوب إلى المعَيْطى[6] .

ابن اد

أُدّ بضم الهمزة وتشديد الدال المهملة قال أبو عُمر : كل الطرق تقول : عدنان بن أدد إلا طائِفة فقالوا : عدنان بن أُدّ بن أدد . قال فى « الغُرَر » والظاهر أنه من مادة أدد .

وأُمُّه النعجاء بنت عمرو بنت تُبّع سعد ذى قائش الحِمْيَرى .

ابن ادد

أُدَدَ بهمزة مضمومة ثم دالين مهملتين الأُولى مفتوحة . وفى مادته وجوه : أحدها .

---

(١) الاشتقاق : لا اختلاف .
(٢) ص ت م : فإنه .
(٣) الاشتقاق ص ٣
(٤) ص ت م : الأسماء الآباء . محرفة .
(٥) كذا فى ص ت م : ، وفى ط : ابن حسينس . وفى الروض : ابن حنين .
(٦) كذا فى ط ، وهو الصواب موافقا للروض . وفى ص ت م : المنسوب إلى المصطفى . محرفة . وانظر الروض ١/١١ .

فُعَل[1] من الودّ قلبت واوه همزة لانضمامها أولا كما قيل فى وجوه ووقت.ذكره جماعة . قال ابن السرّاج : وليس مَعْد ولا كعُمَر . قال السُّهيلى : وهو ظاهر قول سيبويه[2] .

الثانى : أن يكون من الأدّ[3] وهو [من][4] الأَمر العظيم والداهية من قوله تعالى : « لقد جِئْتم شيْئاً إدًّا »[5] .

الثالث : أن يكون من قولهم : أَدَدْت الثوب إذا مدَدْته .

الرابع : أن يكون من قولهم أَدّت الإبلُ : إذا خرجتْ . ذكره ابن الأَنبارى فى الزاهر والزجاجى فى مختصره .

وعلى[6] الوجه الثانى يجوز أَن يكون من الأَدّ بالفتح وقد قرئ به فى الآية شاذا وفسره[7] أَبو عمرو بن العلاء رحمه الله تعالى بالعظيم .

وأُمه حَيّة بحاء مهملة فمثناة تحتية القحطانية قال الحافظ فى التبصير : كل من جاء على هذه الصورة من النساء فهو بالياء[8] المثناة من تحت إلا أُخت يحيى بن أَكْثَم فإنها بالخاء المعجمة والنون ، وإلا أُم مريم ابنة عمران وإنها بالمهملة والنون .

ابن اليسع

اليسع باسم النبى المرسَل . وقد قالوا فيه إنه بهمزة وصل تفتح فى الابتداء ولام ساكنة ومثناة تحتية مفتوحة . ويقال اللَّيْسع بلام مشددة مفتوحة وياء ساكنة . وبذلك قرأَ حمزة والكسائى وخلَف فى سورة الأَنعام وصٓ . وبالأَول قرأَ الجمهور وقال فى المطالع[9] : وهو اسم عجمى ممنوع من الصرف وقيل عربى وقيل له اليسع لسعة علمه أَو لسَعْيه فى الحق .

ابن الهميسع

الهمَيْسع : قال الجوهرى : الهمَيْسع بالفتح : الرجل القوى . قال الجوّانى : بفتح الهاء

---

(١) ط : فعلا .
(٢) الروض ١/٨ ونصه : وهو معنى قول سيبويه .
(٣) ص ت م : من الأدد . وما أثبته من ط .
(٤) من ط .
(٥) سورة مريم ٨٩ .
(٦) كذا فى ط وفى ص ت م : وفى الوجه .
(٧) ط : وفسرها .
(٨) ص ت م : فهو بالمثناة .
(٩) ط : فى المطلع .

على وزن السَّمَيْدع قال : وأكثر الناس يروونه بضم الهاء . والصواب الفتح . قال السهيلى : وتفسيره الضَّراع . وأمه حارثة بنت مرداس بن زُرْعة ذى رُعَيْن الحِمْيرى .

ابن سلامان

سلامان : لم أقف له على ترجمة .

ابن نبت

نَبْت بفتح النون ويقال نابت . قاله[1] الأمير أبو نصر بن ماكُولاَ رحمه الله تعالى فى باب نابت بن إسماعيل بن إبراهيم . قال : ويقال بل هو نابت بن سلامان بن حمل ابن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم . وهذا القول الأخير خلاف ما ذكره الجوَّانى فى النسب فإنه قال : عدنان بن أُدِّ بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت فقدم سلامان على نبت . وكذا نقله ابن الجوزى فى التلقيح[2] .

وأمة هامة بنت زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجب بن يَعْرب بن قحطان .

ابن حمل

حَمَل بفتح المهملة والميم آخره لام . وأمه العاضرية بنت مالك الجرهمى .

ابن قيذار

قيذار بالذال المعجمة ويقال قيذر بفتح الذال وضمها قال السهيلى : وتفسيره صاحب الإبل وذلك أنه كان صاحب إبل إسماعيل . وقال فى موضع آخر : وذكر من وجه قوى عن نُسَّاب العرب أن نسب عدنان يرجع إلى قيذار بن إسماعيل وأن قيذار كان الملِك فى زمانه ومعنى قيذار الملك إذا قَهر[3] .

وقال الجوَّانى : افترق ولد إسماعيل فى أقطار الأرض فدخلوا فى قبائل العرب . ودرج

---

(١) ص ت م : قال .

(٢) كذا فى ط . وفى ص ت م « فى التنقيح » محرفة . وهو كتاب « تلقيح فهوم أهل الأثر » الذى طبع بحيدر آباد .

(٣) كذا فى ص . وفى ط : إذا قسر . وهى محرفة فى ت م .

بعضهم فلم يُثْبت النسَّابون لهم نسباً إلا ما كان من ولد قيذار ، ونشر الله تعالى ذرية إسماعيل الذين تكلَّموا بلسانه من ولد قيذار ابنه أبي العرب .

وأمه : قال الجوّانى : هالة بنت الحارث بنت مِضَاض الجُرْهمى . وقيل غير ذلك .

ابن مقوم

مُقَوَّم بضم الميم . واختلف فى واوه ، فنى نسخة صحيحة من السيرة قرئت على أبى محمد ابن النحاس راويها : على الواو شدة وفتحة وتحتها كسرة وفوق الواو بخط الجوّانى : معاً . وقال العسكرى رحمه الله تعالى بفتح الواو . هكذا[1] قرأته على ابن دريد بالفتح وقال التَّوْزرى رحمه الله تعالى بكسر الواو .

ابن ناحور

ناحور : بنون وحاء مهملة من النحر إن كان عربيا .

ابن تيرح

تيْرَح بمثناة فوقية مفتوحة فتحتية مثناة ساكنة فراء مفتوحة فحاء مهملة وزن جعفر . قال السهيلى : وهو فَيْعَل من الترحة إن كان عربيا[2] والتَّرح : ضد السرور . ويقال تارح بألف بدل الياء .

ابن يعرب

يَعْرب : بمثناة تحتية فعين مهملة ساكنة فراء مضمومة فباء موحدة غير مصروف . قال ابن دُرَيْد مشتق من قولهم أعربَ فى كلامه إذا أفصح . أو من قولهم أعربَ عن نفسه إذا أفصح عنها[3] وتعقّب بأن يعرب لا يكون من أعرب .

ابن يشجب

يشجب بمثناة تحتية مفتوحة فشين معجمة ساكنة فجيم مضمومة فباء موحدة قال الحافظ التَّوْزرى : من الشَّجب وهو الهلاك وسمِّى به لأن العرب تسمى بالألفاظ المكروهة تفاؤلا بذلك للأعداء .

---

(١) ص ت م : وهكذا .
(٢) الروض ١/٩ .
(٣) الاشتقاق ٢١٧ ونصه : أى أوضح عنها .

ابن نابت

نابت بالنون اسم فاعل من نبت[1]

ابن اسماعيل

إسماعيل باللام وفيه لغة أخرى وهو إسماعين بالنون . حكاه الإمام النووى رحمه الله تعالى فى تهذيبه[2] .

وهو نبي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أرسله إلى أخواله من جُرْهم وإلى العماليق الذين كانوا بأَرض الحجاز .فآمن بعض وكفر بعض .

وهو اسم أعجمى كسائر الأَعلام الأَعجمية . قال السهيلى رحمه الله تعالى : وتفسيره مطيع الله[3] . قال صاحب القاموس فى كتاب لُغات القرآن المسمى بمَطْلع زوَاهر النجوم : وهو أول من سمِّى بهذا الاسم من بنى آدم ، واحترزنا بهذا القيد عن الملائكة فإن فيهم إسماعيل وهو أمير الملائكة . قلت : أى ملائكة سماء الدنيا . كما سيأتى فى باب سياق قصة المعراج .

وتكلَّف بعضُ الناس له اشتقاقا من سَمِع وتركيبا منه ومن إيل وهو اسم الله تعالى قال فإن وزنه إفعاليل فمعناه اسم الله تعالى أَمَره فقام به . والذى قال : إن وزنه فعاليل لأَن أَصله سماعيل قال لأَنه سمع من الله تعالى قوله فأَطاعه .

قال فى المطلع وله عشر خصائص : الأولى أَن لغته كانت لغة العرب قلت : هو أَول من نطق بالعربية المبينة . روى الزُّبير بن بَكَّار وأَبو جعفر النحاس فى أَدب الكاتب عن علىّ رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أَول من فتَق الله لسانه بالعربية المبينة[4] إسماعيل وهو ابن أَربع عشرة سنة » .

إسناده حسن كما فى الفتح والزَّهْر .

وفى الصحيح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى حديث بَدْء أَمر زمزم ونزول جُرْهم بأم إسماعيل : وشبَّ الغلام وتعلم العربية[5] منهم الخ .

---

(١) ط : من النابت .
(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووى ١/١١٨ .
(٣) الروض ١/٩ .
(٤) ط : البينة .
(٥) صحيح البخارى ٢/١٠٨ (كتاب بدء الخلق)

وقد تقدم بتمامه .

قال الحافظ : فيه إشعار بأن لسان أمه وأبيه لم يكن عربيًا ، وفيه تضعيف لقول من روى أنه أول من تكلم بالعربية . وقد وقع ذلك فى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عند الحاكم فى المستدرك بلفظ : « أول من نطق[1] بالعربية إسماعيل » ثم أورد الحافظ حديث علىٍّ السابق . ثم قال : وبهذا القيد – يعنى أنه أول من تكلم بالعربية المبينة يُجْمع بين الخبرين فتكون أوليته فى ذلك بحسب الزيادة فى البيان لا الأَوّلية المطلقة .ويكون بعد تعلُّمه[2] أصل العربية من جرهم ألهمه الله تعالى العربية الفصيحة البيِّنة فنطق بها .

ويشهد لهذا الجمع ما حكى ابن هشام رحمه الله تعالى عن الشَّرَقىّ بن قُطَامى أن عربية إسماعيل كانت أفصح من عربية يَعْرب بن قحطان وبقايا حِمْير وجُرْهم . ويحتمل أن تكون الأَوّلية فى الحديث مقيدة بإسماعيل بالنسبة إلى بقية إخوته من ولد إبراهيم. فإسماعيل أول من نطق بالعربية من ولد إبراهيم . ولهذا تتمة تأتى فى اسم[3] « العربى » .

الثانية أنه مَرْكز نور النبى صلى الله عليه وسلم .

الثالثة : أنه ولد الخليل صلى الله عليه وسلم .

الرابعة : أنه شريك أبيه إبراهيم صلى الله عليه وسلم فى بناء البيت[4] .

الخامسة : أنه كان[5] بِكْر الخليل صلى الله عليه وسلم .

السادسة : أن إليه ترجع أنساب العرب .

السابعة : أنه استسلم للذبح عندما امتحان الله تعالى إياه .

الثامنة : أنه فاز بخِلْعة : « وفدَيْناه بِذِبْح عظيم »[6]

التاسعة : أن الله تعالى اصطفاه من ولد آدم . روى مسلم والترمذى عن واثلة بن الأسْقع رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل » الحديث وتقدم بتمامه .

---

(١) ص ت م : من تكلم . (٢) كذا فى ط . وفى ص ت م : نقله .

(٣) ص ت م : فى اسمه . والمراد اسم النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) ص ت م : الكعبة . (٥) ط : أنه بكر الخليل .

(٦) سورة الصافات ١٠٧ .

العاشرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتخر به فقال : « أنا ابنُ الذبيحَيْن » .

قلت هو بهذا اللفظ فى الكشاف وقال الزَّيْلعى والحافظ كلاهما فى تخريج أحاديثه : إنهما لم يجداه بهذا اللفظ .

وسماه الله تعالى فى القرآن باثنى عشر اسما : غلام ، وعَليم ، وحليم، ومُسْلم ، ومستسلم ، وآمِر « وكان يأمر أهْلَه بالصلاة[1] » وصابر « ستَجِدُنى إن شاء اللهُ منَ الصابرين[2] » ومَرْضىّ «وكان عندَ ربه مَرْضِيًّا »[3] وصادق ورسول ونبى ومذكور « واذكُرْ فى الكتاب إسماعيل[4] » .

وكان أكبر من إسحاق صلى الله عليهما وسلم .

واختلف فى الذبيح منهما . والصحيح الذى عليه الأكثرون[5] أنه إسماعيل صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقد بسط العلامةُ ابن القيِّم فى كتابه « زاد المعاد » توجيه ذلك وردّ خلافِه بأكثر من عشرين وجها [6].

ولم يخرج من نَسْله نبىّ غير نبينا صلى الله عليه وسلم وأما خالد بن سِنَان فإنْ كان فى زمن الفترة فقد ثبت فى صحيح البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : أنا أوْلَى[7] الناس بعيسى بن مريم إنه ليس بينى وبينه نبى[8] » انتهى . وإن كان قبلها فلا يمكن[9] أن يكون نبيا لأن الله تعالى قال (لتُنْذِر قومًا ما أتاهم مِن نَذِير من قَبْلك[10]) وقد قال غير واحد ، من العلماء ، لم يبعث الله نبياً بعد إسماعيل فى العرب[11] إلا محمداً صلى الله عليه وسلم : ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله تعالى[12] وقال الحافظ فى الفتح : إن هذا الحديث أى الذى فى الصيح يضعف ما ورد فى[13] قصة خالد بن سِنَان ، فإنه صحيح بلا تردد ، وفى غيره مَقال . أو[14] المراد : أنه لم يُبعث بشريعة مستقلة ، وإنما بعث بتقرير شريعة عيسى .

---

(١) سورة مريم ٥٥ .
(٢) سورة الصافات ١٠٢ .
(٣) سورة مريم ٥٥ .
(٤) سورة مريم ٥٤
(٥) ص ت م : الأكثر .
(٦) زاد المعاد ١٦/١ ، وانظر كذلك قصص الأنبياء لابن كثير ٢٩٢/١ .
(٧) كذا فى ص ت م : وفى ط : إن أولى الناس بعيسى بن مريم لأنا ؛ إنه ليس إلخ .
(٨) صحيح البخارى ١٢٥/٢ . كتاب بدء الخلق باب « واذكر فى الكتاب مريم » .
(٩) غير ط : فلا يكون نبيا .
(١٠) سورة القصص ٤٦ .
(١١) ص ت م : من العرب .
(١٢) السيرة النبوية لابن كثير ١٠٦/١ .
(١٣) ط : من قصة .
(١٤) ص ت م : والمراد .

وأم إسماعيل : هاجَر بالهاء ويقال آجر وهى[1] قبطية .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن إبراهيم وسارة قدِما أرض جبار أو ملِك فقال إبراهيم لسارّة : إنَّ هذا الجبار إنْ يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك فإن سألك فأَخْبريه أنك أختى وإنك أختى فى الإسلام . فلما دخل أرضَه رآها بعض أهل الجبار فقال : لقد قدِم أرضَك امرأةٌ جميلة لا ينبغى لها أن تكون إلا لك وهى من أحسن الناس فأَرسلَ إلى إبراهيم فسأَله عنها فقال : من[2] هذه ؟ قال : أختى ثم رجع إليها فقال : يا سارة ليس على وجه الأَرض مؤمن غيرى وغيرك ، وإن هذا سأَلنى فأَخبرتُه أنك أختى فلا تكذِّبينى فأَرسل إليها وقام إبراهيم إلى الصلاة فلما دخلتْ عليه قامت تتوضأ وتصلى فقالت ؛ اللهم إن كنتُ آمنتُ بك وبرسولك وأحصنتُ فرجى إلا على زوجى فلا تسلّط علىّ هذا الكافر[3] فلم يتمالك أنْ بسَط يده إليها فقُبضت يدة قبضة شديدة وغطَّ حتى ركَض برجله فقالت : إن يمتْ يقال هى قتلته فأُرسِل وفى لفظ فقال : ادعى الله لى ولا أَضرّك . فدعت فأُطلق . ثم تناولها الثانية فقامت تتوضأ وتصلى وتقول : اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنتُ فرجى إلا على زوجى فلا تسلّط علىّ هذا الكافرفأُخذ مثلَها أَو أَشدوغطّحتىضرب برجله الأَرض فقالت اللهم إن يمت يقال هى قتلته فأُرْسِل[4] وفى لفظ : فقال ادعى الله لى ولا أَضرّك[5] فدعت فأُطلق فدعا بعض حجبته وفى لفظ : الذى جاء بها فقال لم تأتونى بإنسان إنما أتيتمونى بشيطانِ ارجعوها إلى إبراهيم وأَخرجها من أَرضى وأَعطها هاجر[6] فرجعت إلى إبراهيم وهو قائم يصلى فأَومأَ بيده : مَهْيم . وفى لفظ مَهْيا[7] . قالت أَشعرتَ أَنّ الله كبتَ الكافر ؟ وفى لفظ : قالت : إن الله ردّ كيد الكافر فى نحره وأَخدَم هاجر .

رواه البخارى فى مواضع صحيحة ومسلم والنسائى والبزّار وابن حبان رحمهم الله[8] تعالى .

---

(١) ص ت م : فهى .
(٢) ط : ماهذه .
(٣) ط : فلا تسلط على الكافر .
(٤) ص ت م : فأرسله .
(٥) ص ت م : ولا أضربك .
(٦) ط : آجر .
(٧) ص : مهينا .
(٨) صحيح البخارى ١٨٩/٢ وكتاب بدء الخلق باب « واتخذ الله إبراهيم خليلا » وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٥٤ . ومسند أحمد ٤٠٣/٢ . وطبقات ابن سعد ٢٣/١ القسم الأول .

قال الإمام النووى : كانت هاجر للجبار الذى كان يسكن[1] عين الجَرّ . قلتُ : قال الحازمى : هو بالجيم المفتوحة والراء المشددة انتهى . بقرب بعلبك . فوهبها لسارة ، فوهبتها سارة لإبراهيم . قال السُّهَيْلى : وكانت قبل ذلك الملك الذى وهبها لسارة بنت ملك من ملوك القبط بمصر . ذكر الطبرى من حديث سيف بن عمير أَو غيره أَن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه حين حاصر مصر قال لأَهلها : إن نبينا قد وعدَنا بفتحها وقد أُمرنا أَن نستوصى بأَهلها خيرا فإن لهم نَسَبًا وصِهْرا فقالوا : هذا نسب لا يَحْفظ حقه إلا نبى لأَنه نسب بعيد، وصدق كانت أمكم امرأَة الملك من ملوكنا فحاربنا أَهل عين شمس[2] وكانت علينا دولة فقتلوا الملِك واحتملوها فمن هناك سيِّرت[3] إلى أَبيكم إبراهيم أَو كما قالوا[4] .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : هاجر اسم سريانى ويقال إن أَباها كان من ملوك القبط ، وأَنها من حَفْن بفتح الحاء المهملة وسكون الفاء آخره نون : قرية بمصر . قال اليعقوبى رحمه الله تعالى : كانت مدينة انتهى . وهى الآن كفر من عمل أَنْصِنا[5] بالبرّ الشرقى من الصعيد فى مقابلة الأَشمونين . وفيها آثار عظيمة باقية واسم الجبار المذكور عمرو بن امرئ القيس ابن سبأ وكان على مصر . ذكره السهيلى وهو قول ابن هشام فى التيجان وقيل اسمه صادوف ذكره ابن قتيبة . وإنه كان على الأردن . وذكر ابن هشام فى التيجان قائل ذلك رجل كان إبراهيم صلى الله عليه وسلم يشترى منه القمح وأَنه ذكر أَنه رآها تطحن وأَن هذا هو السرّ فى إعطاء الملك لها هاجر[6] وقال : إن هذه لا تصلح أَن تخدم نفسها[7] .

واختلف فى السبب الذى حمل إبراهيمَ صلى الله عليه وسلم على التوصية بأَنها أُخته ، مع أَن ذلك الظالم يريد اغتصابها على نفسها أُختًا كانت أَو زوجة .

فقيل : كان من دِين ذلك الملك أَن لا يتعرض إلا لذوات الأَزواج . كذا قيل . قال الحافظ : ويحتاج إلى تتمة : وهو أَن إبراهيم صلى الله عليه وسلم أَراد دفع أَعظم الضررين

(١) ط :للجبار الذى يسكن .
(٢) الروض : أَهل الشمس فكانت .
(٣) الروض : تصيرت .
(٤) الطبرى ٢٢٩/٤ (ط المعارف) والروض ١١/١ .
(٥) ابن هشام : من كورة أنصنا .
(٦) ص ت م : لهاجر .
(٧) لم أجده فى كتاب التيجان لابن هشام المطبوع بحيدر آباد سنة ١٣٤٧ هـ .

بارتكاب أخفهما . وذلك أن اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة لكن إن عَلِم أن لها زوجا فى الحياة حملته الغيرة على قتله وإعدامه وحبسه وإضراره بخلاف ما إذا علم أن لها أخًا فإن الغيرة حينئذ تكون من قِبَل الأَخ خاصة لا من قبل الملك فلا يبالى به وقيل أراد إن علم أنك زوجتى ألزمنى بالطلاق . والتقرير الذى قررته جاء صريحا عن وهب بن منبه . رواه عبد بن حميد فى تفسيره[1] .

وذكر الحافظ زكى الدين المنذِرى رحمه الله تعالى فى حاشية السنن عن بعض أَهل الكتاب أنه كان من رأْى الجبار المذكور أَن من كانت متزوجة لا يَقْربها حتى يُقْتل زوجها فلذلك قال إبراهيم هى أُختى لأَنه إن كان عادلا خطبها منه ثم يرجو مدافعته عنها ، وإن كان ظالما خلص من القتل وليس ببعيد مما قررته أَولا . وذكر ابنُ الجوزى نحو ما ذكره المنذرىّ .

تفسير الغريب

قوله : فغطّ بضم الغين المعجمة على الصواب . والمراد بالشيطان هنا المتمردّ من الجن ، وكانوا قبل الإسلام يعظمون أَمر الجن ويرون كل ما يقع من الخوارق من فعلهم وتصرّفهم[2].

مَهْيم : وفى لفظ : مَهْيا . وفى لفظ : مَهْين . ويقال إن الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أَول من تكلم بهذه[3] الكلمة .

كبَت بكاف فباء موحدة مفتوحتين فمثناة فوقية : أَى ردَّه الله[4] خاسئًا يقال أَصله كبَد أَى بلغ السهمُ كبده ثم أبدلت الدال مثناة فوقية . انتهى كلام الحافظ .

***

ولإسماعيل صلى الله عليه وسلم عدة أولاد غير من ذكر فى عمود النسب .

[ابن إبراهيم]

إبراهيم نبى الله ورسوله وخليله أَبو الأَنبياء التى أَتت بعده صلى الله عليه وسلم وهو اسم أَعجمى[5] معناه أَب راحم[6] .

(١) كذا فى ط وهو الصواب . وفى ص ت م : فى الغيرة . محرفة .
(٢) ط : وتصريفهم .
(٣) ط : أول من قال هذه الكلمة .
(٤) ط : أى رده خاسئا .
(٥) فى ط : وهو أعجمى .
(٦) كذا فى ط : راحم . موافقا للروض ٩/١ . وفى ص ت م : رحيم .

قال فى المطلع : وأكثر المحققين على أنه اسم جامد غير مشتق . وقال بعض المتكلفين : إنه اسم مركب من البراء أو البرء أو البراءة ومن الهيَمَان أو الوهم أو الهمة فقالوا : بَرِئَ من دون الله فهام قلبه بِذِكْرِه .

وقال بعضهم : برِئ من علة الزَّلَّة فهمَّ بالحلول فى محل الخُلَّة . وقيل : برأه الله فى قالب القُرْبة فهمَّ بصِدْق النية إلى مَلكوت الهمة قال بعضهم :

وكنت بلا وَجْد أموت من الهوى ... وهامَ علىّ القلبُ بالخفقانِ

فلما أرانى القلبُ أنك حــاضِرى ... شهدتُك موجــودًا بكل مكانِ

وفيه لغات : إحداها إبراهيم بالياء بعد الهاء وهى اللغة المشهورة . وقرأه السبعة غير ابن عامر فى جميع القرآن . الثانية إبراهام بالألف . وهى قراءة ابن عامر فى مواضع من القرآن، الثالثة : إبراهوم بالواو . الرابعة أبْرَهَم بفتح الهاء من غير ألف . نقله أبو حاتم السِّجِسْتانى قراءةً عن بعضهم ، الخامسة : إبراهِم بكسر الهاء من غير ياء وهى قراءة عبد الرحمن بن أبى بكر فى جميع القرآن ، السادسة : إبراهُم بضم الهاء فى جميع القرآن من غير ياء .

وهذه اللغات الستة حكاها الفرَّاء .

السابعة : بإمالتها . الثامنة إبراهام . بإمالة الألف الثانية لا غير . وقرئ به شاذا . التاسعة إبرهم بحذف الألفين وفتح الهاء نقلها أبو عمرو الدانى ، عن قراءة عبد الرحمن ابن أبى بكر ، والثعلبى عن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهم أجمعين[1].

قال فى «المطلع» وجمع إبراهيم أباره وأباريه وأبَارِمة وأبارِهَة وبَرَاهم وبَراهِيم وبَرَاهمة وبراة وتصغيره : بُرِيْه . وقيل : أُبَيْره[2] وقيل بُرَيْهِم[3] .

وكُنْيته أبو الضِّيفان .

قال عكرمة وغيره : وهو أفضل الأنبياء بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما جزم به الحافظ عماد الدين بن كثير فى تاريخه وبرهن عليه[4] وكذا غيره من الأئمة .

---

(١) انظر النشر فى القراءات العشر ٢/٢١٣ (ط دمشق)

(٢) ص ت م : أبريه . (٣) ط : برهيم .

(٤) قصص الأنبياء لابن كثير ١/٢٤٥ .

وروى البزار واللفظ له والإمام أحمد والحاكم بسند على شرط مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : خيار بنى آدم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم ثم إبراهيم [1].

ومثل هذا لا يقال إلا عن توقيف فهو فى حكم المرفوع وبه جزم الذهبى فى عقيدته وشيخنا فى النقاية .

واختلف فى مولده فقيل ببَرْزة من غوطة دمشق . قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر رحمه الله تعالى : والصحيح أنه ولد بكوثا من إقليم بابل من أرض العراق .

واسم أمه نوبا ويقال ليوثا وقيل غير ذلك .

ولد على رأس ألفى سنة من خَلْق آدم وكان بين إبراهيم ونوح عشرة قرون .

رواه الحاكم فى المستدرك عن الواقدى [2].

وكان يتكلم بالسريانية أولا وإنما نطق بالعَبْرانية حين عبرَ النهر فاراً من نُمْروذ . وهو بضم النون وآخره ذال معجمة ، لا ينصرف للعُجمة والعلمية .ولا تدخله الألف واللام .

وروى الطبرانى بسند رجاله ثقاة عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بين إبراهيم ونوح عشرة قرون » .

وكان نمروذ قال للذين أرسلهم فى طلبه : إذا وجدتم فتى يتكلم بالسريانية فرُدُّوه . فلما أدركوه استنطقوه فحول الله لسانه عبْرانيا وذلك من حين عبر النهر فسميت العبرانية بذلك . وأما السريانية فذكر ابن سلام أنها سميت بذلك لأن الله تعالى حين علَّم آدم الأسماء علمه سرا من الملائكة وأنطقه بها حينئذ .

وله عدة أولاد غير إسماعيل – صلى الله عليه وسلم .

قال فى المطلع : وكان لإبراهيم[3]– صلى الله عليه وسلم – فى طريق الحق عشر[4] مقامات نال بها غاية الكرامات .

الأول[5]: مقام الطلب : « هذا ربى[6] » .

---

(١) مسند أحمد ١٧٨/٣ ، ١٨٤ (ط الميمنية) .

(٢) المستدرك للحاكم ٥٤٩/٢ .

(٣) ت م : وكان إبراهيم .

(٤) ص ت م : بها عشر .

(٥) ص ت م : الأولى .

(٦) سورة الأنعام ٧٦

والثانى[1] : مقام الدعوة « وأذن فى الناسِ بالحج[2] » .

الثالث[3] : مقام الفضيلة « واتَّخِذُوا مِن مَقَام إبراهيم مُصَلًّى[4] » .

الرابع : مقام الفقر والفاقة « ربِّ اجعلنى مُقِيمَ الصلاةِ »[5]

الخامس : مقام النعمة « والذى هو يُطْعمنى ويَسْقين[6] » .

السادس : مقام المغفرة « والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يومَ الدين[7] » .

السابع : مقام المحبة « أرنِى كيف تُحْيِي الموتى[8] » .

الثامن : مقام المعرفة « واجعل لى لسانَ صدق فى الآخرين[9] » .

التاسع : مقام الهَيْبة « إن إبراهيم لَأَوَّاه حليم[10] » .

العاشر : مقام الوراثة ، وفى هذا المقام حصل له الاستغناء عن الواسطة فقال : « حَسْبى من سؤالى عِلْمه بحالى » .

قال المؤرخون : هاجَر إبراهيمُ من العراق إلى الشام وبلغ عمره مائة وخمسا وسبعين سنة وقيل مائتى سنة . ودفن فى الأرض المقدسة وقبره مقطوع بأنه فى تلك المَرْبَعة . ولا يقطع بقبر نبيّ ومكانه غير قبر سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومكان قبر إبراهيم أبيه — صلى الله عليهما وسلم .

وكان أول من اختتن . روى ابن أبى شيبة وابن سعد وابن حبان والحاكم بسند صحيح من طريق سعيد بن المسيَّب عن أبى هريرة — رضى الله تعالى عنه — قال : اختتن إبراهيم وهو ابن عشرين ومائة سنة بالقَدُوم وعاش بعد ذلك ثمانين سنة[11] .

قال سعيد — رحمه الله تعالى : وكان إبراهيم أول من اختتن وأول من رأى الشَّيْب فقال : يا رب ما هذا ؟ فقال : وقار يا إبراهيم . قال : رب زِدْنى وقاراً . وأول من أضاف الضيفَ ، وأول من جَزَّ شاربه ،وأول من قصَّ أظافيره ، وأوَّل من استحَدَّ .

---

(١) ص : والثانية .

(٢) سورة الحج ٢٧ .

(٣) ص ت م : الثالثة .

(٤) سورة البقرة ١٢٥ .

(٥) سورة إبراهيم ٤٠ .

(٦) سورة الشعراء ٧٩ .

(٧) سورة الشعراء ٨٢

(٨) سورة البقرة ٢٦٠ .

(٩) سورة الشعراء ٨٤ .

(١٠) سورة التوبة ١١٤ .

(١١) طبقات ابن سعد ١ - ٢٢ (القسم الأول) .

ورواه ابن عدِىّ والبيهقى مرفوعا .

وروى أبو يَعْلى وأبو الشيخ فى العقيقة من طريق موسى بن عُلَىّ بن رباح عن أبيه أن إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – أُمر أن يختتن وهو حينئذ ابن ثمانين سنة فعجِل واختتن بالقَدُوم[1] فاشتد عليه الوجع فدعا ربَّه فأَوصى الله إليه : إنك عجلت قبل أن نـأْمرك بآلته[2] فقال يا ربى كرهت أن أؤخر أمرك .

عُلَىٌّ بالتصغير . وربَاح بالموحدة .

وروى الشيخان عن أبى هريرة – رضى الله تعالى عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم[3] .

قال الحافظ : القدوم رويناه بالتشديد عن الأَصيلى والفاسى – رحمهما الله تعالى – ووقع فى رواية غيرهما بالتخفيف . قال النووى : لم يختلف الرواة عند مسلم فى التخفيف . واختلف فى المراد به فقيل : اسم مكان . وقيل : اسم آلة النجّار ، فعلى الثانى هو بالتخفيف لا غير ، وعلى الأَول ففيه لغتان . هذا قول الأَكثر . وعكَسه[4] الداودى . ثم اختلف فقيل : هى قرية بالشام . وقيل بلدة بالسّراة . والراجح أن المراد فى الحديث الآلة . ثم ذكر أثر عُلَىّ بن رباح .

والذى فى الصحيح عن أَبى هريرة – رضى الله تعالى عنه –: أَنه اختتن وهو ابن ثمانين سنة قال الحافظ : وعند ابن حِبّان عنه مرفوعا أَن إِبراهيم اختتن وهو ابن مائة وعشرين سنة والظاهر أنه سقط من هذه الرواية شئ فإِن هذا القَدْر مقدارُ عمره . قلت : ورواه[5] الحاكم وصححه على شرطهما وأَقرَّه عنه الذهبي مرفوعا بلفظ : بعد مائة[6]وعشرين سنة . ووقع فى كتاب العَقِيقة لأَبى الشيخ من طريق الأَوْزاعِىّ عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيَّب عن أَبى هريرَة موصولا مرفوعا مثله . وزاد : وعاش بعد ذلك ثمانين سنة . فعلى هذا يكون عاش مائتى سنة . وجمع بعضهم بأَن الأَول حُسب من مبدأ نبوّته والثانى من مبدأ مَوْلده .

---

(١) غير ط : فعجل بالقدوم .

(٢) ص ت م : بآلة .

(٣) صحيح البخارى ١٩/٢ كتاب بدء الخلق باب قول الله تعالى « واتخذ الله إبراهيم خليلا » وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٥١ .

(٤) ص ت م : وعكس .

(٥) ص ت م : وروي .

(٦) ط : عشرين ومائة .

وروى وَكِيع عن إبراهيم النَّخَعى ـ رحمه الله تعالى ـ قال : كان إبراهيم أول من تسَرْوَل وأول من فرَقَ وأول من استحدَّ ، وأول من اختتن ، وأول من أقْرَى الضيف ، وأول من شابَ .

وروى وكيع عن واصل مولى أبى عُيَيْنَةَ ـ رحمه الله تعالى ـ قال : أوحى الله تعالى إلى إبراهيم : إنك أكرم أهل الأرض علىَّ فإذا سجدتَ فلا تُرِ الأرض عورتك . قال : فاتخذ سراويلَ .

وروى الدَّيْلمى عن أنس مرفوعا : أول من خضَب بالحناء والكتم إبراهيم .

وروى ابن أبى شيبة فى المصنَّف[1] والبزَّار عن سعد بن إبراهيم ـ رحمه الله تعالى ـ قال : أول من خطب على المنبر إبراهيم .

وروى ابن عساكر[2] عن حسَّان بن عطية ـ رحمه الله تعالى ـ قال : أول من رتب العسكر فى الحرب ميمنةً وميسرةً وقلبًا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لمّا سار لقتال الذين أسَرُوا لوطًا ـ عليه الصلاة والسلام .

وروى البزار والطبرانى عن معاذ بن جبل مرفوعا : إن أتَّخذِ المِنبرَ فقد اتَّخذه أبى إبراهيمُ ، وإن أتخِذ العصا فقد اتخذَها أبى إبْراهِيمُ .

وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب الرمى عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال : أول من عَمل القِسِىَّ إبراهيمُ .

وروى ابن أبى الدنيا والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « كان أول من أضاف الضَّيْف إبراهيم » .

وروى ابن سعد وابن أبى الدنيا وأبو نعيم فى الحِلْية والبيهقى فى الشعب عن عكرمة ـ رحمه الله ـ قال : « كان إبراهيم خليل الرحمن يكنى أبا الضيفان، وكان لقصره أربعة أبواب لكى لا يفوته أحد[3]» .

وروى البيهقى عن عطاء ـ رحمه الله ـ قال : كان إبراهيم خليل الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا أراد أن يتغذى طلب من يتغذى معه مِيلاً فى ميل .

---

(١) ص ت م : فى المصد . محرفة .

(٢) كذا فى ط و فى ص ت م : وروى البزار .

(٣) طبقات ابن سعد ٢١/١ . (القسم الأول)

وروى ابن أَبى الدنيا فى كتاب الإخوان والخطيب فى التاريخ عن تميم الدارى مرفوعا : إن أَول من عانق إبراهيم – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

وروى ابن سعد عن محمد بن السائب – رحمه الله تعالى – قال : إبراهيمُ أَول من أَضاف الضيف وأَول من ثَرَد الثريد ، وأَول من رأَى الشيبَ[1] .

وكان قد وسّع عليه فى المـال والخدَم .

وروى الإمام أَحمد فى الزهد عن مطرف – رحمه الله تعالى – قال : أَول من راغمَ إبراهيمُ – صلى الله عليه وسلم – حين راغمَ قومَه إلى الله تعالى بالدعاء .

وروى ابن أَبى شيبة فى المصنَّف والشيخان والترمذى والنسائى عن ابن عباس مرفوعا وابن أَبى شيبة عن سعيد بن جبير وأَبو نُعَيْمْ عن عُبَيْد بن عُمَيْر وابن أَبى شيبة وأَحمد فى الزهد عن عبد الله بن الحارث – رضى الله تعالى عنهم – أَن الناس يُحشرون حفاةً عراة فيقول الله : لا أَرى خليلى عُرْيانا . فيكسى إبراهيم ثوبا أَبيض .

ولفظ عبد الله بن الحارث : «قُبْطيتين فهو أَول من يُكْسَى ، ثم يكسى النبى صلى الله عليه وسلم – حلته الحِبَرة وهو على يمين العرش[2]» .

وروى ابن أَبى شَيْبة وأَحمد فى الزهد وأَبو نُعَيْمْ عن سَلْمان – رضى الله تعالى عنه – قال : أُرسل على إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – أَسدان مُجَوَّعان فلحسَاه وسجدا له .

وكان سبب موته أَن ملك الموت قيل له : تلطف بإبراهيم. فأَتاه وهو فى عنب له وهو فى صورة شيخ كبير لم يبق منه شئ فلما رآه إبراهيم رَحِمه . فأَخذ مِكْتَلا ثم دخل عنبه فقطف من العنب فى مِكْتله ،ثم جاء فوضعه بين يديه فقال : كل . فجعل يضع يده ويريهَ أَنه يأْكل ويمجُّه على لحيته وعلى صدره ، فعجب إبراهيم فقال : ما أَبقت السنُّ منك شيئا ! كم أَتَى لك[3] ؟فحسب مدة إبراهيم . فقال : أَتى لى كذا وكذا . فقال إبراهيم : قد أَتى لى هذا وإنما أَنتظر أَن أَكون مثلك ! اللهم اقبضنى إليك . فطابت نفسُ إبراهيم عن نفسه للموت . وقبض ملك الموت نفسه فى تلك الحال .

---

(١) طبقات ابن سعد ١/٢١ . (القسم الأول)

(٢) صحيح البخارى ٣/١٣٣ كتاب التفسير سورة الأنبياء . باختلاف . وصحيح مسلم كتاب الجنة حديث رقم ٥٨ . وصحيح الترمذى ٢/١٩٩ كتاب التفسير سورة الأنبياء . ومسند أحمد ١/٢٢٣ ، ٢٣٥ ، ٢٥٣ ، ٣٩٨ .

(٣) ط : له .

رواه الإمام أحمد وأبو نعيم فى الحِلْية عن كعب .

وله عدة أولاد غير إسماعيل عليهما الصلاة والسلام .

ابن تارح

تارَح - بمثناة فوقية فألف فراء مفتوحة فحاء مهملة كما فى الفتح والنُّور ، ورأيته بخط جماعة بإعجامها - ومعناه [يا أعوج[1]] وهو آزَر . قال الجَوْهرى اسم أعجمى . وقيل عربى مشتق من آزَّر فلانٌ فلانا إذا عاونه . فتارح وآزر اسمان له كما جزم به غير واحد . وصححه السهيلى . قال : وقيل معناه يا أعوج[2] . وقيل هو اسم صنم وانتصب على إضمار فعل فى التلاوة فى قوله تعالى « وإذ قالَ إبراهيمُ لأبيه آزَر » [3] أى دع آزرَ . وقيل إن آزر كلمة معناها الزجر والتعنيف وقال التَّوْزَرِى :كان لأبى إبراهيم اسمان : تارح[4] وآزر هذا قول الحسن والسُّدّى رحمهما الله تعالى .

قال : وقيل إن آزر اسم صنم منصوب بإضمار فعل تقديره : أتتخذ آزرَ إلها أتتخذ أصناما . هذا على قراءة من فتح الراء وأما على قراءة من ضمها ، قلت : وهو يعقوب . فقيل إنه فى لغتهم عبارة عن المخطئ ، أى يا مخطئ .

قال : وقيل إنها مشتقة من المؤازرة أى المعاونة ، كان يعاون قومه على عبادة الأصنام .

قال : ويجوز أن يكون اسمًا لأبى إبراهيم مع الرفع ويكون منادى بإسقاط حرف النداء وقال الزمخشرى : آزر عطف بيان لأبيه وقرئ آزرُ بالضم على النداء وقيل : آزر اسم صنم ، فيجوز أن يكون سمِّى به للزومه عبادته أو أُريد : عابد آزر ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه .

وقرئ : « أَزْرًا أتتخذ أصناما آلهة » ، بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاى ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه : لم تعبد[5] آزر على الإنكار ثم قال : «أتتخذ أصناما آلهة » تبيينا لذلك وتقريرا وهو داخل فى حكم الإنكار كالبيان له وقال

---

(١) من الروض الأنف فى تفسير معنى آزر ٩/١ .

(٢) الأصل : يا عوج ر وما أثبته من الروض ٩/١ .

(٣) سورة الأنعام ٧٤ .

(٤) ص ت م : تارخ .

(٥) ط : أنعبد .

الإمام الثعلبي فى العرائس : اسم أبى إبراهيم الذى سماه به أبوه تارح[1] فلما صار مع نمروذ قيِّما على خزانة[2] آلهته سماه آزر .

ابن ناحور

ناحور بنون فألف فحاء مهملة مضمومة وهو غير الذى سبق قبل[3] إسماعيل

قال ابن هشام فى التيجان : عاش مائة وستة عشر عاما[4] وقال ابن حبيب : عاش مائة وثمانيا وأربعين سنة .

ابن شاروخ

شاروخ بشين معجمة فألف فراء مضمومة فواو فخاء معجمة . كذا ضبطه الحافظ وضبطه النووى فى الأمالى والتَّوْزَرِى بالمهملات وقال الجوَّانى : ساروغ بالغين المعجمة : وقال الملك المؤيدّ صاحب حماة : وربما قيل بالعين المهملة . قال ابن هشام : عاش مائتين وسبعة أعوام .

ابن راغو

راغو : بغين معجمة مضمومة . وحكى التَّوزرى إهمالها . وأرغو بفتح الهمزة وسكون الراء وضم الغين المعجمة أو المهملة ويقال : رَغْو . بفتح الراء وسكون الغين المعجمة . ومعناه بالعربية قاسم . قال ابن حبيب : عاش مائتى سنة واثنتين وثلاثين سنة . وقال ابن الكلبى مائتين[5] وستين سنة .

ابن فالخ

قال النووى : بفاء فألف فلام مفتوحة فخاء معجمة ويقال فالغ بغين معجمة . وقال ابن هشام فى التيجان : إنه اسم سُرْيانى وتفسيره بالعربى : وكيل ، وإنه أخو هود ، وإنه حين تكلم أبوه بالعربية بجبل الجودِىّ لم يتكلم بها ، وإنه عاش مائة وسبعا وستين سنة[6] وقال ابن الكلبى : مائتى سنة وتسعين سنة . قال ابن حبيب : مائتى سنة وتسعًا وثلاثين سنة . وقال الجوّانى : وأُمه بيشاحا[7]

---

(١) ص ت م : تارخ .
(٢) ط : على خزائن
(٣) ط : قبله .
(٤) ليس فى التيجان لابن هشام المطبوع .
(٥) ط : مائتى سنة وستين سنة .
(٦) ليس فى التيجان لابن هشام المطبوع .
(٧) ط : بشاحا .

ابن عيبر

عَيْبَر بعين مهملة مفتوحة فمثناة تحتية فباء موحدة وزن جَعْفر . قاله الحافظ والنووى والتَّوْزَرِىّ . قال : ويقال عابر بالألف . قال ابن حبيب : عاش مائة وأربعًا وثلاثين سنة . وقال ابن الكَلْبى : أربعمائة وثلاثا وستين سنة . قال الجوَّانى : وهو هود النبى صلى الله عليه وسلم . وقال السُّهيلى والحافظ : الراجح فى نسب هُود أنه هود بن عبد الله بن رباح بن حادر بن عاد بن عوص بن آدم بن سام بن نوح . قال الجوانى : وأُمه مرجانة وكانت من الطاهرات .

تنبيه : نقل السهيلى والتوزرى عن الطبرى ورأيته فى تاريخه[1] أن بين عابروفالخ أبًا اسمه قينان . ولفظ التوزرى : قَيْنن بقاف مفتوحة بعدها ياء مثناة تحتية فنونين . ترك ذكره فى التوراة لأنه كان ساحرًا[2] . ونقل بعضهم عن ابن حزم أنه تعقب الطبرى بأنه ثابت فى التوراة بإجماعهم .

ابن شالخ

شالخ قال النووى بشين معجمة فألف فلام مفتوحة ، فخاء معجمة . قال السهيلى : ومعناه الرسول أو الوكيل . قال ابن هشام : عاش ثلاثمائة سنة وثلاثا وستين[3] . وقال ابن حبيب أربعمائة وثلاثا وثلاثين سنة . وقال ابن الكلبى : أربعمائة وثلاثا وتسعين سنة . وهو وصِىّ أبيه .

ابن أرفخشذ

أَرْفخشذ . قال النووى والتوزرى بفتح الهمزة فراء مهملة ساكنة ففاء مفتوحة فخاء ساكنة فشين زاد الثانى مفتوحة . فذال معجمات . قال الحافظ : ويقال فيه أرنخشذ بنون بدل الراء والفخشذ باللام زاد صاحب « النور » الفشخذ باللام وتقديم الشين على الخاء قال السهيلى : تفسيره مصباح مضئ . وشاذ مخفف بالسريانية : الضياء[4] .

---

(١) الذى فى تاريخ الطبرى ١٩٤/٢ : ابن مهلائيل بن قينان بن أنوش .

(٢) الروض ٩/١ .

(٣) الأصل : وثلاث سنين . وما أثبته من التيجان ص ٢٨ .

(٤) الروض الأنف ١٠/١

وأُمه من بنات الملوك ابن خنوخ بن يرد بن قينان[1] ابن أنوش.

قال ابن هشام : عاش أَربعمائة عام وثلاثة أَعوام[2] وهو وصِيُّ أَبيه .

وقال ابن حبيب : أَربعمائة سنة وستين سنة . وقال ابن الكلبي : أَربعمائة وثمانية وستين سنة .

وله من الذكور عابر وهو وصيّه ومالك وقينان .

وهو أَول من نظر فى علم النجوم واستنبط ذلك من تنور[3] صُفْر كان كُتب فيها عِلْمها قبل الطوفان ودفن فى الأَرض فاستخرجه وعلم ما فيه

ابن سام

سام : بسين مهملة مخفف الميم . روى الإِمام أَحمد والترمذى وحسَّنه وصححه الحاكم من حديث سَمُرة بن جُنْدَب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سام أَبو العرب ، وحام أَبو الحبش ، ويافث أَبو الروم[4] » .

وروى البزَّاروابن أَبى حاتم عن أَبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولد نوح ثلاثة سام وحام ويافث ، فولد سام العرب وفارس والروم والخيرُ فيهم ، وولد يافث يأْجوج ومأْجوج والترك والصقَّالبة ولا خير فيهم ، وولد حام القبط والبربر ، والسودان .

وسنده ضعيف[5] .

قال النووى رحمه الله : لما حضرت نوحًا الوفاة أَوصى إِلى ولده سام ، وكان ولد قبل

---

(١) ص : بن قينن .

(٢) كذا بالأصل . وفى التيجان لابن هشام ص ٢٧ : فعاش أرفخشذ أربعمائة وثلاثا وستين سنة .

(٣) كذا فى ط . وفى ص : تزر أصفر . وفى ت م : تور صفر .

(٤) صحيح الترمذى ٣٢٨/٢ (كتاب المناقب باب فضل العرب) ومستدرك الحاكم /٥٤٦/٢ .

(٥) ذكره الحافظ ابن كثير فى قصص الأنبياء ١٠٩/١ عن الحافظ أبى بكر البزار فى مسنده ثم أورد عن البزار قوله : لا نعلم يروى مرفوعا إلا من هذا الوجه . تفرد به محمد بن يزيد بن سنان عن أبيه ، وقد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه . ورواه غيره عن يحيى بن سعيد مرسلا ولم يسنده ، وإنما جعله من قول سعيد .

وقد نقل ابن كثير عن أبى عمر بن عبد البر أنه روى من قول سعيد بن المسيب نحوه وقال : وهذا الذى ذكره أبو عمر هو المحفوظ عن سعيد قوله . وهكذا روى عن وهب بن منبه مثله . والله أعلم . ويزيد بن سنان أبو فروة الرهاوى ضعيف بمرة لا يعتمد عليه .

الطوفان بثمانية وتسعين سنة ، ويقال كان سام بكره . قال ابن هشام: إنه كان وصىَّ أبيه وإنه وَلِى أهلَ الأَرض . قال : وقال وهب رحمه الله تعالى : أَتى الحواريون عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فسار بهم إلى قبر سام بن نوح فقال : أَجِبْنى يا سام بإذن الله تعالى . فقام بقدرة الله كالنخلة فقال له عيسى : كم عشتَ ؟ قال : عشتُ أَربعة آلاف سنة فقال عيسى : كيف كانت الدنيا ؟ قال : كبيتٍ له بابان دخلتُ من هذا وخرجت من هذا . وإنه كان جَزُوعا من الموت فسأَل نوح ربَّه أَن لا يميت سام حتى يَسْأَل الموت . قال : وإنّ سامًا اعتلت نفسُه ومرض مرضا شديدا على كبر فسأَل ربَّه الموتَ فمات[1] .

وقال ياقوت فى معجم البلدان : نَوى – بفتح النون والواو – بُلَيْدَة من أَعمال حوران من نواحى دمشق ، وهى مدينة أَيوب وبها قبر سام عليهما الصلاة والسلام[2] .

تنبيه : قال الشيخ برهان الدين الناجى الدمشقى فى مَوْلده[3] المسمى بكنز الراغبين العُفَاة : ليس سام بنبىٍّ خلافا لما وقع لأَبى الليث السمرقندى فى بُسْتانه فاحذره واحذر من[4] قَلَّده . انتهى.

وقد روى ابن سعد فى الطبقات والزبير بن بكّار فى الموفقيات عن الكلبى رحمه الله تعالى أَن سامًا كان نبيًا . لكن الكلبى متروك .

ابن نوح

نبى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . قال النووى : هو اسم أَعجمى والمشهور صرفه وقيل يجوز صرفه وترك صرفه[5] . انتهى .

وقيل إنه عربى واشتقاقه من ناح يَنُوح نَوْحًا ونِيَاحة لأَنه أَقبل على نفسه باللوم والنَّوْح .

واختلف فى سبب ذلك فقيل : سببه أَنه كان ينوح على قومه ويتأَسف لكونهم غرِقوا

---

(١) التيجان لابن هشام ص ٢٧ .

(٢) معجم البلدان ٣٠٦/٥ (ط بيروت) . ونصه : ببلدة من أعمال حوران . وقيل هى قصبتها ، بينها وبين دمشق منزلان ، وهى منزل أيوب إلخ .

(٣) كذا فى ط ، وهو الصواب . وفى ص : فى موليه . وفى ت م : فى موطنه . وهو تحريف .

(٤) بياض فى ت م : وفى ص : ولمن قلده . وما أثبته من ط .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات ١٣١/٢ .

بلا توبة ورجوع إلى الله تعالى . وقيل [فى] اسمه غير ذلك مما لا أصل له . قال جماعة : واسمه عبد الغفار . وهو آدم الثانى لأنه لا عقِب لآدم إلاّ من نوح صلى الله عليه وسلم.

وأثنى الله تعالى عليه فى عدة آيات . قال ابن قتيبة : وكان نوح نجارا

وروى الطبرانى بسند رجاله ثقات عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بين نوح وآدم عشرة قرون[1] » .

قال الشَّعْبى رحمه الله تعالى فى العرائس : أرسل الله تعالى نوحا إلى ولد قابيل ومن تابَعهم من ولد شيث .

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : وكان بَطْنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجَبَل صِبَاحًا وفى النساءِ دَمَامة ، وكان نِساءُ السَّهْل صِبَاحًا وفى الرجال[2] دَمَامة ، فكثرت الفاحشة من أولاد قابيل وكانوا قد أكثروا الفساد ، فأرسل الله تعالى نوحا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وهو ابن خمسين سنة ، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله تعالى ويحذّرهم ويخوّفهم فلم ينزجروا ، فكان كما حكاه الله تعالى عنه : « قال ربِّ إنى دعوتُ قومى ليلاً ونهارا فلم يزدهم دعائى إلا فرارًا » [3]

ولما طال دعاؤه لهم وإيذاؤهم له وتماديهم فى غَيّهم سأَل الله تعالى فأَوحى الله تعالى إليه (« أنه لن يُؤْمن مِن قَوْمك إلا من قد آمَن »[4]) فلما أخبره الله تعالى بأنه لم يبق فى الأَصلاب ولا فى الأَرحام[5] مؤمن دعا عليهم فقال : (ربِّ لا تذَرْ على الأَرضِ من الكافرين ديَّارا)[6] إلى آخرها . فأَمره الله تعالى باتخاذ السفينة قال : يارب وأَين الخشب قال : اغرس الشجر . فغرس[7] الساجَ وأَتى على ذلك أَربعون سنة فكفَّ عن الدعاء عليهم ، وأَعقم الله تعالى أَرحام نسائِهم فلم يولد لهم ولد[8] ، فلما أَدرك الشجرُ أَمره الله تعالى بقَطْعه وتجفيفه وصَنْعة

---

(١) وهو أيضا فى صحيح ابن حبان على شرط مسلم ولم يخرجه ، وفى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : « كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام » وهو كذلك فى طبقات ابن سعد ١٨/١ وانظر قصص الأنبياء لابن كثير ٧٤/١ .

(٢) ص ت م : وفى رجالهن .

(٣) سورة نوح ٥ ، ٦ .

(٤) سورة هود ٣٦ .

(٥) ط : والأرحام .

(٦) سورة نوح ٢٦ .

(٧) ص ت م : فغرز .

(٨) كذا فى ط : وفى ص ت م : فلم يلدوا .

الفُلْك وعلَّمه كيف يصنعه ، وجعل بابه فى جنبه وكان طول السفينة ثمانين ذراعا وعرضها خمسين وسُمْكها إلى السماء ثلاثين والذراع إلى المنكب .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كان طولها ستمائة ذراع فأمره الله تعالى أن يحمل فيها من كل جنس من الحيوان زوجين اثنين وحشرها الله تعالى إليه من البر والبحر. وأول ما حمل فى السفينة الدُّرّة[1] وآخره الحمار .

قيل كان المؤمنون فى السفينة سبعة : نوح وبنوه سام وحام ويافث وأزواج بنيه . وقيل ثمانية . وقيل عشرة . وقيل اثنان وسبعون . وقيل ثمانون من الرجال والنساء .

وكان نوح عليه الصلاة والسلام أطول الأنبياء عمرا حتى قيل إنه عاش ألف سنة وثلاثمائة سنة . ولما نزل عليه الوحى كان عمره ثلاثمائة سنة وخمسين سنة . فلبث ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم .

قال فى « المطلع » : ما أسلم من الشياطين إلا شيطانان : شيطان نبينا محمد وشيطان نوح صلى الله عليه وسلم . وقال إبليس لنوح عليه الصلاه والسلام : خذ منى خَمْسا . فقال : لا أصدّقك فأوحى الله تعالى إليه : أن صدِّقْه فى الخَمس . قال : قل . قال إياك والكِبْر ، فإنى إنما وقعت فيما وقعت فيه بالكبر . وإياك والحسَد فإن قابيل قتل هابيل أخاه حسدًا . وإياك والطمع فإن آدم أورثه ما أورثه الطمع . وإياك والحرص فإن حواء وقعت فيما وقعت بالحرص . وإياك وطول الأمل فإنهما وقعا فيما وقعا فيه بطول الأمل .

وسماه الله تعالى عَبْدا شكورا . روى الفِرْيابى[2] وابن جرير والحاكم وصححه عن سلمان رضى الله تعالى عنه قال : كان نوح إذا لبس ثوبا أو طَعِم طعامًا حمد الله تعالى فسمِّى عبدًا شكورا .

ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم ما رواه النسائى والحاكم والبزَّار عن رجل من الأنصار من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال نوح لابنه : إنى أُوصيك بوصية وقاصرها لكى لا تنساها : أُوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين . أما اللتان أُوصيك بهما فيستبشر الله بهما [وصالحُ] خلقه وهما يكثران الولوجَ على الله تعالى : أوصيك بلا إله

(١) الذرة : ضرب من الببغاوات وفى بعض النسخ : الذرة . محرفة . وانظر الحيوان للجاحظ ١٥١/٥ .

(٢) كذا فى ط ص . وفى ت م : الطبرانى . محرفة .

إلا الله فإن السموات والأرض لو كانتا فى حَلْقة قصمتْهما[1] ولو كانت فى كفة وزنَتْهُما وأوصيك بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة الخَلْق وبها يُرْزَق الخلق « وإنْ من شَىْء إلا يُسبِّح بحَمْده ولكنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إنَّه كان حليمًا غَفُورا[2]» وأما اللتان أَنهاك عنهما فيحتجب الله منهما وصالح خَلْقه : أَنهاك عن الشِّرك والكبر »[3].

تنبيه حديث ابن مسعود مرفوعا : « إن نوحا اغتسل فرأى ابنه ينظر إليه فقال : تنظر إلى وأنا أغتسل جار الله لونك . فاسودَّ فهو أبو السُّودان » رواه الحاكم وصححه وتعقَّبه الذهبى بأَن فى سنده محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلة وقد ضعفوه. انتهى .

والوارد فى ذلك ما رواه الإمام أحمد وابن سعد وأبو داود والترمذى والحاكم وصححاه عن أبى موسى الأَشعرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأَرض فجاء بنو آدم على قدر الأَرض ، جاء منهم الأَحمر والأَبيض والأَسود وبَيْن ذلك ، والسَّهْل والحَزْن والخبيث والطيِّب »[4]

ابن لامك

لامَكِ بميم مفتوحة وبكسر الكاف ويقال لمك بفتح اللام وسكون الميم . ويقال بخاء معجمة بدل الكاف . قال فى التيجان : لامك بالعبرانى . وبالعربى : لمك . وبالسريانى لمخ[5] . وتفسيره : متواضع .

قال السهيلى رحمه الله تعالى : وهو أول من اتخذ العودَ والغناء ومصانع الماء[6] .

قال ابن هشام : عاش سبعمائة وسبعين[7] سنة[8] .

---

(١) ص ت م : قصمتها . (٢) سورة الإسراء ٤٤ .

(٣) أورده ابن كثير عن الإمام أحمد برواية أطول ثم قال : وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه ، ورواه أبو القاسم الطبرانى من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن دينار ، عن عبد الله بن عمرو ، وقد رواه أبو بكر البزار عن إبراهيم بن سعيد ، عن أبى معاوية الضرير ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه والظاهر أنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، كما رواه أحمد والطبرانى . قصص الأنبياء لابن كثير ١١٨/١ .

ولا أدرى من أين جاء المؤلف بقوله فى روايه الحديث : « عن رجل من الأنصار من الصحابة » !

(٤) مسند أحمد ٤٠٠/٤ ، ٤٠٦ وصحيح الترمذى ١٥٨/٢ (كتاب التفسير باب تفسير سورة البقرة) وسنن أبى داود ١٧٥/٢ « كتاب السنة باب القدر » وطبقات ابن سعد ٦/١ (القسم الأول)

(٥) التيجان ٢٢ فيه : لامخ .

(٦) الروض ١٠/١ ونصه : « ولامك أول من اتخذ العود للغناء بسبب يطول ذكره واتخذ مصانع الماء » .

(٧) ط : عاش سبعمائة سنة . (٨) الذى فى التيجان لابن هشام ص ٢٢ : فعاش لامخ تسعمائة سنة وسبعا وسبعين .

ابن متوشلخ

متوشلخ بميم فمثناة فوقية مشددة مضمومتان وتفتحان فواو ساكنة وتفتح فشين معجمة مفتوحة وتسكن فلام ساكنة وقد تفتح وتكسر ، فخاء معجمة . قال ابن حبيب : عاش تسعمائة وستين سنة . قال الجوّانى وأمه بروخا . وكان له إخوة انقرضوا وهو وصىّ أبيه .

ابن خنوخ

خَنُوخ بمعجمتين بعد الأُولى نون بوزن ثَمُود . وقيل بزيادة ألف فى أوله وسكون المعجمة الأُولى . وقيل كذلك لكن بحذف الواو الأُولى وقيل كذلك لكن بدل الخاء الأُولى هاء وقيل كالثانى لكن بدل المعجمة مهملة . وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون .

روى الحاكم فى المستدرك بسند واهٍ عن وهب رحمه الله تعالى أنه سئل عن إدريس فقال : هو جد أبى نوح . وقيل : جد نوح[1] . قال الحافظ : والأَول أَوْلى ، ولعل[2] الثانى أطلق ذلك مجازا لأَن جد الأَب جد .

وقد نقل بعضهم الإجماعَ على أنه جد لنوح . قال الحافظ : وفيه نظر ، فقد روى عَبْد بن حُمَيْد وابن أبى حاتم بإسناد حسن عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : إلياس هو إدريس ويعقوب هو إسرائيل . وروى نحوه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وسنده ضعيف .

ووجه[3] الدلالة أنه إن ثبت أن الياس إدريس لزم أن يكون من ذرية نوح لا أن نوحا من ذريته ، لقوله تعالى فى سورة الأَنعام : « ونُوحاً هَدَيْنا من قبلُ ومن ذريته داود وسليمان » [4] إلى أن قال : « وعيسى وإلياس » فدل على أن إلياس من ذرية نوح سواء أقلنا إن الضمير فى قوله « ومن ذرّيته » لنوح أو لإبراهيم لأَن إبراهيم كان من ذرية نوح فمن كان من ذرية إبراهيم فهو من ذرية نوح لا محالة .

وذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى فى المبتدأ أن إلياس بن فنحاص بن العيزان بن هارون بن عمران عليهما الصلاة والسلام . وقال الحاكم فى المستدرك : اختلفوا فى نوح وإدريس فقيل : إن إدريس قبله . قال : وأكثر الصحابة على أن نوحا قبل إدريس[5] .

---

(١) المستدرك للحاكم ٢/٥٤٩ . (٢) كذا فى ط . وفى ص ت م : لعله والثانى .
(٣) ص ، ت ، م : وأوجه . (٤) سورة الأنعام الآية : ٨٤ (٥) مستدرك الحاكم ٢/٥٤٥ .

كذا قال وقد جرى القاضي أبو بكر بن العربي على أن إدريس لم يكن جد نوح وإنما هو من بني إسرائيل ؛ لأن إلياس قد ورد/ أنه من بني إسرائيل واستدل على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء للنبي صلى الله عليه وسلم « مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح » ولو كان من أجداده لقال كما قال آدم وإبراهيم : والابن الصالح . وهو استدلال جيد . إلا أنه قد يجاب عنه بأنه قال ذلك على سبيل التواضع والتلطف ، وليس نصًّا فيما زعم . أشار إلى ذلك النووي[1] .

وقول ابن إسحاق إن خنوخ هو إدريس فيما يزعمون أشار به إلى أن هذا القول مأخوذ عن أهل الكتاب . وقال المازريّ : ذكر المؤرخون أن إدريس جد نوح ، فإن قام الدليل على أن إدريس أرسل لم يصح قول النسّابين إنه قبل نوح لإخبار النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة : ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض . وإن لم يقم دليل جاء ما قالوا به[2] وصح أن إدريس كان نبيا ولم يرسل .

قال السُّهيلي : وحديث أبي ذر الطويل ينص على أن آدم وإدريس رسولان[3] . انتهى . والحديث رواه الطبراني والحاكم وابن حِبّان وصححاه . وفيه أن إدريس كان نبيا رسولا ، وأنه أول من خطَّ بالقلم .

وروى الحاكم بسند ضعيف عن سمرة رضي الله تعالى عنه قال : كان إدريس رجلا أبيض طويلا ضخم البطن عريض الصدر قليل شعر الجسد كثير شعر الرأس ، وكانت إحدى عينيه أعظم من الأخرى وكان في جسده نقطة بيضاء من غير مرض . قال ابن قتيبة وكان رقيق الصوت .

وسمي إدريس لكثرة ما كان يدرس من كتب الله وسنن الإسلام . وهو أول من خاط

---

(١) أورد ابن كثير هذا الاعتراض عن البخاري في التاريخ قال : ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن الياس هو إدريس . واستأنسوا في ذلك بما جاء في حديث الزهري عن أنس في الإسراء إلخ .

وأجاب عنه بقوله : « وهذا لا يدل ولابد ، لأنه قد لا يكون الراوي حفظه جيدا ، أو لعله قاله على سبيل الهضم والتواضع ولم ينتصب له في مقام الأبوة » قصص الأنبياء لابن كثير ٧٣/١ .

وهذا يوضح أن ما نقله المؤلف عن أبي بكر بن العربي ، إنما هو نقل من ابن العربي عن البخاري في التاريخ .

(٢) ط : ما قالوا : قال : وصح .

(٣) لم أجده في الروض في ترجمة إدريس وآدم عليهما السلام .

الثياب ولبسها وكان مَنْ قَبْل يلبسون[1] الجلود . واستجاب له ألف إنسان ممن كان يدعوه . فلما رفعه الله تعالى اختلفوا بعده وأَحدثوا الأَحداث .

قال ابن قتيبة : وهو ابن ثلاثمائة وخمس وستين سنة .

وقال فى المطلع : إدريس بالسريانية خنوخ . ومعناه كثير العبادة وأما إدريس فاسم أَعجمى غير منصرف وقيل مشتق من الدرس والدراسة بمعنى الكتابة . وسمى به لكثرة ما درس من كتب الله عز وجل ، فإنه كان يحفظ صحف آدم وصحف شيث على ظهر قلبه ، وكانت صحف آدم إحدى وخمسين صحيفة وصحف شيث عشرين صحيفة ، وصحفه خاصة ثلاثون ، وكان يحفظ الجميع ويدرسه . وكان إدريس أَول من خاط وأَول من أَخبر عن علم الهيئة والحساب وأَحكام النجوم بالتأييد السماوى . رفع الله تعالى عنه بدعائه إحساس[2] حرارة الشمس ، وعبدَ الله تعالى حتى تمنت الملائكة صُحبته .

ابن يرد

ـ يَرْد بمثناة تحتية مفتوحة فراء ساكنة فدال مهملة ونقطَها الجوَّانى . وعليه جرى الملك المؤيّد فى تاريخه . قال ابن هشام فى التيجان : اسمه فى التوراة يارد عبرانى وتفسيره ضابط . واسمه فى الإنجيل بالسريانية يَرْد تفسيره بالعربى : ضبط أى ضبط فى الإباء[3] فعمل بـأَمر الله تعالى ، فلما بلغ غاية الدعوة قبضه الله تعالى وعاش تسعماية سنة واثنتين وستين سنة وهو وصىّ أَبيه[4] . وقال ابن حبيب ثمانماية سنة وخمسا وتسعين سنة .

ابن مهلاييل

مَهْلاييل : بميم مفتوحة فهاء ساكنة فلام فأَلف . وقد يقال بالباء بعد اللام الأَولى . قال السهيلى معناه الممدّح[5] قال فى التيجان : وولى الأَرض بوصية من أَبيه . واسمه بالسريانية فى الإنجيل مهلاييل[6] وتفسيره بالعربى يسبح الله . فسار بـأَمر الله ، فلما بلغ

---

(١) ص ، ت ، م : يلبس .

(٢) كذا فى ط . وفى ص ، ت ، م : رفعه الله بدعائه أحباس حرارة الشمس . وهو تحريف .

(٣) كذا فى ط ، ت م . وفى ص : بالإباء .

(٤) التيجان ص ٢١ .

(٥) الروض ١/١٠

(٦) فى التيجان : واسمه بالسريانية فى الإنجيل « مالالى » .

الغاية من العمر قبضه الله ، وعاش مائتى سنة وعشرين[1] سنة قال السهيلى : وفى زمنه كان بَدْءُ عبادة الأصنام[2] .

ابن قينن

قَيْنن : بقاف مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فنونين الأُولى منهما مفتوحة وزن جَعْفر ويقال قينان بالألف[3] قال فى التيجان : قينان عبرانى وتفسيره باللسان العربى مستوى[4] واسمه فى الإنجيل قانيان وتفسيره بالعربى عيسى . وهو وصى أبيه . وخليفته . وقام بحق الله تعالى ، وبلغ من العمر مائة سنة وعشرين سنة قال فى النُّور : قال بعض مشايخى إن قينان هو الذى بنى أنطاكية .

ابن يانش

يانَش : بمثناة تحتية فنون مفتوحة فشين معجمة . ويقال أنوش بفتح الهمزة وضم النون . قال فى التيجان : هو باللسان السريانى : إنوش بكسر الألف وتفسيره باللسان العربى صادق . وهو ولِىَ [أمرَ][5] الله تعالى فى الأرض فعمل بطاعة الله حتى بلغ من العمر تسعمائة وخمسين سنة . قال السهيلى : وهو أول من غرس النخلة وبوَّب الكعبة وبذر الحبة[6] . وقال أبو الحسن بن الأشرف أبى العباس أحمد بن القاضى الفاضل رحمه الله تعالى أول من زرع الحبة آدم ، فإنه كان يحرث ويزرع قال الجوانى : وأمه لبود بنت آدم وله إخوة بنون وبنات انقرضوا .

ابن شيث

شيث : بشين معجمة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فثاء مثلثة ويقال فيه شياث بإمالة الشين وبالصرف فيهما ويقال بلا صرف . ويقال فيه شَيّث بفتح الشين وتشديد الياء بلا صرف وتفسيره هِبَة الله ويقال عطية الله . وقال ابن هشام : نُصب لأن عليه وعلى ذريته نُصبت الدنيا ، وكان أجمل ولد آدم وأفضلهم وأشبَهَهم به وأحبَّهم إليه ، وكان

---

(١) التيجان ص ٢١ .
(٢) الروض ١/١٠ .
(٣) ص ، ت ، م : بألف .
(٤) فى التيجان : مشترى .
(٥) التيجان ص ٢١ .
(٦) الروض ١/١٠

وصيّ أبيه ووليّ عهده ، وهو أبو البشر كلهم ، وإليه انتهت أنساب الناس ، وعاش تسعمائة سنة وإثنتى عشرة سنة .

ابن آدم

آدم صلى الله عليه وسلم : يكنى أبا البشر وآدم والخليفة . فأما آدم فقيل إنه سريانىّ وهو عند أهل الكتاب آدام بإشباع فتحة الدال بوزن خاتام ، ووزنه فاعال وامتُنع من الصرف للعُجْمة والعلمية . وقال الثعلبى : التراب بالعبرانية آدام فسمى به آدم ، وحذفت منه الألف الثانية وقيل هو عربى ، وجزم به الجوهرى والجواليقى . ولم يحك فى المَطْلع غَيْرَه .

واختلف فى اشتقاقه فقيل هو بوزن أَفْعَل من الأُدْمة وقيل من الأَدِيم لأنه خُلق من أديم الأَرض . رواه الفِرْيابى وابن سعد وابن جرير وابن أبى حاتم والحاكم وصححه[1] .

وروى ابن سعد وعبد بن حُميد وابن جرير عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال : تدرون لم سمّى آدم ؟ لأنه خُلق من أَدِيم الأَرض[2] ووجَّهوه بأَن يكون كأَعْيَن[3] ومنع من الصرف للوزن والعلمية ، وقيل هو من أَدَمْتُ بين الشيئين إذا خلطتُ بينهما ، لأنه كان ماء وطينا فخلطا جميعا . وقال قاسم بن ثابت فى الدلائل عن محمد بن المستنير قطْرب : إنه لو كان من أَدِيم الأَرض لكان على وزن فاعل وكانت الهمزة فيه أصلية فلم يكن يمنعه من الصرف مانع ، وإنما هو على وزن أفعل من الأدْمة . قال السهيلى : وهذا القول ليس بشئ لأنه لا يمتنع أن يكون من الأَديم ويكون على وزن أفعل تدخل[4] الهمزة الزائدة على الهمزة الأَصلية كما تدخل على همزة الأدمة[5] .

وأما الخليفة فلقوله تعالى : « إنِّى جاعلٌ فى الأَرضِ خَلِيفةً »[6] والخَلِيف والخليفة : من يَخْلُف مَنْ تقدَّمه ، وكان آدم خلف قومًا من الخلق يسمون الجان ، ولأنه ناب مناب ملائكة السماء .

---

(١) طبقات ابن سعد ١/٩ (القسم الأول)

(٢) طبقات ابن سعد ١/٩

(٣) كذا فى ط . وفى ص ، ت ، م : كما عين .

(٤) ص : فدخل .

(٥) الروض ١/١٠

(٦) سورة البقرة ٣٠ .

وأما البشر فلقوله تعالى : (إِنِّى خالقٌ بشرًا من طين[1]) وقيل : وسمى بشرًا لمباشرته أَعظمَ الأُمور .وقيل لِمَا كان فى وجهه من البِشْر والبَشَاشة .

وأما الإنسان فلقوله تعالى : (هل أَتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئا مذكورا[2]) وسمى بذلك لأُنْسه بجنسه فإن الإنسان من اجتمع فيه اثنتان[3] : أُنْسه بالغير وأُنس الغير به . وقيل : اشتقاقه من النَّوس وهو الحركة لكثرة حركته فيما يتحراه . وقيل : من الإيناس وهو الإبصار لأَنه يدرك ببصره الظاهر وببصره الباطن .

واختلفت الآيات فيما بدئ من خلق آدم ، ففى موضع : (خلَقه من تراب[4]) وفى موضع (من طينٍ لازبٍ[5]) وفى موضع (من حَمَإٍ مَسْنون[6]) وفى موضع (من صَلْصَالٍ كالفخَّار[7]) قال العلماء : وهذه الآيات راجعة إِلى أَصل واحد وهو التراب الذى هو أَصل الطين ، فأَعلمنا الله تعالى أنه لمّا خلقه من تراب جعله[8] طينا ، ثم انتقل فصار حمأً مسنونا ، ثم انتقل . فصار صَلْصالا كالفخَّار . قال الثعلبى فى قوله تعالى حكاية عن إبليس أنه قال : (خَلقْتنى من نار وخَلَقْته من طِينٍ[9]) قال العلماء أَخطأَ عدو الله تعالى فى تفضيله النار على الطين ، لأَن الطين أَفضل من النار ، لوجوه[10] أَحدها : أَن من جَوْهر الطين الرزانةَ والسُّكون والوقار والحِلْم والأَنَاة والحياء والصبر ، وذلك سبَّب توبة آدم وتواضعه فأَورثه المغفرة والاجتباء والهداية . ومن جوهر النار الخِفَّةُ والطيش والحِدّة والارتفاع والاضطراب ، وذلك سبَّب استكبار إبليس فأَورثه اللعنة والهلاك .

الثانى : أَن الجنة موصوفة بأَن ترابها المسك ولم يُنْقل أَن فيها نارا .

الثالث : أَنها سبب العذاب بخلاف الطين .

الرابع : أَن الطين سَبب جَمْع الأَشياء والنار سبب تفرقها وفى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أَنه قال : « إنّ الله خَلق آدم يوم الجمعة[11] » .

(١) سورة ص ٧١ .
(٢) سورة الدهر آية ١ .
(٣) فى الأصل : إنسان . محرفة .
(٤) سورة آل عمران ٥٩ .
(٥) سورة الصافات ١١ .
(٦) سورة الحجر ٢٨ .
(٧) سورة الرحمن ١٤ .
(٨) ط : جعل .
(٩) سورة ص ٧٦ .
(١٠) غير ط : أفضل لوجوه .
(١١) صحيح مسلم كتاب الجمعة حديث رقم ١٨٠١٧ .

وفضَّل الله تعالى آدم بأُمور : خلَقه بيده وأَسْجد له ملائكته ، وأسكنه جنته واصطفاه ، وكرَّم ذريته وعلَّمهم جميع الأَسماء ، وجعله أَول الأَنبياء وعلَّمه مالم تعلم الملائكة المقربون ، وجعل من نَسْله الأَنبياء والمرسلين والأَولياء والصِّديقين . واشتهر فى كتب التواريخ أَنه عاش أَلف سنة صلى الله عليه وسلم . وقد بسطت الكلام على الأَنبياء المذكورين فى النسب الشريف مع تراجم بقية الأَنبياء فى كتاب الجواهر النفائِس فى تحبير كتاب العرائِس أَعان الله على إِكماله وتحريره .

الباب الخامس

في معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « أنا ابن العَواتك والفواطم »

روى سعيد بن منصور والطَّبَراني وابن عساكر بسند رجاله ثقات وصححه الحافظ الناقد ضياء الدين المقْدِسيّ في المختارة عن سِيَابة بن عاصم رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا ابنُ العَوَاتك من سُلَيْم[1] » سِيَابة بمهملة مكسورة ثم مثناة تحتية مخففة فموحدة .

وروى ابن عساكر عن قتادة مرسلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في بعض غزواته « أنا النبي لا كذِب ، أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك »[2]

وروى عن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجْرَى فرسَه مع أبي أيوب الأنصاري فسبقه فقال : أنا ابن العواتك إنه لهُو الجواد البَحْر » يعني فرسه .

وروى ابن عساكر عن أبي بكر بن البَرْقي قال حدثني بعض الطالبيين قال : يُرْوى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم أُحد : « أنا ابن الفَواطم »

قال في القاموس: عتَك يَعْتِك : كرَّ في القتال . ثم قال : وعتكت المرأةُ: شَرُفت ورَأَسَتْ. ثم قال : والعاتك : الكريم والخالص من الألوان . ثم قال : : والعاتكة[3] من النخل التي لا تتأَبَّر[4] والمرأة المُخْمَرَّة[5] من الطيب .

وقال ابن سعد : العاتكة في اللغة: الطاهرة . قال في الصحاح والقاموس : العواتك من جدات النبي صلى الله عليه وسلم تسع : ثلاث من [بني][6] سليم : عاتكة بنت هلال ابن فالج أي بالجيم [بن هلال] أم جدّ هاشم .وعاتكة بنت مُرّة بن هلال بن فالج أم

---

(1) مجمع الزوائد ٢١٨/١ قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح .

(2) تاريخ ابن عساكر ٢٨٨/١ .

(3) ص ، ت ، م : والعاتك .

(4) القاموس : التي لا تأتبر .

(5) ص ، ت ، م « المخمرة » . وط : « المجمرة » . وهو تحريف وما أثبته من القاموس (عتك) .

(6) ليست في ط .

هاشم . وعاتكة . بنت الأَوْقَص بن مُرّة بن هلال أُم وهب أُم عبد مناف بن زهرة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَل أُمّه آمنة بنت وهب .

وسائر العواتك أُمهات رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير بنى سُلَيْم .

وجرى فى النهاية على أن العواتك من بنىسليم ثلاثة ، لكنه قال عاتكة بنت هلال ابن فالج هى أُم عبد مناف أَبو[1] قُصَى وعلى ما ذكره فى الصحاح والقاموس تكون أُم قصى والد عبد مناف وعلى كل حال فقد قيل فى اسم أُم قصى وأُم ولده عبد مناف غير ذلك كما تقدم . فإما أَن يكون لكل واحدة منهما إسمان ، أَو أَحدهما[2] الاسم والآخر اللقب .

قال فى النهاية : فالأُولى من العواتك عمة الثانية ، والثانية عمة الثالثة .

وروى ابن عساكر عن أَبى عبد الله العدَوى رحمه الله تعالى أَن العواتك من جداته صلى الله عليهوسلم أَربع عشرة: ثلاث قرشيات وأَربع سلميات وعدوانيتان وهُذَلية وقَحْطانية وثَقَفية وأَسَدية أسد خزيمة وقُضَاعية .

وذكر[3] ابن سعد رحمه الله تعالى أَن الفَوَاطم من الجدات عَشْر وسَردهن[4] ولكثرة الخلاف فى أَسماء آباء العواتك والفواطم أَضربتُ عن ذكرهن .

والحاصل أَنهن من جملة الجدات الطاهرات ، وخُصصن بالذكر إما لمزيد شرفهن على غيرهن ، وإما لشهرتهن ، وإما لغير ذلك .

قال الإمام الحليمى رحمه الله تعالى : لم يُرِدْ صلى الله عليه وسلم بذلك الفخر إنما أَراد تعريف منازل المذكورات ومراتبهن . كرجل يقول : كان أَبى فقيها . لا يريد به الفخر وإنما يريد به تعريف[5] حاله دون ما عداه . قال : وقد يكون أَراد به الإشارة لنعمة الله تعالى على نفسه[6] وآبائه وأُمهاته على وجه الشكر ، وليس ذلك من الاستطالة والفخر فى شئ[7] والله تعالى أَعلم .

---

(١) ط : من قصى . و ت م : أم قصى . وما أثبته من ص .

(٢) ط : أو إحداها الاسم والأخرى اللقب .

(٣) ط : وروى .

(٤) طبقات ابن سعد ٣٢/١ (القسم الأول)

(٥) ط : « التعريف دون ما عداه » .

(٦) ط : « فى نفسه » .

(٧) ط : انتهى . بدلا من : والله تعالى أعلم .

جُمَاعُ أَبْوَابِ مَوْلِدِهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الباب الأول

فى سبب تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله امرأة من بنى زُهْرة

روى ابن سعد وابن البرْقى والطبرانى والحاكم وأبو نُعَيْم عن العباس بن عبد المطلب عن أبيه قال : قدمنا اليمنَ فى رحلة الشتاء فنزلت[1] على حَبْر من اليهود فقال لى رجل من أهل الزَّبور ، يعنى الكتاب : ممن الرجل ؟ قلت من قريش . قال من أيهم ؟ قلت : من بنى هاشم . قال : أتأْذن لى أن أنظر إلى بعضك ؟ قلت : نعم ، ما لم يكن عورة . قال ففتح إحدى مِنْخَرىَّ فنظر فيه ثم نظر فى الآخر فقال : أشهد أن فى إحدى يديك مُلْكا وفى الأُخرى نبوة وإنا نجد ذلك فى بنى زُهْرة فكيف ذلك . قلت : لا أدرى قال هل لك من شاعة قلت : وما الشاعة ؟ قال الزوجة . قلت ؛ أمّا اليوم فلا . فقال : إذا رجعت فتزوج منهم فلما رجع عبد المطلب إلى مكة تزوج هالَة بنت أُهَيْب ابن عبد مناف وزوّج ابنَه عبدَ الله آمنة بنت وهب فولدت له رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . فقالت قريش : فلَج عبدُ الله على أبيه[2] .

الشاعة : بشين معجمة وعين مهملة : الزوجة سميت بذلك لمتابعتها الزوجَ وشِيعة الرجل أتباعه وأنصاره . فلَج بفتح أوله وثانيه : ظفر بما طلب .

وروى البيهقى وأبو نعيم عن ابن شهاب رحمه الله تعالى قال : كان عبد الله أحسنَ رجل رُئِى قط ، خرج يوما على نساء قريش فقالت امرأة منهن : أيتكنَّ تتزوج بهذا الفتى فتَصْطَبَّ النورَ الذى بين عينيه فإنى أرى بين عينيه نورا ؟ فتزوجته آمنة بنت وهب[3] .

تصطب : تَسْكُب وتُدْخل .

---

(١) ص ، ت ، م : فنزلنا .

(٢) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٨٨ .والخصائص الكبرى ٩٩/١ والوفا ٨٤/١ .

(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٩٢ والخصائص الكبرى ١٠٤/١ .

وروى الزُّبَيْر بن بكّار عن[1] أن سَوْدة بنت زُهْرة بن كلاب الكاهنة قالت يوما لبنى زهرة : إن فيكم نذيرة أو تلد نذيرا فاعرضوا علىّ بناتكم . فعرضْنَ عليها فقالت فى كل واحدة منهن قولا ظهر بعد حين[2] ، حتى عُرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه : النذيرة أو تلد نذيرا له شأن وبرهان منير . ولما سئلت عن جهنم قالت : سيُخْبركم عنها النذير .

(١) بياض بالأصل .

(٢) كذا فى ط وفى ص : ظهر به حتى عرضت إلخ . وفى ت م : ظهر به حين حتى عرضت .

الباب الثانى

فى حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم وما وقع فى ذلك من الآيات

روى البيهقى من طريق يونس ابن بُكَيْر عن ابن إسحاق رحمه الله تعالى قال : إن عبد المطلب أخذ بيد إبنه عبد الله فمرَّ به فيما يزعمون على امرأة من بنى أسد بن عبد العُزَّى ابن قُصَىّ فقالت له حين نظرت إلى وجهه - أين تذهب يا عبد الله ؟ فقال مع أبى . فقالت لك[1] عندى من الإبل مثل الذى نُحرتْ عنك وقَعْ علىَّ الآن فقال لها : إنى مع أبى لا[2] أستطيع خِلَافه ولا فراقه ولا أُريد أن أعصيه شيئًا . فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهبَ بن عبد مناف بن زُهْرة ووهبٌ يومئذ سيِّد بنى زهرة نسبًا وشرفا فزوَّجه آمنةَ بنت وهب بن عبد مناف ، وهى يومئذ أفضل امرأة من قريش نسبًا وموضعا . فذكروا أنه[3] دخل عليها حين أمْلِكها مكَانه ، فوقع عليها عبدُ الله فحملتْ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج فمرَّ على تلك المرأة التى قالت له ما قالت فلم تقل شيئًا ، فقال لها : ما لك لا تعرضين علىّ اليوم مثلَ الذى عرضتِ بالأمس؟ فقالت : فارقك النورُ الذى كان معك بالأمس فليس لى بك اليوم[4] حاجة .

وكانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصَّر [فى الجاهليه[5]] واتبع الكتب يقول : إنه لَكائِن فى هذه الأُمة نبىّ من بنى إسماعيل . فقالت فى ذلك شعرًا واسمها أم قَتَّال :

الآنَ وقد ضيعت[6] ما كنت قادرًا	عليه وفارقك النور الذى جاءنى[7] بِكَا
غدَوْتَ علينا حافلا فلا قد بذَلْتَه	هناك لغَيْرى فالْحَقَنَّ بشأْنِكَا
ولا تَحْسَبَنِّى اليومَ خِلْوًا وليتنى	أَصبتُ جنينًا منك يا عبدَ داركَا

---

(١) ط : له عندى .
(٢) ص ت م : إنى لا أستطيع .
(٣) ص ت م : فذكروا له أنه . وأما أثبته من ط .
(٤) غير ط : فليس لى اليوم .
(٥) ليست فى ط .
(٦) ط : وقد صفيت .
(٧) ط : حاء بكا .

ولكنَّ ذاكم صار فى آل زُهْرة	به يَدْعَم[1] اللهُ البريّةَ ناسكا

وقالت أيضا :

عليك بآل زُهرة حيث كانوا	وآمنةَ التى حَملتْ غُلاَمَا

ترى المهدِىَّ حين ترى عليها	ونورًا قد تقدّمه أمَامَا

فكلُّ الخلق يَرْجوه جميعا	يَسُود الناسَ مُهْتديا إماما

براه الله من نورٍ صفاءً	فأذهب نُوره عنا الظَّلامَا

وذلك صُنْع ربى[2] إذ حمَاه	إذا ما سارَ يومًا أو أقامَا

فيَهْدى[3] أهلَ مكةَ بعد كُفْرٍ	ويَفْرض بعد ذلكم الصِّيامَا[4]

قصة أخرى .

روى أبو نُعَيْم والخرائطىّ وابن عساكر من طريق عطاء عن ابن عباس والبيهقى ، وأبو نعيم ، وابن عساكر عن عِكْرمة عنه ، وابن سعد ، عن أَبى الفَيَّاض الخَثْعمى وابن سعد ، عن أبى يزيد المدِينىَّ ، أن عبد المطلب لمّا خرج بابنه ليزوجه مرّبه على امرأة كاهنة من أهل تبَالة متهوّدة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مُرَ الخَثْعمية فرأت نورَ النبوة فى وجه عبد الله فقالت : يا فتى هل لك أن تقع علىَّ الآن وأُعطيك مائة من الإبل ؟فقال عبد الله :

أمّا الحرامُ فالممات دُونَه	والحِلّ لاحِلَّ فأَسْتبينَهُ

فكيف بالأمر الذى تَبْغينه	يحمى الكريم عِرْضه ودِينَهُ

---

(1) فى ط ، ت م : به قد أعم الله وفى ص : به أدعم الله . ولعل ما أثبته هو الصواب .

(2) ط : صنع ربك .

(3) ص ت م : : فهدى . وما أثبته من ط .

(4) هذا الخبر الذى ينسب إلى ابن اسحق لا يمكن الإطمئنان إليه ، ويمكن نقد متنه ، وخاصة أنه من حيث الإسناد لا قيمة له ، فليس متصلا ولا مرفوعا ، فهو من جهة يناقض ما يثبت فى الأحاديث الصحيحة من طهارة آبائه وشرفهم ، ولا يعقل أن منهم من يرضى بالزنا أو يعرضه وهو حديث عهد بعرس !والله أعلم حيث يجعل رسالته . كذلك فإن الشعر الوارد فى هذا الخبر ركيك مصنوع وليس ثابتا عند أحد من أهل العلم بالشعر . وكل ما فى الأمر أن بعض الوضاعين أراد أن يثبت فضيلة للنبى صلى الله عليه وسلم فأخطأ فى الوسيلة وناقض الصحيح . ويدل على اصطناع هذا الخبر أن المرأة التى تذكر فيه تسمى فى بعض الروايات : « ليلى العدوية » وفى بعضها « الخثعمية » ، وفى بعضها فاطمة بن مر » ، وفى بعضها « أم قتال » وفى بعضها : « كاهنة من أهل تبالة متهورة » . وذلك كله يسقط الخبر ويدل على اضطرابه . ويدل على ذلك قول بن اسحق فى سياقه للخبر : « فيما يزعمون » .

ثم مضى مع أبيه فزوّجه آمنة بنت وهب فأقام عندها ثلاثا ، ثم مرَّ على تلك المرأة فلم تقل له شيئًا ، فقال لها : مالِك لا تعرضين عليّ ما عرضت[1] على بالأمس ؟ [1] فقالت : من أنت ؟ قال : أنا فلان . قالت : ما أنت هو ، ولئن كنت ذاك لقد رأيتُ بين عينيك نورًا ما أراه الآن ، ما صنعتَ بعدى ؟ فأخبرها . فقالت : والله ما أنا بصاحبة ريبةٍ ولكن رأيت فى وجهك نورًا فأردتُ أن يكون فىَّ وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراده[2] اذهب فأخبِرْها أنها حملت خيرَ أهلِ الأرض ثم أنشأت تقول :

إنِّى رأيتُ مَخِيلةً لمَعَت ... فتلألأتْ بحَنَاتم القَطْرِ
فلمائهـا نورٌ يضئُ لـه ... ما حَوْله كإضاءة البدرِ
ورجوتُها فخـرًا أبُوء به ... ما كلُّ قادِح زِنْده يُورِى
لله ما زُهْـريّة سلَبَت ... ثوبيك ما استلبتْ وما تدرِى

وقالت أيضا :

بنى هاشم قد غادرتْ من أخيكم ... أُمَيْنة إذ لِلْبـاه يَعْتلجان
كما غادر المصباحُ بعد خُبوِّه ... فَتائل قـد مِيثَتْ لـه بدهـانِ
وما كلُّ ما يَحْوى الفتى من تِلاَده ... بحَزْم ولا ما فاته بتـوانِى
فأجملْ إذا طالبتَ أمرًا فإنه ... سيَكْفيكه جَـدَّان يَصْطرعانِ
سيَكْفيكه[3] إما يَـدٌ مَقْفعِلَّة ... وإمـا يَـدٌ مَبْسوطة ببنَانِ
ولمـا قضَتْ منه أُمَيْنة ما قضَتْ ... نبا بَصرى عنه وكَلَّ لسانِى[4]

وروى ابن سعد ، عن يزيد بن عبد الله بن وهب بن زَمْعة عن عمه ، والبيهقى عن ابن إسحاق رحمهما الله تعالى قال : كنا نسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت به آمنة كانت تقول : ما شعرت أنى حملتُ به ولا وجدت ثِقَله كما تجد النساء إلا[5] أننى أنكرت رفع حَيْضتى وربما ترفعنى وتَعُود وأتانى آتٍ وأنا بين النائم واليقظان فقال [لى[6]]

(١) ط : ما عرضت بالأمس .
(٢) ت م : حيث أراد .
(٣) ص ت م : سيكفيه .
(٤) طبقات ابن سعد ١/٥٨ (القسم الأول)
(٥) ص : ولكننى .
(٦) من ت م : ودلائل النبوة لأبى نعيم ص ٩٠ والوفا ١/٨٨ .

هل شعرتِ أنك حملت ؟ فأقول : ما[1] أدرى فقال : إنك حملتِ بسيد هذه الأمة ونبيها وذلك يوم الإثنين وآية ذلك أنه[2] يخرج معه نور يملأ قصور بُصْرى من أرض الشام ، فإذا وضع فسمِّيه محمدا . قالت : فكان ذلك مما يَقَّن[3] عندى الحملَ ، ثم أمهلنى حتى إذا دنتْ ولادتى أتانى ذلك فقال قولى :

أُعيذه بالواحد من شرِّ كل حاسدِ

قالت : فكنت أقول ذلك فذكرته لنسائى[4] فقلن : تعلَّقِى عليكِ حديدا فى عضديك وفى عنقك . ففعلتُ فلم يكن يُتْرك[5] على إلا أياما فأجده قد قُطع ، فكنت لا أتعلَّقه[6]

[ولبعضهم شعر[7] :]

حملَتْه آمنةٌ وقد شَرُفْت به وتباشَرتْ كلُّ الأَنام بُقْربهِ
حَمْلاً خفيفا لم تجدْ أَلَمًا به وتباشرت وَحْشُ الفَلاَ فرحًا بهِ
واستبشرتْ من نورهن وكيف لا وهو الغِيَاث ورحمةٌ من ربِّهِ

قولها : ولا وجدتُ له ثقلا : قال فى الزَّهْر فى حديث شدَّاد عكسه ، وجُمع بأن الثقل فى ابتداء الحمل والخفة عند استمراره ليكون ذلك خارجًا عن المعتاد . قلت : وبذلك صرَّح الحافظ أبو نُعَيْم رحمه الله تعالى .

وعن بُرَيْدة وابن عباس رضى الله تعالى عنهما قالا : رأت آمنة وهى حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها : إنك حبلى بخير البرية وسيد العالمين ، فإذا ولدتيه فسميه أحمد أو محمدا أو علقى عليه هذه . فانتبهت وعند رأسها صحيفة من ذهب مكتوب عليها :

أعيذه بالواحد من شرِّ كل حاسد
وكل خلق زائد من قائم وقاصدِ[8]

---

(١) ص ت م : فما .
(٢) ص ، ت ، م : أن يخرج .
(٣) ص ، ت م : تيقن .
(٤) ط : أقول ذلك لنسائى . »
(٥) ص ت م : ينزل . محرفة والتصويب من ط .
(٦) طبقات ابن سعد ١/٦٠ (القسم الأول) والوفا ١/١/٨٨ .
(٧) ليست فى ط .
(٨) كذا وفى دلائل النبوة لأبى نعيم : من قائم وقاعد .

عن السبيل حائدِ[1] على الفسادِ جاهدِ
من نافث أو عاقدِ وكلِّ خَلْقٍ ماردِ
يأخذ بالمراصدِ فى طرق الموارِدِ

أنهاهم عنه بالله الأعلى ، وأحوطه منهم باليد العليا والكنف الذى لا يُرَى ، يدُ الله فوق أيديهم وحجاب الله دون عادِيهم ، لا يَطْرُدونه ولا يَضُرّونه فى مَقْعد ولا مَنَام ولا سَيْر ولا مُقَام ، أول الليل وآخر الأيام .

رواه أبو نُعَيْم[2] وسنده واهٍ جدًّا ، وإنما ذكرته لأنبّه عليه لشهرته فى كتب المواليد .

قال الحافظ أبو الفضل العراقى فى مولده إن من قوله : وعلّق عليه هذه » إلى آخره أدرجه بعض القُصّاص .

وروى البيهقى عن أبى جعفر محمد بن على رضى الله تعالى عنهما قال : أُمرت آمنة وهى حُبْلَى برسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسميه أحمد .

وروى الحاكم وصححه والبيهقى عن خالد بن مَعْدَان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا ؟ يا رسول الله أخبرنا عن نفسك . قال : « أنَا دعوةُ أبى إبراهيم وبُشْرى عيسى ، ورأت أمى حين حملتْ بى كأنه خرج منها نورٌ أضاءت له قصورُ بُصْرَى من أرض الشام[3]

وروى ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن آمنة قالت : لقد عَلِقْتُ به فما وجدت له مشقةً حتى وضعته[4] .

واختلفوا فى يوم ابتداء الحمل فقيل : فى أيام التشريق . وعليه فيكون مولده فى رمضان وقيل فى عاشوراء وقيل غير ذلك .

قال أبو زكريا يحى بن عائذ رحمه الله تعالى فى مولده : بقى صلى الله عليه وسلم فى بطن أمه تسعة أشهر كُمَّلاً لا تشكو وجعًا ولا مغصًا ولا ريحًا ولا ما يَعْرِض لذوات الحمل من النساء

---

(١) كذا فى ص . وفى ط : عائد . وفى ت م : عاند .
(٢) دلائل النبوة ص ٩٤ .
(٣) طبقات ابن سعد ١/٩٦ (القسم الأول)
(٤) طبقات ابن سعد ١/٦٠ (القسم الأول)

قال فى الغُرَر : وهو الصحيح . وقيل : كانت مدة الحمل عشرة أشهر . وقيل ثمانية . وقيل سبعة .

* * *

تنبيهات

الأول قال الحافظ أبو الفضل العراقى رحمه الله تعالى : وسيأتى أنها رأت النور أيضا خرج منها عند الولادة . وهذا أولى لتكون[1] طُرُقُه متصلة . ويجوز أن يكون خرج منها النور مرتين مرة حين حملت به ومرة حين وضعته ولا مانع من ذلك . ولا يكون بين الحديثين تعارُض انتهى .

وقال الشيخ رحمه الله تعالى : قوله حين « حملت به » هى رؤيا منام وقعت فى الحمل، وأما ليلة المولد فرأت ذلك رؤية عين كما سيأتى .

الثانى : فى شرح غريب ما تقدم :

الآن : اسم للوقت الذى أنت فيه : جاء فعل ماضى قصَره للنظم . بِكَا : بمعنى مع . أى فارقك النور الذى كان معك . حافلا : بالحاء المهملة أى ممتلئا من النور أو المنّى . الشأن : الأمر والحال والخطب . خلوًا : أى خالية من الزوج . أصبت : أدركت . جنينا بالجيم كما فى خط مغلطاى فى الزهر . وفى نسخة صحيحة من دلائل النبوة بالحاء المهملة وموحَّدتين . قد أعم . بعين مهملة . وفى نسخة : به يَدْعم الله البرية بمثناة تحتية فدال فعين مهملتين أى يتموِّمها . البَرِيّة : الخلق تَرًا عليها : أى واقَعها[2] برَاه : خلعه . الصفاء : ممدود خلاف الكدَر . حبَاه بالمهملة والموحدة أى أعطاه . تَبَالة . بتآء مثناة فوقية فباء موحدة مفتوحتين : بلد صغير من اليمن . مَخِيلة بميم مفتوحة فخاء معجمة مكسورة . موضع الخيل ، وهو الظن ، كالمظِنَّة ، وهى السحابة الخليقة بالمطر ويجوز أن تكون مسماة بالمخيلة التى هى المصدر كالمحبسة من الحبس .

الحنَاتم : بحاء مهملة فنون فألف فمثناة فوقية : سحائب سُود ، لأن السواد عندهم

(١) ط : أولى لكون.

(٢) ت م : أى واقا : محرفة.

خضرة . أَبُوء به : أَرجع . الزَّنْد وزان فَلْس : الذى يُقدح به النار وهو الأَعلى ، وهو مذكر والسفلى زِنْدة بالهاء ويجمع على زِنَاد . يُورِى : يوقد .

غادرت : تركت أُمَيْنة تصغير آمنة . خبوّه . طَفْئة مِيثَتْ : بمثناة تحتية فثاء مثلثة يقال : ماث فلان الدواء يَميثه مَيْثا . ويَمُوثه مَوْثاً[1] مَرَسَه[2] التِّلاَد والتالد والتليد : المال القديم .وخِلاَفه : الطارفُ والطَّرِيف .

جَدَّان : الجد بفتح الجيم الحظ . والجد : الغنى . مُقْفَعِلَّة : بقاف ففاء فعين مهملة : أى منقبضة يقال اقفعلت يده إذا انقبضت وتشنجت . البنَان : الأَصابع وقيل أَطرافها الواحدة بنانة . نبا : ارتفع . كَلَّ يقال : كَلَّ من الإِعياء كلالا وكَلاَلَةً . والبصرُ واللسان كلَّةً وكلولاً . ما شعَرَتْ . بفتح أَوله وثانيه : أَى ما علمت . ثَقلَه بثاء مثلثة فقاف فلام مفتوحات أَى ثقلا وفتورا حِيضتى . بكسر الحاء المهملة : الاسم من الحيض والحال التى تلزمها الحايض من التجنب . فأَما الحَيْضة بالفتح فالمرة الواحدة من رفع[3] الحيض ونوبه . وقولها : وأنا بين النائم واليقظان على إرادة الشخص . والله تعالى أَعلم .

---

(١) ص ت م : ويموسه موسا . محرفة .

(٢) كذا فى ط . وفى ص ت م : فرشه . محرفة .

(٣) ط : من دفع .

الباب الثالث

فى وفاة عبد الله بن عبد المطلب

قال[1] ابن إسحاق رحمه الله تعالى . ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أن توفى وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به[2] .

هذا ما جزم به ابن إسحاق ورجحه الواقدى وابن سعد والبلاذرى ، وصححه الذهبى وقال ابن كثير إنه المشهور . و[قال] ابن الجوزى : إنه الذى عليه مُعْظم أَهل السِّيَر ، ورواه الحاكم وصححه ، وأقره الذهبى عن قيس بن محزمة رضى الله تعالى عنه .

قال غير[3] ابن إسحاق : وذلك حين تمَّ لها شهران . وقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى المهْد حين توفى أبوه .وعليه فقيل وله شهران . وقيل ثمانية وعشرون شهرا . وقيل تسعة أَشهر ، ونقل السُّهيْلىّ عن الدُّولابىّ أنه قول الأَكثرين[4] قلت : والحق أنه قول كثيرين لا أكثرين

وروى ابن سعد عن محمد بن كعب ، وعن[5] أَيوب بن عبد الرحمن بن أَبى صعصعة رحمهما الله تعالى قالا : خرج عبد الله إلى الشام إلى غزة[6] فى عير من عيرات قريش يحملون تجارات ، ففرغوا من تجاراتهم ، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله يومئذ مريض ، فقال : أتخلف عند أَخوالى بنى عَدِى بن النجار . فأَقام عندهم مريضاً شهرا ومضى أَصحابُه فقدِموا مكة فسأَلهم عبد المطلب عن ابنه فقالوا : خلَّفناه عند أَخواله بنى عدى بن النجار مريضا ، فبعث عبد المطلب أَكبرَ ولده الحارث فوجده قد توفى ودفن فى دار النابغة فرجع فأَخبره فوَجِد عليه عبدُ المطلب وعماته . وإخوته وأَخواته وجْدًا شديدا . ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم حَمْل ، ولعبد الله بن عبد المطلب يومَ توفى خمس وعشرون سنة[7] .

---

(١) ط : روى . (٢) سيرة ابن هشام ١٥٨/١ . (٣) كذا فى ط . وفى ص ت م : قال عن ابن اسحق .

(٤) الروض ١٠٧/١ وعبارة السهيلى : وذكر أنه مات أبوه وهو حمل وأكثر العلماء على أنه كان فى المهد . ذكره الدولابى وغيره .

(٥) ص ت م : عن أيوب .

(٦) ص ت م : إلى غيره . محرفة .

(٧) طبقات ابن سعد ٦١/١ (القسم الأول)

قال الواقدىّ : وهذا أثبت الأقاويل فى وفاة عبد الله وسنّه . وقال الحافظ العلائىّ وابن حَجَر إن عمره كان يوم توفى ثمانى عشرة سنة قال الواقدى : ولم يتزوج عبدُ الله قط غير آمنة . وآمنة لم تتزوج قط غير عبد الله .

أخذَ الالهُ أبا الرسول ولم يَـزَلْ ... برسوله الفَرْدِ اليتيم رحـيمًا
نفسِى الفِـداءُ لمُفْرَد فى يُتْمِـه ... والدرُّ أحسنُ مـا يكون يتيـمًا

***

لطيفة : نقل أبو حيّان فى بحره وغيره عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه قال . إنما يتم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لئلا يكون عليه حقٌّ لمخلوق .

وقال ابن العِمَاد فى كشف الأسرار : إنما ربّاه يتيما لأن أساس كل كبير صغيروعقبى كل حقير خطير . وأيضا لينظر صلى الله عليه وسلم إذا وصل إلى مَدَارج عِزّه إلى أوائل أمْره ليعلم أن العزيز من أعزّه الله تعالى وأن قُوّته ليست من الآباء والأُمهات ولا من المال بل قُوّته من الله تعالى . وأيضا ليرحم الفقير والأيتام .

وقالت آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم تَرْثى زوجَها . كما ذكر ذلك ابن إسحاق فى المبتَدأ وابن سعد فى الطبقات .رحمهما الله تعالى .

عفا جانبُ البَطْحاء من ابن هاشمٍ ... وجاوَر لَحْدًا خـارجا فى الغَماغِم
دَعتْــه المنَايَا بغتةً فأجــابهـا ... وما تركتْ فى الناس مثلَ ابن هاشم
عشيّة راحــوا يَحْملون سريــره ... يُعَاوره[1] أصحابه فى التزاحم[2]
فإن يَكُ غالَتْه المنايا ورَيْبُهـا ... فقد كان مِعْطاءً كثير التراحمِ[3]

وقالت أيضا ، أورده القاسم الوزيرى المغربى رحمه الله تعالى ورضى عنه ترثى عبدَ الله زوْجها والد[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أَضْحَى ابنُ هاشم فى مَهْماء مُظْلِمة ... فى حُفرة[5] بين أحجارٍ لدى الحصَرِ
سقَى جـوانبَ قبرٍ أنت ساكنُه ... غيثٌ أحمّ الذَّرَى ملآن ذو دَرَرِ

---

(١) ص ت م : يعاوده .
(٢) ص ت م : فى التراحم .
(٣) طبقات ابن سعد ٦٢/١ (القسم الأول)
(٤) الأصل : قاله . محرفة .
(٥) ص : إلى حفيرة أحجار لدى الحصر .

تفسير الغريب

التابعة[1] : قال فى الزهر بتاء مثناة فوقية فباء موحدة فعين مهملة . الغَمَاغِم بغينين معجمتين بعد كل ميم بعد الأُولى ألف : الأَغطية . يُعَاوِره : يتداولونه بينهم . مَهْمَاء أى مفازة . والجمع مَهَامِه . أَحَمَّ الشئْ ، قَرُب ودنا . الذَّرَى . بفتح الذال المعجمة اسم لما ذرتْه الريح واسم الدمع المصبوب . العِيَرات بكسر العين وفتح الياء جمع عير . كذا جمعوه والقياس التسكين .

***

قال محمد بن عمر الأَسْلمى رحمه الله تعالى : ترك عبدُ الله أُمَّ أيمن وخمسة أجمال وقطعة من غنم فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيه .

(١) كذا بالأصل ولم تتقدم هذه الكلمة فيما سبق ولا معنى لوجودها هنا .

الباب الرابع

فى تاريخ مولده صلى الله عليه وسلم ومكانه

وفيه فصلان : الأول : فى بيان يومه ، وشهره ، وعامه .

الصواب : أنه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين . روى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود عن أبى قتادة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الاثنين فقال : « ذاك يومٌ ولِدت فيه . أو قال أُنزل علىَّ فيه[1] » .

وروى يعقوب بن سفيان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين ، ورفع الحجرَ الأسود يوم الاثنين .

وفى بعض الطرق عند ابن عساكر : وأنزلت سورة المائِدة يوم الاثنين : (اليوم أكملتُ لكم دِينكم)[2] وكانت وقعة بدر يوم الاثنين .

قال[3] ابن عساكر : المحفوظ أن وقعة بدر ونزول : « اليوم أكملت لكم دينكم » يوم الجمعة .

وروى الزبير بن بكّار وابن عساكر عن معروف بن خَرَّبُوذ رحمه الله تعالى قال : وِلِد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين حين طلع الفجر .

وقال الحافظ أبو الفضل العراقى فى المورِد[4] : الصواب أنه صلى الله عليه وسلم ولد فى النهار ، وهو الذى ذكره أهل السير . وحديث أبى قتادة مصرح به .

وروى[5] الأربعة عن سعيد بن المسيّب رحمه الله تعالى قال : ولد رسول الله صلى الله عليه

---

(١) صحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٩٧ ومسند أحمد ٢/٢٠٠ ، ٢٣٠ . وسنن أبى داود ١/٢٤١ كتاب الصوم باب فى صوم الدهر تطوعا)

(٢) سورة المائدة ٣

(٣) ط : وروى .

(٤) ص ، ت ، م : فى المولد ، وما أثبته من ط .

(٥) ط : وروى عن سعيد بن المسيب .

وسلم عند إبهار النهار ، وجزم به ابن دِحْية ، وصححه الزركشى رحمه الله تعالى فى شرح البردة ولبعضهم شعر :

يا ساعةً فتح الهدى أرْفادها ... لُطفًا وقد منح الجزا إسعادها

لاحتْ بشهر ربيعٍ الزاكى الذى ... فاق الشهورَ جلالةً إذ سادَها

حيثُ النبوة أشرقتْ بمآثرٍ[1] ... كالشُّهب لايُحْصى الورَى تَعْدادَها

حيث الأمانة والرسالة قد بَدتْ ... يُعْلى[2] لمكة غَوْرها ونِجَادَها

قال ابن دِحْية رحمه الله تعالى : وأما ما روى من تدلِّى النجوم فضعيف ، لاقتضائه أن الولادة كانت ليلاً .

قال الزركشى : وهذا لا يَصْلح أن يكون تعليلا فإن زمان النبوة صالح للخوارق ، ويجوز أن تسقط النجوم نهاراً .

شعر :

يا ساعةً نِلْنا السعادة والهنـــا ... فيها بخير العالمين محمـــدِ

تمَّت لنا أفراحُهـــا بظُهـوره ... وتكمَّلت فى شهر مـــولد أحمدِ

غيره [لبعضهم رحمه الله تعالى[3]] .

توالَتْ أمورُ السَّعْد فى خيرساعة ... بمولد خَيْر الرُّسْلِ فى ساعة السعد

فياطيب أوقاتٍ ويا طيب مَوْلدٍ ... ويا طيب مولود حَوى سائِر المجدِ

قال ابن كثير والحافظ وغيرهما : ثم إن الجمهور على أن ذلك كان فى شهر ربيع الأول[4] .

قال السهيلى : وهو المعروف . ونقل بعضهم فيه الإجماع .

يقول لنا لسانُ الحـــالِ منه ... وقولُ الحـــق يَعْذُب للسَّمِيعِ

فوجْهى والزمـــانُ وشَهْر وَضْعى ... رَبيعٌ فى ربيعٍ فى ربيـــعِ

قال بعض أهل المعانى : كان مولده صلى الله عليه وسلم فى فصل الربيع وهوأَعْدَل الفصول ليله ونهاره معتدلان بين الحر والبرد ، ونسِيمه معتدل بين اليبوسة والرطوبة وشمسه معتدلة

---

(١) ص ت م : بمآمن . محرفة . وما أثبته من ط .
(٢) ص ت م : يعلو .
(٣) ليست فى ط .
(٤) السيرة النبوية لابن كثير ١٩٩/١ .

فى العلوّ والهبوط ، وقمره معتدل فى أول درجة من الليالى البيض ، وينعقد فى سِلْك هذا النظام ، ماهيّاً الله تعالى له صلى الله عليه وسلم من أسماء مُرَبِّيه فنى الوالدة والقابلة الأَمْن والشِّفَاء وفى اسم الحاضنة البرَكة والنماء ، وفى مرضعيه صلى الله عليه وسلم الآتى ذكرهما الثواب والحِلْم والسَّعد.

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى : لاثنتى عشرة ليلة [خلَتْ[1]] منه ورواه ابن أبى شَيْبة فى المصنَّف عن جابر وابن عباس . قال فى الغُرَر : وهو الذى عليه العمل . وقيل لليلتين خلتا منه وقدمه فى الإشارة ، وقيل لثمان . ونقل أبو عمر عن أصحاب الزِّيج أنهم صححوه ورجحه ابن دِحْية . وقال الحافظ : إنه مقتضى أكثر الأخبار . وقيل : لعَشْر . حكاه الدمياطى عن جعفر الباقر وصححه . وقيل : لسبع عشرة . وقيل لثمانى عشرة ، وقيل : فى أوله حين طلع الفجر .

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى : عام الفيل . قال ابن كثير : وهو المشهور عند الجمهور . وقال إبراهيم بن المنذر الحزَامىّ[2] شيخ البخارى : وهو الذى لا يشك فيه أحد من العلماء . وبالغ خليفة بن خياط وابن الجزّار[3] وابن دِحْية وابن الجَوْزى وابن القيم فنقلوا فيه الإجماع .

وروى البيهقى والحاكمُ فى المُستدرك وصححه وأقرّه الذهبىّ فى مختصره ، وصَحّحه فى تاريخه الكبير عن يحيى بن مَعِين ، عن حَجّاج بن محمد ، عن يُونُس بن أبى إسحاق عن أبيه ، عن سَعِيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل[4]

قال الحافظ فى شرح الدُّرَر : والمحفوظ لفظ العام . وقيل : يطلق اليوم ويراد به مُطْلق الوقت ، كما يقال يوم الفتح ، ويوم بدر ، فإن كان المراد حقيقة اليوم فيكون أخصّ من الأوَّل وبذلك صرح ابن حِبّان فى تاريخه فإنه قال : ولد عامَ الفيل فى اليوم الذى بعث

---

(١) من سيرة ابن هشام ١٥٨/١

(٢) ص ت م : الخزامى . محرفة والتصويب من ط . وانظر ميزان الاعتدال ٦٧/١ .

(٣) ط : وابن الحذاء .

(٤) المستدرك للحاكم ٦٠٣/٢ وقال : تفرد حميد بن الربيع بهذه اللفظة (أى يوم) فى هذا الحديث ولم يتابع عليه . كما أورد الحاكم قبل هذه الرواية الرواية الصحيحة : عام الفيل .

الله فيه الطيرَ الأَبابيلَ على أصحابِ الفيل . قال : ثم وَجدتُ الحديثَ عن ابن مسعود عن يحيى بن مَعِين بسنده المذكور قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الفيل يعني عام الفيل .

وروى ابن إسحاق وأبو نُعَيْم والبيهقى عن المطَّلب بن عبد الله بن قيس بن مَخْرَمة عن أبيه عن جده قال : وَلِدْت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الفيل كنا لِدَيْنِ[1] .

وسأل عثمانُ بن عفان قُباثَ بن أَشْيَمَ الكِنَانى ثم اللَّيْثى : يا قُبَاث أنت أكبر أم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر منى وأنا أسن منه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ووقفتْ بى أُمى على خَذْق الفيل أخضر مُحِيلا[2] .

مَخْرمة بفتح الميم وإسكان الخاء المعجمة . ومات على دينه . لِدَيْن : قال أبو ذر المشهور فيه : لِدَتَيْن بالتاء يقال فلان لِدَة فلان إذا ولد معه فى وقت واحد . قال الجوهرى لدة الرجل تِرْبه والهاء[3] عِوَض عن الواو الذاهبة منه ، لأنه من الولادة . وهما لِدَان والجمع لِدَات ولِدُون . التِّرْب بكسْر التاء المثناة الفوقية وإسكان الراء وبالموحدة : مَن ولِد معك . قُبَاث بضم القاف ويقال بفتحها، قال الحافظ : وهو المشهور ، ثم موحدة خفيفة ثم مثلثة . ابن أَشْيَم بمعجمة وتحتانية وزان[4] أَحْمد .

وعلى هذا فقيل بعد الفيل بخمسين يوما . قال ابن كثير : وهو أشهر . وصححه المسعودى والسهيلى . وزاد أنه الأشهر والأكثر وقيل بزيادة خمس .

وذكر أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمىّ رحمه الله تعالى أن قدوم أصحاب الفيل مكة لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم . وقد قال ذلك غيره . وزاد يوم الأحد . وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة .

وروى ابنُ سعد وابنُ عساكر عن أَبِي جَعْفَر الباقر رحمه الله تعالى قال : كان قُدوم أصحاب الفيل فى النصف من المحرم ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده بخمس

---

(١) ت م : كاللدين . والخبر فى دلائل النبوة لأبى نعيم ١٠١ وسيرة ابن هشام ١/١٥٩ .

(٢) دلائل النبوة لأبى نعيم ١٠٠ . والخذق : الروث .

(٣) ص ت م (بالهاء) . (٤) ط : وزن .

وخمسين ليلة[1] . وصحح الحافظ الدمياطى هذا القول . وقيل بأربعين يوما . وقيل بشهر وستة أيام . وقيل بعشر سنين . وقيل بثلاثين عاما . وقيل بأربعين عامًا . وقيل بسبعين عاما .

وقيل لثنتى[2] عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل .

وقيل فى صفر . وقيل فى ربيع الآخر . وقيل فى المحرّم لخمس بقين منه . وقيل فى عاشوراء .

قال السهيلى رحمه الله تعالى : أهلُ الحساب يقولون وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان ، وكان لعشرين مضت منه[3]

وقال الذهبىّ فى تاريخ الإسلام : نظرت فى أن يكون صلى الله عليه وسلم ولد فى ربيع وأن يكون ذلك فى العشرين من نيسان فرأيته بعيدا من الحساب يستحيل أن يكون مولده فى نيسان إلا أن يكون مولده فى رمضان .

وقال الإمام أبو الحسن الماوردى رحمه الله تعالى : وافق شهر ربيع من شهور الروم العشرين من شباط . انتهى . ويقال : شباط[4] بالإعجام والإهمال .

قال الدِّمياطى رحمه الله تعالى : فى بُرْج الحمَل . قال فى النُّور : وهذا يحتمل أن يكون فى أوائل نيسان وأن يكون فى آذار . ثم قال السُّهيلى . وولد بالغفر من المنازل وهو مولد النبيين ، ولذا قيل :

خير منزلتين[5] كانت فى الأبد ۝ هو ما بين الزبانى[6] والأسد

لأن الغفر يليه من العقرب زبانيها ، ولا ضرر فى الزبانين[7] إنما تضر العقرب بذنبها، ويليه من الأسد أَلْيته وهو السماك والأسد لا يضرّ بأَلْيته وإنما يضر بمخْلبه ونابه .

وقال ابن دِحْية : أظن السهيلى نسى السنبلة وظن أن السماك من الأسد .

---

(١) طبقات ابن سعد ٦٢/١ (القسم الأول) .
(٢) ص ت م : بثنتى .
(٣) الروض ١٠٧/١ ونصه : فكانت لعشرين إلخ .
(٤) ص ، ت ، م : من شباط .
(٥) ط : خير منزلتين فى الأبد .
(٦) ط : بين الزبانين والأسد .
(٧) ص : فى الزبانات .

قال أَبو عبد الله بن الحاجّ رحمه الله تعالى فى المدْخَل : فإِن قال قائل : ما الحكمة فى كونه صلى الله عليه وسلم خُصَّ مولده بشهر ربيع وبيوم الاثنين على الصحيح المشهور عند أكثر العلماء ، ولم يكن فى شهر رمضان الذى أُنزل فيه القرآن وفيه ليلة القدر ، واختص بفضائل عدة ، ولا فى الأشهر الحُرم[1] التى جعلَ الله لها الحرمة يوم خلق السموات والأَرض ، ولا فى ليلة النصف من شعبان ، ولا فى يوم الجمعة ولا فى ليلتها ؟

فالجواب من أَربعة أَوجه :

الأَول ماورد فى الحديث من أَن الله تعالى خلق الشجر يوم الاثنين[2] . وفى ذلك تنبيه عظيم وهو أَن خلق الأَقوات والأَرزاق والفواكه والخيرات التى يمتدّ بها بنو آدم ويَحْيَوْن ويتداوون وتنشرح صدورهم لرؤيتها وتطيب بها نفوسهم وتسْكن خواطرهم عند رؤيتها لاطمئنان نفوسهم لتحصيل ما يُبقى حياتهم ، على ما جرت به حكمة الحكيم سبحانه وتعالى . فوجوده[3] صلى الله عليه وسلم فى هذا الشهر فى هذا اليوم قُرَّة عين بسبب ما وجد من الخير العظيم والبركة الشاملة لأُمة محمد صلى الله عليه وسلم .

الوجه الثانى : أَن ظهوره صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع فيه إشارة ظاهرة لمن تفطَّن لها بالنسبة إلى اشتقاق لفظة ربيع إذ أَن فيه تفاؤلا حسنًا وبشارة[4] لأمته صلى الله عليه وسلم .

وقد قال الشيخ الإمام أَبو عبد الرحمن الصِّقلّى رحمه الله تعالى : لكل إنسان من اسمه نصيب . هذا فى الأَشخاص وكذلك فى غيرها ، وإذا كان كذلك ففصْل الربيع فيه تنشقُّ الأَرض عمّا فى باطنها[5] من نِعَم المولى سبحانه وتعالى وأَرزاقه التى بها قوام العِبَاد وحياتهم ومعايشهم وصلاح أَحوالهم ، فتنفلق الحبة والنوى وأَنواع النبات والأَقوات المقدرة فيها ، فتُبْهج الناظرَ عند رؤيتها وتبشِّره بلسان حالها بقدوم يَنْعها . وفى ذلك إشارة عظيمة إلى الاستبشار بابتداء نعم المولى سبحانه وتعالى ، أَلا ترى أَنك إذا دخلت إلى البستان فى مثل هذه الأَيام تنظر إليه كأَنه يضحك لك ، وتجد زَهْره كأَن لسان حاله يخبرك بما لك

---

(١) ص ت م : الحرام .
(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ٢/٣٢٧ .
(٣) ص ت م : لوجوده . محرفة . وما أثبته من ط .
(٤) ص ت م : ببشارته .
(٥) ص ت م : عما فى بطنها .

من الأرزاق المدَّخرة والفواكه . وكذلك الأرض إذا أبهج نوّارها كأنه يحدثك بلسان حاله كذلك أيضا .

فمولده صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع فيه من الإشارات ما تقدَّم ذكر بعضه . وذلك إشارة ظاهرة من المولى تبارك وتعالى إلى التنويه بعظيم قَدْر هذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم ، وأنه رحمة للعالمين . وبُشْرى للمؤمنين . وحماية لهم من المهَالك والمخاوف فى الدارَيْنِ وحماية للكافرين بتأخير العذاب عنهم لأَجْله صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى : (وما كان الله ليُعَذِّبهم وأَنت فيهم[1]) فوقعت البركات وإدرار الأرزاق والأَقوات . ومن أعظمها مِنَّته على عباده لهدايته عليه الصلاة والسلام لهم إلى صراط الله المستقيم .

الوجه الثالث : ما فى شريعته صلى الله عليه وسلم من شبه الحال ، ألا ترى أن فصل الربيع أَعدَل الفصول وأحسنها إذ ليس فيه بَرْد مُزْعج ولا حَرّ مُقْلق ، وليس فى ليله ولا نهاره طول خارق ، بل كله معتدل وفصله سالم من العلل والأَمراض والعوارض التى يتوقعها الناس فى أَبدانهم فى زمان الخريف ، بل الناس فيه تنتعش قُوَاهم وتنصلح أمزجتهم[2] وتنشرح صدورهم لأَن الأَبدان يُدْركها فيه من أمداد القوة ما يدرك النباتَ حين خروجه ، إذ منها خلقوا ، فيطيب ليلهم للقيام ونهارهم للصيام ، لما تقدم من اعتداله فى الطول والقصر والحر والبرد ، فكان فى ذلك شبه الحال بالشريعة السَّمْحة[3] التى جاء بها صلوات الله وسلامه عليه من رفع الإصر والأَغلال التى كانت على من قبلنا .

الوجه الرابع : أنه قد شاء الحكيم سبحانه وتعالى أنه صلى الله عليه وسلم تتشرف به الأَزمنة والأَمكنة لا هو يتشرف بها ، بل يحصل للزمان أو المكان[4] الذى يباشره عليه الصلاة والسلام الفضيلة العظمى والمزيّة على ما سِوَاه من جنسه إلا ما استثنى من ذلك لأَجل زيادة الأَعمال فيها وغير ذلك ، فلو ولد صلى الله عليه وسلم فى الأَوقات المتقدم ذكرها لكان قد يتوهم أنه يتشرف[5] بها فجعل الحكيم جل جلاله مولده صلى الله عليه وسلم فى غيرها ليظهر عظيم عنايته سبحانه وتعالى وكرامته عليه

---

(١) سورة الأنفال ٣٣ .
(٢) ص ت م : أمزاجهم .
(٣) ص : السمحاء .
(٤) ص ت م : أوللمكان .
(٥) ص ت م : متشرف .

الفصل الثانى : فى مكانه : اختلف : هل ولد بمكة أو غيرها ؟ والصحيح الذى عليه الجمهور هو الأول .

وعليه فاختلف فى مكانه من مكة على أقوال :

أحدها : فى الدار التى فى الزقاق المعروف بزقاق المولد فى شعب مشهوربشعب بنى هاشم . وكانت بيد عقيل . قال ابن الأثير رحمه الله تعالى : قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهَبها عقيلَ بن أبى طالب فلم تزل بيده حتى توفى عنها فباعها ولده من محمد بن يوسف أخى الحجاج ، وقيل إن عقيلا باعها بعد الهجرة تبعا لقريش حين باعوا دور المهاجرين .

الثانى : أنه صلى الله عليه وسلم ولد فى شِعْب بنى هاشم . حكاه الزبير .

الثالث : أنه ولد صلى الله عليه وسلم بالرَّدْم .

الرابع : بعُسْفان .

الباب الخامس

فى إخبار الأحبار وغيرهم بليلة ولادته صلى الله عليه وسلم

روى أبو نُعَيْم والبيْهقى عن حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه قال : إنى لغلام يَفعة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل ما رأيت وسمعت إذا يهودى يصرخ ذات غَداة على أُطمه : يا معشر يهود . فاجتمعوا إليه وأنا أسمع . قالوا : ويلك ما بك ؟ قال : طلع نجمُ أحمد الذى ولد به فى هذه الليلة [1]

يَفعة بفتح الفاء والعين المهملة أى شاب . أُطمه : بالإضافة للضمير والأُطُم بضم الهمزة والطاء المهملة : الحِصْن ويروى على أُطمة بتاء تأْنيث على معنى البُقعة .

وروى ابن سعد والحاكم وأبو نُعَيْم بسند حسن فى الفتح عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان يهودى قد سكن مكة يتجر بها ، فلما كانت [تلك [2]] الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مجلس من قريش : يا معشر قريش ، هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال القوم : والله ما نعلمه. قال : احفظوا ما أقول لكم : ولد هذه الليلة نبىّ هذه الأُمة الأَخيرة ، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأَنهن عرف فرس ، لا يرضع ليلتين . فتصدّع القومُ من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله : فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كلٌّ إنسان منهم أهلَه فقالوا : لقد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا . فالتقى القوم حتى جاءوا اليهودىَّ فأَخبروه الخبر . قال : اذهبوا معى حتى أنظر إليه فخرجوا حتى أدخلوه على آمنة فقالوا : أخرجى إلينا [3] ابنك . فأَخرجتْه وكشفوا له عن ظهره فرأَى تلك الشامة ، فوقع مغشيًّا عليه فلما أفاق قالوا : ويلك ما لك ؟ قال : والله ذهبت النبوة من بنى إسرائيل ، أفرحتم به يا معشر قريش والله لَيَسطونَّ بكم

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٣٦ .
(٢) ليست فى ط .
(٣) ص ت م : لنا .

سطوةٌ يخرج خَبرُها من المشْرق إلى المغرب [1]

متواترات أى متتابعات أو متفرقات :

وروى ابن سعد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كانت يهود قريظة والنَّضِير وفدَك وخيبر يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يُبعث وأن دار هجرته المدينة ، فلما ولد قالت أحبار يهود ولد الليلة أحمد ، هذا الكوكب قد طَلع . فلما تنبَّأَ قالوا قد تنبَّأَ أحمد . كانوا يعرفون ذلك ويقرُّون به ويَصِفونه [إلا الحسد والبغى][2]

وروى أبو نعيم وابن عساكر من طريق المسيَّب بن شريك عن محمد بن شريك عن شعيب بن شعيب ، عن أبيه عن جده ، قال : كان بمرّ الظَّهران راهب من أهل الشام يدعى عيصا ، وكان قد آتاه الله علما كثيرا ، وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس ويقول : يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة تدين له العرب ويملك العجمَ هذا زمانه ، فمن أدركه واتبعه أصاب حاجته ، ومن أدركه وخالفه أخطأ حاجته ، وبالله ما تركت أرضَ الخمرِ والخميرِ[3] والأمن وحَلْلتُ أرضَ البؤس والجوع والخوف إلا فى طَلبه . فكان لا يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه فيقول : ما جاء بعد . فلما كان صبيحة اليوم الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبدُ المطلب[4] حتى أتى عيصَ فوقف على أصل صومعته فناداه فقال : من هذا ؟ فقال : أنا عبد المطلب . فأشرف عليه فقال : كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين وإنَّ نجْمه طلع البارحة ، وآية ذلك أنه الآن وجع فيشتكى ثلاثا ثم يعافى ، فاحفظ لسانك فإنه لم يُحسد حسده أحد ، ولم يُبْغ على أحد كما يُبْغَى عليه . قال : فما عمره ؟ قال : إن طال عمره لم يبلغ السبعين يموت فى وترٍ دونها فى الستين فى إحدى وستين أو ثلاث وستين[5] .

(١) طبقات ابن سعد ١٠٦/١ (القسم الأول) والوفا ٥٠/١ .

(٢) من طبقات ابن سعد ١٠٤/١ (القسم الأول)

(٣) ص : أرض الخمر والخير .

(٤) كذا بالأصل موافقا للخصائص ١٢٥/١ . وفى تاريخ ابن عساكر ٣٥٤/١ وسيرة ابن كثير ٢٢٢/١ خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيصا فوقف فى أصل صومعته ثم نادى : يا عيصاه : فناداه : من هذا ؟ فقال : أنا عبد الله فأشرف عليه فقال : كن أباه .

(٥) سيرة ابن كثير ٢٢٢/١ . وفيها زيادات كثيرة . وتاريخ ابن عساكر ٣٥٤/١ كذلك . والخصائص ١٢٥/١ قال ابن كثير وفيه غرابة .

الباب السادس

في وضعه صلى الله عليه وسلم والنور الذى خرج معه وتدلِّى النجوم له ونزوله ساجدا على الأَرض بيديه وما رأته قَابِلَتُه الشَّفَّاء أَم عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه من الآيات

عن أَبى العَجْفاء رحمه الله تعالى مرسَلا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأَت أُمى حين وضعتْنى سطَع منها نورٌ فضاءت له قصور بُصْرى .

رواه ابن سعد ورجاله ثقات[1] .

بُصْرى – بباء موحدة مضمومة فصاد مهملة ساكنة فأَلف مقصورة – والمراد بها هنا بلد بالشام من أَعمال دمشق . قال فى المِسْكة الفائحة : وفى تخصيص بصرى لطيفة، وهى أَنها أَول موضع من بلاد الشام دخلها ذلك النور المحمدى ، وكذلك[2] هى أَول ما افتُتِح من بلاد الشام .

وبُصْرى أَيضا من قرى بغداد .

وعن عثمان بن أَبى العاص رضى الله تعالى عنه قال : حدثتنى أُمى أَنها شهدت ولادةَ آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة ولدتْه قالت : فما شىء أَنظر إليه من البيت إلا نورًا وإنى لأَنظر إلى النجوم تدنو حتى إنى لأَقول : ليقعن علىّ ، فلما وضعته خرج منها نور أَضاء له البيت والدار حتى جعلت لا أَرى إلا نورا[3].

وعن العِرْباض بن سارية رضى الله تعالى عنه أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنى عند الله لخَاتم النبيين » الحديث وفيه رؤيا أُمى التى رأَت وكذلك أُمهات النبيين[4] يرَيْن ، وإن أَم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأَت حين وضعته نورًا أَضاءت له قصور الشام .

---

(١) الطبقات ١/٦٣ (القسم الأول)

(٢) ص ت م : ولذلك .

(٣) الوفا ١/٩٤ .

(٤) ص ت م : أمهات المؤمنين . محرفة .

رواه[1] الإمام أحمد والبزار والحاكم وابن حبان وصححاه .

وروى ابن حبان عن حليمة رضى الله تعالى عنها عن آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قالت : إن لابنى هذا لَشَأْناً إنى حملت به فلم أجد حَمْلاً قط كان أخفَّ علىّ ولا أعظم بركة منه ، ثم رأيت نورا كأنه شهاب خرج منى حين وضعته أضاءت لى أعناقُ الإبل ببُصْرى ، ثم وضعتُه فما وقع كما تقع الصبيان ، وقع واضعا يديه بالأرض رافعاً رأسه إلى السماء .

وروى ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن آمنة قالت : لما فَصَل منّى ابنى محمد صلى الله عليه وسلم خرج منه نورٌ[2] أضاء له ما بين المشْرق والمغْرب .

وروى ابن أبى حاتم عن عِكْرِمة رحمه الله تعالى قال : لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرقت الأرض نورا .

وروى الإمام أحمد وابن سعد بسند حسن عن أبى أُمامة رضى الله تعالى عنه قلت: يا رسول الله ما كان بَدْء أمرك ؟ قال : دعوة أبى إبراهيم وبُشْرى عيسى بن مريم ، ورأت أمى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام[3] .

وروى ابن سعد عن محمد بن عمر الأسلمى بأسانيد له متعددة عن آمنة أنها قالت : لما وضعتُه خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ، ثم وقع جاثيا على ركبتيه معتمدا على الأرض بيديه ، ثم أخذ قبضة من تراب وقبضها ورفع رأسه إلى السماء ، وأضاءت له قصور الشام وأسواقها ، حتى رأيت أعناقَ الإبل ببُصْرَى .

وإنما أضاءت قصور بصرى بالنور الذى خرج منه إشارة إلى ما خصَّ الشامَ من نبوته صلى الله عليه وسلم ، فإنها دار ملكه كما ذكره كعب أن فى الكتب السابقة : محمد رسول الله مولده بمكة ومهاجَره بِيَثْربَ ومُلكه بالشام .

وقد وردت أحاديث فى فضل الشام ، ذكر بعضها الحافظ المُنْذِرىّ فى كتاب « الترغيب والترهيب » .

---

(١) مسند أحمد ١٢٧/٤ ، ١٢٨ .

(٢) غير ط : خرج نور .

(٣) مسند أحمد ٢٦٢/٥ وطبقات ابن سعد ٩٦/١ (القسم الأول)

وقال بعضهم : أضاءت قصورُ بصرى إشارةً إلى أنه صلى الله عليه وسلم ينوِّر البصائر ويُحْيِى القلوبَ الميتة .

وفى خروج هذا النور معه صلى الله عليه وسلم حين وضعته إشارة إلى ما يجئ به من النور الذى اهتدى به أهلُ الأرض وزال به ظُلْمة الشرك منها . كما قال الله تعالى : « قد جاءكم مِنَ اللهِ نُورٌ وكتابٌ مبين يَهْدِى به اللهُ مع اتَّبع رِضْوانه سُبُلَ السَّلام ويُخْرِجهم من الظُّلمات إلى النور بإذنِهِ ويَهْديهم إلى صراط مستقيم[1] » . قال[2] الإمام أبو شامة رحمه الله تعالى : وقد كان هذا النور الذى ظهر وقت ولادته صلى الله عليه وسلم قد اشتهر فى قريش وكثر ذكره فيهم ، وإلى ذلك أشار عمه العباس رضى الله تعالى عنه فى أبياته السابقة حيث قال فى حقه صلى الله عليه وسلم وزاده شرفا وفضلا :

وأنت لمـــا وُلِدْتَ أشرقت الأر ... ضُ وضاءتْ بنورك الأُفـــق

فنحن فى ذلك الضِّياءِ وفى النُّو ... ر وسُبل الرشادِ نَخْتـــــرقُ

ويرحم الله تعالى القائل :

لما استهلَّ المصطفى طـالعًـا ... أضــاء الفضَا من نُوره الساطعِ

وعطَّر الكونَ شذَى عِطْــره الط ... يب مـــن دانٍ ومن شاسع

ونادت الأكــوانُ مِـن فَرْحة ... يا مَرْحبًا بالقَمـــــر الطالعِ

وروى ابن سعد عن موسى بن عبيدة رحمه الله تعالى عن أخيه قال : لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع على الأرض وقع على يديه رافعا رأسه إلى السماء وقبض قبضة من تراب ، فبلغ ذلك رجلا من لِهْب فقال لصاحبه[3] : انجه[4] لئن صدَق الفألُ ليَغْلبنَّ هذا المولودُ أهلَ الأرض[5] .

وروى ابن سعد وأبو نُعَيْم بسند قوى عن حسّان بن عطية ـ رحمه الله تعالى : ـ ورضى عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا ولِد وقع على كفيه وركبتيه شاخصا[6] ببصره إلى السماء[7] . زاد السُّهَيْلى : مقبوضة أصابع يده[8] مشيرا بالسبَّابة كالمسبِّح بها .

(١) سورة المائدة ١٥/١٦ .
(٢) ط : وروى .
(٣) ص ت م : لصاحب .
(٤) كذا فى ط ت م . وفى ص : أنجد .
(٥) طبقات ابن سعد ٩٧/١ (القسم الأول)
(٦) ط : شاخصا إلى السماء .
(٧) طبقات ابن سعد ٦٤/١ (القسم الأول)
(٨) الروض ١٠٥/١ وعبارته : أصابع يديه .

قال الشيخ الإمام العلامة شمس الدين الجَوْجَرِىّ رحمه الله تعالى : وفى رَفْع بصره صلى الله عليه وسلم فى تلك الحال إشارة وإيماء إلى ارتفاع شأْنه وعلوّ قدره وأنه يَسُود الخلق أجمعين ، وكان هذا من آياته صلى الله عليه وسلم ، وهو أنه أَوّل فعل وُجد منه فى أَوّل ولادته ، وفيه إشارة وإيماء لمن له تأَمّل إلى أن جميع ما يقع له من حين يولَد إلى حين يُقبض[1] صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه[2] العقل فإنه صلى الله عليه وسلم لا يزال متزايد الرفعة فى كل وقت وحين ، عَلِىّ[3] الشأْن على المخلوقات . وفى رَفْعه صلى الله عليه وسلم رأسه إشارة وإيماء إلى كل سؤدد وأنه لا يتوجه قصده إلاَّ إلى جهات العلوّ[4] دون غيرها مما لا يناسب قَصْده .

وروى ابن الجَوْزى فى « الوفا » عن أَبى الحسين بن البَرَاء – مرسلا – رحمه الله تعالى قال : قالت آمنة وجدته[5] جاثيا على ركبتيه ينظر إلى السماء ، ثم قَبض قبضةً من الأَرض وأَهْوَى ساجداً[6]

قال بعض أهلِ الإشارات : لما ولد عيسى صلى الله عليه وسلم قال : (إنِّى عبدُ الله آتانِىَ الكتابَ وجَعَلنى نَبيًّا »[7] فأَخبر عن نفسه بالعبودية والرسالة ، ونبينا صلى الله عليه [و]سلم وضِع ساجدا وخرج معه نور أَضاء له ما بين المشرق والمغرب ، وقبض قبضة من تراب و [رفع] رأْسه إلى السماء فكانت عبودية عيسى المقال ، وعبودية محمد صلى الله عليه وسلم الفِ[عا]ل ، ورسالة عيسى بالإخبار ، ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم بظهور الأَنوار .

[و]فى سجوده صلى الله عليه وسلم عند وضعه إشارة إلى أن مبدأَ أمره على القُرْب ؛ قال الله تعالى : « واسجُدْ واقتربْ »[8] وقال صلى الله عليه وسلم : « أقربُ ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجد » فحال عيسى عليه الصلاة والسلام يشير إلى مقام العبودية ، وحال محمد صلى الله عليه وسلم يشير إلى مقام القُرْب من الحضرة الإلهية . ولبعضهم :

لك القُرْبُ من مَوْلاك يا أَشرَف الورَى ... وأنت لكلِّ المـــرسَلين خِتـــامُ

(١) ص : يقبر .
(٢) كذا فى هامش ط . وفى ص ت م : على العقل .
(٣) ط : عالى .
(٤) ص : العلى « بتشديد الياء » . وفى ت م : العليا .
(٥) الوفا : ولدته .
(٦) الوفا ١/٩٥ .
(٧) سورة مريم ٣٠ .
(٨) سورة العلق ١٩ .

وأنت لنا يومَ القيامة شافعٌ وأنت لكلِّ الأنبياء إمامُ
عليك من الله الكريم تحية مباركة مقبولة وسلامُ

وروى أبو نُعَيْم عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه عن أُمه الشَّفَّاء بنت عمرو ابن عوف رضى الله تعالى عنها قالت : لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى فاستهلَّ ، فسمعت قائلاً يقول : رحمك الله أو رحمك ربك فأَضاء ما بين المشرق والمغرب حتى إنى نظرت إلى بعض قصور الروم . قالت : ثم ألبسته وأضجعتُه فلم أنشب أن غشيتنى ظُلمة ورعب وقشعريرة عن يمينى فسمعت قائلا يقول : أين ذهبتَ به . قال : إلى المغرب وأسفر عنى ذلك . ثم عاودنى الرعب والقشعريرة عن يسارى فسمعت قائلا يقول : أين ذهبتَ به ؟ قال : إلى المشرق . قالت[1] : فلم يزل الحديث منى على بال حتى بعثه الله تعالى[2]

تَنْبِيهاتٌ

الأول : قال الشيخ رحمه الله تعالى فى فتاويه : لم أقف فى شئ من الأحاديث مصرَّحا على أنه صلى الله عليه وسلم لمّا ولد عطس ، بعد مراجعة أحاديث المولد من مظانّها كالطبقات لابن سعد ، والدلائل للبيهقى ، ولأبى نعيم ، وتاريخ ابن عساكر على بسطه واستيعابه ، وكالمستدرك للحاكم . وإنما الحديث الذى روته الشفَّاء أُم عبد الرحمن بن عوف يعنى السابق آخر الباب فيه لفظ يشبه التشميت . لكن لم يصرح فيه بالعطاس ، والمعروف فى اللغة أن الاستهلال صياح المولود أول ما يولد فإن أريد به هنا العطاس فيحتمل . وحَمْل القائل على المَلَك ظاهر .

وقال العلامة شمس الدين الجَوْجَرِىّ رحمه الله تعالى فى شرح الهمزية : الاستهلال وإن كان هو صياح المولود أول ما يولد إلا أن حمله على العطاس هنا قريب ، كحمل القائل على المَلَك .

الثانى : جرت عادة كثير من المحبين إذا سمعوا بذكر وضعه صلى الله عليه وسلم أن يقوموا تعظيمًا له صلى الله عليه وسلم ، وهذا القيام بِدْعة لا أصل لها ، وقال ذو المحبة

---

(١) ط : قال .

(٢) دلائل النبوة لأبى نعيم : ص ٩٣ .

الصادقة حسّان زمانه أبو زكريا يحيى بن يوسف الصَّرْصَرى[1] رحمه الله تعالى ورضى عنه فى قصيدة له من ديوانه :

قليلٌ لمدح[2] المصطفى الخطُّ بالذهبْ   على فضة من خط أحسن من كتَبْ
وإن ينهض الأشراف عنـــد سماعه   قياما صفوفًا أو جِثِيًّا على الرُّكَبْ
أمَــا اللهُ تعظيمًا له كتبَ اسمَـــه   على عرشه يا رتبةً سَمتِ الـــرُّتَبْ

واتفق أن منشدا أنشد هذه القصيدة فى ختم درس شيخ الإسلام الحافظ تقى الدين أبى الحسن السبكى . والقضاةُ والأعيان بين يديه فلما وصل المنشد إلى قوله : « وإن ينهض الأشراف عند سماعه » إلى آخر البيت قام الشيخ للحال قائما على قدميه امتثالا لما ذكره الصَّرْصَرى ، وحصل للناس ساعة طيِّبة . ذكَر ذلك ولده شيخ الإسلام أبو النصر عبد الوهاب فى ترجمته من الطبقات الكبرى .

الثالث : اشتهر علَى بعض الألسنة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ولدت فى زمن الملِك العادل . قال الحافظ : إنه كذِب باطل لا أصل له . وقال الشيخ الإمام بدر الدين الزركشى رحمه الله تعالى فى اللآلئ[3] : روى الحافظ السَّمْعانى عن أبى بكر الحِيرىّ رحمه الله تعالى قال حكى لى شيخ من الصالحين أنه رأى النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى المنام قال فقلت له : يا رسول الله بلغنى أنك قلت : ولدت فى زمن الملك العادل وإنى سألت الحاكم أبا عبد الله الحافظ عن هذا فقال : كذِب لم يقله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم : صدَق أبو عبد الله .

وقال الحليمىّ رحمه الله تعالى فى « الشُّعَب » : هذا الحديث لا يصح وإن صحَّ فإطلاق العادل عليه لتعريفه بالاسم الذى كان يُدْعَى به لا لوَصْفه بالعدل والشهامة له بذلك ، أو وصفه بذلك بناء على اعتقاد الفُرْس فيه أنه كان عادلاً كما قال الله تعالى (فما أغْنَتْ عنهم آلهتُهم[4]) أى ما كان عندهم آلهةً ولا يجوز أن يسمِّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من يحكم بغير حُكْم الله عادلاً .

---

(١) الصرصرى : يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصارى ، أبو زكريا جمال الدين ، شاعر ضرير من أهل بغداد ؛ وأكثر شعره فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد قتل يوم دخول التتار بغداد سنة ٦٣٦ هـ . ترجمته فى البداية والنهاية ٢١١/١٣ والنجوم الزاهرة ٦٦/٧ . وكشف الظنون ١٣٤٠ .

(٢) ط : لحظ المصطفى .   (٣) ت م : فى الأولى .

(٤) سورة هود ١٠١

وقال الشيخ رحمه الله تعالى فى الدُّرَر : قال البيهقى فى الشُّعب : تكلم شيخنا أبو عبد الله يعنى الحاكم ، فى بطلان ما يرويه بعض الجهلة عن نبينا صلى الله عليه وسلم : « ولدت فى زمن الملك العادل » يعنى كسرى أنوشروان . ثم رأى بعْض الصالحين فى المنام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فحكى له ما قال أبو عبد الله فصدَّقه وقال ما قلته قط .

وقال صاحب المقاصد : وأما ما يحكى عن الشيخ أبى عمر بن قُدَامة المقْدِسىّ رحمه الله تعالى مما أورده ابن رجب فى ترجمته من طبقاته أنه قال : جاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ولِدْت فى زمن الملِك العادل كسرى» فلا يصحّ لانقطاع سنده ، وإن صح فلعل الناقل للحكاية لم يضبط لفظَ الشيخ وإن ضبط الحكاية .

الباب السابع

فى انفلاق البُرْمة حين وضِع صلى الله عليه وسلم تحتها

روى أبو نُعَيْم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان فى عهد الجاهلية إذا ولد لهم مولود من تحت الليل وضعوه تحت الإناء لا ينظرون إليه حتى يصبحوا[1] فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرَحوه تحت بُرْمة فلما أصبحوا أتوا البُرْمة فإذا هى قد انفلقت اثنتين وعيناه صلى الله عليه وسلم إلى السماء ، فعجبوا من ذلك[2] .

وروى ابن سعد بسندٍ رجاله ثقات أثبات عن عكرمة رحمه الله تعالى ـ مرسلا ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وضعته أمُّه وضعتْه تحت بُرْمة فانفلقت عنه ، قالت: فَنظرتُ إليه فإذا هو قد شق بصره ينظر إلى السماء[3] .

وروى البيهقى عن أبى الحسن التنوخى رحمه الله تعالى قال : كان المولود إذا ولد فى قريش دفعوه[4] إلى نسوة من قريش إلى الصبح فكفأْن عليه بُرْمة ، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم دُفع إلى نسوة فكفأْنَ عليه بُرْمة ، فلما أصبحن أتَيْنَ فوجدن البُرْمة قد انفلقت عنه باثنتين ، فوجدنه مفتوح العين شاخصًا ببصره إلى السماء فأتاهن عبدالمطلب فقلن : ما رأينا مولودا مثله ووجدناه قد انفلقت عنه البرمة ووجدناه مفتوحا عينه شاخصا ببصره إلى السماء فقال : احفظنه فإنى أرجو أن يصيب خيرًا .

وروى ابن الجوزى عن أبى الحسين بن البَراء ـ مرسلا ـ رحمه الله تعالى عن آمنة

---

(١) ص ت م : ينظرون إليه حين يصبحون . وما أثبته من ط .

(٢) ليس فى دلائل النبوة المطبوع إلا إشارة لانفلاق البرمة . ولم ترد فيه هذه الرواية بنصها . أنظر دلائل النبوة لأبى نعيم ٩٦ والوفا ١/٩٥ .

(٣) طبقات ابن سعد ١/٦٣ (القسم الأول)

(٤) ص ت م : رفعوه .

أنها قالت : وضعت عليه إناء فوجدته قد انفلق[1] الإناء عنه وهو يمصّ إبهامه يَشْخَبُ لبنا[2] .

قال بعض أهل الإشارات فى انفلاق البُرْمة عنه صلى عليه وسلم إشارة إلى ظهور أمره وانتشاره وأنه يفلق ظلمة الجهل ويزيلها .

يَشْخَب بشين فخاء معجمتين أى يسيل .

---

(١) ط : قد تفلق

(٢) الوفا ١/٩٥ .

الباب الثامن

في ولادته صلى الله عليه وسلم مختونا مقطوع السُّرة

عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كَرامتى على ربى أنى ولدتُ مَخْتونا ولم يَر أحد سَوْأتى[1] » .

رواه الطبرانى وأبو نُعَيْم وابن عساكر من طرق . قال فى الزهر : سنده جيد . انتهى وصححه الحافظ ضياء الدين المقْدسى وروى من حديث العباس بن عبد المطلب رواه ابن سعد وحسَّن مغلطاى سنده فى كتابه[2] دلائل النبوة ومن حديث ابنه عبد الله رواه ابن عَدىّ وابن عساكر ومن حديث أبى هريرة رواه ابن عساكر أيضا . ومن حديث أنس[3] رواه أبو نعيم . قال مغلطاى فى دلائله : بسند[4] جيد . ومن حديث ابن عمر رواه ابن عساكر .

وقد جزم ـ بأنه صلى الله عليه وسلم ولِد مختونا ـ جماعةٌ من العلماءِ منهم هشام بن محمد ابن السائب فى كتاب الجامع . وابن حبيب فى المحبَّر . وابن دُرَيْد فى الوِشَاح ، وابن الجَوْزى فى العلل والتلقيح . وقال الحاكم فى المستدرك : تواترت الأخبار بأنه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا . وتعقبه الذهبى فقال : ما أعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا .

وأجيب باحتمال أن يكون أراد بتواتر الأخبار اشتهارها وكثرتها فى السِّيَر ، لا من طريق السند المصطلح عليه عند أئمة الحديث .

وقيل : إن جبريل ختنه صلى الله عليه وسلم . حين شق صدره . رواه الخطيب عن أبى بكرة موقوفا . ولا يصح سنده . وقال الذهبى : إنه خبر منكَر . وقيل : إن جده صلى الله عليه وسلم ختنه على عادة العرب . رواه أبو عمر قال الحافظ أبو الفضل العراقى : وسنده غير صحيح. قال الحافظ قطب الدين الخَيْضَرِىّ رحمه الله تعالى فى الخصائص : وأرجحها عندى الأول . وأدلته مع ضعفها أمثلُ من أدلة غيره .

---

(١) الوفا ١/٩٧ .

(٢) ص ت م : فى كتاب .

(٣) بياض فى ط ت م وما أثبته من ص .

(٤) ط : سنده جيد .

قلت : قد قدمنا أن له طريقا جيدة صححها الحافظ الضياء . وقد قال الزركشى : إن تصحيح الضياء أعلى مزيةً من تصحيح الحاكم .

قال الخيضري : فإن قيل إن فيه أى فى ولادته صلى الله عليه وسلم مختونا بعض نقص فى حق من يوجَدُ كذلك . فيقال : هذا فى حقه صلى الله عليه وسلم غاية الكمال لأن القلفة ربما تمنع من تكميل النظافة والطهارة ، وتمنع كمال لذة الجماع فأَوْجَد الله تعالى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم مختونا مسرورا مكمَّلا سالما من النقائِص والمعايب فإن قيل[1] : إذا كان كذلك فلم شقَّ صدره صلى الله عليه وسلم واستخرج منه العلقة السوداء التى هى حظ الشيطان ، ولو كان كما ذكرت لخلَقه سالما منها ؟ قلت : لا سواء لأن الختان والإسرار من الأمور الظاهرة التى تحتاج إلى فعل الآدمى ؛ فخلقه الله تعالى سليما منها لئلا يكون لأَحد عليه منَّة ، كما فى كمال الطهارة ، وأما إخراج العَلَقة التى هى حظ الشيطان فمحلها القلب ولا اطلاع للآدمى عليها ، ولو خلق الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم سليما منها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته ، فأظهره الله تعالى لعباده على يد جبريل ليتحققوا كمالَ باطنه كما برز لهم مُكَمَّل الظاهر[2] انتهى . وهو مأخوذ من كلام للسبكى[3] يأْتى ذكره فى باب شرح صدره صلى الله عليه وسلم

وروى ابن سعد بسند رجاله ثقات عن إسحاق بن أبى طلحة مُرْسَلا رحمه الله تعالى أَن آمنة قالت : وضعتُه نظيفا ، ما ولدته كما يولد السَّخْل ، ما به قذَر ، ووقع إلى الأَرض وهو جالس على الأَرض بيديه[4] .

فائدة : ولد من الأَنبياء مختونا جماعة . نقل ابن دُرَيْد فى الوشاح وابن الجوزى فى التلقيح عن كعب الأَحبار رحمه الله تعالى أَنهم ثلاثة عشر . ونقل ابن الجوزى عن محمد ابن حبيب رحمه الله تعالى أَنهم أَربعة عشر . وكل منهما ذكر ما لم[5] يذكر الآخر .

---

(١) ط : فإن قلت .

(٢) كما أبرز لهم تكميل ظاهره .

(٣) قال ابن الجوزى فى الوفا ٩٧/١ : « فإن قيل : فلم لم يولد مطهر القلب من حظ الشيطان ، حتى شق صدره وأخرج قلبه ؟

قال ابن عقيل : لأن الله سبحانه أخفى أدون التطهيرين الذى جرت العادة أن تفعله القابلة والطبيب ، وأظهر أشرفهما وهو القلب ، فأظهر آثار التجمل والعناية بالعصمة فى طرقات الوحى » .

(٤) ط : بيده . والخبر فى طبقات ابن سعد ١/ (القسم الأول)

(٥) كذا فى ط وفى ص ت م : ذكر لبعض ما لم يذكر الآخر .

فالذى اتفقا عليه : آدم . وشيث . ونوح ، ولوط ويوسف ، وشعيب ، وموسى ، وسليمان وعيسى ، ومحمد صلى الله عليه وسلم . والذى زاده كعب : إدريس ، وسام ، ويحيي والذى زاده ابن حبيب : هود ، وصالح ، وزكريا ، وحنظلة بن صفوان نبيّ[1] أصحاب الرس صلى الله عليهم وسلم أجمعين فاجتمع من كلامهما سبعة عشر نبيا أولهم آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وقد نظم الشيخ رحمه الله تعالى ورضى عنه أسماءهم فى قلائِد الفوائد فقال :

وسبعة مع عشر قد رُوِى خُلقوا   وهم خِتَان فخُذْ لازلتَ مأْنوسَا

محمد آدم إدريس شيث ونو   ح سام هود شعيب يوسف موسى

لوط سليمان يحيي صالح زكر   يا وحنظلة الرسِّىّ مـــع عيسى

وقال العلامة القاضى عبد الباسط البُلْقِينى رحمه الله تعالى ونفعنا به فى الدارين :

وفى الرُّسْل مَخْتونًا لَعَمرك خِلْقةً   ثمـــــان وتسع طيِّبون أكـــارمُ

وهم زكريـــا شيث إدريس يوسف   وحَنْظلة عيسى ومـــوسى وآدمُ

ونوح شعيب سام لوط وصالح   سليمان يحيي هود ياسين خـــاتمُ

تنبيه : قال بعضهم وفى قولهم : خلقوا مختونين تَجوُّز لأَن الخِتَان هو القَطْع ، وهو غير ظاهر . لأَن الله تعالى يوجِد ذلك على هذه الهيئة من غير قطع ، فيحمل الكلام باعتبار أنه على صفة المقطوع . والله أعلم .

---

(١) كذا فى ط . وفى ص ت م : من أصحاب الرس .

الباب التاسع

فى مناغاته صلى الله عليه وسلم للقمر فى مهده وكلامه فيه

روى الطبرانى والبيهقى عن العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه قال : قلت يا رسول الله دعانى إلى الدخول فى دِينك أمارة لنبوتك ، رأيتُك فى المهد تناغِى القمرَ وتشير إليه بإصبعك فحيث ما أشرت إليه مال . قال : كنت أحدِّثه ويحدِّثنى ويُلْهينى عن البكاء وأسمع وَجْبته حين يسجد تحت العرش .

قال الإمام أبو عثمان الصابونى رحمه الله تعالى فى كتابه المائتين[1] : هذا حديث غريب الإسناد والمتن فى[2] المعجزات حسن[3] .

المناغاة : المحادثة . وناغت الأم صبيها لاطفتْه وشاغلته بالمحادثة والملاعبة . قال الحافظ فى الفتح وفى سِيَر الواقدى أن النبى صلى الله عليه وسلم تكلَّم فى المهد أوائل ما ولد . وذكر ابن سبع رحمه الله تعالى فى الخصائص أن مَهْده صلى الله عليه وسلم كان يتحرك بتحريك الملائكة له . وأن أول كلام تكلم به أن قال : الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا[4] .

فائدة: تكلم فى المهد جماعة نظم شيخنا رحمه الله تعالى أسماءهم فى كتابه قلائد[5] الفوائد[6] فقال :

تكلَّم فى المهْدِ النبيُّ محمدٌ ... وموسى وعيسى والخليل ومريمُ

ومُبْرِى جُرَيْج ثم شاهد يوسف ... وطفلٌ لدى الأخدود يرويه مُسْلمُ

وطفل عليه مُرَّ بالأَمَة التى ... يقال لها تَزْنِى ولا تتكلمُ

وماشطةٌ فى عهد فرعون طفلها ... وفى زمن الهادى المبارك يُخْتَمُ

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ص ت م : الماسن . محرفة . وانظر الخصائص الكبرى ١/١٣٣ .

(٢) ص ت م : من المعجزات .

(٣) قال البيهقى تفرد به أحمد بن إبراهيم الحبلى وهو مجهول . وانظر الخصائص الكبرى ١/١٣٣ وسيرة ابن كثير ١/٢١١ .

(٤) لم يثبت شئ من ذلك بخبر صحيح .

(٥) ط : فى قلائد الفوائد .

(٦) ص : الفرائد.

الباب العاشر

فى حزن إبليس وحَجْبه من السموات وما سُمع من الهواتف لمّا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نقل السهيلى وأبو الربيع وغيرهما عن تفسير الحافظ بقىّ بن مَخْلَد رحمه الله تعالى أن إبليس رنَّ أربع رَنَّات : رنة حين لُعن ، ورنة حين أُهبط ، ورنة حين ولد النبى صلى الله عليه وسلم ، ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب[1] .

رنَّ[2] : صوت بحزن وكآبة .

وروى ابن أبى حاتم عن عكرمة رحمه الله تعالى قال : قال إبليس لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد ولِد الليلة ولد يفسد علينا أمرَنا فقال له جنوده : لو ذهبت إليه فخبَلْتَه . فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريلَ فركضه برجله رَكْضة فوقع بعدَن .

وروى الزبير بن بكّار وابن عساكر عن معروف بن خرَّبوذ رحمه الله تعالى قال : كان إبليس يخترق السموات السبع . فلما ولد عيسى حُجب من ثلاث سموات ، وكان يصل إلى أربع فلما ولد النبى صلى الله عليه وسلم حُجب من السبع .

وروى الخرائطى وابن عساكر عن عروة بن الزبير رحمه الله تعالى أن نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحُوَيْرِث كانوا عند صنم يجتمعون إليه فدخلوا يوما فرأوه مكبوبا على وجهه ، فأنكروا ذلك فأخذوه فردّوه إلى[3] حاله فلم يلبث انقلب انقلابا عنيفا فردوه إلى حاله ، فانقلب الثالثة فقال عثمان : إن هذ لأمر حدَث . وذلك فى الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجعل[4] عثمان بن الحُوَيْرث يقول[4] :

---

(١) الروض ١/١٠٥ . والاكتفا ١/١٦٧ .

(٢) ط : الرنة : صوت بحزن إلخ .

(٣) ط : على حاله .

(٤) ط : فجعل عثمان يقول .

أيا صنم العِيد الذى صُفَّ حولَه ... صَنَادِيد وفد من بعيد ومن قُرْب

يُنكّس مَقْلوبًا فما ذاك قُلْ لنـــا ... أذاك سَفيه أم تنكّس للعَتْــب

فإن كان من ذَنْب أَسَأْنا فإننـا ... نَبُوء بإقرار ونَلْوى على الذنب

وإن كنتَ مَغْلوبا تنكستَ صاغرا ... فما أنت فى الأَصنام[1] بالسيد الربِّ

قال : فأخذوا الصنم فردوه إلى حاله فلما استوى هتف بهم هاتف من جوف الصنم بصوت جهير وهو يقول :

تردَّى لمولودٍ أضاءَت[2] لنـــوره ... جميعُ فِجَاج الأَرض بالشرقِ والغَرْبِ

وخرَّت له الأَوثان طُرًّا وأَرْعَدت ... قلوبُ ملوك الأَرض طُرًّا من الرعبِ

ونارُ جميع الفرس باخت[3] وأَظْلمت ... وقد بات شاهُ الفرس فى أَعْظم الكَرْب

وصدَّتْ عن الكهان بالغيب جِنُّها ... فلا مُخْبِر منهم[4] بحقٍّ ولا كذب

فيالَقُصَىٍّ ارجعوا عن ضـــلالكم ... وهُبوا إلى الإِسلام والمنْزِل الرَّحْبِ

الفجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع بين الجبلين . وقيل فى جبل . باخت[5] : خمدت . هَبَّ النائم هَبًّا وهُبوبا : استيقظ .

وروى الخرائطى عن أسماءَ بنت أَبى بكر رضى الله تعالى عنهما قالت : كان زيد بن عمرو ابن نُفَيْل وورقة بن نوفل يذكران أنهما أتيا النجاشيَّ بعد رجوع أبرهة من مكة ، قالا : فلما دخلنا عليه قال : اصدُقانى أيّها القُرَشيّان : هل ولد فيكم مولود أراد أبوه ذَبْحَه فضُرب عليه بالقداح فسَلِم ونُحرت عنه جمال كثيرة ؟ فقلنا[6] نعم . قال : فهل لكما عِلم به ما فعل ؟ قلنا : تزوَّج امرأَةً منا يقال لها آمنة تركها حاملاً وخرج . قال : فهل تعلمان ولدت أم لا ؟ قال ورقة : أخبرك أيها الملك . إنى قد قربت[7] عند وثنٍ لنا إذ سمعت من جوفه هاتفا يقول :

ولد النبي فذلَّت الأَمـــلاكُ ... ونـأَى الضلالُ وأَدْبَرَ الإِشراكُ

---

(١) ط : فى الأوثان .

(٢) ص ت م ، أنارت بنوره .

(٣) ص ت م : ماحت . وما أثبته من ط .

(٤) ط : فلا مخبر عنهم .

(٥) ص ت م : ماحت . محرفة .

(٦) ط : قلنا .

(٧) ط : إنى قربت .

ثم تنكّس الصنم على رأسه . فقال زيد : عندى خبره أيها الملِك ، إنى فى مثل هذه الليلة خرجتُ حتى أتيت جبلَ أبى قُبَيْس إذ رأيت رجلا ينزل له جناحان أخضران فوقف على أبى قُبَيْس ثم أشْرف على مكة فقال : ذَلَّ الشيطان وبطلت الأَوثان وولد الأَمين . ثم نشر[1] ثوبًا معه وأهْوَى به نحو المشرق والمغرب فرأيته قد جلَّل ما تحت السماء وسطع نورٌ كاد يخطف بصرى ، وهالَنى ما رأيتُ وخفق الهاتف[2] بجناحيه حتى سقط على الكعبة فسطع له نور أشرقَتْ له تهامة وقال : زكت الأَرض وأدَّت ربيعهَا . وأومأَ إلى الأَصنام التى كانت على الكعبة فسقطت كلها .

قال النجاشى : أُخبركما عما أَصابنى : إنى لَنائم فى الليلة التى ذكرتما فى قُبَّتى وقت خلْوتى إذ خرج علىّ من الأَرض عُنق ورأس وهو يقول : حَلَّ الوَيْل بأَصحاب الفِيل ، رمتهم طيرٌ أَبَابيل بحجارة من سِجِّيل ، هلَكَ الأَشْرمُ المعتدى المجرم ، وولد النبى المكى الحرَمى ، من أجابه سعد ومن أباه عند ، ثم دخل الأَرض فغاب فذهبت أَصيح فلم أُطق الكلام ورُمْت القيام فلم أُطق القيامَ فأَتانى أَهلى فقلت : احجبوا عنى الحبشة فحجبوهم فأَطلق الله لسانى ورِجْلى[3] .

وروى ابن أَبى الدنيا عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال : لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم هتف هاتف على أَبى قُبَيْس ، وآخر على الحَجُون الذى بأَصل المقبرة فقال الذى على جبل الحجون :

فأُقْسم ما أُنْثى مـن الناس أنجبتْ ولا ولدت أُنثى من الناسِ والده[4]

كما ولدت زُهْرية ذات مَفْخَـر مُجَنَّبة لُؤْم[5] القبائل ماجِدَهْ

فقد ولدت خيرَ البرية أحمـدا فأَكْرمْ بمـولودٍ وأَكْرمْ بوالده[6]

(١) ص ت م : ثم نثر وما أثبته من ط .

(٢) ص ت م : وخفق الخافق .

(٣) ذكره ابن كثير فى سيرته ٣٦٨/١ عن الخرائطى .

(٤) الوفا : واحدة .

(٥) ط : محببة عند القبائل . وفى الوفا : نجية من لوم القبائل .

(٦) ت م : فأكرم مولود وأكرم والده .

وقال الذى على جبل أبي قبيس :

يا ساكنى البطحاء لا تَغْلطوا ... وميِّزوا الأمرَ بعقل مُضِى

إن بنى زُهْرة من سِرِّكمْ ... فى غابر الأَمر وعند البَدِى

واحدةٌ منكم فهاتوا لنا ... [فيمن مضى فى الناس أَو من بقِى

واحدةً من غيرهم مثلها[1]] ... جَنِينُها مثل النبىِّ التقى

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من الوفا لابن الجوزى ٩٦/١ .

الباب الحادي عشر

في انبثاق[1] دِجْلة وارتجاس الإيوان وسقوط الشُّرفات وخمود النيران وغير ذلك مما يذكر

ذكر[2] ابن جرير وغيره أن كسرى أَبْرَوِيز كان قد سكَر[3] دجْلة العَوْرَاء وأنفق عليها مالا عظيما ، وكان طاق[4] مُلْكه قد بناه بنيانا عظيما لم يُرَ مثله ، وكان عنده ثلاثمائة رجل من كاهن وساحر ومنجّم ، وكان فيهم رجل من العرب اسمه السائب قد بَعث به باذان من اليمن ، وكان كسرى إذا حزَبه أَمرٌ جمَعهم فقال : انظروا في هذا الأَمر ما هو .

فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أَصبح كسرى وقد انقصم طاقُ ملكه من غير ثِقَل وانخرقت دجلة العَوْراءَ[5] فلما رأى ذلك أَحزنه فدعا كهانه وسحَّاره ومنجميه وفيهم السائب فقال لهم : قد انقصم طاقُ ملكي من غير ثقل فانظروا في أَمره بما تعلمونه من علمكم فأخذت عليهم[6] أَقطار السماء وأَظلمت الأَرض فلم يمض لهم ما رأوه[7] وبات السائب في ليلة مظلمة على ربوة من الأَرض ينظر فرأَى بَرْقًا من قِبَل الحجاز قد استطَار فبلغ المَشْرق ، فلما أَصبح رأَى تحت قدميه روضةً خضراءَ فقال فيما يَعْتاف : إن صدَق ما أَرى لَيخرجنَّ من الحجاز سلطان يَبْلغ المشرق وتُخصب الأَرض عليه كأَفضل ما أَخصبت على ملِك .

فلما خلص الكهان والمنجمون بعضهم إلى بعض[8] ورأَوا ما أَصابهم ورأَى السائب ما رأَى قال بعضهم لبعض : والله ما حِيلَ بينكم وبين عِلْمكم[9] إلا لأَمرٍ جاءَ من السماء وإنه لَنبيٌّ

---

(١) ص ت م : في انشقاق .

(٢) ط : روى .

(٣) الأصل : قد سكن . محرفة والتصويب من تاريخ الطبرى ١٤٣/٢ (ط المصرية) والسكر : سد النهر .

(٤) الطاق : ما عطف من الأبنية . ولعله يريد : مجلس ملكه .

(٥) كذا في ط ت م وفي ص : الغوراء ، محرفة .

(٦) ط : عليه .

(٧) ص ت م : ما شاءوا .

(٨) ص ت م : لبعض .

(٩) ط : وبين أمركم .

يُبعث أو هو مبعوث يَسْلب هذا الملك مُلكه ويكسر وإن نَعيْتم إلى كسرى كَسْر ملكه لَيَقتلنكم فاتفقوا على أن يكتموه الأمر وقالوا له قد نظرنا فوجَدنا وضع دجلة العوراء وطاق الملك قد وضع[1] على النُّحوس ، فلما اختلف الليل والنهار فوقعت النحوس مواقعها زال كلُّ ما وضع عليها ، ونحن نحسب لك حسابا تضع عليه بنيانك فلا يزول . ـ فحسبوا فأمروه بالبناء فبنى دجلة العوراء فى ثمانية أشهر وأنفق عليها أموالا جليلة حتى فرغ منها ، فلما فرغ قال لهم : أجلِسُ على سُورها ؟ قالوا : نعم . فجلس فى أَسَاورته ومَرازبته ، فبينما هو كذلك انشقَّت دجلة وخرج ذلك البنيان من تحته ، فلم يخرج إلا بآخر رَمق ، فلما أخرجوه جمع كهانه وسحرته ومنجميه وقتل منهم نحو مائة وقال لهم : أقَرَّبتُكم وأجريتُ عليكم الأموال ثمّ إنكم تَخُونوننى؟ فقالوا : أيها الملك أخطأْنا كما أخطأَ من قَبْلنا . ثم حسبوا له وأمروه بالبناء فبناه وفرغ منه وأمروه بالجلوس عليه فخاف أن يجلس عليه فركب وسار على البناء فبينما هو يسير إذ انشقت أيضا ، فلم يُدْرَك إلا بآخر رَمَق . فدعاهم وقال : لأقتلنكم أو لَتَصْدُقُنِّى . فصَدَقوه[2] وأخبروه بالأمر فقال : ويحكم هلاَّ بيَّنتم لى ذلك فأَرى فيه ما أرى[3] قالوا : منعنا الخوفُ . فتركهم[4] .

وروى ابن جرير فى تاريخه والبَيْهقى وأبو نُعَيْم كلاهما فى الدَّلَائل ، والخرائطى عن مَخزوم بن هانئ عن أَبيه وأتت عليه مائة وخمسون سنة قال : لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس فيها إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشر شرافة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبَذان إبلاً صِعَابا تقود خَيْلا عِرَابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها ، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك وتصبَّر عليه تشجُّعا ، ثم رأى أن لايدَّخر ذلك عن وزرائه ومَرَازبته حين عِيل صبره فجمعهم ولبس تاج ملكه وقعد على سريره ثم بعث إليهم فلما اجتمعوا عنده قال : تدرون فيما بعثتُ ؟ قالوا : لا إلا أن تُخْبرنا بذلك ، فبينما هم كذلك إذ أتاه كتاب بخمود نار فارس فازداد غمًّا إلى غمه ثم أخبرهم بما هالَه ، فقال الموبذان : وأنا أَصلح الله الملك قد

(١) ص ت م : قد وقع .
(٢) ط : فأصدقوه . (٣) ط : رأى .
(٤) تاريخ الطبرى ٢/١٤٣ والوفا ١/١٧٦ .

رأيت فى هذه الليلة . فقص عليهم رؤياه فى الإبل ، فقال : أى شئ يكون هذا ياموبذان ؟
وكان أعلمَهم فى أنفسهم قال : حدَثٌ يكون من ناحية العرب ، فكتب كسرى عند ذلك :
من ملِك الملوك كسرى إلى النعمان بن المنذر : أما بعد فوجِّه إلى عالماً بما أريد أن أساله عنه
فوجَّه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حَسَّان بن بُقَيْلة ـ بضم الموحدة وفتح القاف وسكون
التحتية ـ الْغسَّانى . فلما قدِم عليه قال : ألك علم بما أريد أن أسالك عنه ؟ قال : يسألنى
الملك أو يخبرنى الملك ، فإن كان عندى علم منه أخبرته وإلا دلَلْته على من يعلمه . قال :
فأخبره . فقال : علم ذلك عند خال لى يسكن مشارق الشام يقال له سَطِيح . قال : فاذهب
إليه فاسأله وائتنى بتأويل ما عنده . فنهض عبدُ المسيح حتى قدِم على سَطِيح وقد أشْفَى
على الموت فسلَّم عليه وحيَّاه فلم يحِرْ جوابًا فأنشأ عبدُ المسيح يقول : أَصُمٌّ أم يَسْمع غِطْريفُ
اليَمنْ . . فى أبيات ذكرها .

فلما سمع سَطِيح كلامه فتح عينيه ثم قال : عبد المسيح على جمل مُشِيح ، أقبل إلى[1]
سطيح ، وقد أوفَى على الضريح ، بعثك ـ ملِكُ بنى ساسان ، لارتجاس الإيوان وخمود
النيران ، ورؤيا الموبَذان . رأى إبلا صِعابا تقود خيلاً عِرَابا ، قد قطعت دجلة وانتشرت
فى بلادها . يا عبد المسيح إذا أكثرت التلاوة . وظهر صاحب الهِرَاوة ، وفاض وادى سَمَاوة
وغاضت بحيرة ساوة ، فليس الشام لسطيح شامًا ، يملك منهم ملوك وملكات على عدد
الشُّرفات ، وكل ما هو آتٍ آت . ثم قضى سطيح مكانه فأتى عبدُ المسيح إلى كسرى فأخبره
فقال : إلى أن يملك منَّا أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمور . فملك منهم عشرة فى أربع
سنين وملك الباقون إلى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه[2] .

ويرحم الله تعالى الإمام أبا عبد الله محمد بن أبى زكريا يحيى بن على الشقراطسى[3]
حيث قال :

ضـاءت لمولـده الآفـاقُ واتصلت ... بُشْرى الهواتفِ فى الإشراق والطَّفَلِ
وصَرْح كِسْرى تداعَى من قواعـده ... وانقضَّ منكسر الأرجـاء ذا ميَلِ

(١) ص ت م : أقبل على سطيح .
(٢) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٩٦ – ٩٩ والوفا ١/٩٧ والاكتفا ١/ وتاريخ الطبرى ٢/١٣١ .
(٣) الشقراطيسى : أبو محمد عبد الله بن يحيى بن على الشقراطيسى المتوفى سنة ٤٩٩ وقصيدته فى السير لامية وله شرح عليها « كشف الظنون » ٢/٥٤٠ (ط أوروبا)

ونـار فارس لم تَوقَـدْ وما خمدت   من ألف عام ونهرُ القوم لم يَسِلِ
خـــرَّت لمولـده الأَوثـــان وانبعثت   ثواقبُ الشُّهب ترمى الجنَّ بالشُّعَل

والإمام أبا عبد الله محمد بن سعيد بن حماد الدلاصى الشهير بالبوصيرى رحمه الله تعالى حيث قال :

أبانَ مولدُه عن طيب عُنْصـره   يا طِيبَ مُبْتَـدإ منـــه ومُخْتَتَم
يــومٌ تفرَّس فيـــه الفُـرْسُ أنهمُ   قـد أُنْذروا بحُلول البؤسِ والنِّقمِ
وبات إيوانُ كسرى وهـــو مُنْصدع   كشَمْل أصحاب كِسرْى غـير ملتئم
والنـــارُ خامدة الأَنفاس من أسف   عليه والنهرُ ساهى العينِ مُنْسَدم
وساءَ ســاوة أن غاضتْ بُحَيْرتهـــا   ورُدّ واردُهـا بالغَيْظ حين ظَمِى
كأَن بالنـــارِ ما بالمـــاء من بَلَلٍ   حُزْنا وبالمـاءِ ما بالنـــار من ضَرمِ
والجنُّ تهتف والأَنـــوار ســاطعةٌ   والحق يظهر من معنى ومن كَلم
عَمُـوا وصَمُّــوا فإعلان البشائر لم   يُسْمَع وبارقـة الإنـذار لم تُشم
من بعد ما أَخْبر الأَقــوامَ كاهنُهم   بأَنّ دينَهم المعـــوجَّ لم يُقَم
من بعدِ ما عايَنوا فى الأُفق من شُهب   مُنْقَضَّة وفق ما فى الأَرضِ من صَنم
حتى غـدا عن طريق الحق منهزمٌ   من الشياطين يقفو إثْـر مُنْهزم

وقال أيضا فى قصيدته الهَمْزية :

ومُحَيًّا كالشمس منـك مضىءُ   أسفرت عنه ليـلةٌ غـــرَّاءُ
ليـلة المولـد الذى كان للدِّيـ   ـن ســـرورٌ بيومِـه وازدهاءُ
وتوالت بُشْرى الهـواتف أن قد   ولِـد المصطفى وحقَّ الهنـاءُ
وتداعى إيوان[1] كسرى ولَوْ   لا آيـة منك ما تداعَى البنـاءُ
وغـدا كلُّ بيتِ نـــار وفيـــه   كُـرْبةٌ من خمودها[2] وبلاءُ
وعيونٌ للفرس غـارتْ فهل كا   ن لنيرانهـم بهـا إطفـاءُ
فهَنيئـــا بـه لآمنـــة الفضْـ   ـل الذى شرفتْ بـه حـوَّاءُ

---

(١) ط : بناء كسرى .   (٢) ط : من خموده .

من لحــوّاء أنهــا حَمَلَت أحــ	ـمدًا وأنهــا بــه نُفَســاءُ
يومَ نالت بوضعه ابنــة وهـ	ـب من فَخَار ما لم تنَلْـه النساءُ
وأتت قومهـا بأفضــل ممـا	حملتْ قبــلُ مريمُ العــذراءُ
شمّتتْــه الأمـلاك إذ وضعتــه	وشــفَتْنا بقولهــا الشَّفاءُ
رافعاً رأســه وفى ذلك الرفــ	ـع إلى كل سُــؤدد إيمــاءُ
رامقـــاً طــرفـه السماء ومَرْمَى	عين من شــأنه العـلوّ العلاءُ
وتدلت زُهْــر[1] النجــوم إليه	وأضــاءت بضوئهــا الأرجــاءُ
وتــراءت قصــور قيصر بالشا	م يراهــا من داره البطحاء

تفسير الغريب

كِسْرى بفتح الكاف وكسرها : اسم ملك الفرس . والذى ولد النبى – صلى الله عليه وسلم – فى زمانه : أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور . والذى كتب إليه الكتاب ومزّقه : أبرويز بن هرمز أنوشروان . والذى قُتل فى زمن عثمان وأخذ منه المسلمون البلادَ : يَزْدجرد بن شهريار .

دِجْلة بكسر الدال المهملة : نهر بغداد . قال ثعلب – رحمه الله تعالى – تقول : عَبَرْتُ دِجْلة بغير ألف ولام .

باذان : بذال معجمة .

انقصم : انكسر وانفصل بعضه من بعضه .

اعتاف : قال فى النهاية : العيافة : زَجْر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرّها ، يقال : عاف يعيف عَيْفا إذا زجر[2] وحدَس وظن . قلت : والمراد هنا الحدْس والظن .

ارتجس : اضطرب وانشق . والرَّجْس بفتح الراء وإسكان الجيم وبالسين المهملة : الصوت الشديد من الرعد ومن هدير البعير .

الإيوان : بوزن الدِّيوان ويقال فيه بوزن كتاب بناء أزَج غير مسدود الوجه . والأزج : بيت يبنى طولا ، وجمعه على الأول : أواوين كدواوين . وإيوانات . وعلى الثانى : أوُن

(١) ط : زهر السماء .

(٢) ص ت م : إذا أخبر . وما أثبته من ط .

كخِوان وخون : بناء مشهور بالمدائن من أرض العراق ، كان بناء مُحْكمًا مبنيا بالآجُرّ الكبار والجصّ ، سُمْكه مائة ذراع فى طول مثلها ، فارتجس حتى سُمع صوته وانشقّ وسقطت منه أربعة عشر شرافة . ليس السبب فى ذلك من جهة خلل فى بنائه فى نفسه ، وإنما أراد الله تعالى أن يكون ذلك آيةً باقية على وجه الدهر لنبيه صلى الله عليه وسلم .

المُوبَذان : بضم الميم ثم واو ساكنة وفتح الباء الموحدة . وحكى الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقى رحمه الله تعالى كسرها أيضا وبذال معجمة : اسم لحاكم المجوس كقاضى القضاة للمسلمين .

مُشِيح بشين معجمة وحاء مهملة وزن مُلِيح يقال ناقة مشحاة إذا كانت سريعة . والإبل كناية عن الناس هنا .

الهِرَاوة . بكسر الهاء : العصا .

الشرفات بضم الراء وفتحها وسكونها جمع شرفة – إما تحقيرا لها أو أن جمع القلة قد يقع موضع جمع الكثرة .

خمدت بفتح الميم وكسرها كنصر وسمع . غاضَتْ بغين وضاد معجمتين : غارَتْ .

خيلا عِرَابا ، بكسر العين. الخيل العِرَاب خلاف البرَاذِين الفَرَس إن كان أبواه عربيين فهو عتيق ، وإن كانا أعجميين فهو بِرْذَوْن ، وإن كان الأَب عربيا والأُم عجمية فهو هَجِين . وإن كان بالعكس فهو مُقْرِف .

بحيرة ساوة بحيرة متسعة الأكناف جدا . وقد قال فيها الصَّرْصرى – رحمه الله تعالى – فى بعض قصائده :

* غارت وقد كانت جوانبها تَفُوت المِيلاَ *

وقال غيره : كانت أكثر من ستة فراسخ تركب فيها السفن ويسافر فيها إلى ما حولها من البلاد والمدن ، فأصبحت ليلة المولد ناشفة كأن لم يكن بها شئ من الماء .

تنبيه : وقع فى بعض الكتب : غاضت بحيرة طبرية . وهذا غير معروف . وبحيرة طبرية لم يثبت أن ماءها غاض وهو باق إلى اليوم .

المرازبة بفتح الميم جمع مَرْزُبان بضم الزاى وهو الفارس الشجاع المتقدم على القوم دون المكرَه .

هالَه : أفزعه .

رؤيا بترك التنوين .

حدَث بفتح الحاء والدال المهملتين ومثلثة أى وقع .

مشَارف بميم مفتوحة فشين معجمة مخففة فألف فراء ففاء . المشارف : القرى التى تقرب من المدن ، وقيل التى بين بلاد الريف وجزيرة العرب قيل لها ذلك لأنها أشرفت على السَّواد[1] . قاله فى النهاية وقال فى الصِّحَاح : مشَارف الأرض أعاليها .

أشْفَى : أشرف . أنشأ . بهمزة مفتوحة أوله وآخره أى ابتدأ .

أَصُمَّ : بهمزة الاستفهام ثم بضم الصاد المهملة فتشديد الميم مبنى للمفعول .

الغِطْريف : بغين معجمة فطاء مهملة فراء مكسورة فمثناة تحتية ففاء المراد به هنا السيد .

عبدُ المسيح : بالرفع لأنه مبتدأ والجار والمجرور فى قوله « على جَمَل » الخبر .

أوْفى : أشرف .

ساوَة مدينة بين الرَّىّ وهَمَذان .

السَّماوة بسين مهملة مفتوحة فميم مخففة : بادية لبنى كلب عند الكوفة ، أرض عالية لا حجر فيها لها طول ولا عرض لها سميت السَّماوة لسمّوها أى علوها .

الطَّفَل بفتحتين : العشِىّ عند تطفيل الشمس ونقصان ضوئها . ومعنى تطفيلها دنوّها من المغيب .

أنقاض يروى بضاد معجمة . ويروى بصاد مهملة . وعليهما فمعناه سقط .

الأرجاء : النواحى .

الميْل بفتح الميم والمثناة التحتية قال فى المحكم : الميْل أى بسكون الياء فى الحادِث . والمَيَل فى الخلقة .

---

(١) ص ت م : على الوادى .

فارس : اسم علم كالفُرْس لطائفة من العجَم كانوا مَجُوسًا يعبدون النار وكان لبيوت النار سدَنة يقومون عليها . ويتناوبون إيقادها فلم يخمد لها لهَبٌ لا ليل ولا نهار إلا ليلة مولده – صلى الله عليه وسلم – ، فإنهم أوقدوها فلم تقد . وإنما انتفى إيقادها فى نفسها مع كونهم تعاطوا إيقادها فهذا موضع الآية العجيبة ، ولو كانوا لم يتعاطَوا إيقادها لم يكن فى ذلك آية لمولد النبي – صلى الله عليه وسلم – وكان ذلك وقع اتفاقا . وخمدت تلك النار مع إيقادهم لها ولها ألف سنة لم تخمد وتلك مدة عبادة المجوس للنار .

المُحَيَّا : الوجه .

أَسفَرتْ : انحسرت .

غرَّاء : تأْنيث – الأَغرّ وهو السيّد والأَبيض النيّر . الازدهاء : الافتخار .

توالت : تتابعت .

الهَوَاتف : جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يُرى شخصه .

تداعى : تهادم .

غدَا بالدال المهملة : صار .

خمودُ النار : سكون لهبها ولم يُطْفَ جمرها ، فإن انطفأَ أيضا قيل : همدت .

الكُرْبة بالضم : الهمّ الذى يأخذ النفس . والاستفهام عن[1] انطفاء نار فارس بمياه العيون التى غارت يفيد التعجب من هذه القضية وتأكيد وقوعها وأن ذلك من آياته صلى الله عليه وسلم .

رمق الشيء : نظر إليه نظرًا خفيًّا .

المرمى فى الأَصل : الغرض الذى ينتهى إليه سهم الرامى . والمراد ما انتهى إليه البصر .

الشأن : القصد .

العلو : الارتفاع فى المكان .

العلاء بالفتح والمد : الرفعة والشرف ، والعُلَى بالضم والقصر بمعناه .

---

(١) ص ت م : عند

تراءت من رؤية العين . وتراءى الجمعان : رأى بعضُهم بعضا .

قيصر : أحد ملوك الروم[1] .

البَطْحاء : الأبطح . وهو فى الأصل مَسِيل واسع فيه دِقاق الحصى والمراد به هنا بطحاء مكة .

التشميت : بالمعجمة ، ويجوز إهمالها : أن تقول للعاطس : رحمك الله .

الشِّفَاء بكسر الشين المعجمة وتخفيف الفاء وقيل بفتحها والتثقيل : أم عبد الرحمن ابن عوف – رضي الله تعالى عنه .

---

(١) ط : قيصر : ملك الروم .

الباب الثانى عشر

في فرح جده عبد المطلب به صلى الله عليه وسلم وتسميته له محمدا

قال ابن إسحاق والواقدى وغيرهما : لما وضعت آمنة سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أرسلت إلى جدّه عبد المطلب : أنه قد ولد لك غلام فائته فانظر إليه . فأتاه ونظر إليه . وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها وما أمرت به أن تسمّيه ، فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله ويشكره على ما أعطاه ، ثم خرج به – صلى الله عليه وسلم إلى أمه[1] وهو يقول :

الحمد لله الذى أعطانِى	هذا الغلامَ الطيِّبَ الأَرْدانِ
قد ساد فى المهد على الغِلْمان	أُعيذه بالبيتِ ذى الأَركانِ
حتى يكون بُلْغة الفتيان	حتى أراه بالغ التبيان[2]
أُعيذه من شر ذى شَنآن	من حاسِد مُضْطرب العيانِ
ذى همة ليس له عينان	حتى أراه رافعًا للشانِ
أنت الذى سُمِّيت فى الفرقان	أحمد مكتوب على اللسان[3]

وروى البيهقى عن أبى الحسن التَّنُوخى – رحمه الله تعالى – أنه لما كان يوم السابع من ولادة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذبح عنه جدُّه ودعا قريشًا ، فلما أكلوا قالوا : يا عبد المطلب ما سميته ؟ قال : سميته محمدا . قالوا : لم رغبت به عن أسماء أهل بيته . قال : أردت أن يحمده الله فى السماء وخَلْقه فى الأرض .

وروى أبو عُمَر وأبو القاسم بن عساكر من طرق عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : لما ولد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عَقَّ عنه جده بكبش وسماه محمدا . فقيل له :

---

(١) سيرة ابن هشام ١٥٩/١ . (٢) ص : البيان .

(٣) الوفا ٩٦/١ باختلاف . والروض الأنف ١٠٧/١ .

يا أبا الحارث ما حَملك على أن تسميه محمدا . ولم تسمه باسم آبائه ؟ قال : أردت أن يَحْمده الله فى السماء ويحمده الناس فى الأَرض .

وذكر[1] السُّهيلى وأبو الرَّبيع - رحمهما الله تعالى - أن عبد المطلب إنما سماه محمدا لرؤيا رآها. زعموا أنه رأى مناما كأَن سلسلة من فضة خرجت من ظَهْره ولها طرف فى السماء وطرف فى الأَرض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ، ثم عادت كأَنها شجرة على كل ورقة منها نور ، وإذا أهلُ المشرق والمغرب يتعلَّقون بها . فقصَّها فعبّرت له بمولود يكون من صُلْبه يَتْبعه أهلُ المشرق والمغرب ويحمده أهلُ السماء والأَرض ، فلذلك سماه محمدا مع ما حدَّثَتْه به أمه- صلى الله عليه وسلم[2] .

ويرحم الله تعالى الإمام العلامة العارف إبراهيم بن أحمد الرقىّ حيث قال :

لو أن كل الخَلْق ليلة مولد الـ ... ـهادى على الهامات منهم قاموا
شكرا لنِعْمة ربهم فيما حُبُوا ... فيها بعُشْر عُشَيْرها ما قامُوا
هى نعمةٌ ما غادرت مَنْ دِينُه ... كفرٌ ولا مَنْ دِينه الإسلامُ
عمَّتْهم ببحارها فالعالم الـ ... ـعُلْوىّ والسُّفْلى فيها عامُوا
فالحمد لله الذى مِنْ فضله ... عمَّ البرية كلها الإنعامُ
نظَر الرحيمُ إلى الورى فرآهمُ ... أغوتْهمُ الأنصابُ والأَزلامُ
وتحيروا فى ظلمة الكفر الذى ... عُبدت به الأَوثانُ والأَصنامُ
تُفْشَى الفواحش فى المحافل جَهْرةً ... لا يُنْكِرون كأنهم أنعامُ
يبغى القوىُّ على الضعيف ويقهر الـ ... والى اليتيم وتُقْطع الأَرحامُ
فأَغاثهم ربُّ العِباد بشِرْعة ... فيها الحدودُ على السَّداد تُقَامُ
دين النبىِّ محمدٍ خير الورى ... مَنْ فُصِّلت فى دينه الأَحكامُ
موسى وعيسى بشَّرا بظُهوره ... ودعا به من قبلُ إبراهامُ
شكرًا لمُهْديه إلينا نِعمةً ... ليست تحيط بكُنْهها الأَوهامُ

(1) ص ت م : وقال . وما أثبته من ط .

(2) الروض 1/105 والاكتفا 1/168 .

الباب الثالث عشر

فى أقوال العلماء فى عمل المولد الشريف واجتماع الناس له وما يُحْمد من ذلك وما يُذَمّ

قال الحافظ أبو الخير السَّخَاوى – رحمه الله تعالى – فى فتاويه : عمل المولد الشريف لم يُنقل عن أحد من السَّلف الصالح فى القرون الثلاثة الفاضلة ، وإنما حدَث بعدُ ، ثم لازال أهلُ الإسلام فى سائر الأقطار والمدن الكبار يحتفلون[1] فى شهر مولده – صلى الله عليه وسلم – بعمل الولائم البديعة المشتملة على الأمور البهجة الرفيعة ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويُظْهرون السرور ويزيدون فى المبرّات ويَعْتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم . انتهى .

وقال الإمام الحافظ أبو الخير بن الجزَرِىّ – رحمه الله تعالى – شيخ القُرَّاء : من خواصه أنه أمانٌ فى ذلك العام وبُشْرى عاجلة بنيل البُغْية والمرام .

قلت : وأول من أحدَث ذلك من الملوك صاحب إرْبِل الملك المظفَّر أبو سعيد كوكبرى ابن زَيْن الدين على بن بُكْتِكين أحد الملوك الأمجاد والكُبَراء الأجواد .

قال الحافظ عِمَاد الدين بن كَثِير – رحمه الله تعالى – فى تاريخه : كان يعمل المولد الشريف فى ربيع الأول ويحتفل به احتفالا هائلا ، وكان شَهْما شجاعا بطلا عاقلا عادلا – رحمه الله تعالى – وأكرم مثواه . وقد صنَّف الشيخ أبو الخطاب بن دِحْية – رحمه الله تعالى – كتابا له فى المولد سمّاه : « التَّنْوير فى مَوْلد البشير النذير » فأجازه بألف دينار .

قال سِبْط بن الجَوْزى – رحمه الله تعالى – فى مرآة الزمان : حكى من حضر سِمَاط المظفر فى بعض الموالد أنه عدَّ فى ذلك السِّمَاط خمسة آلاف رأس غنم شَوِىٍّ وعشرة آلاف دَجَاجة ومائة ألف قُرْص[2] ومائة فرس[3] ومائة ألف زُبْديّة[4] أى من طعام ، وثلاثين ألف

---

(١) ص ت م : يختلفون . محرفة .

(٢) كذا ، ولعله يريد أقراص الخبز . والذى فى مرآة الزمان ٦٨١/٢ : مائة قرش قشلميش (؟)

(٣) كذا فى ط . وفى ص ت م : ومائة ألف قرص . وهذه العبارة ليست فى مرآة الزمان .

(٤) الزبدية : الإناء المعروف من الفخار .

صَحْن حلوى ، قال : وكان يحضر عنده فى المولد أعيانُ العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويُطْلق لهم[1] . وكان يَصْرف على المولد فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أىجهة على أى صفة . فكان يصرف على هذه الدار فى كل سنة مائة ألف دينار وكان يَفْتكّ[2] من الفرنج فى كل سنة بمائتى ألف دينار ، وكان يصرف على الحرمين والمياه بدرب[3] الحجاز فى كل سنة ثلاثين ألف دينار ، وهذا كله سوى صدقات السرّ .

وحكت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب أخت الملك الناصر صلاح الدين أن قميصه كان من كِرْباس غليظ لا يساوى خمسة دراهم . قالت : فعاتبته فى ذلك فقال : ألبس ثوبًا بخمسة دراهم وأتصدَّق بالباقى خير من أن ألبس ثوبا مثمنا وأَدَع الفقير والمسكين[4] .

وقد أثنى عليه الأئمة ، منهم الحافظ أبو شامَة شيخ النَّووى فى كتابه « الباعث على إنكار البِدَع والحوادث » وقال : مثل هذا الحسَن يُندب إليه ويُشكر فاعله ويُثْنى عليه .

قال ابن الجوزىّ : لو لم يكن فى ذلك إلا إرغام الشيطان وإدعام أهل الإيمان .

وقال العلامة ابن ظَفَر – رحمه الله تعالى – : بل فى الدرّ المنتظم : وقد عمل المحبون للنبى – صلى الله عليه وسلم – فرحًا بمولده الولائم – ، فمن ذلك ما عمله بالقاهرة المعزّية من الولائم الكبار الشيخُ أبو الحسن المعروف بابن قُفْل قدس الله تعالى سره ، شيخ شيخنا أبى عبد الله محمد بن النعمان ، وعمل ذلك قبلُ جمال الدين العجمى الهمذانى وممن عمل ذلك على قدر وسعه يوسف الحجّار بمصر وقد رأى النبىَّ – صلى الله عليه وسلم – وهو يحرِّض يوسفَ المذكور على عمل ذلك .

قال : وسمعت يوسف بن على بن زُرَيْق الشامى الأَصل المصرى المولد الحجَّار بمصر فى منزله بها حيث يعمل مولد النبى[5] – صلى الله عليه وسلم – يقول : رأيتُ النبىَّ – صلى الله عليه وسلم – فى المنام منذ عشرين سنة وكان لى أخ فى الله تعالى يقال له الشيخ أبو بكر

---

(١) يطلق لهم : يعطيهم الأموال . يقال : أطلق يده بخير : فتحها . وأطلق الشئ : أعطاه . (القاموس) .
وفى مرآة الزمان : ثم يخلع فيه على الأعيان ويفرق فيه الأموال على أقدارهم .

(٢) ط : يستفك . والمراد يفك أسرى المسلمين لدى الفرنج بالمال أو بالمبادلة بأسرى الفرنج لدى المسلمين .

(٣) ت م : بدور .

(٤) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى ص ٦٨٢ .

(٥) ط : مولد رسول الله .

الحجَّار فرأيت كأنّنى وأبا بكر هذا بين يدى النبى - صلى الله عليه وسلم - جالسيْن ؛ فأمسك أبو بكر لحية نفسه وفرَقها نصفين وذكر للنبى - صلى الله عليه وسلم - كلامًا لم أفهمه فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - مجيبا له : لولا هذا لكانت هذه فى النار . ودار إلىّ وقال : لأَضْربنك . وكان بيده قَضِيب فقلت : لأى شئ يا رسول الله؟ فقال : حتى لا تُبْطل المْوْلد ولا السُّنن . قال يوسف : فعملته منذ عشرين سنة إلى الآن . قال : وسمعت يوسفَ المذكور يقول : سمعت أخى أبا بكر الحجَّار يقول : سمعت منصورًا النشَّار يقول: رأيت النبى - صلى الله عليه وسلم - فى المنام يقول لى : قل له لا يُبْطله . يعنى المولد ما عليك ممن أكل وممن لم يأْكل . قال : وسمعت شيخنا أبا عبد الله بن أبى محمد النُّعمان يقول : سمعت الشيخ أبا موسى الزَّرْهُونِىّ يقول : رأيت النبى - صلى الله عليه وسلم - فى النوم فذكرت له ما يقوله الفقهاءُ فى عمل الولائم فى المولد فقال - صلى الله عليه وسلم : من فَرِح بنا فرِحْنا به .

وقال الشيخ الإمام العلاَّمة نصير الدين المبارك الشهير بابن الطبَّاخ فى فتوى بخطه : إذا أنفق المنفِق تلك الليلة وجمع جمعًا أطعمهم ما يجوز إطعامه وأسمعَهم ما يجوز سماعه ودفع للمسْمِع المشوِّق للآخرة ملبوسا ، كلُّ ذلك سرورا بمولده - صلى الله عليه وسلم - فجميع ذلك جائز ويُثَاب فاعله إذ أحسن القصد ، ولا يختص ذلك بالفقراء دون الأغنياء ، إلا أن يقصد مواساة الأحوج فالفقراء أكثر ثوابا ، نعم إن كان الاجتماع كما يَبْلغنا عن قُرّاء[1] هذا الزمان من أكْل الحشيش واجتماع المرْدَان وإبعاد القَوَّال إن كان بلحية وإنشاد المشوِّقات للشهوات الدنيوية وغير ذلك من الخزى والعياذ بالله تعالى فهذا مجْمع آثام .

وقال الشيخ الإمام جمال[2] الدين بن عبد الرحمن بن عبد الملك المعروف[3] بالمخلِّص الكُتَانى[4] - رحمه الله تعالى - مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مبجَّل مكرَّم ، قدِّس يوم ولادته وشرِّف وعظم ، وكان وجوده - صلى الله عليه وسلم - مَبْدأ سبب النجاة لمن اتبعه وتقليل حظِّ جهنم لمن أُعِدّ لها لفرحه بولادته - صلى الله عليه وسلم - وتَمَّت بركاته

---

(١) ط : عن فقراء .

(٢) ص ت م : جلال الدين .

(٣) ص ت م : الشهير .

(٤) ص ت م : الكشانى . وما أثبته من ط . والكتانى : نسبة إلى كتانة ، ناحية بالمدينة .

على من اهتدى به ، فشابَه هذا اليومُ يومَ الجمعة من حيث أن يوم الجمعة لا تُسَعَّر فيه جهنم ، هكذا ورد عنه – صلى الله عليه وسلم – فمن المناسِب إظهار السرور وإنفاق الميْسور وإجابة من دعاه ربُّ الوليمة للحضور .

وقال الإمام العلاَّمة ظَهِير الدين جعفر التزْمَنْتِي[1] – رحمه الله تعالى – : هذا الفعل لم يقع فى الصَّدْر الأَول من السلَف الصالح مع تعظيمهم وحبهم له إعظامًا ومحبةً لا يبلغ جَمْعُنا الواحدَ منهم ولا ذرَّة منه ، وهى بدعة حسنة إذا قصد فاعلها جَمْع الصالحين والصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – وإطعام الطعام للفقراء والمساكين ، وهذا القَدْر يثاب عليه بهذا الشرط فى كل وقت ، وأَما جَمْع الرعاع وعمل السَّمَاع والرقص وخلع الثياب على القوَّال بمُرُوديَّته وحُسْن صوته[2] فلا يُنْدَب بل يقارِب أن يُذَمّ ، ولا خير فيما لم يعمله السلف الصالح، فقد قال – صلى الله عليه وسلم – : « لا يُصْلح آخرَ هذه الأُمة إلا ما أَصلَح أوّلَها » .

وقال الشيخ نَصِير الدين أيضا : ليس هذا من السُّنَن ، ولكن إذا أُنْفق فى هذا اليوم وأُظهر السرور فرحًا بدخول النبي – صلى الله عليه وسلم – فى الوجود واتخذ السماع الخالى عن اجتماع المردان وإنشاد ما يثير نارَ الشهوة من العِشْقيات والمشوّقات للشهوات الدنيويّة كالقَدّ والخَدّ والعَيْن والحاجب ، وإنشاد ما يشوِّق إلى الآخرة ويزهِّد فى الدنيا فهذا اجتماعٌ حسَن يُثَاب قاصد ذلك وفاعله عليه ، إلا أَن سؤال الناس ما فى أَيديهم بذلك فقط بدون ضرورة وحاجة سؤالٌ مكروه ، واجتماع الصُّلَحاء فقط ليأكلوا ذلك الطعام وَيذكروا الله تعالى ويصلّوا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يضاعف[3] لهم القُرُبات والمثوبات .

وقال الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأَبى شامة فى كتابه : « الباعث على إنكار البِدَع والحوادث » قال الربيع : قال الشافعى – رحمه الله تعالى ورضى عنه : المحدَثات من الأُمور ضربان : أَحدهما ما أُحدث مما يخالف كتابا أَو سُنة أَو أَثرا أَو إجماعا ، فهذه البدعة الضلالة . والثانية : ما أُحْدث من الخير مما لا خلاف فيه لواحد من هذا فهى محدثة غير مذمومة ، وقد قال عمر – رضى الله تعالى عنه – فى قيام رمضان نعمت البدعة هذه . يعنى أَنها محدثة لم تكن ، وإذا كانت فليس فيها ردٌّ لما مضى .

---

(١) ص ت م : الشربينى . والتزمنتى نسبة إلى تزمنت ، بلد من أعمال البهنسا بمصر .

(٢) ط : وحسن صورته .　　(٣) ط : يضاعف القربات .

قلت : وإنما كان كذلك لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – حث على قيام شهر رمضان وفعله هو – صلى الله عليه وسلم – واقتدى به فيه بعض أصحابه ليلة أخرى . ثم ترَك النبي – صلى الله عليه وسلم فِعْلها بالمسجد جماعة ، لما فيه من إحياء هذا الشِّعار الذى أَمرَ به الشارع وفعله والحثّ عليه والترغيب فيه . والله تعالى أعلم .

فالبدعة[1] الحسنة متفق على جواز فعلها والاستحباب لها ورجاء الثواب لمن حَسُنت نيّته فيها ، وهى كل مبتدع موافق لقواعد الشريعة غير مخالِف لشئ منها ولا يَلْزم من فعله محذور شرعى . وذلك نحو بناء المنابر والرُّبُط والمدارس وخانات السبيل وغير ذلك من أنواع البِرّ التى لم تُعهد فى الصَّدْر الأَول ، فإنه موافق لما جاءت به الشريعة[2] من اصطناع المعروف والمعاونة على البر والتقوى . ومن أحسن ما ابتُدع فى زماننا هذا من هذا القَبِيل ما كان يُفعل بمدينة « إرْبل » جبَرها الله تعالى، كلَّ عام فى اليوم الموافق ليوم مولد النبى – صلى الله عليه وسلم – من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور، فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مُشْعِر بمحبة[3] النبى – صلى الله عليه وسلم – وتعظيمه وجلالته فى قلب فاعله وشكر الله تعالى على ما مَنَّ به من إيجاد رسول[4] الله – صلى الله عليه وسلم – الذى أرسله رحمةً للعالمين – صلى الله عليه وسلم – وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

وكان أول من فعل ذلك بالموصل الشيخ عمر بن محمد المَلاَّ أحد الصالحين المشهورين وبه اقتدى فى ذلك صاحب إربل وغيرهم رحمهم الله تعالى .

وقال الشيخ الإمام العلامة صدر الدين مَوْهوب بن عمر الجزَرِىّ الشافعى رحمه الله تعالى: هذه بدعة لا بأس بها ولا تُكْره البِدَعُ إلا إذا راغمت السُّنة ، وأما إذا لم تراغمها فلا تُكره ، ويُثَاب الإنسان بحسَب قصده فى إظهار السرور والفرح بمَولد النبى – صلى الله عليه وسلم .

وقال فى موضع آخر : هذا بدعة ، ولكنها بدعة لا بأس بها ، ولكن لا يجوز له أن يسأل الناسَ بل إنْ كان يَعْلم أو يغلب على ظنه أن نفس المسئول تَطِيب بما يعطيه فالسؤال لذلك مباح أرجو أن لا ينتهى إلى الكراهة[5] .

---

(١) ط : فالبدع .

(٢) ط : لما جاءت به السنة .

(٣) ص ت م : مستشعر لمحبة النبى .

(٤) ط : من إيجاد رسوله .

(٥) ط : إلى الكراهية .

وقال الحافظ - رحمه الله تعالى -: أصل عمل المولد بِدْعة لم تُنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضِدِّها ، فمن[1] تحرّى فى عمله المحاسن وتجنّب ضدَّها كان بدعةً حسنة ومن لا فلا. قال : وقد ظهر لى تخريجها[2] على أصل ثابت ، وهو ما ثبت فى الصحيحين من أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قدِم المدينة فوجد اليهودَ يصومون عاشوراء فسألهم فقالوا : هذا يومٌ أغرق الله فيه فرعون وأنْجَى فيه موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى . فقال : أنا أحقُّ بموسى منكم . فصامه وأمر بصيامه . فيستفاد من فعل ذلك شكراً لله تعالى على ما منَّ به فى يوم معين من إسداء نعمة أو دفع[3] نقمة ، ويعاد ذلك فى نظير ذلك اليوم من كل سنة ، والشكر لله تعالى يحْصل بأنواع العبادات والسجود والصيام والصدقة والتلاوة ، وأىّ نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي الكريم نبيِّ الرحمة فى ذلك اليوم ؟

وعلى هذا فينبغى أن يتحرّى اليومُ بَعيْنه حتى يطابِق قصةَ موسى - صلى الله عليه وسلم - فى يوم عاشوراء ، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالى بعمل المولد فى أى يوم من الشهر ، بل توسَّع قوم حتى نقلوه إلى أىّ يوم من السَّنة . وفيه ما فيه .

فهذا ما يتعلق بأصل عمل المولد .

وأما ما يُعمل فيه فينبغى أن يقتصر فيه على ما يُفْهِم الشكرَ لله تعالى من نحو ما تقدم ذِكره من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شئ من المدائح النبوية والزُّهْدية[4] المحرِّكة للقلوب إلى فعل الخيرات والعمل للآخرة وأما ما يتْبع ذلك من السمَاع واللهو وغير ذلك فينبغى أن يقال ما كان من ذلك مباحا بحيث يتعيَّن السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به ، ومهما كان حراما أو مكروها فيُمْنع وكذا ما كان خلاف الأَوْلى[5] . انتهى .

وقال شيخ القراء الحافظ أبو الخير ابن الجزَرى[6] رحمه الله تعالى : قد رُئى أبو لهب بعد موته فى النوم فقيل له : ما حالك ؟ فقال : فى النار إلا أنه يخفَّف عنَى كل ليلة اثنين وأمصُّ من بين إصبعىّ هاتين ماءً بقدر هذا - وأشار لرأسىْ إصبعيه - وإن ذلك بإعتاق

---

(١) ص ت م : من تحرى فى عمل المحاسن . وما أثبته من ط .

(٢) كذا فى ط . وفى هامش ص : تحريرها . وفى ت م : تحريها .

(٣) ط : ورفع .

(٤) ص ت م : والزهرية .

(٥) ص ت م : خلافا للأولى .

(٦) ص ت م : ابن الجوزى . محرفة .

لثُوَيْبة عندما بشّرتنى بولادة محمد - صلى الله عليه وسلم - وبإرضاعها له. فإذا كان أبو لهب الكافر الذى نزلَ القرآنُ بذَمِّه جُوزى فى النار لفرحه ليلة مولد محمد - صلى الله عليه وسلم - فما حال المسلم الموحِّد من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - ببِشْره[1] بمولده وبَذْل ما تصل إليه قُدْرته فى محبته ؟ لعمْرى إنما[2] يكون جزاؤه من الله الكريم أن يُدْخله بفضله جنة النعيم .

وذكر نحوه الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقى - رحمه الله تعالى - ثم أنشد :

إذا كان هذا كافرٌ جاءَ ذمُّه ... وتبّت يداه فى الجحيم مُخَلَّدَا

أتى أنه فى يوم الاثنين دائماً ... يُخَفَّف عنه بالسرور[3] بأَحمدَا

فما الظن بالعبد الذى كان عمرَه ... بأَحمد مسرورا ومات موحِّدَا

وقال شيخنا - رحمه الله تعالى - فى فتاويه : عندى أن أصل المولد الذى هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الأخبار الواردة فى مبدأ أمر النبى - صلى الله عليه وسلم - وما وقع فى مولده من الآيات ثم يُمدّ لهم سِمَاط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك من البدع الحسنة التى يثاب عليها صاحبها ، لما فيه من تعظيم قَدْر النبى - صلى الله عليه وسلم - وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف .

قال : وقد ظهر لى تخريجه على أصل آخر غير الذى ذكره الحافظ ، وهو ما رواه البيهقى عن أنس - رضى الله تعالى عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - عَقّ عن نفسه بعد النبوة مع أنه ورد أن جده عبد المطلب عَقّ عنه فى سابع ولادته ، والعقيقة لا تُعاد مرة ثانية ، فيُحْمَل ذلك على أن هذا فعله - صلى الله عليه وسلم - إظهاراً للشكر على إيجاد الله تعالى إياه رحمةً للعالمين وتشريعاً لأُمته - صلى الله عليه وسلم - ، كما كان يصلِّى على نفسه لذلك ، فيستحب لنا أيضا إظهار الشكر بمولده - صلى الله عليه وسلم - بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القُربات والمسرّات .

وقال فى شرح سُنَن ابن ماجه : الصواب أنه من البدع الحسنة المندوبة إذا خلاَ عن المنكرات شرعا . انتهى .

---

(١) ص ت م : يبشر .

(٢) ص ت م : أن يكون .

(٣) ط : للسرور .

ويرحم[1] الله تعالى القائل :

لِمَوْلد خير العالمين جلالُ ... لقد غَشِيَ الأكوانَ منه جمال

فيا مُخْلِصا فى حق أحمد هذه ... لَيــالٍ بدَا فيهن منــه هلالُ

فحقٌّ علينا أن نعظِّم قــدره ... فتَحْسن أحوالٌ لنا وفِعَــال

فنُطْعم محتاجا ونكسوَ عارياً ... ونَرْفِـدَ مَن أضْحَى لَديْه عيالُ

فتلك فِعَال المصطفى وخلَاله ... وحَسْبك أفعالٌ له وخِــلَالُ

لقد كان فعل الخيرقُرّة عَيْنه ... فليس له فيما سِواه مجَــالُ

والقائل أيضاً :

يا مَوْلد المختار أنت ربيعُنا ... بك راحةُ الأرواح والأجسادِ

يا مَوْلداً فاق الموالدَ كلَّها ... شَرفاً وسادَ بسيِّد الأسيادِ

لازال نُورك فى البريَّة ساطعاً ... يعتاد فى ذا الشهر كالأعيادِ

فى كل عام للقلوب مَسرَّةٌ ... بسماع ما نَرْويه فى الميلادِ

فلذاك يشتاق المحبُّ ويشتهى ... شَوْقا إليه حضورَ ذا الميعادِ

* * *

وزعم الإمام العلامة تاج الدين الفاكهانى المالكى - رحمه الله تعالى - أن عمل المولد بِدْعة مذمومة وألَّف فى ذلك كتاباً قال فيه : الحمد لله الذى هدانا لاتباع سيد المرسلين ، وأيَّدنا بالهداية إلى دعائم الدِّين ، ويسَّر لنا اقتفاء آثار السلف[2] الصالحين ، حتى امتلأت قلوبنا بأنواع عِلْم الشرع وقواطع الحق المبين ، وطهَّر سرائرنا مِن حدَث الحوادث والابتداع فى الدين . أحمده على ما منَّ به من أنوار اليقين ، وأشكره على ما أسداه من التمسك بالحبل المتين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين صلاةً دائمة إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذى يعمله بعضُ الناس

(١) ط : ورحم .

(٢) كذا فى ط . وفى ص ت م : اتباع السلف الصالحين .

فى شهر ربيع الأول ويسمونه المَوْلد : هل له أصلٌ فى الشرع أو هو بِدْعة حدَثت فى الدين ؟ وقصدوا الجواب عن ذلك مُبيَّنا والإيضاحَ عنه معيَّنا . فقلت وبالله التوفيق : ما أَعْلم[1] لهذا المولد أَصلاً فى كتاب ولا سُنة ، ولا يُنْقل عملُه عن أَحد من علماء الأُمة ، الذين هم القُدْوة فى الدين المتمسِّكون[2] بآثار المتقدمين ، بل هو بدعة أَحدثها البطَّالون ، وشهوة نفس اعتنى بها الأَكَّالون ، بدليل أَنا أَدَرْنا عليه[3] الأَحكام الخمسة قلنا : إما أَن يكون واجباً ، أَو مندوباً ، أَو مُبَاحاً ، أَو مكروها أَو محرَّماً . وليس بواجب إجماعاً ، ولا مندوبا ، لأَن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع من غير ذمٍّ على تَرْكه ، وهذا لم يَأْذن فيه الشرع ولا فعله الصحابة ولا التابعون المتديّنون فيما علمت . وهذا جوابى عنه بين يدى الله تعالى إن عنه سئلت . ولاجائز أَن يكون مباحاً لأَن الابتداع فى الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين ، فلم يَبْق إلا أَن يكون مكروها أَو حراماً وحينئذ يكون الكلام فيه فى فصلين والتفرقة بين حالين : أَحدهما : أَن يعمله رجل من عَيْن ماله لأَهله وأَصحابه وعياله لا يجاوزون ذلك الاجتماع على أَكل الطعام ولا يقترفون شيئاً من الآثام فهذا[4] الذى وصفناه بأَنه بدعة مكروهة وشناعة إذ لم يفعله أَحد من متقدِّمى أَهل الطاعة الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأَنام سُرُج الأَزمنة وزَيْن الأَمكنة .

والثانى : أَن تدخله الجناية وتَقْوى به العناية حتى يعطى أَحدهم الشيء ونفسه تَتْبعه وقلبه يؤلمه ويوجعه لمَا يجد من أَلم الحَيْف ، وقد قال العلماء رحمهم الله تعالى : أَخْذ المال بالحياء كأَخذه بالسيف، لاسيّما إن انضاف إلى ذلك شيء من الغناء من البطون المَلْأى بآلات الباطل[5] من الدُّفوف والشَّبَّابات واجتماع الرجال مع الشباب المُرْد والنساء الغانيات[6] إما مختلطات بهن أَو متشرِّفات[7] والرقص بالتثنِّى والانعطاف والاستغراق فى اللهو ونسيان يوم المخاف ، وكذلك النساء إذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أَصواتهن بالتَّهنيك والتَّطْريب

---

(١) ط : لا أعلم . (٢) ط : المستمسكون .

(٣) م ت ط : عليها .

(٤) الأصل : وهذا .

(٥) كذا فى ط . وفى ص ت م : من الغناء والإطراء بالملاهى بآلات الباطل .

(٦) ط : والنساء الفاتنات .

(٧) ص ت م : أو مشرفات . وما أثبته من ط .

فى الإنشاد والخروج فى التلاوة والذكر المشروع والأمر المعتاد ، غافلات عن قوله تعالى : « إن ربَّك لَبِالمرْصاد[1] » وهذا الذى لا يختلف فى تحريمه اثنان ، ولا يستحسنه ذو المروءة الفتيان ، وإنما يحلو[2] ذلك بنفوس مَوْتَى القلوب وغير المسْتقيلين من الآثام والذنوب ، وأزيدك أنهم يرونه من العبادات لا من الأُمور المنكَرات المحرَّمات[3] . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدَأ ! ولله دَرّ شيخنا القُشَيْرى رحمه الله تعالى حيث يقول فيما أجازَناه :

قد عُرف المنكَر واستُنْكر الـ ... معروف فى أيامنا الصَّعْبَهْ
وصار أَهلُ العلم فى وَهْدَةٍ ... وصار أَهلُ الجهل فى رُتْبه
حادوا عن الحق فما للذى ... سادوا[4] به فيما مضى نسبه
فقلت للأَبرارِ أهلِ التُّقَى ... والدِّين لما اشتدّت الكُرْبه
لا تُنكروا أحوالكم قد أتتْ ... نَوْبتكم فى زمن الغُربه !

ولقد أَحسن الإمام أبو عمرو بن العلاء رحمه الله تعالى حيث يقول : لا يزال الناس بخير ما تعجَّب من العجب ! .

هذا مع أن الشهر الذى ولِد فيه – صلى الله عليه وسلم – وهو ربيع الأول هو بعينه الشهر الذى توفى فيه ، فليس الفرح بأَوْلَى من الحزن فيه . وهذا ما علينا أن نقول ومن الله تعالى نرجو حسن القبول .

هذا جميع ما أورده الفاكهانى – رحمه الله تعالى – فى كتابه المذكور .

وتعقَّبه الشيخ – رحمه الله تعالى – فى فتاويه فقال : أمّا قوله : لا أعلم لهذا المولد أصلاً فى كتاب ولا سُنَّة فيقال عليه : نَفْى العلم لا يَلْزم منه نَفْى الوجود ، وقد استخرج له إمام الحفاظ أبو الفضل بن حجَر أَصلاً من السنة واستخرجتُ أنا له أَصلا ثانيا . قلت : وتقدم ذِكْرهما .

وقوله بل هو بدعة أَحدثها البطَّالون إلى قوله : « ولا العلماء المتدينون » يقال عليه :

(١) سورة الفجر ١٤ .
(٢) ص ت م : وإنما يحل .
(٣) ص ت م : المحسوسات .
(٤) ط : ساروا به .

إنما[1] أَحْدَثه ملك عادل عالِم وقصدَ به التقرّبَ إلى الله تعالى ، وحضر عنده فيه العلماء والصُّلَحاء من غير نَكِير منهم .وارتضاه ابن دِحْية – رحمه الله تعالى – وصنف له من أجله كتابا ، فهؤلاء علماء متديّنون رَضُوه وأقرّوه ولم ينكروه .

وقوله : « ولا مندوباً لأن حقيقة المندوب ما طلَبه الشرع » يقال عليه : إن الطلب في المندوب تارةً يكون بالنصّ وتارة يكون بالقياس ، وهذا وإن لم يردْ فيه نص ففيه القياس على الأَصلين الآتى ذِكرهما .

وقوله : « ولا جائز أن يكون مباحا لأن الابتداع في الدين ليس مباحا بإجماع المسلمين » كلام غير مستقيم لأن البدعة لم تنحصر في الحرام والمكروه ، بل قد تكون أيضا مباحة ومندوبة وواجبة . قال النووى – رحمه الله تعالى – في « تهذيب الأَسماء واللُّغات : البِدْعة في الشرع : هي ما لم يكن في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهي منقسمة إلى حسَنة وقبيحة . وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام – رحمه الله تعالى – في القواعد : البدعة منقسمة إلى واجبة وإلى محرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة . قال : والطريق في ذلك أن نَعْرِض البدْعة على قواعد الشَّرْع ، فإذا دخلت في قواعد الإيجاب فهى واجبة ، أَو في قواعد التحريم فهى محرَّمة ، أَو الندب فمندوبة ، أَو المكروه فمكروهة أو المباح فمباحة . وذكر لكل قسم من هذه الخمسة[2] أمثلة منها : إحداث الرُّبُط والمدارس وكل إحسان لم يُعْهَد في العصر الأَول . ومنها التراويح والكلام في دقائق التصوّف وفي الجدَل ومنها جَمْع المحافل للاستدلال في المسائل إن قُصد بذلك وجه الله تعالى .

وروى البيهقى بإسناده في « مَنَاقب الشافعى » عن الشافعى – رحمه الله تعالى – ورضى عنه قال : المحدَثات من الأمور ضربان : أَحدهما ما أُحدث مما يخالف كتاباً أو سُنةً أَو أثرًا أَو إجماعًا فهذه البدعة الضلالة والثانى : ما أُحدث من الخير لاخِلاَف فيه لواحد من هذا . وهذه مُحْدَثة غير مذمومة . وقد قال عمر – رضى الله تعالى عنه – في قيام شهر رمضان : نِعمتْ البدْعة هذه . يعنى أنها محدَثة لم تكن وإذا كانت ليس فيها ردٌّ لما مضى . هذا آخر كلام الشافعى . فعُرف بذلك منع قول الشيخ تاج الدين : « ولا جائز أن يكون مُبَاحا » إلى قوله : «وهذا الذى وصفناه

(١) ص ت م : إنه أحدثه .
(٢) ص ت م : من هذه الجملة .

بأنه بدعة مكروهة » الخ لأن هذا القسم مما أُحدث وليس فيه مخالفة لكتاب ولا سُنة ولا أثر ولا إجماع ، فهى غير مذمومة كما فى عبارة الشافعى وهو من الإحسان الذى لم يُعهد فى العصر الأول ، فإن إطعام الطعام الخالى من اقتراف الآثام إحسان ، فهو من البدع المندوبة كما فى عبارة ابن عبد السلام .

وقوله : والثانى الخ هو كلام صحيح فى نفسه غير أن التحريم فيه إنما جاء من قِبَل هذه الأشياء المحرَّمة التى ضُمت إليه ، لا من حيث الاجتماع لإظهار شعائر المولد ، بل لو وقع مثل هذه الأمور فى الاجتماع لصلاة الجمعة مثلا لكانت قبيحة شنيعة ، ولا يلزم من ذلك تحريم[1] أصل الاجتماع لصلاة الجمعة وهو[2] واضح . وقد رأينا بعض هذه الأمور تقع فى ليال من رمضان عند اجتماع الناس لصلاة التراويح فلا تَحْرُم التراويح لأجل هذه الأمور التى قُرنت بها ، كلا بل نقول : أَصْل الاجتماع لصلاة التراويح سُنّة وقُرْبة وما ضُمّ إليها من هذه الأمور قبيحٌ شنيع . وكذلك نقول : أَصل الاجتماع لإظهار شعائر المَوْلد مندوبٌ وقُرْبة . وما ضُمَّ إليه من هذه الأمور مذموم وممنوع . وقوله مع « أن الشهر الذى وقع فيه » الخ . جوابه أن يقال : إن ولادته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعظم النعم علينا ووفاته أعظم المصائب لنا ، والشريعة حثَّتْ على إظهار شكر النِّعَم والصبر والسُّكون[3] والكتم عند المصائب . وقد أمر الشرع بالعقيقة عند الولادة وهى إظهار شكر وفرح بالمولود ولم يأمر عند الموت بذبح ولا غيره ، بل نهى عن النِّياحة وإظهار الجزع ، فدلَّت قواعد الشريعة على أنه يحسن فى هذا الشهر إظهار الفرح بولادته ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون إظهار الحزن فيه بوفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد قال ابن رجب رحمه الله تعالى ـ فى كتاب « اللطائف » فى ذمّ الرافضة حيث اتخذوا يوم عاشوراء مأتما لأجل قتل الحسين ـ رضى الله تعالى عنه ـ لم يأمر الله تعالى ولا رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتماً فكيف بمن هو دونهم ؟

وقد تكلم الإمام أبو عبد الله بن الحاجّ ـ رحمه الله تعالى ـ فى كتابه « المدْخَل » على عمل المولد فأتقن الكلام فيه جدا وحاصله : مَدْح ما كان فيه من إظهار شعار وشكر ،

---

(١) ط : ولا يلزم من ذلك ذم أصل الاجتماع . وما أثبته من ص

(٢) ط : كما هو واضح .

(٣) ت م : والسكوت .

وذمُّ ما احتوى عليه من محرَّمات ومنكرَات . وأنا أسوق كلامه فصلاً فصلاً . قال : فصل في المولد[1] : ومن جملة ما أَحْدثوه من البدَع مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات وإظهار الشعائر[2] ما يفعلونه في شهرربيع الأَول من المولد وقد احتوى ذلك على بدَع ومحرَّمات جملة .

فمن ذلك : استعمال المغَاني ومعهم آلات الطرب من الطَّار المُصَرْصِر[3] والشَّبَّابة وغير ذلك مما جعلوه آلةً للسماع ومضوا[4] في ذلك على العوائد الذَّميمة في كونهم يَشْغلون أَكثر الأَزمنة التي فضَّلها الله تعالى وعظَّمها ببدَع ومُحْدثات ، ولا شك أن السماع في غير هذه الليلة فيه ما فيه ، فكيف به إذا انضمَّ إلى فضيلة هذا الشهر العظيم الذي فضله الله تعالى وفضلنا فيه بهذا النبي الكريم الذي مَنَّ الله علينا فيه بسيِّد الأَوَّلين والآخرين، وكان يجب أن يُزداد[5] فيه من العبادة والخير شكراً للمولى على ما أَوْلَانا به من هذه النِّعم العظيمة وإن كان النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يزدْ فيه على غيره من الشهور شيئا من العبادات . وما ذاك إلا برحمته - صلى الله عليه وسلم - لأمته ورفقه بهم لأَنه - صلى الله عليه وسلم - كان يَتْرك العمل خشية أَن يُفرض على أُمته رحمةً منه بهم ، لكن أَشار - صلى الله عليه وسلم - إلى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله للسائل الذي سأَله عن صوم يوم الاثنين : « ذاك يومٌ ولدتُ فيه » فتشريف هذا اليوم متضمن تشريف[6] هذا الشهر الذي ولد فيه فينبغي أَن نحترمه حق الاحترام ونفضِّله بما فضَّل الله تعالى به الأَشهر الفاضلة وهذا منها ، لقوله - صلى الله عليه وسلم - « أنا سيِّد ولد آدم ولا فخر ، آدمُ فمَنْ دُونَه تحت لوائي » وفضيلة الأَزمنة والأَمكنة بما خصَّها الله تعالى به من العبادات التي تفعل فيها ، لما قد علم أن الأَمكنة والأَزمنة لا تَشْرُف لذاتها . وإنما يجعل التشريف بما خُصَّت به من المعاني .

فانظر إلى ما خصَّ الله به هذا الشهر الشريف ويوم الاثنين، أَلا ترى أن صوم هذا اليوم فيه فضلٌ عظيم لأَنه - صلى الله عليه وسلم - ولد فيه ؟

فعلى هذا ينبغي إذا دخل هذا الشهر الكريم أَن يكرَّم ويعظَّم ويُحْترم الاحترام اللائق

---

(١) كذا في ط موافقا للمدخل ٢٦١/١ وفي بقية النسخ : في فصل المولد .

(٢) ط : وإظهار الشرائع .

(٣) المصرصر : الشديد الصوت . والشبابة : آلة موسيقية .

(٤) ت م : ونصوا .

(٥) المدخل : أن يزاد فيه .

(٦) ط : لتشريف .

به ، اتباعًا له – صلى الله عليه وسلم – فى كونه كان يخصُّ الأَوقات الفاضلة بزيادة فعل البِرّ فيها وكثرة الخيرات . ألا ترى إلى قول ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما : « كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أَجْودَ الناس بالخير ، وكان أَجودَ مايكون فى رمضان » فنَمْتثل[1] تعظيم الأَوقات الفاضلة بما امتثله على قدر استطاعتنا .

فإن قال قائل : قد التزَم – صلى الله عليه وسلم – فى الأَوقات الفاضلة ما التزمه فى غيره .

فالجواب : أَن ذلك لِمَا عُلِم من عادته الكريمة أنه[2] يريد التخفيف عن أمته سيما فيما كان يخصه ، ألا ترى إلى أنه – صلى الله عليه وسلم – حرَّم المدينة مثلَ ما حرَّم إبراهيمُ مكة ، ومع ذلك لم يَشْرع فى قتل صيده ولا شجَره الجزاءَ تخفيفاً على أمته ورحمة بهم ، وكان ينظر إلى ما هو من جهته وإن كان فاضلاً فى نفسه فيتركه للتخفيف عنهم .

فعلى هذا : تعظيمُ هذا الشهر الشريف إنما يكون بزيادة الأَعمال الزاكيات فيه والصدقات إلى غير ذلك من القُربات ، فمن عجَز عن ذلك فأَقلُّ أَحواله أَن يجتنب ما يحرَّم عليه ويُكْره له تعظيما لهذا الشهر الشريف ، وإن كان ذلك مطلوباً فى غيره إلا أنه فى هذا الشهر أكثر احتراما ، كما يتأَكَّد فى شهر رمضان وفى الأَشهر الحُرم فيترك الحَدَث فى الدِّين ويجتنب مواضع البدع وما لا ينبغى .

وقد ارتكب بعضهم فى هذا الزمان ضدَّ هذا المعنى ، و[هو][3] أنه إذا دخل هذا الشهر الشريف تسارعوا فيه إلى اللهو واللعب بالدُّفّ والشبابة وغيرهما .

وياليتهم عملوا المغانى ليس إلا ، بل يزعم بعضهم أَنه يتأَدّب فيبدأ المولد بقراءة الكتاب العزيز وينظرون إلى من هو أَكثر معرفة بالتهوُّك[4] والطُّرق المهيِّجة لطرب النفوس ، وهذا فيه وجوهٌ من الفساد[5] .

ثم إنهم لم يقتصروا على ماذُكر ، بل ضمَّ بعضهم إلى ذلك الأَمرَ الخطِر ، وهو أَن يكون المغنِّى شابًّا نظيف الصورة حسَن الصوت والكُسْوة والهيئة ، فينشد التغزُّل ويتكسَّر فى صوته

---

(١) الأصل : فيمتثل . وما أثبته من المدخل لابن الحاج ١/٢٦٢ .

(٢) ص ت م : أن يريد . (٣) من المدخل ١/٢٦٢ .

(٤) فى ط : بالهتوك وفى ص ت م : بالنهوك . وفى المدخل لابن الحاج ١/٢٦٣ : بالمنوك . ولعل ما أثبته هو الصواب ، لأن التهوك : ركوب الذنوب والخطايا ، أو هو الوقوع فى الشئ بغير مبالاة . اللسان ١٢/٤٠٠ .

(٥) فصل ابن الحاج وجوه هذا الفساد فى المدخل ١/٢٦٣ .

وحركاته ، فيفتتن بعضَ من معه من الرجال والنساء ، فتقع الفتنة فى الفريقين ويثُور من الفساد ما لا يُحصَى .

وقد يَؤول ذلك فى الغالب إلى إفساد[1] حال الزوج وحال الزوجة ويحصل الفراق[2] والنكَد العاجل ويتشتَّت أمرهم بعد جمعهم وهذه المفاسد مركَّبة على فعل المولد إذا عُمل بالسماع . فإن خَلَا منه وعمل طعامًا فقط ونَوى به المَوْلدَ ودعا إليه الإخوانَ وسَلِم من كل ما تقدَّم ذكره فهو بدعة بنفس نيته فقط لأن ذلك زيادة فى الدين ، وليس من عمل السلف الماضيين ، واتباع السلف أوْلَى ولم يُنقل عن أحد منهم أنه نوَى المولد ونحن تَبع فيسَعنا ما يسعهم[3] . انتهى .

وحاصل[4] ما ذكره : أنه لم يذمّ المَوْلِدَ بل ذمَّ ما يحتوى عليه من المحرَّمات والمنكرات ، وأول كلامه صريح فى أنه ينبغى أن يُخصَّ هذا الشهر بزيادة فعل البرّ وكثرة الخيرات والصدَقات وغير ذلك من وجوه القربات ، وهذا هو عمل المولد الذى استحسنَّاه ، فإنه ليس فيه شىء سوى قراءة القرآن وإطعام الطعام وذلك خيرٌ وبرّ وقُرْبة .

وأما قوله آخرا : إنه بدعة : فإما أن يكون مناقضا لما تقدَّم ، أو أنه يُحمل على أنه بدعة حسنة ، كما تقدم تقريره فى صدر الباب ، أو يُحْمل على أن فعل ذلك خيرٌ والبدعة منه نيّة المولد كما أشار إليه بقوله : « فهو بدْعة بنفس نيته فقط ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوَى المولد » فظاهر هذا الكلام أنه كَره أن يُنْوَى به المولد فقط ولم يكره عمل الطعام ودعاء الإخوان إليه . وهذا إذا حقِّق النظر لا يجتمع مع أول كلامه لأنه حثَّ فيه على زيادة فعل البر وما ذكر معه على وجه الشكر لله تعالى إذ أَوْجَد فى هذا الشهر الشريف سيدَ المرسَلين ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا هو معنى نية المولد. فكيف يذم هذا القَدْر مع الحث عليه أولاً ؟!

وأما مجرد فعل البرّ وما ذكر معه من غير نية أصلاً فإنه لا يكاد يُتصوّر ، ولو تصوِّر لم يكن عبادة ولا ثواب فيه ، إذ لا عمل[5] إلا بنية ، ولا نية هنا إلا الشكر لله تعالى على

---

(١) ط : إلى فساد .
(٢) ص ت م : ويحصل الفرقة .
(٣) ط : ما وسعهم .
(٤) ط : وحاصله : أنه لم يذم .
(٥) ص ت م : إذ لا يعمل .

ولادة هذا النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – فى هذا الشهر الشريف ، وهذا معنى نية المولد فهى نية مُستحسَنة بلا شك . فتأَمَّلْ .

ثم قال ابن الحاج : ومنهم من يفعل المولد لا لمجرد التعظيم ، ولكن له فضة عند الناس متفرقة كان قد أعطاها فى بعض الأَفراح أَو المواسم ويريد أَن يستردّها ويستحيي أَن يطلبها بذلك ، فيعمل المولد حتى يكون سببا لأَخذ ما اجتمع له عند الناس وهذا فيه وجوه من المفاسد : أَنه يتصف بصفة النفاق ، وهو أَن يُظْهِر خلافَ ما يُبْطن ، وظاهر حاله أَنه عمِل المَوْلدَ يبتغى به الدار الآخرة ، وباطنهُ أَنه يجمع فيه فضةً . ومنهم من يعمل المولد لأَجل جمع الدراهم أَو طلب ثناء الناس عليه ومساعدتهم له ، وهذا أَيضًا فيه من المفاسد ما[1] لا يخفى . انتهى .

وهذا أَيضًا من نَمط ما تقدم ذِكره ، وهو أَن الذم فيه إنما حصل من عدم النيّة الصالحة ، لا من أَصل عمل المولد . انتهى ما أَوردته من كلام الشيخ رحمه الله تعالى .

---

(١) ص ت م : كما لا يخفى .

جماع أبواب رضاعه صلى الله عليه وسلم وزاده شرفاً وفضلاً

الباب الأول

فى مراضعه صلى الله عليه وسلم

جملة من قيل إنهن أرضعنه صلى الله عليه وسلم عشر نسوة .

الأولى : أمّه صلى الله عليه وسلم أرضعتْه سبعة أيام . ذكر ذلك جماعة منهم صاحب المَوْرِد والغُرر .

الثانية : ثُوَيْبة بضم الثاء المثلثة وفتح الواو وسكون المثناة التحتية بعدها باء موحدة أرضعته بلبن ابنها مَسْروح بفتح الميم وسكون السين المهملة ثم راء مضمومة وآخره حاء مهملة . قال ابن مندة : اختلف فى إسلامها وقال أبو نعيم لا نعلم[1] أحدًا ذكَر إسلامَها إلا ابن منْدَة . قال الحافظ : وفى باب من أرضع النبيَّ صلى الله عليه وسلم من طبقات ابن سعد ما يدل على أنها لم تُسْلم ، ولكنه لا يدفع نقل ابن مَنْدَة به . انتهى .

وقال ابن الجوزى رحمه الله تعالى : لا نعلم أنها أسلمت . وقال الحافظ : لم أقف فى شئ من الطرق على إسلام ابنها مسروح وهو محتمل . انتهى .

فأرضعته صلى الله عليه وسلم أيامًا حتى قدِمتْ حَلِيمة ، وكانت ثُوَيْبة أرضعت قبلَه حمزة وبعده أبا سلمة بن عبد الأسد ، وكانت مَوْلاة أبى لهب .

روى عبد الرزاق والإسماعيلى والبخارى فى كتاب النكاح فى باب « وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم » عن عروة : ثويبة مولاة أبى لهب ، كان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فلما مات أبو لهب أُرِيه بعضُ أهله بشرّ حِيبَة فقال له : ماذا لقيتَ ؟ قال أبو لهب : لم ألْق بعدكم . زاد عبد الرزاق : راحة . ولفظ الإسماعيلى : لم ألق بعد رخاءً وحذف المفعول فى جميع روايات البخارى . « غير أنى سُقيتُ فى هذه » زاد عبد الرزاق – وأشار إلى النقْرة التى تحت إبهامه بعَتَاقتى ثُويْبة[2]

---

(١) ص ت م : لا أعلم .

(٢) صحيح البخارى ٢٠٢/٣ (ط الأميرية) ، وطبقات ابن سعد ٦٧/١ (القسم الأول) .

وذكر السهيلي وغيره أن الرائى له أخوه العباس ، وكان ذلك بعد سنةٍ من وفاة أبي لهب بعد وقعة بدر : أن أبا لهب قال للعباس ؛ إنه ليُخفَّف عليَّ فى يوم الاثنين . قالوا : لأنه لما بشرتْه ثُوَيْبَة بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أعتقها من ساعته ، فجوزى بذلك لذلك .

قال فى الغُرر : واختلفوا متى أعتقها . فقيل : أعتقها حين بشَّرتْه بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو الصحيح . وقيل إن خديجة سألت أبا لهب فى أن تبتاعها منه لتعتقها[1] فلم يفعل . فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أعتقها أبو لهب . وهو ضعيف . انتهى

وقال الحافظ : واستدل بهذا على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح فى الآخرة ، وهو مردود بظاهر قوله تعالى : « وقدِمْنا إلى ما عَمِلوا من عَمل فجعَلْناهُ هَبَاءً منثورا[2] » لا سيما والخبر مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدَّثه به . وعلى تقدير أن يكون موصولا فلا يحتجّ به . إذ هو رؤيا منام لا يثبت به حكم شرعى ، لكن يحتمل أن يكون ما يتعلق بالنبى صلى الله عليه وسلم مخصوصا من ذلك ، بدليل التخفيف عن أبى طالب المروى فى الصحيح .

قلت : وعلى هذا الاحتمال جرى جَمْع كما ما سَبق ، نُقل ذلك عنهم . قال البيهقى : ما ورد من بُطْلان الخَيْر للكفار فمعناه أنهم لا يكون لهم التخلُّص من النار ولا دخول الجنة ، ويجوز أن يُخَفّف عنهم من العذاب الذى يَسْتوجبونه على ما ارتكبوه من الجرائم سِوى الكفر ، بما عملوه من الخيرات .

وأما عِيَاض رحمه الله تعالى فقال : انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يُثَابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب ، وإن كان بعضهم أشدَّ عذابا من بعض ، قال الحافظ : وهذا لا يردّ الاحتمال الذى ذكره البيهقى ، فإن جميع ما ورد من ذلك فيما يتعلق بذَنْب الكُفْر ، وأما ذنب غير الكفر فما المانع من تخفيفه .

وقال القُرْطبي رحمه الله تعالى : هذا التخفيف خاص بهذا أو بمن ورَد النصُّ فيه .

---

(١) ص ت م : فى أن يبتاعها منه ليعتقها ، محرفة .

(٢) سورة الفرقان ٢٣ .

وقال ابن المُنَيِّر رحمه الله تعالى فى الخامسة[1] : هما قضيتان[2]: إحداهما محال ، وهى اعتبار طاعة الكافر مع كفره ، لأن شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح ، وهذا مفقود من الكافر . الثانية : إثبات ثواب على بعض الأعمال تفضلا من الله تعالى وهذا لا يُحيله العقل ، فإذا تقرر ذلك لم يكن عِتْق أبى لهب لثُوَيْبَة قُرْبَة معتبرة ، ويجوز أن يتفضل الله تعالى عليه بما شاء كما تفضل على أبى طالب ، والمتبع فى ذلك التوقيف نفيًا وإثباتا .

وقال الحافظ : وتتمة هذا أن يقع التفضّل[3] المذكور إكراما لمن وقع من الكافر البرّ له ونحو ذلك .

* * *

حِيبة : بحاء مهملة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة وفى لفظ عند السُّهيلى بالخاء المعجمة المفتوحة .

عَتَاقتى : بفتح العين المهملة : أَحد مَصادر عتق العبدُ الذى هو فعل لازم وإنما عبَّر فى هذا الحديث بالعتاقة دون الإعتاق وإن كان المناسب الإعتاق لأنها أثره : فلذلك أضافها إلى نفسه بقوله : عتاقتى . قاله الترمذى فى شرح العمدة .

النُّقْرة : قال ابن بطال رحمه الله تعالى : يعنى أن الله سقاه ما فى مقدار نقرة إبهامه لأجل عتق ثُوَيْبَة . كما ذكر فى حديث أبى طالب أنه فى ضَحْضَاح من نار لا فى النار ، بسبب حفظه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بخلاف أبى لهب فإنه كان يؤذيه فكان نصيبه من الرفق والرحمة دون أبى طالب . قال غيره : أراد بالنقرة التى بين إبهامه وسبابته إذا مد إبهامه فصار بينهما نقرة[4] يُسقى من الماء بقدر ما يسع تلك النقرة نقل ذلك فى غَرِيبَى الهَرَوِىّ[5] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وخديجة يُكْرمان ثُوَيْبة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها من المدينة بكسْوة وصِلَة حتى ماتت بعد فتح خيبر ، فسأل عن ابنها مَسْروح فقيل قد مات فسأل عن قرابتها فقيل لم يبق منهم أحد .

---

(١) كذا بالأصول ، ولعله يريد الخامسة من أمهاته من الرضاع .

(٢) ص ت م : هما قصتان .

(٣) ص ت م : أن يقع التفصيل . (٤) ص ت م : فصارت بينهما قوة ، محرفة .

(٥) يريد كتاب « الغريبين » للهروى فى غريب القرآن والحديث .

الثالثة : امرأة من بنى سعد غير حليمة . روى ابن سعد عن ابن أبى مليكة رحمه الله تعالى أن حمزة كان مسترضَعا له عند قوم من بنى سعد بن بكر ، وكانت أم حمزة قد أرضعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو عند أمه حليمة[1] .

* * *

الرابعة : خَوْلة بنت المنذر بن زيد بن لَبِيد بن خِدَاش بن عامر بن عدى بن النجار ، أم بُرْدة الأنصارية ؛ ذكر[2] الإمام أبو الحسن إبراهيم بن يحيى بن إبراهيم المعروف بابن الأمين أنها أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم وقال : ذكرها العدَوى وتابعه فى العُيون والمورد، وهو وَهْم إنما[3] أرضعت ولده صلى الله عليه وسلم إبراهيم . كما ذكر ابن سعد وأبو عمر وغيرهما وعليه جرى الحافظ فى الإصابة كما رأيته بخطه . ونصه بعد أن ساق نسبها : مرضعة ابن النبي صلى الله عليه وسلم[4] . وهذا هو الصواب . خلافًا لما فى بعض النسخ السقيمة من إسقاط ابن ولم أر من نبّه على ذلك ثم بعد[5] مُدة رأيت القاضى عز الدين ابن القاضى بدر الدين بن جماعة رحمهما الله تعالى ذكر فى سيرته المختصرة أن ابن الأمين وَهِم فى ذكرها فى الرضاع وأن بعض العصريين حكوا ذلك عنه من غير تعقب . انتهى فسررت بذلك وحمدت الله تعالى .

* * *

الخامسة[6] : أم أيمن بركة ذكرها القرطبي . والمشهور أنها من الحوَاضِن لا من المراضع .

السادسة والسابعة والثامنة . قال أبوعمر رحمه الله تعالى : أنه صلى الله عليه وسلم مُرّ به على نسوة ثلاثة من بنى سُلَيْم فأخرجن ثُديّهن فوضعنها فى فيه فدَرّت عليه . ورضع منهن .

التاسعة : أم فَرْوة ذكرها المُسْتَغْفِرى . ثم روى عن ابن إسحاق عن أم فروة ظِئْر النبي صلى الله عليه وسلم قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أوَيْت إلى فراشك فاقرأ : (قل يا أيها الكافرون) فإنها براءة من الشِّرْك » قال أبو موسى المدِينىّ رحمه الله

---

(١) طبقات ابن سعد ٦٨/١ القسم الأول .

(٢) ط : روى .

(٣) ص ت م : وأنها إنما .

(٤) الإصابة ٧٢/٨ ، ونصه : مرضعة إبراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم أم بردة مشهورة بكنيتها .

(٥) ص : ثم بعيد .

(٦) ط : والخامسة .

تعالى : اختلف فى راوى هذا الحديث . فقيل فروة . وقيل أبو فروة وقيل أم فروة وهذا أغرب الأقوال .

قال الحافظ فى الإصابة : بل هو غلط محض وإنما هو أبو فروة وكأن بعض رواته لمّا رأى عن أبي فروة ظِئْر النبي صلى الله عليه وسلم ظنه خطأ والصواب أم فروة فرواه على ما ظن فأخطأ هو واسم الظِّئر لا يختص بالمرأة المرضعة بل يُطلق على زوجها أيضا . وقد أخرجه أصحاب السنن الثلاثة من طرق عن ابن إسحاق عن فروة بن نوفل عن أبيه . وهكذا أخرجه أبو داود والنسائى من رواية إسرائيل كلاهما عن أبي إسحاق مجردا وفيه على أبي[1] إسحاق اختلاف . وهذا هو المعتمد[2] . انتهى .

العاشرة : حليمة بنت أبي ذُؤَيْب بذال معجمة ، ابن عبد الله بن سِجْنَة بسين مهملة مكسورة فجيم ساكنة فنون مفتوحة . ابن رِزَام براء مكسورة ثم زاى ، ابن ناصرة بن فُصَيّة بالفاء تصغير فصاة وهى النواة من التمر ، ابن سعد بن بكر بن هوازن . كذا قاله[3] ابن إسحاق . وقال ابن الكلبي : اسم أبي ذؤيب الحارث بن عبد الله بن سِجْنة . قال البلاذرى : وهو الثبت . قال النووى رحمه الله تعالى : كنية حليمة أم كَبْشة اسم أبيه الذى أرضعه الحارث ابن عبد العُزَّى .

---

(١) ص ، ت ، م : على ابن إسحاق .

(٢) انظر الإصابة ٢٠٨/٥ ، ١٦٨/٨ .

(٣) ط : قال .

الباب الثانى

في إخوته[1] صلى الله عليه وسلم من الرضاعة

عمه حَمْزة أسد الله وسيد الشهداء رضى الله تعالى عنه ، روى سعيد بن منصور وابن سعد والشيخان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، قال: قال علىّ بن أبى طالب للنبى صلى الله عليه وسلم : ألا تتزوج ابنةَ حمزة فإنها من أَحْسن فتاة في قريش ؟ قال :إنها ابنة أخى من الرضاعة[2] انتهى .

وحمزة رضى الله تعالى عنه رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة حليمة . ومن جهة السعدية السابقة .

أبو سَلَمة عبد الله بن عبد الأَسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم من السابقين الأَولين إلى الإسلام .

روى الشيخان عن زينب بنت أم سلمة عن أُم حبيبة ، بنت أَبى سفيان رضى الله تعالى عنهما قالت : قلت يا رسول الله: ألا تنكح[3] أُختى بنت أَبى سفيان . ولمسلم عَزَّة بنت أَبى سُفْيان ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أَتحبين ذلك ؟ قالت[4] : نعم لست لك . بمخلِّية وأَحبُّ من شارَكنى[5] فى خيرٍ أُختى . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : فإن ذلك لا يحل لى . قالت : فإنا نحدَّث أنك تريد أن تنكح بنت أَبى سلَمة . وفى رواية : دُرَّة بنت أَبى سلمة . قال : بنت أَبى سلمة ؟ قلت :نعم . قال: إنها لو لم تكن رَبِيبَتى فى حِجْرى ما حَلَّت لى إنها لَابنة أَخى من الرضاعة أَرضعتنى وأَبا سلمة ثُوَيْبة[6] . وذكر الحديث .

---

(١) ص ت م : فى أخواته .

(٢) صحيح البخارى ٣/٢٠٢ كتاب النكاح باب « وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم » ، وطبقات ابن سعد ١/٦٨ (القسم الأول) وصحيح مسلم كتاب الرضاع حديث رقم ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

(٣) ط : أنكح أختى .

(٤) ط : قلت .

(٥) ص ت م : من يشاركنى .

(٦) صحيح البخارى ٣/٢٠٢ كتاب النكاح باب « وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم » .

مخلية بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وكسر اللام وبالتحتية المثناة أى لم أجدك خاليا من الزوجات غيرى وقال ابن الجَوْزى : المعنى بمنفردة للخلوة بك

نُحدَّث بضم النون وفتح الحاء والدال المهملتين .

حجْرى بفتح الحاء وكسرها .

عَزَّة بفتح المهملة بعدها زاى .

دُرة : بضم المهملة .

مَسْروح : تقدم الكلام عليه .

عبد الله بن جحش رضى الله تعالى عنه . قاله السهيلى رحمه[1] الله تعالى . وتعقبه فى الزهر بأن الذى ذكره أهل التاريخ وأهل الصحيح لا أعلم بينهم اختلافا أن الراضع مع حمزة أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد لا ذِكْر لابن جحش عندهم . قلت : هذا هو الصواب . وما ذكره السهيلى سَبْق قلم ؟ فإن أبا سلمة ذكر النبىُّ صلى الله عليه وسلم أنه رضع هو وإياه من ثُوَيْبة كما فى صحيح البخارى ولم يذكر ذلك السهيلى ، وذكر ابن جحش .

عبد الله بن الحارث بن عبد العُزَّى ابن حليمة وهو الذى شرب مع النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، ووقع للبيهقى من طريق العلَائى أن اسمه ضَمْرة . فالله تعالى أعلم .

حفص بن الحارث : ذكره الحافظ فى الإصابة[2] .

أُمية بنت الحارث ذكرها أبو سعد النيسابورى فى الشَّرف وأقره الحافظ .

خِذَامة بخاء مكسورة وذال معجمتين . ويقال بجيم مضمومة ودال مهملة ، ويقال حذافة بحاء مهملة مضمومة وذال معجمة وفاء ، قال الخُشَنى : وهو الصوَاب وهى : الشَّيْماء بفتح المعجمة وسكون المثناة التحتية . وكانت تحضن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مع أمها إذ كان عندهم . قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى فى رواية يونس بن بُكَيْر وغيره :

---

(١) الروض ١٠٨/١ .

(٢) الإصابة ٢٥/٢ ولم يقل : ابن الحارث وإنما قال : حفص بن حليمة السعدية التى أرضعت النبى صلى الله عليه وسلم ، أخو النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة .

إن حذافة وهي الشَّيْماء غلَب عليها ذلك ، .وذكر أن الشيماء كانت تحضن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مع أمها . وروى ابن إسحاق عن أبي وَجْزَة السَّعْدى أن الشَّيْماءَ لما انتهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يا رسول الله إنى لأختك من الرضاعة . قال : وما علامة ذلك ؟ قالت : عضة عضَضْتنِيها فى ظهرى وأنا متوركتك . فعرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العلامة فبسط لها رداءه ثم قال : ها هنا فأجلسها عليه وخيَّرها فقال : « إن أحببتِ فأقيمى عندى مُحَبَّبة مكرَّمة وإن أحببت أن أمتعك[1] فترجعى[2] إلى قومك فعلْتُ » . فقالت : بل تمتّعنى وتردّنى إلى قومى . فمتَّعها وردَّها إلى قومها . فزعم بنو سعد ابن بكر أنه صلى الله عليه وسلم أعطاها غلاما يقال له مكحول وجاريةً فزوَّجوا الغلامَ الجارية[3] فلم يزل من نَسلهما بقية[4] .

أبو وَجْزة بفتح الواو وسكون الجيم بعدها زاى اسمه يزيد بن عبيد .

وذكر أبو عمر رحمه الله تعالى نحوه . وزاد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها وشيًا أى ثوبا[5] موشًى وثلاثة أعبد وجارية . ونقل فى الزَّهْر والإصابة أن محمد بن المعلَّى قال فى كتاب الترقيص : إن الشَّيْماء كانت ترقِّص رسولَ[6] الله صلى الله عليه وسلم وتقول :

يا ربنا أبْق أخِى محمـــــدا حتى أراه يافعًـــــا وأمْـرَدَا
واكبت أعَاديه معًا والحسَّـــدا وأعطه عزًّا يـــدوم أبَــــدا

زاد فى الزهر فى النقل عنه :

هـــــذا أخٌ لى لم تلِدْه أمِّى وليس مـــــن نَسْل أبِى وعمِّى
فدَيْته مــــــن مُخْولِ مُعِمِّ فأنمِـــــه اللهم فيمـــا تُنمِى

وتقول أيضا رضى الله تعالى عنها :

محمدٌ خيـــر البشَـــرْ ممن مضى ومــــــن غَبَـرْ
من حجَّ منهمُ أو اعتمر أحسنُ من وجـــه القمَرْ
من كل أنثى وذكـــــر من كل مَشبوبٍ أغَــرّ
جنَّبنى الله الغِيَـــــــر فيه وأوضح لِى الأثَـــرْ

(١) ص : وإن أحببت أمتعتك .
(٢) ط : فارجعى .
(٣) كذا فى ط موافقاً لابن هشام ، وفى ص ت م : فزوجوا الغلام والجارية .
(٤) سيرة ابن هشا ٢/١٠٤ .
(٥) ط : أعطاها وشاء وثلاثة أعبد .
(٦) ط : ترقص النبى صلى الله عليه وسلم .

الباب الثالث

فى إسلام[1] السيدة حليمة وزوجها رضى الله تعالى عنهما

قال الحافظ عماد الدين بن كَثِير رحمه الله تعالى : الظاهر أن حليمة لم تُدْرِك البعْثة .

قال الحافظ فى شرح الدُّرَر : وهو غير مسَلَّم ، فقد روى أبويَعْلى والطبرانى وابن حِبّان ، عن عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهما قال : حدثتنى حليمة . وعبد الله إنما وِلِد بعد البعثة بمدة ، بل لم يتهيأ له السَّماع من حليمة إلا بعد الهجرة بسبع سنين أو أكثر ، لأنه قدِم من الحبشة مع أبيه وهو صغير ليلة الغزوة فى خيبر سنة سبع ، وحليمة إنما قدِمت فى هذه المدّة[2] أو بعدها بسنة فى الجِعْرانة .

ومُسْتَنَد ابن كثير الاختلاف على ابن إسحاق فى حديث حدَّثه عبدُ الله ، فمنهم من قال : عن عبد الله بن جعفر ، عن حليمة . ومنهم من قال : عن عبد الله بن جعفر حدثتنى حليمة .

قلت : ليس هذا مستنده إنما مستنده قول من قال : عن عبد الله بن جعفر حُدِّثت عن حليمة . والله تعالى أعلم .

قال الحافظ : فرأى ابن كثير أن هذه عِلَّة تمنع من الجزم بإدراك عبد الله بن جعفر لها ، وليست هذه[3] فى التحقيق علة ، فإن الشواهد التى تدل على إدراك عبد الله بن جعفر لها كثيرة وأسانيدها جيدة .

وروى ابن سعد بسند رجاله رجالُ الصحيح ، عن محمد بن المنكَدِر – مرسلا – قال :

---

(١) ط : فى إيمان .

(٢) كذا فى ط وفى ص ت م : فى هذه الغزوة .

(٣) ص ت م : وليس هذا .

استأذنتْ امرأةٌ على النبي صلى الله عليه وسلم . قد كانت تُرْضعه فلما دخلت عليه قال أمّ أمى ! وعمد إلى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه[1] انتهى .

قلت : ويجاب عن رواية : « حُدّثت عن حليمة » أنه سمع منها بعض القصة وبعضَها عمن سمع منها[2] أو أنه سمع ممن[3] روى عنها . ثم سمع منها . والله تعالى أعلم .

وقد ألف الحافظ مغلطاى رحمه الله تعالى جزءًا فى إيمانها وهذه خلاصته مع زيادة :

روى البخارى فى الأدب وأبو داود والطبرانى وابن حِبّان فى صحيحه عن أبى الطفيل رضى الله تعالى عنه قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحمًا بالجِعْرانة - وأنا يومئذ غلام أحمل عَظم الجَزُور - إذ أقبلت امرأة حتى دنت إلى رسول[4] الله صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت : من هذه ؟ قالوا هذه أمه صلى الله عليه وسلم التى أرضعته .

وقول الذهبي : يجوز أن تكون هذه ثُوَيْبة مردود بما ثبت أنها توفيت سنة سبع من الهجرة

ثم ذكر الحافظ مغلطاى حديث الرضاع ثم قال : فإن قيل : ما وجه الاستدلال من هذين الحديثين ؟ قلنا : من وجوه : الأول : دَفع شبهة من زعم أن القادِمة فى حُنَيْن أخته صلى الله عليه وسلم لأنه يُسْتبعد أن تكون عمِّرت إلى ذلك الحين تخرّصًا من غير يقين ، لأن رواية هذين الصحابيين عنها مشافهةً مع صِغَرهما يقرّب ذلك الاستبعاد .

قلت : قال الحافظ بعد أن أورد عدة آثار فى مجىء أمه صلى الله عليه وسلم من الر عة إليه ثم قال : فى[5] تعدد الطرق ما يقتضى أن لها أصلا أصيلا ، وفى اتفاق الطرق على أنها أمُّه ردٌّ على[6] من زعَم أن التى قدِمت عليه أخته ، وزاعم ذلك هو الحافظ الدمياطى رحمه الله تعالى والله تعالى أعلم .

وقد ذكرها فى الصحابة جماعة . قال أبو بكر أحمد بن أبى خيثمة فى تاريخه :

---

(١) طبقات ابن سعد ٧١/١ (القسم الأول) .
(٢) ط : عمن سمع منه .
(٣) ص ت م : عمن .
(٤) ط : إلى النبى .
(٥) ص ت م : فى تعدد .
(٦) ص ت م : ورد .

ذكر ما انتهى إلينا من سند[1] النساء اللاتى روين عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : باب الحاء : حليمة بنت أبى ذُؤيْب وقال الحافظ أبو محمد المنذِرىّ فى مختصر سُنَن أبى داود : حليمة أمُّه صلى الله عليه وسلم أسلمت وجاءت إليه وروت عنه عليه الصلاة والسلام .

قال[2] الحافظ أبو الفرَج بن الجَوْزِىّ رحمه الله تعالى فى الحدائق : قدِمْت حليمة ابنة الحارث على النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما تزوّج خديجة فشكَت إليه جَدْب البلاد فكلَّم خديجة فأَعطتها أربعين شاة وبعيرا ، ثم قدِمت عليه بعد النبوّة فأَسلمت وبايعَت وأسلم زوجُها الحارث .

وقال القاضى أبو الفضل عِيَاض رحمه الله تعالى : لما وردت حليمة السعدية على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفى قدمتْ على أبى بكر فصنع لها مثل ذلك[3] .

قلت : هذا كلام القاضى فى الشِّفاء وروى ابن سعد عن عمر بن سعد مرسَلا قال : جاءت ظِئر النبى صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه وقضى حاجتها ثم جاءت أبا بكر ففعل ذلك ، ثم جاءت عمر ففعل ذلك[4] والله تعالى أعلم .

الوجه الثانى : أن لفظ الأمّ لا ينطلق عُرْفا ولغة إلاَّ على الأم الحقيقية ، ولم نرَ من يسمى الأختَ أمًّا ، على أنه قد جاء ما يدفع هذا لو قيل به .

وروى أبو داود بسند صحيح عن عمرو بن السائب رحمه الله تعالى أنه بلَغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسًا يومًا فأَقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعضَ ثوبه فقعد عليه ، ثم أقبلت أمّه فوضع لها شِقّ ثوبه من جانبه الآخر فجلست إليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجلسه بين يديه[5] .

وذكر أبو عُمَر عن زيد بن أَسْلَم رحمه الله تعالى عن عَطاء بن يسَار قال : جاءت حليمةُ

---

(١) ط : من مستند . (٢) ط : وقال .

(٣) الذى فى الشفا للقاضى عياض ص ١٠٠ ط استامبول : « وقال أبو الطفيل : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت : من هذه ؟ قالوا : أمه التى أرضعته » .

(٤) طبقات ابن سعد ٧١/١ (القسم الأول) .

(٥) سنن أبى داود كتاب الأدب ، والشفا ص ١٠٠ « باب فى بر الوالدين » ٢٣٥/٢ (ط التازى) .

ابنة عبد الله أمّ النبي صلى الله عليه وسلم ، فقام لها النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وبسط لها رداءه فجلست عليه[1] . وهو مرسَل جيِّد الإسناد .

الوجه الثالث : ليس لقائل أن يقول : سلَّمنا أن القادمة أمُّه صلى الله عليه وسلم فما الدليل على إسلامها حينئذ ؟ ولعل[2] الدليل من قول من قال أسلمت وبايعت . وقول من قال : روت عن النبي صلى الله عليه وسلم . وروى عنها .

قال الحافظ مُغلطَاى رحمه الله تعالى : ورأيت ليلة الأَحد ثانى وعشرين شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة فى المنام عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام وسألته عنها فقال مجيبا : رَضِى اللهُ تعالى عنها . ثم قال الحافظ مغلطاى : أنشدنا الإمام العالم العلامة أبو الحسن على بن جابر الهاشمىّ رحمه الله تعالى لنفسه :

أمّا حليمةُ مُرْضع المختـــــارِ ... فبهِ غدتْ[3] تزهَى على الأَخيارِ
فى جنة الفردوس دارُ مُقامها ... أكرِمْ بها يا صاحبى من دارِ

قال الحافظ مُغلطَاى رحمه الله تعالى ورضى عنه : ومما قلته فيها من الأَبيات[4] رضى الله تعالى ونفعنا بها :

أضحت حَلِيمةُ تَزدَهِى بمفاخرٍ ... ما نالَها فى عَصْرها إثنانِ[5]
منها الكَفالةُ والرَّضَاعُ وصُحْبَةٌ ... والغايةُ القُصْوَى رِضَا الرحمنِ

وأما زوج حليمة أبو عبد الله الحارث فلم يذكره كثير ممن ألَّف فى الصحابة . وذكره ابن إسحاق فى رواية يونس بن بُكَيْر فقال : حدثنى والدى إسحاق بن يسَار عن رجال من بنى سعد بن بكر قالوا : قدِم الحارثُ بن عبد العُزَّى أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقالت له قريش ، حين نزل عليه : ألا تسمع يا حارث[6] ما يقول ابنك هذا ؟ قال ما يقول : قالوا يزعم أن الناس يُبعثون بعد الموت وأن لله دارًا من نار يعذِّب فيها من عصاه ودارًا يكرم فيها من أطاعه ، شتَّت

(١) الاستيعاب ص ١٨١٣ (تحقيق الأستاذ البجاوى) ونصه : فقام إليها .
(٢) كذا فى ص ت م ، وفى ط : لما أسلفناه من قول من قال .
(٣) ط ت م : غداً ، والتصويب من ص .
(٤) ط : من أبيات .
(٥) ص ت م : إنسان ، وما أثبته من ط .
(٦) ط : يا حار .

أمْرنا وفرّق جماعتنا . فأتاه فقال : أى بُنَىّ مالك ولقومك يُشَانئونك ويزعمون أنك تقول إن الناس يُبعثون بعد الموت ثم يصيرون إلى جنةٍ ونار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أزعم ذلك ، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت لقد أخذتُ بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم . فأسلم الحارثُ بعدَ ذلك فحَسُن إسلامه وكان يقول حين أسلم : لو قد أخذ ابنى بيدى فعرّفنى ما قال لم يرسلنى إن شاء الله تعالى حتى يُدْخلنى الجنة

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى : وبلَغنى أن الحارث إنما أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

الباب الرابع

فى سِياق قصة الرضاع وما وقَع فيها من الآيات .

روى ابن إسحاق وابن راهَوْية وأَبو يَعْلى والطَّبرانى وابن حِبّان عن عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهما قال : حدثتنى حليمة ، والبَيْهقى وابن عسَاكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، وفى سنَده من تُكلِّم فيه لكن لأَكثره شاهد قوىّ والبيهقى عن الزُّهْرى وأَبو يَعْلى وأَبو نُعَيْم عن شدَّاد ابن أَوْس مرفوعا مختصرا ، والإمام أَحمد والدارمىّ عن عتبة ابن عبد الله[1] مرفوعا مختصرا ، وأَبو نُعَيْم عن بُرَيْدة ، وابن سعد وأَبو نعيم وابن عساكر عن يحيى بن يزيد السعدى وابن سعد عن زيد بن أَسْلم - رضى الله تعالى عنهم - أَن حليمة قالت : قدِمْتُ على أَتان لى قَمْراء قد أَزمَّت بالرَّكب حتى شقَّ ذلك عليهم ضَعْفا وعَجفًا ومعى صبىّ لنا وشارِف لنا والله ما تَبِضُّ بقَطرة ، ومانَنام ليلَنا أَجْمَع ، [من[2]] صبيِّنا ذاك[3] لا يجد فى شارِفنا مايكفيه ولا فى ثديى ما يُغنيه[4] فقدِمْنا مكة .

وذكر العَوْفى رحمه الله تعالى أَن عبد المطلب سمع وقت دخول حليمة مكة هاتفا يقول :

إنَّ ابن آمنة الأَمينَ محمـــدًا ... خير الأَنَام وخِيـــرة الأَخيارِ
ما إن له غير الحليمة مُـــرْضعٌ ... نِعْم الأَمينــة هِى على الأَبْرارِ
مأمونةٌ من كل عَيْب فاحِشٍ ... ونقيّة الأَثـــواب والأَزرارِ
لا تُسلمْنَه إلى سِوَاهـــا إنـــه ... أَمرٌ وحُكم جـا من الجبَّارِ

قالت : فوالله ما علمتُ امرأَةً منا إلا وقد عُرِض عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) ط : عن عتبة بن عبد .
(٢) من ابن هشام ١٦٢/١ .
(٣) ط : ذلك .
(٤) ص ت م : ما يغذيه . و ما أثبته من ط .

فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم ، وذلك أنّا[1] إنما كنا نرجو المعروف من أبى الصبىّ ، فكنّا نقول يتيم ما عسى تصنع أمه وجده . فكنا نكرهه لذلك . فوالله ما بقى من صواحِبى امرأة إلا أخذَت رضيعا غَيْرى ، فلما لم أجد غيره قلت لزوجى : والله إنى لأكره أن أرجع من بين صَوَاحبى ليس معى رَضيع ، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه . فذهبتُ فأخذته فجئت به رَحْلى . فقالت آمنة : يا حليمة قيل لى ثلاثَ ليال : استرضِعِى ابنَك فى بنى سعد بن بكر ثم فى آل أَبى ذُؤَيْب . قالت حليمة : فإنَّ زوجى أبو ذؤيب . وإنها أخبرتها بما رأت فى حَمْله صلى الله عليه وسلم وحين وضعته .

قالت حليمة : فلما وضعتُه فى حِجْرى أقبل عليه ثَدْياى . بما شاء الله من لبن ، فشرب حتى رَوِىَ ثم شرب أخوه حتى رَوِى ثم ناما . وقام زوجى إلى شارفنا فإذا إنها لحَافل ، فحلَب فشرب وشربتُ حتى انتهينا ، وبتنا بخير ليلة . فقال صاحبى : تعلَّمى يا حليمة والله إنى لأراك قد أخذت نَسَمةً مباركة ألم ترىْ إلى ما بِتنا فيه الليلة من الخير والبركة حين أخذناه ؟ قلت : والله إنى لأرجو ذلك .

وفى حديث إسحاق بن يحيى عند ابن سعد أن اليهود مرُّوا على حليمة فقالت : ألا تحدِّثونى عن ابنى هذا فإنى حملتُه كذا ووضعته كذا ورأيت كذا كما وصفت أمّه . فقال بعضهم لبعض : اقتلوه فقالوا أيتيم هو ؟ قالت : لا هذا أبوه وأنا أُمه فقالوا : لو كان يتيما قتلناه .

قالت : ثم رجعنا وركبت أتانى وحملتُه عليها معى ، فوالله لقد قطعت[2] أتانى بالرَّكب حتى ما يتعلّق بها حمار ، حتى إن صواحبى ليقُلن لى يا بنت أَبى ذُؤَيْب ويحك ! ارْبَعى علينا ، أهذه أتَانُك التى خرجت عليها معنا ؟ فأقول نعم والله إنها لَهى فيقلن : والله إنَّ لها لَشأْنا .

وفى حديث الزُّهْرى أن حليمة نزلت به صلى الله عليه وسلم سوقَ عُكَاظ فرآه كاهنٌ من الكهان فقال : يا أهل[3] سوقِ عكاظ : اقتلوا هذا الغلام فإن له مُلكا . فزاغت به حليمة فأنجاه الله تعالى منهم .

---

(١) ط ت م : إنما كنا ، وص : أنا كنا ، وقد جمعت بين الروايتين ، موافقاً لابن هشام وسائر المراجع .

(٢) ط : لقطعت .

(٣) ص ت م : لأهل سوق عكاظ .

ثم قدِمْنا أرضَ بنى سعد ، وما أعلم أرضًا من أرض الله تعالى أجدبَ منها ، فكانت غنمى تَسْرح ثم تَرُوح[1] شِبَاعًا لُبَّنا فنحلب ونشرب وما يَحْلب إنسانٌ قطرةَ لبن ولايجدها فى ضَرْع ، إن كان[2] الحاضر من قومنا ليقولون لرعاتهم : ويحكم انظروا حيث[3] تَسْرح غنمُ حليمة فاسرحوا معهم . فيسرحون مع غنمى حيث تسرح فتروح[4]أغنامهم جياعا مافيها قطرة لبن وتروح غنمى شبَاعًا لُبَّنًا

قالت : ولما دخلتُ به إلى منزلى لم يبق منزل من منازل بنى سعد إلا شمَمْنا منه ريح المسك وأُلْقيت محبتُه صلى الله عليه وسلم فى قلوب الناس حتى إنَّ أحدهم كان إذا نزل به أذى فى جسده أخذ كفَّه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الأذى فيبرأ بإذن الله تعالى سريعا . وكذلك[5] إذا اعتلَّ لهم بعيرٌ أو شاة فعلوا ذلك .

وروى أبو نُعَيْم عن بعض من كان يرعى غنم حليمة أنهم كانوا يرون غنمها ما ترفع برءوسها وتُرَى الخُضَر فى أفواهها وأبعارها ، وما تزيد غنمنا على أن تربض ما تجد عودا تأْكله .

قالت حليمة : فلم يزل الله تعالى يريِنا البركة ونتعرّفها ، حتى بلغ صلى الله عليه وسلم سنتين ، فكان يشبّ شبابًا لا يَشبُّه الغلمان .

وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كان أول كلامٍ تكلم صلى الله عليه وسلم به حين فطمته : الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيرا وسبحان الله بُكرةً وأصيلا[6] .

وروى أبو نُعَيْم عن بعض رُعَاة حليمة قالوا : مكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سنتين حين فطم وكأنه ابن أربع سنين فقدِموا به على أُمه زائرين لها ، وهم أحرص شىء على رَدِّه مكانَه لما رأوا من عِظَم بركته ، فلما كانوا بوادى السَّرر[7] لقيتْ نفرًا من الحبشة فرافقتْهم فسألوها فنظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرا شديدا ثم نظروا[8] إلى

---

(١) ص : ثم ترجع .
(٢) ابن هشام : حتى كان .
(٣) ص ت م : انظروا كيف تسرح .
(٤) الأصل : فيروحون أغنامهم جياعاً ، وما أثبته من ابن هشام والمراجع .
(٥) ص : وكانوا .
(٦) لم يرد ذلك فى خبر صحيح .
(٧) الأصل : بوادى السدر ، وما أثبته عن دلائل النبوة لأبى نعيم ١١٦ ، قال ياقوت : السرر : واد على أربعة أميال من مكة عن يمين الجبل ، وهو بضم السين وبفتحها .
(٨) ص ت م : ثم رأوا . وما أثبته من ط .

خاتم النبوة بين كتفيه وإلى حُمْرة فى عينيه فقالوا : هل يشتكى عينه ؟ قالت : لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه . قالوا : والله نبي . انتهى .

قالت : فقدِمْنا به إلى أمه فلما رأته قلنا لها : اتركى ابننا عندنا هذه السَّنَة فإننا نخاف عليه وباء مكة . فوالله ما زلنا بها حتى قالت نعم فسرحته معنا .

وعند أبي نعيم عن بعض رعاة حليمة أنها مرت بذى المجَاز وهى راجعة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبه عرَّاف يُؤتَى إليه بالصبيان ينظر إليهم فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الحمرة بين عينيه وإلى خاتم النبوة صاح : يا معشر العرب اقتلوا هذا الصبى فليقتلنَّ أهلَ دينكم وليَكسرن أصنامَكم وليَظهرن أمرُه عليكم . فانسلَّت به حليمة[1] .

زاد ابن سعد : فجعل الهُذَلى يصيح : يا لَهُذيل يا لهذيل وآلهته إنَّ هذا لينتظر أمرًا من السماء . وجعل يُغرِى بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فلم ينشب أن دَلِه فذهب عَقلُه حتى مات كافرا .

فأقمنا شهرين أو ثلاثة ، وكان صلى الله عليه وسلم يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم

وفى حديث الزهرى عند ابن سعد قال : كانت حليمة لا تدع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يذهب مكانا بعيدا ، فغفلت عنه يومًا فخرج مع أُخته الشَّيْماء فى الظهيرة فخرجت حليمة تطلبه حتى وجدته مع أُخته فقالت : فى هذا الحر ؟ فقالت أُخته : يا أُمّه ما وجد أخى حرا رأيت غمامة تُظِلّ عليه إذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع . قالت : حقًّا يا بنية ؟ قالت : إى والله . انتهى .

فقال لى يوما : يا أُماه مالى لا أرى إخوتى بالنهار . قالت : يرعون بُهما غنمًا لنا فيروحون من الليل إلى الليل . فقال : ابعثينى معهم . فكان صلى الله عليه وسلم يخرج مسرورا ويعود مسرورا . فلما كان يوما من ذلك خرج . فلما انتصف النهار إذ جاءنا أخوه يشتدّ فقال : يا أبةِ ويا أُمّة الحقا أخى محمدا فما تلحقانه إلا ميّتا . قلت[2] : وما قصته

---

(۱) دلائل النبوة لأبي نعيم ١١٦ باختلاف .

(۲) ص : فقلت .

قال : بَيْنا[1] نحن قيام إذ أتانا[2] رجل فاختطفه من أوساطنا وعلا به ذروة جبل[3] ونحن ننظر إليه حتى شق من صدره إلى عانته . وعند ابن إسحاق : ورَجُلان عليهما ثياب بيض فشقَّا بطنه فهما يَسُوطانه انتهى . وما أدرى ما فعلَ .

فأقبلت أنا وأبوه نسعى سعيا فإذا به قاعدا على ذِرْوة الجبل شاخصا ببصره إلى السماء فنجده مُنتقعًا لونُه فأكبَبْتُ عليه وقبَّلت بين عينيه وقلت : فدَتك نفسى ما دَهاك ؟ قال : خيرا يا أُماه بَيْنَا أنا الساعة قائم إذ أتانى رَهْطٌ ثلاث بيد أحدهم إبريق فضة وفى يد الثانى طَسْت من زمرّدة خضراء ملآن[4] ثلجًا فأخذونى وانطلقوا بى إلى ذروة الجبل فأضجعونى إضجاعًا لطيفا ، ثم شقَّ أحدهم من صدرى إلى عانَتى وأنا أنظر إليه فلم أجد لذلك حسًّا ولا ألمًا ثم أدخل يده فى جوفى فأخرج أحشاء بطنى فغسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم أعادها . كذا فى حديث ابن عباس عند البيهقى ، وشدَّاد بن أوْس عند أبى يعلى ، وأبى نعيم .

وفى صحيح مسلم : فأتاه جبريل فأخذه فصرَعه فشقَّ عن قلبه واستخرج القلبَ ، ثم شق القلب فاستخرج منه علقة سوداء فقال : هذا حظ الشيطان منك يا حبيب الله . ثم حشاه بشىء كان معه وردَّه مكانه ثم ختمه بخاتم من نور . فأنا الساعة أجد بَرْد الخاتم فى عروقى ومفاصلى . وقام الثالث فقال تنحَّيَا فقد أنْجزتما ما أمر كما الله تعالى به . ثم دنا منى فأمرَّ يده من مَفْرق صدرى[5] إلى منتهى عانتى فالتأم الشق بإذن الله تعالى[6] .

وفى حديث عبد الله بن عُتْبة : فأقبل إلىّ طائران[7] أبيضان كأنهما نَسْران فقال أحدهما لصاحبه أهو هو ؟ قال : نعم فأقبلا يبتدرانى فأخذانى فبطَحانى لِلْقَفا فشقَّا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقَّاه فأخرجا منه علقتين سوداوين فقال أحدهما لصاحبه : ايتنى بماء ثلج فغسلاَ به جوفى . ثم قال : ايتنى بماء بَرَد فغسلا به قلبى . ثم قال ايتنى بالسَّكِينة فذَرَّاها فى قلبى . ثم أخذ بيدى فأنهضنى إنهاضا لطيفا ثم قال الأول : زِنْه بعشرة من أمته

(١) ص ت م : بينا .
(٢) ط : إذ أتاه .
(٣) ط : ذروة الجبل .
(٤) ط : ملئ .
(٥) ص ت م : من مفرقى ، وما أثبته من ط .
(٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٦١ .
(٧) ص : فأقبل على طيران .

فوزنونى بهم فرجَحْتهم . ثم قال : زِنْه بمائة فوزنونى بهم[1] فرجحتهم ثم قال : زِنْه بألف من أُمته . فوزنونى بهم فجعلت[2] أنظر إلى الألف فوق أشْفِق أن يخرّ علىّ بعضُهم فرجَحْتهم ، فقال : دَعُوه فلو وزنتموه بأُمته كلها لرجحهم . ثم ضمُّونى إلى صدورهم وقبَّلوا رأسى وما بَيْن عينىّ ثم قالوا : يا حبيب الله لَمْ تُرَعْ إنك لوتدرى ما يراد بك من الخير لقرَّت عيناك .

قالت حليمة : فأَتيت به منازل بنى سعد فقال الناس : اذهبوا به إلى الكاهن حتى ينظر إليه ويداويه . فقال : ما بى شئٌ مما تذكرون إنى أرى نفسى سليمة ، وفؤادى صحيح . فقال الناس أَصابه لَمَم أوطائف من الجن . فغلَبونى على أمرى فانطلقتُ به إلى الكاهن فقصَصْت عليه القصة فقال : دعينى أنا أسمع منه فإن الغلام أَبْصَر بأَمره منكم ، تكلَّمْ يا غلام . فقصّ قصته عليه . فوثب الكاهن قائمًا على قدميه ونادى بأعلى صوته : يا لَلعرب من شرٍّ قد اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلونى معه فإنكم إن تركتموه وأدرك مَدارك[3] الرجال لَيُسفِّهنَّ أحلامَكم وليكذِّبن أَرْبابكم[4] وليَدْعونّكم إلى ربٍّ لا تعرفونه ودين تُنْكرونه . قالت : فلما سمعت مقالته انتزعته من يده وقلت لأَنت أَعْتَه منه وأَجَنّ ، ولو علمتُ هذا من قولك ما أتيتك به ، اطلب لنفسك من يقتلك فإنا لا نقتل محمدا .

فأَتيت به منزلى فما أَتيت[5] منزلاً من منازل بنى سعد إلا وقد شمَمْنا منه ريحَ المسك . فقال الناس : يا حليمة ردِّيه إلى جَدّه واخرجى من أَمانتك . وقال زوجى : أرى أن نردّه على أُمه لتعالجه ، فوالله إنْ أَصابه ما أَصاب إلا حسدًا من آل فلان لما يرون من عظيم بركته يا حليمة أخذناه ولنا أَعْنُزٌ عِجَاف فهن اليوم ثلاثمائة .

قالت : فعزمت على ذلك . فسمعت مناديا ينادى : هنيئا لك يا بطحاء مكة اليوم يُرَدّ إليك النُّور والدِّين والبهاء والكمال فقد أَمِنْتِ أن تُخْذَلى[6] أو تُخْزَىْ أبدَ الآبدين .

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى : وزعم الناس فيما يتحدثون ـ والله تعالى أعلم ـ أن أُمه السعدية لمّا قدِمت به مكة أَضلَّها فى الناس وهى مُقْبلة نحو أهله ، فالتمسْته فلم تجده

(١) ص : فوزنى بهم .
(٢) ص : ثم جعلت .
(٣) ص : مدرك الرجال .
(٤) ط : وليكذبن أديانكم .
(٥) ط : فما رأيت .
(٦) الأصول : أن تخذلين . أو تخزين .

فأنت عبدَ المطلب فقالت : إنى قدِمت بمحمد هذه الليلة فلما كنت بأُعلى مكة أضلَّنى ، فوالله ما أدرى أين هو . فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله تعالى أن يردّه صلى الله عليه وسلم عليه . زاد البيهقى رحمه الله تعالى : فقال عبد المطلب :

يارب إنْ محمدا لم يوجـــدْ   فجَمْع قومى كلُّهم مُبَـــدّدْ

زاد ابن سعد وابن الجَوْزى فقال عبد المطلب :

لاهُــمَّ[1] رُدَّ راكبِى محمـــدًا   ارْدُدْهُ لى ثم اتخذْ عندِى يـدًا

أنت الذى جعلته لِى عَضُـــدا   لا يَبْعـدِ الدهـرُ به فيَبْعَدَا

أنتَ الذى سمَّيْتَه محمـــدا

فسمع هاتفا من السماء : أيها الناس لا تضجّوا إن لمحمد صلى الله عليه وسلم ربًّا لن يخذله ولن[2] يضيعه . فقال عبد المطلب : من لنا به ؟ فقال : إنه بوادى تهامة عند الشجرة اليُمْنى . فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة بن نوفل وسار فإذا النبى صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يَجْذب غصنا من أغصانها فقال له جده : من أنت يا غلام ؟قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . قال : وأنا جَدّك فدتك نفسى . واحتمله وعانقه وهو يبكى ثم رجع إلى مكة وهو قُدّامه على قَرَبُوس فرسه فاطمأنت قريش ، ونحر عبدُالمطلب عشرين جَزُورا وذبح الشِّيَاه والبقر وأطعم أهل مكة من ذلك . انتهى .

قالت حليمة : فقالت أمه : ما ردَّكما به يا ظِئر فقد كنتما عليه حريصين ؟ قلنا : نخشىَ الأتلاف والأحداث فقالت : ما ذاك بكما اصدُقَانى شأنكما . فلم تدَعْنا حتى أخبرناها خبره . فقالت : أخشيتما عليه الشيطان ؟ كلا والله ما للشيطان عليه سبيل ، والله إنه لَكائن لابنى هذا شأن ، ألا أُخْبر كما خبره ؟ قلنا : بلى . قالت : حملتُ به فما حملتُ حملاً قط أخفَّ منه ، فأُريت فى النوم حين حملت به خرج منّى نور أضاءت له قصور بُصْرى من أرض الشام ، ثم وقع حين ولدتُه وقعًا ما يقعه المولود ، معتمدًا على يديه رافعا رأسه إلى السماء .

---

(١) كذا فى ط موافقاً للوفا ، وطبقات ابن سعد ، وفى ص ت م : لاهم ربى .

(٢) ط : ولا يضيعه .

قالت حليمة : وحدثت عبد المطلب حديثه كله فقال : يا حليمة إن لابنى هذا شأنا ووددت[1] أنى أدرك ذلك الزمان ، ثم جهّزنى عبدُ المطلب أحسن جهاز وصرفنى إلى منزلى بكل خير[2] .

وذكر ابن المعلّى الأَزْدى رحمه الله تعالى فى كتاب « التَّرْقيص » أن من شعر حليمة مما كانت ترقّص به النبىَّ صلى الله عليه وسلم :

يارَبِّ إذ أعطَيْته فأبْقِــــهِ وأعْلِهِ إلى العُـــلاَ ورَقِّــهِ

وادْحَض أبَاطيلَ العِـدَا بحقِّهِ

وذكر ابن سَبع رحمه الله تعالى أن حليمة قالت : كنت أعطيه صلى الله عليه وسلم الثدى فيشرب منه ثم أحوّله إلى الثدى الأيسر فيأبى أن يشرب منه . قال بعضهم : وذلك من عَدْله صلى الله عليه وسلم لأنه علم أن له شريكا فى الرضاعة . وكان صلى الله عليه وسلم مفطورًا على العَدْلِ مجبولاً على جميل المشاركة والفضل صلى الله عليه وزاده شرفا وفضلا لديه .

قال العَزَفىّ : رحمه الله تعالى : كان النساء يرين إرضاع أولادهن عارا عليهن . وقال غيره : لينشأ غريبا فيكون أنجب للغلام وأفصح له . وقال آخر : كان عادة العرب أن تفعل ذلك لتَفرُغ النساءُ للأزواج وهو منتفٍ هنا لأن أباه[3] توفى وهو حَمْل على الصحيح .

قال الواقدىّ رحمه الله تعالى : وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يقول : رجع صلى الله عليه وسلم إلى أمه وهو ابن خمس سنين . وكان غيره يقول : رجع إليها وهو ابن أربع سنين .

وذكر الأموى ـ رحمه الله تعالى ـ أنه صلى الله عليه وسلم رجع وهو ابن ست سنين تُزيره جدَّه فى كل عام ، ولم تره بعد أن ردَّتْه إلامرتين إحداهما بعد تزويج خديجة ، جاءته صلى الله عليه وسلم تشكو إليه السَّنَة وأن قومها قد أسْنَتُوا فكلَّم لها خديجةَ فأعطتها عشرين رأسا من غنم وبَكَرات . والمرة الثانية يوم حُنَيْن .

---

(١) ص ت م : وددت .

(٢) خبر حليمة وقصة الرضاع كما أوردها المؤلف فى سيرة ابن هشام ١٧١/١ ، وطبقات ابن سعد ١/ (القسم الأول) ، ودلائل النبوة لأبى نعيم ص ١١١ ، والوفا لابن الجوزى ١٠٨/١ ، وسيرة ابن كثير ٢٢٧/١ .

(٣) ص : إذ أبوه .

لقد بلغتْ بالهاشمىِّ حَليمةٌ مقامًا علاً فى ذِرْوة العِزِّ والمجدِ
وزادت مَواشيها وأخصب رَبْعها[1] وقد عمَّ هذا السعدُ كلَّ بنى سعد

ويرحم الله تعالى العلامة بن جابر حيث قال :

بخَيْر الخَلْق يُشْرح كلُّ صَدْر وعند الله حاز أَجَلَّ[2] قَدْرِ
بشَقِّ الصَّدْر خُصَّ كشَقِّ بَدْر كما خُصَّ الكليم بشَقِّ بَحْرِ
وسَعْى الدَّوْح[3] جاء[4] لدَفْع شك كسَعْى عصَا الكليم لدفع سِحْر
له الشَّرَفان من عَمٍّ وخالٍ ففاق المرسلين بكل عَصْر
بدَا من خير بيتٍ فى قريش وأرضع فى بنى سعدِ بن بَكْرِ
فضم إلى فصاحة آل سعد سماحةَ هاشم وجَلال فِهْرِ
لقد سَعِدتْ حليمةُ حيث حازتْ رضاعتَه ونالت كلَّ فَخْرِ
فدَرَّ عليه منها الثدىُ حالاً ولم يكُ قبل ذا يَشْفى بدَرِّ
وأعلم أنه لأخيه حَقّ فغادر ثَدْيها الثانى بوَفْرِ
وشارِفُها جرَتْ لبنًا فأرْوَتْ وكانت لا تبِضُّ لهم بقَطْرِ
وأسرعت الأتانُ به نهوضًا فأُعجب كلُّ من فى الركب يَسْرِى
وكانت من وراء القوم ضَعْفا فصارت عن[5] أمام القوم تجرى
فقالوا إن لابنك ذا لشأْنًا أخذْتِ مباركا فثِقِى بيُسْرِ
وكان يشبُّ فى شهرٍ كعامٍ إذا اعتبروا وفى يومٍ كشهرِ
ويصبح دون صِبْيتهم دَهِينا كحيلا طيِّبا من غير عطرِ
وكانوا فى أشدِّ الأرض جَدْبًا فعَمَّ القطرُ منها كلَّ قُطْرِ
وخلف بيوتهم جبريل وافى فشق الصدر منه بغير ضرّ
وألقَى مَغْمَز الشيطان منه فطهَّره فنال أتمَّ طُهْرِ
حشَا منه الحَشَا عِلْمًا وحِلْما وإيمانا على ورَع وصَبْر
وأكرمه الإلهُ بشَقِّ صَدْر ووَضْع الوزر عنه ورَفْع ذِكْرِ

---

(١) ط : وأخصب زرعها .
(٢) ص ت م : حاوى كل قدر .
(٣) ص ت م : وسعى الروح
(٤) ط : جاز .
(٥) ص : فى أمام القوم .

فكان رضًـا بلا سَخطٍ وبَذْلا ... بـلا بُخْلٍ وخيرًا دون شـر

له خُلق الملائك وهـو خَلْقٌ ... من البشَر الخصيص بكل بشْرِ

إلـهُ العَرْش[1] أرْسـله بشيرا ... نذيرًا داعيًـا لهُدًى ويُسْـرِ

فأبدلنـا[2] بَهْدي بعد جهلٍ ... وعوَّضنا[3] بيُسْر بعـد عُسْرِ

عليه صلاةُ ربِّ العرشِ تَنْـدى ... كما تَنْـدَى الرياضُ بكل فَجْرِ

يواصـل عَرْفُها آلاً وصَحْبا ... كأنَّ ثناهمُ نفَحـات زَهْـرِ

والشرفَ البوصيرى حيث قال :

وبدَتْ فى رضـاعه معجزاتٌ ... ليس فيها عن العيـون خَفَاءُ

إذ أبتْـه ليُتْمـه مُرْضـعاتٌ ... قُلْن ما فى اليتيم عَنَّـا غَنـاءُ

فأَتَتْـه من آلِ سـعد فتـاةٌ ... قـد أبتْها لفقرهـا الرُّضَـعاءُ

أرضـعتْه لِبَانهـا فسقَتْهـا[4] ... وبَنِيهـا أَلبـانَهن الشِّيَاءُ

أصبحت شُـوَّلاً عِجَافًـا وأمستْ ... ما بهـا شـائلٌ ولا عَجْفـاءُ

أخْصَب العيش عندها بعد مَحْل ... إذ غـدا للنبيِّ منها غِـذاءُ

يالهـا منة لقـد ضُوعف الأجْـ ... ـرُ عليهـا مـن جنْسها والجزاءُ

حيث أنبتت سنابل والضِّعـ ... ـفَ لـديه يَسْتشرف الضعفاءُ

وإذا سـخَّر الإله أُناسـاً ... لسعيدٍ فإنهم سُـعَداءُ

وأتت جـدَّه وقـد فصلَتْـه ... وبهـا من فِصَـاله البُرَحـاءُ

إذ أحـاطت بـه ملائكة اللـ ... ـه فظنَّت بأنهم قُـرَنـاءُ

ورأى وَجْـدهـا بـه ومن الوجْـ ... ـدِ لهِيبٌ تَصْـلَى بـه الأحشاءُ

فارقتْـه كرهـا وكان لديهـا ... ثاويًا لا يُملُّ منـه الثَّـواءُ

شُقَّ عن صَدْره[5] وأخرج منه ... مُضْغَـةٌ عنـد غَسْله سـوداءُ

ختمَتْـه يُمْنَىَ الأمين وقـد أوْ ... دِع مـا لم يُـذَعْ لـه أنبـاءُ

---

(١) ص ت م : إله الخلق ، وما أثبته من ط .
(٢) كذا فى ط ، وفى ص ت م : فأبدلها .
(٣) ص ت م : وعوضها ، وما أثبته من ط .
(٤) ص : فسقته .
(٥) ط : شق عن قلبه .

صـــان أَسرارَه الخِتَــامُ فلا الـ ـفَضُّ مُلِمٌّ بــه ولا الإفضاءُ
أَلِف النُّسْكَ والعبــادة والــ ـخَلْوة طفــلاً وهكــذا النجبــاءُ
وإذا حلَّت الهــداية قَلْبًــا نَشطتْ فى العبــادةِ الأعضــاءُ

* * *

تَنْبِيهَاتٌ

الأَول : قال بعض العلماء : المراد بالوزن فى قوله[1] : « زِنْه بعشرة » إلى آخره : الوزن الاعتبارى . فيكون المراد بالرُّجْحان [الرجحان][2] فى الفضل وهو كذلك . وفائدة فِعْل الملَكيْن ذلك ليَعلم رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم ذلكَ حتى يخبِر به غيره ويعتقده ، إذ هو من الأُمور الاعتقادية . وسأَلت شيخنا شيخ الإسلام برهان الدين بن يوسف – رحمه الله تعالى – عن ذلك فكتب لى بخطه : هذا الحديث يقتضى أَنّ المعانى جعلها الله تعالى ذوَاتًا ، فعند ذلك قال الملَك لصاحبه : اجعله فى كِفَّة واجعل أَلفًا من أُمته فى كفة . ففعل فرجَح ما له صلى الله عليه وسلم رجحانًا طاش معه مالالأَلف بحيث يخيَّل للرائى أنه سقط عليه بعضهم . ولما عرف الملَكان منه[3] الرجحان وأنه معنًى لو اجتمعت المعانى كلها التى للأُمة ووضِعت فى كفَّة ووضع ماله صلى الله عليه فى كفة لرَجح على الأُمة قالا[4] : لو أَن أُمته وزِنت[5] به صلى الله عليه وسلم مالَ بهم لأَن مآثر خير الخَلْق وما وهبه الله تعالى له من الفضائل يستحيل أَن يساويها غيْرها . انتهى .

الثـانى :

قال السُّهيلى – رحمه الله تعالى : التماس الأَجر على الرضاع لم يكن محمودا عند أَكثر العرب ، حتى جرى المثل : « تجوع الحُرّة فلا[6] تأكل بثديها[7] » .

وتعقَّبه فى الزهر بأَن المثل غير مسُوق لذلك . قال المفضل الضبِّى – رحمه الله تعالى – فى كتاب « الفاخر » : تجوع الحُرّة ولا تأكل بثديها أى ولا تهتك نفسها وتُبْدى منها

(١) ص ت م : المراد بقوله زنه ، وما أثبته من ط . (٢) زيادة يقتضيها السياق .
(٣) ص ت م : من الرجحان ، وما أثبته من ط . (٤) ص ت م : فالأولى ، وما أثبته من ط .
(٥) كذا فى ط ، وفى ص ت م : لو أن أمته لو وزنت . (٦) ص : ولا تأكل . (٧) الروض ١٠٩/١ .

مالا ينبغى أن تُبْدِى . وذكر مثله محمد بن سعد العراقى[1] ـ رحمه الله تعالى ـ فى « نُزْهة الأنفس » فى الأمثال .

قلت : قال المَيْدانى تبعًا لأبى عبيد ـ رحمهما الله تعالى: أى لا تكون ظِئْرا وإن آذاها الجوع .

ثم قال السُّهيلى : وكان عند بعضهم لا بأس به فقد كانت حليمةُ وسيطةً فى بنى سعد كريمةً من كرائم قومها بدليل اختيار الله تعالى إياها لإرضاع[2] نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما اختار له أشرف البطون والأصلاب ، والرّضاع كالنسب . قال : ويحتمل أن تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرضاع اضطرارا للأزمة التى أصابتهم والسَّنة الشهباء التى أقْحَمتهم[3] . والله تعالى أعلم .

الثالث :

قول آمنة : « فلم أرَحَمْلاً كان أخفَّ علىّ منه » يفهم[4] منه أنها حملتْ بغيره صلى الله عليه وسلم . وقد ورد ما هو أصرح منه . قال ابن سعد أخبرنا عمرو بن عاصم[5] أخبرنا همّام عن إسحاق بن عبد الله ، قال : قالت أم النبي ـ صلى الله عليه وسلم: قد حملتُ الأولادَ فما حملت أخفَّ[6] منه . قال ابن سعد ـ رحمه الله تعالى : قال محمد بن عمرَ يعنى الواقِدىّ ـ وهذا مما لا يُعرف عندنا ولا عند أهل العلم ، لم تلد آمنة ولا عبد الله غير النبي ـ صلى الله عليه وسلم[7] .

قال الواقدى : وحدثنى محمد وعبد الله ابن أخى الزُّهْرى ، عن الزهرى ـ رحمه الله تعالى ـ قال : قالت آمنة : لقد عَلِقْت به فما وجدت له مشقةً حين وضعْته .

وأخرجه عن الواقدى من وجه آخر مطوَّلا وفيه: ما شعرتُ به ولا وجدت ـ له ثقْلةً كما تجد النساء .

قال الحافظ : إن كان إسحاق بن عبد الله هو ابن أبى طلحة فهو مرسل رجاله رجال

---

(١) ط : المراق .

(٢) كذا فى ص : ، وفى ط ت م : برضاع .

(٣) ص ت م : التى اقتحمتهم .

(٤) ص ت م : فهم

(٥) ليست فى ط .

(٦) ط : أثقل منه ، محرفة .

(٧) طبقات ابن سعد ١/ ٦١ (القسم الأول) .

الصحيح . فلا يمتنع أن تكون آمنة أسقطت من عبد الله سقطًا فأشارت بذلك إليه فتجتمع الروايات إن قبلْنا كلام الواقدىّ .

بل جازف سِبْطُ ابن الجوْزى – رحمه الله تعالى – كعادته فقال : أَجمعَ علماءُ النقل على أن آمنة لم تحمل بغير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومعنى قولها : لم أَحمل حملاً أَخفَّ منه خرّج على وجه المبالغة ، أو على أنه وقع اتفاقا . كذا قال : ولا يخفى وَهْى كلامه والذى جمعتُ به أَقرب .

قلت : وقد تقدم الجمع بين أَحاديث وجود النقل وأَحاديث عدمه فى أَبواب[1] المولد فليراجَع . والله تعالى أَعلم .

* * *

الرابع : فى بيان غريب ما تقدم :

نلتمس : نطلب . ووقع فى سيرة ابن إسحاق : والتُمس لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – الرُّضَعاء . قال ابن هشام – رحمه الله تعالى – إنما هو المَراضع جمع مُرْضع . والرُّضَعاء جَمْع رضيع . ولكن لرواية ابن إسحاق مَخْرج من وجهين : أَحدهما : حذف المضاف كأَنه قال : ذوات الرضعاء . والثانى أَن يكون أَراد بالرضعاء الأَطفال على حقيقة اللفظ لأَنهم إذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضيعا يرضع معه. فلا بُعْد أن يقال : التمسوا له رضعاء علما بأَن الرضيع لابد له من مرضع .

سَنَة شَهْباء : يعنى سنة القَحْط والجدْب ، لأَن الأَرض تكون فيها[2] بيضاء .

الأَتان : بفتح الهمزة والمثناة الفوقية : الأُنثى من الحمير . قال فى القاموس ؛ والأَتانة لغة سليمة .

أَذَمَّت بالرَّكْب : بذال معجمة . كما ذكره فى الجمهرة[3] والصحاح والنهاية . وفيها : قال فى الجمهرة : أَذمَّت الراحلة إذا أَعيتْ ولم يكن بها حِراك . وقال فى الصحاح : أَذمَّتْ رِكَابُ القوم[4] : أى أَعيت وتأَخرت عن جماعة الإبل ولم تلحق بها .

(١) ص ت م : فى باب .
(٢) ط : تكون فيه .
(٣) فى ص ت م زيادة : لفظ الصحاح : وأذمت ركاب القوم : أعيت وتأخرت ، ولعلها مقحمة ، إذ أنها وردت بعد ذلك بأسطر .
(٤) الأصل : أذم الركاب القوم ، محرفة ، والتصويب من الجملة المقمحة فى ص ت م .

عجْفاء : بفتح العين المهملة والجيم وبالفاء : العجَف : الهُزَال . والأعْجف : المهزول والأنثى عجْفاء والجمع عِجَاف . قمراء : فى لونها بياض .

الشارِف : بالشين المعجمة والراء المكسورة والفاء : الناقة المُسِنَّة .

تَبِضّ : بفتح المثناة الفوقية وبكسر الموحدة وبضاد معجمة مشددة أى لا تقطر ولا ترشح ويروى بالمهملة : أى لا يبرق عليها[1] أثر اللبن .

ما يُغَذّيه : بمعجمتين : من الغذاء .

وفى قولها : إنه يتيم إلى آخره ردٌّ لقول من ذكر أن عبد الله أباه استأجر له حليمة ، كما رواه عثمان بن عبد الرحمن الوَقَّاصى أحد الضعفاء .

الرَّحْل : بحاء مهملة : سكن الشخص وما يستصحبه من الإِناث . والرحل : المنزلِ والمـأوى .

الحافل : الممتلئة الضَّرْع من اللبن ، والحفَل : اجتماع اللبن فى الضرع . رِيًّا : بكسر الراء وتشديد المثناة التحتية .

تعلَّمى : بمثناة فوقية فعين مهملة فلام مشددة مفتوحات : أى اعلمى . النَّسَمة محرَّكة : الإنسان والبدن والروح والنَّفْس . قطَعت بالرَّكْب : خلَّفتهم وراءها .

يتعلق بها حِمار : يلحقها . ويحك بالنصب بإضمار فعل : كلمةُ ترحُّم وتوجُّع تقال لمن وقع فى هلكة لا يستحقها وقد تقال بمعنى المدح والتعجب .

ارْبَعِى : إذا ابتدأت به كسرتَ همزته وهى همزة وصل وبالموحدة المفتوحة : أى أقيمى وانتظرى . يقال ربَع فلانٌ على فلان إذا أقام به وانتظره .

عُكَاظ بالضم : سوق بمكة وراء قَرْن المَنَازل يُصْرَف ويمنع . قال ابن حبيب ـ رحمه الله تعالى : قريب من عرفات .

الكاهن : الذى يدَّعى عِلْم الغيب .

راغت : براء وغين معجمة : مالت عنه .

أَجْدَب بجيم فدال مهملة فموحدة : ضد الخِصْب بكسر الخاء المعجمة .

---

(١) ص ت م : أى لا تنز ف علينا أثر اللبن ، محرفة ، والتصويب من ط .

تَرُوح : ترجع بعشِىّ . لُبَّنا : بضم اللام وتشديد الباء الموحدة : أى كثيرة اللبن ،
قلت : وبضم اللام وكسرها لغتان .

الحاضر : جماعة القوم المجتمعون على الماء .

يُريحون : يرجعون من المرعى .

يَشِبّ[1] : بكسر الشين المعجمة .

جَفْرا : غليظا شديدا ومنه الجَفْرُ والجَفْرَة من المعز ، ويقال هو الصبى ابن أربعة أعوام ونحوها .

الوباء : بالهمزة والقصر : كثرة الأمراض والموت .

فسرحته : أرسلته[2] .

ذو المجاز بالجيم والزاى : سوق كانت تقام فى الجاهلية على فرسخ من عرفات .

العرَّاف : مشدد بمعنى المنجم والكاهن . والعراف : الذى يخبر بالماضى ، والكاهن بالماضى والمستقبل .

الهُذَلى : بضم الهاء وفتح الذال المعجمة .

يُغْرِى به : يولِع .

يَنْشب : يلبث .

دلِه : بدال مهملة وتقديم اللام على الهاء قاله فى النهاية أى ذهب عقله ودهش .

بَهْم : بفتح الموحدة جمع بَهْمة وهى ولد الضأن . قاله فى النهاية . ذِرْوة الجبل بكسر الذال المعجمة : أعلاه .

يَسُوطانه : يقال : سُطْت اللبن والدم وغيرهما : إذا ضربت بعضه فى بعض وحركته ، واسمُ العود الذى يُحرَّك به : المِسْوط .

مُنْتَقَعًا لونُه : بنون ومثناة فوقية وقاف مفتوحة أى متغيرا ، يقال انتُقِع[3] وجه الرجل : إذا تغيرَّ ، ويقال امتُقِع بالميم وبالباء الموحدة أيضا . يقال انتُقع لونه فهو مُنْتَقَع وامتُقع

(١) ص ت م : ينشب ، محرقة .   (٢) ص ت م : فسرحت : أرسلت .

(٣) هامش ط : بالبناء للمجهول أى تغير . كذا فى القاموس وبه يتضح فتح القاف .

فهو مُمْتَقع. وابْتُقع فهو مُبْتَقع بفتح القاف[1] فى الكل. أَحْشاء بطنى: جمع حَشا بالقصر: المِعَى.

لأَمَهُ بوزن ضربه: شدَّه. لم تُرَعْ: لا تُرَعْ ولا خوف عليك. اللَّمم: طيف من الجن أَو طَرَف من الجنون.

طائف: عَرض له شيطان.

أَعْته: أَنقص عقلاً[2].

الظِّئْر بهمزة ساكنة ويجوز تخفيفها: الناقة تعطف على ولد غيرها، ومنه قيل للمرأة الأَجنبية تحضن ولد غيرها: ظئر. والرجل الحاضن: ظِئر أَيضا.

الرَّبْع بفتح الراء وسكون الموحدة: محلة القوم ومنزلهم، وقد أُطلق على القوم مجازا.

الدَّوْح: جمع دوحة، وهى الشجرة العظيمة.

القَطْر بفتح القاف: المطر.

القُطْر بضم القاف: الناحية.

مَغْمِز الشيطان بفتح الميم الأُولى وإسكان الغين المعجمة وكسر الميم الثانية وآخره زاى: وهو الذى يغمزه الشيطان من كل مولود إلا عيسى بن مريم وأُمه، لقول أُمها حنَّة: «إِنى أُعيذها بك وذريتها من الشيطانِ الرَّجِيم».

قال السُّهَيْلى: ولا يدل هذا على أَفضلية عيسى على نبينا - صلى الله عليهما وسلم - لأَنه عندما نُزِع ذلك منه مُلِئَ حكمة وإِيمانا - بعد أَن غسله روح القدس بالثَّلْج والبرَد، ولهذا مزيد بيان يأْتى فى باب شق صدره الشريف.

بدَتْ: ظهرت.

أَبَى: امتنع.

الغَناء بالفتح: النَّفْع.

الفتاة: الشابة من الإِناث.

الرُّضَعاء: جمع رضيع.

---

(١) ص ت م: بفتح الباء، محرفة.

(٢) ط ت م: أنقص عقله، وما أثبته من ص.

اللِّبَان بالكسر: كالرضاع ، يقال هو أخوه بلِبَان أُمه . قال فى الصِّحَاح : قال ابن السِّكِّيت : ولا يقال بلبن أُمه إنما اللبن : الذى يُشرب .

الشِّياه : جمع شاة فى الكثرة .

الشُّوَّل بالتشديد جمع شائل من غيرها وهى فى الأَصل الناقة التى تَشُول بذَنبها لِلِّقاح ولا لبن لها أَصلا ، كراكع وركَّع وساجد وسجَّد . واستعمل الناظم ذلك فى الشياه[1] .

الخِصْب بالكسر نقيض الجَدْب .

المحْل : الجدب وهو انقطاع المطر ويَبَس الأَرض من الكلأ .

العيش : الحياة .

الغِذَاء بالغين والذال المعجمتين : ما يغْتذى به من الطعام .

الأُنَاس : لغة فى الناس .

يالها : كلمة تعجب .

مَنَّ عليه : أنعم .

تضعيف الشيء : أن يُزاد عليه مثله أَو أَكثر .

الأَجر : الثواب .

الجزاء : المجازاة .

السَّعْد : اليُمْن والبركة .

السعادة : خلاف الشقاوة .

العَصْف: ورق النبات اليابس . يستشرف : يتطلع. الفِصَال : انتهاء الرضاع بالفطام .

البُرَحاء بضم الباء وفتح الراء وفتح الحاء المهملة : شدة الأذى .

أَحاطت : أَحدقت به .

القُرَناء : الشياطين .

الوَجْد : شدة الحُبِّ .

الأَحشاء : جمع حَشًا ، وهو ما انضمت عليه الضلوع .

---

(١) ط : فى الشاة .

ثَوَى بالمكان : أقام به ، يَثْوى ثَوَاء وثُوِيًّا .

الأمين هنا : جبريل .

يُذَعْ : بالذال المعجمة : من ذاع الخَبَر : انتشر .

الأنباء : جمع نبأ وهو الخبر .

صان : كتم .

الخِتَام : ما يختم به من طين ونحوه .

الفَضُّ بالفاء والضاد المعجمة : الكسر والتفرق .

الإفضاء : إشاعة السِّرّ .

أَلِف الشيء : اعتاده . النُّسْك والعبادة بمعنى .

الخَلْوة : المكان الذى لا أحد فيه .

النُّجبَاء : جمع نَجيب وهو الكريم البيِّن النجابة .

النشاط : ضد الكسل .

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

جِمَاعُ أَبْوَابِ أَسْمَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنَاهُ

قد أفردها بالتصنيف خلائق ، ونظمها جماعة منهم الشيخ الإمام العلامة أبو عبد الله القُرْطبي المفسِّر والعلامة الزَّيْنى عبد الباسط بن الإمام العلامة[1] بدر الدين البُلْقِينى أحد السادة العدول بخط الجمالية – رحمه الله تعالى – فى قصيدة ميمية طنَّانة بديعة لم يَنْسجْ على منوالها ناسج ، وشرحها شرحا مُبْدِعا كثير الفوائد فردًا فى بابه ، فشكر الله تعالى سَعْيه وتقبَّل منه ، سماها « الاصطفاء » وشرَحها بالوفاء فى شرح الاصطفاء .

وحيث قلت : ذكر فى الشرح أو النظم . أو شَرْح النظم : فهما المرادان .

غير أنه – رحمه الله تعالى – لم يرتب الأسماء على حروف المعجم ، بل بحسب ما اتفق فعسر الكشف[2] فيها وأحسن ما عُمل فى ذلك : « الرياض الأنيقة فى شرح أسماء خَيْر الخَلِيقة » للشيخ – رحمه الله تعالى .

ولخَّصت مقاصد الكتابين هنا مع زوائد كثيرة من كتاب « جلاء الأفهام » وكتاب « زاد المعاد » – كلاهما للعلامة ابن القَيِّم . والقول البديع للحافظ أبى الخير السَّخاوى ، والمواهب لشيخنا العلامة أبى الفضل أحمد بن الخطيب القَسْطَلاَّنى ومن غير ذلك .

وانحصر لى الكلام على الأسماء والكُنَى فى أربعة أبواب :

---

(١) ص ت م : والعلامة ، وما أثبته من ط . (٢) ص ت م : فيعسر الكشف فيه .

الباب الأول

فى فوائد كالمقدمة للأبواب الآتية

قال العلماء رضى الله تعالى عنهم : كثرة الأسماء دالّة على عِظَم المسمّى ورفعته ، وذلك للعناية به وبشأنه ؛ ولذلك ترى المسمّيات فى كلام العرب أكثرها محاولةً واعتناء .

قال الإمام النووى – رحمه الله تعالى : وغالب هذه الأسماء التى ذكروها إنما هى صِفَات كالعاقب والحاشر فإطلاق الاسم عليها مجاز .

وقال فى الاصطفاء : فإن قيل : غالب هذه الأسماء صفات مثل الماحى والمختار ونحوهما قلت : كثيرا ما يطلق الاسم على الصِّفة[1] لاشتراكهما فى تعريف الذات وتمييزها عن غيرها وذلك من باب التغليب . انتهى .

وقال ابن عساكر – رحمه الله تعالى : وإذا اشتقت أسماؤه – صلى الله عليه وسلم – من صفاته كثرت جدًّا .

وقال ابن القيم – رحمه الله تعالى : أسماؤه – صلى الله عليه وسلم – إذا كانت أوصاف مدح ، فله من كل وصف اسم ، لكن ينبغى أن يفرق بين الوصف المختص به أو الغالب عليه ويشتق له منه اسم ، وبين الوصف المشترك فلا يكن له منه اسم يخصه .

وقال الشيخ : وكثير من هذه الأسماء لم يرد بلفظ الاسم ، بل أتى بصيغة المصدر والفعل وقد اعتبر ذلك القاضى وابن دِحْية وغيرهما ، واعتبره الجمهور خصوصا أهل الحديث فى أسماء الله تعالى . انتهى .

وقال ابن القيم : لما كانت الأسماء قوالب المعانى ودالة عليها اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباط وتَنَاسُب ، وأن لا تكون معها بمنزلة الأجنبى المحْض الذى لا تعلُّق له بها فإن حكمة الحكيم تأبى ذلك والواقع يشهد بخلافه ، بل للأسماء تأثير فى المسمّيات وللمسميات تأثير فى أسمائها فى الحسن والقبح والثقل واللطافة والكثافة كما قيل :

---

(١) ص : الأسماء على الصفات لاشتراكها .

وقَلّ أن أَبصرتْ عيناك ذا لَقب   إلا ومعناه إن فكَّرت فى لقَبِـهْ

إذا علمت ذلك فتأَمل[1] كيف اشتُقت للنبي – صلى الله عليه وسلم– من صفاته أسماء مطابقة لمعناها ، فضمن الله تعالى أَسماء رسوله – صلى الله عليه وسلم – ثناءه[2] وطوى أَثناء[3] ذِكْره عظيمَ شكره .

وقال غيره : الأَسماء جمع اسم وهو كلمة وضعتها العرب بإزاء مُسَمًّى متى أُطلقت فُهم منها ذلك المسمى . فعلى هذا لابد من مراعاة أَربعة أمور : الاسم والمسمَّى بفتح الميم والمسمِّى بكسرها والتسمية . فالاسم : هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها أَو لتخصيصها عن غيرها كلفظ زيد . والمسمَّى هو الذات المقصود تمييزها بالاسم كشخص زيد . والمسمِّى هو الواضع لذلك اللفظ . والتسمية[4] هى اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات . والوضع : تخصيص لفظ بمعنى إذا أُطلق أَو أُحِسَّ فُهم ذلك المعنى[5] .

تنبيـــــه :

نقل الغزالى – رحمه الله تعالى – الاتفاقَ ، وأَقرَّه الحافظ فى الفتح على أَنه لا يجوز لنا أَن نسمِّى رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – باسم لم يسمِّه به أَبوه ولا سمَّي[6] به نفسه الشريفة والله تعالى أَعلم .

---

(١) ص ت م : تأمل .

(٢) ص : سناءه ، وت م : معناه ، وما أثبته من ط .

(٣) ص : ثناء ذكره .

(٤) ص ت م : والاسمية .

(٥) ط : بالمعنى .

(٦) ص : ولم يسم به نفسه .

الباب الثانى

فى الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم : « لى خمسة أسماء » وطرقه

اعلم أنه ورد من حديث جُبَيْر بن مُطْعِم ، وجابر بن عبد الله وعوف بن مالك وأبى موسى وحذيفة بن اليمَان وابن مسعود وابن عباس ، وأبى الطفيل – رضى الله تعالى عنهم .

حديث جُبَيْر رواه عنه ابنه محمد ، ونافع[1] . ورواه عن محمد الزُّهْرى ، وعنه خَلْق منهم سُفيان بن عُيَيْنة وشعيب بن أبى حمزة ، ومَعْمَر بن راشِد ، ومالك بن أنس ، ومحمد ابن مَيْسرة – رحمهم الله تعالى –

ذكر رواية سفيان

لفظ روايته فيما رواه الإمام أَحمد ومُسْلم والتِّرْمذى فى الجامع والشمائل : « إنَّ لى خمسة أسماء : أَنا محمد ، وأَنا أَحمد ، وأَنا الماحى الذى يمحو الله بِى الكفر ، وأَنا الحاشِر الذى يُحْشر الناس على قَدَمى ، وأَنا العاقب[2] الذى ليس بعده نبى[3] » .

ولفظ رواية شُعَيْب فيما رواه الشيخان والدارمى كلفظ رواية سفيان[4] . ولفظ رواية معْمَر فيما رواه الشيخان والطبرانى[5] كلفظ رواية سفيان ، لم يذكروا خمسة وإنما وقعت هذه اللفظة فى رواية الإمام مالك ومحمد بن ميسرة .

ولفظ رواية مالك فيما رواه يحى بن بُكَيْر عنه ، عن ابن شهاب ، عن محمد بن جُبَيْر – رحمهم الله تعالى – أَن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال : « إن لى خمسة أَسماء أَنا محمد ،

---

(١) ط : وابن نافع . (٢) ص ت م : والعاقب .

(٣) مسند أحمد ٨٠/٤ ، وصحيح الترمذى ١٣٧/٢ (كتاب الأدب باب ما جا فى أسماء النبى صلى الله عليه وسلم) ، وجمع الوسائل فى شرح الشمائل ٢٢٦/٢ .

(٤) صحيح البخارى ١٦٧/٣ كتاب التفسير « تفسير سورة الصف » ، وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٢٤ ، ١٢٥ ، وسنن الدارمى ٣١٧/٢ (كتاب الرقاق باب فى أسماء النبى صلى الله عليه وسلم) .

(٥) الذى فى صحيح البخارى ٢١٧/٢ الرواية عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه ، وفى صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٢٤ الرواية عن سفيان عن الزهرى ، عن محمد بن جبير بن مطعم .

وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يُحشر الناس على عَقِبى ، وأنا العاقب[1] » .

قال ابن عبد البر – رحمه الله تعالى : وهو مرسَل فى رواية يحيى ووصله عنه معن بن عيسى وغيره . وقد ذكره الدارقطنى فى أوهام مالك .

قال الشيخ : وقد رواه البخارى من طريقه موصولا .

قلت : قال الحافظ : كذا وقع موصولا عند[2] مَعْن بن عيسى عن مالك . وقال الأكثر : عن مالك ، عن الزُّهْرى ، عن محمد بن جُبَيْر مرسَلا . ووافق مَعْنًا على وَصْله ، عن مالك جُوَيْرِيةُ بن أسماء عند الإسماعيلى ومحمدُ بن المبارَك عن عبد الله بن نافع عن أبى عوانة وأخرجه الدارقطنى فى الغرائب عن آخرين عن مالك ، وقال إن أكثر أصحابِ مالك أرسلوه .

قال الحافظ : وهو معروف الاتصال عن غير مالك وصَله يونس بن زيد وعقيل ، ومَعْمر وحديثهم عند مسلم . وشُعبة وحديثه عند المصنِّف فى التفسير ، يعنى البخارى ، وابن عُيَيْنة عند مسلم ، والترمذى ، كلهم عن الزهرى .

ولفظ رواية محمد بن مَيْسرة : « إن لى خمسة أسماء أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يُحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب يعنى الخاتم » . رواه البيهقى .

[ذكر رواية نافع بن جبير عن أبيه : « أنا محمد وأنا أحمد والحاشر والماحى والخاتم والعاقب » .

رواه الإمام أحمد والبيهقى وأبو نُعَيْم[3] .

قال الشيخ – رحمه الله تعالى : هكذا عدَّها وهى ستة وفيها دلالة على أنه لم يقعْ له لفظُ خمْس من النبى – صلى الله عليه وسلم – ، وإنما قال : لى أسماء . فذكر منها جُبَيْر ما ذكر أو ذكرها كلها وحُفظ منه بعضها

---

(١) الموطأ .　　(٢) ص ت م : من عند .

(٣) مسند أحمد ٨١/٤ والذى فى دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٢٦ رواية محمد بن جبير عن أبيه .

وقال عبد الملك بن مروان لنافع : أَتُحْصِى أسماء رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ التى كان جبير بن مطعم يعُدّها ؟ . قال : نعم هى ستة : محمد وأحمد وخاتِم وحاشر وعاقب وماحى .

فأما حاشر : فيُبْعث مع الساعة نَذيرا لكم بين يدى عذاب شديد . وأما عاقب فإنه عقب الأنبياء وأما ماحى فإن الله محَا به سيئات من اتبعه . رواه يعقوب بن سفيان بسند رجاله ثقات ، والحاكم وصححه ، والبيهقى وأبو نعيم[1] .

وقال ابن دِحْية : هو مُرْسل حسَن الإسناد .

وقال الشيخ : بل هو متصل ، فإن نافعا رواه عن أبيه وإنما لم يذكره لتقدم قول عبد الملك : التى كان جبير يعدها[2]] .

حديث جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أحمد، وأنا محمد ، وأنا الحاشر الذى يُحشر الناس علي قَدَمى ، وأنا الماحِي الذى يمحو الله بي الكفر ، وإذا كان يوم القيامة كان لواء الحمد بيدى[3] وكنت إمام المرسلين وصاحب شفاعتهم .

رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم[4] من طريقه .

طريق أخرى وفيه حديث عائشة وأنس وعلى وأُسامة بن زيد وابن عباس[5] رضى الله تعالى عنهم .

روى ابن عدىّ عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنَّ لى عند ربى عشرة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا العاقب الذى ليس بَعْدى نبيّ ، وأنا الحاشر الذى يُحشر الخلائق معى على قدمى ، وأنا رسول الرحمة ، ورسول التوبة ، ورسول الملاحم ، وأنا المقفِّى قفَّيْت النبيين، وأنا قُثَم . قال : والقُثَم : الكامل.

فى سنده : أبو البَخْتَرى وَهْب بن وهب وهو مُتَّهم .

---

(١) لم يرد فى مستدرك الحاكم ٢/٦٠٢ فى باب أسمائه صلى الله عليه وسلم .

(٢) ما بين القوسين سقط من ص ت م وأثبته من ط .

(٣) ط : معى .

(٤) لم ترد هذه الرواية في دلائل النبوة لأبي نعيم المطبوع .

(٥) ت م : وابن عساكر ، محرفة .

حديث عوف بن مالك رضى الله تعالى عنه :

قال : انطلق النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وأنا معه ، حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر اليهود والله لأَنا[1] الحاشِر وأَنا العاقِب وأَنا المقفِّى آمنتم أَو كذَّبتم » ثم انصرف وأنا معه .

رواه أَبو نُعَيْم[2] .

حديث أَبى موسى رضى الله تعالى عنه :

قال : سمّى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أَسماء فمنها ما حفظناه قال : « أَنا محمد وأَنا أَحمد والمقفِّى والحاشر ، ونبيّ التوبة ، ونبى الرَّحمة» رواه أَبو نعيم[3] والمحَامِلِى. ورواه الإِمام أَحمد ومسلم بلفظ : « منها ما حفظناه ومنها ما لم نحفظ ، قال : أَنا محمد وأَنا أَحمد والمقفِّى والحاشر . ونبيّ التوبة والملحمة » ولفظ مسلم : ونبيّ الْمَلْحَمة[4] .

حديث حُذَيْفة بن اليمَان رضى الله تعالى عنهما .

قال : لقيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى بعض طرق المدينة فقال : « أَنا محمد وأَنا أَحمد وأَنا نبى الرحمة ونبى التوبة وأَنا المقفِّى وأَنا الحاشر ونبىّ الملاحم » .

رواه الإِمام أَحمد والترمذى فى الشمائل ورجاله ثقات[5] .

حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول فى سِكَّة من سِكَكِ المدينة : « أَنا محمد وأَنا أَحمد[6] والحاشر والمقفِّى ونبى الرحمة ».

رواه ابن حِبّان[7] .

حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما :

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَنا أَحمد ومحمد والحاشر والمقفِّى والخاتم .

رواه الطَّبرَانى من طريق الضحاك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولم يَلْقه .

---

(١) ص ت م : أنا الحاشر .

(٢) لم يرد فى دلائل النبوة لأبى نعيم المطبوع بحيدر آباد وهو فى مسند أحمد ٢٥/٦ .

(٣) لم يرد فى دلائل النبوة لأبى نعيم المطبوع بحيدر آباد .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٢٦ ، ومسند أحمد ٤٠٤/٤ .

(٥) مسند أحمد ٤٠٥/٥ ، وشرح شمائل الترمذى ٢٢٨/٢ .

(٦) ط : وأحمد .

(٧) صحيح ابن حبان .

حديث أَبي الطُّفَيْل رضى الله تعالى عنه :

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لى عشرة أسماء قال أبو الطُّفَيل : حفظت ثمانية وأُنسيت اثنتين : أنا محمد وأَحمد والفاتح والخاتم وأَبو القاسم والحاشر والعاقب والماحِى الذى يمحو الله بِى الكفر قال سيف بن وهب : فحدثت الحديث أبا جعفر فقال : يا سيف أَلا أخبرك بالاسمين ؟ قلت : بلى . قال : طه ويس .

رواه ابن مَرْدويه وأَبو نعيم والدَّيْلَمى[1] .

قال ابن دِحْية رحمه الله تعالى : هذا سندٌ لا يساوِى شيئا يدور على وضَّاع وهو أَبو يحيى وضعيف وهو سيف . وأَقرَّه الشيخ على ذلك . وليس كذلك فإن أَبا يحيى التميمى اثنان أَحدهما إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أَبى بكر الصديق ، فهذا هو الوضاع المجمَع على تركه ، وليس هو الذى فى سند هذا الحديث. والثانى أَبو يحيى إسماعيل بن إبراهيم التَّيْمى[2] . كذا سمِّى هو وأَبوه وفى رواية ابن عساكر وهو كما قال الحافظ فى التقريب ضعيف . والله تعالى أَعلم .

* * *

فصـــل

قال الإمام المحدث أَبو عبد الله[3] أَحمد بن محمد العَزفى - وهو بفتح العين المهملة والزاى وقبل ياء النسب فاء وهو من تلامذة القاضى ، وأَبو العباس القرطبى شارح مسلم : إنه صلى الله عليه وسلم قال : لى خمسة أَسماء قبل أَن يُطْلعه الله تعالى على بقية أَسمائه . ولابن عساكر فى ذلك احتمالان أَحدهما أَن يكون ذلك العدد فيه لَبْس من لفظ النبى صلى الله عليه وسلم وفيه كما قال ابن دِحْية والحافظ نظَر . زاد الحافظ : لتصريحه فى الحديث بقوله : « إن لى خمسة أَسماء » .

الثانى: أَن يكون ذلك من لفظ النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يقتضى ذلك الحصْر . وخصَّ هذه الخمسة بالذكر إمّا لعلم السامع بما سواها ، فكأَنه قال لى خمسة أَسماء فاضلة معظَّمة ، أَو لشُهْرتها كأَنّه قال لى: خمسة أَسماء مشهورة أَو لغير ذلك مما يحتمله اللفظ من

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٢٦ .

(٢) ص ت م : التيمي .

(٣) ط : أبو العباس .

المعانى ، وهذا الاحتمال استظهره ابن دحية والحافظ وزاد : أو : « إن لى خمسة أسماء أختصّ بها لم يسمّ بها أحد قبلى » .

وقال القاضى : إنما خُصت[1] هذه الأسماء[2] بالذِّكر لأنها موجودة فى الكتب المتقدمة وعند أولى العلم من الأمم السابقة .

وتعقِّب بأن أسماءه الموجودة فى الكتب المتقدمة أكثر من ذلك .

وقال الشيخ : إن قوله لى خمسة أسماء لا ينافى أن له أكثر من ذلك لأن من قواعد الأصول أن العدد لا يخصِّص ، وكم ورد فى الأحاديث ذكر أعداد لم يُقْصد الحصر منها ، كحديث « سبعة يُظِلُّهم الله فى ظل عَرْشه » وقد وردت أحاديث بزيادة عليها ويحضرنى الآن منها سبعون . وغير ذلك مما هو مشهور[3] . قلت يأتى بيانها فى الخصائِص مع زيادة إن شاء الله تعالى .

---

(١) ص ت م : إنما اختصت .

(٢) ت م : هذه الخمسة .

(٣) ط : المشهور .

الباب الثالث

فى ذكر ما وقفتُ عليه من أسمائه الشريفة صلى الله عليه وسلم وشَرْحها وما يتعلق بها من الفوائد

قال القاضى أبو بكر بن العَربىّ رحمه الله تعالى : قال بعض الصوفية : لله تعالى ألف اسم ، وللنبى صلى الله عليه وسلم ألف اسم .

قلت : والذى وقفتُ عليه من ذلك خمسمائة اسم ، مع أن فى كثير منها نظراً وها أنا ذاكر ما رأيته مُعْزيًا كلَّ اسم لم يرد فى القرآن ولا فى السنة برموز فللقاضى « يا » وللعَزَفى « ع » ولابن » دِحْية « د » ولأبى الفتح ابن سيِّد الناس « ح » ولشيخنا الأسيوطى « ط » وللسَّخاوى « خا » وللشيخ عبد الباسط البُلْقينى « عا » ومَنْ عداهم صرَّحت به .

* * *

« مُحَمَّد » قال الله سبحانه وتعالى : « محمدٌ رسولُ الله »(١) قال ابن القيِّم رحمه الله تعالى : هو علَم وصفة اجتمع فيه الأمران فى حقه صلى الله عليه وسلم وإن كان علَما مَحْضا فى حق كثير ممن يسمَّى به غيره صلى الله عليه وسلم . وهذا شأن أسماء الرب تبارك وتعالى وأسماء نبيه صلى الله عليه وسلم ، هى أعلامٌ دالة على مَعان هى بها أوصاف مدح فلا تُضَادُّ فيها العلميةُ الوصفيةَ بخلاف غيرها من أسماء المخلوقين . فهو اللهُ الخالقُ البارئُ المصوِّر القهَّار . فهذه أسماء له تعالى دالَّة على معانٍ له هى صفات .

وكذلك أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وإلا لو كانت أعلامًا مَحْضة لا معنى لها لم تدلَّ على مدح .

وهو فى الأصل اسم مفعول منقول من صفة الحَمْد وهو بمعنى محمود ، وهو يتضمن الثناء على المحمود ومحبته وإجلاله وتعظيمه ، وهذا هو حقيقة الحمْد وبُنى(٢) على زنة

---

(١) سورة الفتح ٢٩ .

(٢) ص ت م : بنى .

مُفَعَّل بتشديد العين مثل مُعَظَّم ومُبَجَّل لأن هذا البناء موضوعٌ للتكثير فإن اشتق منه اسم فاعل فمعناه من كَثُر صدور الفعل منه مرةً بعد مرة كمعلِّم ومفهِّم ومَفرِّح وإن اشْتُقَّ منه اسم مفعول فمعناه من تكرَّر وقوع الفعل عليه مرة بعد أخرى، أو الذى يستحق له الحمد إما استحقاقًا[1] أو وقوعا . فمحمد هو الذى كَثُر حمد الحامدين له . مرةً بعد مرة ، كالممدوح كما قال الأعشى :

إليك أبيتَ اللَّعْن كان وَجِيفُها   إلى الماجدِ القرْم الجَـوادِ المحمَّدِ[2]

أى الذى حُمد مرةً بعد مرة أو الذى تكاملت فيه الخصال المحمودة . انتهى .

وهو[3] أشهر أسمائه صلى الله عليه وسلم وأجلُّها ، ولذلك اختص بأمور منها : أنه لا يصح إسلام الكافر حتى يتلفظ به بأن يقول : محمد رسول الله . فلا يكفى أحمد . وجوَّزه الإمام الحليمى بشرط أن يضم إليه : أبا القاسم .

ومنها : أنه يتعين الإتيان به[4] فى التشهد لا يكفى غيره من أسمائه ولا أحمد . كما فى شرح المهذَّب والتحقيق . وكذلك[5] الخطبة .

ومنها : أنه على أربعة أحرف ليوافق اسم الله تعالى ، فإن الاسم الكريم على أربعة أحرف .

ومنها : أن الله تعالى قرَنه مع اسمه كما تقدم بيان ذلك فى كتابة اسمه على العرش . ويأتى له[6] تتمة .

ومنها : أن الله تعالى اشتقه من اسمه المحمود ، كما قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

وضَمَّ الإلهُ اسم النبيِّ إلى اسمه   إذا قال فى الخَمْس المؤذِّنُ أشْهَدُ
وشَقَّ له مـن اسمه لِيُجلَّـه   فذو العرش محمودٌ وهـذا محمَّدُ

---

(١) ص : يستحق له الحمد استحقاقاً .

(٢) البيت محرف فى ص ت م: . . . كان وجنبيها إلى القوم ، وهو فى ديوان الأعشى: ميمون بن قيس بن جندل أبى بصير وروايته :

إليك أبيت اللعن كان كلاهما   إلى الماجد الفرع الجواد المحمد

الصبح المنير فى شعر أبى بصير ص ١٣٢ (ط فينا سنة ١٩٢٧) .

(٣) ص ت م : وهذا ، وما أثبته من ط .   (٤) ت م : بها .

(٥) ط : وكذا .   (٦) ط : وتأتى إليه تتمة .

وروى البخارى فى تاريخه الصغير ، عن على بن زيد رحمه الله تعالى قال : كان أبو طالب يقول :

فشقَّ لـــه من اسمـــه لِيُجلَّه فذو العرش محمودٌ وهذا محمدُ

ومنها: أنه يخرج منه بالضرب مع الكَسْر والبَسْط عددُ المرسَلين ، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وذلك أن فيه الميم الأولى والثانية المشددة بحرفين والميم إذا كُسرت فهى م ى م وكل ميم بتكسيرها فى الحساب تسعون؛ إذ الميم بأَربعين والياء بعشرة فالثلاثة مائتان وسبعون والدال خمسة وثلاثون لأن الدال بأَربعة والأَلف بواحد واللام بثلاثين والحاء بثمانية ولا تكسير فيها .

ومنها : أن آدم يُكْنَى به فى الجنة دون سائر بنيه كما سيأتى .

ومنها : قال ابن العِمَاد رحمه الله تعالى فى كتاب « كَشْف الأَسرار »: سُخِّرت الشياطين لسليمان بذِكْره صلى الله عليه وسلم .

ومنها : جَرَت سفينةُ نوح باسمه صلى الله عليه وسلم . قال : وقال قوم : إن معنى الميم مَحْق الكفر بالإسلام . أو محى سيئات من اتبعه . وقيل الميم : مَنُّ الله على المؤمنين . بمحمد صلى الله عليه وسلم . دل عليه قوله تعالى : « لقد مَنَّ اللهُ عَلَى المؤمنين[1] » . وقيل : الميم : مُلْك أمته به صلى الله عليه وسلم . وقيل : المقام المحمود . وأما الحَاء فقيل : حُكْمه بَيْن الخَلْق بحكم الله تعالى . وقيل : إحياء الله تعالى أمته به . وأما الميم الثانية فمغفرة الله تعالى لأمته. وأما الدال : فهو الداعى إلى الله تعالى، قال الله تعالى: « وداعيًا إلى الله بإذْنِه »[2]

وأما وقوع الأَحرف على هذا الشكل الخاص فقيل : لأن الله تعالى خلَق الخَلْق على صورة محمد صلى الله عليه وسلم ، فالميم بصورة رأس الإنسان والحاء بمنزلة اليدين ، وباطن الحاء كالبطن وظاهرها كالظهر ومجمع الإليتين والمخرج كالميم ، وطرف الدال كالرجلين . وفى ذلك أنشدوا رحمهم الله تعالى :

له اسم صَـــوَّر الرحمـن ربِّى خلائقَـــه عليـــه كما تراه
له رجْل وفوق الرِّجْل ظَهْـــر وتحت الرأسِ قـد خُلقت يدَاه

---

(١) سورة آل عمران ١٦٤ . (٢) سورة الأحزاب ٤٦ .

وفيه تكلُّف .

قال القاضى رحمه الله تعالى : وفى تسميته صلى الله عليه وسلم محمد وأحمد من بدائع الآيات وعجائب الخصائص : أن الله تعالى حمَى أن يسمَّى بمحمد وأَحمد غيره صلى الله عليه وسلم قبلَ زمانه .

أما أحمد الذى فى الكتب وبشَّرت به الأَنبياء فمنعَ الله بحكمته أن يسمَّى به أَحدٌ غيره ولا يُدْعى به مدعوٌّ قبله ، حتى لايدخل لَبْس على ضعيف القَلْب[1] أو شكٌ . وكذلك محمد أَيضا لم يسمَّ به أَحد من العرب ولا من غيرهم ، إلى أن شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم أن نبيا يُبْعَث اسمه محمد[2] . كما روى الطبرانى والبيهقى عن محمد بن عَدِىّ ابن ربيعة أنه سأَل أباه : لِمَ سمَّاه محمدا فى الجاهلية ؟ فقال : خرجتُ مع جماعة من بنى تميم فنزلنا على غَدِير ماء ، فأَشرفَ علينا الدَّيْرانىّ فقال لنا : إنه يُبعث منكم وشيكًا نبىٌّ فسَارِعُوا إليه[3] . فقلنا له : ما اسمه ؟ قال : محمد . فلما انصرفنا ولد لكلٍّ منا ولد فسماه محمدا لذلك[4] .

الغَدِير : النهر : والجمع غُدْران . وَشِيكًا : سريعا وقريبا .

والذين سُمُّوا بهذا الاسم فى الجاهلية دون العِشْرين . وحمىَ الله تعالى هؤلاء أن يدَّعى أَحد منهم النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه شىء من سِمَاتها ، حتى تحققت لنبينا صلى الله عليه وسلم .

محمد بن أُحَيْحة ، بضم الهمزة وفتح الحاءين المهملتين بينهما تحتية ساكنة ، ابن الجُلَاح بضم الجيم وتخفيف اللام وآخره مهملة ، ابن الحَرِيش بفتح الحاء المهملة وكسر الراء ثم مثناة تحتية ، ثم شين معجمة .وقال ابن هشام رحمه الله تعالى : إنها مهملة .

ونقل الدارقُطْنىّ عن بُكَيْر بن أَبى بكر رحمه الله تعالى أن كل ما فى الأَنصار فهو حَرِيس ، أى بسين مهملة ، إلا هذا فإنه بالمعجمة .

---

(١) كذا فى ط موافقاً للشفا ، وفى ص ت م : على ضعيف العقل .

(٢) هذا نص كلام القاضى عياض فى الشفا ص ١٩٠ (ط استامبول) .

(٣) ص ت م : فتسارعوا .

(٤) الوفا ٤٦/١ .

ابن جَحْجَبا . بجيم مفتوحة فحاء ساكنة مهملة فجيم أخرى مفتوحة ، فموحدة فألف مقصورة .

قال ابن دريد عفا الله تعالى عنه : والجَحْجَبة : المجئ والذهاب والتردّد فى المشى .

ابن كلفة ووقع فى نسخة من العيون ابن كلدة . والذى ذكره السهيلى والأمير : كلفة بالفاء : ابن عوف بن عمرو ، بن عوف ، بن مالك بن الأوس ، الكِنَانى ثم اللَّيْثى .

قال عبدان[1] بن عثمان الحافظ رحمه الله تعالى : بلغنى أنه أول من سمِّى بذلك[2] .

محمد بن أسامة بن مالك بن حبيب بن العَنْبَر .

محمد بن البَرّ بتشديد الراء من غير ألف بعدها ، كما نقل الحافظ عن ضبط البلَاذُرِىّ ويقال : البرّ بن طريف ابن عُتْوَارة بضم المهملة وكسرها ثم مثناة فوقية ساكنة ثم واو مفتوحة وبعد الألف راء ثم هاء: ابن عامر بن ليث ، بن بكر ، بن عبد مَنَاة ، بن كِنانة البَكْرى . العُتْوارِى .

محمد بن الحارث بن حُدَيْج بمهملتين فمثناة تحتية فجيم مضمومة ، مصغر ، ابن حُوَيْص[3] .

محمد ابن حِرْماز بكسر الحاء المهملة وسكون الراء وآخره زاى . واسم الحِرْماز : الحارث بن مالك بن عمرو بن تميم .

محمد بن حمران بن أبى حمران . واسمه ربيعة بن مالك الجعْفِىّ المعروف بالشُّوَيْعر[4]

محمد بن خُزَاعِىّ بضم الخاء وفتح الزاى المعجمتين وبعد الألف عين مهملة فتحتية فياء نسب ، ابن عَلْقمة بن حزَايَة السُّلَمى من بنى ذَكْوان .

محمد بن خَوْلىّ بالخاء المعجمة وسكون الواو الهَمْدانى .

محمد بن سُفْيان بن مُجَاشع جَدّ جدِّ الفرَزْدق الشاعر المشهور ، ووقع فى نسخة من العيون : جدّ الفرزدق، من غير تكرير جَدّ ، والصحيح ما فى غيرها ونسخة الرَّوْض : جَدّ جَدّ بالتكرير .

---

(١) ت م : عبد الله .
(٢) ط : به .
(٣) ص ت م : ابن حريض ، وما أثبته من ط .
(٤) ص ت م : المعروف بالنويم ، وما أثبته من ط .

محمد بن عدِيّ بن ربيعة بن سَوَاد بن جُشَم بن سعد بن زيد مَنَاة بن تَمِيم السَّعْدِى[1]

محمد بن عُقْبة بن أُحَيْحة بن الجُلَاح الأَوْسِى ذكره البَلاذُرىّ . قال الحافظ : لا أدرى أهو الأَوَّل نُسب مرةً إلى جده أَمْ هما اثنان .

محمد بن عمر بن مُغْفِل بضم أوله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام . هو والد هُبَيْب مُصَغَّر .

محمد بن اليُحْمِد بضم المثناة التحتية وسكون المهملة وكسر الميم وفتحها قال فى القاموس كيُمْنَع وكيُعْلِم آتِى[2] أَعْلَمَ ، الأَزْدِى . ونُسَّابُ اليمن تزعم أنه أول من سمِّى بذلك .

محمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة .

محمد الأُسَدِىّ بضم الهمزة وفتح السين المهملة .وتشديد المثناة التحتية المكسورة .

محمد الفُقَيْمى بضم الفاء وفتح القاف وسكون المثناة التحتية . ذكرهما ابن سعد ولم يَنْسِبهما[3] بأكثر من ذلك ،

واقتصر السُّهيلى على ثلاثة والقاضى على سبعة منهم محمد بن مَسْلمة بفتح أوله وسكون ثانيه ، وليس منه كما سيأتى .

وعدَّ ابنُ دِحْية فيهم محمدَ بن عتوارة وهو محمد بن البَرّ نُسب لجدّه الأَعلى .

والذى أدرك الإِسلامَ منهم وأسلَم : محمدُ بن ربيعة . ذكره ابن سعد والبغَوى والبَلاذرى[4] وابن السَّكن وابن شاهين وغيرهم فى الصحابة .

ولا وجه لتوقّف ابن الأثير فى ذلك لما تقدم . ومحمد بن مَسْلمة هو محمد[5] بن الحارث ذكره الحافظ فى القِسْم الثالث من الإِصابة[6] .

وقد نظَم أسماءهم العلامة الشيخ عبد الباسط البُلْقينى رحمه الله تعالى فى الشرح فقال :

إنَّ الذين سُموا باسم محمــد	من قَبْلِ خَيْرِ الخَلْق ضِعْفُ ثمان
ابنُ لبَرّ مُجَــاشعُ بن ربيعة	ثم ابن مَسْلم محمدى حَرْمــان
لَيْثِى هو السُّلَمى وابن أُسامــة	سَعْدِىّ وابن سَوادة هَمْــدان

(١) : التميمى السعدى .

(٢) آتى أعلم : مضارع أعلم .

(٣) كذا فى ط ، وفى ص ت م : ولم يسمهما .

(٤) ط : والماوردى .

(٥) ط : ومحمد بن الحارث .

(٦) الإصابة ٦/١٦٦ (ط الشرفية) .

وابن الجُلَاح مع الأُسَيْدِى يافتى ثم الفُقَيْمى هكـــذا الحَمْرانِ

وقوله : « ثم ابن مَسْلم » بفتح الميم أي ابن مَسْلمة رخَّمه للضرورة . وتبع فى ذكره القاضى ، وتعقَّبه فى الفتح والزهر بأنه ولِد بعد مَوْلد النبى صلى الله عليه وسلم بأكثر من خمس عشرة سنة . وأجاب بعضهم بأن مُرَاد القاضى : من ولِد فى الجاهلية وسمِّى بمحمد ، وابنُ مَسْلمة منهم .

وفات[1] الشيخَ عبد الباسط ذِكْر محمد بن الحارث بن حُدَيْج السابق .

وقوله : حزمان بزاى معجمة أراد محمد بن حزمان كما ذكره فى الشرح وكأنه تبع نسخة سقيمة من حاشية الشفاء للحلبى فإنه نقَل ذلك عنها عن الإشارة لمُغلْطاى . والذى رأيته فى عدة نُسَخ من الإشارة : محمد بن حِرْماز بحاء مهملة فراء وآخره زاى . وكذا رأيته بخط مُغلْطاى فى الزَّهْر والحافظ ابن حجَر والعَلاَّمة العَيْنى فى شرحيهما على البخارى .

* * *

والسبب فى تسميته صلى الله عليه وسلم [محمدًا] ما رواه البيهقى وأبو عمر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن عبد المطلب قيل له : لم سمَّيْته محمدًا ورغبت عن أسماء آبائه ؟ قال : أردتُ أن يَحْمده الله فى السماء ويَحْمده الناسُ فى الأرض .

وتقدم ذكر المنام الذى رآه جدُّه فى باب فَرحه به صلى الله عليه وسلم ومن بركات هذا الاسم ما رواه أبو نُعَيْم فى الحلْية عن وهب بن منبِّه رحمه الله تعالى قال : كان [فى بنى إسرائيل][2] رجلٌ عصىَ الله تعالى مائة[3] سنة ثم مات فأخذوه فألقوه على مزبلة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام : أن اخرُجْ[4] فصلِّ عليه قال : يارب إن بنى إسرائيل يشهدون أنه عصاك مائةِ سنة فأوحى الله تعالى إليه : هكذا كان إلا أنه كان كلما نشَر التوراة ونظر إلى اسم محمد صلى الله عليه وسلم قبَّله ووضعه على عينيه فشكرْتُ له ذلك وغفرت له وزوّجتُه سبعين حوراء[5] .

---

(١) ص ت م : وقال . وما أثبته من ط .
(٢) من الحلية .
(٣) الحلية : مائتى سنة .
(٤) كذا فى ط موافقاً للحلية ، وفى ص ت م : أن أخرجه .
(٥) حلية الأولياء لأبى نعيم ٤٢/٤ .

وورد أن آدم صلى الله عليه وسلم تكنّى فى الجنة بهذا الاسم . روى[1] ابنعَدِىّ وأبو الشيخ وابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما ، وابن عَدِىّ والبيهقى وابن عساكر عن علىّ رضى الله تعالى عنه مرفوعا ، وابن عساكر عن كعب رحمه الله تعالى وأبو الشيخ عن بكر بن عبد الله المُزَنى ، وابن عساكر عن غالب بن عبد الله العُقَيْلى رحمهما الله تعالى أنه ليس أحدٌ من أهل الجنة إلا يُدْعَى باسمه إلا آدم صلى الله عليه وسلم فإنه يُدْعى أبا محمد . تعظيما وتوقيراً للنبى صلى الله عليه وسلم . زاده الله تعالى شرفا وفضلا وجزاه عن المسلمين خيرا .

***

ذكر ما وجد من هذا الاسم مكتوبا فى الأزل منقوشا فى خواتم (٢) الأنبياء والحجارة والنبات والحيوان .

روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فيما رواه أبو يَعْلى والطَّبَرانى ، وعن ابن عمر فيما رواه البَّزار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لمّا عُرِج بى إلى السماء ما مررتُ بسماء إلا وجدت اسمى فيها مكتوبا : لا إله إلا الله محمد رسول الله »

له طُرق أسانيدها واهية .

وقال الشيخ رحمه الله تعالى : إنه حديث حسَن[3] لكثرة طرقه ، وقد بينتُ ما فى ذلك فى « إتحاف الَّلبيب ببيان ما وضع فى مِعْراج الحبيب » .

ويروى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مكتوبٌ على باب الجنة : لا إله إلا الله محمدُ رسول الله » .

ويروى عن عُبادة بن الصامت فيما رواه الطبرانى ، وعن جابر رضى الله تعالى عنهما فيما رواه العقيلى ، وابن عدى رفعاه أن فصّ خاتم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام كان سماويًّا أُلقِى إليه فوضعه فى إصبعه وكان نقشه أنا الله لا إله إلا أنا ، محمد عبدى ورسولى .

---

(١) ط : فروى .

(٢) ط : على خاتم الأنبياء.

(٣) ص ت م : من حديثه حسن .

ولفظ جابر : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

ويروى عن أبي الزبير عن جابر[1] فيما رواه ابن عساكر قال : بين كتفي آدم مكتوب : محمد رسول الله خاتم النبيين .

ويروى عن أبي ذرّ مرفوعا فيما رواه البزّار ، وعن عمر فيما رواه البيهقى ، وعن ابن عباس فيما رواه الخرائطى فى كتاب « قَمْع الحِرْص » وعن على رضى الله تعالى عنهم فيما رواه البيهقى أن الكنز الذى ذكره الله تعالى فى كتابه لوح من ذهب مُصمت مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبتُ لمن أيْقَن بالقدَر ثم يَنْصَب ، عجبت لمن ذكَر النار ثم يضحك ، عجبت لمن ذكر الموت ثم غفل . لا إله إلا الله محمد رسول الله .

أسانيد هذه الأحاديث واهية .

وذكر ابن ظَفَر رحمه الله تعالى أنه وجد بالخط العِبْرانى على حجَر : باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربيٍّ مبين . لا إله إلا الله محمد رسول الله . وكتبه موسى بن عمران .

ونقل ابن طغربل رحمه الله تعالى فى كتابه « النطق المفهوم » عن بعضهم أنه رأى فى جزيرة شجرةً عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب فيها بالحمرة والبياض فى الخضرة كتابةً بيِّنة واضحة خِلْقة ابتدعها الله تعالى بقدرته فى الورقة ثلاثة أسطر : الأول : لا إله إلا الله . والثانى : محمد رسول الله . والثالث : إنّ الدين عند الله الإسلام .

ونقل ابن مرزوق رحمه الله تعالى فى شرح البُرْدة عن عبد الله بن مرجان[2] رحمه الله تعالى قال : عصفتْ بنا ريحٌ ونحن فى لُجج بحر الهند فأرسينا فى جزيرة فوجدنا[3] فيها وردًا أحمر ذكيّ الرائحة وفيه مكتوب بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله . وورد أبيض مكتوب عليه بالأصفر : براءةٌ من الرحمن الرحيم إلى جنات النعيم لا إله إلا الله محمد رسول الله .

ونقل أيضًا عن بعضهم أنه أُتى بسمكة فرأى فى أحد لحْمتَى أذنيهَا لا إله إلا الله . وفى الأخرى محمد رسول الله .

---

(١) ص ت م : عن الزبير عن جابر ، وما أثبته من ط .

(٢) ط : ابن صوحان .

(٣) ط : فرأينا .

وعن جماعة أنهم وجدوا بطيخة صفراء فيها خطوط شتى بالأبيض خِلْقة ، ومن جملة الخطوط كتب بالعربى فى أحد جنبيها : الله . وفى الآخر[1] : عَزَّ أحمد[2] بخط بيِّن لا يشكُّ فيه عالِمٌ بالخط .

وأنه وجد فى سنة سبع أو تسع وثمانمائة حبة عنب فيها بخط بارع بلون أسود: محمد[3].

وقد تقدم فى باب كتابة اسمه صلى الله عليه وسلم على العرش وسائر مافى الملكوت ما فيه مَقْنع .

ويرحم الله تعالى القائل حيث قال :

بدَا مَجْدُه من قَبْل نَشْأَةِ آدم   وأسماؤه فى العرش من قبل تُكْتَبُ

* * *

تَنْبِيهَاتٌ

الأول لم يصح فى فضائل التسمية به حديث ، بل قال الحافظ أبو العباس تقى الدين ابن تيمة الحرّانى رحمه الله تعالى : كلُّ ما ورد فيه فهو موضوع ، ولابن بُكَيْر جُزْء معروف فى ذلك كل أحاديثه تالفة .

قال الحافظ : وأصحّها ما رواه ابن بُكَيْر عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه مرفوعًا : « من ولد له مولود فسمّاه محمدا حُبًا لى وتبرُّكًا باسمى كان هو ومولوده فى الجنة » .

قال : وإسناده لا بأس به وحسَّنه فى موضع آخر .

قلت : وليس كذلك فإن فى سَنده أبا الحسن حامد بن حمّاد بن المبارك بن عبد الله العسكرى ، شيخ ابن بُكَيْر ، قال الذهبى فى الميزان والحافظ فى اللسان : خَبرُه هذا موضوع وهو آفته[4] انتهى وشيخه هذا[5] إسحاق بن سَيَّار[6] مجهول .

والوارد فى ذلك حديث عبد الله بن أبى رافع عن أبيه رضى الله تعالى عنه قال : سمعت

---

(١) ص ت م : وفى الأخرى .   (٢) ص : عند أحمد .

(٣) لا يمنع العقل وقوع مثل هذه العجائب ، وكل ما يطلب فى التصديق بها صحة النقل وثقة الخبر ، وكل ما رواه المؤلف من هذه العجائب أخبار آحاد تحتاج إلى التوثيق ولاتستلزم التصديق، ولم يرد شىء منها عند أهل الحديث الذين يعول عليهم.

(٤) ميزان الاعتدال ١/٤٤٧ .   (٥) غير ص : وشيخه إسحاق .

(٦) كذا فى ط موافقاً لميزان الاعتدال وهو إسحاق بن سياز النصيبى ، وفى ص ت م : إسحاق يسار ، محرفة .

رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سميتموه محمدًا فلا تضربوه ولا تَحْرموه »
رواه البزار من طريق أبي غسَّان[1] بن عبد الله وفيه ضعف . وبقية رجاله ثقات

وحديث أنس مرفوعًا : « تُسَمُّونهم محمدًا ثم تسبُّونهم[2] »

رواه أبو داود والطَّيَالِسيّ من طريق الحكَم بن عطية . قال البزَّار : لا بأْس به وقال الحافظ في التقريب : صَدُوق له أوهام .

وحديث جابر بن عبد الله مرفوعًا : « ما أُطعِم الطعامُ على مائدة ولا جُلس[3] عليها وفيها اسمى إلا قُدِّسوا كلَّ يوم مرتين » .

رواه ابن عَدِى من طريق أحمد بن كنانة الشامى وقال : مُنْكَر الحديث . وقال الذهبي فى الميزان وأقره الحافظ فى اللسان إنه حديث[4] مكذوب[5] .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وقد وجدت للحديث طريقا آخر[6] ليس فيه أحمد بن كنانة[7] قال أبو سعيد النقاش فى معجم شيوخه : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الخالق البَنْدَنِيجى ، حدثنا أبو صالح شعيب بن الخَصِيب ، حدثنا العباس بن زيد[8] البحرانى ، حدثنا سفيان بن عُيَيْنة ، عن محمد بن المنْكَدِر ، عن جابر به . قال الشيخ رحمه الله تعالى : رجاله ثقات[9] .

وحديث ابن عباس : من ولِد له ثلاثة أولاد فلم يسمِّ أحدَهم محمدًا فقد جَهل»[10]

رواه ابن عدى والطبرانى من طريق ليث بن سعيد ، حدثنا موسى بن أعيَن عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس به . ومُصْعَب ضعيف وليث كذلك . ورواه الحارث ابن أبي أسامة من طريق إسماعيل ابن أبي إسماعيل . قال الدارقطني : وهو ضعيف لا يُحتج به .

---

(1) كذا بالأصل ، والذى فى اللآلئ المصنوعة ١/١٠٣ : قال البزار : حدثنا غسان بن عبيد الله . . . إلخ . ثم قال : قال الحافظ أبو الحسن الهيثمى فى زوائده : غسان فيه ضعف .

(2) ذكره فى اللآلئ المصنوعة ١/١٠٣ ، ثم قال : أخرجه عبد بن حميد وأبو يعلى والبزار وقال : لا نعلم رواه عن ثابت إلا الحكم وهو بصرى لا بأس به .

(3) ص ت م : وأجلس فيها ، محرفة والتصويب من ط .

(4) ط : هذا حديث مكذوب .

(5) ميزان الإعتدال ١/١٢٩ .

(6) ط : أخرى .

(7) اللآلئ المصنوعة : ليس فيه أحمد الشامى ولا عثمان الطرائفى .

(8) اللآلئ : ابن يزيد .

(9) اللآلئ المصنوعة ١/١٠١ .

(10) ذكره فى الالئ المصنوعة ١/١٠١ ثم قال نقلا عن ابن الجوزى : تفرد به موسى عن ليث وليث تركه أحمد وغيره . قال ابن حبان : اختلط فى آخر عمره فكان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل ، وانظر تعقيب السيوطى على ذلك .

وهذان الحديثان أَمْثَل ما روى فى هذا الباب وإسناداهما واهيان .

وفى الإصابة ما نصه جُشَيْب بعد الجيم شين معجمة ثم تحتانية موحدة . روى[1] ابن أبى عاصم من طريق ابن أبى فُدَيْك ، عن جَهْم بن عثمان عن ابن جُشَيْب ، عن أبيه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من تسمَّى باسمى يرجو بركتى غدَتْ عليه بركتى وراحت إلى يوم القيامة » . قال ابن مَنْده رحمه الله تعالى : إن كان جُشَيب هذا الذى يروى عن سعيد بن سُوَيْد فهو تابعىّ قديم من أصحاب أبى الدَّرْداء رضى الله تعالى عنه[2]

الثانى : قال الحافظ أبو الخير السَّخَاوى فى فتاويه : لم يردْ فى المرفوع : « من أراد أن يكون حَمْل زوجته ذَكَراً فليضع يدَه على بطنها وليقل : إنْ كان هذا الحمل ذَكراً فقد سمَّيته محمداً فإنه يكون ذكرا » . إنما روى أبو شعيب عبد الله بن حسن الحرّانى فى جُزْأَيْه عن عطاء قال : ماسُمِّى[3] مولودٌ فى بطن أمه محمداً إلا كان ذَكرا » .قلت : وقد رفعه بعضهم كما رواه ابن الجوزى فى الموضوعات عن عائشة بنت سعد عن أبيها . وفى سنده [عثمان[4]] ابن عبد الرحمن كذبه ابنُ مَعِين . وقال ابن حِبّان: يروى عن الثِّقات الموضوعات .

وروى ابن النجار فى تاريخ بغداد عن محمد بن سلام بن مسكين البغدادى قال : حدثنا وَهْب بن وهب ، حدثنا جعفر بن محمد بن على ، حدثنا على بن الحسين ، حدثنا الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما قال: من كان له حمْل فنوى أن يسمِّيه محمداً جعَله[5] الله ذكراً وإن كان أنثى . قال وهب : فنويت سبعةً كلهم سميته محمداً . انتهى .

قلت : وهب هذا أبو البَخْتَرىّ مُتَّهم . وقد أورد أثره هذا الشيخُ فى الموضوعات وقال عُقْبة : وهب كذاب وضَّاع[6] .

***

(١) ص ت م : قال .
(٢) الإصابة ١/٢٤٥ .
(٣) ص ت م : ما تسمى ، وما أثبته من ط .
(٤) بياض فى الأصل وأثبته من اللآلئ المصنوعة ١/١٠٣ .
(٥) ط : حوله .
(٦) اللآلئ المصنوعة ١/١٠٤ .

الثالث : روى البخارى فى الصحيح والتاريخ ، والنسائى والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا تَعْجبون » ولفظ البخارى فى التاريخ: « يا عِبَاد الله انظروا . وفى لفظ له : ألم ترَوْا كيف يَصْرف الله عنّى شَتْم قريش ولَعْنهم ، يشتمون مُذَمَّما ويلعنون مذمَّما . وأنا محمد[1] »

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى أماليه : كيف يستقيم ذلك وهم ما كانوا يسبُّون الاسم بل المسمَّى ، والمسمَّى واحد؟ والجواب المراد : كفى الله اسمى[2] الذى هو محمد يستهزأ بالسب .

وقال الحافظ رحمه الله تعالى : كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم فى النبى صلى الله عليه وسلم لا يسمُّونه باسمه الدال على المدح فيَعْدلون إلى ضده فيقولون : مُذَمَّم وإذا ذكروه بسُوء قالوا : فعل الله بمذمَّم ومذمم. ليس هو اسمه ولا يُعرف به ، فكان الذى يقع منهم فى ذلك مصروفاً إلى غيره .

***

« أحمد » :

قال الله تعالى حاكيًا عن السيد عيسى عليه السلام (ومبشِّراً برسول يأتِى من بَعْدِى اسمُه أحمد[3]) قال العلماء : لم يسمَّ به أحدٌ قبلَ نبينا صلى الله عليه وسلم منذ خلَق الله تعالى الدنيا ، ولا تسمَّى به أحدٌ فى حياته صلى الله عليه وسلم وأول من تسمَّى به بعده على الصواب والد الخليل بن أحمد شيخ سيبويه . قال المبرِّد رحمه الله تعالى : فَتَّش المفتشون فما وجدوا بعدَ نبينا صلى الله عليه وسلم مَن اسمه أحمد قبل أبى الخليل بن أحمد . قال الحافظ أبو الفضل العراقى : واعترض على هذه المقالة بأبى النضر[4] سعيد بن أحمد فإنه أقْدَم وأجيب بأن أكثر أهل العلم قالوا فيه يحمد بالياء. وقال ابن مَعِين : أحمد .

قال ابن دِحْية رحمه الله تعالى : وهو علَم منقول من صفة لا من فِعْل ، وتلك الصفة أفْعَل التى يراد بها التفضيل .

---

(١) صحيح البخارى ٢/٢١٧ ، (ط الأميرية) .

(٢) ص : كفى الله المسمى .

(٣) سورة الصف ٦ .

(٤) ص ت م : بأبى النصر ، محرفة وما أثبته من ط .

وقال ابن القيِّم فى كتابيه « جلاء الأفهام » « وزاد المَعاد » واللفظ له : اختلف الناس فيه : هل هو . بمعنى فاعل أو مفعول . فقالت طائفة : هو بمعنى فاعل . أى حَمِد اللهَ أكثرَ من حَمْد غيره له ، فمعناه أحمد الحامدين لربه .

وقالت طائفة أخرى : هو بمعنى مفعول أى أحق الناس وأوْلاهم بأن يُحْمد . فيكون كمحمد فى المعنى ، إلا أن الفرق بينهم أن محمدًا هو المحمود حمدًا بعد حمد ، فهو دال على كثرة حَمْد الحامدين له ، وذلك يستلزم كثرةَ الخصال التى يُحمد عليها وأحمد هو الذى يُحْمد أفضلَ ما يُحْمَده غيره.فمحمد فى الكثرة والكمية وأحمد فى الصِّفة وفى الكيفية يستحق من الحمد أكثر مما يستحقه غيره فحَمْده أكثر حمدٍ وأفضل حمدٍ حُمده بشَر ، والاسمان واقِعَان على المفعول ، وهذا أبلَغ فى مدْحه صلى الله عليه وسلم وأكمل معنى . قال : وهو الراجح المختار ولو أريد به معنى الفاعل لسمِّى الحمَّاد أى كثير الحمد ، فإنه صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس حمدًا لربه ، فلو كان اسمه أحمد باعتبار حمده لربه لكان الأوْلَى[1] به الحمَّاد كما سمِّيت أمته صلى الله عليه وسلم بذلك . وأيضًا فإن هذين الاسمين إنما اشتُقَّا من أخلاقه وخصاله صلى الله عليه وسلم التى لأجلها استحق أن يُسمَّى محمدا وأحمد . وبَسْط الكلام على ذلك وتحقيق هذا المحل يطول به الكلام فليطلب من كتب النحو المطولة .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : سمِّى النبي صلى الله عليه وسلم بمحمد وأحمد لما اشتمل عليه من مسمَّاهما وهو الحمد ، فإنه صلى الله عليه وسلم محمود عند الله ومحمود عند الملائكة ومحمود عند الأنبياء ، ومحمود عند أهل الأرض كلهم وإن كفر به بعضهم فإن ما فيه من صفات الكمال محمودةٌ عند كل عاقل ، وإن كابَر عقله جحودا وعنادا [أو جهلا باتصافه بها[2]] ولو عُلم اتصافه بها لحَمده ، فإنه يَحْمد من اتصف بصفات الكمال ويجهل وجودها فيه ، فهو فى الحقيقة حامد له .

وقال القاضى والسُّهَيْلى وابن القيِّم رحمهم الله تعالىٰ : واختُصَّ صلى الله عليه وسلم من مُسَمَّى الحمد بما لم يُجمع[3] لغيره ، فإن اسمه صلى الله عليه وسلم : أحمد ومحمد ،

(١) ط : لكان أولى. (٢) فى موضعها كلمة محرفة فى ص ت م . (٣) ط : بما لم يجتمع .

وأمته الحمّادون يحمدون الله تعالى على السّرّاء والضرّاء ، وصَلاتُه وصلاتهم مُفْتَتحة بالحمد . وخُطبه مفتتحة بالحمد ، وكتابه مفتتح بالحمد ، وشُرع له الحمد بعد الأكل والشرب ، وبعد الدعاء . وبعد القُدوم من السفر ، وبيده صلى الله عليه وسلم لواءُ الحمد يوم القيامة ؛ ولما يسجد بين يدى ربه عز وجل للشفاعة ويؤذن له فيها يحمد ربه بمحامد يفتحها عليه حينئذ ، وهو صاحب المقام المحمود الذى يَغْبطه فيه الأوَّلون والآخِرون ، وإذا قام فى ذلك المقام حمده حينئذ أهلُ الموْقِف كلهم مسلمهم وكافرهم أولهم وآخرهم إلى غير ذلك .

تنبيه : قال القاضى رحمه الله تعالى : كان صلى الله عليه وسلم أحمدَ قبل أن يكون محمدًا كما وقع فى الوجود، لأن تسميته صلى الله عليه وسلم أحمد وقعت فى الكتب السالفة ، وتسميته محمدًا وقعت فى القرآن ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم حَمِد ربه قبل أن يحمده الناس . وقال السُّهيلى : لم يكن صلى الله عليه وسلم محمدًا حتى كان أحمد ، حمد ربه فنبَّأه وشرَّفه ؛ فلذلك تقدّم اسمُ أحمد على الاسم الذى هو محمد ، فذكره عيسى صلى الله عليهما وسلم فقال : « اسمه أحمد » وذكره موسى صلى الله عليه وسلم حين قال له ربه : تلك أمةُ أحمد فقال اللهم : اجعلنى من أمة أحمد ؛ فبأحمد ذُكر قبل أن يُذكَر بمحمد ، لأن حَمْده لربه قبل حَمْد الناس له ، فلما وجِد وبُعث كان محمداً بالفعل ، وكذلك فى الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التى يفتحها عليه ، فيكون أحمد الحامدين لربه ، ثم يشفع فيُحمد على شفاعته صلى الله عليه وسلم .فانظر كيف ترتَّب هذا الاسم قبل الاسم الآخر فى الذِّكْر وفى الوجود فى الدنيا والآخرة تَلُحْ لك الحكمةُ الإلهية فى تخصيصه صلى الله عليه وسلم بهذين الاسمين . انتهى .

فصرَّح القاضى والسهيلى رحمهما الله تعالى بأن أحمد سابقٌ على محمد . وأقرَّهما الحافظ فى الفتح وغيره .

وردَّ ذلك ابن القيّم فى كتابيه « جِلَاء الأفهام » و« زاد المعاد » ونسب قائلَ ذلك إلى الغلط ، ثم نقل عن لفظ التوراة التى يقرؤها مؤمنو أهلِ الكتاب أن فيها عند ذكر إسماعيل صلى الله عليه وسلم بماذ ماذ . وذكر بعد هذا : وإنه سيلد اثنى عشر عظيما، منهم عظيم يكون اسمه ماذ ماذ . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وهذا عند علماء المؤمنين من أهل الكتاب

صريح فى اسم النبى صلى الله عليه وسلم . قال : ورأيت بعض شروح التوراة كما حكيناه بعد هذا المتن قال فى الشرح[1] : هذان الحرفان فى الموضعين يتضمنان اسم السيد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبسَط الشارحُ الكلامَ والدليلَ على ذلك .

ثم نقل ابن القيِّم عن شارح آخر أن اسمه فى التوراة أَظْهر مما ذكره الشارح السابق وذكر ابن القيم كلامه . فليراجعه من أراده من « جلاء الأفهام » .

وقد وردت آثار كثيرة تشهد لما قاله ابن القيم .

قال : وإنما سمَّاه المسيح أحمد كما حكاه الله تعالى فى القرآن لأن تسميته بأحمد وقعت[2] متأخرة عن تسميته محمدا فى التوراة ومتقدِّمة على تسميته محمدا فى القرآن ، فوقعت بَيْن التسميتين محفوفة بهما .

وقد تقدَّم أن هذين الاسمين صفتان فى حقه صلى الله عليه وسلم ، والوصفية فيهما لا تُنافِى العَلمية وأن معناهما مقصود ، فعرف عند كل أمة بأَعْرَف الوصفين عندها . انتهى ملخصا .

قال الراغب رحمه الله تعالى : وإنما خصه عيسى عليه الصلاة والسلام بذلك ولم يصِفْه بغيره تنبيهًا على أنه أَحْمَد منه وممن قبله ، لما اشتمل عليه من الخصال الجميلة والأخلاق الحميدة التى لم تَكْمل لغيره صلى الله عليه وسلم .

تنبيه :

لم يصحّ فى فضل التسمية به حديث . وأما حديث أنس بن مالك مرفوعًا : «يُوقف[3] عَبْدان بين يدَى الله تعالى فيؤمر بهما إلى الجنة فيقولان: ربنا بم استأهَلْنا الجنة ولم نعمل عملاً تجازينا به الجنة ؟ فيقول الله تعالى : عَبْدىَّ[4] ادخلا الجنة فإنى آليتُ على نفسى ألاَّ يدخل النارَ من اسمه أحمد ولا محمد » فهو حديث باطل كما قال الذهبى رواه ابن بُكَيْر من طريق أحمد بن عبد الله الدارع[5] وهو كذاب ، وشيخه صَدقة بن موسى وأبوه لا يُعرفان .

---

(١) ط : فى الشارح .
(٢) ت م : جاءت .
(٣) ص ت م : فوقف ، محرفة .
(٤) ص ت م : عبديا .
(٥) ص ت م : الدراع .

فائدة :

أحمد فى العربية ممنوع من الصرف لاينوّن ولا يكسر للعلمية ووزن الفعل . وألْغَزفيه بعضهم رحمه الله تعالى فقال :

وراكعةٍ فى ظِلِّ غُصْن مَنُــوطــة بلؤلؤة نِيطَتْ بمنقـــار طــائِر

فالراكعة : الدال . والغصن التى هى فى ظله : الألف. واللؤلؤة: الميم. ومنقار الطائر: الحاء .

* * *

« الأَبَرّ » : أفعل تفضيل من برَرْتُ فلانا بالكسر أَبَرّه بِرًا فأَنا بَرٌّ وبارّ : أى مُحْسن. والبِرُّ : اسم جامع للخير. ويطلق أيضا على الصِّدْق لحديث : «لا يزال الرجل يَصْدُق حتى يُكتب عند الله بارًّا ، ولا يزال يَكْذب حتى يُكْتب عند الله كاذبًا » وإنه يقال صدَق وبَرّ وكذَب . وفجَر . وجمع البَرّ : أبرار والبارّ : بَرَرَة .

وهو صلى الله عليه وسلم حَرِىٌّ بأَن يكون أَبَرّ الناس ، لما جُمع فيه من الخصال الجميلة التى لم تُجمع[1] فى مخلوق والإحسان والصدق .

قال أبو على الحاتِمىّ رحمه الله : اتفق أهلُ الأدب على أن أَصْدَق بيتٍ قالته العرب قول أبى إِيَاس الدُّؤلىّ :

وما حمَلَت من ناقة فَوْق رَحْلها أَبَرَّ وأَوْفَى ذِمَّــةً من مُحَمَّــدِ

وهذا الاسم مما سمَّاه الله تعالى به من أسمائه الحسنى . والبَرّ فى حقه تعالى معناه : المحسِن أو الصادق الوعد أو خالِق البِرّ . أقوال .

والنبى صلى الله عليه وسلم بَرٌّ بالمعنيين الأولين كما سيأتى فى صفاته المعنوية .

« الأَبْطَحِى » : نسبة إلى الأَبطح وهو مَسِيل الماء ، وفيه دِقَاق الحصى ، والمراد هنا أَبْطح مكة ، وهو مَسِيل واديها ، وهو ما بين مكة ومِنًى ومبتدَؤه المحصَّب . وأَصله فى اللغة : ما انحدر من الجبال وارتفع عن[2] المسِيل .

---

(١) ط : لم تجتمع. (٢) ص : من المسيل .

قال حسان بن ثابت رضى الله عنه يمدح النبى صلى الله عليه وسلم :

وأَكْرَم صِيتاً[1] فى البيوتِ إذا انتمَى وأكـرَم جَدًّا أَبطحِيًّا يُسَـوَّدُ[2]

وسمِّى صلى الله عليه وسلم بذلك لأنه من قريش البِطَاح ، وذلك أن قُصيًّا جده الخامس لمّا وَلِىَ البيتَ وأَمْرَ مكة أَقْطَعها أَرْباعاً بين قومه ، فلما كَثُرت بنو كعب بن لُؤى وبنو عامر بن لؤى أخرجوا بنى محارب وبنى الحارث بن فِهْر من البطحاء إلى الظَّوَاهر وبنى[3] خارجة الحرم حول مكة .

فقريش البِطَاح : بنو كعب بن لؤىّ وبنو عبد مناف وبنو عبد الدار وبنو مُرّة[4] ابن كلَاب ، وبنو مخزوم بن يقظة ، وبنو تَميم بن مُرّة وبنو جُمَح وسهْم[5] بن عمرو ابن هُصَيْص بن كعب ، وبنو عَدِىّ بن مالك وبنو عامر بن لُؤَىّ[6].

وقريش الظَّوَاهر : بنو مُحَارب ، وبنو الحارث بن فِهْر ، وبنو الأَدْرَم بن غالب ، وعامة بنى عامر[7] بن لُؤَىّ وكان يقال لعبد المطلب : سيِّد الأَبْطَح والأَباطح .

«الأَبْلَج» : بالموحدة وآخره جيم . وهو الطَّلْق الوجه أو المُشْرِقه ، أو ذو الكرم والسماحة والمعروف ، أو الواضح أمره ، ومنه صباحٌ أَبْلَج ، وانبلجت الشمس انبلاجاً وانبلج الفجرُ وتبلجٌ : أنار ووضح .

«الأَبْيَض» : صفة مشبهة من البياض ضد السَّوَاد ، وهو السخىّ الجوَاد ومنه قول ذى الرُّمّة :

وأبيضَ مُرْتاح النَّحِيزة للنَّـدَى لــه نائلٌ بالمكْرُمات يفيضُ[8]

أو المبارك الميمون ومنه قول الجَعْدى :

كم بِتُّ أَرْقبُ منك[9] يوماً أبيضاً فى شِبْه وجهك بالنَّـدَى متهلِّلُ

---

(١) ص ت م : حيناً ، محرفة .

(٢) ص ت م : أبطحى السوادد ، وما أثبته من ط .

(٣) ط : وهى خارجة .

(٤) ط : وبنو زهرة .

(٥) ط : ومنهم .

(٦) ليست فى ط .

(٧) ص : وعامة بنى عمرو بن لؤى .

(٨) ليس فى ديوان ذى الرمة المطبوع بأوروبا .

(٩) ط : منه .

أو المتصف بالبياض وهو نظافة العِرْض ، يقال رجل أبيض وامرأة بيضاء أى نقية العِرْض من الأدناس ، ويقال ابيَضَّ ابيضاضاً وبياضاً وهو مبيَضّ ، وقال أبو طالب :

وأبيض يُسْتَسْقَى الغَمام بوجهه ثِمَالُ اليتامَى عِصْمةٌ للأَرامِلِ

وسيأتى تمامه[1] فى ثمال .

«الأَتْقَى» : أفعل تفضيل من تَقَى يَتْقِى كقضى يَقْضِى لا من اتقى يتَّقى الذى هو الأصل، فخفف لأن أفعل التفضيل لايبنى من غير ثلاثى[2] على ثلاثة .

روى مسلم عن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قد علمتم أَنِّى أَتْقاكم وأبَرُّكم وأَصْدقكم حديثاً» .

قال الجوهرى : التَّقِىّ : المُتَّقِى . والتُّقَى والتقوى واحد . وواوها مُبْدَلة عن ياء لقولك: اتقيت والتاء من واو لأنه من وقَيْت .

وأصل التقوى فى اللغة : قلة الكلام . حكاه ابن فارس . وقال غيره : هى الخوف والحذر وأصلها : اتقاء الشِّرْك ثم المعاصى ، ثم الشبهات ، ثم ترْك الفضلات . وحقيقتها : التحرّز بطاعة الله تعالى من مخالفته .

وقال رجل لأبى هريرة رضى الله تعالى عنه : ما التقوى ؟ قال : أَخذتَ طريقاً ذا شوك ؟ قال : نعم . قال: كيف صنعت ؟ قال : إذا رأيتُ الشوك عدَلْتُ عنه أو جاوزْتُه أو قصَرْت عنه . قال : ذاك التقوى . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التقوى .

وقد أشار إلى هذا المعنى ابن المعتز رحمه الله تعالى فقال :

خلِ الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التُّقَى[3]

واصنَعْ[4] كماشٍ فوق أر ضِ الشوك يَحْذر مايرى

لا تَحْقِرنَّ صغيرةً إن الجبال من الحَصَا

وأما إضافتها إلى الله تعالى فى قوله تعالى : «هو أهل التقوى»[5] فمعناه أهلٌ لأن يُتَّقى عقابه ويُحْذر عَذابه .

(١) ط : بتمامه .
(٢) النسخ : لا يبنى من ثلاثة على ثلاثة .
(٣) ص ت م : خل الذنوب كبيرها وصغيرها فهو التقى
(٤) ط : واعمل .
(٥) سورة المدثر ٥٦ .

وسئل عليّ رضى الله تعالى عنه عنها قال : هى الخوفُ من الجَلِيل ، والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل ، والاستعداد ليوم الرَّحيل .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يبلغ العبدُ أن يكون من المتقين حتى يَدَعَ مالا بأس به حَذراً لمـا به بأس » .

رواه الإمام أحمد ، وحسَّنه الترمذى[1] .

تنبيه : قوله تعالى : « يا أيها النبيُّ اتَّق الله[2] » أمرٌ بالدوام على التقوى . كقوله تعالى : « يا أيها الذين آمَنُوا آمِنُوا[3] » أى داوموا على الإيمان .

« أَتْقَى الناس » : تقدَّم معناه فى الذى قبله .

« الأَجوَد » : أفعل تفضيل من الجُود وهو الكرَم . يقال جادَ يَجُود جُوداً فهو جَوَاد بتخفيف الواو ، وقومٌ جُودٌ وأَجوادٌ وأجاود وجُوَّاد . قال النَّحاس رحمه الله تعالى : الجوَاد : الذى يتفضل على من لا يستحقّ ويُعْطِى من لا يسأَل ويعطِى الكثير ولا يخاف الفقر . من قولهم : مطرٌ جَواد : إذا كان كثيرا . وفرسٌ جَوادٌ : يَعْدُو كثيرا قبل أن يُطلَب منه . ثم قيل : هو مرادِفٌ للسَّخاءِ[4] . والأَصحّ أن السخاء أدْنَى منه . والسخاء : اللِّين عند الحاجات ، ومنه[5] : أرضٌ سَخاوية : لينة التراب .

وفى رسالة القُشَيْرى رحمه الله تعالى : قال القومُ : من أَعطى البعض فهو سخىّ ومن أَعطى الأكثر وبقَّى لنفسه شيئا فهو جَواد ومن قاسَى الضرر وآثر غيره بالبُلْغَة فهو مُؤْثِر .

وقال بعضهم : السخاء سهولة الإنفاق وهو الجود ، وضده التقتير ، والسماحة : التجافى عما يستحقه المرءُ من غيره بطيب نفسه[6] ، وضده الشَّكاسة . والكرم : الإنفاق بطيب النَّفْس فيما يَعْظم خطره ويسمَّى حُرِّية ، وضده : النذالة .

وروى الشيخان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : «كان رسول الله صلى الله

---

(١) صحيح الترمذى ٧٤/٢ (كتاب الرقائق والقيامة والورع) ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٢) سورة الأحزاب ١ .

(٣) سورة النساء ١٣٦ .

(٤) ص ت م : مرادف السخاء .

(٥) الأصل : من أرض سخاوية .

(٦) ط : بطيب نفس .

عليه وسلم أَجْود الناسِ وكان أَجْوَدَ ما يكون فى شهر رمضان[1] » الحديث .

وروى أَبو يَعْلَى عن أَنس رضى الله تعالى عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَلا أُخبركم عن الأَجْود ؟ الله الأَجود ، وأَنا أَجود بنى آدم » .

ولهذا مزيد بيان فى باب كرمه وجوده صلى الله عليه وسلم .

« أَجْوَد الناس » : تقدَّم الكلام عليه فى الذى قَبْله .

« الأَجَلّ » : بالجيم وتشديد اللام : الجليل العظيم أَى الأَكثر إِجلالاً وعظمة عند الله وعند عِبَاده .

« الأَجير[2] » : بالجيم نقله « ع » عن[3] بعض الصحف المنزَّلة ؛ لأَنه يجير أُمته من النار .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : ولم أَرَ من ذَكره غيره ، وأَخشى أَن يكون تصحَّف بأُحَيْد الآتى .

« أَحاد » : كذا ورد[4] فى السِّفْر الخامس من التوراة ، وليس بين الحاء والدال أَلف إِنما يفخِّمون الحاء ، وتفسيره عندهم : واحد .

ومعناه فيه صحيح من وجوه ، منها : أَنه واحد بمعنى آخِر الأَنبياء وخاتمهم ، ومنها : أَنه واحدٌ فى السيادة على من سِوَاه ، ومنها أَنه واحد فى شريعته أَكْمل[5] الشرائع ، ومنها : أَنه واحد فى خصائص خُصَّ بها من أَحكام دِينه وأُمورٍ رفيعةٍ غير دينه ، كالشَّفَاعة العامَّة والحَوْض المورود والمقام المحمود :

وقال الشيخ رحمه تعالى : أُحَاد فى العربية بضم الهَمْزة : اسمُ عَدَدٍ معدول عن واحدٍ واحدٍ ، ولا يبعد أَن يكون اسمه صلى الله عليه وسلم فى التوراة هو هذا الاسمَ العربىَّ المعدول ، ووجه العَدْل فيه عن واحد واحد المتكرر : أَنه صلى الله عليه وسلم واحد فى أُمور متعددة ؛

---

(١) صحيح البخارى ١/٢٤٧ (كتاب الصوم) .

(٢) ط : أجير .

(٣) ص ت م : فى بعض .

(٤) ط : كذا وجد .

(٥) ص ت م : لحمد الشرائع ، وما أثبته من ط .

فعُدل عنها إلى أُحَاد ليدل على ذلك باختصار كما هو فائدة العَدْل أن لا يؤتى باللفظ مكرراً ، فيكون هذا الاسم مما سمَّاه الله تعالى به من أسمائه .

ومعنى الواحد فى حق الله تعالى : الذى لا شريك له فى ذاته وصفاته .

«الأَحد» : المنفرد بصفات الكمال عن الخَلْق أو بالقُرْب من الحق[1] ، وهو من الصفات المشبَّهة وأصله : وَحَد بفتح الحاء وبكسرها أيضا ، فأُبدلت الواو المفتوحة همزةً شذوذا ، لأن قياس المفتوحة أولَ الكلمة أن تبقى على حالهـا .

وهو من أسمائه تعالى ومعناه :المنفرد بصفات الكمال . وسيأتى الفرق بينه وبين الواحد بأنه يقال باعتبار الذات ، والأَحد باعتبار الصِّفَات. وقيل : الواحد للوَصْل والأَحد للفَصْل . فمِن الواحد وصل إلى عباده النِّعم . ومن الأَحد انفصلت عنهم النِّقم .

«الأَحْسَن» : ذكره أبو حفص النَّسفِيّ رحمه الله تعالى فى تفسيره ، وهو أفعل : من الحُسْن ، وهو تناسُب الأَعضاء على ماينبغى ، والمراد به : المستجمع صفات الكمال . قال تعالى : « ومن أَحسَنُ قولاً ممَّن دعَا إلى الله »[2] قال عبد الرزاق فى تفسيره عن مَعْمر عن الحسن البَصْرىّ رحمه الله تعالى : أنه تلا هذه الآية فقال : هذا حَبِيب الله تعالى ، هذا صَفْوة الله ، هذا أَحَبُّ أهلِ الأَرضِ إلى الله أجاب اللهَ تعالى فى دعوته ، ودعا النَاسَ إلى ما أجابَ[3] الله تعالى فيه .

وفى حديث أنس عند عَبْد بن حُمَيْد : كان النبى صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، وكان أجود الناس وكان أشجع الناس .

وسيأتى الكلام على ذلك فى باب حُسْنه صلى الله عليه وسلم . ويرحم الله تعالى الشَّرف البُوصيرى[4] حيث قال :

فهـو الذى تَمَّ معناه وصُورتـه	ثم اصطفاه حبيباً بارئُ النَّسَمِ
منزَّه عن شريكٍ فى مَحاسِنـــه	فجَوْهر الحُسْن فيه غير مُنْقسمِ

والشرفَ ابن الفارض حيث قال :

وعلى تَفَنُّن واصفيـــه بحُسْنه	يَفْنَى الزمانُ وفيه مالم يُوصَفِ

(١) ص : أو بالحق من القرب .
(٢) سورة فصلت ٣٣ .
(٣) ص ت م : إلى ما أجابه الله .
(٤) ت م : الأبوصيرى .

قال النَّسَفى رحمه الله تعالى : وهذا الاسم مما سمَّاه الله تعالى به من أسمائه . قال تعالى : « فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ[1] » .

«الأَحْشَم» : بالحاء المهملة والشين المعجمة : أَفْعل تفضيل من الحِشْمة وهى الوقار والسكينة أى أَحْشم الناس ، أى أكثرهم وقارا .

«أَحْيَد» : عَزاه القاضى للتوراة لأنه يُحِيد أُمَّتَه عن النار . ويروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا : « اسمى فى القرآن محمد وفى الإنجيل أحمد ، وفى التوراة أَحْيد لأنى أُحِيد أُمتى[2] عن النار » رواه ابن عَدِىّ وابن عساكر بسند واهٍ ، وضبطه الشيخ تقى الدين الشُّمُنِّى بضم الهمزة والحلبى بفتحها وسكون الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية وكسرها فى آخره دال مهملة وضبطه الماوردى رحمه الله تعالى بمد الألف وكسر الحاء المهملة . وقال فى الشرح : يحتمل أن يكون أفعل : من حاد عن الشىء إذا عَدَل عنه ونفَر منه ، وسمِّى به لأنه حاد عن طريق الباطل وعدَل بأُمته إلى سبيل الحق . وهو غير منصرف للعُجْمة والعلمية ، أو وزن الفعل مع العلمية .

«الآخذ الحُجَزات»: بالإضافة : اسم فاعل من الأَخذ وهو التناول . روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما مَثَلى ومثل أُمتى كمثل رجل استوقَد ناراً فجعلت الدوابُّ والفراش يَقْعن فيها ، فأَنا آخذٌ بحُجَزكم وأَنتم تَقحَّمون[3] فيها »

وروى الإمام أحمد عن جابر رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثَلى ومَثلكم كمثل رجل أَوقدَ ناراً فجعل الفراشُ والجَنادب يقَعْن فيها وهو يَذُبُّهن عنها وأنا آخذ بحُجَزكم وأَنتم تُفْلتون من يدى » .

الحُجَزات بضم المهملة وفتح الجيم ثم زاى. والحُجَز جمع حُجْزة وهو حيث يثنى طرف الإزار وهو النيفق من السراويل ومحلها الوسط ، فكأَنه صلى الله عليه وسلم قال : أَنا آخذ بأَوساطكم لأنجِّيكم من النار والأَخْذ بالوسط أَمْكَن ، فعبَّر عنها بالحُجَزات استعارة بعد استعارة

---

(١) سورة المؤمنون ١٤ .

(٢) كذا فى ط .وفى ص ت م : «لأنه صلى الله عليه سلم يحيد أمته عن النار » .

(٣) ص ت م : وأنتم تقتحمون فيها .

« الآخِذ الصدقات » : قال تعالى : « خُذْ من أموالهم صَدَقَةً تُطَهِّرهم وتُزَكِّيهم بها »[1] الآية وإن نزلت فى المخلَّفين عن غزوة تبوك ، وفى صدقة التطوع التى هى من تمام توبتهم ، لكنها عامَّة لغيرهم وفى الزكاة المفروضة . ولهذا قال مانعو الزكاة : لا ندفعها إلا لمن صَلواته سَكَنٌ لنا ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يأخذ الزكاة من أربابها ويفرّقها على مستحقيها كما هو معلوم معروف .

«أخرابًا» : هو اسمه صلى الله عليه وسلم فى الإنجيل ، ومعناه آخر الأنبياء ، روى ابن أبى شيبة فى المصنَّف عن مصعب بن سعد ، عن كعب رحمه الله تعالى قال : أول من يأخذ حَلْقة باب الجنة فيُفتح له محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قرأ علينا آية من التوراة أخرابا قدمايا[2] الأوّلون الآخرون[3] .

«الأَخْشَى لله» : أخذه الشيخ رحمه الله تعالى من حديث أبى داود : «والله إنى لأَرْجو أن أكون أَخْشَاكم لله »[4] .

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى : وفيه إشكال لأن الخوف والخشية حالةٌ تنشأ عن ملاحظة شدة النِّقْمة الممكن وقوعها بالخائف ، وقد دلَّ الدليل القاطع على أنه صلى الله عليه وسلم غير مُعذَّب . وقال تعالى : « يومَ لا يُخْزِى اللهُ النبيَّ »[5] فكيف يتصوَّر منه الخوف فكيف أشد الخوف ؟ .

قال : والجواب أن النسيان جائز عليه صلى الله عليه وسلم فإذا حصل النسيان عن موجبات نَفْى العقاب حدث له الخوف ، لا يقال إن إخباره صلى الله عليه وسلم بشدة[6] الخوف وعِظَم الخشية عِظَم بالنوع لا بكثرة العدد ، أى إذا صدَر منه الخوف ولو فى زمنٍ فَرْد كان أشدَّ من خوف غيره .

والخشية : الخوف وقيل أعظمه والهَيْبة أعظم منها . وقال سعيد بن جُبَيْر رحمه الله

---

(١) سورة التوبة ١٠٣ .

(٢) كذا فى ط ، وفى ص ت م : أخرما با .

(٣) ص ت م : والآخرون .

(٤) الذى فى سنن أبى داود كتاب الصوم باب ٣٦ : « إنى لأخشاكم لله » وهو أيضاً فى صحيح البخارى كتاب النكاح وصحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ٧٤ ، ٧٩ .

(٥) سورة التحريم ٨ .

(٦) ت م : بشارة الخوف

تعالى : هى أن تخشاه حتى يَحُول بينك وبين المعصية ، وعلى قَدْر عِلْمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى كان خوفه . كما سيأتى فى باب : « خوفه صلى الله عليه وسلم » .

وقال الأُستاذ أبو على الدقَّاق رحمه الله تعالى : الرهبة على مراتب : أولها : الخوف وهى من شرط الإيمان . قال الله تعالى : « وخَافونِى إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين »[1] ثانيها : الخشية وهى من شرط العلم ، قال الله تعالى : « إنما يَخْشَى اللهَ مِن عِبَادِهِ العُلَماءُ[2] » ثالثها الهيبة ، وهى من شرط المعرفة . وقيل هى حركة القلب من جلال الرب .

وأمّا وصفه تعالى بها فى قوله تعالى « إنما يخشى اللهُ من عباده العلماء » برفع الاسم الكريم ونصب العلماء عكس القراءة المشهورة كما قرأ به أبو حَيْوة وعمر بن العزيز وأبو حنيفة [فهو] على سبيل المجاز ، والمراد غايتها التى هى التعظيم والإجلال فقط على حد قوله :

أَهابُكِ إجلالاً وما بكِ قُـــدْرة   علىَّ ولكن مِلْءُ عين حبيبُها[3]

«آخر ماخ[4]» : عزاه « ع » لصحف شيث صلى الله عليه وسلم قال : ومعناه صحيح الإسلام .

«الأَدْعَج» : بدال وعين مهملتين أى أدعج العينين من الدَّعَج محرّكا كالدُّعْجة بالضم وهو شدة سواد العين مع سعتها . كما سيأتى فى باب صفاته الحسيّة صلى الله عليه وسلم .

« الأَدْوَم » : بفتح الهمزة وسكون الدال المهملة ، أفعل تفضيل من المداومة وهى المواظبة على الشئ . وأصل الدوام السكون يقال : دام الماءُ[5]: إذا سكَن ، ومنه حديث الشيخين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يَبُولَنّ أحدُكم فى الماء الدائم ثم يغتسل فيه »[6] .

وسمِّى صلى الله عليه وسلم بذلك لملازمته طاعةَ ربه تبارك وتعالى .

---

(١) سورة آل عمران ١٧٥ .   (٢) سورة فاطر ٢٨ .

(٣) البيت نسب إلى نصيب بن رباح الأموى فى شرح الأمالى للبكرى ، كما نسب إلى مجنون ليلى ، وهو من شواهد الأشمونى ، انظر شرح الأشمونى ٢٨٨/١ .

(٤) ص ت م : آخر مانح .

(٥) ص ت م : دام الألم ، وما أثبته من ط .

(٦) ط : منه . والحديث فى صحيح البخارى ٣٧/١ كتاب الوضوء، وصحيح مسلم كتاب الطهارة حديث رقم ٩٤ – ٩٦.

وروى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : « كان عمله صلى الله عليه وسلم دِيمةً وأيكم يستطيع ما كان يستطيع[1] »

ولا ينافى ذلك عدمُ مواظبته صلى الله عليه وسلم على صلاة الضحى ، كما رواه الترمذى وحسَّنه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه : أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى حتى نقول لا يدَعها ، ويدعها حتى نقول لا يصلِّيها ؛ لأن المواظبة على العمل كانت غالب أحواله صلى الله عليه وسلم وقد يتركها لحكمة كما ترك المواظبة على قيام رمضان لمّا عَلِم به أناسٌ فقاموا بقيامه خشية أن تُفْرض عليهم فيُحْرجهم .

فإن قيل : لم واظب صلى الله عليه وسلم على قضاء سُنَّة الظُّهر لمّا فاتَتْه لاشتغاله مع الوفْد بعد العصر ولم يواظب على قضاءسنة الفجر لَمَّا فاتته مع الصبح فى الوادى مع أن سُنَّة الفجر آكَد ووقت قضائها ليس وقت كراهة بخلاف سنة الظهر[2] ؟

أُجيب : بأن سُنَّة الفجر فاتته صلى الله عليه وسلم مع جَمْع من الصحابة فلو واظَب على قضائها لتأَسَّى[3] به كلٌّ من فاتته إذا كان من عادتهم الحرص على اقتفاء آثاره صلى الله عليه وسلم والمتابعة له فى أفعاله فيشق ذلك عليهم ، بخلاف سُنة الظهر أو لأنه كان فى سفَر فلم يواظب عليها لذلك بخلاف سُنة الظهر .

«أُذُن خَيْر» : سمِّى صلى الله عليه وسلم بالجارحة التى هى آلة السمع كأن جُمْلته أُذن[4] كما يقال للرَّبِيئة : عَيْن . قال تعالى : « ويقولون هو أُذُن قل أُذُن خيرٍ لكم[5] » .

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قائل هذه اللفظة نَبْتَل[6] بن الحارث بن مروة المنافق ؛ كان يأتى النبى فيجلس إليه فيسمع منه ، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين ، رواه ابن أبى حاتم . وقيل هو الجُلَاس بن سُوَيْد .

---

(١) صحيح البخارى ١٠٢/٤ (ط الأميرية) وصحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث رقم ٢١٧ .
والديمة : مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق .

(٢) ص ت م : سنة العصر .
(٣) ط : بها .
(٤) ص ت م : كأنه جملة أذن .
(٥) سورة التوبة ٦١ .
(٦) ص ت م : نفيل ، محرفة .

قال الحسن ومجاهد رحمهما الله تعالى : ومعنى هو أذن: يسمع منا مَعاذِيرنا ويُنْصت[1] لنا ، أى نحن لا نبالى عن أذاه والوقوع فيه؛ إذ هو سمَّاع لكل ما يقال له من اعتذار ونحوه ويقال للسمَّاع[2] لكل قول : أُذُن ؛ لكثرة سمَاعه ، سُمىّ بمحلّه . وقيل هو على حذف مضاف وتقديره ذو أُذن أى ذو سماع ، وقيل هو من قولهم أَذِن للشئ بمعنى استمع ، ومنه الحديث : «ما أَذِن الله لشئ كَأَذنِه لنبيٍّ متغنٍّ بالقرآن[3] » .

وصفه الله تعالى بذلك إلا أنه تعالى فسَّره بما هو مَدْح لنبيه صلى الله عليه وسلم وثناء عليه وإن كان قَصدوا بذلك ذمَّه . والمشهور ضم ذال أُذُن . وقرأ نافع بسكونها ، قال ابن عطية رحمه الله تعالى : ومعنى أُذن خَيْر : سمَّاع خير وحَقّ لا غيره ، والمشهور إضافته . وقرأ عاصم برفع « خير » وتنوين « أُذن » قال : وهو يوافق تفسير الحسن أى من يقبل مَعاذ يركم خيرٌ لكم.

قال العَزَفِىّ رحمه الله تعالى : وأما اسمه صلى الله عليه وسلم « أُذُن خير » فهو مما أعطاه من فضيلة الإدراك لبيان الأَصوات فلا يبقى من ذلك خير ولا يسمع من القول إلا أحسَنه .

فائدة : قال فى الصِّحَاح : الأُذُن مؤنثة وتصغيرها أُذَيْنة . ورجلٌ أُذُن يستوى فيه الواحد والجمع .

«الأَرجح» : الزائد على غيره عِلْماً وفضلا ، وفى حديث شق الصدر ثم قال أحدهما - أى الملكين - لصاحبه : زِنْه بعشرة من أُمته فوزننى بهم فرجَحْتهم . ثم قال : زِنْه بمائة من أُمته فوزننى بهم فوزنتهم . ثم قال زنْه بأَلف من أُمته فوزننى بهم فوزَنْتُهم . فقال : دَعْه عنك فلو وزنتَه بأُمته لوزَنَهم . أى لرجَح عليهم فى الفضل[4] .

وقال زهير بن صُرَد رضى الله تعالى عنه يمدحه[5] صلى الله عليه وسلم وزاده شرفا وفضلا:

إن لم تَداركهم نَعْمــاء تَنْشرهــا يا أَرْجَحَ الناسِ حِلْما حين يُخْتبرُ[6]

---

(١) ط : وينصلنا . (٢) ص ت م : للسامع .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحسان تحسين الصوت بالقرآن حديث رقم ٢٣٢ .

(٤) سبق ذكر الحديث بطوله فى هذا الجزء . (٥) ص : يمدح النبى .

(٦) البيت لزهير بن صرد ، أبو صرد ، وهو خطيب وفد هوازن الذين جاءوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة يسألونه أن يرد إليهم ما أصاب منهم من أموال وسبايا ، والقصة رواها يونس بن بكير عن ابن إسحاق وأوردها ابن كثير فى سيرته ٣/٦٦٧ .

«أرجح الناس عَقْلا» : روى أَبُو نُعَيْم عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال : قرأت فى أَحد وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها أَن اللهتعالى لم يُعْطِ جميعَ الناس من بدءِ الدنيا إلى انقضائها من العقل فى جنب عقل محمد صلى الله عليه وسلم إلا كحبّة رمل من بين جميع رمال الدنيا ، وإن محمدا صلى الله عليه وسلم أَرجح الناس عقلا[1] .

وسيأتى لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى فى الكلام على عقله صلى الله عليه وسلم .

«الأَرحم» : أَفْعَل: من الرَّحمة أى أَكثر الناس رحمة ، وسيأتى بيانها إن شاء الله تعالى .

«أَرْحَم الناس بالعيال» : وسيأتى الكلام عليه فى باب شفقته صلى الله عليه وسلم .

«الأَزَجّ» : بفتح الزاى وتشديد الجيم أَىأَزجّ الحاجبين أَى المقوَّس الحاجب الوافر شعره . كما سيأتى بيان ذلك فى باب صفاته صلى الله عليه وسلم .

«الأَزْكَى» : بالزاى : الطاهر ، أَفْعَل من الزكاة وهى الطهارة أَى أَزْكَى العالمين . أى أَطهرهم .

«الأَزْهَر» : من الزهارة وهى الرونق . روى مسلم عن أَنس رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزْهَر اللون[2] ، قال الإِمام النَّووى : معناه أَبيض مستنير فهو بمعنى ما رواه ابن حِبّان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبْيَض . ولهذا مزيد بيان فى باب صفة لونه صلى الله عليه وسلم .

«الأَسَدّ» : بفتح الهمزة والسين وتشديد الدال المهملتين: المستقيم وهو أفعل : من السَّدَد محركةً كالسداد وهو الاستقامة والتوفيق للصواب من القول والعمل، يقال : سَدَّدة تسديدا : إذا[3] قوَّمه ووفقه للسداد . وسَدَّ يَسِدّ، كفَرَّ يفِر :صار سديدا أَى مستقيما واستَدّ :استقام. وأَسَدَّ: أَصاب السداد أَو طلبه[4]. وسَدّ الثلمَة : أَصْلَحها وأَوثقها .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم أَكثر الناس مُلْكا وأُنسا وجَمْعا[5] وسَدَادا أَى استقامة وتوفيقا وإصلاحاً لِثَلم الرأى وإصابةً للصواب ، لأَن جميع ما يصدر منه صلى الله عليه وسلم ولو على سبيل الاجتهاد مستند إلى الوحى ، ولهذا كان اجتهاده صلى الله عليه وسلم

---

(١) لم أجده فى حلية الأولياء لأبى نعيم فى ترجمة وهب بن منبه ، ولا فى دلائل النبوة المطبوع .

(٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١١٣ . (٣) ط : أى قومه .

(٤) ص ت م : أو طلب . (٥) ط ص : وجنا ، وما أثبته من ت م .

لا يخطئ كما صوَّبه السُّبكى ، ولهذا مزيد بيان فى أبواب عصمته صلى الله عليه وسلم .

«أشْجَع الناس» : من الشجاعة وهى شدة القلب عند البأس ، وتقدم فى أَحْسَن، وسيأتى الكلام عليه فى باب شجاعته صلى الله عليه وسلم .

«الأَشَدّ حياءً من العذراء فى خِدْرِها» : أىأ كثر حياء . والحياء يُمَدّ ويُقْصر وهىانقباض النفس عن القبيح مخافةَ الذم ، وسيأتى الكلام على ذلك فى باب حيائه صلى الله عليه وسلم .

«الأَشْنَب» : بالمعجمة وفتح النون فموحدة من الشَّنَب محركا وهو رونق الأَسنان ورقة مائها . وقيل رقتها وعذوبتها[1] ، وسيأتى بيانه إن شاء الله تعالى فى باب صفة فمه وأَسنانه صلى الله عليه وسلم .

«الأَصْدَق» : أَفعل تفضيل . للمبالغة[2] وأَصله الثبوت والقوة يقال رجل[3] صدق إذا كان قويا على الطعن ثابتا فيه ، ولا أَحدَ أَقْوَى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أَثْبَت على الحق منه ، فهو صلى الله عليه وسلم أَصْدَق الناس لهجة وأَثبت على الحق وأَقوى فى الله . وفى حديث على رضى الله تعالى عنه عند الترمذى فى الشمائل : هو أَصْدَق الناس لَهْجة .

وهذا الاسم مما سمَّاه الله تعالى به من أَسمائه قال الله تعالى (وَمَنْ أَصْدَقُ مِن اللهِ قِيلاً)[4]

«أَصْدَق الناس لَهْجة» : وتقدَّم معناه . واللَّهجة بفتح الهاء وسكونها لغةً : اللسانُ . وقيل طرفه أى أَصدق الناس لسانا .

«الأَطْيَب» : أى الأَفضل والأَشرف ، أَو الأَكثر طيبا . أى أَفْعَل : من الطيب وهو حُسْن الرائحة .

«الأَعَزّ» : بمهملة فمعجمة : أَفْعَل : من العِز أَى الكثير العِزَّة وهى الغلبة والقوة .

«الأَعْظَم» : أَى أَحسن الناس خَلْقا وخُلقا لأَنه أَفعل : من العظمة وهى ترجع إلى كمال الذات وتمام الصفات ، وذلك غاية الحُسْن وكماله .

«الأَعْلَى» : أَفْعَل : من العُلُوّ وهو الرفعة ، أَى الأَكثر علوًّا أَى رفعةً على غيره . قال أبو حفص

---

(١) ط : وعذبها .

(٢) ص : من المبالغة .

(٣) كذا فى ص ت م ، وفى ط : يقال رمح صدق .

(٤) سورة النساء ١٢٢ .

النَّسَفِى رحمه الله تعالى فى تفسيره : وهو مما سمّاه الله تعالى به من أسمائه ، وأورد فيه قوله تعالى : (وهو بالأُفُق الأَعْلَى[1]) وفى الأخذ من الآية نظر .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : ولم يظهر لى وجه الأخذ منه لأنَّا وإن جعلنا الضمائر فى « استوى » و« هو » و « دنَا » « فتدلَّى » « فكان » للنبى صلى الله عليه وسلم وهو قولٌ مرجوح فى التفسيرلم يصحّ أيضا جَعْل الأعلى صفةً له لأن الضمير لا يوصف كما تقرر فى النحو إلا على رأيٍ ضعيف وكأنّه جعله حالاً من ضمير استوى . وجملة « وهو بالأُفق » مبتدأ وخبر حالاً أيضاً . والتقدير : فاستوى الأعلى أى عليًّا حالة[2] كونه بالأُفق وهو بعيد جدا ولم يظهر لى فيه غير ذلك .

« الأَعْلَم بالله » : والمراد العلم بالله تعالى وصفاته وما يجب له كما قال فى حديث ضعيف رواه الإمام أحمد : « أنا أتقاكم للهِ[3] وأَعْلمكم بحدود الله » وهو فوق العِلْم المتعارَف ، فذاك يأتى بيانه فى شرح اسمه العالِم .

الأَغرّ : بالغين المعجمة والراء : الشريف الكريم الخيار . قال حسان بن ثابت ــ رضى الله تعالى عنه ــ يمدحه صلى الله عليه وسلم :

أَغَــرٌّ عليه للنبــوّة خاتَمٌ ... من الله مشهودٌ يَلُــوح ويشهدُ[4]

« أفصح العرب » : كذا ورد فى حديث ذكره أصحاب الغريب بهذا اللفظ . قال الحافظ العلامة عماد الدين بن كثير والشيخ ــ رحمهما الله تعالى : ولم نقف على سنده . وروى أيضا : « أنا أفْصَح من نطق بالضاد بيد أنىِّ من قريش » أى من أجل أنى منهم[5] .

ومعنى أفصح من نطق بالضاد : أفصح العرب لأنهم هم الذين ينطقون بها ، وليست فى لغة غيرهم . وأفْصَح : أفعل تفضيل من فَصُح الرجل : جادت لغته لا من أفْصَح إذا تكلم بالعربية ، لأن أفعل التفضيل لا يُبنى إلا من ثُلاثى[6] . وفى الصِّحَاح : رجل فصيح وكلام فصيح أى بَلِيغ . ولسانٌ فصيح أى طَلْق .

---

(١) سورة النجم ٧ .

(٢) ط : حال .

(٣) ط ت م : بالله . وما أثبته من ص .

(٤) ديوانه ٤٧ (ط صادر) .

(٥) ص ت م : أى من أجل أنى من قريش ، أى أجل أنى منهم ، وما أثبته من ط .

(٦) ت م : إلا من ثلاث .

ومَرْجع الفصاحة إما إلى الوضوح ، ومنه : أَفْصَح الصبحُ إذا بدا ضَوْءه . ويقال لكل واضح : مُفْصح . أو إلى الخُلوص. ومنه : أَفصَح اللبنُ إذا أُخذتْ منه الرغوة ولهذا مزيد بيان فى باب بيان صفاته الحسّية صلى الله عليه وسلم .

« أَكثر الأَنبياء تبعا » : بفتح التاء الفوقية والموحَّدة : جمع تابع كخدَم جمع خادم .

روى مسلم عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « إنّ من الأَنبياء من يأتى يومَ القيامة ما معه مُصَدِّق غير واحد[1] » وقولُه صلى الله عليه وسلم فى حديث أبى هريرة « وأرجو أن أكون أكثرهم تَبعا[2] » لعله قبل أَن يُكْشَف له عن أُمته ويراهم . وقد حقق الله تعالى رجاءه صلى الله عليه وسلم كما سيأتى بيان ذلك فى الخصائص .

« الأَكْرَم » : المتصف بزيادة الكرم على غيره . وقال بعض العلماء : الكرم كالحرية إلا أنها تقال فى صغير المحاسن وكبيرها ، والكرم لا يقال إلا فى كبيرها فقط ولذا قال تعالى : « إنّ أَكْرَمكم عند الله أَتْقَاكم »[3].

روى الدارِمىّ عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « أنا أكرم الأَوَّلين والآخرين على الله ولا فخر[4] » .

ومن كرامته صلى الله عليه وسلم على ربه أنه[5] أقسم بحياته وأشفق عليه فيما كان يتكلفه من العبادة وطلب منه أن يقلِّلها ، ولم يطلب ذلك من غيره بل حضَّهم على الزيادة ، وأَقْسَم له أنه من المرسَلين وأَنه ليس بمجنون وأَنه لعَلى خُلق عظيم وأَنه ما ودَّعه وما قلاَه . وولد صلى الله عليه وسلم مختونًا لئلا يرى أَحدٌ عورته ، واستأذن عليه ملَك الموت فى الدخول وفى قَبْض روحه الزكية ولم يفعل ذلك بأَحد قبله .

وهذا الاسم مما سماه الله تعالى به من أَسمائه قال تعالى : « وربُّك الأَكْرَم[6] » ومعناه : الذى

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٣٣٢ ، ونصه : « وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد » .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الاعتصام وكتاب فضائل القرآن ، ومسلم فى صحيحه كتاب الإيمان حديث رقم ٢٣٩ .

(٣) سورة الحجرات ١٣ .

(٤) سنن الدارمى ٢٦/١ ، وصحيح الترمذى ٢٨٣/٢ .

(٥) ط : أن .

(٦) سورة العلق ٣ .

له الكمال فى زيادة الكَرَم[1] على كل كريم . أو الذى أنعمَ على عباده بالنعم التى لا تُحصَى ويَحْلُم عليهم فلا يعاجلهم بالعقوبة على كفرانها سبحانه وتعالى .

« أَكْرَم الناس » .

« أَكْرَم ولد آدم » . كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى حديث الشفاعة .

« الإكليل » : التاج . ويقال التاج المدوَّر . وهو صلى الله عليه وسلم تاج الأنبياء ورأس الأصفياء ، وسمِّى به – صلى الله عليه وسلم – لشرفه وعلوه، أو لإحاطة رسالته وشمولها كما سمى[2] الإكليل لإحاطته بالرأس .

« الأَمْجَد » : أَفْعَل من المجد وهو الشرف .

« الآمِر الناهِى » : اسما[3] فاعل من الأمر والنهى قال تعالى : (يأمُرهم بالمعروف ويَنْهاهم عن المنْكَر[4]) وكان ذلك فى حقه صلى الله عليه وسلم فرض عَيْن كما قاله الجُرْجَانى فى شافيته وفى حَقِّ غيره فرض كفاية . قال الشرف البوصيرى رحمه الله تعالى :

نبيُّنا الآمِرُ الناهى فلا أَحــد أبرُّ فى قول « لا » مِنْه ولا « نَعم »

قال العَزَفِىّ : وهذا الوصف على الحقيقة لله تعالى ، ولكنه لمّا كان الواسطة بين الله تعالى وعبيده أضيف إليه ذلك إذ هو الذى يُشاهَد آمِرا وناهيا ويُعْلم بالدليل أن ذلك واسطة ونقل من الذى له ذلك الوصف حقيقةً . انتهى .

والأَمْر له معان، المقصود منها هنا : طلب إيجاد الشئ . والنَّهْى : طلب تركه[5] ويُعتبر فيهما العلوّ على الأصح عند الشيخ أبى إسحاق الشيرازى – رحمه الله تعالى – وجماعة من أهل الأصول أى كون الطالب عالى[6] الرُّتْبة على المطلوب منه والاستعلاء بأن يكون الطلب بعظمة على الأصح عند الإمام الرازى والآمِدىّ وابن الحاجب .

إذا عُلم ذلك ففى وصف الله تعالى له صلى الله عليه وسلم بالآمر والناهى دلالة على علوّ شأنه واستعلاء منصبه ورفع[7] قدره على جميع الأنام ، وينشأ من هذا وجوبُ امتثاله

---

(١) ص ت م : فى زيادة الإكرام .
(٢) ط : كما يسمى .
(٣) ص ت م : اسم فاعل .
(٤) سورة الأعراف ١٥٧ .
(٥) ص ت م : طلب الترك .
(٦) ص ت م : على الرتبة .
(٧) ط : ورفعة قدره .

صلى الله عليه وسلم وطاعته فيا أمر به ونهى عنه كما قال تعالى : (وما آتاكُم الرسولُ فخُذوه وما نَهاكم عنه فانتهوا[1]) .

الإمام : المقتدَى به فى الخير أو غيره يطلق على الواحد نحو (إنِّى جاعِلُك لِلنَّاسِ إمَامًا[2]) والجمع نحو (وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إمَامًا[3]) قال حسان ـ رضى الله تعالى عنه ـ بمدحه صلى الله عليه وسلم :

إمامٌ لهم يهديهم الحقَّ جاهـدا   مُعَلِّم صِدْق إن يطيعوه يَهْتَدُوا[4]

وسمى به صلى الله عليه وسلم لاقتداء الخَلْق به ورجوعهم إلى قوله وفعله ـ زاده الله تعالى شرفا وفضلا .

« إمام الخير » : روى ابن ماجه عن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : إذا صلَّيتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يُعرض عليه . قالوا له : علِّمنا . قال : قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمَتك وبركاتك على سيِّد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه المقامَ المحمود الذى يَغْبطه فيه[5] الأوَّلون والآخِرون[6] » .

« إمام العالَمين » : العالَم بفتح اللام[7] اسم جنس غير علَم يجمع على عَوالم وعلى عالَمين أيضا إن قلنا باختصاصه بمن يعقل وأنه اسم للثَّقَلَيْن خاصة كما ذهب إليه الزمخشرى ـ رحمه الله تعالى ـ لاشتقاقه من العِلْم ، وإن قلنا بعدم اختصاصه بهم وأنه اسم لِمَا سِوَى الله تعالى ـ وهو الصحيح ـ لأنه مشتق ـ من العلاَمة بمعنى أن كل موجود يدل على وجود البارى سبحانه وتعالى ، فليس العالمون جمعًا له لأنه عامّ والعالمون خاص بمن يعقل ، والجمع لا يكون أخصَّ من المفرد ؛ ولذا قال سيبويه ـ رحمه الله تعالى ـ : ليس الأعراب الذين هم من أهل البادية جمعًا للعَرب الذين يطلقون عليهم وعلى أهل القرى .

---

(١) سورة الحشر ٧ .   (٢) سورة البقرة ١٢٤ .
(٣) سورة الفرقان ٧٤
(٤) ديوانه ص ٥٥ ، وفى ت ، م ، ص : يرشدوا ، وما أثبته من ط موافقاً لرواية الديوان .
(٥) ط : به .
(٦) سنن ابن ماجه حديث رقم ٩٠٦ (كتاب إقامة الصلاة) .
(٧) ط : بالفتح .

قال الإمام البغَوِىّ رحمه الله تعالى : « وقد اختُلف فى مبلغ العوالم فعن سعيد بن المسيَّب . ألف : ستمائة فى البحر ، وأربعمائة فى البرّ . وقال مُقَاتِل : ثمانون ألف عالم : أربعون فى البر ، وأربعون فى البحر . وقال كعب : لا يحصِى عددَ العوالم إلا الله تعالى (وما يَعْلم جُنودَ رَبِّك إلا هو[1] » .

إمام العامِلين : جمع عامِل أى العُبَّاد .

إمام المتَّقين : أى الذين يقتدون به ويتبعون هَدْيه : جمع مُتَّقٍ ، وهو من اتقى الشرك وتجنَّب الشكَّ والمخالَفات . وتقدَّم فى إمام الخير .

« إمام النبيين » .

« إمام الناس » : روى الإمام أحمد والترمذى عن أبى بن كعب – رضى الله تعالى عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم القيامة كنتُ إمامَ النبيين[2] وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر » ولفظ الإمام أحمد : كنت إمام الناس[3] .

ونكتة تخصيصه بيوم القيامة يأتى فى اسمه صلى الله عليه وسلم : « سيِّد الناس » .

« الأمان » : روى الإمام أحمد والترمذى عن أبى موسى – رضى الله تعالى عنه قال : أمَانان كانَا على عَهْد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رُفع أحدهما وبَقِى الآخر (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم وَأَنْتَ فِيهِم وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرون[4]) .

ولفظ الترمذى : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل الله علىَّ أمانين لأمَّتِى » فذكره . وزاد : « فإذا مضيتُ تركت فيكم الاستغفار إلى يوم القيامة[5] » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمانًا لأمته وقومه من العذاب ، إذ درأه الله تعالى عنهم بسبب كَوْنه فيهم . قال بعضهم : النبى صلى الله عليه وسلم هو الأمان الأعْظم ما عاش وما دامت سُنَّته باقية فهو باق ، فإذا أُميتت فانتظروا البلاء والفِتَن !

« الأَمَنة » : روَى البيهقى عن أبى موسى – رضى الله تعالى عنه – قال : رفع رسولُ الله – صلى

---

(1) سورة المدثر ٣١ .　　(2) ت م : إمام المتقين .

(3) مسند أحمد ١٣٧/٥ ، ١٣٨ ، وصحيح الترمذى ٢٨٢/٢ .

(4) سورة الأنفال ٣٣ ، والحديث فى مسند أحمد ٣٩٣/٤ ، ٤٠٣ (ط الميمنية) .

(5) صحيح الترمذى ١٨١/٢ (كتاب التفسير) ، ونصه : « . . . إذا مضيت لتركت فيكم الاستغفار » .

الله عليه وسلم ـ رأسه إلى السماء فقال : «النجومُ أَمَنة السماء فإذا ذهبت النجوم أَتى السماء ما تُوعد ، وأَنا أَمَنة أَصحابى فإذا ذهبتُ أَتى أَصحابى ما يوعدون ، وأَصحابى أَمنةٌ لأمتى فإذا ذهب أَصحابى أَتى أُمتى ما يوعدون[1] » .

والأُمَنة بضم الهمزة وفتح الميم وبفتح الهمزة أَيضا : الوافر الأَمانة الذى يؤتمن على كل شيء . وسمى صلى الله عليه وسلم بذلك لأَن الله تعالى استأمنه على وحيه . أَو الحافظ أَى حافظ لأَصحابه يدفع به الله قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن ، ولا ينافى هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا أَراد الله بأمةٍ رحمةً[2] قَبض نبيَّها قَبْلَها » لاحتمال أَن يكون المراد برحمتهم أَمْنهم ـ من المسْخ والخسف ونحو ذلك من أَنواع العذاب، وبإتيان ما يوعَدون من الفتن بينهم[3] بعد أَن كان بابها مُنْسدًّا[4] عنهم بوجوده صلى الله عليه وسلم أَو معنى الأَمن كما فى قوله تعالى : (إذ يُغَشِّيكم[5] النعاسَ أَمَنَةً مِنه[6]) وسمى به صلى الله عليه وسلم لأَنه أَمان المؤمنين من العَذَاب والكافرين من الخَسْف والعقاب .

« الأُمّة » : الجامع للخير المقتدَى به أَو المعلِّم للخير . وأَصل الأُمة : الجماعة . وسمى به صلى الله عليه وسلم كما سمِّى به إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لأَنه اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من الأَوصاف الحميدة والخصال الجميلة ما لم يجتمع فى أُمة كثيرة من الناس .

الٓمٓ . الٓمٓرٓ[7] . المصٓ ذكرها « د » والمشهور أَنها من أَسماء الله تعالى فإن صحَّ ما قاله كانت مما سمَّاه الله تعالى به من أَسمائه وقد بسطتُ الكلام على ذلك فى كتاب « القول الجامع الوجيز الخادم للقرآن العزيز » .

« الأَلْمعِىّ » : بالهمز أَوله والياء آخره : الحديد القلْب واللسان، الذكىّ المتوقِّد ، مأخوذ من لَمْع النار وهو لهبها وإضاءتها كأَنه لفرط ذكائه إذا لمع أَول الأَمر عَرف آخره كما قال أَوْس بن حُجْر[8] :

---

(١) الحديث فى صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢٠٧ .
(٢) ط : رحمة أمة .
(٣) ص ت م : منهم .
(٤) ص : مسدوداً .
(٥) الأصل : إذ يغشاكم .
(٦) سورة الأنفال ١١ .
(٧) ص ت م : المر . الر .
(٨) الأصول : أوس بن صخر ، محرفة ، والبيت من شواهد اللسان ٢٠٣/١٠ ، ورواية اللسان : .. يظن لك الظن ..

الأَلْمَعِىّ الذى يظُنّ بك الظنَّ كأَنْ قد رأى وقد سَمِعَا

ومثله الأَلْمَع بلا ياء . واليَلْمَع بالتحتية أوله كيسمع . واليلمعى بياءين أوله وآخره . هذا هو الصحيح المشهور ، الموجود فى نسخ القاموس المعتمدة وغيره من كتب اللغة . وأما ما فى بعض نسخه تبعا لقول الليث : اليلمع: الكذّاب مأخوذ من اليلمع وهو السَّراب فخطأ باطل . كما قال الأزهرى وغيره من أئمة اللغة ، مستدلاً بأن العرب لم تضعه إلا فى موضع المدح . قال : وما علمت أحدا من أئمة[1] اللغة قال كما قال الليث رحمه الله تعالى .

« الآمِن » : بالمد وكسر الميم كصاحب : الخالص التقى والشريف النقى ، وهو اسم فاعل من الأَمن وهو طمأنينة النفس وزوال الخوف كالأَمان والأَمانة . يقال أَمِن كفرح أَمْنا وأَمَانًا بفتحهما وأَمَنًا وأَمَنَةً محركين وإمْنا بالكسر فهو آمن وأَمِن كفَرِح ، وأَمين كأمير[2] .

وسمِّى به صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى أمَّنه يوم القيامة فقال تعالى : (يَوْمَ لا يُخْزِى اللهُ النبيَّ[3]) والحكمة فى ذلك أن يفرغ إلى شفاعة أمته إذا قال سائر النبيين[4] : نَفْسى نفسى ، ولو لم يؤمنه كان مشغولا كغيره من الأنبياء . انتهى

وقد ورد فى تأمينه صلى الله عليه وسلم حديث رواه الطبرانى فى الأوسط بسند واهٍ . ولأنه صلى الله عليه وسلم كان آمنا من شر الخلق وكيدهم ، لأن الله تعالى عصمه من الناس وحمَاه منهم[5] . كان صلى الله عليه وسلم إذا خرج بعث معه عمُّه أبو طالب من يَكْلَؤه حتى نزلت (والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس[6]) فذهب ليبعث معه فقال : يا عمّ قد عصَمنى الله فلا حاجة لى بذلك . كذا فى شرح النظم ، وفيه نظر لقوله بعد : إن الآية نزلت عام تبوك ، وأبو طالب ـ مات قبل الهجرة . والله تعالى أعلم .

ولا يُسْتشكَل ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : « مازالت أَكْلة خيبر تُعادّنى[7] فقطعت أَبْهَرى » لأن الآية نزلت عام تبوك والسم قبلها بخيبر ، ولا ما وقع له من الأذى يوم أُحد

---

(١) ط : من أهل اللغة .
(٢) ت م : كأسير .
(٣) سورة التحريم ٨ .
(٤) ط : الأنبياء .
(٥) ط : من الناس .
(٦) سورة المائدة ٦٧ .
(٧) ص ت م : تعاودنى .

لأن المراد يعصمك من القتل وعليه أن يحتمل ما دون النفس . وأما أمْره بعد ذلك بالحراسة فللتشريع .

قوله : « تُعَادّنى » قال فى الصحاح : العِدَاد : اهتِياج وَجع اللديغ[1] وذلك إذا تمّت له سَنة مُذْ يوم لُدِغ اهتاج به الألم ، يقال عادّته اللسعة : إذا اشتد العداد .

« الأمين » : ذكره ابن فارس . ومعناه : القوى الحافظ الذى يوثق بأمانته ويُرغب فى ديانته ، فَعيل بمعنى فاعل من أمُن ككرم فهو أمين وأمّان كرُمّان . قال الله تعالى : (إنّه لقَولُ رسولٍ كريم ذى قوةٍ عند ذى العرش مَكِين مطاع ثمّ أمين[2]) فى أحد القولين ، ونسبه القاضى لأكثر المفسرين ، أن الرسول المذكور : محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد كان يُدْعى بذلك فى صغره لوقاره وصِدْق لهجته وهديه واجتناب القاذورات والأدناس . قال كعب بن مالك فيه صلى الله عليه وسلم :

أمينٌ مُحَبٌّ فى العِباد مُسَوَّم ... بخاتم ربٍّ قاهـرٍ للخواتم

وسيأتى قولُ قريش عند إرادة بناء البيت[3] : هذا الأمين[4] .

روى مسلم عن أبى سعيد الخدرى – رضى الله تعالى عنه – مرفوعا : « ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبرُ من فى السماء صباحا ومساء[5] » وسمّى بذلك لأنه حافظ الوحى قوى على الطاعة .

أو : المأمون . أى المؤتمن بفتح الميم ، فعيل بمعنى مفعول من الائتمان وهو الاستحفاظ والوثوق بالأمانة ، يقال : أمِنه كسمعه وأمّنه وائتمنه واستأمنه أى استحفظه ووثق بأمانته فهو أمين ومأمون ، أى موثق به . وسمّى صلى الله عليه وسلم بذلك لأن الله تعالى ائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خَلْقه وكساه من الأمانة التى هى ضد الخيانة حُلّة وافرة وتوّجه بتاج الصدق المرصّع بدررها الفاخرة . والمراد فى قوله تعالى : (إنا عَرضْنا الأمانةَ على السموات والأرض[6]) الفرائض المفروضة . وقيل : النية القلبية لأن الله تعالى ائتمن العباد عليها ، ولم يُظْهرها لأحد من خَلْقه ، فمن أضمَر التوحيد مثل ما أظهره فقد

---

(1) ط : اللذيع .

(2) سورة التكوير ١٩ – ٢١ .

(3) ص ت م : بناء الكعبة .

(4) فى ص زيادة : إن شاء الله تعالى .

(5) صحيح مسلم كتاب الزكاة حديث رقم ١٤٣ ، ١٤٤ .

(6) سورة الأحزاب ٧٢ .

أدى الأمانة ، ومن لا فلا . وقيل : المراد بها العقل . وقيل : العدالة . وقيل غير ذلك .

« الأمّى » : قال تعالى : (الذين يتّبعون الرسولَ النبيَّ الأمىّ[1]) وهو الذى لا يُحْسن الكتابة ، كما فى الحديث : « إنَّا أمة أمّية لا نَحْسب ولا نكتب[2] » نسبة إلى الأمّ كأنه على الحالة التى ولدته أمُّه . وكانت الأمية فى حقه صلى الله عليه وسلم معجزةً وإن كانت فى حق غيره ليست كذلك . قال القاضى - رحمه الله : لأن معجزته العظمى القرآن العظيم إنما هى متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما مُنح صلى الله عليه وسلم وفضِّل به من ذلك . ووجود مثل ذلك ممن لا يقرأ ولا يكتب ولا يُدَارِس[3] ولا لُقِّن مُقتضى[4] العجب ومنتهى العِبَر ومُعْجزة[5] البشر ، وليس فيه إذ ذاك نقيصة ، إذ المطلوب من القراءة والكتابة المعروفة[6] ليست المعارف والعلوم إلى آخر ما تقدم ، وإنما هى آلة ووساطة موصِّلة إليها غير مرادة فى نفسها ، فإذا حصلت الثمرة والمطلوب استُغْنى عن الواسطة .

تنبيـــه :

قال القاضى - رحمه الله : من وصَف النبيَّ صلى الله عليه وسلم بالأُمّية أو نحوها من اليُتم وما جرى عليه من الأذى ، فإن قصد بذلك مقصده من التعظيم والدلالة على نبوّته صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك كان حسنا ، ومن أراد ذلك على غير وجهه وعُلم منه سوء قَصْده لحق بما تقدم ، أى بالسابّ[7] فيُقتل أو يؤدّب بحسب حاله . ولهذا مزيد بيان يأتى فى الخصائص إن شاء الله تعالى .

الأَمّى : قرىء بها . قال ابن عطية - رحمه الله : هو منسوب إلى الأَمّ بمعنى القصد ، أى أن[8] هذا النبى مَقْصد للناس وموضع أَمّ ، يَؤُمّونه فى أفعالهم[9] وشَرْعهم . فعلى هذا يكون اسمًا آخر . وقال ابن جِنّى : يحتمل أنه بمعنى الأُمّى غُيِّر تغيير النَّسَب فيكون لغة أخرى لا اسما آخر .

---

(١) سورة الأعراف ١٥٧ .
(٢) الحديث فى صحيح البخارى ٢٤٨/١ (كتاب الصوم) .
(٣) ص ت م : ولا يدرس ، وما أثبته من ط .
(٤) ص ت م : يقتضى .
(٥) ص ت م : وعجزة .
(٦) ط : المعرفة .
(٧) ص : بالسباب .
(٨) ص : أى أم .
(٩) ط : بأفعالهم .

«أَنْعُم الله» : بفتح الهمزة وضم المهملة، جمع نِعْمة فى الأَصل وهى الإِحسان وسمِّى بذلك لأَنه نعمة من الله تعالى على عباده وبعثته رحمة لهم ، وحصل بوجوده للخَلْق نِعَم كثيرة منها الإِسلام والإِنقاذ من الكُفْر والأَمْن من الخَسْف .

«أَنْفَس العَرَب» : قال الله تعالى : (لقد جاءكم رسولٌ من أَنْفسِكم[1]) على قراءة الفتح، وقد روى الحاكم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ : «أنفَسكم» بفتح الفاء أى من أَعْظمكم قَدْرا .

وأَنْفس : أَفْعل من النَّفَاسة وهى الشَّرف والعلوّ والعز ، ومنه : دُرٌّ نَفِيس أى عزيز المثل . والجمهور أن المخاطب بهذه الآية العرب ، وإذا كان صلى الله عليه وسلم أنفَسهم كان أنفس الخَلْق ، لأَنهم أَفضل من غيرهم ولكن إنما فضلهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه منهم قال الشاعر :

وكم أَبٍ قد علاَ بابنٍ ذُرَى شَرفٍ كما عَلتْ برسولِ الله عَدْنانُ

«أَوْفَى الناس ذِمَامًا» : بكسر الذال المعجمة أى أكثرهم حُرْمة وأَشدهم مهابة قال حسان – رضى الله تعالى عنه :

وما حَملتْ من ناقةٍ فَوْق رَحْلها أَبَرَّ[2] وأَوْفى ذِمَّةً من محمدِ

«الأَنْورَ المتجرِّد» : أى المشرق. والمتجرِّد بفتح الراء: كل ما يتجرد عنه من بدنه فيُرى[3].

«الأَوَّاه» : بتشديد الواو . قال ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما : كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدعو : «ربِّ اجعلنى شَكَّارًا لك ذكَّارا لك رهَّابا لك مِطْواعا لك مُخْبتا لك أَوَّاهًا منيبا[4]» الحديث . قد اختُلف فى معنى الأَوَّاه على أقوال حاصلها : أنه الخاشع المتضرع فى الدعاء المؤمن التوَّاب والموقن المنيب الحفيظ بلا ذَنْب ، المسبِّح المستغفر بلا خطأ ، الحليم الرحيم المطيع المستكنّ إلى الله تعالى ، الخائف الوجِل الذاكر التالى للقرآن ، وهو صلى الله عليه وسلم متصف بجميع ذلك .

«الأَوسط» : العادل أَو الخيار من كل شئ ويرحم الله تعالى القائل :

---

(١) سورة التوبة ١٢٨ .

(٢) ط : أعز .

(٣) من ط .

(٤) الحديث أخرجه أحمد فى مسنده ١/٢٢٧ .

يا أُوسطَ الناسِ طُرًّا فى تفاخرهم   وفى تفاضلهم يا أشْرف العرب[1]

وقد وصف الله تعالى أمته صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : (وكذلك جعَلْناكم أُمَّةً وسَطا[2]) أى عدولا خيارا وأهل دين وسط بين الغُلوّ والتقصير .

« الأَوْلَى » : أى الأَولى بالمؤمنين من أنفسهم أى أجدر وأحْرَى فى كل شئ من أمور الدنيا والدين من أنفسهم . وسيأتى لهذا مزيد بيان فى الخصائص إن شاء الله تعالى .

الأَوَّل : السابق المتقدم على غيره ، أو الذى يُقْتَدى به ، وهو هنا غير مصروف لكونه جُعل علما له صلى الله عليه وسلم ولوزن الفعل ، ثم هو عند البصريين صفة جارية فى اللفظ مطلقا مجرى أَسْبَق الذى هو أفعل تفضيل من السَّبْق فيلزم إفراده وتذكيره وإيلاؤه من حيث جُرِّد من اللام ، وإن نويت إضافته بنى على الضم .

« الآخر » : ضد الأَول : اسم فاعل من التأَخر ضد التقدم . وفى حديث أَنس عند البيهقى فى قصة الإسراء : ثم لقى خَلْقا من خَلْق الله تعالى فقالوا : السلام عليك يا أَوَّل ، السلام عليك يا آخر ، السلام عليه يا حاشِر ، فقال له جبريل : اردد السلامَ يا محمد .

وفى حديث أَبى هريرة فى الإسراء عند البزار : « وجعلتُك أَوّلَ النبيين خَلْقا وآخرهم بَعْثا » .

روى مسلم عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا سيِّد ولد آدم يوم القيامة وأَول من تنشقّ عنه الأَرض ، وأَول شافِع ، وأَول مشفَّع[3] » .

وهذان الاسمان من أسمائه تعالى . ومعنى الأَول فى حقه : السابقُ للأَشياء قبل وجودها بلا بداية والآخر للأَشياء بعد فنائها بلا نهاية . قال القاضى : وتحقيقه أنه ليس له أَوَّل ولا آخر .

« أَوّل الرّسل خَلْقا » .

« أَوّل شافع » : أى طالب للشفاعة .

« أول مُشَفَّع » : بفتح الفاء : الذى يشفع فتُقْبل شفاعته وهى السؤال فى التجاوز عن المذنبين ويأتى الكلام عليه فى أبواب حشره صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ط : وأكرم الناس أما برة وأبا ، موافقاً لشرح المواهب ١٢٣/٣ .

(٢) سورة البقرة ١٤٣ .   (٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٣ .

« أوّل المسلمين » : أى المقتدَى به فى الإسلام .

« أول من تنشق عنه الأرض » : يأتى الكلام عنه فى أبواب حشره صلى الله عليه وسلم .

« أول المؤمنين » : أى المقتدى به فى الإيمان .

« آية الله » : ذكره الشيخ رحمه الله تعالى ولم يزد فيه .

روى ابن المنذر عن مجاهد رحمه الله تعالى فى قوله تعالى : (سَنُرِيهِم آياتِنَا فِى الآفَاقِ[1]) قال : محمد صلى الله عليه وسلم لأنه العلامة الظاهرة . قال الراغب رحمه الله تعالى : واشتقاقها من أى لأنها تبين شيئا من شئ أو من أوى إليه لأنه يُؤْوَى إليها ليُستدل بها على المطلوب[2] .

وسمى بذلك لأن الله تعالى جعله علَما على طريق الهدى ، وعلَما يستدل به على الفوز الأبَدى ويُقْتدى[3] به وقرئ (إن الذين كفروا بآيَةِ[4] الله لهم عذابٌ شديد) قيل المراد بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

حرف البـاء

«البارع » : من بَرع الشيء مثلث الراء بَراعةً وبُروعا : إذا فاق أقرانه فضلاً وعِلْما ورجح عليهم حلما وحُكْما .

« البارِقْليط » : بباء موحَّدَة فألف فراء مكسورة فقاف ساكنة فلام فمثناة تحتية فطاء مهملة . قال القاضى : هو اسمه صلى الله عليه وسلم فى الإنجيل ، ومعناه روح القُدس وقال ثعلب : الذى يَفْرق بين الحق والباطل ، وقيل : الحامد ، وقيل الحمَّاد ، وقال الشيخ تقى الدين الشُّمُنِّى رحمه الله تعالى : وأكثر أهل الانجيل على أن معناه المخلِّص .

« الباطن » : المطَّلع على بَواطن[5] الأُمور بالوحى ، وهو من أسمائه تعالى ، ومعناه المستتر عن الأبصار فلا نراه ، والمطَّلع على بواطن الأُمور فلا يعتريه فيها اشتباه . وقيل الباطن بذاته والظاهر بآياته . وقيل : الذى لا تُدْرك كنهه العقولُ ولا تدركه الحواس .

وكان معناه فى حقه صلى الله عليه وسلم : الذى لا تُدْرك غايةُ مقامه وعِظَم شأنه الذى خصه الله تعالى به لقصر العقول عن ذلك . وقد أشار إلى ذلك صاحب البردة رحمه الله تعالى بقوله :

---

(١) سورة فصلت ٥٣ .

(٢) ص : على العلامة .

(٣) ط : ويهتدى .

(٤) ط : بآيات الله .

(٥) ط : على حقائق .

أَعْيَى الورَى فهمُ معناه فليس يُرَى   للقُرْب والبُعْد فيــه غير مُنْفحمِ
كالشمس تظهر للعينين من بُعـد   صغيرةً وتُكِلّ الطَّـرْفَ من أَمَم
وكيف يُدْرِك فى الدنيا حقيقتَـه   قومٌ نِيامٌ تَسلَّوا عنـه بالحُلُمِ
فَمَبْلغ العِلْم فيــه أنــه بشَرٌ   وأنــه خيــر خَلْق الله كلهم

صلى الله عليه وسلم وزاده شرفا وفضلا لديه .

« البالغ » .

« البيان » : ذكرهما شيخنا أبو الفضل القَسْطَلاَّنى رحمه الله تعالى[1].

« الباهر » : بالموحدة آخره راء فى قصص الأنبياء للكسائىّ أن الله سبحانه وتعالى قال لموسى صلى الله عليه وسلم : إن محمداً هو البَدْر الباهر ، أى لأنه بهر بنوره[2] نورَ الأنبياء أى غلبه فى الإضاءة لكثرة الانتفاع[3] به والاقتباس منه ، مأخوذ من قولهم بَدْرٌ باهرٌ . أى غالبٌ نورُه نورَ الكواكب . أو لأنه صلى الله عليه وسلم غلَب بحسنه جميع الخلائق[4] من قولهم بهرَتْ فلانة النساء أى غلبتهن حسنا أو لأنه ظاهر الحجة من قوله :

لقد بَهَرْتَ فلا تَخْفَى على أحـدٍ   إلا على أكْمــهٍ لا يَعْرف القمرَا

«الباهى» : الحسن الجميل . اسم فاعل من البهاء والحسن . والرونق ، يقال: بَهِى كرَضِى فهو باء، وبَهِىّ وإعلاله كإعلال قاض[5] .

« البحر» : فى[6] الأصل : خلاف البَرّ ثم غلبَ على الماء الكثير الواسع العُمْق، ويطلق على كل نهر عظيم ، ويقال للفرس الواسع الجرْى بَحْر .

وسمى به صلى الله عليه وسلم كما فى قصص الأنبياء للكسَائِىّ لأن[7] الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه إن محمداً البحرُ الزاخر . أى لعموم نَفْعه لأنه طاهر فى نفسه مطهر لغيره ممن اتبعه ، ولسعة كرمه ، فقد قال أنس رضى الله تعالى عنه : ماسُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئا إلا أعطاه . قال : فسأله رجل غنما بين جبلين فأعطاه

---

(١) شرح المواهب ١٢٤/٣ قال الزرقانى : اسمان كأن الشامى لم يقف عليهما لغير المصنف ، ثم ذكر بعد أنه يمكن قراءة البيان بالجر بالإضافة إلى البالغ فيكون اسماً واحداً مركباً تركيباً إضافياً .

(٢) ص ت م : بهر نوره .

(٣) ط : وكثر الانتفاع به .

(٤) ط : جميع الخلق .

(٥) ص ت م : كإعلاله .

(٦) ص ت م : قال فى الأصل .

(٧) ص ت م : أن الله .

إياها ، فأتى قومه فقال[1] : ياقوم أسلموا فوالله إن محمدا لَيعطى عطاء من لا يخاف الفقر[2] .

ولهذا مزيد بيان يأتى فى باب كرمه صلى الله عليه وسلم .

« البَدْءُ » : بدال مهملة مهموز : السيد الذى يُبدأ به إذا عُدَّت السادات لكونه أجلَّهم .

« البديع » : صفة مشبَّهة من « أبْدعَ » المتعدى بجعله لازما مَنْقولا[3] إلى فَعُل أى المبدع فى الحسن والجمال أى المستقل بذلك والمنفرد به ، وهو من أسمائه تعالى . ومعناه موجد الشئ بغير آلة ولا مادة .

« البَدْر » : القمر المستكمِل ، سُمِّى بَدْرا لتمامه صلى الله عليه وسلم ولكماله وعلوِّ شرفه . وفى قصص الكسَائىّ أن الله تبارك وتعالى قال لموسى فى مناجاته : إنَّ محمدا هو البَدْر الباهر والنجم الزاهر والبحر الزاخر .

« البَرّ » : بفتح الموحدة اسم فاعل من البِرّ بالكسر وهو الإحسان أو الطاعة أو الصِّدْق[4] . ومثله المبرَّة ، يقال بَررْتُ والدى بالكسر أبَرّه بِرًّا فأنا بَرّ وبارّ وجمع البَرّ : الأبرار . وجمع البارّ البَرَرَة . وفلان يبَرّ خالقه أى يطيعه ، وبَرَّ فى يمينه أى صدَق .

وعن إدريس النبى صلى الله عليه وسلم : مِن أفْضل البر ثلاثة : الصدق فى الغضب ، والجُود فى العسرة ، والعفو عند المقدرة .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : البِرُّ حُسْن الخلق[5] » . وسمى صلى الله عليه وسلم به لأنه كان من ذلك بمكان .

وهو من أسمائه تعالى ومعناه البالغ فى الإحسان والصادق فيما وعد .

البَرْقَليطِس : قال ابن إسحاق ومتابعوه رحمهم الله تعالى : هو محمد صلى الله عليه وسلم بالرومية . قال الشيخ رحمه الله تعالى ورأيته مضبوطا بفتح الباء الموحدة وكسرها وفتح القاف وكسر الطاء .

« البُرْهان » : روى ابن أبى حاتم عن سُفيان بن عُيَيْنة رحمه الله تعالى فى قوله تعالى :

---

(١) ص ت م : وقال.
(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الفضائل حديث رقم ٥٧ .
(٣) ص ت م : مفعولا .
(٤) ص ت م : أو الصدقة .
(٥) أخرجه الترمذى فى صحيحه ٦٣/٢ (كتاب الزهد باب ما جاء فى البر و الإثم) .

« قد جاءكم بُرْهانٌ من ربِّكم[1] » قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم وجزم به ابن عطية والنسَفى ولم يَحْكيا غيره .

والبرهان فى اللغة : الحجة . وقيل : الحجة النيِّرة الواضحة التى تُعطى اليقين التام . والنبى صلى الله عليه وسلم برهان بالمعنيين لأنه حُجّة الله تعالى على خَلْقه وحجة نَيِّرة واضحة لما معه من الآيات والمعجزات الدالة على صدقه . وهذا الاسم مما سمَّاه الله تعالى به من أسمائه فإنه منها ، كما ورد فى حديث ابن ماجه .

« البشَر » : بشين معجمة محركة فى الأَصل : الإِنسان لظهور بشَرته وهى ظاهر الجلد من الشعر ، بخلاف سائِر الحيوانات[2] لأَنها مستترة الجلد بالشَّعر والصوف والوبَر .

وسمِّى به صلى الله عليه وسلم لأَنه أَعْظم البشر وأَجلُّهم كما سمِّى بالناس من تسمية الخاص باسم العام قال تعالى : « قُلْ إنما أَنا بَشَر مِثْلكم[3] » نبّه تعالى بذلك على أَن الناس متساوون فى البشَرية غير متفاضلين فى الإِنسانية ، وإنما يتفاضلون[4] بما يتخصصون به من المعارف الجليلة ، ولذا قال بعده « يوحَى إلىّ » تنبيها على الجهة التى حصل بها الفضل عليهم ، أَى أَنى تميّزت عليكم وخُصصت من بَيْنكم بالوحى والرسالة .

« بشرى عيسى » : بضم الموحدة وسكون الشين المعجمة فُعْلى من البشارة وهى الخبر السّار أَى المبشَّر به قال الله تعالى حاكيا عن عيسى صلى الله عليه وسلم : (ومبشِّرا بِرَسُول يأْتى مِنْ بَعْدى اسْمُهُ أَحْمد »[5] .

وفى المستدرَك أَن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أَنا دَعْوة أَبى إبراهيم وبشرى عيسى[6] .

فائدة :

الأَنبياء المبشَّر بهم خمسة : محمد ، وعيسى ، وإسحاق ، ويعقوب ويحيى صلى الله وسلم عليهم أَجمعين .

---

(١) سورة النساء ١٧٤ .
(٢) ص ت م : سائر الحيوان .
(٣) سورة الكهف ١١٠ .
(٤) ط : يتفاوتون .
(٥) سورة الصف ٦ .
(٦) المستدرك للحاكم ٢/٦٠٠ .

«بِمْأُذْبِمْأذ» : بكسر الباء وسكون الميم وضم الهمزة وسكون المعجمة . عَزَاه «د» للسِّفر الأَول من التوراة قال : فالباء باثنين ، والميم بأَربعين ، والأَلف بواحد ، والذال فى حسابهم بأَربعة كالدال المهملة ، والميم الثانية بأَربعين والأَلِف بواحد ، والذال بأَربعة فتبلغ اثنين وتسعين وهو موافق فى العدد بالجُمَّل[1] لاسم النبى صلى الله عليه وسلم .

وذكر القاضى فى الشِّفاء ماذماذ بالميم أوله[2] . قال الشيخ : وأَخشى أن يكون هو هذا فتحرَّف . قلت : ونقله ابن القيّم فى «جِلاء الأَفهام» عن نص التوراة وعن نص بعض شُرّاحها من مؤمنى أَهل الكتاب ، وذكر الكلام الذى ذكره «د» فيكون صوابه ماذماذ فصحَّ ما قاله الشيخ رحمه الله تعالى .

« البليغ » : الفصيح الذى يَبْلغ بعبارته كنه ضميره .

« البَهاء » : بالمد : العز والشرف . سمى به[3] صلى الله عليه وسلم لأَنه شرف هذه الأُمة وعِزها .

« البَهِىّ » : بالموحدة كالعلىّ : الحسن العاقل . تقول[4] بَهِى الرجل بكسر الهاء وبهُو بضمها فهو بهى بالكسر .

«البَيِّنة» : الحجة الواضحة . قال تبارك وتعالى « لَمْ يَكُنِ الَّذِين كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ والمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ البَيِّنَة رسولٌ من الله[5] » أى محمد صلى الله عليه وسلم ، فرسول بدل أو عطف بيان للبيِّنة .

قال ابن عطية رحمه الله تعالى : والهاء فى البَيِّنة للمبالغة كهاء عَلاَّمة ونسابة .

«البَيَان» : الكَشْف والإِظهار أو الفصاحة أو اجتماعها مع البلاغة وإظهار المقصود بأَبلغ لفظ ، يقال فلان أَبْيَن من فلان أى أفصح منه قيل : والفرق بينه وبين التِّبْيان الذى هو مِفْعال بكسر التاء أن البيان إظهار بغير حجة : والتبيان الإِظهار بالحجة . أو هو بمعنى المبيِّن أى المظهر للناس ما أُمروا به ونُهوا عنه والموضِّح لهم ما خَفِى عليهم من أمر دينهم .

---

(١) ص ت م : بالعدد بالجملة ، محرفة ، وما أثبته من ط .

(٢) الشفا ص ١٩٥ (ط استامبول) .

(٣) ط : بذلك .

(٤) ص : يقال .

(٥) سورة البينة ١ ، ٢ .

حرف التـــاء

« التالِى » : المتَّبع لمن تقدمه . قال تعالى « ثم أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبعْ مِلَّة إِبْرَاهِيمَ حَنِيفا »[1] أو من التلاوة وهى القراءة ، قال تعالى : « كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنا »[2]. أى القرآن .

« التَّذْكِرة » : ما يتذكَّر به الناسِى وينتبه به الغافل ، مصدر ذكَّره مضاعفا . قال الراغب وهى أعمّ من العلاَمة والدليل ، لأنهما يختصان بالأمور الحسِّية ، والتذكرة لا تختص بذلك بل تكون للأمور الذهنية أيضا . وسمى بذلك لما تقدم . قال تعالى : (وإِنَّه لَتَذْكِرَةٌ للمتَّقين[3]) قيل : المراد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

« التقِى » : قال القاضى : وجد على الحجارة القديمة مكتوب : « محمد تقى مُصْلح سيِّد أمين » وهو فَعِيل من التقوى . وسيأتى لهذا مزيد بيان فى المتقى .

« التلقيط » : ذكره « ع » وقال : هو اسمه فى كتب الروم .

« التنزيل » : هو بمعنى المنزَّل أى المرسَل أو المنزل إليه أى الموحى إليه القرآن . قال تعالى : (تنزيلٌ من ربّ العالمين)[4] قيل هو محمد . وقيل القرآن، فعلى الأوّل هو بمعنى قوله تعالى : (رسولٌ من الله) .

« التِّهَامى » : بكسر التاء نسبة لتهامة « ع » وهو من أسماء مكة وتهامة من مكة . وتهامة : ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز، سميت بذلك لتغير هوائها يقال تَهِم الدُّهْن . إذا تغيَّر : وقال ابن فارس : هى من تَهَم بفتحتين وهى شدة الحر وركود الريح .

حرف الثـــاء

« ثانى اثنَيْن » : أخذ من الآية ، أى أحد اثنين ، وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصِّديق رضى الله تعالى عنه : وفى هذه الآية الدليل الواضح على شدة مبالغته صلى الله عليه وسلم فى الأدب مع ربه تعالى ومحافظته عليه فى حال يُسْره وعُسْره حيث قدَّم فى هذا المقام اسم ربه استلذاذا به وإجلالا له .

---

(١) سورة النحل ١٢٣ . (٢) سورة البقرة ١٥١ .

(٣) سورة الحاقة ٤٨ .

(٤) الأصل : تنزيل من الله ، محرفة ، وهى الآية رقم ٨٠ من سورة الواقعة .

«الثِّمال» : ذكره « ط » ولم يتكلَّم عليه . وهو بكسر المثلثة وتخفيف الميم : العِمَاد والملجأ والمغيث والمعين والكافى ؛ قال جده يمدحه :

وأبيضُ يُسْتسقَى الغمامُ بوجهه ثِمَال اليتامىَ عصمةٌ للأَرامل[1]

وعصمة الأَرامل أى يمنعهم بما يضرهم . قال ذلك جده والنبى صلى الله عليه وسلم فى حال الطفولية لمَا توسَّمه فيه من الخير وتنسَّمه من البركة . وقد يستدل بالظاهر على الباطن كما قال :

وقَلَّ من ضُمِّنتْ خيرًا طَوِيّته إلا وفى وَجْهه للخير عنـــوانُ

أو بضمها. ومعناه : المنقطع إلى الله تعالى الواثق بكفايته .

حرف الجيم

« الجامع » .

«الجبَّار» : قال : « ياد » : سماه الله تعالى به فى كتاب داود فقال : تقلَّد سيفك أيها الجبار فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك .

ومعناه فى حق الله تعالى : المصلح للشيء ، أو المصلح له بضَرْب من القهر ، أو العلى العظيم الشأن وقيل المتكبِّر .

ومعناه فى حقه صلى الله عليه وسلم : إما لإصلاحه الأمة بالهداية والتعليم، أو لقهر أعدائه أو لعلوّ منزلته على البشَر وعظم خطره ، ونفى عنه تعالى جَبْرية التكبر التى لا تليق به فقال تعالى : (وما أَنْتَ عَلَيْهِم بجَبَّار)[2] انتهى .

وفى الصِّحَاح الجَبْر : أن تُغْنِى الرجلَ من فقر أو تصلح عَظْمه من الكسر ، وأَجْبرته على الأَمر أكرهته ، وقال ابن دُرَيْد : الجبَّار العظيم الخُلق ، والجبار المسلَّط على الناس ، وبه فَسَّر ابن عباس : « وما أنت عليهم بجبَّار »[3] أى بمسلَّط . قال : وهو منسوخ بآية القتال . قال الشيخ رحمه الله تعالى : فيكون حينئذ جبارًا بمعنى المسلَّط بعد أمره بالقتال ، وهو الذى يناسب سِياق الزَّبُور . وقال فى الشرح : أو المراد ما أنت بمُكْرِه لهم على الإيمان إنما أنت داع وهاد .

---

(١) البيت منسوب لأبى طالب ، وليس لعبد المطلب ، انظر سيرة ابن هشام ١/٢٩٥ (ط الحلبى الأولى) .

(٢) سورة ق ٤٥ . (٣) سورة ق ٤٥ .

«الجَدّ» : بفتح الجيم وضمها : العظيم الحظّ الجليل القَدْر، أو بكسرها وفتحها أيضا بمعنى الحظ والحظوة . أى صاحب الحظ العظيم عند الخَلق والحظوة عند الحق . أو بكسرها فقط بمعنى الاجتهاد فى الأَمر أى ذو الاجتهاد فى العبادة ودأب النفس فى طلب السيادة .

«الجليل» : صفة مشبهة أى العظيم . وقيل هو من كملت صفاته . والعظيم: من جلّت صفاته وكبرت ذاته ، وفرق بين الجلال والجمال بأَنه صفة سلبية والجمال صفة ثبوتية وهو من أَسمائه تعالى ، ومعناه المنعوت بنعوت الجلال فهو راجع إلى كمال الصِّفات ، كما أن الكبير راجع إلى كمال الذات والعظيم راجع إلى كمالهما قاله ابن الأثير .

قال الكِرْمانى : فإن قيل : ما الفرق بين الجلال والعظمة والكبرياء ؟ قيل : هى مرادفة . وقيل نقيض الكبير الصغير ونقيض الجليل الدقيق . ونقيض العظيم الحقير — وبضدها تتبيّن الأَشياء .

وإذا أطلقت على البارئ تعالى فالمراد لوازمها بحسب ما يليق به . وقيل : الكبرياء ترجع إلى كمال الذات ، والعظمة إلى كمالها . انتهى . والمراد بكمال الصفات الثبوتية : عدم ثبوت نقيضه ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا ـ كالجهل والفَناء وغيرهما .

«الجَهْضَم» : بالجيم والمعجمة الساقطة كجعفر : العظيم الهامة المستدير الوجه الرَّحْب الجبين الواسع الصَّدْر ، وهذه الأَوصاف مجتمعة فيه صلى الله عليه وسلم .

«الجوَّاد» : بالتشديد مبالغة فى الجَواد بالتخفيف . قال القُشَيْرى رحمه الله تعالى : حقيقة الجواد أَن لا يصعب عليه البَذْل . وأول مراتب الكَرم : السخاء ، ثم الجُود ، ثم الإيثار . فمن أَعطى البعض وأَبْقى البعضَ فهو السخىّ ، ومن بذل الأَكثر وأَبقى شيئا فهو الجواد ، ومن قاسَى الضُّر وآثر غيرَه فهو المؤْثِر . ولهذا مزيد بيان فى باب كرمه وجوده صلى الله عليه وسلم .

«الجوَاد» : بالتخفيف : الكريم السخى الطائع الملِىّ صفة مشبهة من الجود وهو سعة الكرم أو الطاعة .

حرف الحاء المهملة

« الحاتم » : قال : « يا » هو من أسمائه فى الكتب السالفة . حكاه كَعْب الأَحْبار. قال ثعلب: ومعناه أَحسن الأَنبياء خُلقا . قال فى الشرح : هو بفتح المثناة الفوقية كما رأَيته مضبوطا بالقلم فى نسخة معتمدة من الشفاء ورأَيته فى الصِّحَاح بالكسر . لكن قال : هو القاضى .

قلت : لم يذكر فى الصحاح أَنه من أَسماء النبى صلى الله عليه وسلم وإنما قال : الحاتِم القاضى . وكذا ذكره فى الديوان فى فاعِل بكسر العين . والله تعالى أَعلم .

« الحاشر » : ذكر فى الأَحاديث السابقة فى الباب الثانى بلفظ « أَنا الحاشر الذى يُحْشَر النَّاسُ على عَقِبِى » وفى لفظ « على قدَمى » وبلفظ : « أَنا الحاشر الذى يُحشر الناس معى على قدمى » قال القاضى : واختلف فى معنى : « على قَدمى » فقيل : على زمانى وعهدى ، إذ ليس بعده نبى . وقيل : يُحشر الناس بمشاهدتى كما قال تعالى : « ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُم شَهِيداً »[1] وقال الخطَّابى وابن دِحْية : معناه على أَثَرى أى أنه يَقْدُمهم وهم خَلْفه ، لأَنه أَول من تنشقّ عنه الأَرض ، ثم يحيى كل نفس فيتبعونه .

قال الخطابى : ويدل على هذا المعنى رواية : « على عَقِبِى » وقال العزَفى: القَدم عبارة عن الأَثر لأَنه منه ، وقيل: المعنى على أَثرى ، لأَن الساعة على أَثره أَى قريبة من مبعثه. كما قال صلى الله عليه وسلم : « بُعثت أَنا والساعة كهاتين » . قال الحافظ : ويحتمل أَن يكون المراد بالقدَم الزمان أَى وقت قيامى على قدمى تظهر علامات الحشر ، إشارة إلى أَنه ليس بعده نبىّ ولا شريعة . ويرجح هذا ماوقع فى رواية نافع بن جُبير : « وأَنا الحاشِر بُعثت مع الساعة » وقيل : على مشاهدتى قائما لله على الأُمم. واستشكل التفسير بأَنه يقتضى أَنه محشور ، فكيف يفسر به حاشر وهو اسم فاعل ؟ وأُجيب بأَن إسناد الفعل إلى الفاعل إضافة والإضافة تصح بأَدنى ملابسة ، فلما كان لا أُمة بعد أُمته ، لأَنه لا نبىَّ بعده نسب الحشر إليه لأَنه يقع بعده .

قوله « على عَقِبِى » بكسر الموحدة على الإفراد، ولبعضهم بالتشديد على التثنية والموحدة مفتوحة وكذلك قوله : « قدمى » روى بالإفراد والتثنية .

---

(١) سورة البقرة ١٤٣ .

تنبيه : قد وصف الله تعالى نفسه بالحشر فى قوله : « ويوم يَحْشُرهم[1] » « وَحَشَرْناهم[2] » فيكون هذا الاسم مما سماه الله تعالى به من أسمائه .

« حاط حاط » : قال « ع » : هو اسمه فى الزبور .

« الحافظ » : وهو من أسمائه تعالى . ومعناه فى حقه تعالى : صيانة جميع الموجودات عن العدم وصيانة المضادات[3] بعضها من[4] بعض . قال الغزالى رحمه الله تعالى : والحافظ من العباد: من يحفظ جوارحه وقلبه ويحفظ دينه عن سطوة الغضب وصلابة الشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان ، وهو اسم فاعل من الحفظ ، وسمى به لأنه الحافظ للوحى والأُمة ، ولا يقدح فى وصفه بالحفظ وقوع النسيان منه صلى الله عليه وسلم ، كما روى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع قراءة رجلٍ فى المسجد فقال : « رحمه الله تعالى لقد أذْكرنى آية كذا كنت نسيتها » لنُدْرة ذلك منه ، والحكم إنما هو للأَغلب ، ولهذا مزيد بيان يأتى فى أبواب عصمته صلى الله عليه وسلم .

« الحاكم » : أخذه « د » من قوله تعالى : « إنَّا أَنْزَلنا إليك الكتابَ بالحق لتحكمَ بين الناس »[5] .

« الحامد » : اسم فاعل من الحمد ، وهو الثناء على الله تعالى بما هو أهله . قال « د » : ذكره كعب . وذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى قال : رأت أُمه صلى الله عليه وسلم فى منامها قائلا يقول : إنكِ حملت بخير البرية وسيد العالمين فإذا ولدتيه فسميه محمدا فإن اسمه فى التوراة حامد[6] وفى الإنجيل أحمد .

حامل لواء الحمد : روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر »[7]

وسئل الشيخ رحمه الله تعالى عن لواء الحمد هل هو لواء حقيقى أو معنوى ؟ فأجاب بأنه معنوى وهو الحمد ، لأن حقيقة اللواء الراية ولا يمسكها إلا صاحبُ الجيش ، فالمراد من الحديث أنه سيّد الناس وإمامهم يوم القيامة . وأنه يُشْهر بالحمد إذ ذاك .

---

(١) سورة الأنعام ١٢٨ .
(٢) سورة الكهف ٤٧ .
(٣) ص ت م : المضادة .
(٤) ط : عن بعض .
(٥) سورة النساء ١٠٥ .
(٦) ت م : أحمد .
(٧) صحيح الترمذى ٢/٢٨٢ .

وقد ذكر ابن الأثير نظير هذا فى حديث : «لِكل غادِر لواء» أى علامة يُشْهر بها فى الناس لأَن موضوع اللواء شهرة مكان الرئيس . ولهذا مزيد بيان فى أبواب حشره صلى الله عليه وسلم .

[«الحامى» : بالمهملة : المانع لأُمته من العِدَى والحافظ لها من الردى . أو حامى البيت والحرم ومبعده من أَيدى ذى الجُرْم . أَو سمى بذلك لأَنه صلى الله عليه وسلم كان له أَن يحمى لنفسه وإن لم يقع ذلك منه][1]

«الحائِد لأُمته من النار» : اسم فاعل من حاد يحيد ، أَى يميل أُمته عن النار .

«حبيب الله» : هو فعيل من المحبة بمعنى مفعول أَو بمعنى فاعل . ورد ذكره فى عدة أَحاديث . قال القاضى : وأَصلها الميل إلى مايوافق المحب ، ولكن هو فى الحق من يصح منه الميل والانتفاع بالرفق وهى درجة المخلوق ، فأَما الخالق تعالى فمنزه عن الأَعراض فمحبته لعبده تمكُّنه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة أَسباب القُرْب له ، وإضافة رحمته عليه ، وقُصْواها كَشْف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر إليه ببصيرته ولسانه فيكون كما فى الحديث . «فإذا أَحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يُبْصر به ولسانه الذى ينطق به» .

وقال فى الاصطفاء : وقد يقال كما فى شرح المواقف إن محبتنا له تعالى كيفية روحانية مترتبة على تصور الكمال المطلق له تعالى على الاستمرار ومقتضية للتوجه التام إلى حضرة قدسه بلا فتور وقرار ، ومحبتنا لغيره كيفية تترتب على تخيّل كمالٍ فيه من لذة أَو شفقة أَو مشاكلة كمحبة العاشق لمعشوقه والمنعَم عليه للمنعم ، والوالد للولد ، ثم هى عندنا كالرضى والإرادة مع ترك الاعتراض كما مر ، وقيل الإرادة فقط فيترتب على ذلك كما فى «الإرشاد» أَنه تعالى لا يتعلق به محبة على الحقيقة لأَنها إرادة ، والإرادة لا تتعلق إلا بمتجدد ، وهو سبحانه لا أَول له لأَن المريد إنما يريد ماليس بكائن أَو إعدام مايجوز عدمه وما ثبت قِدَمه واستحال عدمه لا تتعلق به إرادة[2] . والفرق بينه وبين الخليل[3] أَن الخليل من امتحنه ثم أَحبه والحبيب الذى أَحبه بلا محنة . انتهى .

---

(1) سقط من ص ت م . وهى فى ط : قبل حامل لواء الحمد .

(2) ص : الإرادة .

(3) ص : والفرق بين الخلة والمحبة أن الخليل ... الخ .

واختلف فى مقام المحبة والخُلَّة أيهما أرفع ؟ فقيل : هما سواء ، فلا يكون الخليل إلا حبيباً ولا الحبيب إلا خليلا . وقيل : درجة المحبة أرفع . ونقله القاضى عن الأكثر ، لأن درجة الحبيب نبينا صلى الله عليه وسلم أرفع من درجة الخليل صلى الله عليهما وسلم .

وقيل إن درجة الخُلَّة أرفع ؛ لحديث : « لو كنت متخذاً غير ربى لا تخذتُ أبا بكرٍ خليلا[1] » فلم يتخذه وقد أطلق المحبة لفاطمة وابنيها وأسامة وغيرهم . وسيأتى فى الخليل أن المحققين على ذلك .

وذكر أهلُ الإشارات فى تفضيل المحبة كلامًا حسنا فقالوا : الخليل اتصل بواسطة (وكذلك نُرِى إبراهيمَ ملكوتَ السموات والأرض[2]) والحبيب بدونها (فكان قاب قوْسين أو أدْنَى[3]) والخليل مغفرته فى حد الطمع : (والذى أطْمَعُ أن يَغْفِر لى خَطِيئَتى يومَ الدِّين[4]) والحبيب مغفرته فى حد اليقين : (ليَغْفرَ لك الله ما تقدم من ذَنْبك وما تأخَّر)[5] والخليل قال فى المحنة « حسبى الله » والحبيب قيل له : (يا أيها النبى حَسْبُك الله)[6] والخليل قال : (واجعلْ لى لسانَ صِدْق[7]) والحبيب قيل له (ورفَعْنا لك ذِكْرك[8]) فأعطى بلا سؤال . والخليل قال (واجْنُبْنى وبنىّ أن نَعْبد الأصنام[9]) والحبيب قيل له : (إنما يُريد الله لِيُذْهب عنكم الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهِّركم تطهيرا[10]) وحاصل ما ذكره القاضى يقتضى تفضيل ذات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على ذات سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم لا يقال باعتبار ثبوت وصف الخُلَّة له فيلزم ذلك ، لأنا نقول : كلٌّ منهما ثابت له وصف الخلة والمحبة ، إذ لا يُسْلب عن إبراهيم وصف المحبة لاسيما والخُلَّة أخص من المحبة ، ولا يسلب عن نبينا صلى الله عليه وسلم وصف الخُلَّة لا سيّما وقد ثبت فى حديث أبى هريرة قوله تعالى له ليلة المعراج : قد اتخذتُك خَليلا .

وقد قام الإجماع على فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء ، بل هو أفضل خَلْق الله مطلقا .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢/٢٣٣ .
(٢) سورة الأنعام ٧٥ .
(٣) سورة النجم ٩ .
(٤) سورة الشعراء ٨٢ .
(٥) سورة الفتح ٢ .
(٦) سورة الأنفال ٦٤ .
(٧) سورة الشعراء ٨٤ .
(٨) سورة الانشراح ٤ .
(٩) سورة إبراهيم ٣٥ .
(١٠) سورة الأحزاب ٣٣ .

وقوله إن الخليل اتصل بالواسطة لا يفيد غرضا فى هذا المقام الذى هو بصدده وليس المراد به قطعا إلا الوصول إلى المعرفة ؛ إذ الوصول الحسّى يمتنع على الله تعالى . وأما قوله : والحبيب يصل إليه . فالوصول إلى الله تعالى لا يكون إلا به حبيبا كان أو خليلا وأما قوله : « الخليل هو الذى يكون مغفرته فى حد الطمع » إلى آخره فإنه لا يصلح أن يكون على وجه التفسير للخليل ولا تعلُّق له بمعناه . وقصارى ما ذكره يعطى تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم فى حد ذاته من غير نظر إلى ما جعله علة معنوية فى ذلك من وصف المحبة والخُلَّة .

« حبيب الرحمن» : ورد فى حديث المعراج عن أبى هريرة . رواه البزّار وغيره .

« حبَنْطَى » : قال « ع » هو من أسمائه فى الإنجيل وتفسيره : يَفْرق بين الحق والباطل .

« الحجازى » : نسبة إلى الحجاز وهو مكة واليمامة وقُرَاهما وسمّى حجازًا لأنه[1] حجَز بين تهامة ونجد .

«حجة الله على الخلائق » : فى الفردوس بلا إسناد : « وأنا حجة الله » وهو بمعنى البرهان .

« الحجة البالغة » : الحجة : الدلالة المبينة للمحَجَّة أى القصد المستقيم . والبالغة : الكاملة التى لا نقصان فيها .

« حِرْز الأميين » : أى حافظهم ومانعهم من السوء . روى البخارى وغيره عن عطَاء بن يسَار قال : لقيت عبدَ الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « أجل والله إنه لموصوف فى التوراة[2] ببعض صفته فى القرآن (يا أيها النبىّ إنَّا أَرْسَلْناك شاهدًا ومبشِّرا ونَذِيرا) وحِرْزًا للأميين »[3] الحديث .

والحِرْز : المنع[4] والأميون : العرب أى يمنعهم من العذاب والذل .

فإن قيل : هو صلى الله عليه وسلم حرز للعرب ولغيرهم من الخَلْق ، فلم خصَّهم بالذكر ؟ أجيب : بأنه لما كان عليه الصلاة والسلام منهم قُصِد بتخصيصهم بالذكر التنصيص

---

(١) ط ت م : لأنها .
(٢) ط ت م : بالتوراة .
(٣) صحيح البخارى ١٢/٢ (ط الأميرية) كتاب البيوع باب كراهية السخب فى الأسواق وهو فى كتاب التفسير أيضاً .
(٤) ص : المنيع .

عليهم زيادة فى الاعتناء بهم وبشأنهم وتنبيهًا لبنى إسرائيل على عظم شأنهم ورفعتهم بهذا النبى صلى الله عليه وسلم الذى يخرج منهم وأن غيرهم كالتابع لهم.

« الحرَمِىّ » : نسبة إلى الحرم المكى وقد تقدم بيانه .

« الحَرِيص » : فعيل بمعنى فاعل من الحرص وهو شدة الإرادة للمطلوب . قال تعالى : (حَرِيصٌ عليكم[1]) أى على إيمانكم وهدايتكم .

« الحريص على الإيمان » : وقد تقدم[2] معناه فى الذى قبله .

« حِزْب الله » : الحزب : الطائفة من الناس . وقيل : جماعة فيها غلظ . وحزب الله : عبيده المتقون وأنصار دينه .

« الحَسِيب » : فعيل: بمعنى مُفْعِل من أحسبنى الشئ: إذا كفانى . ومنه (عطَاءً حِسَابا[3]) أو الشريف[4] الكريم من الحسَب محركا وهو ما يُعدّ من مفاخر الآباء أو الدين أو الكرم ، أو الشرف فى الفعل أو الآباء . والحسَبُ كالكرم قد يكون لمن لا آباء له شُرَفاء ، والشرف كالمجد لا يكون إلا بهم ، يقال حَسُب حَسابةً كخَطُب خَطَابة وحَسَبًا محركا فهو حَسِيب من حُسَباء .

وهو بمعنى المحاسِب أو المكافى من أسمائه تعالى . قال الغزالى رحمه الله تعالى : وليس للعبد مَدْخل فى هذ الوصف إلا بنوع من المجاز بأن يكون كافيا لطفله بتعهده أو لتلميذه بتعليمه حتى لا يفتقر إلى غيره . انتهى .

وهذا المعنى صحيح فى حقه صلى الله عليه وسلم لأنه كافٍ لأمته جميعَ ما تحتاج إليه من أمور الدنيا والآخرة بحيث لا يحتاجون إلى غيره صلى الله عليه وسلم .

« الحَفِيظ » : فَعِيل من الحِفْظ وهو صَوْن الشىء عن الزوال[5] فإن كان فى الذهن فضده النسيان ، أو فى الخارج فضده التضييع .

وهو من أسمائه تعالى ، وكلا المعنيين يصح إطلاقه عليه تعالى ، لأن الأشياء محفوظة فى علمه لا يطرأ عليه[6] نسيان ويحفظ الموجودات من الزوال . وقيل : معناه الذى

---

(١) سورة التوبة ١٢٨ .
(٢) ط : تقدم .
(٣) سورة النبأ ٣٦ .
(٤) ط : أو الكريم .
(٥) ص ت م : عن الذل .
(٦) ط عليها .

يحفظ سرّك من الأغيار ويَصُون ظاهرك عن مرافقة الفُجّار .

وأما قوله تعالى : (وما أَنَا عَلَيْكُم بحَفِيظ)[1] فمعناه : لست أَحفظ أَعمالكم وأجازيكم عليها . وقوله تعالى : (فما أَرْسَلناك عليهم حفيظا[2]) أى لتحفظهم حتى لا يقعوا فى الكفر والمعاصى أَو لتحصى مساوئهم وذنوبَهم فتحاسبهم[3] عليها .

وقد ذكر أَن هذه الآية منسوخة بآية القتال فهو صلى الله عليه وسلم بعد الأَمر به حفيظ بالمعنى الأَول بمعنى[4] أَن يردّهم عنه ويقاتلهم عليهم . وبالمعنى الثانى لأَنه يشهد عليهم يوم القيامة وهو أَبْلَغ من الحافظ .

« الحفِى » البَرّ اللطيف . يقال : حَفِيتُ بفلان وتحفَّيت به[5] إذا اعتنيت[6] فى كرامته .

« الحق » : الثابت ، وأَصله المطابقة للواقع أَو المحِقّ أَو المظهر للحق . قال تعالى : « جاءكم الحق من ربِّكم[7] » « حتى جاءهم الحقُّ ورسول مبين »[8] « فقد كذَّبوا بالحقِّ لما جاءهم[9] » على أَحد القولين أَن الحق هنا هو النبى صلى الله عليه وسلم . وقيل هو القرآن . قال تعالى « وشَهِدوا أَنَّ الرسولَ حَقّ »[10] وفى حديث الصحيح[11] « ومُحمدٌ حق » وهو الثابت . وهذا الاسم من أَسمائه تعالى ومعناه الموجود المتحقق أَمره وإلاهيته ، أَو الموجِد للشئ حسب ما تقتضيه حكمته تعالى ، وفى حقه صلى الله عليه وسلم المتحقق صدقه ونبوته .

فائدة :

فرَّق الإمام فخر الدين رحمه الله تعالى بين الصدق والحق ، بأَن الصدق نسبة الشئ إلى الواقع ، والحق نسبة ما فى الواقع إلى الشيء .

« الحكَم » : بفتح أَوله وثانيه : الحاكم أَو المانع ، وهو من أَسمائه تعالى ، ومعناه الحاكم الذى لا رادَّ لحكمه ولا معقِّب لقضائه ؛ قال تعالى : « أَفغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِى حَكَمًا[12] » أَى مانعا .

---

(١) سورة هود ٨٦ .
(٢) سورة النساء ٨٠ .
(٣) ط : وتحاسبهم .
(٤) ط : يعنى أنه .
(٥) ص ت م : عنه .
(٦) ط : إذا أعتنه .
(٧) سورة يونس ١٠٨ .
(٨) سورة الزخرف ٢٩ .
(٩) سورة الأنعام ٥ .
(١٠) سورة آل عمران ٨٦ .
(١١) ص ت م : وفى حديث الشفاعة ، والحديث فى صحيح البخارى .
(١٢) سورة الأنعام ١١٤ .

« الحكيم » : قال « ع » : لأنه عَلِم وعَمِل وأذعن لربه . قال الشيخ رحمه الله تعالى : وهو فَعِيل من الحكمة . قال تعالى : « يعلِّمهم الكتاب والحكمة »[1] « ذلك مما أوْحى إليك ربُّك من الحكمة[2] » والمتصف بالحكمة علما وتعليما حكيم . واختلف فى المراد بالحكمة فى قوله تعالى « يؤتى الحِكْمَةَ من يشاء[3] » الآية . فقيل : النبوة . وقيل: المعرفة بالقرآن والفهم فيه . وقيل : الإصابة فى القول وقيل: العلم المؤدى إلى العمل . وقيل: السنة . وقيل: خشية الله . لحديث : «رأس الحكمة مخافة الله » . رواه ابن مردويه . وقال الإمام مالك : إنه لَيقع فى قلبى أن الحكمة هو الفقه فى دين الله تعالى وأمرٌ يُدخله الله تعالى فى القلوب من رحمته وفضله . ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلاً فى أمر الدنيا إذا نظر فيها ، وتجد آخر ضعيفا فى أمر دنياه عالمًا بأمر دينه بصيرا به يؤتيه الله إياه ويحرمه[4] هذا . انتهى إلى هنا .

وهو صلى الله عليه وسلم حكيم بالمعانى المذكورة كلها .

قال فى الشرح : هو المتْقن للأُمور. وفَعِيل بمعنى مُفْعِل من الإحكام وهو الإتقان ، أو بمعنى فاعل من الحكم وهو المنع للإصلاح ، وهو أعم من الحكمة ، وكل حكمة حكم ولاعكس؛ لأن الحكم أن نقضى على شئ بشئ إيجابا أو سلبا . أو ذو الحكمة وهى معرفة أفضل[5] الأشياء بأفضل العلوم وإصابة الحق بالعلم والعقل . والمراد بها فى حقه تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام . وفى حق الإنسان : معرفة الموجودات وفعل الخيرات .

« الحليم » : قال « د» هو موصوف به بالتوراة ، وهو اسم فاعل للمبالغة من حَلُم بالضم ككريم من كَرُم ، يقال حَلُم فهو حليم إذا صار الحِلْم طبعا له وسجيّةً من سجاياه . قال أبو طالب يمدحه صلى الله عليه وسلم :

حليمٌ رشيــدٌ عادِلٌ غيــر طائشٍ يوالى إلهاً ليس عنــه بغافلِ[6]

والحِلْم بكسر المهملة وسكون اللام : الأناة فى الأُمور وهى بفتح الهمزة مقصورة كقناة: اسم للتأنّى وهو التثبت وترك العَجلة ، وأما عطفها عليه فى قوله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الجمعة ٢ .
(٢) سورة الإسراء ٣٩ .
(٣) سورة البقرة ٢٦٩ .
(٤) ص : ويحرم .
(٥) ص : فضل .
(٦) سيرة ابن هشام ٢٩٩/١ .

كما رواه مسلم عن ابن عباس للأشج : أَشجّ عبد القيس ، واسمه المنذر بن عائِذ بن الحارث العصرى ـ بمهملات على الأَصح : « إِنَّ فيك لَخصلتين يحبهما الله تعالى : الحلم والأَناة[1] » فعطف تفسيرى[2] . والمراد به فى الخبر : العقل خاصة . وقال القاضى : هو حالة تأَنٍّ وثبات عند الأَسباب المحرِّكات . قال غيره : هو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب . قال القاضى : والاحتمال : حبس النفس عند الآلام والمؤذيات ، ومثله الصبر . قال غيره: وجمعه أَحلام . قال الله تعالى : « أَم تأمرهم أَحلامهم بهذا[3] » أَى عقولهم . وسمِّى العقل حِلْما لكونه سببا عنه . قال ابن عطية : هو العقل إِذا انضاف إِليه أَناة واحتمال .

وقد كان صلى الله عليه وسلم أَحْلَمَ الناس ، وكل حليم قد عُرفت منه زَلَّة وحُفظت منه هفوة ، وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الأَذى إِلا صبرا ، وعلى إِسراف الجاهلية إِلا حلما .

ولهذا مزيد بيان فى باب حلمه صلى الله عليه وسلم .

وهذا الاسم من أَسمائه تعالى . ومعناه فى حقه تعالى : الذى لايَعْجل بالعقوبة. والفرق بينه وبين الحَقُود : أَنه الذى يؤخر[4] الانتقام لانتهاز الفرصة . والحليم يؤخره لانتظار التوبة . وسيأْتى الفرق بينه وبين العفو وبينه وبين الصبر فى تفسيرهما .

« الحُلاَحِل » : بمهملتين الأُولى مضمومة والثانية مكسورة : السيد الشجاع ، أَو كثير المروءة ، والرئيس الرزين ، كأَنه مأخوذ من الحُلول والاستقرار ؛ لأَن القلق وقلة الثبات فى مجلس ليس من عادات السادات . قال بعضهم يمدح النبى صلى الله عليه وسلم:

وعَرْبَــةُ أَرضٌ ما يُحِل حَــلَالَهـا   من الناسِ إِلاَّ اللَّوْذَعِىُّ الحُلَاحِلُ[5]

أَراد بها مكة المشرفة ، وأَشار إِلى قوله صلى الله عليه وسلم : « إِن الله حبَس عن مكة الفيلَ وسلَّط عليها رسولَه والمؤمنين ، وإِنها لن تحل لأَحد كان قبلى ، وإِنها أُحلت لى ساعةً من نهار ، وإِنها لن تحل لأَحدٍ بعدى » الحديث رواه الشيخان .

---

(1) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥ ، ٢٦ .

(2) ص ت م : فعطف تفسير .

(3) سورة الطور ٣٢ .

(4) ط : أنه الذى لا يؤخر .

(5) البيت فى القاموس المحيط مادة (عرب) والبيت فيه : وعربة أرض ما يحل حرامها . . . إلخ .

والعَرَبة ـ بمهملتين محركة : ناحية قرب المدينة أقامت بها قريش[1] فنسبت العرب إليها وسكّن الشاعر راءها للضرورة ، وهى باحة[2] دار أبى الفصاحة إسماعيل صلى الله عليه وسلم ، والباحة بالموحدة والمهملة : قال فى الصحاح : الساحة .

« الحمّاد » : بتشديد الميم صيغة مبالغة من الحمد أى الحامد الكثير الحمد .

« حَمَّطَايَا » : روى أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمّى فى الكتب القديمة : أحمد ومحمد والماحى والمقفّى ونبىّ المَلَاحم وحَمْطايا وفارقليطا وماذماذ .

قال أبو عمر الزاهد : سألت بعض من أسلم من اليهود فقال : معناه يَحْمى الحرم ويمنع الحرام .

قال شيخ الإسلام التقى الشُّمُنِّى[3] : وهو بفتح الحاء والميم المشددة وبالطاء المهملة بعدها ألف فمثناة تحتية . وقال الهَروىّ فى الغريب : هو بكسر الحاء وسكون الميم وتقديم الياء وألف بعدها طاء مهملة وألف. فعنده حِمْياطا . وفسّره بحامى الحرم . قال ابن دِحْية : ومعناه : أنه حمَى الحرم مما كان فيه من النُّصب التى تُعبد من دون الله ، والزنا والفجور .

الحمـد

« الحميد » : فَعِيل بمعنى حامد أو محمود : صيغة مبالغة من الحمـد وهو الثناء أى الذى حُمدت أخلاقه ورُضيت أفعاله ، أو الحامد لله تعالى بما لم يحمده به حامد ، أو الكثير المحامد ، وهو من أسمائه تعالى ، ومعناه الذى حمد نفسه أزلاً وحمده عباده أبداً ، أو المستحق للحمد لأنه الموصوف بكل كمال ومُولٍ لكل نوال .

«حم . عسق » : ذكرهما « د » فى أسمائه صلى الله عليه وسلم ونقله الماوردى عن جعفر ابن محمد ، ونقل عن ابن عباس أنهما من أسماء الله تعالى .

---

(١) الذى فى القاموس « والمؤلف هنا ينقل عنه » : والعربة محركة : النهر الشديد الجرى ، والنفس ، وناحية قرب المدينة ، وأقامت قريش بعربة فنسبت العرب إليها ، وهى باحة العرب وباحة دار أبى الفصاحة إسماعيل عليه السلام . . . إلخ . فلعل الأمر ألبس على المؤلف حتى ظن أن عربة التى هى ناحية قرب المدينة هى عربة التى أقامت بها قريش ، وليس كذلك .

(٢) الأصل : وهى ناحية ، وما أثبته من القاموس .

(٣) الشمنى : أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن على الشمنى الإسكندرى أبو العباس تقى الدين ، ولد بالإسكندرية سنة ٨٠١ هـ ومات بالقاهرة سنة ٨٧٢ هـ من كتبه : « مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا » و « شرح المغنى لابن هشام » و « كمال الدراية فى شرح النقاية » فى فقه الحنفية . انظر شذرات الذهب ٣١٣/٧ ، والبدر الطالع ١١٩/١ ، والضوء اللامع ١٧٤/٢ .

«الحنَان» : بالتخفيف : الرحمة .

«الحنيف» : المائل إلى دين الإسلام الثابت عليه ، من الحنَف محركا ، أوالمائل عما عليه العامة إلى طريق الحق والاستقامة ، أو المستقيم . قال تعالى : «ثمّ أوحَيْنا إليك أن اتبع مِلَّةَ إبراهيمَ حَنِيفًا[1] » جوَّز بعضُهم جَعْلَ «حَنِيفا» حالاً من الضمير العائد عليه صلى الله عليه وسلم ، وهو الظاهر . قال فى النهاية : حديث «خَلقتُ عِبادى حُنَفاء[2]» أى طاهرين من المعاصى لا أنهم كلهم مسلمون لقوله تعالى : «فمِنْكم كافرٌ ومِنْكم مُؤْمن[3] » ولهذا مزيد بيان فى الكلام على الفطرة فى شرح غريب قصة الإسراء .

«الحيي» : بمهملة وتحتيتين : الكثير الحياء وهو انقباض النفس وانكفافها عن القبائح .

روى الدارمى عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حَيِيًا لا يُسْأَل شيئا إلا أعطى»[4] ولهذا مزيد بيان فى باب حيائه صلى الله عليه وسلم .

«الحىّ» : الباقى المتلذذ المتنعم فى قبره . ولهذا مزيد بيان فى باب حياته فى قبره صلى الله عليه وسلم .

حرف الخـاء

«الخاتِم» : بكسر التاء المثناة فوق .

«الخاتَم» بفتحها : ذكرهما «د» ونقل ذلك عن ضبط ثعلب وكذا فى المهمات لابن عساكر قال : وأما الخاتَم بالفتح فمعناه أنه أحسن الأنبياء خَلْقا وخُلقا ، ولأنه صلى الله عليه وسلم جمال الأنبياء صلى الله عليه وعليهم كالخاتم الذى يُتجمَّل به .

وقيل : لما انقبضت النبوة وتمت كان كالخاتم الذى يختم به الكتاب عند الفراغ . وأما الخاتِم بالكسر فمعناه آخر الأنبياء فهو اسم فاعل من قولك ختمت الشئ أى أتممته وبلغت آخره .

---

(١) سورة النحل ١٢٣ .
(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الجنة حديث رقم ٦٣ . وأحمد فى مسنده ١٦٢/٤ .
(٣) سورة التغابن ٢ . (٤) سنن الدارمى ٣٤/١ .

خاتم النبيين : قال تعالى : « ما كان محمدٌ أبا أحد مِنْ رجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّين[1] » وتقدم فى حديث نافع بن جبير فى الباب الثانى .

وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأكمله إلا موضع لِبنة من زاوية ، فجعل الناسُ يطوفون به ويَعْجبون ويقولون هلاً وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا تلك اللَّبِنة وأنا خاتم النبيين »[2] .

وسيأتى الكلام على هذا الحديث فى باب : مثله ومثل الأنبياء من قبله فى أبواب بعثته وفى الخصائِص .

وذكر العلماء فى حكمة كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين أوجهاً :

منها : أن يكون الخَتْم بالرحمة .

ومنها : أن الله تعالى أراد أن لا يطول مُكث أُمته تحت الأرض إكراما له .

ومنها : أنَّا اطلعنا على أحوال الأُمم الماضية ، فجعلت أُمته آخر الأُمم لئلا يطلع أحد على أحوالهم تكريما له .

ومنها : أنه لو كان بعده نبيّ لكان ناسخا لشريعته . ومن شرفه أن تكون شريعته ناسخة لكل الشرائع غير منسوخة. ولهذا إذا نزل عيسى صلى الله عليه وسلم فإنما يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم لا بشريعته ، لأنها قد نُسخت كما سيأتى بيان ذلك فى الخصائص .

ومن هنا يُعلم أن معنى كونه لا نبيَّ بعده أى لا نبى يُبعث أو ينبأ أو يخلق وإن كان عيسى موجودا بعده .

« **الخازن** لمال الله » : أخذه « د » من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله ماآتيكم من شىء ولا أمنعكم منه إن أنا إلا خازن أضع حيث أُمرت » .

رواه الإمام أحمد[3] وغيره .

---

(١) سورة الأحزاب ٤٠ .

(٢) صحيح البخارى ٢١٨/٢ ، وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٢٢ .

(٣) الذى فى مسند أحمد ٤٨٢/٢ (الميمنية) : « والله ما أعطيكم ولا أمنعكم وإنما أنا قاسم أضعه حيث أمرت » .

قال النووى : معناه : خازن ما عندى أقسم ما أُمرت بقسمته على حسب ما أُمرت به والأُمور كلها بمشيئة الله تعالى .

«الخاشع» : والخشوع فى اللغة : السكون . قال الأَزهرى : التخشع : التذلل ، وفى المحكم : خشع الرجل : رَمَى ببصره إلى الأَرض ، وعرَّفه أَهلُ التصوف بأَنه الانقياد للحق . وقال بعضهم : هو قيام القلب بين يدى الرب بهَمٍّ مجموع . وقال الحَسن : الخشوع : الخوف الدائم الملازم للقلب . وقال الجُنَيْد : هو تذلل القلوب لعَلَّام الغيوب . وقال محمد بن على الترمذى : الخاشع : مَن خمدت نيران شهواته[1] وسكن دخان صدره وأَشرقَ نور التعظيم من قلبه ، فماتت شهواته وحيِي قلبُه فخشعت جوارحه . قال القُشَيْرىّ : واتفقوا على أَن محل الخشوع القلب . وهو قريب من التواضع .

الخاضع : فى الصحاح : الخضوع : التطامن والتواضع . وقال الأَزهرى : الخضوع قريب من الخشوع ، إلا أَن الخشوع فى البدن والصوت والبصر ، والخضوع فى الأَعناق .

« الخافض » : أَى خافض الجناح ، اسم فاعل من الخفض وهو التواضع ولين الجانب . قال تعالى : « واخفض جَناحك لمن اتَّبعك من المؤمنين[2] » أَى تواضع لضعفائهم وفقرائهم وطِبْ نفسا عن أَغنيائهم .

أَو الذى يخفض الجبابرة بسَطْوته ويكسر الأَكاسرة ببأسه[3] .

وهو من أَسمائه تعالى . ومعناه : دافع البلايا ورافع الرزايا ، أَو الذى يخفض الأَشقياء بالإِبعاد ويرفع الأَتقياء بالإِسعاد .

« الخالص » : النقىّ من الدنس .

« الخبير » : أَخذه « ياد » من قوله تعالى : « فاسْأَلْ به خبيرا » قال القاضى بكر بن العلاء : المـأمور بالسؤال غير النبى صلى الله عليه وسلم . والمسئول الخبير : هو النبى صلى الله عليه وسلم . قال : وهو مما سماه الله تعالى به من أَسمائه ، ومعناه فى حقه تعالى : المطَّلع بكنه الشىء ، العالِم بحقيقته . وقيل المخبر . والنبى صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين؛ لأَنه عالم غاية

---

(١) ص ت م : شهوته .

(٢) سورة الشعراء ٢١٥ .

(٣) ص ت م : بثباته .

من العلم بما علمه الله تعالى من مكنون علمه وعظيم معرفته ، ولأنه مُخبر لأمته بما أذن الله له في إعلامهم به . والفرق بينه وبين العليم والشهيد يأتى فى تعريف الشهيد .

« خطيب النبيين » : فى حديث الشفاعة : « كنت إمام النبيين وخطيبهم[1] » أى مقدَّمهم وصاحب الكلام دونهم والخطيب الحسن الخطبة ، وهى الكلام المنثور المسجع الذى يلقى على المنبر واشتقاقها من الخَطْب وهو الشأن ، لأن العرب إذا دهمهم أمر اجتمعوا له وخطبت ألسنتهم فيه ، أو من المخاطبة لأنه يخاطب فيه بالأمر والنهى ، أو من الأَخْطَب وهو ذو الألوان من كل شئ لأنها تشتمل على فنون الكلام .

« خطيب الأمم » عَـ

« خطيب الوافدين على الله تعالى » : ذكرهما «ط» والأمم جمع أُمة والوافدين جمع وافد .

« الخليل » .

« خليل الرحمن » : ذكرهما « خا » ويأتى الكلام على معنى الخُلَّة قريبا .

« خليل الله » : روى أحمد وغيره عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وإن صاحبكم خليل الله »[2] والخليل : فعيل بمعنى فاعل ، وهو من الخُلة وهى الصداقة والمحبة التى تخللت القلب فصارت خلاله . قال بعضهم :

قد تَخَلَّلْت مَسْلك الرُّوح منِّى ... ولـذا سُمِّى الخليل خليـلا

فإذا ما نطقت كنت حـديثى ... وإذا ماسكتُّ كنتُ العَليـلاَ

وهذا صحيح بالنسبة إلى مافى قلب النبى صلى الله عليه وسلم من حب الله تعالى . وأما إطلاقه فى حق البارئ تعالى فعلى سبيل المقابلة . وقيل : الخُلَّة أصلها الاصطفاء وسمى بذلك لأنه يوالى ويعادى فى الله تعالى . وخلة الله تعالى له نصره وجعله خَيْر خلقه وقيل هو مشتق من الخَلَّة بفتح المعجمة وهى الحاجة وسمى بذلك لانقطاعه إلى ربه وقَصْر حاجته عليه .

قال الإمام الواحدى : والقول الأول هو المختار ، لأن الله تعالى خليل محمد ومحمد

---

(١) أخرجه الترمذى فى صحيحه ٢/٢٨٢ .

(٢) مسند أحمد ١/٤٦٢ .

خليل الله ، ولا يجوز أن يقال : الله تعالى خليل محمد من الخَلّة التى هى الحاجة .

تنبيـــه :

الخلَّة : أعلى وأفضل من المحبة . قال ابن القيِّم : وأما ما يظنه بعض الغالطين من أن المحبة أكمل من الخلَّة ، وأن إبراهيم خليل الله ، ومحمد حبيب الله ، فمن جهْلِهِ بأن المحبة عامّة والخُلَّة خاصة ، وهى نهاية المحبة . قال : وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى اتَّخذه خليلا ، ونفى أن يكون له خليل غير ربّه ، مع إخباره بحبّه لعائشة ولأبيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم . وأيضا : فإن الله تعالى يحب التوّابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ، وخلته خاصة بالخليلين . وبسط الكلام على ذلك . ثم قال : وإنما هى من قِلَّة العلم والفهم عن الله تعالى ورسوله .

وقال الزركشى فى شرح البُرْدة : زعم بعضهم أن المحبة أفضل من الخُلَّة ، وقال : محمد حبيب الله وإبراهيم خليل الله . وضعف بأن الخلة خاصة ، وهى توحيد المحب والمحبة عامة ، قال الله تعالى : « إن الله يحبُّ التَّوابين[1] » قال وقد صح أن الله تعالى اتَّخذ نبينا خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا .

« الخليفة » : أى الذى يَخْلف غيره وينوب عنه والهاء فيه للمبالغة وسمى بذلك . وكذا آدم وغيره لأن الله تعالى استخلفه على عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أوامره فيهم ، لا لحاجة منه تعالى إلى ذلك بل لقُصور المستخلَف عليهم عن قبول فيضه وتلقى أمره بغير واسطة .

« خليفة الله » : ذكره « د » فى أحاديث الإسراء فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء وحيّاه الله من أخ ومن خليفة .

وقد ورد إطلاق الخليفة على الله تعالى فى حديث : « اللهم أنت الصاحبُ فى السفرَ والخليفة فى الأهل[2] » فهو مما سماه الله تعالى به من أسمائه . قال « د » ومعناه يرجع إلى معنى الوكيل والباقى والآخر ، لأن الخلافة عمل بعد ذهاب المستخلَف ، والبارئ تعالى أخير بعد كل أحد بدوام الوجود .

---

(١) سورة البقرة ٢٢٢ .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ٢/١٤٤ ، ١٥٠ .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : ومعناه فى حقه صلى الله عليه وسلم : أنه خليفة الله فى الأَرض فى تنفيذ أحكامه فيما بين خَلْقه ، فهو قريب من معنى الوكيل ، ويصح أن يكون بمعنى الباقى دينُه وشرعه لأَنه خلف الأَديان كلها ولا ينسخ ، بمعنى الآخِر لأَنه خاتم الأَنبياء .

« الخير » : بالمثناة التحتية الفضل والنفع ، وسمى به لأَنه حصل بوجوده لأُمته خير كثير ، أو الفاضل يقال رجل خَيْر كعَدْل وخيِّر ككيِّس أى فاضل ويجوز أن يكون[1] وامرأة خيرة وخيرة الناس بالهاء إن أُريد الوصف ، فإن أُريد التفضيل عكس ذلك فيقال كما فى القاموس : فلان خيرة الناس وفلانة خيرهم بتركها .

قال الشيخ عبد الباسط رحمه الله تعالى وقد ألغزت فى ذلك فقلت :

أيا خَيْر الأَنَام بقيتَ ما اسمٌ   يؤنَّث إن أَتَى وصْف المذكَّرْ

وإن هو للمؤنث جـــاء وَصْفا   يذكَّر مثل ما فى العَدّ يُذْكَرْ

ثم أَجبت عنه لما[2] لم يُجَبْ عنه فقلت :

لقد أَبْدَعْتُ فى تَرْصيف لُغْز   رقيق النظم موزون محـــرَّرْ

وهاك جوابه إن رُمْت وصفـــا   بأَفْعَل من بناء الخير يُذْكَرْ

فقل يا صاح خَيْر الناس هند   وأَحْمد خِيرة والعكس مُنْكَرْ

أَو هو ذو الخير ، أَى صاحب الفضل والإِحسان ، قال تعالى (أُذنُ خيرلكم[3]) بتنوين أُذن ورفع خير على أَنه صفة أُذن ، أَو خبر بعد خبر ، كما قرأَ به مجاهد وزيد بن على وأَبو بكر عن عاصم .

وحكى الإِمام الخطَّابى عن بعض مشايخه أَنه كان يَفْرق بينه وبين الفضل بأَن باب الخَيْرية متعدٍّ وبأَن الأَفضلية قاصر كما يقال : الحرُّ الهاشمى أَفضل من العبد الحبشى مثلا . وقد يكون العبد الحبشى خيرا منه لكثرة طاعته ومنفعته للناس .

---

(١) هنا بياض فى ط .

(٢) ص : ما لم يجب .

(٣) سورة التوبة ٦١ .

«خير الأنبياء»[1] : أى أفضلهم قال الجوهرى : يقال رجل خير أى فاضل . ولا يقال أَخْيَر لأَن فيه معنى التفضيل حذفت منه الهمزة ، كما حذفت من أَشَرّ غالبًا لكثرة الاستعمال ورفضوا أَخْير وأَشَرّ إلا فيما ندر كقوله :

بلال خير الناس وابن الأخير (٢)

خِيرة الله : بكسر الخاء وسكون التحتية وبوزن عِنَبة المختار قال الجوهرى : يقال محمد خِيَرة الله فى خلقه وخيرة الله بالتسكين أى مختاره ومصطفاه ، أو بفتح الخاء مع سكون التحتية ومعناه أفضل الناس وأكثرهم خيرا .

« خير البرية » : وهى الخَلْق .

« خير الناس » .

ذكرهما « خا »

« خير العاملين » .

« خَيْر خلق الله » .

ذكرهما « د » وذلك معلوم من الأَحاديث والآثار المشهورة ومعناهما واحد ولهذا مزيد بيان فى الخصائص .

والخَلْق مصدر فى الأَصل بمعنى المخلوق وهو المبتدَع المخترَع ، بفتح الدال والراء ويتناول غيرهم .

« خير هذه الأُمة » : أخذه « د » مما رواه البخارى عن سعيد بن جُبَيْر قال : قال لى ابن عباس : هل تزوجت ؟ قلت لا ، قال : تزوّج فخير هذه الأُمة أكثرها نساء[3] » يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ولهذا مزيد بيان فى أبواب نكاحه .

---

(١) ص : خير الأنبياء جاها ، أى من أفضلهم .

(٢) البيت من شواهد الأشمونى / فى باب أفعل التفضيل وهو فى حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل ٥٤/٢ (ط الأميرية) وهو لرؤبة بن العجاج فى مدح بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى .

(٣) صحيح البخارى ١٩٨/٣ (كتاب النكاح باب كثرة النساء) .

حرف الدال المهملة

« دار الحكمة » : أخذه الشيخ رحمه الله تعالى من حديث عليٌّ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها » .

رواه الحاكم فى المستدرك[1] وصححه . وادعى ابن الجوزى أنه موضوع . وتعقبه الشيخ رحمه الله تعالى فى النكت وفى اللآلئ . قال الحافظان العلائى وابن حجر : والصواب أنه حسن لا صحيح ولا موضوع . وقد بسطت الكلام عليه فى كتاب « الفوائد المجموعة فى بيان الأحاديث الموضوعة ».

« الداعى إلى الله » : روى الشيخان عن جابر رضى الله تعالى عنه أن الملائكة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقالوا : اضربوا له مثلا . فقالوا: مثله كمثل رجل بنى دارا فعمل فيها مأدبة وبعث داعيًا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا : أوّلوها له يَفْقهها . فقالوا : الدارُ الجنة والداعى محمد ، فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ، ومن عصى محمدا فقد عصى الله »[2] .

والمأدُبة بضم الدال المهملة وفتحها أى مدعاة إلى الطعام . وفى الشرح : الداعى من الدعاء وهو النداء وهو أخص منه لأنه لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو : يا فلان أى المنادى .

وسمى به صلى الله عليه وسلم لأنه يدعو الناس إلى طاعة لله تعالى ويحثهم عليها قال تعالى : (وداعيًا إلى اللهِ[3]) أى إلى توحيده وعبادته « بإذنه » أى بتيسيره وتسهيله ، فاستعير الإذن لذلك لترتّبها عليه ، لأن الدخول فى حق الرسول متعذر متعسر فإذا وجد الإذن سَهُل وتيسر . وفى ذلك إيذان بصعوبة ما حمله من التبليغ ودعاء أهل الشرك إلى التوحيد وهو أمر فى غاية الصعوبة وإيماء إلى تسهيل ذلك وتيسيره عليه بمعونة الله تعالى :

---

(١) الذى فى المستدرك للحاكم ١٢٦/٣ : « أنا مدينة العلم » ، وقد عكس المؤلف رواية حديث الترمذى « أنا دار الحكمة » فأتى برواية الحاكم ووضعها موضعها « فى مدينة العلم » .

(٢) صحيح البخارى ٢١٠/٤ (كتاب الاعتصام) ولم أجده فى صحيح مسلم .

(٣) سورة الأحزاب ٤٦ .

أو الراغب[1] المستغيث إلى الله تعالى فيما عنده من الخير اسم فاعل من الدعاء وهو الطلب والاستغاثة بتضرّع ورغبة .

تنبيه : وصف الله تعالى نفسه بالدعاء فى قوله تعالى : (والله يَدْعو إلى دارِ السَّلام[2]) فهو مما سمَّاه به من أسمائه تعالى .

« الدامغ » : فى حديث على ــ رضى الله تعالى عنه ــ فى كيفية الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وفيه : « دامغ جَيْشات الأَبَاطيل » ويأْتى بتمامه فى أبواب الصلاة عليه .

وسمى صلى الله عليه وسلم به لأنه دمَغ الباطل بالحق فإذا هو زاهق[3] ، وكسر جيوش الشرك بسيف حجته الماحق . والجيشات جمع جَيْشة بمعنى المرة من جاش إذا ارتفع ، وهو من دمَغْتُه إذا أَصبت دِمَاغه ، والدماغ مَقْتل إذا أُصيب صاحبه هلك .

« الدانى » : اسم فاعل من الدنوّ وهو القُرْب ، قال تعالى : (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى[4]) ولهذا مزيد بيان فى تفسير أول سورة النجم من أبواب المعراج .

« الدعوة » : كلمة التوحيد . أى صاحب الدعوة أى قول : « لا إله إلا الله » أو الإعلام وسمى به لأنه أَعلَم الناسَ أى دلَّهم على طريق الهداية ، أو بمعنى المدعوّ به على إطلاق المصدر على اسم المفعول ، وتقدم بسط ذلك فى أول الكتاب .

« دعوة إبراهيم » : قال صلى الله عليه وسلم : « أنا دعوة أَبى إبراهيم » . وتقدم الكلام على ذلك .

« دعوة النبيّين »

« دليل الخير »[5] : الدليل : الهادى[6] .

« دَهْثم » : بمثناة فوقية وزن جعفر : السَّهْل الخلق والحسن الخلق .

حرف الذال المعجمة

« الذاكر » : اسم فاعل من الذكر وهو تمجيد الرّبّ تعالى وتقديسه وتسبيحه قال تعالى :

---

(١) ص ت م : والداعى المستغيث .
(٢) سورة يونس ٢٥ .
(٣) ص ت م : زهوق .
(٤) سورة النجم ٨ .
(٥) ص : دعوة الخير .
(٦) ص : دعوة الهادى .

(واذكر ربَّك فى نفسك تَضَرُّعًا وخِيفةً ودُونَ الجَهْر من القَوْل بالغدوِّ والآصال ولا تكن من الغافلين[1]) .

قال الإمام الرازىّ : والمعنى أنه يجب أن يكون الذِّكر حاصلا فى كل وقت وحين ، وأن الذكر القلبىّ تجب إدامته لقوله تعالى : (ولا تكن من الغافلين) وأنه لا ينبغى أن يغفل عن استحضار جلال الله وكبريائه لحظة واحدة حسبما تطيقه القُوَى الإنسانية وتتحمَّله الطاقة البشرية ، ولا شك أنه عليه الصلاة والسلام آنَس[2] الخَلْق بذلك وأَوْلاهم به وأحقّهم بالاختصاص بدرجات الكمال والاستغراق فى مشاهدة الجلَال ، فلذا سمّى بذلك .

« الذُّخْر » : بضم الذال وسكون الخاء المعجمة الذخيرة يقال ذَخَرْتُ الشئَ أَذْخَره إذا أعدَدْته للعُقْبَى .

الذِّكْر – بسكون الكاف : القوى الشجاع الأَبى ، والثناء والشرف قال « ع د » لأنه شريف فى نفسه مشرِّف لغيره[3] يُخْبر عنه به فاجتمعت له وجوه الذِّكْر الثلاثة : هو شرف هذه الأُمة قال الله تعالى : (قد أَنْزَلَ اللهُ إليكُم ذِكْرًا رسولًا[4]) قال جماعة : هو محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل : جبريل . فرسولاً عليهما حال أو بدَل من ذِكْر . وقيل : القرآن . فرسولا بدَلٌ من ذِكْر بتقدير مضاف ، يعنى : « ذِكْرًا رسولا » أى صاحب ذكر . أو نعت لذا المقدّر .

وقال مجاهد فى قوله تعالى : (أَلاَ بذِكْر الله تطمئنُّ القُلوب[5]) إنه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

« الذكَّار » : أخذه الشيخ – رحمه الله تعالى – من الحديث السابق فى الأَوَّاه : « واجعلنى لك ذَكَّارا » وفعَّالا للمبالغة أى كثير الذكر ، وكثرة ذكره لربه ودعواته فى يقظته ومنامه وحركاته وسكناته وقيامه وقعوده وكل أحواله معلوم مشهور . روى ابن ماجه عن عائشة – رضى الله تعالى عنها – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَذْكر الله على كل أحيانه[6] .

---

(١) سورة الأعراف ٢٠٥ .
(٢) ت م : أمر الخلق .
(٣) ط : مشرف غيره .
(٤) سورة الطلاق ١٠ ، ١١ .
(٥) سورة الرعد ٢٨ .
(٦) سنن ابن ماجة حديث رقم ٣٠٢ (كتاب الطهارة باب ذكر الله عز وجل على الخلاء) .

« ذِكْر الله » .

« الذَّكَر » : بفتحتين : الجليل الخطير . ومنه الحديث : « القرآن ذكَر فذكِّروه » . قال فى النهاية : أى جليل خطير فأَجِلُّوه .

ذو التاج : أى صاحبه وهو العمامة ، لأَنها تاج العرب ، وكان له صلى الله عليه وسلم عمامة يلبسها كما سيأْتى بيان ذلك فى أبواب لِبَاسه .

« ذو الجهاد » : أى صاحبه ، وهو مأْخوذ من الجَهْد بفتح الجيم يعنى التعب والمشقة وبضمها الطاقة . فالمجاهد فى سبيل الله هو البالغ غاية ما يكون من إتعاب نفسه فى ذات الله تعالى وإعلاء كلمته التى جعلها طريقا إلى جنته ووراء ذلك جهاد القَلْب ، وهو دَفع الشيطان ونَهْى النفس عن الهوى ، وجهاد اليد واللسان ، وهو الأَمر بالمعروف والنهى عن المنكَر .

وقال الأُستاذ أبو على الدقّاق ـ رحمه الله تعالى : من زيَّن ظاهره بالمجاهدة حسَّن الله سرائره بالمشاهَدة .

وقال القشيرىّ : أَصل المجاهدة ومِلاَكها : فَطْم النفس عن المأْلوفات وحَمْلها على خِلاف هواها فى سائر الأَوقات .

« ذو الحَطِيم » : بفتح الحاء وهو الحِجْر المُخْرَج من البيت على الأَصح كما قاله البرماوى . وقيل : هو مابين الرُّكْنين والباب . وسمى حَطِيما لأَن البيت رُفِع وتُرِك ، أو لازدحام الناس فيه وحَطْم بعضهم بعضا ، أَو لأَن العرب كانت تَطْرح فيه ما طافت به من الثياب فتَبْقى حتى تنحطم أى تَبْلَى بطول الزمان ، أَو لأَنه يَحْطِم الذنوب أى يُذْهبها ، سمِّى بذلك صلى الله عليه وسلم كما فى الكتب السالفة لأَنه أنقذه من أَيدى المشركين وأخرج ما كان فيه من الأَصنام وجعله محلاً لعبادة المِلك العلاّم .

« ذو الحوض المورود » : يأْتى الكلام عليه فى أَبواب حَشْره صلى الله عليه وسلم .

« ذو الخُلق العظيم » : بضم الخاء واللام ويأْتى الكلام عليه فى باب حُسن خُلقه صلى الله عليه وسلم .

« ذو السيف » : هو من أسمائه فى الكتب السالفة ، وكان له صلى الله عليه وسلم عِدّة أسياف . كما سيأتى بيانها فى باب آلات حروبه إن شاء الله .

« ذو السّكينة » : أى صاحبها وهى بفتح السين وتخفيف الكاف فَعِيلة من السكون وهو الوقار والتأنّى فى الحركة . وقال الصغانى[1] : بكسر السين وتشديد الكاف وهى الرحمة . قال تعالى : (فَأَنْزَل اللهُ سكِينته على رسوله وعلى المؤمنين[2])

« ذو الصراط المستقيم » .

« ذو طَيْبَة » : أى صاحب المدينة الشريفة ، سميت بذلك لطِيبها[2] لساكنيها[3] لأمْنهم ودعَتهم ، أو لخلوصها من الشِّرك .

« ذو العزة » .

« ذو العَطَايا » : جمع عطية وهى الوهبة[4] .

« ذو الفتوح »: جمع فتح وهو النصر على الأعداء قال تعالى: (إنَّا فَتْحنا لك فتحًا مُبِينًا)[5] وهو فتح مكة أو الحُدَيْبيَة ، وعبّر بالماضى وإن كان الفتح لم يقع بعدُ لأنه كان مُتحقّق الوقوع نزِّل منزلة الواقع .

« ذو الفضل » : أى الإحسان .

« ذو المدينة » : وهى طَيْبة شرَّفها الله تعالى وعظَّمها .

« ذو المعْجِزَات » : وسيأتى الكلام عليها .

« ذو القَضِيب » : أى السيف الدقيق . وجاء فى الإنجيل فى صفته صلى الله عليه وسلم: « معه قَضِيب من حديد يقاتِل به » .

« ذو القوة » : قال تعالى : (إنَّه لَقَوْلُ رسولٍ كريمٍ ذى قُوّة عند ذِى العَرْش مَكين[6]) أحد القولين ، ونقله القاضى عن الجمهور : أنه محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل : جبريل

---

(١) ص : وقال الخطابى .

(٢) سورة الفتح ٢٦ ، وفى الأصل : « هو الذى أنزل السكينة على رسوله وعلى المؤمنين » ، وهو تحريف .

(٣) ص : بساكنها .

(٤) فى الأصل زيادة : لطيبها ، ولعلها مقحمة .

(٥) سورة الفتح ١ .

(٦) سورة التكوير ١٩ — ٢١ .

قال القاضى : وهو مما سمَّاه الله تعالى به من أسمائه . ولهذا مزيد بيان فى باب شجاعته صلى الله عليه وسلم .

« ذو المقام المحمود » : سيأْتى الكلام عليه فى أبواب الشفاعة .

« ذو المِيسم » : بكسر الميم وسكون التحتية ، وهو فى الأَصل المِكْواة والمراد به هنا العَلامة أَو الجمال والحسن ، أَى ذو حُسْن وجمال .

« ذو الهِرَاوة » : بكسر الهاء: العصا . وفى حديث سَطِيح : « وخرج صاحب الهِرَاوة » قال ابن الأَثير : أَراد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، لأَنه كان يمسك القضيب كثيرا وكان يُمْشَى بين يديه بالعصا وتُركز له فيصلِّى إليها . وسيأْتى لهذا تتمة فى صاحب الهراوة .

« ذو الوسيلة » : وهى درجة فى الجنة كما فى صحيح مسلم، وأَصل الوسيلة القرب من الله والمنزِلة عنده . وسيأْتى الكلام على ذلك فى الخصائص وفى شفاعته صلى الله عليه وسلم .

فائدة :

« ذو » لا تضاف إلا إلى مُظْهَر خلافًا للمبرّد حيث جوّز إضافتها إلى ضمير المتكلم فتقول ذِىّ أَى صاحبى . كما تقول فىّ . قال السُّهَيْلى : والإِضافة بها أَشرف من الإِضافة بصاحب لأَنه يضاف بها إلى التابع مثل ذو مال وصاحب تضاف بها إلى المتبوع مثل : أَبو هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا يقال : النبى صاحب أَبى هريرة . إلا على جهة مّا . ومن ثم[1] لما كان ذكر يونس عليه الصلاة والسلام فى سورة الأَنبياء فى موضع الثناء عليه والمدح له قال تعالى : (وذا النُّونِ[2]) فأَتى بـ «ذا»[3] الدالة على التشريف وأضيفت إلى لفظ النُّون الذى هو أَشرف من لفظ الحوت ، لأَنه وإن كان بمعناه إلا أَنه ذكِر دونه فى حروف التهجِّى وأَوائل السور على جهة القسم زيادة فى التشريف ومبالغة فى التعظيم ، ولما لم يكن المقصود من ذكره فى سورة (ن) ذلك قال تعالى : « ولا تَكُنْ كصاحِب الحوت إذْ نادَى وهو مَكْظُومٌ[4] » .

(١) ص : ولهذا لما كان .
(٢) سورة الأنبياء ٨٧ .
(٣) ص : فأتى بذى . وفى باقى النسخ « بذو » .
(٤) سورة القلم ٤٨ .

« الراجى » : اسم فاعل من الرجاء ضد الخوف ، وهو تعلق القلب بمحبوب سيحصل . وقيل : الثقة بالجود من الكريم الموجود . وقيل : سرور الفؤاد بحسن الميعاد ، وفرّق بعضهم بينه وبين التمنّى بأنه يصاحب الكسَل ولا يُسلك معه طريق الجد والاجتهاد ، والرجاء بخلافه ، وبأن الرجاء يختص بالممكن والتمنى يستعمل فيه وفى المُحَال لأن ماهية التمنى محبّة حصول الشئ سواء كانت مع انتظار وترقُّب أم لا ، وتختص به ليت نحو : ليت الشباب يعود . والترجى ارتقاب ما لا يوثق بحصوله مع إمكانه ، وتختص به « لعَلّ » فى المحبوب نحو لعل العدو يموت .

« الراضِع » : وفى ذكر مثله نظر .

« الراضى » : أخذه « د » من قوله تعالى : (ولسوف يُعْطيك ربُّك فترضى[1]) وهو القانع بما أُعطى ، اسم فاعل من الرضا ورضا العبد عن الرب أن لا يكره ما يجرى به قضاؤه ، ورضا الرب عن العبد أن يراه مؤتمرا بأوامره منتهيا عن نواهيه .

روى مسلم وغيره عن عبد الله بن عمر – رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله تعالى فى إبراهيم : (ربِّ إنَّهن أَضْلَلْن كثيرًا من الناس فمن تَبِعَنى فإنه منىِّ ومن عَصانى فإنك غفورٌ رَحِيم[2]) وقول عيسى : (إنْ تعذِّبهم فإنهم عِبَادُك[3]) الآية . فرفع يديه وقال : « اللهم أُمتى أُمتى ، وبكى ، فقال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك فى أُمتك ولا نسوؤك[4] » .

قال « د » وهذا الحديث هو تفسير الآية .

« الراغب » : اسم فاعل من رغب إليه كسمع رغَبًا محركًا ورَغبا بالفتح وقد تضم ورَغْبَاء كصحراء ورُغُوبا ورُغْبَانا ورُغْبة بالضم ويحرَّك : إذا ابتهل وتضرع أو سأل وقد يعدّى بفى . ومعناه الإرادة والحرص على الشئ . وأصل الرغبة : الاتساع ، حوضٌ رغيب أى واسع

(١) سورة الضحى ٥ .
(٢) سورة إبراهيم ٣٦ .
(٣) سورة المائدة ١١٨ .
(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٣٤٦ .

والرغبة كثرة العطاء قال الله تعالى: (وإلى ربِّك فارْغَبْ)[1] قال ابن مسعود : أى فاجعل رغبتك إليه دون مَنْ سواه . وقال ابن عباس : إذا فرغت صلاتك وتشهّدك فانصب إلى ربك وسَلْه حاجتك . وقال : تضرَّع إليه راهبًا من النار راغبا فى الجنة . وقرأ ابن أبى عَبْلة : فَرغِّب من الترغيب والاسم منه الرَّغَب .

« الرافع » : الذى رفع به قَدْر أُمته وشرّفوا باتباع ملته ، وهو من أسمائه تعالى ، ومعناه الذى يرفع المؤمنين بالإسعاد ويخفض الكافرين بالإبعاد .

« راكب البراق » : ذكره « د » وسيأتى الكلام عليه فى باب الإسراء .

« راكب البعير » .

« راكب الجمل » : قال « د » : ورد فى كتاب نبوة شَعْيا[2] – وهو ذو الكفل – أنه قال : قيل لى : قم نَظَّارا فانظر ما ترى فأَخبرْ عنه . فقلت : رأيت راكبين مُقْبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل ، فنزل يقول أحدهما لصاحبه سقطت بابل وأصنامها[3] . قال : فراكب الحمار عيسى وراكب الجمل محمد صلى الله عليهما وسلم ؛ لأن مُلْك بابل إنما ذهب بنبوّتِه وسيفِه على يد أصحابه كما وعدهم به . قال الشيخ – رحمه الله تعالى : ولهذا قال النجاشىّ لما جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به : أشهد أن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل .

قال ابن عساكر : إن قيل لِمَ خُصَّ بركوب الجمل ؟ وقد كان يركب الفرس والحمار .

فالجواب : أن المعنى به أنه من العرب لا من غيرهم ، لأن الجمل مَرْكب للعرب يختص بهم لا يُنسب إلى غيرهم من الأُمم .

« راكب الناقة » : وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم .

« راكب النَّجيب » .

« الرَّجِل » : بفتح الراء وكسر الجيم وفتحها أيضا : أى رَجْل الشَّعر أى كأَنه مَشِيط[4]

---

(١) سورة الشرح ٨ .

(٢) ص : شعيبه ، محرفة ، ويقال فيه : سعياً ، قال فى القاموس : وسعياً بن أمصيا نبى من أنبياء بنى إسرائيل بعث بعد موسى بشر بعيسى . قال ابن عباد هو آخر نبى من بنى إسرائيل . والشين لغة فيه .

(٣) الوفا ٦٦/١ وفيه : سقطت بابل وأصنامها المنجرة .

(٤) ص : كأنه سبط .

وليس بالسَّبْط ولا الجَعْد ، أى ليس بالبيِّن السُّبوطة ولا الجعُودة ، بل بَيْنهما . ولهذا مزيد بيان فى صفاته صلى الله عليه وسلم .

« الرَّجِيح » : الزائد على غيره فى الفضل، فَعِيل بمعنى فاعل من الرُّجْحَان وهو الزيادة، يقال رجَح الميزان يَرْجح بكسر الجيم وبفتحها رُجْحانا إذا مالت إحدى كِفَّتيه عن الأُخرى لزيادة ما فيها .

« الرَّحْب الكف» : أى واسعه أو الكثير العطاء . قلت قد كان صلى الله عليه وسلم موصوفا بهما .

« رحمة الأُمة » .

« رحمة العالمين » : قال تعالى (وما أَرْسَلْناك إلا رَحْمةً للعالمين[1]) فهو صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع الخَلْق ، المؤمن بالهداية والمنافق بالأَمان من القتل ، والكافر بتأْخير العذاب عنه .

قال أبو بكر بن طاهر رحمه الله تعالى : زيَّن الله محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة ، فكان كَوْنُه رحمةً وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخَلْق ، وحياته رَحْمة ومماته رحمة ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « حياتى خَيْر لكم ومماتى خير لكم »[2] وكما قال : إذا أَراد الله رحمةً بأُمة قبض نبيها قبلها فجعله لها فَرطًا وسَلفا[3] .

الفَرط بفتح الفاء والراء : هو[4] الذى يتقدم الواردين فيهيئ لهم ما يحتاجون إليه

« رَحْمة مُهْدَاة » .

روى الحاكم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما أنا رَحْمة مُهْداة » . ورواه الطبرانى بلفظ « بُعْثت رحمةً مُهْدَاة »[5] قال ابن دِحْية : معناه أن الله تعالى بعثنى رحمةً للعِبَاد لا يريد لها عوضا ، لأَن المهدى ، إذا كانت هديته عن رحمة لا يريد لها عوضا .

---

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) أخرجه الحارث عن أنس وهو حديث ضعيف انظر الجامع الصغير ٥١٢/١ (ط محيي الدين) .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الفضائل حديث رقم ٢٤ .

(٤) ط : وهو .

(٥) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير ٣٤٨/١ عن ابن سعد والحكيم عن أبى صالح مرسلا والحاكم عنه عن أبى هريرة ، وهو صحيح .

« الرءوف الرحيم » : قال تعالى : (لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عَنِتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءوفٌ رَحِيم[1]) .

قال الأستاذ أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى : أعطاه الله تعالى هذين الاسمين من أسمائه . والرأفة شدة الرحمة وأبْلغها. قال ابن دحية : خاصيتها أنها لدفع المكاره والشدائد والرحمة طلب المحَابّ ، ولهذا قدِّمت الرأفة عليها . والرحمة فى كلام العرب العطف والإشفاق والرأفة ، وهو صحيح فى حقه صلى الله عليه وسلم إذ هو أرحم الخلق وأعْطَفهم وأشفقهم وأرقُّهم قلبًا ، وهى لهذا المعنى مُحَال فى حقه تبارك وتعالى فتؤوّل بلازمها وهو إرادة الخير لأهله ، وإعطاء مالا يستحقه العبد من المثوبة ، ودفع ما يستوجبه من العقوبة « عا » والفرق بين الرأفة والرحمة أن الرأفة إحسان مَبْدؤه شفقة المحسن والرحمة إحسان مبدؤه فاقة المحسَن إليه . ولهذا مزيد بيان فى باب شفقته صلى الله عليه وسلم .

« الرسول » : يأتى الكلام عليه فى أبواب بعثته صلى الله عليه وسلم .

« رسول الله » .

رسول الرحمة . ورد فى الحديث السابق فى إمام الخير ومعناه واضح لأنه أرسل للرحمة، كما تقدم .

« رسول الملاَحم » : جمع ملحمة . بفتح الميم، وهو موضع القتال والحرب مأخوذة[2] من لُحْمة الثوب لاشتباك الناس فى الحرب واختلاطهم كاشتباك اللحمة بالسَّدَى . وقيل من اللَّحْم لكثرة لحوم القتلى فى المعركة وسُمى بذلك لأنه أُرسل بالجهاد والسيف.

« الرَّشِيد » : فعيل من الرُّشْد بضم الراء وسكون الشين وبفتحها أو الثانى أخص من الأول؛ فإنه يقال فى الأمور الدنيوية والأخروية ، والأوّل للأخروية فقط ، وهو الاستقامة فى الأمور بمعنى راشد أى المستقيم . أو بمعنى المرشِد أى الهادى ، قال تعالى : « وإنك لتَهْدى إلى صِرَاطٍ مُسْتقيم)[3] أى تُرشد إلى الدين القيم ، قال عمه أبو طالب :

---

(١) سورة التوبة ١٢٨ .

(٢) ص : مأخوذ .

(٣) سورة الشورى ٥٢ .

حليم رشيد عادل غير طائش يوالى إلـهًا ليس عنه بغافِلِ[1]

وهو من أسمائه تعالى ، ومعناه الذى تنساق تدبيراته إلى غاياتها على سنَن السَّدَاد من غير استشارة ولا إرشاد أو الذى أرْشَد الخَلْق إلى مصالحهم .

« الرِّضا » .

« الرضوان » : أى ذو الرضا أو هو[2] رِضا الله سبحانه وتعالى على عباده .

« رضوان الله » : بكسر الراء : الرضا. أى رضا الله تعالى على عباده وقيل فى قوله تعالى : (يَهْدى به الله من اتَّبع رِضوانه)[3] أى اتبع رسوله .

« الرفيق » : فَعِيل بمعنى مُفْعِل من الرفق وهو اللطف وكان صلى الله عليه وسلم منه بمكان .

« الرفيع الذِّكْر » . قال الله تعالى : « ورفَعْنا لك ذِكْرَك »[4] روى ابن حِبّان عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : أتانى جبريل فقال : إن ربك يقول : تدرى كيف رفعتُ ذكرك ، قال : الله أعلم . قال : إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معى .

« عا » ومعناه العلىّ أو رفيع الدرجات على غيره أو رفيع الذكر بمعنى مرفوعه أو رافع هذه الأُمة بالإيمان بعد انخفاضهم بذل الكفر والعصيان فهو بمعنى الرافع ومن أسمائه تعالى : الرفيع .

« رفيع الدرجات » : أخذه « ط » من قوله تعالى : (ورفَع بَعْضَكم فوق بعضٍ دَرَجاتٍ[5]) والمراد به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قال مجاهد : ورَفعه بما خصه به من بدائع الفضل الذى لم يؤتَه نبىّ قبله ، وسيأْتى بيان ذلك فى الخصائص .

« الرقيب » : الذى يراقب الأَشياء، ويحفظها : فَعِيل بمعنى فاعل من المراقبة وهى الحفظ، يقال رقبت الشئ أرقبه إذا رعيْته أو العالِم .

قال بعض السادة : المراقبة علم العبد باطلاع الرب .

وهو من أسمائه تعالى ، ومعناه المطلع على الضمائر العالم بما فى السرائر .

---

(١) سبق ذكر هذا البيت فى هذا الجزء . (٢) ص : وهو رضوان الله .

(٣) سورة المائدة ١٦ .

(٤) سورة الشرح ٤ .

(٥) سورة الأنعام ١٦٥ ، وفى الأصل : « ورفع بعضهم فوق بعض درجات » محرفة .

«ركن المتواضعين»: وقع فى كتاب شَعْيا تسميته صلى الله عليه وسلم به كما تقدم فى باب ذكره فى التوراة والإنجيل .

« الرهَّاب » : يقال للمبالغة من الرُّهْب بضم الراء وسكون الهاء وبفتحها، وهو الخوف لا من الترَهّب لأَن أمثلة المبالغة لا تُبنى غالبا إلا من ثلاثى مجرَّد ، ولنهيه صلى الله عليه وسلم عن الرهبانية فلا يَصِف بها نفسه ، وفى الحديث : « واجعلنى لك شَكّارا لك رَهّابا » رواه ابن ماجة[1] .

« الرُّوح » : فى الأَصل : ما يقوم به الجسد وسمى به صلى الله عليه وسلم والقرآن وجبريل والرحمة والوحى ، لأَن كل واحد فيها حياة الخلق بالهداية بعد موتهم بالضلالة وكشف العذاب عنهم كما يحيا الجسد بالروح . وقيل فى تفسير قوله تعالى « يوم يقوم الروح » إنه النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل جبريل . وقيل غيره .

« روح الحق » .

« روح القدس» « د »: وردا فى الإنجيل ومعنى روح القدس: الروح المقدسة أَى الطاهرة من الأَدناس فيكون من باب إضافة الموصوف إلى الصفة . والحق إما أَن يراد به الله تعالى وإضافة الروح إليه تشريف ، كما سمىّ عيسى روح الله . أَو يراد به النبي صلى الله عليه وسلم وتكون الإضافة للبيان أَى روح هو الحق .

حرف الزاى

« الزاجر »: اسم فاعل من الزَّجْر وهو المنع والكف، وسمى به صلى الله عليه وسلم لأَنه ينهى عن معاصى الله تعالى ويزجر عنها ، قال الله تعالى : « ويَنْهاهم عن المُنْكَرِ[2] » .

« الزاهر» : المشْرِق اللون المستنير الوجه، وفى قصص الكسائى: أَن الله تعالى قال لموسى صلى الله عليه وسلم : إن محمدا هو النجم الزاهر .

« الزاهد » : وهو من أَسمائه فى الكتب المتقدمة، والزهد خلاف الرغبة ، وقيل هو ترك الحرام لأَن الحلال مباح ، وقيل الزهد فى الحرام واجب ، وفى الحلال فضيلة . وقيل غير ذلك .

(١) سنن ابن ماجه حديث رقم ٣٨٣٠ (كتاب الدعاء باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم) .
(٢) سورة الأعراف ١٥٧ .

روى الترمذى عن أبى ذر ــ رضى الله تعالى عنه ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحَلال ولا إضاعة المال ، ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى يديك أوثق مما فى يد الله وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أنت أُصبت بها أرْغب فيها لو أنها بقيت لك[1] » .

وسيأتى فى باب زُهْده صلى الله عليه وسلم ما فيه كفاية .

« الزاهى » : الحَسن المشرق أو الظاهر أمره الواضح برهانه المرتفع بسمات الهداية والفتوة ، المنزَّه عما لا يليق بمنصب النبوة .

« زعيم الأنبياء » : الزعيم : الكفيل المتحمل للأمور أو الضامن لأمته بالفوز يوم النشور . روى أبو داود بسند صحيح عن أبى أمامة ــ رضى الله تعالى عنه ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنا زعيمُ بَيْتٍ فى رَبَض الجنة لمن ترك المِراء وهو مُحّق[2] .

الربَض بفتح الراء والباء الموحدة وآخره ضاد معجمة أى أرض الجنة ، تشبيه[3] بربَض المدينة وهو ما حولها .

« الزكى » : قال « عا » : الطاهر المبارك من الزكاة وهى النمو والطهارة . وقال سَطِيح فى وصفه صلى الله عليه وسلم كما تقدم فى باب المنامات : « يَقْطعه ــ أى مُلْك ذى يَزن ــ نبيٌّ زكِيّ يأتيه الوحى من قِبَل العَلِيّ » .

وأخذه « د » من قوله تعالى : (كما أَرْسَلْنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم)[4] « ط » وهو أخذ غير صحيح فإن الوصف[5] من زكّى مُزكِّى لا زكِيّ نعم الاسم المذكور صحيح فى حقه صلى الله عليه وسلم ومعناه الطاهر يقال زكّاه أى طهَّره .

« زَلِف » : بفتح الزاى ككتف أى الزليف بإثبات المثناة التحتية بعد اللام : المتقدم القريب سمى بذلك لتقدّمه على الأنبياء فضلا وشرفا ، أو لتقربه من مولاه زُلْفى من الزَّلف وهو القرب والتقدم .

---

(١) صحيح الترمذى ٢/٥٥ (كتاب الزهد) . (٢) سنن أبى داود ٢/١٨٧ « كتاب الأدب باب فى حسن الخلق » .
(٣) ط : تشبها . (٤) سورة البقرة ١٥١ .
(٥) ص : فإن الأخذ .

«الزَّمْزَمى» : «د» هو منسوب إلى زمزم وهى سقاية الله تعالى لجده إسماعيل صلى الله عليه وسلم فهو أَوْلى من نُسب إليها .

«الزَّيْن» : الحسن الكامل خَلْقا وخُلقا ، وهو فى اللغة ضد الشَّيْن .

«زَيْن من وافى القيامة» : ذكره القاضى وسيأتى فى حديث الضب فى المعجزات قوله : « السلام عليك يا زَيْن من وافَى القيامة[1] » .

حرف السين

«سابق العرب» : فى حديث أنس مرفوعا : « السُّبَّاق أَربعة أَنا سابق العرب ، وصُهَيْب سابق الروم ، وسَلْمان سابق الفُرْس وبلال سابق الحبشة[2] » وهو اسم فاعل من السَّبق وهو التقدم ، وقد يستعار السبق لإحراز الفضيلة ، ومنه قوله تعالى : (والسَّابِقُونَ السَّابِقُون[3]) .

ومعناه المخلص الذى سارع إلى طاعة مولاه وشق الفَيَافِى فى طلب رضاه . وقيل : الناس على ثلاثة أَقسام : رجل ابتكر الخير فى مبدأ أَمره وداوَم عليه فهو السابق . ورجل ابتكر عُمْره بالذنب والغفلة ثم رجع بالتوبة فهو من أَصحاب اليمين ورجل ابتكر الشر من مبدأ أَمره ثم لم يزَلْ عليه حتى مات فهو من أَصحاب الشمال .

أَو السابق لفتح باب الجنة قبل الخَلْق .

«السابق بالخيرات» .

«الساجد» : الخاضع المطيع أَخذه «ط» من قوله تعالى : « ومن الليل فاسْجُد له[4] » (وكُن من الساجِدين[5]) أَى ـ داوم على عبادتك وخضوعك معهم .

«سبيل الله» : أَخذه «د» من قوله تعالى : (ويَصُدُّون عن سبيلِ الله[6]) فى أَحد القولين أَنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاله السُّدى . ورواه ابن أَبى حاتم ، ومعنى كونه

---

(١) حديث الضب هذا مشهور على الألسنة ولكنه غريب ضعيف ، قال المزى : لا يصح إسناداً ولا متنا ، وهو مطعون فيه وقيل إنه موضوع . انظر شرح المواهب ١٤٨/٤ ، ١٤٩ .

(٢) الجامع الصغير للسيوطى ٣٦٣/١ وقال : أخرجه الحاكم عن أنس ، وهو حديث حسن ، وقال ابن أبى حاتم فى علل الحديث ٣٥٣/٢ : سمعت أبى وأبا زرعة جميعاً يقولان هذا حديث باطل لا أصل له بهذا الإسناد .

(٣) سورة الواقعة ١٠ .

(٤) سورة الدهر ٢٦ .

(٥) سورة الحجر ٩٨ .

(٦) سورة الحج ٢٥ .

سبيل الله الطريق الموصل إليه ، والسبيل الطريق الواضح . وسمِّى[1] به صلى الله عليه وسلم لأنه الموصل إلى رضا الله تعالى . قال تعالى : (الذينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ[2])أى كتموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم .

« السَّبِط » بفتح المهملة وكسر الموحدة أى سَبْط الشعر كما سيأتى فى باب صفة رأسه وشَعْره .

«السَّخِيّ» : الكريم صفة مشبهة من السخاء ممدودا وهو الكرم .

«السَّدِيد» : بمهملات فعيل بمعنى فاعل من السَّدَاد وهو الاستقامة ، أو هو بمعنى مُفَعِّل أى المسدِّد ثَلْم أمته بإصلاح أمورهم فى الدنيا ، والمرقع خَلَلهم بالشفاعة فى الآخرة .

« السِّرَاج المنير » : قال الله تعالى : (يَا أَيّهَا النَّبِىّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا ونَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلى اللهِ بِإِذْنِهِ وسِرَاجًا مُنِيرا[3]) السراج الحجة أو الهادى أو المصباح أو الشمس وسمى سراجا لإضاءة الدنيا بنوره ، ومحو الكفر وظلامه بظهوره[4] ، وشبَّهه بالشمس لأنه الغاية فى النيّرات . وقال بعضهم : سمِّى سراجا لأن دينه يضىء بين الأديان كما يضىء السراج فى الليلة المظلمة . وقال غيره : لأن الله تعالى أمدَّ بنور نبوّته أنوارَ البصائر كما أمدَّ بنور السراج أنوار الأبصار . وإنما شبه صلى الله عليه وسلم بنور السراج دون غيره مما هو أضْوَأ منه كالشمس مثلا لأن المراد بالسراج الشمس ، أو لأنه بُعث فى زمان يشبه الليل من ظلمات الكفر والجهالة ، فكشفه بنور اليقين والهداية .

قال القاضى أبو بكر بن العربى – رحمه الله تعالى : قال علماؤنا سمِّى سراجا لأن السراج الواحد تُوقَد منه السُّرُج الكثيرة فلا ينقص ذلك من ضوئه شيئا ، وكذلك سُرج الطاعات أُخذت من سراج محمد صلى الله عليه وسلم ولم ينقص ذلك مِن أَجْره شيئا .

قال : وفى وجه التشبيه بالشمس أوجه : منها أنها لا تطلع حتى يتقدم[5] بين يديها[6] الفجر الأول والثانى مُبَشِّرَيْن بطلوعها ، وكذلك لم يُبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى بَشَّرت به الأنبياء والمرسلون ووصفتْه الكتب المنزلة .

---

(١) ص : سمى .
(٢) سورة محمد ١ .
(٣) سورة الأحزاب ٤٥ ، ٤٦ .
(٤) ط : بنوره .
(٥) ص : حتى يقوم الفجر الأول .
(٦) سقط من ت م .

ومنها : أن للشمس إحراقا وإشراقا ، وكذلك كان صلى الله عليه وسلم لبعثته نور يشرق فى قلوب أوليائه ، ولسيفه نار تحرق قلوب أعدائه .

ومنها : أن فيها هداية ودلالة ، وكذلك النبى صلى الله عليه وسلم هدًى من الضلالة ودَلَّ على الرشاد .

ومنها : أنها سيِّدة الأَنوار الفلَكية ، وهو صلى الله عليه وسلم سيد الأَنبياء ، وقد وصف الله رسولَه صلى الله عليه وسلم بالمُنِير ولم يصف الشمس إذ سمَّاها بذلك لأَنها خُلقت من نوره ولأَن دولتها فى الدنيا فقط ودولته ونوره صلى الله عليه وسلم فى الدنيا وفى الآخرة أَعظم .

والمُنِير مُفْعِل من أَنارَ يُنير إنارةً وهو راجع إلى النور .

« السراط المستقيم » : يأتى فى حرف الصاد .

« سر خليطس » ذكره « ع » وقال هو اسمه بالسريانية ومعناه معنى البرقليطس .

« السَّريع » : السابق المبادر إلى طاعة ربه أَو الشديد . ومنه قوله تعالى : (إنَّ رَبَّك لَسريع العقاب[1]) أَى لَشديده ، وإلا فسرعة العقاب تنافى صفة الحِلْم ، إذ الحليم كما مرَّ هو الذى لا يَعْجَل بالعقوبة على من عصاه . وقيل معنى الآية : سريع العقاب إذا جاء وقت عقابه لا يردّه عنه أَحدٌ سبحانه وتعالى .

« سَعْد الله » « خا » .

« سعد الخلائق » .

« سعيد » : فعيل بمعنى فاعل من السعد ، وسمى به صلى الله عليه وسلم لأَن الله تعالى أَوجب له السعادة ــ من القِدَم وحقق لأمته السيادة على سائر الأمم .

« السَّلَام » : أَى السالم من العَيْب المنزَّه عن الرَّيْب ، وهو فى الأَصل السلامة ، وسمى به صلى الله عليه وسلم لسلامة هذه الأمة بل وغيرها بوجوده من العذاب وأَمْنهامن حلول العقاب، أَو لسلامته من النقص والعيب وبراءته من الزيْغ والرَّيْب .

وهو من أَسمائه تعالى ومعناه الذى سلمت ذاته من الشَّيْن وجلَّت صفاته عن النقص والرَّيْن . وقيل : معناه مالك تسليم العباد من المهالك ، ويرجع إلى القدرة . وقيل : ذو

---

(١) سورة الأعراف ١٦٧ .

السلام على المؤمنين فى الجنة . ويرجع إلى الكلام القديم الأزلى . وحكى ذلك إمامُ الحرمين .
وقيل : الذى سَلِم خلقه من ظُلْمه . وقيل سلم المؤمنين من العذاب . وقيل المسلِّم على المصطفَيْن لقوله تعالى (وسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى)[1] .

وهو فى حقه صلى الله عليه وسلم صحيح بالمعنى الأول والرابع ، كما هو واضح ويصح أيضا بالمعنى الخامس ، لأنه مسلِّم المؤمنين من العذاب بهدايته إياهم . وليس المعنى الثالث والسادس ببعيدين فى حقه أيضا .

« السُّلْطان » : الملِك والحجة والبرهان . وتذكيره على معنى البرهان أشهر كما قاله ابن عطية . وهى لغة القرآن وقد يؤنث على معنى الحجة يقال قضت به عليك السلطان وفى القاموس : السلطان الحجة . وقدرة الملِك - وتضم لامه - والوالى ، يؤنث[2] لأنه جمع سَلِيط وهو الدُّهن لأن به يضىء المُلْك[2] أو لأنه بمعنى الحجة وقد يذكَّر ذهابًا إلى معنى الرَّجُل.

وسمى به صلى الله عليه وسلم لأنه حجة الله تعالى على عباده فى الآخرة وبرهانه فى الدنيا وهوذو السلطان وهو الملِك ، والقوة مأخوذ من السَّلاطة وهى التمكن من القهر والغلبة ، ومنه قيل للفصيح سَلِيط لاقتداره على فنون الكلام وللمرأة السخَّابة سليطة لقوتها على المقال وشدة بأسها على الرجال . فسليط كما فى القاموس وغيره مدح للذكر ذم للأنثى . وقد ألغز الزَّينى عبد الباسط فى ذلك فقال :

يا إمام الأَنام أيَّةُ وصفٍ إن يَكُنْ للذُّكور فهو مديحُ
وإذا ما به الأناثَ نَعتنا فهو فى نَعْتهن ذمٌّ قبيح

« السَّميع » : فعيل بمعنى فاعل من السمع الذى هو أحد الحواس الظاهرة . قال تعالى : (لنريه من آياتنا إنه هو السَّميع البصير[3]) قيل : الضمير عائد عليه صلى الله عليه وسلم ، وسمى بذلك لما شُرِّف به فى مَسْراه من سماع كلام مولاه وهو من أسمائه تعالى ومعناه : الذى يَسْمع السرَّ وأَخْفَى ، وسمعه تعالى صفة تتعلق بالمسموعات .

« السَّمِىّ » : السامى أى العالى من السموّ وهو العلوّ ومنه سميت السماء لعلوّها وارتفاعها .

---

(١) سورة النمل ٥٩ .
(٢) عبارة القاموس : والوالى مؤنث لأنه جمع سليط للدهن ، كأن به يضىء الملك .
(٣) سورة الإسراء ١ .

«السَّنا» : مقصورا الضوء الساطع أو النور اللامع ، أو ممدودا وهو الشرف والعلو ، وسمي بذلك لأنه شَرف هذه الأمة وفخرها أو هو صاحب الشرف .

السَّنَد : بمهملتين بينهما نون محركة : الكبير الجليل الذى يعتمد عليه ويقصد ويلجأ إليه .

«السيِّد» : الرئيس الذى يُتَّبع ويُنْتَهى إلى قوله . وقيل :الذى يلجأ الناس إليه فى حوائجهم . وقيل : الذى يطيع ربه . وقيل : الفقيه العالم وقيل الذى سادَ فى العِلْم والعبادة والورع . وقيل : الذى يفوق أقرانه فى كل شئ وقيل : غير ذلك . والنبى صلى الله عليه وسلم سيِّد بالصفات المذكورة وهو من أسمائه تعالى . قال النحاس : ولا يُطلق على غير الله تعالى إلا غير مُعَرَّف . قال النووى : الأظهر جوازه باللام وغيرها للمشهور بعلم أو صلاح ويُكْره لغيره .

وروى الحاكم وغيره عن بُرَيْدة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «إذا قال الرجل للفاسق يا سيِّد[1] أغضبَ ربَّه عز وجل[2] »

تنبيه : روى الإمام أحمد عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشخِّير عن أبيه قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أنت سيِّد قريش . قال : « السيد الله »[3] وسيأتى فى اسمه «سيِّد الناس» ما يجاب به عنه .

«سيِّد الثَّقَلَيْن» : أى الإنس والجن سمِّيا بذلك لأنهما كالثقل للأرض وعليها[4] . وقيل إنهما إنما سمِّيا بذلك لأنهما فضِّلا بالتمييز الذى فيهما على سائر الحيوانات وكل شئ له وزن وقَدْر يُتنافس فيه فهو ثقيل .

« سيِّد الكَوْنَيْن » .

«سيِّد ولد آدم» : روى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة »[5] ولهذا مزيد بيان يأتى فى الخصائص .

«سيِّد الناس» : فى حديث الشفاعة : « أنا سيِّد الناس يوم القيامة ، هل تدرون مم

---

(١) ص : سيد .

(٢) الجامع الصغير ١٠٢/١ ، عن الحاكم والبيهقى فى شعب الإيمان .

(٣) مسند أحمد ٢٤/٤ .

(٤) ص : كالثقل عليها .

(٥) صحيح الترمذى ٢٨٢/٢ .

ذاك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد[1] الحديث بطوله فى مجىء الناس إليه بعد ترددهم إلى الأنبياء وكلهم يقول : نفسى نفسى .

« ع » : وإنما قَيَّده[2] بيوم القيامة لأَن فيه يظهر سؤدده لكل أحد ولا يبقى له منازِع ولا معانِد ، بخلاف الدنيا فقد نازعه فى ذلك ملوك الكفار وزعماؤهم.

وفى لفظ عند الحاكم : « أَنا سيِّد الناس » وفيه « ولا فخر » أى ولا فخر أَعظم ولا أكمل من هذا الفخر الذى أُعطيته . وقيل : معناه أَن هذه الفضيلة التى نِلْتها كرامة من الله تعالى لم أَنلها من قِبَل نفسى ولا بلَغْتها بقوتى ، فليس لى أن أَفتخر بها .

قال النووى : وهذا قريب من قوله تعالى : « لمن المُلْك اليوم »[3] فإنه تعالى له الملك اليوم وبعد ، ولكن لمّا كان ثَمّ من يدعيه أَو يضاف إليه مجازا وانقطع كل ذلك فى الآخرة وبقى المُلْك له وحده قاله موبِّخًا لمن زعم ذلك فى الدنيا .

قال النووى : وإنما قال النبى صلى الله عليه وسلم ذلك لوجهين : أَحدهما امتثالاً لقوله ، تعالى : (وأَمّا بنِعْمة ربِّك فحدِّث)[4] والثانى : أَنه من البيان الذى يجب أَن يبلِّغ لأُمته ليعرفوه ويعتقدوه .

وأَما قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تفضلونى على موسى[5] » وفى رواية على يونس ، فقاله صلى الله عليه وسلم قبل أَن يعلم أَنه سيد الناس ، أَو أَدبا أَو تواضعا ، أَو أَراد النهى عن التفضيل الذى يؤدِّى إلى تنقيص المفضول أَو يؤدى إلى الخصومة أَو عن التفضيل فى نفس النبوّة دون التفضيل فى الخصائِص .

قال النووى : ولا بد من اعتقاد التفاضل بينهم فيها لقوله تعالى (تلك الرسلُ فضَّلْنا بعضَهم على بَعْضٍ)[6] الآية . ولهذا تتمة تأْتى فى الخصائص وفى أَحاديث الشفاعة آخر الكتاب .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان حديث رقم ٣٢٧ .

(٢) ص : وإنما قيد .

(٣) سورة غافر ١٦ .

(٤) سورة الضحى ١١ .

(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الفضائل حديث رقم ١٦٠ ولفظه : « لا تخيرونى على موسى » .

(٦) سورة البقرة ٢٥٣ .

«السَّيْف» : روى الحاكم أن كعب بن زهير أنشد النبي صلى الله عليه وسلم : بانت سعاد . حتى انتهى إلى قوله

إنَّ الرسولَ لَسيْفٌ يستضاء به مُهنَّد من سيوفِ الهنْد مَسلولُ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سيوف الله[1] »

السيف فى الأَصل معروف وأَسماؤه كما قال فى القاموس تزيد على أَلف وجمعه أَسياف وسيوف وأَسْيُف .

« السيف » : المخدَّم « عا » : بمعجمتين كمعظَّم القاطع الماضى وفيه استعارة مرشحة لأَنه ملائم[2] للسيف الحقيقى الذى يشبَّه به صلى الله عليه وسلم تشبيها بليغا . والجامع بينهما أَن الله تعالى محا بكل منهما أَثر كل مجالد ومجادِل وأَظهر دِينَ الحق وأَدْحَض الباطل .

« سيف الإسلام » : روى الدَّيْلمى عن عرْفَجَة بن شُرَيْح رضى الله تعالى عنه رفعه :« أَنا سيفُ الإسلام وأَبو بكر سيف الردّة » .

« سيف الله » : تقدم الكلام عليه .

حرف الشين

« الشارع » : العالِم الربَّانى العامل المعلِّم[3] أَو المظهر[4] المبيِّن للدين القيِّم . اسم فاعل من الشرع وهو الإظهار والتبيين ، وقد اشتهر إطلاقه عليه على أَلسنة العلماء ، لأَنه شرع الدين والأَحكام ، والشرع الدين ، وكذلك الشريعة ، وقد وصف الله تعالى نفسه بقوله تعالى : (شرَع لكم مِنَ الدِّين[5]) فهو مما سمَّاه الله تعالى من أَسمائه .

« الشافع » : الطالب للشفاعة .

« المشفَّع » بفتح الفاء الذى يَشْفع فتُقبل شفاعته وهى السؤال فى التجاوز عن المذنبين .

« الشَّفِيع » : صيغة مبالغة ورد الأَول والثالث فى حديث مسلم السابق فى اسمه « الأَوَّل » والثانى فى حديث سبق فى اسمه أَكثر الأَنبياء تابعًا[6] وسيأْتى الكلام على شفاعته صلى الله عليه وسلم .

---

(١) لم يرد ذلك فى مستدرك الحاكم ٥٧٩/٣ فى روايته عن إسلام كعب بن زهير .

(٢) ص : ملازم اسم السيف الحقيق .

(٣) ص : المتعلم .

(٤) ص ت م : والمظهر . وما أثبته من ط .

(٥) سورة الشورى ١٣ .

(٦) ص : تبعاً .

«الشافى» : المبْرِئ من السقم والألم . والكاشف عن الأمة[1] كل خطب ألَمَّ .

« الشاكر » : اسم فاعل من الشكر وهو الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف ، وقيل تصوّر النعمة وإظهارها وقيل هو مقلوب عن الكشر وهو الكشف وقيل مأخوذ من قولهم « عين شَكْرى » أى ممتلئة[2] فالشكر على هذا الامتلاء من ذكر المنعم .وقال القشيرى : حقيقة الشكر : نُطْق العبد وإقراره بنعمة الرب . وقيل : الاعتراف بعجزه عنه . والشكر على ثلاثة أقسام :

شكر باللسان ، وهو الاعتراف بالنعمة وشكر بالأركان وهو الإتصاف بالوفاق والخدمة .

وشكر بالجنَان ، وهو الاعتكاف على بساط الشهود مع حفظ الحدود والحُرْمة[3] .

قال القاضى : الشكر من الخَلْق للحق معرفة إحسانه ، وشكر الحق للخلق[4] مجازاتهم على أفعالهم ، فسمى جزاء الشكر شكرا مجازا ، والعلاقة المشاكلة ، كما سمى جزاء السيئة سيئة فى قوله تعالى : (وجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها)[5] وهو من أسمائه تعالى .

« الشكّار » : أبْلغ من الشَّكُور الذى هو أبلغ من شاكر كما يُعلم ذلك فى بحث الغَفُور . وفى حديث ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه : ربِ اجعلنى لك شكّارا[6]

« الشَّكُور » : كثير الشكر صيغة مبالغة فَعُول بمعنى فاعل ، أو الذى يثيب الكثير على القليل ، وكان هذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم حتى لا يصير[7] لأحد عليه مِنَّة وهو من أسمائه تعالى ومعناه الذى يعطى الجزيل على العمل القليل من قولهم دابة شكور إذا أظهرت من السِّمن[8] فوق ما تُعْطَى من العلَف ، أو المُثْنِى على عباده إذا أطاعوه أو المجازى على الشُّكْر . روى الشيخان عن المغيرة بن شعبة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلَّى حتى انتفخت قدماه ، فقيل له : أتَتَكَلَّفُ هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عَبْدًا شكورا[9]

---

(١) ص : عن أمته .

(٢) ص : أى معتلة ، محرفة ، وفى م : أى مقبلة .

(٣) ت م : مع حفظ الجودة .

(٤) ص : وشكر الخلق للحق .

(٥) سورة الشورى ٤٠ .

(٦) سنن ابن ماجه حديث رقم ٣٨٣٠ (كتاب الدعاء) .

(٧) ص ت م : لئلا يصير .

(٨) ص ت م : من المثنى .

(٩) صحيح البخارى ١٤٧/١ (باب التهجد) وصحيح مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار حديث رقم ٧٩ .

قيل : وهو[1] أبْلَغ من الشاكر لأنه الذى يشكر على العطاء والشكور الذى يشكر على البلاء . وقيل : الشاكر الذى يشكر على الموجود والشكور الذى يشكر على المفقود .

وحكى أن شقيقًا البَلْخى رحمه الله تعالى سأل جعفر بن محمد رضى الله تعالى عنه[2] وعن آبائه عن الفتوة فقال : ما تقول أنت ؟ فقال شقيق : إن أُعطينا شكَرْنا وإن مُنعنا صبَرْنا . فقال جعفر :هكذا تفعل كلاب المدينة ! فقال شقيق : يا بن رسول الله فما الفتوة عندكم ؟ قال : إن أعطينا آثَرْنا وإن مُنعنا شَكَرْنا .

« الشاهد » : العالم . أو المطَّلع[3] الحاضر اسم فاعل من الشهود وهو الحضور . قال تعالى : (إنا أَرْسَلْناك شاهداً)[4] أى على من بُعثت إليهم مقبول القول عليهم عند الله تعالى كما يُقبل الشاهد العدل . ولهذا تتمة تأتى فى الشهيد .

« الشَّثْن » « عا » بفتح الشين وسكون المثلثة وآخره ، نون أى عظيم الكفين والقدمين والعرب تمدح[5] بذلك . وقال القاضى : نحيفها[6] وقيل : هو الذى فى أنامله غِلَظ بلا قصر . وذلك محمود فى الرجال لأنه أشدّ وأَمْكَن للقبض .

« الشَّدِيد » : واحد الأَشِدَّاء من الصفات المشبهة وهو البيّن الشِّدة بكسر الشين المعجمة والاسم الاشتداد . وهو القوة قال الله تعالى (محمدٌ رَسُول الله والذين معه أَشِدَّاء على الكُفَّار)[7] وهو معنى قوله تعالى : (واغْلُظْ عليهم)[8] وقال الحسن : بلغ من شدتهم عليهم أنهم كانوا يتحرّزون[9] من مُمَاسّة أبدانهم وثيابهم .

« الشَّدْقَمْ » بفتح الشين وسكون الدال المهملة وفتح القاف البليغ المفوَّه[10]. وأصله كبير الشدق وهو جانب الفم ، وميمه زائدة . روى مسلم عن سمرة بن جُنْدَب رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَلِيع الفَمِ[11] . وسيأتى بيان ذلك فى صفة فمه إن شاء الله تعالى .

---

(١) ص : وقيل : هو .

(٢) ص ت م : عنهما وعن آبائهما .

(٣) ص : العالم المطلع .

(٤) سورة الأحزاب ٣٦ .

(٥) ص : تتمدح .

(٦) ص ت م : بتخفيفهما .

(٧) سورة الفتح ٢٩ .

(٨) سورة التوبة ٧٣ .

(٩) ص ت م : يحترزون .

(١٠) ص ت م : البليغ القوة . وما أثبته من ط .

(١١) صحيح مسلم كتاب الفضائل .

«الشريف» : صفة مشبهة من الشرف وهو العلوّ أى العالى أو المشرَّف على غيره، أى المفضَّل فَعِيل[1] بمعنى فاعل أو مفعول .

«الشِّفَاء» بكسر الشين ممدودا البُرْء[2] من السُّقْم والسلامة منه . وسمى به صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى أذهب ببركته الوصَب ، وأزال بسماحة مِلَّته النَّصَب . قال الله تعالى : «قد جاءتكم مَوْعِظة من ربكم وشِفَاءٌ لما فى الصُّدُور[3]» قيل : المراد به سيدنا[4] محمد صلى الله عليه وسلم .

«الشمس» فى الأصل : الكوكب النهارى . وسمى به صلى الله عليه وسلم إما لظهور شريعته أو لعلوه ورفعته لأن رتبتها أرفع من غالب الكواكب ، لأنها فى السماء السادسة عند المحققين من متأخرى أهل الهيئة أو لكثرة الانتفاع به كما أن الانتفاع بها أكثر من غيرها لأنها تنضج الزرع وتشد الحبَّ وترطب البدن أو لأنه لجلالة قدره وعظم منزلته لا يحاط بكمال صفته ولا يسع الرائى ملء عينه[5] منه إجلالاً له كما أن الشمس لكبر جِرْمها حتى قيل إنها قدر كرّة الأرض مائة وستين مرة وقيل : وخمسين وقيل : وعشرين . لا يدركها البصر بل تكاد تُكِلّه وتخطفه وتعميه . أو لأن نور الأنبياء مستمد من نوره كما قال البوصيرى رحمه الله تعالى .

وكل آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الكرام بها ... فإنما اتصلتْ من نوره بهمُ

كما أن سائر الكواكب تستمدّ من نور الشمس بمعنى[6] أن نورها لما كان مستمدا مستترا[7] من نور الشمس فكأنه مستمد منه وإلا فهى جوهر شفَّاف لا لون لها مضيئة بذاتها أو بكواكب أخر مستترة عنا لا نشاهدها إلا القمر فإنه كَمُل فى نفسه .

«الشِّهَاب» بكسر الشين المعجمة : السيد الماضى فى الأمر أو النجم المضئ وسمى صلى الله عليه وسلم بذلك كما سمى بالنجم ، أو لأن الله حمى به الدين من كل معاند وجاحد

---

(١) ص ت م : مفعل . وما أثبته من ط .

(٢) ص ت م : المبرء . وما أثبته من ط .

(٣) سورة يونس ٥٧ .

(٤) ص : قيل هو سيدنا رسول الله .

(٥) ص : ملء العين .

(٧) ط : لما كان منغمرا فى نور الشمس .

كما حمى بالشُّهب سماء الدنيا من كل شيطان مارد . قال كعب[1] بن مالك رضى الله تعالى عنه يمدحه صلى الله عليه وسلم :

إن الرسول شهاب ثم يتبعـــه نور مضئ له فضل على الشهب

«الشَّهِم» : بفتح أوله وكسر ثانيه : السيد النافذ الحكم .

«الشَّهيد» : العليم أو العدل المزكى . قال تعالى : « ويكون الرسول عليكم شهيدا[2] » أى معدلا مزكِّيا . روى البخارى من حديث عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج يوماً فصلى على أهل أُحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال : أنا فَرَطكم وأنا شهيدٌ[3] عليكم[4] » .

وهو من أسمائه تعالى ومعناه أنه الذى لا يَغِيب عنه[5] شىء .

قال ابن الأثير : وهو فَعِيل من أبنية المبالغة فى فاعل وإذا اعتبر العِلْم مُطْلَقا فهو العليم فإذا أُضيف إلى الأُمور الباطنة فهو الخبير ، أو إلى الظاهر فهو الشهيد . انتهى فكل شهيد وخبير[6] عليم ولاعكس .

وقيل هو الشاهد يوم القيامة بما علم . روى الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يُدْعى نوحٌ يوم القيامة فيقال: هل بلَّغتَ فيقول: نعم فيُدْعى قومه فيقال : هل بلَّغكم فيقولون : ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد . فيقال لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأُمته . فذلك قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أُمةً وسطا[7] » الآية . والوسط العدل . ولهذا مزيد بيان يأتى إن شاء الله تعالى فى الخصائص .

حرف الصاد

«الصابر» : اسم فاعل من الصبر ، وهو حبس النفس عن الجَزع وإمساكها فى الضيق والفزع . وقال فى الإحياء : هو ثبات[8] باعث الدين على مقاومة باعث الهوى . وفى رسالة

---

(١) ص : ليث . محرفة . (٢) سورة البقرة ١٤٣ .

(٣) ص ت م : وشهيد .

(٤) صحيح البخارى ١/١٧٤ (كتاب الجنائز باب الصلاة على الشهيد) .

(٥) ط : لا يغيب عليه . (٦) ص : فكل شهيد وعليم خبير .

(٧) صحيح البخارى ٤/٢١٩ (كتاب الاعتصام) ولم أجده فى صحيح مسلم . وهوفى مسند أحمد ٣/٣٢ ، ٤/١٣ . وابن ماجه كتاب الزهد باب صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم . (٨) ط : ثابت .

الأستاذ أبى القاسم القشيرى رحمه الله تعالى : الصبر إما على مكتسب للعبد وإما على غيره فالأول الصبر على ما أمر الله تعالى به وعما[1] نهى عنه . والثانى : الصبر على مقاساة ما يتصل به من حكم الله لما فيه من مشقة . وقال الجنَيْد : هو تجرُّع المرارة من غير تعبيس[2] وقال ابن عطَاء : هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب .

وقال الجريدى : ألاَّ يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما . وقيل : هو تَرْك الشكوى إلى العباد ، فلا ينافيه الشكوى إلى الله تعالى لأنه وصَف أيوب بالصبر فقال : (إنَّا وجَدْنَاهُ صابرا »[3] مع شكواه إليه حيث قال : (إنى مسَّنى الضرُّ وأنت أرحم الراحمين[4]) .

والتصبر هو السكون على البلاء ، مع وجود[5] أثقال المحنة .

وقال بعضهم : الصبر على ثلاث مقامات : أولها ترك الشكوى . وهى درجة التائبين . ثانيها : الرضا بالمقدور ، وهى درجة الزاهدين . ثالثها : المحبة لما يصَنْع المولى . وهى درجة الصِّديقين .

وقال الخوَّاص : هو الثبات على أحكام الكتاب والسُّنة .وقال بعضهم : الصبر إما بدَنى أو نفسىّ ، فإن كان عن شهوة البطن فهو العِفَّة ، وإن كان عن مصيبة[6] فهو الصبر وضده الجزَع والهلَع . وإن كان فى احتمال الغِنىَ فهو ضَبْط النفس وضده البطَر . وإن كان فى القتال فهو الشجاعة وضده الجبن . وإن كان فى كَظْم الغيظ فهو الحِلم وضده السَّفَاهة وإن كان فى إخفاء كلامٍ فهو كَتْم السرِّ . وإن كان عن فُضول العيش فهو الزهد .

قال تعالى : (واصبر لحُكْم ربِّك[7]) (واصبِرْ وما صَبْرُك إلا بالله[8]) وقد كان صلى الله عليه وسلم أصبر الناس بالمعانى المذكورة كلها .

وروى ابن سعد عن إسماعيل بن عَيَّاش بالشين المعجمة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصْبَر الناس على أقذار الناس[9] .

---

(١) ص : وما نهى عنه .
(٢) ص ت م : من غير تعيس .
(٣) سورة ص ٤٤ .
(٤) سورة الأنبياء ٨٣ .
(٥) ص : مع وجدان .
(٦) ص ت م : عن معصية . وما أثبته من ط .
(٧) سورة الطور ٤٨
(٨) سورة النحل١٢٧ .
(٩) طبقات ابن سعد ٩٩/١ (القسم الأول) ونصه : « على أوزار الناس » .

«الصاحب» : « ع ح د خا » اسم فاعل من الصحبة وهى المعاشرة والملازمة قال تعالى : « ما ضَلَّ صاحبكم وما غوَى »[1] «وما صاحِبكم بمجنون[2]» قال: « د »: وهو بمعنى العالم والحافظ واللطيف . وقال « ع » : سمّى بذلك لما كان عليه[3] من اتبعه من حُسْن الصُّحبة وجميل المعاملة وعظم المروءة والوقار والبِرّ والكرامة . « د » وقد ورد إطلاق الصاحب على الله تعالى فى حديث : اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل » .

« عا » الصُّحْبة على ثلاثة أقسام : الأول : صحبة من فوقك وهى فى الحقيقة خِدْمة ، وآدابها ترك الاعتزال وحمل ما يَصْدر منه على أسَدّ[4] الأحوال . الثانى : صحبة من هو دونك وهى تقضى على المتبوع بالإشفاق وعلى التابع بالوقار وآدابها أن تنبِّه على ما فيه من نقصان من غير تعنيف . الثالث : صحبة مع المساوِى[5] وهى صحبة الأكْفاء والأقران . وتَنْبَنى[6] على الفتوّة والإيثار وآدابها :

الالتفات عن عيوبهم وحَمْل ما صدر منهم على الجميل فإن لم تجد تأويلاً فاتهم نفسك .

« صاحب الآيات » : « خا »

« صاحب المعجزات[7] » .

« صاحب الأزواج الطاهرات »

« صاحب البرهان » .

« صاحب البيَان » .

«صاحب التاج» : وقد ذكر فى الإنجيل كما تقدم فى اسمه راكب الجمل « يا »[8] المراد بالتاج العمامة ، ولم تكن حينئذ إلا للعرب والعمائم تيجان العرب .

«صاحب التوحيد» : وهو مصدر وحَّدْتُه إذا وصفته بالوحدانية قال بعضهم : التوحيد الحكم بأن الله تعالى واحد ، والعلم بذلك .

---

(١) سورة النجم ٢ .

(٢) سورة التكوير ٢٢

(٣) ص ت م : على من اتبعه . وما أثبته من ط .

(٤) ص ت م : على أشد . وهو تحريف .

(٥) ص : مع التساوى .

(٦) ص : وتبنى .

(٧) ط : صاحب الآيات المعجزات .

(٨) ص : عا .

« صاحب الخير » .

« صاحب الدرجة العالية الرفيعة » .

« صاحب الرداء » .

« صاحب السجود للرب المعبود » .

« صاحب السَّرايا » .

« صاحب الشَّرْع »

« صاحب العطاء » .

« صاحب العلامات الباهرات » .

« صاحب العلو والدرجات » .

« صاحب الفضيلة » .

« صاحب الفَرَج » .

« صاحب القَدم » .

« صاحب المَغْنَم » .

« صاحب الحُجّة » : قال « د » هو فى أوصافه فى الكتب المتقدمة ، والحجة البرهان والمراد بها المعجزات التى جاء بها وسيأتى الكلام عليها فى أبوابها .

« صاحب الحوض المورود » : وسيأتى الكلام عليه فى أواخر الكتاب .

« صاحب الكوثر » : وسيأتى الكلام عليه .

فائدة : روى الدارقطنى بسند جيد عن عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعا : « من أراد أن يسمع خَرِير الكوثر فليجعل إصبعيه فى أذنيه » قال الحافظ جمال الدين المزِّى أى من أراد أن يسمع مِثْل خريره . .

« صاحب الحَطِيم » : وسيأتى الكلام عليه فى شرح قصة المعراج .

« صاحب الخاتم » : والمراد به خاتم النبوة وسيأتى الكلام عليه فى أبواب صفات جسده أو الخاتم الذى كان يلبسه وسيأتى الكلام عليه فى أبواب زِينته .

« صاحب زمزم » : « د » وابن خالويه . وتقدم الكلام عليه فى زمزم .

«صاحب السلطان» : : قال « يا » : هو من أسمائه فى الكتب المتقدمة وفى كتاب نبوة شَعْيا صلى الله عليه وسلم فيما نقله ابن ظَفَر : أَثَر سلطانه على كتفه . قال وفى رواية العِبْرانيين بدل هذه : على كتفه[1] خاتم النبوة فهو المراد بالأثر ، والمراد بالسلطان النبوة ، وتقدم الكلام على لفظ السلطان .

«صاحب السيف» : هو من أوصافه فى الكتب المتقدمة والمعنى به أنه صاحب القتال والجهاد ، وفيها ذكره بأن سيفه على عاتقه يجاهد به فى سبيل الله .

روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بُعثت بالسيف حتى يُعْبد الله لا شريك له[2] »

لطيفة : أنشأ الإمام العلامة جمال الدين بن نباتة مقامة فى المفاخرة بين السيف والقلم ذكر فيها من خصائص السيف ومزاياه على القلم أن اليد الشريفة النبوية حملَتْه دونه[3]. وسيأتى الكلام على أسيافه صلى الله عليه وسلم فى أبواب سلاحه .

« صاحب الشَّفاعة العظمى » : وسيأتى الكلام على ذلك فى الخصائص وفى أبواب شفاعاته .

«صاحب اللِّواء» : والمراد به لواء الحَمْد ، وقد[4] يُحْمل على اللواء الذى كان يَعْقده للحرب فيكون كناية عن القتال .

«صاحب المحْشَر» . وفى الصحاح : المحشِر بكسر الشين هو موضع الحشر وهو يوم القيامة . ومعنى كونه صاحبه أنه صاحب الكلمة فيه والشفاعة واللواء والمقام المحمود والكوثر . ويظهر له[5] من الخصائص الجمَّة ما ليس لغيره .

« صاحب المِدْرَعة » : ورد فى الإنجيل كما سبق فى اسمه : راكب الجمل » وفى الصحاح المِدْرعة والمِدْرع[6] واحد وهو درع الحديد انتهى[7] . ومعنى الاسم راجع إلى القتال والملاحم .

---

(١) ص : وفى كتفه .

(٢) مسند أحمد حديث رقم (٥٦٦٧) ط شاكر ونصه : « بعثت بين يدى الساعة بالسيف » .

(٣) ص : دون القلم .

(٤) ط : وقيل يحمل .

(٥) ص ت م : ويظهر فيه . وما أثبته من ط .

(٦) ص : والدرع .

(٧) بالأصل بالنها . والذى فى الصحاح : درع الحديد مؤنثة . ثم قال وتدرع : أى لبس الدرع والمدرعة أيضا . الصحاح للجوهرى ٥٨٦/١ .

«صاحب المَشْعَر» : ذكره ابن‌خالويه . والمشعر بفتح الميم وحكى الجوهرى كَسْرها لغة . قال صاحب المطالع: يجوز الكسر ولكنه لم يَرِدْ . وقال النووى فى تهذيبه : اختلف فيه . فالمعروف فى كتب التفسير والحديث والأخبار[1] والسير أنه مزدلفة كلها . وسمى مشعرًا لمـا فيه من الشعائر وهى مَعالم الدين .

« صاحب المِعْراج » : يأْتى[2] الكلام عليه .

« صاحب المقام المحمود » : قال « د » : وقع الإجماع على أن المقام المحمود هو الشفاعة وسيأْتى الكلام على ذلك فى أبواب شفاعاته[3] وفى الخصائص إن شاء الله تعالى .

« صاحب المِنْبر » : بكسر الميم مأخوذ من النَّبْر وهو الارتفاع وسيأْتى الكلام عليه[4] فى الحوادث .

« صاحب النَّعْلين » : ورد فى الإنجيل كما تقدم فى حرف الراء ولهذا مزيد بيان فى أبواب لباسه صلى الله عليه وسلم .

« صاحب الهِرَاوة » : ورد فى الإنجيل كما سبق فى حرف الراء. والهِرَاوة بكسر الهاء فى اللغة : العصا، وأراها والله تعالى أعلم : العصا المذكورة فى حديث الحوض : « أَذُود الناس عنه بعصاى إلى اليمين » قال النووى : وهو ضعيف لأن المراد تعريفه بعلامة يراها الناس معه يستدلون بها على صِدْقه وأنه المبشَّر به المذكور فى الكتب السالفة[5] فلا يصح تفسيره بعصا تكون فى الآخرة . والصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يمسك القضيب بيده كثيرا ، وقيل لأنه كان يمشى والعصا بين يديه وتُغْرز له فيصلِّى إليها . روى الإمام أحمد فى الزهد عن أبى المثنَّى الأُمْلُوكى أنه سئل عن مَشْى الأنبياء بالعصى فقال : ذلٌّ وتواضع لربهم تبارك وتعالى .

الأُملوكى : بضم الهمزة أوله واللام .

« صاحب لا إله إلا الله » : ومن صفته فى التوراة : « ولن يَقْبضه الله حتى يقيم به الملة العَوْجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله » .

« الصادع » : اسم فاعل من صَدَع بالحجة إذا تكلم بها جهارا من الصديع وهو الفَجْر

---

(1) ص : والتفسير.
(2) ص : وسيأتى .
(3) ص : شفاعته .
(4) ص : على ذلك .
(5) ص ت م : السابقة .

أو من[1] الصَّدْع بمعنى الفصل والفرق. أخذه « ط » من قوله تعالى : (فاصْدَعْ بما تُؤْمر[2]) .

أى أَبِن الأَمرَ إبانةً لا تخفى كما لا يلتئم صَدْع الزجاجة المستعار منه ذلك التبليغ لجامع التأْثير . وقيل : أَظهره ، أَو أَمْضِه أَو افْرُقْ[3] . ومعناه : بالقرآن أَو الدعاء إلى الله تعالى وأَوْضِح الحقَّ وبيِّنه من الباطل .

« الصادق » : اسم فاعل من الصدق . وروى البخارى وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصَّادق المصْدوق فيما أَخبره به جبريل عليه السلام » قال ابن دِحْية : « كان الصادق المصدوق علمًا واضحا له صلى الله عليه وسلم يَجْرى مجرى الأَعلام[4] » وروى الزبير بن بكَّار أَن أَبا جهل لقى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: إنَّا لا نُكَذِّبك ولكن نكذِّب ماجئتَ به فأَنزل الله عز وجل : (فإنهم لا يكذِّبونك ولكن الظالمين بآياتِ الله يَجْحدون[5]) وهو من أَسمائه تعالى. قال الله تعالى : (ومن أَصْدَق من الله حديثًا[6]) وورد ذكره فى حديث الإسراء .

« صاعد[7] المعراج » : اسم فاعل من الصعود وهو الرقّ . يقال صعد فى الجبل أَو السلم إذا رقَى فيه وأَصْعَد فى الأَرض إذا توجَّه مستقبلا أَرضًا أَرفعَ منها . وعن أَبى عمرو : ذهب أَينما توجه . وسيأْتى لهذا مزيد بيان فى أَبواب معراجه .

« الصالح » : فى حديث الإسراء قول الأَنبياء له صلى الله عليه وسلم : « مَرْحبا بالأَخ الصالح والنبى الصالح » . والصالح كلمة جامعة لمعانى الخير كله ، قال الزجاج : الصالح الذى يؤدى إلى الله ما افترضه عليه وإلى الناس حقوقهم ، وقال فى المطَالع : الصالح القيِّم[8] بما يلزمه من الحقوق .

« الصَّبُور » : صيغة مبالغة من الصَّبْر ، فَعُول بمعنى فاعل وهو الذى لاتحمله العَجلة على المؤاخذة . وكان صلى الله عليه وسلم شديد الصبر على أَذى قومه له مع حلمه عليهم ، حتى قيل له لمـا رماه عُتْبة بن أَبى وقَّاص يوم أُحد فكسر رَبَاعِيَته السُّفلى وجرح شفته السفلى

---

(١) ص : أو بمعنى .
(٢) سورة الحجر ٩٤ .
(٣) الأصل : أو فرق .
(٤) ط : إذ جرى مجرى الأسماء .
(٥) سورة الأنعام ٣٣
(٦) سورة النساء ٨٧ .
(٧) ص : صاحب المعراج .
(٨) ص : القائم .

وشجَّ عبدُ الله بن شهاب الزُّهْرى قبلَ إسلامه وجهه وجرح عبدُ الله بن القَمِئة[1] وَجْنته فدخلت حَلْقتان من المِغْفر فيها ذلكَ اليوم : ادع الله عليهم . فقال : « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » امتثالا لقوله تعالى المُؤْذن بالتسلية له : (فاصبِرْ كما صبرَ أُولو العَزْم من الرُّسل)[2] أى أصحاب عَقْد القلب على إمضاء الأَمر ، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلى الله عليهم وسلم .

وهو من أسمائه تعالى، ومعناه الذى لا تَحْمله العَجَلة على مؤاخذه العُصاة ولا تستعجله على معاقبة العتاة . والفرق بينه وبين الحلم أن الحِلْم: لا يشعر بالمعاقبة آخر الأَمر والصبر يُشْعر بذلك .

« الصَّبِيح » : الجميل، صفة مشبهة من الصباحة وهى الحسن والجمال . يقال صَبُح ككرم فهو صَبِيح و صُبَّاح كفَلَّاح ورُمَّان . أى جميل، وسمى بذلك لأَنه صلى الله عليه وسلم أَصْبح الناسِ وأحسنهم كما سيأْتى فى باب حُسْنه .

«الصَّدُوق» : الذى يتكرر منه الصدق وهو الإخلاص ، وأول مراتبه استواء السِّر والعلانية . وقال الواسطى : الصدق صحةُ التوحيد مع القصد .

«الصِّدْق» : نقله الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ عن بعضهم أخذا من قوله تعالى : (فمن أظْلَم ممن كَذَب على الله وكذَّب بالصِّدْق إذ جاءه[3]) .

«الصدِّيق» : بتشديد الدال : الموقن . صيغة مبالغة من الصدق أو هو الذى يصدِّق قولَه بالعمل .

«الصراط المستقيم» : قال أبو العالية : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه عَبْد بن حُمَيْد وابن جَرير وابن أبى حاتم . ورواه الحاكم وصححه عن ابن عباس ، وسمى به صلى الله عليه وسلم لأَنه الطريق الموصِّل إليه . والصراط : الطريق . وقيل : الواضح، وقيل السَّوِىّ . والسين لغة فيه . والمستقيم : القيِّم الواضح الذى لا عِوَج فيه .

---

(١) ويقال فيه ابن قئة ، كما فى ابن هشام .

(٢) سورة الأحقاف ٣٥ .

(٣) سورة الزمر ٣٢ .

« صراط الذين أنعمت عليهم » .

«الصفوة» : بتثليث الصاد : الخِيار والخلاصة . وفى حديث عمر عند ابن ماجة والحاكم أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم : « أنت نبيُّ الله وصَفْوته[١] » .

«الصَّفُوح» : هو من صفاته فى التوراة « ولا يَجْزى بالسيئة السيئةَ ولكن يعفو ويصْفح» .

وفى الشمائل عن عائشة : « لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحِّشا ولا سَخَّابا فى الأَسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو[٢] ويصفح » . والصَّفُوح صِيغة مبالغة من الصفح. قال فى الصحاح : وصفحتُ عن فلان إذا أعرضت عن ذنبه . وفى الشرح : الصفح : تَرْك التَّثْريب والإعراض والتجاوز عن المسيئين قال تعالى :(فاصفح الصَّفْحَ الجميل) قيل : وهو أبلغ فى العفو لأَن الإنسان قد يعفو ولا يصفح . قال « عا » وعندى أن العفو أبلغ من الصفح لأَنه إعراض عن المؤاخذة ، والعفو محو الذنب ، ومن لازم المحو الإعراض ولا عكس .

«الصَّفِىّ» : وهو الذى يختاره الكبيرُ لنفسه من الغنيمة . فعيل بمعنى مفعول وسمِّى به صلى الله عليه وسلم لأَن الله اصطفاه من خَيْر خلقه . وتقدم لهذا مزيد بيان فى أبواب نسَبه .

« الصِّنْديد » : بمهملات وزن عِفْرِيت : السيِّد المطاع والبطل الشجاع أَو الحليم أَو الجواد أَو الشريف .

«الصَّيِّن» : بفتح الصاد وتشديد المثناة التحتية وتخفيف النون صفة مشبَّهة من الصِّيَانة وهى حفظ الأُمور وإحرازها وسمِّى بذلك لأَنه صان نفسه عن الدَّنَس وحفظ قلبه عن طوارق الشك والهوَس[٣] .

حرف الضاد المعجمة

«الضابط» : قال فى الصِّحاح : ضَبَط الشىء : حَفِظه فهو ضابط أَى حازم . فهو راجع إلى معنى الحفيظ والحافظ وسمى به صلى الله عليه وسلم لأَنه يضبط ما يوحى إليه أَى يحفظه عن التغيير والتبديل .

---

(١) سنن ابن ماجة حديث رقم ٤١٥٣ (كتاب الزهد باب ضجاع آل محمد صلى الله عليه وسلم)
(٢) شرح الشمائل ١٩٤/٢ .
(٣) ص : والرجس .

« الضارب بالحُسَام » .

«الضارع» : الخاضع المتذلل المبْتهل إلى الله تعالى ، اسم فاعل من ضَرِع كفَرِح أو كمنَع يَضْرع فهو ضارع أى متذلل مبتهل . وسمى صلى الله عليه وسلم بذلك لكثرة تضرعه وابتهاله إلى الله تعالى وخضوعه لهيبته واستكانته لعظمته . قال تعالى : (واذكر ربَّك فى نفسك تَضرُّعًا وخِيفةً[1]) .

«الضَّحَّاك» : الذى يُسِيل دماء العدوّ فى الحرب لشجاعته .

« الضَّحُوك » : روى ابن فارس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : اسم النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة : الضحوك القَتَّال يركب البعير ويلبس الشَّمْلة ويجتزىء بالكِسْرة وسيفه على عاتقه .

قال ابن فارس : سمى بالضحوك لأنه صلى الله عليه وسلم كان طيِّب النفس فَكِهًا على كثرة من يَنْتابه ويَفِد عليه من جُفَاة العرب وأهل البوادى ، ولا يراه أحد ذا ضَجر ولا قلق ، ولكن لطيفا فى النطق رفيقا فى المسألة . ولهذا مزيد بيان فى باب ضحكه وتبسمه .

«الضَّمِين» : فعيل بمعنى فاعل ، وهو فى الأصل الكفالة ، والمراد به هنا الحفظ والرعاية ، وسمى به صلى الله عليه وسلم لتكفّله بالشفاعة لأُمته حفظا لهم ورعاية لهم . وفى البخارى عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من يَضْمن لى ما بين لِحْيَيْه وما بين رِجْليه أضمن له على الله الجنة[2] » أراد بما بين اللَّحْيين اللسان وبما بين الرجلين الفرج .

« الضَّيْغَم » : بفتح المعجمتين وسكون التحتية بينهما : البطل الشجاع والسيد المطاع .

«الضِّياء» : بالمد : أشد النُّور وأعظمه ، وسمى به صلى الله عليه وسلم والقرآن لأنه يَهتدى بكل منهما ذوو العقول والحِجَى كما يُهتدى بالضَّوء فى ظلمات الدُّجَى . قال عمرو بن معدى كرب رضى الله تعالى عنه يمدح[3] النبى صلى الله عليه وسلم :

حِكْمة بعد حكمةٍ وضِيَاء ... قد هُدِينا بنورها مِنْ عَمَانَا

---

(١) سورة الأعراف ٢٠٥ .

(٢) صحيح البخارى ١٠٣/٤ (كتاب الرقاق باب حفظ اللسان) .

(٣) ط : يمدحه .

حرف الطاء

«طاب طاب» : بالتكرير قال « ع » : من أسمائه صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، ومعناه طيِّب . وقيل معناه : ما ذكر بين قوم إلا طاب ذكره بينهم .

«الطاهر» : المنزَّه عن الأدناس المبرَّأ من الأرجاس[1] اسم فاعل من الطهارة ، وهى كما قال بعضهم : على قسمين حسية ، ومعنوية . فالأولى : التنقِّى من الأدناس الظاهرة ، والثانية : التخلى عن الأرجاس الباطنة ، كالأخلاق المذمومة والتحلِّى بالأخلاق المحمودة .

قال النيسابورى : الطهارة على عشرة أوجه :

الأول : طهارة الفؤاد ، وهى صَرْفه عما دون الله تعالى .

الثانى : طهارة السرّ ، وهى رؤية المشاهدة .

الثالث : طهارة الصدر ، وهى الرجاء والقناعة .

الرابع : طهارة الروح ، وهى الحياء والهيبة .

الخامس : طهارة البطن ، وهى الأكل من الحلال والعفة .

السادس : طهارة البدَن ، وهى ترك الشهوات .

السابع : طهارة اليدين ، وهى الورع والاجتهاد .

الثامن : طهارة المعصية ، وهى الحسرة والندامة .

التاسع : طهارة اللسان ، وهى الذِّكر والاستغفار .

العاشر : طهارة التقصير ، وهى خوف سوء الخاتمة نسأل الله تعالى السلامة .

وسُمِّى صلى الله عليه وسلم بذلك لأنه المستجمع لجميع أنواع الطهارة ، لأن الله تعالى طيَّب باطنه وظاهره وزكَّى علانيته وسرائره . وسيأتى فى الخصائص القول بطهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم .

«الطَّبيب» « خا » « عا » فعيل بمعنى فاعل من الطب ، وهو علاج الجسم والنفس بما يزيل السقم ، أى الذى يبرئ الأسقام ويذهب[2] ببركته الآلام .

«الطِّرَاز المُعْلَم» : أى العلم المشهور الذى يُهتدى به . والطِّراز فى الأصل - بكسر الطاء آخره

(١) ص ت م : عن الأنجاس .

(٢) ط : وتذهب .

زاى : علم الثوب ، فارسى معرب . وسمى به صلى الله عليه وسلم لتشريف هذه الأُمة به ، كما يُشَرّف الثوب بالطراز. والمعْلَم بالبناء للمفعول : الموسوم[1] من العلامة ، وهى[2] ما يحصل به امتياز الشيء عن غيره ، صفة للطراز .

« طس »

« طسم » . ذكرهما « د » والنسفى، من أسمائه صلى الله عليه وسلم ، وذكرهما جماعة فى أسماء الله تعالى ، وهذه الأسماء على ضربين : أحدهما: مالا[3] يتأتى فيه الإعراب نحو كهيعص . والثانى : ما يتأتّى فيه الإعراب وهو نوعان : الأول ما كان اسمًا مُفْردًا كصاد وقاف . فهو[4] محكى لا غير . والثانى : أن يكون أسماء عدة مجموعها بوزن اسم مفرد كحم وطس ويس ، فإنها بوزن قابيل وهابيل فيجوز فيه الإعراب والحكاية ، وكذلك « طسم » يتأتى أن تفتح نونها وتصير مضمومة إليها فيُجْعَلا اسما واحدا مركبا ك « دارا بجرد » لأنه مركب من « دارا » اسم الملك « وبجَرْد » اسم بلد .

«طه» : ذكره خلائق فى أسمائه صلى الله عليه وسلم وورد فى حديث رواه ابن مردويه بسند ضعيف عن أبى الطُّفَيْل رضى الله تعالى عنه . وقيل[5] أراد يا طاهر من العيوب والذنوب أو[6] يا هادِى إلى كل خير . ذكره الواسطىّ .

وقيل : إنه من أسماء الله تعالى وقد أشبعت[7] الكلام على هذه الأسماء الواقعة فى أوائل السور فى كتابى « القول الجامع الوجيز الخادم للقرآن العَزِيز » .

« الطَّهُور » : كصَبُور : الطاهر فى نفسه المطهِّر لغيره . وسمى بذلك لأنه صلى الله عليه وسلم سالم من الذنوب خالص من العيوب مطهِّر لأمته من الأرجاس ومزكِّيها من الأنجاس .

«الطيِّب» « ع ذ ح » بوزن سيِّد : الطاهر أو الزكى . لأنه صلى الله عليه وسلم لا أطيب منه إذ سَلِم[8] من حيث القلب حين أزيلت منه العلقة ، ومن حيث القالب فهو كله طاعة روى الترمذى فى الشمائل عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : ما شمَمْت مِسْكًا قط

---

(١) ص ت م : الرسول . محرفة . وما أثبته من ط .
(٢) ص ت م : وهو .
(٣) ط : أحدهما لا يتأتى .
(٤) ط : فإنه محكى .
(٥) ص ت م : فعيل . محرفة .
(٦) ط : وياهادى .
(٧) ص ت م : وقد أثبت .
(٨) ص ت م : إذ يسلم . وما أثبته من ط .

ولا عطرا أطيب من عَرَقه[1] صلى الله عليه وسلم[2] » ولهذا مزيد بيان فى باب طِيب عرقه وريحه صلى الله عليه وسلم .

وورد إطلاق الطيِّب على الله تعالى فى حديث : « إن الله طيِّب لايَقْبل إلا طيِّبا » رواه مسلم[3] والله تعالى أعلم .

حرف الظاء المعجمة

«الظاهر» : « د » «عا» أى الجلىّ الواضح أو القاهر[4] من قولهم : ظهر فلان على فلان أى قهره . قال الله تعالى : « هو الذى أَرْسلَ رسولَه بالهُدَى ودِينَ الحقِّ ليُظْهره على الدِّين كله[5] » والظهور : العلوُّ والغَلبة . وهو من أسمائه تعالى ، ومعناه الجلىّ الموجود بالآيات الظاهرة والقُدْرة الباهرة .

« الظَّفُور» : « خا » « عا » من ظَفَر : إذا أنشب ظُفْره فى الشىء الغائر ، فَعُول بمعنى فاعل صيغة مبالغة من الظفَر وهو الفوز . والله تعالى أعلم .

حرف العين المهملة

«العابِد» : « د» اسم فاعل من عبَد إذا أطاع . قال تعالى : « واعْبُدْ ربكَ حتى يأْتيك اليقين[6] » ومواظبته صلى الله عليه وسلم على العبادة معروفة تواترتْ بها الأحاديث .

« العادل» : المستقيم الذى لا جَوْر فى حكمه ولا عَيْل ، من العدل ضد الجَوْر . قال عمه أبو طالب يمدحه صلى الله عليه وسلم :

حَلِيم رشيدٌ عادلٌ غير طائش   يَوالى إلٰهًا ليس عنه بغافـــل

« العارف» : الصبور . قال فى الصِّحَاح : يقال أُصيب فلان فوجِد عارفًا أى صابرًا . أو العالم، قال الأُستاذ أبو القاسم القشيرى ، قدَّس الله تعالى سره : المعرفة على لسان العلماء هى العلم ، فكل عارف بالله تعالى عالِم، وعكسه، وعند هؤلاء يعنى الصوفية المعرفة صفة من

---

(١) ط : من عرق النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) شرح شمائل الترمذى ١٩٢/٢

(٣) صحيح مسلم كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب (٨٥/٣ ط استامبول)

(٤) ت م : أو الظاهر . محرفة .

(٥) سورة الفتح ٢٨ .   (٦) سورة الحجر ٩٩ .

عرَف الحقَّ سبحانه في معاملاته ثم تنقَّى من أخلاقه الرَّديّه وانقطع عن هواجس نفسه الأبيّة حتى صار من الخَلْق أجنبيًّا ، ومن آفات نفسه بَرِيًّا ، فحينئذ يسمى عارفا وحالته مَعْرفة . ومن أماراتها حصول الهَيْبة ، فمن زادت معرفته ازداد من الله تعالى هيبة[1] فالهيبة من شرط المعرفة . قال الله تعالى : (ويحذِّركم الله نفسَه)[2] كما أن الخوف من شَرْط الإيمان قال الله تعالى : (وخافون إن كنتم مؤمنين)[3] والخشية من شَرْط العلم . قال الله تعالى : (إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ[4]) والمعرفة توجب السَّكينة والعلم يوجب السُّكون .

قال الشِّبْلي رحمه الله تعالى : ليس لعارف علاقة ، ولا لمحبٍّ شكوى ، ولا لراجٍ قَرَار ، ولا من الله تعالى فِرَار .

وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى : ركضتْ أرواحُ الأنبياء فى ميدان المعرفة فسَبقت روحُ محمد صلى الله عليه وسلم إلى روضة الوِصَال .

فإن قيل : أيهما أفضل : العارف بالله تعالى أم العالم بأحكام الله تعالى ؟ فالجواب : قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام قدَّس الله تعالى سِره : العارف أفضل ، لأن العِلْم يَشْرف بشرف معلومه ، والمعرفة : العلم بصفات الله تعالى ؛ والعلم بها أفضل من كل معلوم سِوَاها لتعلّقه بأشرف المعلومات .

وأما قوله تعالى : (إنما يَخْشى الله من عباده العلماء[4]) فالمراد العلماء العارفون به وبصفاته . كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، لا يجوز الحمل على من سواهم[5] لأن الغالب عليهم عدم الخشية وخبر الله تعالى صِدْق فلا يُحْمل إلا على من عرفه وخشيه .

وقول بعضهم : العمل المتعدى خير من العمل القاصر يرده أن الإيمان أفضل الأعمال وهو قاصر ، وقد قدَّم عليه الصلاة والسلام التسبيح عُقَيْب[6] الصلوات وفضَّله على التصدق بفضول الأموال مع تعدى نفعه إلى الفقراء .

---

(١) ط : إزدادت من الله هيبته .
(٢) سورة آل عمران ٢٨ .
(٣) سورة آل عمران ١٧٥ .
(٤) سورة فاطر ٢٨ .
(٥) ط : عمن سواهم .
(٦) ص ت م : عقب .

«العاضد» : « عا » المعِين ، اسم فاعل من عضَده إذا أعانه ، وأصْله الأخذ بالعَضُد وهو ما بين المِرْفق إلى الكتف ، ثم استعير للمعين ، يقال : عضَدْتُه أى أخذت بِعضُده وقوَّيْته

« العافى » : « خا » « عا » المتجاوز عن السيئات الماحى للزّلات والخطيئات .

« العالم » .

«العليم» : جمع بينهما « د » وأشار إليهما « يا » فالأول اسم فاعل من عَلِم ومعناه : المدرِك للحقائق[1] الدنيوية والأُخْروية . والثانى : اسم فاعل للمبالغة . وهذان الاسمان من أسمائه تعالى ، فالعالم معناه فى حقه تعالى : المدرك لحقائق الأُمور الدنيوية والأُخروية والعليم معناه الذى له كمال العلم وثباته والعلم الكامل الثابت فى نفسه ليس لغيره وسمى بهما نبيه صلى الله عليه وسلم لما حازه من عِلْم العليم[2] وحواه من الاطلاع على ملكوت السموات والأَرض ، والكَشْف عن الأُمور المغيبات ، وأُوتى علومَ الأَولين والآخرين ، وأحاط بما فى التوراة والإنجيل والكتب المنزلة وحِكَم الحكماء وسير الأُمم الماضين مع احتوائه على لغة العرب وغريب أَلفاظها والإحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لأَيامها وأمثالها وأحكامها ومعانى أشعارها ، مع كلامه صلى الله عليه وسلم فى فنون العلوم ، كما سيأْتى بيان ذلك كله إن شاء الله تعالى .

« العامل» « ع » « ح » قال « ط » ولعله مأْخوذ من قوله تعالى : « قل ياقوم اعملوا على مكانتكم إنى عامِل[3] » وروى الترمذى فى الشمائل عن علقمة رحمه الله تعالى قال : سألت عائشة رضى الله تعالى عنها : أَكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخص شيئاً من الأَيام ؟ قالت : « كان عمله دِيمَةً وأَيكم يُطيق ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق[4] » .

« العائل»: « عا » : الفقير قال الله تعالى (ووجَدَك عائِلاً فأَغْنَىَ)[5] أى فقيرا فأَغناك بما أفاء الله عليك من الغنائم أو أَغنى قلبك . قلت : وفى تسميته صلى الله عليه وسلم بالعائل بعد الغِنَىَ نظر .

---

(١) ص ت م : المدرك الحقائق .

(٢) ط : من العلم .

(٣) سورة الزمر ٣٩ .

(٤) شرح شمائل الترمذى ١٣١/٢ .

(٥) سورة الضحى ٨

«العَبْد» : تقدم الكلام عليه فى ترجمة عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم ، ويأتى لهذا مزيد بيان فى بيان أبواب الإسراء .

«عبد الله» : قال الله تعالى : (وأنّه لمّا قام عَبْدُ الله[1]) والكلام عليه كالكلام على ماقبله وقد أشبعت القول على لفظ الاسم الكريم فى القول الجامع .

وروى أبو داود عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحبّ الأَسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن[2] » .

ونقل الإمام الحسين بن محمد الدمغانى رحمه الله تعالى فى كتابه « شَوْق[3] العروس وأنْس النفوس » عن كعب الأَحبار رحمه الله تعالى قال : اسمُ النبى صلى الله عليه وسلم عند أهل العرش : عبد الحميد وعند سائر الملائكة عبد المجيد ، وعند الأَنبياء عبد الوهاب ، وعند الشياطين عبد القَهّار[4] وعند الجن عبد الرحيم ، وفى الجبال عبد الخالق وفى البَرِّ عبد القادر وفى البحر عبد المهيمن ، وعند الحِيتان عبد القدوس ، وعند الهوامّ عبد الغيّاث ، وعند الوحوش عبد الرازق ، وعند السِّباع عبد السلام ، وعند البهائم عبد المؤمن ، وعند الطيور عبد الغفار ، وكذا نقله فى القول البديع وهو غريب جدا ! ثم رأيت ابن الجوزى نقله فى « التبصرة » عن كعب أيضا .

«العُدّة» « عا » بضم العين : الذخيرة المعَدّ لكشف الشدائد[5] والبلايا والمرصد لإماطة المحن والرزايا .

وسمى صلى الله عليه وسلم بذلك لأَنه ذُخْر أمته فى القيامة والمتكفِّل لها بالنجاة والسلامة

«العَدْل» : الدائن الكافى فى الشهادة أو المستقيم الصدر فى الأَصل ، وهو من أسمائه تعالى ومعناه البالغ فى العدل ضد الجَوْر أو الاستقامة ، أقصى غاياته . والذى يفعل ما يريد وحكمه ماض فى العبيد .

«العربى» : فى بعض أحاديث الإسراء أن موسى عليه الصلاة والسلام قال : مرحبًا بالنبى

---

(١) سورة الجن ١٩ .

(٢) سنن أبى داود ١٩٩/٢ (كتاب الأدب) باب فى تغيير الأسماء .

(٣) ص ت م : شرف العروس .

(٤) ص ت م : عبد القاهر .

(٥) ص : لكشف البلايا .

العربىّ . رواه الحسن بن عرفة فى جزئه ، وهو منسوب إلى العرب وهم خلاف العجم .

والعرب أَقسام : عاربة وعرب وهم الخُلَّص ، وهم تسع قبائل من ولد إرَم ومن ولد سام بن نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وهى : عاد وثمود وأُمَيْم وعبيد وطَسْم ، بطاء مفتوحة فسين ساكنة مهملتين ، وجَدِيس ، بجيم فدال مهملة فتحتية فسين مهملة وزن أَمير ، وعِمْليق ، بعين مهملة مكسورة فميم ساكنة فلام فتحتية فقاف . وجُرْهم ، بجيم مضمومة فراء ساكنة ، ووبارِ بموحدة وراء مبنىّ على الكسر ،

ومنهم تعلم إسماعيل صلى الله عليه وسلم العربية . قال عبد الملك بن حبيب رحمه الله تعالى : كان اللسان الأَول الذى نزل به آدم من الجنة عربيا إلى أن بعد وطال العهَدْ حرِّف وصار سُرْيانيّا وهو منسوب إلى أَرض سورنة وهى أَرض الجزيرة ، وبها كان نوح صلى الله عليه وسلم وقومه قبل الغرق . قال : وكان يشاكل اللسانَ العربىَّ إلا أنه محرَّفَ وقد كان لسان جميع من فى السفينة إلا رجلا واحدا يقال له جُرْهم فكان لسانه لسان العرب الأُوَل فلما خرجوا تزوَّج إرمُ بن نوح بعض بناته وصار اللسان فى ولده عوص بن عام وعبيد وجاثر بجيم وثاء مثلثة وثمود وجَديس . وسميت عاد باسم جُرْهم لأَنه كان جدَّهم من الأُم : وبقى اللسان السُّرْيانى فى ولد أرفخشذ بن سام إلى أن وصل إلى قحطان من ذريته وكان باليمن فنزل هناك بنو إسماعيل فتعلَّم منهم بنو قحطان اللسانَ العربىّ .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وعلى هذا يُحْمل قول الصِّحَاح : ويعْرب بن قحطان أوّل من تكلَّم بالعربية أى من أهل اللسان السُّرْيانى .

وبنو قحطان هم القسم الثانى من العرب[1] وهم المتعرِّبة[1] . قال فى الصحاح : وهم الذين ليسوا بُخلَّص .

والثالث : المستعربة وهم الذين ليسوا بخلَّص أيضا . كما قال فى الصِّحاح .

قال ابن دِحْية : وهم بنو إسماعيل وهم ولد معَدّ بن عدنان ، وقال النحَّاس رحمه الله تعالى : عربية إسماعيل هى التى نزل بها القرآن ، وأما عربية حِمْير وبقايا جُرْهم فغير هذه العربية ، وليست فصيحة ، وإلى هذا مال الزُّبَيْر فى كتاب النَّسَب واحتج له ولم يعوِّل على غيره ، وكذلك أَبو بكر بن أَشتة فى كتاب المصاحف .

(١) ص : من المتعربة .

وتقدم فى ترجمة إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، ولهذا مزيد بيان يأتى .

«العُرْوة الوُثقى» : العقد الوثيق المُحْكَم فى الدِّين أو السبب الموصِّل إلى رضا الله تعالى .

وحكى الشيخ أبو عبد الرحمن السُّلَمى رحمه الله تعالى فى قوله تعالى : (فقد استَمْسَك بالعُرْوة الوُثْقَى[1]) أنه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هى الإسلام .

«العَزِيز» : أى القوى ، فعيل بمعنى فاعل من عَزَّيعزّ عِزًّا وعِزَّة وعَزَازَةً . وهى الحالة المانعة للإنسان من أن يُغْلَب أو يُقْهَر ، من قولهم أرضٌ عَزَاز أى صُلْبة ممتنعة. أى هو الخطير الذى يقل وُجُوده ويكثر نَفْعه وجُوده . أو الغالب من قولهم : « من عَزَّبزَّ » أى من غلَب سلب . قال الله تعالى : « ولله العِزَّةُ ولرسوله»[2] أى الامتناعُ وجلالة القَدْر . وأما قوله تعالى : « إن العزة لله جميعًا »[3] فالمراد العزة الكاملة التى يندرج فيها عزّ الإلهية والخَلْق والإحياء والإماتة والبقاء الدائم ، وما أشبه ذلك مما هو مختص به تعالى .

وهو ما سمَّاه الله تعالى به من أسمائه ، ومعناه فى حقه تعالى : الممتَنع الغالب . أو الذى لا نظير له . أو المعِزّ لغيره . والمعانى صحيحة فى حقه صلى الله عليه وسلم

«العِصْمة» « عا » بكسر العين وسكون الصاد : الذى يَسْتمسك الأولياء بحَبْل كرامته ويَلُوذ العُصَاة بحمَى شفاعته صلى الله عليه وسلم . فالعِصْمة بمعنى عاصم ، كقولهم رجل عَدْل بمعنى عادل .

روى ابن سعد والطبرانى أن أبا طالب عمه صلى الله عليه وسلم استسقى به فى صِغَره لمّا تتابعت عليهم[4] السِّنُون فأهلكتْهم فخرج به صلى الله عليه وسلم إلى أبى قُبَيْس وطلب السُّقْيا بوجهه فسُقُوا ، فقال يمدحه صلى الله عليه وسلم :

وأبيض يُسْتسقى الغمامُ بوجهه ثِمَالُ اليتامَى عصمةٌ للأرامل[5]

ويجوز أن يكون بمعنى معصوم اسم مفعول[6] من العِصْمة كاللُّقْمة بمعنى الملقوم ، وأصلها

---

(١) سورة البقرة ٥٦ وسورة لقمان ٢٢ .

(٢) سورة المنافقون ٨ . (٣) سورة يونس ٦٥ .

(٤) ص ت م : عليه . وما أثبته من ط .

(٥) الخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخه انظر الخصائص الكبرى ١/٣١٠ ولم أجده فى طبقات ابن سعد .

(٦) ص ت م : اسم فاعل . محرفة . وما أثبته من ط .

شىء يُجْعل فى المِعْصم مثل السِّوار وحقيقتها عندنا كما فى « المواقف » فى حقه صلى الله عليه وسلم وحق سائر الأنبياء : أن لا يخلق الله تعالى فيهم ذَنْبا .

«عصمة الله تعالى» : فى « الفردوس » بلاسند عن أنس رضى الله تعالى عنه : « أنا عِصْمة الله أنا حُجّة الله » .

«العَطُوف»: «عا» الشَّفُوق صفة مُشَبَّهة من العَطْف وهو الانثناء يقال : عطف الغُصْن إذا مال . وعِطْفا الإنسان جانباه من لدن رأسه إلى وركه ثم استُعير لِلّين[1] والشفقة إذا عُدِّىَ بِعَلَىَ وإذا عدّى بعن كان على الضِدّ من ذلك . وسمى به صلى الله عليه وسلم لكثرة شفقته بأُمته ورأفته كما قال شاعره حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه يرثيه صلى الله عليه وسلم :

عَطُوفٌ عليهم لا يثنىّ جَناحَه إلى كَنف يَحْنو عليهم ويَمْهَدُ[2]

«العَظيم» : الجليل الكبير . وقيل عظمة الشىء كَوْن الشىء كاملا فى نفسه مستغنيا عن غيره . وتقدم الفَرْق بينه وبين الجليل « يا » « د » : وقع فى أول سفْر من التوراة : « وسيَلد عظيا لأُمة عظيمة » فهو عظيم وعلى خلق عظيم وهو مما سمَّاه الله تعالى به من أسمائه ومعناه فى حقه : الجليل الشان أو الذى كل شئ دونه أو البالغ أقْصى مراتب العظمة ، فلا تتصوره الأفهام ولا تحيط بكُنْهه الأوهام : أو الذى ليس لعظمته بداية ولا لكبريائه نهاية .

«العَفُوّ» « يا « د » هو مثل العافى إلا أنه[3] أبْلغ منه ، يقال عفا عن الذنب فهو عاف وعفُوّ . فالأول يدل على أصل العفو فقط . والثانى يدل على تكريره وكثرته بالإضافة إلى كثرة الذنوب وتكررها[4] حتى إن من لم يَعْف إلا عن نوع من الذنب[5] فقط يسمَّى بالأول دون الثانى .

والفرق بين العَفْو والحلم والاحتمال كما قاله القاضى : أن العفو تَرْك المؤاخذة ، والحلم حالة توقّر وثبات عن الأسباب المحرّكة للمؤاخذة . والاحتمال : حَبْس النفس عن الآلام المؤذيات. ومثله الصَّبْر ، ومرَّ الفرق بينه وبين الصفح . وسيأتى الفرق بينه وبين الغَفُور .

---

(١) ط : للميل .
(٢) سيرة ابن هشام ٣١٨/٤ (ط الحلبى) .
(٣) ص ت م : لأنه .
(٤) ص ت م : وتكريرها .
(٥) ط : من الذنوب .

وسمِّى صلى الله عليه وسلم بذلك كما قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

عفوٌّ عن الزّلات يَقْبل عُـــذْرهم   وإن أَحْسنوا فالله بالخير أَجْودُ[1]

لأَنه صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس عَفْوا وتجاوزا كما سيأْتى بيان ذلك فى باب عَفْوه صلى الله عليه وسلم .

«العفيف» « د » : الذى كفَّ نفسه عن المكروهات ، ومنعها عن اقتحام الشبهات ، اسم فاعل من العفّة ؛ وهى حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة ، يقال عفَّ وكَفَّ فهو عَفّ وعفيف ، قال كعب رضى الله تعالى عنه يمدحه صلى الله عليه وسلم :

لنا[2] حُرْمة لا تُسْتطاع يقودها   نبىٌّ أَتى بالحق عَفٌّ مُصَدَّقُ

قال ابن دِحْية : وهو موصوف به فى الكتب المتقدمة ، وقد كان صلى الله عليه وسلم أَعفَّ الناس ، وقلَّ ناسك إلا وكانت له فى شبابه صَبْوة وفى أَول أَمره هَفْوة ، طُبع على ذلك البشَر ، إلا هو صلى الله عليه وسلم كما سيأْتى ذلك فى باب نشأَته صلى الله عليه وسلم .

«العلاَمة» « ط » « عا » بالتخفيف : الشاهد والعلَم الذى يُهتدى به ويستدلّ به على الطريق وسمِّى صلى الله عليه وسلم بذلك لأَنه دليل على طريق الهدى .

«العَلَم» : « ع » بفتح أَوله وثانيه : العلامة[3] التى يُهتدى به أَو العلم المشهور أَو السيد المذكور .

« علَم الإيمان » .

« علم اليقين » .

العَلِىّ « ع » « د »[4] الكبير المرتفع الرتبة على سائر الرُّتَب الذى جَلّ مقداره عن الشكوك والرِّيَب ، وهو من أَسمائه تعالى ، ومعناه الذى علا عن الدَّرْك ذاتُه وكَبُرت عن التصوّر صفاته ، أَو الذى تاهت الأَلبابُ فى جلاله وكلَّت الأَلسن عن وصف جماله .

« العِمَاد » : « ع » السيد الذى يُعتمد عليه ويُهرع فى الشدائد إليه .

---

(١) من قصيدة حسان فى رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة ابن هشام ٣١٨/٤

(٢) ص ت م : له حرمة . وما أثبته من ط .

(٣) ص ت م : العلم الذى . وما أثبته من ط .   (٤) ص : « عا » « د » .

«العُمْدة» : «ع» السيد الشجاع ، و البطل المطاع والركن الذى يعتمد عليه ويُهرع فى الشدائد إليه .

«العَيْن» : «ع» تطلق فى الأَصل بالاشتراك على معان ، منها : الباصِرة وحاسّة البصر وسمِّى به صلى الله عليه وسلم لأنه بصَّر أُمته بهدايته طرقَ الهدى ، وجنَّبهم سُبلَ الردى كما يستدل بحاسة البصر على ما فيه النفع والضرر . أو لشرف هذه الأُمة به على سائر الأُمم كما قال تعالى : « (كنتم خَيْر أُمة أُخرجتْ للناس[1]) كما شرف الرأس بالعين على سائر الجسد ، وفى هذه الآية دليل على أَفضلية نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الأَنبياء صلى الله عليهم وسلم : آدم فمن دُونه ، من قِبَل أن خيرة أُمته بحسب كمال دينه وذلك تابع لكمال نبيهم الذى يتَّبعونه .

ومنها[2] : الذهب والخِيَار من كل شىء وسمى صلى الله عليه وسلم بذلك لكونه أَفضل الأَنبياء وأَشرفهم ، ومنه : فلانٌ عَيْن الناس أَى خِيَارهم . والسَّيِّد وسمّى به لأَنه صلى الله عليه وسلم سيد الناس . والكبير فى قومه وسمى به صلى الله عليه وسلم لأَنه أَجَلّ الخَلْق وأَعظمهم. والإنسان . ومنه : « وما بها من عَيْن» أَى أَحد وسمِّى به صلى الله عليه وسلم من تسمية الخاصّ باسم العام . لكونه أَشْرفهم كما مرّ . والماء الجارى[3] لأَنه طاهر فى نفسه مطهِّر لغيره . والجماعة من الناس وسمى أَى النبى صلى الله عليه وسلم بذلك لأَنه لمهابته وشدة جلالته يحسبه الرائى فى جماعة تُخْشى سطوتها وتُهاب[4] شوكتها ، كما قال البوصيرى رحمه الله تعالى :

كأَنه وهو فَرْدٌ فى جَلالته فى عَسْكر حين تَلْقاه وفى حشَم

وينبوع الماء . وسمى صلى الله عليه وسلم بذلك لأَنه منبع الحكمة ومَعْدن الرحمة . والشمس وسمى صلى الله عليه وسلم به كما مرّ لعُلوِّه وشرفه وكثرة النفع به صلى الله عليه وسلم وشرَّف وكرَّم .

« عَيْن العِزّ » .

---

(١) سورة آل عمران ١١٠ .

(٢) منها : أى من معانى العين .

(٣) أى من معانى العين أيضا .

(٤) ص ت م : يخشى سطوته ومهابة شوكته ، وما أثبته من ط .

حرف الغين المعجمة

« الغالب » : أى القاهر ، اسم فاعل من الغلبة وهى القهر ، يقال غالَبْته غلَبًا فأنا غالِب . وهو من أسمائه تعالى ومعناه فى حقه البالغ مراده من خَلْقه أحَبُّوا أو كرهوا .

« الغطَمْطَم » : بطاءين مهملتين وزن زبَرْجَد : الواسع الأخلاق أى الرَّيِّض الحسن الخُلق الحليم .

« الغفور » : جاء فى التوراة من صفاته صلى الله عليه وسلم : « ولكن يعفو ويغْفر » . وهو من أسمائه تعالى وهو بمعنى الغفار أى الستَّار لذنوب من أراد من عباده المؤمنين فلا يُظْهرها بالعتاب عليها . قال الغزالى رحمه الله تعالى : والغفور ينبئ عن نوع مبالغة ليست فى الغفَّار فإن الغفار ينبئ عن تكرار المغفرة وكثرتها والغفور ينبئ عن وجودها وكمالها فمعناه أنه تامّ الغفران كامله حتى يبلغ أقصى درجات المغفرة . قال أبو بكر بن طلحة من النحاة : صِيَغ[1] المبالغة تتفاوت ؛ فَفَعُول لمن كَثُر منه الفعل ، وفعَّال لمن صار له كالصناعة . ومفعال لمن صار له كالآلة ، وفَعِيل لمن صار له كالطبيعة ، وفعِل لمن صار له كالعادة[2] والغَفُور أخص مطلقا من العفُوّ لأن الغفور يستر مع التجاوز لأنه مأخوذ من الغفر وهو الستر ومِن لازمه التجاوز فى الجملة ، لأن عدمه يعدّ مؤاخذة والعفوّ يتجاوز وقد لا يستر لأنه مأخوذ من العَفْو وهو المحْو ، وذلك يَصْدق بَترْك المؤاخذة بالذنب بعد أن لا يستره . فكل عَفُوّ غفور ولا عكس . ويجوز أن يكون بينهما عموم من وجه لاشتراك الوصفين فى من يسْتر الذنب ويمحوه فلا يؤاخذ به فيقال[3] غفور عَفُوّ ، وانفراد أحدهما عن الآخر فالذى يمحو بعد أن لا يستر هو العفوّ أو يستر ولا يمحو بل يؤاخذ سرًّا هو الغفور .

« الغَنِىّ » : قال تعالى : « ووجدَك عائلاً فأَغْنَى[4] » وهو من الغِنَى مقصورا على ثلاثة أضرب : أحدها : ارتفاع الحاجات وليس ذلك إلا لله تعالى : الثانى قِلَّتها المشار إليه بقوله صلى الله عليه وسلم « الغِنَى غِنَىَ النَّفْس » . والثالث : كثرة المال وهو المعنىّ بقوله تعالى « ومن كان غَنِيًّا فليستَعْفِفْ »[5]

---

(١) ص ت م : صيغة .
(٢) ط : كالعاهة .
(٣) ص ت م : فتقول .
(٤) سورة الضحى ٨ .
(٥) سورة النساء ٦ .

وهو من أسمائه تعالى ومعناه : الذى لا يحتاج إلى شئ ويحتاج إليه كل شئ . قال الغزالى : ومعناه فى الخَلْق : الذى لا حاجة له إلا إلى الله تعالى . وكذلك كان صلى الله عليه وسلم .

« الغَوْث » : النَّصير الذى يستغاث به فى الشدائد والمهمات ويستعان به فى النوازل والملمّات[1]

« الغِيَاث » : الغيث : المطر الكثير . وسمى به صلى الله عليه وسلم لأنه كان أجود بالخير من الريح المرسَلة وقد استسقى صلى الله عليه وسلم فأمطروا لِحينه[2] بالمطر الجود العامّ . وقال فيه عمه أبو طالب :

وأبيضَ يُسْتسقى الغَمام بوَجْهــه ثِمَال اليتامَى عصمة للأرامِلِ

وسيأتى لهذا مزيد بيان فى باب مَثله صلى الله عليه وسلم ومثل ما بَعثه الله به . والله تعالى أعلم .

حرف الفــاء

« الفاتح » : تقدم ذكره فى حديث أبي الطفيل رضى الله تعالى عنه وسيأتى فى حديث[3] الإسراء « وجعلنى فاتحا وخاتما » .

وروى عبد الرّزّاق فى المصنَّف عن مَعْمَر عن أيوب عن أبى قلاَبة رحمه الله تعالى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إنما بُعثت فاتحاً وخاتماً وأعطيتُ جوامعَ الكَلِم وفواتحه »[4] .

قال « يا » « د » وهو مما سمَّاه الله تعالى به من أسمائه فإنه منها كما قال : « ربَّنا افتح بَيْننا وبَيْن قَوْمِنا بالحقِّ وأنت خيرُ الفاتحين[5] » . وقال تعالى . « ثم يَفْتح بيننا بالحقِّ ، وهو الفَتَّاحُ العَلِيم »[6] ومعناه : الحاكم بين عِبَاده ، فإن الفتح بمعنى القضاء ، أو الفاتح أبواب الرزق والرحمة والمنْغَلق من أمورهم عليهم ، أو فاتح قلوبهم وبصائرهم للحق ، أو ناصرهم . وسمى النبى صلى الله عليه وسلم فاتحًا لأنه حاكم فى الخَلق بحكم[7] الله

(١) ط : والمهمات .

(٢) ص ت م : فأمطروا بالحين .

(٣) ط : وفى حديث الإسراء عند . ثم بياض ، وبعده : وجعلنى فاتحا إلخ .

(٤) ص ت م : فواتح الكلام وخواتمه .

(٥) سورة الأعراف ٨٩ .

(٦) سورة سبأ ٢٦ .

(٧) ص ت م : بحكمه .

حاملهم على المحَجّة البيضاء مانعهم من التعدى والظلم . أو هو الفاتح لبصائرهم بالهداية ، والدلالة على الخير والناصر لهم . وقيل لأنه يفتح خِطَاب الرب تبارك وتعالى . وقيل لأنه المبتدئ فى هداية هذه الأمة ففتح لهم بابَ العِلْم الذى كان قد انغلق عليهم ، كما قال على رضى الله تعالى عنه : « الفاتح لما استغلق » . الأثر السابق فى اسمه : « الرافع »

«ط» ويصح أن يكون صلى الله عليه وسلم سمى فاتحاً لأنه فتح الرُّسلَ بمعنى أنه أولهم فى الخَلْق . أو فاتح الشُّفَعاء بقرينة اقترانه باسمه الخاتم ، فيكون[1] كاسمه الأول والآخر .

قلت : وكل هذه المعانى[2] مجتمعة فيه صلى الله عليه وسلم .

« الفارق » : قال « ع » : هو اسمه صلى الله عليه وسلم فى الزبور ومعناه : يَفْرق بين الحق والباطل وهو صيغة مبالغة . والفارق : اسم فاعل من الفَرْق وهو الفَصْل والإبانة .

«الفارْقَليط» : تَقدم فى حرف الباء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه من أسمائه صلى الله عليه وسلم فى الكتب المتقدمة . وضبطه ثعلب بالفاء أوله وقال : معناه الذى يفرق بين الحق والباطل . وقال محمد بن حمزة الكرمانى رحمه الله تعالى فى غريب التفسير : أى ليس بمذموم . وضبطه أبو عُبَيْد البَكْرى بالباء الموحدة غير صافية فيه فقال : البارقليط ومعناه روح الحق .

« الفاضل » : الحسَن الكامل العالم إذ الفضل يرِد بمعنى العلم ، قال تعالى : «ولقد آتينا داودَ منا فَضْلا »[3] أى علما . أو الكثير الفضيلة وهى الدرجة الرفيعة فى الفضل ضد النقص .

« الفائق » : بالهمزة كقائل[4] وصائن فأُعِلَّ إعلالهما ، لأن أصله فاوق فقلبت الواو ألفا كما قُلبت فى ماضى فعله الذى هو اسم الفاعل محمول عليه فى الإعلال لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم قلبت الألف همزة لقربها منها ولم تحذف لالتقاء الساكنين حذَرا من الالتباس بالماضى ، وتكتب مثل هذه الهمزة[5] بصورة الياء ويرقم عليها بالهمزة

---

(١) ط : فيكونان .

(٢) ط : وكل هذه الأمور .

(٣) سورة سبأ ١٠ .

(٤) ص ت م : كقائد .

(٥) ص ت م : هذه المسألة . وما أثبته من ط .

ونَقْطها خطأ قبيح عند علماء الرسم ، ولا يُنطق بها إلا بَيْن بين وهو الخيار من كل شيء وفى الصحاح : يقال[1] : فاق الرجلُ أقرانَه يفوقهم أى علاَهم بالشرف والفضل .وسمِّى صلى الله عليه وسلم بذلك لأنه خِيَار الخلق وخيرة الخَلْق . أو لأنه أفضل الخلق نسباً وأكثرهم فضلاً [2]وأدبا .

«الفتَّاح» : بمعنى الفاتح إلا أنه أبْلَغ منه . أو الناصر . ومنه قوله تعالى (إن تسْتفتحوا فقد جاءِكمُ الفَتْحُ)[3] أى النَّصْر . وهو من أسمائه تعالى . ومعناه . الذى لا يُغلِق وجوه النِّعم بالعصيان ولا يترك اتصال الرحمة بالنسيان ، أو الذى يفتح على النفوس باب توفيقه وعلى القلوب باب تحقيقه ، أو الذى يفتح بعنايته كل مُقْفَل ويكشف بهدايته ما أشكل .

«الفَجْر» : وهو مصدر فى الأصل ، وهو الصبح لأنه فجرَ الليلَ أى شقَّه ، وأصل الفجر شقُّ الشىء شقًّا واسعاً ، يقال فجرتُه فانفجر . وفجَّرته فتفجر ، ونقل القاضى عن ابن عطاء فى قوله تعالى (والفَجْر) وقيل : هو محمد صلى الله عليه وسلم لأن منه تفجر الإيمان .

« الفَخْر » : بالخاء[4] المعجمة : العظيم الكبير .

« الفَخْم » : بالخاء المعجمة العظيم الجليل .

« الفَدْغم » : بالدال المهملة والغين المعجمة[5] بوزن جعفر : الحسنَ الجميل والعظيم الجليل .

« الفَرْد » : المنفرد بصفاته الجميلة المتوحِّد فى خلقته الجليلة . وهو أخصّ من الواحد ، الأخص من الوتر . لأنه الذى لا يختلط به غيره وجمعه فُرَادَى .

« الفرَط» : بفتح الراء . فى حديث فى صحيح البخارى : «أنا فرَطكم وأنا شهيد عليكم»[6] والفرَط : الذى يسبق إلى الماء يهيئُ للواردة الحوض ويستقى لهم ، فضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مثلاً لمن تقدّم أصحابه يهئُ لهم ما يحتاجون إليه ، كذا فسّره أبو عبيد ،

---

(١) ص ت م : تقول : وما أثبته من ط موافقا للصحاح .

(٢) ص ت م : وأفضلهم خلقا وأدبا . وما أثبته من ط .

(٣) سورة الأنفال ١٩ .

(٤) ت م : بالحاء المهملة . وقد صوبها فى هامش ص .

(٥) ص ت م : والعين المهملة . محرفة . و التصويب من ط .

(٦) صحيح البخارى ٤/١١٥ (كتاب الرقاق) باب فى الحوض .

ويوافقه رواية مُسْلم . « أنا الفرَط على الحوض[1]» وقيل : معناه أنا أمامكم وأنتم ورائى ، وهو صلى الله عليه وسلم يتقدم أمته شافعاً لهم .

« الفصيح » : فعيل من الفصاحة وهى لغةً : البيان واصطلاحاً خلوصُ الكلام من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد، وهذا باعتبار المعنى وأما باعتبار اللفظ فهو كونه على ألسنة الفصحاء الموثوق بعربيتهم[2] وسيأتى فى باب فصاحته صلى الله عليه وسلم ما يتعلق بذلك .

« الفَضْل » : الإحسان سمى به صلى الله عليه وسلم لأنه فَضْل الله تعالى ومِنَّته[3] على هذه الأمة بل وعلى غيرها . أو الفاضل أى الشريف الكامل .

« فضل الله » : حكى الماوردى رحمه الله تعالى فى قوله تعالى : (ولولا فَضْل الله عليكم ورَحْمتُه لاتَّبعتم الشيطان إلا قليلاً[4]) أقوالا : أحدها : أنه هو النبى صلى الله عليه وسلم .

« الفَطِن » : « عا » بكسر الطاء المهملة : الحاذق مأخوذ من الفِطْنة ، وهى كما قيل الفهم بطريق الفَيْض ، أو بدون اكتساب .

« الفلاَح » : قال « ع » هو اسمه صلى الله عليه وسلم فى الزبور ، وتفسيره يمحق الله به الباطل « ط » : وكأنه غير عربى إذ الفلاَح فى اللغة : الفوز والنجاح ، قال الإمام النووى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم : ليس فى كلام العرب كلمة[5] أجمع للخير من لفظ الفلاَح ولا يبعد أن يكون هو اللفظ العربى . وسمى صلى الله عليه وسلم به لما جُمع فيه من خِصَال الخير التى لم تجمع فى غيره . أو لأنه سبب الفلاح .

« الفَهِم » : « عا » ككَتِف : السريع الفهم وهو عِلْم الشئ وعرفانه بالقلب ، هذا حدُّه لغةً ، وأما حده فى الاصطلاح فهو كما نقل عن كتاب « البصائر » لابن سَهْلان[6] : جَوْدة تهئ الذهن الذى هو قوة للنفس معدة لاكتساب الآراء لتصوّر ما يرد[7] عليها

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٤٥ .
(٢) ص : بعربيته .
(٣) ط : ومنه .
(٤) سورة النساء ٨٣ .
(٥) ص ت م : كله .
(٦) فى ط ص ، ابن سيلان . وفى ت م : لأنه سيلان . وكلاهما خطأ وما أثبتناه هو الصواب .
(٧) ص : ما يقدم .

من غيرها ، كما أن الفكر : حركة الذهن فى المبادئ لتصير منها إلى المطالب ، والحدْس جودة حركته إلى اقتناص الحد الأوسط من تلقاء النفس ، والذكاء : شدة استعداد هذه القوة لذلك ، أو الفهم المدرِك لدقائق المعانى والمزيل لقناع المشكلات عن وجه المبانى فواتح الفوز .

« فاتح الكنوز » .

« فِئة المسلمين » : ذكره شيخنا وبيَّض له . وكأنه أخذه من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان فى سرية قال : فحاصَ الناسُ حَيْصة فكنت ممن حاص ، فلما برزنا قلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبُؤْنا بالغضب ؟ فقلنا : لو عرضنا أنفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كانت[1] لنا توبة أقمنا وإن كان غير ذلك ذهبنا .فجلسنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل صلاة الفجر فلما خرج إلينا قمنا إليه فقبَّلنا يديه فقلنا : نحن الفرَّارون يا رسول الله . فقال : « بل أنتم العكَّارون . فقلنا : إنا قد فررنا من الزحف . فقال : « أنا فئة المسلمين »[2]

رواه أبو داود والترمذى وحسَّنه النسائى[3] . والعكَّارون : الكرَّارون إلى القتال والعاطفون نحوه .

قال الخطابى رحمه الله تعالى : يمهد بذلك عذرهم ، وهو تأويل قوله تعالى (أو متحيِّزًا إلى فئة)[4] والله تعالى أعلم .

حرف القاف

« القارِى » :« عا » ؛ الكريم الجواد ، اسم فاعل من القِرَى بكسر القاف مع القصر . وبالفتح مع المد ، وهو البذل للأضياف .

روى الشيخان فى حديث بدء الوحى : « كلاَّ والله لا يخزيك الله أبدًا إنك لتَصِل الرَّحِم وتحمل الكلَّ وتكْسِب المعدوم وتَقْرى الضيف[5] » والمعنى كما قال العلماء : أنه

---

(١) ص ت م : فإن كان .

(٢) سقطت من ت م ط وأثبتها هامش ص . وبعدها : أصل معناه . والله أعلم .

(٣) سنن أبى داود ٢٦١/١ (كتاب الجهاد) وصحيح الترمذى ٣٢٠/١ (باب فى التولى يوم الزحف)

(٤) سورة الأنفال ١٦ .

(٥) صحيح البخارى ٣/١ وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥٣ .

لا يصيبه مكروه لمَا جمع الله تعالى فيه من هذه الصفات الحميدة الدالة على مكارم الشِّيَمَ وحسن الشمائل .

« القاسم » : « ع د عا » الذى يقسم الأمور فى جهاتها والمعطى . اسم فاعل من [القسْم وهو العطاء . روى البخارى حديث : « إنما أنا قاسم والله المعطى » . « القاضى » : الحاكم ، اسم فاعل من][1] القضاء وهو فَصْل الأَمر وبتّه . وسمى صلى الله عليه وسلم به لأَن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه كان له أَن يقضى بغير دعوى ولا بيّنة كما قال ابن دحية واستدل بحديث رواه مسلم . وكان له صلى الله عليه وسلم أن يحكم لنفسه ولولده ويقبل شهادة من شَهِد له كما فى قصة خُزَيْمة . ولا يُكْره فى حقه القضاء ولا الإفتاء فى حال غضبه لأَنه لا يخاف عليه من الغضب كما يخاف على غيره ، لعصمته من الشيطان .

« القانت » : « عا » الطائع اسم فاعل من القُنوت ، وهو لزوم الطاعة مع الخضوع أَو الخاشع أَو طويل القيام فى صلاته .

« القائد » « عا » بالهمز : الذى يقود الناس أَى يَقْدُمهم فيسلك بهم طريقَ الهُدَى ويَعْدل بهم عن سبيل الردَى .

وفى الترمذى عن أَنس رضى الله تعالى عنه مرفوعاً « وأَنا قائدهم إذا فزعوا »[2]

« قائد الغُرّ المحجَّلين » « يا » « عا » الغُرّ : جمع أَغر وهو من الخيل الذى له غُرّة أَى بياض فى جبهته . والمحجَّل : الذى به التحجيل وهو بياض فى القوائم والمراد بهم أُمته وهو قائدهم إلى الجنة . روى الشيخان حديث « إن أُمتى يُدْعَون يوم القيامة غُرًّا محجَّلين من آثار الوضوء[3] » ولهذا مزيد بسط فى الخصائص .

« قائد الخير » : أَخذه « ط » من حديث ابن ماجة السابق فى « الإمام » ومعناه أَنه يقود الخير ويجلبه إلى أمته أَو يقودهم إليه ويدلّهم عليه .

« القائل » : « عا » الحاكم لأَنه ينفذ قوله . أَو المحب بالحاء المهملة والباء الموحدة ، من قال بالشئ أَى أَحبه واختص به .

---

(١) سقطت من ص ت م . وأثبته من ط .

(٢) صحيح الترمذى ٢٨٢/٢ .

(٣) صحيح البخارى ١٢٥/١ (كتاب الوضوء) وصحيح مسلم كتاب الطهارة حديث رقم ٣٤ .

« القائم » : « خا » يأتى فى القيِّم .

« القتَّال » : روى ابن فارس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : اسم النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة : « أحمد الضَّحُوك القتَّال » الحديث قال ابن فارس : وإنما سمى صلى الله عليه وسلم به لحرصه على الجهاد ومسارعته إلى القِرَاع[1] وقلة إحجامه .

« القَتُول » « خا » .

« قُثَم » : بضم القاف وفتح المثلثة : روى الإمام أبو إسحاق الحَرْبى رحمه الله تعالى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتانى ملَك فقال : أنت قُثَم وخُلقك قيِّم ونفسك مطمئنة[2] » قال ابن دِحْية فى اشتقاقه معنيان أحدهما : أنه من القَثْم وهو الإعطاء ، يقال قثَم له من العَطاء إذا أعطى فسمى النبى صلى الله عليه وسلم بذلك لجوده وعطائه .

الثانى : أنه من القَثْم وهو الجمع يقال للرجل الجموع للخير قَثُوم وقُثَم . وقد كان صلى الله عليه وسلم جامعاً لخصال الخير والفضائل كلها .

« قثوم » « خا » تقدم فى الذى قبله .

« قدَم صِدْق » : فى الصحيح عن زيد بن أسلَم فى قوله تعالى : (أَنَّ لهم قدَم صِدْقٍ عند ربِّهم[3]) قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم . وروى ابن مردويه عن علىّ رضى الله تعالى عنه فى الآية قال : محمد صلى الله عليه وسلم شفيع لهم . وروى أيضاً عن أبى سعيد الخُدْرى رضى الله تعالى عنه مثله . ونقله « يا » عن الحسن وقتادة .

وقال القُشَيْرىّ رحمه الله تعالى : سابقة رحمة لهم أودعها فى محمد صلى الله عليه وسلم

والقدم : الجارحة . يذكَّر ويؤنث ، والمراد بها هنا السابقة فى الخير والفضل ورفعة المحل وفى إضافته إلى الصدق دلالة على زيادة الفضل والشرف وأنه من السوابق العظيمة ا وإنما سميت السابقة قدَماً لكونها يُسْعى ويستبق[4] إلى الخير بها ، كما سميت النعمة يداً لأنها يُعْطَى بها .

[قدما يا : هو اسمه صلى الله عليه وسلم فى التوراة . كما سبق فى « أخرايا » ، ومعناه الأول السابق .

---

(1) ط : إلى النزاع .

(2) ص ت م : طيبة .

(3) سورة يونس ٢ .

(4) ص ت م : ويسبق .

«القُرَشيّ» : « د » نسبة إلى قريش . وتقدم الكلام على ذلك في النسَب الشريف .

«القريب» : « د » : الداني من الله تعالى . قال الله عز وجل : (ثم دنَا فتدلَّى فكان قابَ قَوْسين أو أدْنى[1]) أي دنا من ربه تبارك وتعالى حتى إنه صار في القُرْب منه كقرب الواحد من الآخر بقدر قاب قوسين أو أقل من ذلك ، وإلا فالله سبحانه وتعالى مُنزَّه عن المكان . وسيأتي الكلام على هذه الآية في باب[2] المعراج .

أو القريب من الناس لتواضعه . والقرب على قسمين : أحدهما قرب العبد من ربه وهو التقرب إليه بطاعته[3] والاتصاف في كل الأوقات بعبادته . وقيل قُرْبه بإيمانه وتصديقه ثم بإحسانه وتحقيقه ، الثاني : قُرْب الحق من الخلق وهو ما يخصهم به في الدنيا من العِرْفان وفي الآخرة ما يكرمهم به من الشهود والعيان ، وسئل عبد الله بن حنيف[4] رحمه الله تعالى عن القُرْب فقال : قُرْبك منه بملازمة الموافَقات ، وقربه منك بدوام التوفيق ، وهو من أسمائه تعالى قال تعالى : (وإذا سألك عِبَادي عنيِّ فإنيِّ قرِيب[5]) أي قريب منهم بالعلم لا يخفى عليه شئ من أحوالهم .

« القسم» : « عا » .

« القُطْب » : « عا »بالضم : سيد القوم ومِلاَك أمورهم ومدار حوائجهم وجمعه أقطاب وقطوب وقِطَبَة كعنبة .

« القمر » : « خا » « عا » الكوكب المعروف ، وإنما يسمى بذلك إذا امتلأ ومضى عليه ثلاث ليال لأنه يَقْمر ضَوْؤه ضوء الكواكب حينئذ ويفوز[6]

وقبل ذلك يسمَّى هلالاً . وسمى به صلى الله عليه وسلم لأنه جَلَا ظُلْمة الكُفْر بنور الهداية . وفي قصص الكِسَائيّ : أن الله تعالى قال لموسى عليه الصلاة والسلام إن محمداً صلى الله عليه وسلم هو البحر الزاخر والقمر الباهر[7] .

« القويّ » : من الصفات المشبهة الشديد التمكن . قال تعالى : (ذي قُوَّة عند ذي العَرْش

---

(١) سورة النجم ٨ ، ٩ .

(٢) ط : في أبواب .

(٣) ص ت م : بطاعاته .

(٤) ط : ابن خفيف .

(٥) سورة البقرة ١٨٦ .

(٦) كذا في ط . وفي ص ت م : وينور .

(٧) كذا في ط . وفي ص : هو القمر الزاهر والنجم الباهر . وفي ت م : هو النجم الزاهر والقمر الساهر .

مَكِينٍ[1]) قيل : النبي صلى الله عليه وسلم وقيل : جبريل عليه الصلاة والسلام وهو من أسمائه تعالى . قال فى أنوار التنزيل : القوة تطلق على معان مترتبة أدْنَاها الإمكان وأقصاها القدرة التامة ، والله تعالى قادرٌ له قُدْرة[2] .

« القيِّم » : بالمثناة التحتية قال « يا » : روى فى حديث « وأنا قيِّم » والقيِّم : الجامع الكامل . كذا وجدته ولم أروه[3] وأرى أن صوابه قُثَم بالمثلثة ، وهو أشْبَه بالتفسير لكن فى[4] كتب الأنبياء أن داود عليه الصلاة والسلام قال : اللهم أبعث لنا محمداً يقيم[5] السُّنَّة بعد الفَتْرة . وقد يكون القيِّم بمعناه « ط » . وذكر الآمدِيّ رحمه الله تعالى أن جُرَيْبَة ، – وهو بجيم مضمومة فراء مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فباء موحدة مفتوحة مصغَّر – ، بن الَّلِثيم[6] الأَسَدى قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وقال :

بدَّلتُ دِينًا غَيْر دِينٍ قــــد يُذَمّ   كنتُ من الذَّنْب كأنِّى فى ظُلَم

يا قيِّم الدِّين أقِمْنـــــا نَسْتقم   فإن أُصادفْ مأْثمًا فلَنْ أثِمْ

والقيِّم من أسمائه تعالى ، كما فى حديث : « أنت قيِّم السماوات والأرض ومن فيهن[7] » « د » وهو بمعنى القائم . « عا » : والقيِّم أبلغ من قائم . والفرق بينه وبين القيُّوم والقَيَّام : أنهما يختصان به تعالى لما فيهما من الأبلغية ولا يُستعملان فى غير المدح بخلاف القيِّم والله تعالى أعلم .

حرف الكاف

« الكافّ » : بتشديد الفاء . قال[8] ابن عساكر : قيل معناه الذى أُرسل إلى الناس كافَّة . وهذا ليس بصحيح لأن كافة لا يتصرف منه فعل فيكون اسم فاعل . وإنما معناه الذى كفَّ الناسَ عن المعاصى .

« الكافَّة » : « عا » : الجامع المحيط . والهاء فيه للمبالغة وأصله اسم فاعل من الكَفّ وهو

---

(١) سورة التكوير .
(٢) ص : له قوة .
(٣) ص : ولم أره .
(٤) ص : وفى كتب .
(٥) ط : مقيم السنة .
(٦) ص ت م : ابن الأثيم . محرفة . والتصويب من ط .
(٧) الحديث فى صحيح البخارى ١٤٦/١ (باب التهجد بالليل) .
(٨) ص ت م : روى عن ابن عساكر . وما أثبته من ط .

المنع وقيل مصدر كالعاقبة قال تعالى : (وما أرسلناك إلاَّ كافَّة للناس[1]) قال الزمخشرى : يعنى إلا إرسالةً عامة محيطة بهم ، لأنها إذا اشتملتهم فقد كفَّتهم أن يخرج منها أحد ولهذا مزيد بيان فى الخصائص .

« الكافى » : « عا » اسم فاعل من الكِفاية وهو سدُّ الخَلَّة وبلوغ المراد فى الأمر . وسمى صلى الله عليه وسلم بذلك لأنه سدَّ خَلَّة[2] أمته بالشفاعة يوم الحساب ، وبلَّغهم مرادهم فيما أمَّلوه من النصر على الأحزاب ، أو لأنه كُفِى شرَّ أعدائه من المشركين ، كما قال تعالى : (إنا كفَيْناك المستهزئين)[3] فيكون المراد بالكافى المكْفِى بفتح الميم وهو سائغ ، لأنه قد يَرِد اسم فاعل بمعنى المفعول ، نحو : ماء دافق وعيشة راضية . بمعنى : مَدْفوق ومَرْضية . وإن كان مؤوّلاً عند بعضهم بالحمْل على النسَب أى منسوبة إلى الرضا[4] كالزارع والنابِل أى يجعل إسناد الفعل لها مجازًا أى راضٍ أهلُها .

« الكامل » : التام خَلْقا وخُلقًا .

الكثير الصمت « عا » : أى القليل الكلام فيما لا يُجْدى نفعًا وسيأتى فى صفاته المعنوية صلى الله عليه وسلم .

« الكريم » : « يا » : الجواد المعطِى . أو الجامع لأنواع الخير والشرف . أو الذى أكرم نفسه أى طهَّرها عن التدنيس بشىء من المخالَفات وتقدم أن أحد القولين فى قوله تعالى : (إنه لقولُ رسولٍ كريم[5]) أنه النبى صلى الله عليه وسلم . وقيل : المراد به جبريل عليه الصلاة والسلام . وعلى هذا فليس فى ذلك مع قوله : (وما صاحبكم بمجنون[6]) ما يقتضى تقاصُرَ رُتْبته صلى الله عليه وسلم عن مرتبة[7] جبريل خلافا لما زعمه الزمخشرى ، لأن المراد بسَلْب تلك عنه : الرد على من زعم ثبوتها له من المعاندين لا بيان تفاوت المرتبتين .

وهو من أسمائه تعالى ومعناه : المتفضل . وقيل العفوّ . وقيل العَلِىّ . وقيل : الكثير الخير ، والمعانى صحيحة فى حَقِّه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة سبأ ٢٨ .
(٢) ط : سد خلل أمته .
(٣) سورة الحجر ٩٥ .
(٤) ص : إلى أمر مرضى .
(٥) سورة الحاقة ٤٠ ، وسورة التكوير ١٩ .
(٦) سورة التكوير ٢٢ .
(٧) ط : عن رتبة .

« الكفيل » : السيد المتكفل بأُمور قومه وإصلاح شأنهم . فَعِيل من الكفالة وهى الضمان ؛ وسمِّى صلى الله عليه وسلم بذلك لأَنه متكفِّل لأُمته بالفوز والنجاة بما ادخره لهم من الشفاعة أَو بمعنى مفعول كالجريح والكحيل .

وسمِّى به صلى الله عليه وسلم لأَن الله تعالى تكفَّل له بالنصر والظَّفَر . أَو بمعنى الكفْل وزن طِفْل . وهو الرحمة والنعمة سمى به صلى الله عليه وسلم لأَنه رحمة للخلق ونعمة من الحق .

« كنديدة » : قال « د » هو اسمه صلى الله عليه وسلم فى الزَّبُور .

« الكنز » : فى الأَصل المال أَو الشىء النفيس . وسمى بذلك صلى الله عليه وسلم لنَفَاسته ؛ أَو لأَنه حصل لنا به السعادة الدنيوية والأخروية .

« كهيعص » : ذكره « د » . فى أسمائه صلى الله عليه وسلم . وذكره غيره فى أسماء الله تعالى ؛ وقد بسطتُ القول على ذلك فى « القول الجامع » .

« الكوكب » : « عا » سيد القوم وفارسهم ، أَو النجم المعروف ، وسمِّى به صلى الله عليه وسلم لوضوح شِرْعته وسموّ ملته .

حرف اللام

« اللبيب » : « عا » صفة مشبَّهة من لبَب أَى فَطِن وهو العاقل الفَطِن والذكى الفهم .

« اللسان » : « دعا » فى الأَصل المِقْول[1] . ويطلق على الرسالة وعلى المتكلم عن القوم وهو المراد هنا ، يذكَّر ويؤنث ، وجمعه أَلْسِنة وأَلْسُن ولُسُن بضمتين ، واللَّسَن بالفتح : الفصاحة والبلاغة ، وسمى به صلى الله عليه وسلم لأَنه لشدة بلاغته وفصاحته كان مجموعة لسان .

وحكى بعضهم أَن المراد باللسان فى قول السيد إبراهيم صلى الله عليه وسلم : « واجعلْ لى لِسَانَ صِدْقٍ فى الآخِرين[2] » هو محمد صلى الله عليه وسلم . والمعنى أَن إبراهيم صلى الله عليه وسلم سأَل الله تعالى أَن يجعل من ذريته من يقوم بالحق ويدلّ عليه فأُجيبت دعوته بمحمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) ص ت م : القول . وما أثبته من ط .

(٢) سورة الشعراء ٨٤ .

« الّلسِن » : « عا » بوزن كَتِف الفصيح البليغ المِصْقَع .

« الَّلوْذَعِى »: « عا » بذال معجمة فعين مهملة : الذكى الفصيح الحديد الذّهن ؛ كأنه يلذع بالنار من توقد ذكائه . وتقدم فى الحُلَا حل .

« الليث » : بالمثلثة : الشديد القوى أو السيد الشجاع أو الّلسن البليغ . والله تعالى أعلم

حرف الميـم

« المؤتمن[1] » : بفتح الميم الثانية الذى يؤتمن لأمانته ويُرْغَب فى ديانته اسم مفعول من الائتمان وهو الاستحفاظ . وسمى صلى الله عليه وسلم بذلك لأنه حافظ للوحى مؤتمن عليه ، أو على هذه الأمة أى شاهد عليها .

« المؤمَّل » : بفتح الميم أى المرجوّ خيره .

« المؤمَّم » : « عا » بالهمزة : المقصود الذى يؤمُّ كل راجٍ حِمَاه لغة فى الميمَّم بالياء .

« المؤيَّد » : بفتح التحتية : المنصور ، اسم مفعول من أَيّدْته تأييدا إذا قوَّيْته وأعَنْته قال تعالى : « هو الذى أَيدَّك بنَصْره وبالمؤمنين »[2] .

« المؤيِّد » بكسر المثناة : الناصر أو القوى أو الشديد .

« المـاء المَعِين » : بفتح الميم وهو الطاهر الجارى على وجه الأرض ، فعيل : بمعنى فاعل

« المـأمون » : « عا » بالهمز اسم مفعول من الائتمان وهو الاستحفاظ الذى يوثق به لأمانته فى دِيَانته . وإنما سمى صلى الله عليه وسلم بذلك لأنه لا يُخاف منه[3] شر .

« المؤمن » : بالهمز وبإبدال همزته واوا تخفيفًا بسكونها بعد ضمة ، وهى لغة أهل الحجاز ، وبها قرأ وَرْش والسُّوسِىّ عن أبى عمرو . والهمز لغة تميم وهو المتَّصف بالإيمان ، قال تعالى : (فآمِنوا بالله ورسوله النبىِّ الأُمى الذى يُؤْمِن بالله وكَلِماتِه[4]) أى يصدّق ، والإيمان مأخوذ من الأَمْن ؛ لأن المؤمن يأْمن العقاب فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

« الماجد » : المفضال الكثير الجود ، أو الحسن الخُلق السمح ، أو الشريف . اسم فاعل من المجد وهو سعة الشرف وكثرة الفوائد . وأصله من قولهم مَجَدت الإبل : أى أصابت روضة أنِقًا خِصْبة فأمجدَها الراعى . قال إياس بن سلمة بن الأكوع رضى الله تعالى عنه :

---

(١) ص ت م : المؤمن .

(٢) سورة الأنفال ٦٢ .

(٣) ط : من جهته شر .

(٤) سورة الأعراف ١٥٨ .

سمح الخليقة ماجدٌ وكلامه حقٌّ وفيه رَحْمة ونَكَال

وهو من أسمائه تعالى قال الغزالى رحمه الله تعالى : الماجد والمجيد : هو الشريف لذاته الحميد فعَاله الجزيل عطاؤه ، فهو جَمْع بين الجليل والوهاب والكريم .

الماحِى : تقدم فى حديث جُبَيْر فى الباب الثانى « وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر » قال القاضى : أى من مكة وبلاد العرب وما زُوِى له من الأرض ووعِد أنه يَبْلغه مُلْك أُمته ، أو يكون المحو : بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى : (لِيُظْهره على الدِّين كلِّه[1]) وفى طريق أُخرى عن جُبَيْر رواها الحاكم والبيهقى وإسنادها حسن متصل خلافًا لابن دِحْية ، « وأنا ماحى » فإنه صلى الله عليه وسلم محا سيئات من اتبعه .

« ماذ ماذ » : هو اسمه صلى الله عليه وسلم فى الكتب السالفة ، ومعناه طيِّب طيب ، وضبطه الإمام الشُّمُنِّىّ رحمه الله تعالى بفتح الميم وألف غير مهموزة وذال معجمة .

« المانح » : المعطى اسم فاعل من منح ، إذا أعطى الجزيل وأولى الجميل .

« المانع » : الذى يمنع أهلَ الطاعة من الأعداء ويحوطهم وينصرهم ، وهو من أسمائه تعالى ، ومعناه الذى يمنع أسباب الهلاك والنقصان فى الأديان والأبدان[2] بما يلحقه من الأسباب المعدة للحفظ . أو يحرم من لا يستحق العطاء لقوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا مانع لمَا أعْطيتَ ولا مُعْطى لما مَنعت » فمَنعه سبحانه وتعالى حِكْمة ، وإعطاؤه[3] جُود ورحمة .

« المبارَك » : العظيم البرَكة وهى الزيادة والنمو . وقيل : البركة لفظ جامع لأنواع الخير ، ومنه قوله تعالى : (إنَّا أنْزَلْنَاه فى ليلةٍ مُبَارَكة[4]) أى جامعة لأصناف الخير . وقال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

صلَّى الإلهُ ومن يحفُّ بعَرْشه والطيِّبون على المبارك أحْمدِ[5]

وقال عباس بن مِرْداس رضى الله تعالى عنه :

فآمنت بالله الذى أنا عَبْده وخالفت من أمسَى يريد المهالكَا
ووجَّهت وجهى نحو مكة قاصدًا وبايعتُ بَيْن الأَخْشبين المبارَكَا
نبىٌّ أتانا بعد عيسى بناطق من الحق فيه الفضل[6] منه كذلكَا

---

(١) سورة الفتح ٢٨ .
(٢) ص ت م : والإيمان . واما أثبته من ط .
(٣) ط : وعطاؤه .
(٤) سورة الدخان ٣ .
(٥) ديوانه ٥٨ .
(٦) ت م : فيه الفصل

« ع » وإنما سمى صلى الله عليه وسلم بذلك لمَا جعل الله تعالى فى حاله من البركة والثواب وفى أصحابه من فضائل الأعمال . وفى أمته من زيادة القَدْر على الأمم. وفى تفسير قوله تعالى عن السيد عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام : (وجعلنى مباركًا أينما كنتُ)[١] أى نفَّاعاً للناس .

« المبرَّأ » : المنزَّه المبعَد عن كل وصف ذميم . ولهذا مزيد بيان فى باب طِيب عَرقه صلى الله عليه وسلم .

« المُبْتَهِل » : المتضرع المتذلِّل : اسم فاعل من الابتهال وهو التضرّع قال الله تعالى : (فقل تعالَوْا نَدْعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسَنا وأنفسَكم ثم نبتهل[٢] » أى نتَباهل بأن نقول : بَهْلة الله على الكاذبين منكم ، والبَهْلة بالفتح والضم: اللعنة ، وبهَله الله : لعنه ، من أبْهله إذا أهمله ، هذا هو الأصل فى كل دعاء بما يُجتَهد فيه وإن لم يكن التعانا .

« المبشِّر » : اسم فاعل من البشَارة وهى الخبر السارّ . وأما قوله تعالى (فبشِّرهم بعذابٍ أليم[٣]) فهو . بمعنى أنْذرهم ، استعيرت البشارة التى هى الإخبار بما يُظهر سرورًا فى المخبَر به للإنذار الذى هو ضدها بإدخال الإنذار فى جنس البشارة على سبيل التهكمّ والاستهزاء . وتقدم الكلام على ذلك فى البشير .

« المبعوث بالحق » : أى المرسَل به اسم مفعول من البعث وهو الإرسال . وأصله إثارة الشىء وتوجيهه ، وبُعث صلى الله عليه وسلم للخلق كافة ، كما سيأتى فى الخصائص إن شاء الله تعالى .

« المبلِّغ » : الذى يؤدى الرسالة كما أمر ، اسم فاعل من بلَّغ الرسالة إذا أدَّاها ، قال الله تعالى (يا أيها الرسولُ بلِّغْ ما أُنزِل إليك من ربِّك[٤]) .

«المبيح» : الذى أباح لأمته ما حرَّم على الأمم السابقة . كما سيأتى بيان ذلك فى الخصائص .

المبيِّن : بتشديد التحتية : اسم فاعل من التبيين وهو الإظهار قال تعالى : « لتبيِّن للناسِ ما نزِّل إليهم[٥] » .

---

(١) سورة مريم من آية ٣١ .

(٢) سورة آل عمران ٦١ .

(٣) سورة التوبة ٣٤ .

(٤) سورة المائدة ٦٧ .

(٥) سورة النحل ٤٤ .

«المتبتِّل» : «ط» «عا» المخلص المنقطع إلى الله تعالى بعبادته . اسم فاعل من التبتل وهو الإخلاص والانقطاع إلى الله تعالى ، قال تعالى : (وتبتَّل إليه تَبْتيلا[1]) أى أخلص له العبادة . وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « لا رَهْبانيّة ولا تبتُّل فى الإسلام[2] » فالمراد به الانقطاع والرغبة عن النكاح . ومنه قيل لمريم : البَتُول .

«المتبسِّم»: «د» «عا» اسم فاعل من التبسم وهو البشاشة . وسمِّى صلى الله عليه وسلم به لأنه كان يَلْقى النَاسَ بالبِشْر ، وطلاقةُ الوجه من حُسْن العشرة ولهذا مزيد بيان فى باب ضحكه وتبسّمه صلى الله عليه وسلم .

« المتَّبع » « ط » « عا » اسم مفعول[3] من الاتباع وهو الذى يتبعه غيره أى يقتدى به فى أقواله وأفعاله ، قال الله تعالى : (فآمنوا بالله ورسوله النبىِّ الأُمِّى الذى يُؤْمن بالله وكلماته واتبعوه[4]) أمرنا الله تبارك وتعالى باتباعه صلى الله عليه وسلم والاقتداء به فى أقواله وأفعاله فوجب علينا اتباعه فى ذلك فى أقواله فإنه لا ينطق عن الهوى وأفعالِه فإنه لا يَصْدر منه محرَّم لعصمته . ولا مكروه لنُدْرته من غيره من أهل الكمال فكيف به منه . بل قيل : لا يتصور وقوع المكروه منه أيضاً لأنه إذا فعل ما هو مكروه فى حقنا أو خلاف الأوْلَى كوضوئه صلى الله عليه وسلم مرةً مرة فذلك لبيان الجواز .

وقد حكى الإمام النووىّ عن العلماء أن وضوءه صلى الله عليه وسلم على تلك الصِّفة أفضل فى حقه من التثليث .

« المتربِّص » : ذكره الإمام شمس الدين البرماوى – رحمه الله تعالى – فى رجال العمدة أخذاً من قوله تعالى ، آمراً له أن يقول للكفار : (تربَّصوا فإنِّى معكم من المتربِّصين[5]) أى انتظروا حصولَ ما تتمنونه لى فإنى منتظر ما وعدنى ربى من النصر عليكم والظَّفر بكم .

« المترحِّم » : اسم فاعل من ترحم .

« المتضرِّع فى الدعاء » : الخاضع لله وتقدم فى الضارع .

---

(١) سورة المزمل ٨ . (٢) مسند أحمد ٦/٢٢٦ .

(٣) ص ت م : اسم فاعل . محرفة . (٤) سورة آل عمران ١٥٨ .

(٥) سورة الطور ٣١ . وفى الأصل : « فتربصوا إنى معكم » محرفة . ولا يظهر فى هذا الاسم اختصاصه بالنبى صلى الله عليه وسلم فإن وصف التربص يصدق عليه وعلى أعدائه كذلك ، فلا معنى لجعله أسما له ، وحقيقة الأسم ما يميز المسمى ويدل عليه وحده .

«المُتقِن» : «عا» اسم فاعل من الإتقان وهو إحكام الأُمور أو الحاذق اللبيب والفطِن الأريب ، يقال أتقن الشىء فهو مُتْقِن وتَقِن بكسر القاف أى حاذق .

«المتَّقِى» : اسم فاعل من اتقى . وقد تقدم الكلام على التقوى فى اسمه الأتْقَى .

«المتْلُوّ» «عا» اسم مفعول من التلوّ وهو المتابعة لأنه يُتَّبع ويُقتدى به .

«المَتْلو عليه» : من التلاوة ، لأن جبريل كان يتلو عليه القرآن ويدارسه[1] به .

«المتمكِّن» : وجِد مكتوباً على حجَر فى البيت فى الهَدْمة الأُولى فيه : «عَبْدى المنتخَب المتمكِّن المنيب المختار[2]» ، ومعنى المتمكِّن : المسْتمكن فى الأرض الذى أطاعه الناس واتبعوه وظَهردِينه واشتهَر . والتمكن صفة أهل الحقائق ، والتكوين صفة أرباب الأحوال ، فما دام العبد فى الطريق فهو صاحبُ تكوين لأنه يرتقى من حال إلى حال ، فإذا وصَل تمكَّن .

قال الأُستاذ أبو على الدقَّاق - رحمه الله تعالى - : كان موسى عليه الصلاة والسلام صاحب تكوين فرجع من سماع الكلام وأثَّر فيه الحال قال تعالى : ﴿ وخرَّ موسى صَعِقًا[3] ﴾ ومحمد صلى الله عليه وسلم صاحب تمكين فرجع بعد أن وصل ولم يؤثر فيه ما شاهَد ، قال تعالى : ﴿ مازاغَ البصَرُ وما طَغَى[4] ﴾ .

«المتمِّم لمكارم الأخلاق» : روى الإمام أحمد عن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «بُعِثْتُ لأُتمِّم مَكَارمَ الأخلاق[5]» وهى من جملة الدين ، والمكارم : جمع مَكْرُمة بضم الراء ، والأخلاق جمع خُلُق بضمتين وهى السجيّة .

«المتمَّم» : مبنياً للمفعول : المكمَّل خُلقا وخَلْقا.

«المتهجِّد» : قال تعالى : ﴿ ومن الليل فتهجَّدْ به[6] ﴾ وسيأتى الكلام عليه فى أبواب عبادته .

«المتوسط» : «خا» المتردِّد فى الشفاعة بين الله تعالى وبين الأُمة .

«المتوكِّل» : قال تعالى : «وتوكَّلْ على الحىِّ الذى لا يموت[7]» ، وهو من أسمائه فى التوارة

---

(١) ط : أى يدارسه .
(٢) الوفا ١٤٦/١ .
(٣) سورة الأعراف ١٤٣ .
(٤) سورة النجم ١٧ .
(٥) الحديث رواه الإمام مالك فى موطئه باب حسن الخلق بلفظ : «بعثت لأتم حسن الأخلاق» ورواه البخارى فى الأدب والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى شعب الإيمان بلفظ : «إنما بعثت لاتم صالح الاخلاق» .
(٦) سورة الإسراء ٧٩ .
(٧) سورة الفرقان ٥٨ .

كما فى صحيح البخارى عن عبد الله بن عمرو – رضى الله تعالى عنهما[1] . قال الإمام الشافعى – رضى الله تعالى عنه – : نزَّه الله تعالى نبيَّه ورفَع قَدْره بهذه الآية لأن الناس فى التوكل على أحوال : متوكِّل على نفسه أو على أهله أو على جاهه أو على سلطانه أو على صناعته أو على غلَّته أو على الناس . وكل منهم متوكل مستند إلى حىّ يموت وإلى ذاهب ينقطع ، فنزَّه الله تعالى نبيَّه عن ذلك كله وأَمَره بالتوكل عليه ، وقال النَّخْشَبى – وهو بنون مفتوحة فخاء ساكنة فشين مفتوحة معجمتين فباء موحَّدة فياء نسب : التوكل : طَرْح البدن فى العبودية ، وتعلُّق القلب بالربوبية ، والطمأْنينة بالله ؛ فإن أعطاه شكرَ ، وإن منعَه صبر . وقيل : الثقة بالله تعالى والإيقان بقضائه لكن يجوز السَّعْى فيما لابد منه تأسِّياً بالسُّنة .

وقال الأُستاذ أبو القاسم القشيرى : التوكل محلُّه القلب ، والحركة بالظاهر لا تنافيه بعد أن تحقَّق أن الكل من الله تعالى ، فإن تعسَّر شىء فبتدبيره وإن تيسَّر شىء فبتيسيره .

وحكى أن إبراهيم بن أدهم سأل شقيقا البَلْخى عن مبدأ أمره فقال : رأيت فى بعض الخلوات طائراً مكسور الجناحين فأَتاه طائر صحيح الجناحين بجرادة فى منقاره فأَطعمه إياها ، فتركتُ التكسّب واشتغلت بالعبادة ، فقال إبراهيم : ولم لا تكون أنت الطائر الصحيح الذى أطعم الطائرَ العليل حتى تكون أفضل منه ؟ ! قال صلى الله عليه وسلم : « اليدُ العُلْيا خيرٌ من اليد السُّفْلى[2] » .

« المتين » : « حا » « عا » القوىّ الشديد ومنه حبل متين . وهو من أسمائه تعالى ومعناه القوىّ السلطان البالغ أقصى مراتب القدرة والإمكان .

«المثَبَّت» : « عا » بفتح الموحدة مبنيًّا للمفعول من الثبات وهو التمكن والاستقرار . قال الله تعالى : « ولولا أن ثبَّتْناك[3] » وسمِّى بذلك لأن الله تعالى ثبَّت قلبه على دينه .

«المثبِّت» : « عا » بكسر الباء مبنيًّا للفاعل المثبت لمن اتبعه على[4] دينه المجاب « خا » المعطىَ سُؤْله .

---

(١) صحيح البخارى ١٢/٢ كتاب البيوع ، وهو فى كتاب التفسير أيضا .

(٢) صحيح البخارى ٢٣٧/٣ كتاب النفقات .

(٣) سورة الإسراء من آية ٧٤ .

(٤) ط : على الدين .

« المجادِل » : « عا » : المحكِم المتقن للأُمور أو المحاجج اسم فاعل من الجدال وهو المعارضة فى القول على سبيل المنازعة والمغالبة لإظهار الحجة . وأَصل الجدال الإحكام ، ومنه جَدَلْتُ الحَبْل والبناء إذا أحكمت صنعهما قال تعالى : (وجادِلْهم بالتى هى أَحسن[1]) أى بأَحسن أطرق المجادَلة من الرفق واللين من غير فظَاظة ولا تعنيف .

« المجاهد » : اسم فاعل من الجهاد . قال تعالى : « يا أَيها النبىُّ جاهِد الكفَّارَ والمنافِقين[2] » أى جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج أو بإقامة الحدود أو بإفشاءِ أسرارهم .

« المجتبَى » : اسم مفعول من الاجتباءِ وهو الاصطفاء . قال فى الصِّحاح : اجتباه : اصطفاه .

« المجتهد » : المجدّ فى الطاعة أو من قام به الاجتهاد . وهو بَذْل الوسع فى طلب أَمْرٍ يُقْصد ، افتعالٌ من الجهد والطاقة .

« المجيب » : اسم فاعل من أجاب .

« المجير » : اسم فاعل من أجار ، أى أنقذ من استجار به وأغاث من استغاث به .

« المجيد » : بفتح الميم وكسر الجيم : الرفيع القَدْر العالى البركة ، أو الكريم الشريف الفِعَال . فعيل بمعنى فاعل من المجْد ونَيْل الشَّرف ، يقال مَجَد كنَصَر وكَرُم مَجْدا ومجادَةً فهو ماجدٌ ومَجِيد . وهو من أسمائه تعالى، ومعناه : الكريم الجميل الفِعَال الكثير الأفضال، أو الذى لا يشارَك فى أوصاف جَماله ولا يضاهَى فى عُلوّ شانه .

« المحَجَّة » : جادة الطريق ، مَفْعَلة من الحَجّ وهو القَصْد ، والميم زائدة ، وجَمْعه المَحَاجّ . وسمِّى بذلك صلى الله عليه وسلم لأَن الناس تَقْصده .

« المحرِّض » : بكسر الراء المشددة فضاد معجمة : المُحِض على القتال والجهاد أو العبادة ، أى المحِثّ على ذلك ، قال الله تعالى : « يا أيها النبىُّ حَرِّضِ المؤمنين على القتال[3] » .

« المحرِّم للظُّلْم » : وهو مجاوزة الحق ولهذا مزيد بيان يأْتى .

« المحفوظ » : اسم مفعول من الحفظ . وسمِّى به لأَنه محفوظ من الشيطان . روى البخارىّ عن أَبى هريرة – رضى الله تعالى عنه – أَن النبى صلى الله عليه وسلم صلَّى صلاةً فقال : « إن

---

(١) سورة النحل ١٢٥ . (٢) سورة التوبة ٧٣ .
(٣) سورة الأنفال ٦٥ .

الشيطان عَرَض لى فشدَّ علىّ ليقطع الصلاة علىَّ فأمْكَنَنى الله منه[1] » . وفيه دليل على حِفْظه منه .

فإن قيل : لمَ سُلِّط عليه الشيطان أولًا ، وهلَّا كان إذا سلَك عليه الصلاة والسلام طريقًا هرَب الشيطانُ منه كما وقع لعمر بن الخطاب – رضى الله عنه – ، فقد روى الشيخان عن سعد بن أبي وقّاص – رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر : « ما لَقِيك الشيطان[2] قط سالكًا فجًا إلا سَلك فجًا غيره[3] » .

الجواب : أنه لمّا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مَعْصومًا من الشيطان ومَكْرِه ومحفوظًا من كيده وغَدْره آمنًا من وسواسه وشره كان اجتماعه به وهربه منه سِيّان فى حقه صلى الله عليه وسلم . ولما لم يَبْلغ عُمَر – رضى الله تعالى عنه – هذه الرتبة العليّة والمنزلة السنيّة كان هربُ الشيطان منه أوْلَى فى حقه وأيْقن لزيادة حفظه وأمْكن لدفع شَرّه . على أنه يجوز أن يُحْمل الشيطان الذى كان يهرب من عمر غير قَرِينه أما قرينه فكان لا يهرب منه بل لا يفارقه لأنه وكِّل به كغيره .

«المحكِّم» : « عا » بفتح الكاف المشددة : الحاكم وهو القاضى . قال تعالى : « فلا وربِّك لا يُؤْمنون حتى يحكِّموك فيما شَجَر بَيْنهم[4] » أى يرضوا بحكمك لهم وعليهم .

« المحرِّم » : مبيّن الحرام وهو ما نهى الله عنه ولم يرخص فيه .

« المحلِّل » : شارع الحلال وهو ما أُذن فى تناوله شَرْعًا[5] .

« المحمود » : « يا » « د » « ع » هو المستحق لان يُحْمَد لكثرة خصاله الحميدة . قال حسان ابن ثابت – رضى الله تعالى عنه – يرثيه :

فأصبَح محموداً إلى الله راجعـا ... يبكِّيه حقٌّ المرسَلات ويُحْمَدُ[6]

وهو من أسمائه تعالى قال حسان أيضاً :

وشقَّ له من إسمه ليُجِلَّـــه ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمدُ[7]

---

(١) صحيح البخارى ١٥٦/١ وصحيح مسلم كتاب المساجد حديث رقم ٥ .
(٢) ط : مالقيك شيطان .
(٣) صحيح البخارى ٢٣٨/٢ (ط الأميرية) وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢٢ .
(٤) سورة النساء ٦٥ .
(٥) ص ت م : فى تناوله الشرع .
(٦) ديوانه ٥٦ (ط صادر) وفيه : يبكيه جفن المرسلات . أراد الملائكة المستترين عن العيون .
(٧) ديوانه ص ٤٧ (ط صادر) .

« المحيد » : من حاد عن الشيء إذا عدَل عنه ، وسمِّى بذلك لأنه حاد عن الباطل واتبع الحق . أو من أحاد لأنه عدَل بأُمته إلى جادّة الطريق المستقيم وسلك سبيل الدين القويم .

« المخْبِت » : « خا » تقدم فى الأوّاه . وفى الصحاح : الإخبات الخشوع والتواضع .

« المُخْبر » : « د » المبلِّغ عن الله ما أوحى إليه .

« المختار» : اسم مفعول من الاختيار وهو الاصطفاء كما فى الصِّحَاح . روى الدارمى عن كعب الأحبار قال فى السِّفْر الأول : محمد رسول الله عبدى المختار لا فَظّ ولا غليظ ولا سخَّاب بالأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة[1] .

« المختص » : اسم مفعول من الاختصاص بالشيء وهو الإيثار به ، وسمِّى بذلك لأن الله تعالى اختصه لنفسه واستأْثر به على خَلْقه ، ويجوز أن يراد به اسم الفاعل ، وسمى به لأنه اختص بملازمته عبادة ربه واستأْثر[2] بزيادة حبه وقُربه .

« المختصّ بالقرآن» : « عا » المستأْثر به على غيره ، يقال اختصه الله بكذا واختص نفسه بكذا فهو مختص فيهما . والقرآن فى الأصل مصدر نحو كُفْران ورجحان سمى بذلك من بين كتب الله لكونه جامعًا لثمرة كتبه ، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار إليه بقوله : (وتفصيلا لكلِّ شيء[3]) وقوله (تِبْيانًا لكل شيء[4]) وقد خُصَّ بالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وصار له كالعَلَم ، كما أن التوراة لمَا أُنزل على موسى والإنجيل لمَا أُنزل على عيسى عليهما الصلاة والسلام. والقرآن[5] : ضم بعض الحروف والكلمات إلى بعض فى الترتيل . وليس يقال ذلك لكل جَمْع ، لا يقال قرأت القوم إذا جَمعْتهم .

« المختص بآيٍ لا تنقطع» : الآى : جمع آية وهى العلامة والمراد بها المعجزة لأن منها القرآن ، والمعنى أن آياته لا تَبِيد ولا تنقطع بل هى باقية إلى يوم القيامة تتجدَّد ولا تضمحلّ لأن منها القرآن وهو باق إلى آخر الدهر بخلاف معجزات سائر الانبياء صلى الله عليهم وسلم فإنها انقرضت بانقراضهم ، ولهذا مزيد بَسْط فى المعجزات .

« المختَّم » : اسم مفعول من تختَّم إذا اتخذ خاتماً ، وسيأْتى لهذا مزيد بيان فى أبواب زينته .

---

(١) مسند الدارمى ١/٤ .

(٢) ص : فاستأثر .

(٣) سورة الأنعام ١٥٤ .

(٤) سورة النحل ٨٩ .

(٥) ط ت م : والقراءة . وما أثبته من ص .

أو الذى خُتِم عليه بخاتم النبوة كما سيأتى بيانه فى صفات جسده الشريف .

« المخصوص بالعِزّ » .

« المخصوص بالمجْد » .

« المِخْضَم » : « عا » بضاد معجمة بوزن مِنْبر : السيد الشريف العظيم المنيف .

« المخْلص » : « عا » الصادق فى عبادته الذى ترك الرياء فى طاعة الله تعالى، اسم فاعل من الإخلاص وهو الصدق وترك الرياء . قال الله تعالى : (بل الله أَعْبدُ مُخْلصا له دِينى[1]) قال الأُستاذ أبو القاسم القشيرى ـ رحمه الله تعالى ـ : الإخلاص إفراد الحق فى الطاعة بالقصد، أو تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين . والفرق بينه وبين الصدق أنه التنقِّى عن مطالعة النفس . والإخلاص : التوقِّى عن ملاحظة الخَلْق . والمخلص لا رياء له والصادق لا إعجاب له.

« المدثِّر » : قال تعالى : (يا أيها المدَّثِّر) روى الشيخان عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يحدِّث عن فترة الوحى : « بَيْنا أنا أمشى إذ سمعتُ صوتا من السماء فرفعتَ بصرى فإذا الملَك الذى جاءنى بحِرَاء جالس على كرسّى بين السماء والارض فرعبتُ منه فرجعت فقلت دثِّرونى دثرونى . وفى لفظ : زمِّلونى زمِّلونى فأنزل الله تعالى : « يا أيها المدَّثِّر قم فأنذر »[2] وهو اسم مشتق من الحالة التى كان عليها حين النزول . والمدثر : المتلفِّف فى الدثار وهو الثياب وأصله المتدثر لأنه من تدثَّر فقلبت التاء دالا وأُدغمت . قال أبو القاسم بن الورد : وإنما نزل : « يا أيها المدثِّر » عقب قوله « زمِّلونى » لأجل أن هذا التزمل أريد به الدثار من البرد الذى يعترى الروع لأنه كالمحموم مخاطبة بالمعنى المطلوب من تزمل أى يا أيها المزمل المدثر دَعْ هذا الدِّثار وخُذْ فى الإنذار تأنيبا له من ذلك الرَّوْع وتنشيطاً على فعل ما أُمر به . كما تقول لمن أرسلته فى حاجة فتخوَّف وجلس فى بيته : يا أيها المتخوِّف امض فيما وجَّهْتُك . ولو قلت : يا أيها الجالس فى بيته لاستقام لكن بَدْأه بالمعنى الذى من أجله جلس فى بيته آنَسُ له وآمن من تخوّفه وأبْلغ فى التنشيط له .

« المدَنىّ » : نسبة إلى المدينة الشريفة وسيأتى الكلام عليها فى أبواب فضلها .

---

(١) سورة الزمر ١٤ .

(٢) صحيح البخارى ٣/١ . وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥٥ .

«مدينة العِلْم» : روى الترمذى وغيره مرفوعاً : « أَنا مدينة العِلْم وعلىّ بابها[1] » والصواب الحديث حسن . كما قال الحافظان العلائى وابن حَجر ، وقد بسط الشيخ الكلام عليه فى كتاب « تهذيب الموضوعات » . وفى « النكت » .

« المذكِّر » : المبلغ الواعظ ، اسم فاعل من التذكرة وهى الموعظة والتبليغ . قال تعالى : (فذكِّر إنما أَنت مذكِّر[2]) أَى ذكِّر عبادى وعِظْهم بحُجّتى وبلِّغهم رسالاتى .

« المذكور » : « خا » : فى الكتب السالفة .

« المرء » : بتثليث الميم : الرجل الكامل المروءة ، وهى بالهمز وتَرْكه : الإِنسانية . قاله الجوهرى[3] . وسأَل رجل الأَحنف عن المروءة فقال : عليك بالخلق الفسيح والكفِّ عن القبيح . وقيل : أَن تصون نَفْسك عن الأَدناس ولا تشينها عند الناس . وقال الإِمام جعفر الصادق : وهى أَن لا تطمع فتذِلّ ولاتسأَل فتثقل ولا تبخل فتشتم ، ولا تَجْهل فتُخْصَم . وقيل : أَن لا تعمل فى السرّ ما تستحى منه فى العلانية . وقيل : هى اسمٌ جامع لكل المحاسن . وعن عمر بن الخطاب – رضى الله تعالى عنه – : المروءة مروءتان : مروءة ظاهرة وهى الرئاسة ومروءة باطنة وهى العفاف .

وروى الإِمام أَحمد وأَبو داود عن عائشة مرفوعا : « أَقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم إِلا فى الحدود[4] » ورواه الإِمام الشافعى وابن حِبّان فى صحيحه بلفظ : أَقيلوا ذوى الهيئات زلَّاتهم . وقال الشافعى : وذوو الهيئات الذين يُقالون عَثراتهم : الذين لا يُعرفون بالشر فيزِلُّ أَحدهم الزَّلة . وقال الماوردى : فى عثراتهم وجهان : أَحدهما : الصغائر . والثانى : أَول معصية زلَّ فيها مُطيع .

وسمِّى صلى الله عليه وسلم بذلك لأَنه منها بمكان قال له زهير بن صُرَد :

امنُنْ[5] علىّ رسولَ الله فى كرَمٍ فإِنك المرءُ نَرْجوه وندَّخِـــرُ[6]

« المرتجَى » : « ط »[7] بفتح الجيم : اسم مفعول من الرجاء بمعنى الأَمل لأَنه الذى يرجوه الناس لكشف كروبهم وجلاءِ مصائبهم وأَعظمها يوم القيامة فى فصل القضاء .

---

(١) صحيح الترمذى ٢/٢٩٩ (كتاب المناقب) ونصه : أنا دار الحكمة إلخ . قال الترمذى : هذا حديث غريب منكر .
(٢) سورة الغاشية ٢١ . (٣) الصحاح ١/٢٣ .
(٤) سنن أبى داود ٢/١٤٥ (كتاب الحدود باب الستر على أهل الحدود) .
(٥) ص : فامنن . (٦) سيرة ابن كثير ٣/٦٦٦ . (٧) ص : « خا » بدلا من « ط » .

« عا » : أو بكسرها[1] : اسم فاعل ، أى المؤمَّل من الله تعالى قبولَ شفاعته فى أمته .
روى الشيخان عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابة فتعجّل كلّ نبي دعوته وإنى أختار دعوتى شفاعة لأُمّتى فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات لا يُشْرك بالله شيئاً .

« المرتضَى » : الذى رَضِيه مولاه أى أحبه واصطفاه .

« المرتِّل » : بكسر المثناة الفوقية اسم فاعل من رتَّل مضاعفا وهو الذى يقرأ القرآن على ترسّل وتُؤَدة مع تبيين للحروف والحركات قال تعالى : « ورتِّل القرآن ترتيلا[2] » .
روى الترمذى عن حفصة ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بالسورة ويرتلها حتى تكون أطول من أطول منها . ولهذا مزيد بيان فى أبواب قراءته صلى الله عليه وسلم .

« المرحوم » : اسم مفعول من رحم . وتقدم بيان معنى الرحمة .

« مَرْحمة » : روى أبو نُعَيْم فى « الحِلْية » عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ مرفوعا : « بُعثت مَرْحمة ومَلْحمة ولم أُبعث تاجرا ولا زارعا[3] » أى بعثت رحمةً للمؤمنين وشدة على الكافرين . كما قال الله تعالى فى حقه وحق أصحابه : (أشدّاءُ على الكُفَّار رُحَماءُ بَيْنهم[4]) .

« المرْسَل » : « ع » « د » . قال الله تعالى : (ويقولُ الذين كفروا لَسْتَ مُرْسَلا . قل كفَى بالله شَهيدًا بَيْنِى وبينكم ومن عِنْده عِلْمُ الكِتَاب[5]) وهو مُفْعَل من الرسالة والفرق بينه وبين الرسول أن الأوّل لا يقتضى التتابع فى الإرسال ، بل قد يكون مرة واحدة والرسول يقتضيه .

« المرشِد » : الهادى : اسم فاعل من أرشد أى دلّ على طريق الهدى .

« مَرْغمة » « د » وقع فى الصحاح : « بُعِثْتُ مَرْغمةً[6] » أى مُذِلاًّ للكفر حتى يلتصق بالرَّغام وهو بالفتح التراب ، ثم استعمل فى الذل والعجز .

---

(١) أى بكسر الجيم فى المرتجى . (٢) سورة المزمل ٤ .
(٣) لم أجده فى حلية الأولياء فى ترجمة عبد الله بن عباس ١/٣١٤ - ٣٢٩ .
(٤) سورة الفتح ٢٩ . (٥) سورة الرعد ٤٣ .
(٦) الصحاح للجوهرى ٢/٢٩١ .

«المُرَغِّب»: «عا» : اسم فاعل من رغَّب مضاعَفًا، لأنه يحث الخلق على طاعة الحق ويرغبهم فيما عنده من الخير ، وقرأ زيد بن على : (وإلى ربِّك فارْغَب) أى رغِّب النّاسَ إلى طلب مغفرته ومحبة مَثُوبته .

«المزكِّى» : «ط» قال تعالى : (ويُزَكِّيهم[1]) أى يطهرهم من الشرك ووضَر الآثام .

«المزَّمِّل» : أصله المتزمِّل قُلبت التاء زايًا وأُدغمت لأنه من تزمَّل. قال الله تعالى : (يا أيُّها المزمِّل قُمِ الليل[2]) ولهذا مزيد بيان فى أبواب بعثته .

«المُزَمْزَم»: «عا» بضم الميم الأولى وفتح الزاى الثانية أى المغسول قلبُه بماء زَمزم كما سيأْتى الكلام على ذلك فى أبواب صفة جسده الشريف فى باب شق صدره صلى الله عليه وسلم .

« مُزيل الغُمّة » : اسم فاعل من الإزالة وهى الكشف والإماطة . والغمة من الغم : الكرب والشدة . وأصله الستر ومنه الغمام لأنه يستر ضوء الشمس ، وسمى بذلك لأنه جلى ظُلْمة الشك بنور اليقين ، وأماط غمة الشِّرْك عن الدين المتين ، ورفع حُجُب الغفلة عن قلوب المتقين .

«المسبِّح»: «ط» «عا» بسين مهملة فباء موحدة فحاء مهملة : المهلل الممجِّد ، اسم فاعل من التسبيح وهو تنزيه الحق عن أوصاف الخَلْق ، وأصله المرُّ بسرعة فى الماء. قال «عا» : وفرّق بينه وبين التقديس والتنزيه بأن التقديس تبعيد الرب عما لا تليق به الربوبية ، والتنزيه تبعيده عن أوصاف البشرية ، والتسبيح تبعيده عن أوصاف جميع البَرِيّة .

«المستجيب» : «عا» المطيع اسم فاعل من استجاب بمعنى أجاب ، وليست سينه للطلب بل هو استفعل بمعنى أفعل قال كعب الغنوىّ :

وداعٍ دعَا يا مَنْ يجيبُ إلى النّـــدا ... فلم يَسْتجبْه عندَ ذاك مُجيبُ[3]

ومنه : (يوم يَدْعوكم فتَسْتجيبون بحَمْده)[4] أى فتجيبون ويجوز أن يكون المستجيب بمعنى مُسْتجَاب ، فِعيل بمعنى مفعول ، وسمِّى بذلك لأنه تجب علينا طاعته ويلزمنا إجابته إذا دعانا ولو فى صَلَاتنا ، ولا تبطل بإجابته كما سيأْتى بيان ذلك فى الخصائص .

---

(١) سورة البقرة ١٢٩ . (٢) سورة المزمل ١ .

(٣) البيت لكعب بن سعد الغنوى من قصيدة يرثى فيها أخاه أبا المغوار . انظر شرح الأشمونى ١٠٨/١ .

(٤) سورة الإسراء ٥٢ .

«المستعِيذ» : « ط » : اسم فاعل من العَوْذ وهو الالتجاء إلى الله تعالى والاستجارة به والانحياز إليه والاستعانة به ، قال تعالى : (فإذا قرأت القرآن فاستعذْ بالله[1]) (وإمّا يَنْزغنك من الشيطان نَزْغ فاستعِذْ بالله[2]) واستعاذته صلى الله عليه وسلم عند القراءة وفى كل وقت من الشيطان وهَمْزه ونَفْثه ومن شرِّ ما خلق وعند نزوله المنازل فى السفَر معلوم جاءت به الأحاديث الصحيحة وذكر بعضهم أنّ الاستعاذة كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم وحده ثم تأَسَّيْنا به .

« المستغفر من غير مَأْثم » : قال تعالى : (فسبِّح بحَمْد ربك واستغفره[3]) روى ابن السُّنّى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كنا نَعُدُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد مائةَ مرة يقولها قبل أن يقول شيئاً « ربِّ اغفر لى وتُبْ علىّ إنك أنت التوابُ الرحيم » ولهذا مزيد بيان فى باب استغفاره .

« المُسْتَغْنِى » : « خا » تقدم فى الغَنِىّ .

« المستقيم » : اسم فاعل من الاستقامة وستأْتى وأصله مُسْتَقْوِم نقلت حركة الواو إلى ما قبلها ثم قلبت ياء ، وهو الذى لا عِوَج فيه ينقصه ، أو السالك الطريق المستقيم وهى طريق الحق فلا يَحُول عنها ، وقد مرَّ عن الحسن وأبى العالِيَة أن الصراط المستقيم فى قوله تعالى: (اهدِنا الصراطَ المستقيم) سيدُنا محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى : (فاستقمْ كمَا أُمِرْتَ)[4] أى استقم استقامةً مثل الاستقامة التى أُمرتَ بها على جادّة الحق غير عادِل عنها ، أى دوامْ على ذلك . قال الأُستاذ أبو القاسم القشيرى رحمه الله تعالى : الاستقامة درجة بها كمال الأُمور وتمامها . وببلوغها حصولُ الخيرات ونظامها ، وأول مَدارجها : التقويم وهو تأْديب النفس ، ثم الاستقامة وهى تقرّب الأَسرار .

وقيل : الاستقامة الخروج من المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدى الحق على قدم الصِّدق .

« المسدَّد » : أخذه « ط » من قوله تعالى لشَعْيا صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن أبى حاتم عن وهب : أُسدِّده لكل جميل

---

(١) سورة النحل ٩٨ .
(٢) سورة فصلت ٣٦ .
(٣) سورة النصر ٣ .
(٤) سورة هود ١١٢ .

« المُسْرَى به » : بضم الميم وسكون السين المهملة اسم مفعول من الإسراء كما سيأتى بيان ذلك فى بابه .

« المسعود » : « د » « عا » اسم مفعول من أسعده الله تعالى أى أغناه وأذهب شقاوته فهو مسعود ولا تقل مُسْعَد .

« د » : ويجوز أن يكون بمعنى فاعل ، كالمحبوب . بمعنى محبَّب من سَعِد كعَلِم وعُنى سعادة فهو سعيد ومسعود أى حصل له اليُمْن والبرَكة .

« المسلِّم » : « عا » بتشديد اللام المكسورة المفوِّض من غير اعتراض ، المتوكِّل على الله تعالى فى جميع الأعراض .

« المسِيح » : المبارَك باليونانية ، أو الذى يمسح العاهات فيبرئها فعيل بمعنى فاعل ، أو الذى لا إخْمِص له . وسيأتى فى باب صفة قدمه الشريف أنه صلى الله عليه وسلم كان مَسِيح القدمين ومعناه أنه كان أمْسَح الرِّجْل ليس لرجله إخمص فالإخمص: ما لا[1] يمّس الأرض من باطن الرجل ولذلك سمى السيد عيسى صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيه أقوالٌ يُناسب النبىَّ صلى الله عليه وسلم منها عشرة : الأول : أنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برىء ، وقد كان صلى الله عليه وسلم كذلك . كما سيأتى فى المعجزات .

الثانى : سمى بذلك لحسْن وجهه ، والمسيح فى اللغة الجميل ، وقد كان صلى الله عليه وسلم من الحسْن بمكان لا يُدَانيه فيه أحد ، كما سيأتى بيان ذلك فى حُسْنه .

الثالث : الكثير الجِمَاع يقال مسَحها إذا جامعها . قاله ابن فارس . الرابع : الصِّديق قاله الأصمعي . الخامس : المسيح قطعة الفضة وسمى به لأنه كان أبيض مُشْربًا بحُمْرة وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم كما سيأتى فى باب صفة لونه . السادس : المسيح : السيف قاله المطرّز . ومعنى السيف فى حقه صلى الله عليه وسلم واضح لأنه سيف الله كما تقدم . السابع : الذى يمسح الأرض أى يَقْطعها لأنه كان تارةً بالشام وتارة بمصر وتارة بغيرهما . والنبي صلى الله عليه وسلم قطَع السماوات السبع . الثامن : لأن الله تعالى كان يمسح عنه الذنوب : التاسع : أن جبريل مسحه بالبركة ذكرهما أبو نُعَيْم .

---

(١) ط ت م : ما لم يمس الرجل . وما أثبته من ص .

العاشر : أنه ولد كأنه ممسوح بالدُّهْن . وقد ولد صلى الله عليه وسلم مسروراً مختونا . وقالت حاضنته أم أيمن : كان يصبح دَهِينا رَجِلاً وغيره من الأولاد شُعْثًا .

قال أبو عبيد : وأظن المسيح أصله مشِيح بالشين المعجمة فعرِّب .

« المشاوِر »: « عا » اسم فاعل من المشاورة وهى استخراج الآراء ليُعْلم ما عند أهلها . قال تعالى : « وشاوِرْهم فى الأمْر[1] » وروى ابن أبى حاتِم عن أبى هريرة قال : « ما رأيت أحدًا أكثر مَشُورةً لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم » ولهذا مزيد بيان فى باب مشاورته أصحابَه .

« المُشَذَّب » : « عا » بمعجمتين آخره باء موحَّدة : الطويل المعتدل القامة .

« المشرِّد » : « عا » اسم فاعل من التشريد بالعدوّ وهو التنكيل والتسميع بعيوبه ويجوز إعجام ذاله وبه قرأ ابن مسعود فى قوله تعالى : (فشرِّدْ بهم مَنْ خَلْفَهم[2]) أى فرِّقهُم عن محاربتك بقَتْلهم شَرّ قِتْلة واجعلهم نَكَالا لمن يتعرض لك بعد ذلك[3] بسوء حتى لا يَجْسُر أحدٌ عليك اعتباراً بهم واتعاظاً بحالهم .

« المشفَّع » : بفتح الفاء : الذى يَشْفع فتقبل شفاعته ، وهو السؤال فى طلب التجاوز عن المذنبين . ويأتى الكلام على شفاعته صلى الله عليه وسلم فى بابها .

« المشفوع » : ذكره « د » قال الشيخ رحمه الله تعالى : ولم يظهر لى معناه لأنه لا يصح أن يكون من الشفاعة لأن اسم المفعول منها مشفَّع من شفع .

« مُشَقَّح » : « يا » قال الشُّمُنِّى : هو بضم الميم وفتح الشين المعجمة والقاف المشددة وفى آخره حاء مهملة . وقال ابن دِحْية هو بالفاء وزن محمَّد ومعناه ، فإن الشَّقْحَ فى اللغة : الحمد . وقال[4] ابن ظَفر : وقع هذا الاسم فى كتاب شَعْيا ونصه : عبدى الذى سُرَّت به نفسى أُنْزل عليه وَحْيِ فيُظهر فى الأُمم عَدْلى ويوصيهم الوصايا ولا يضحك ولا يُسمع صوته فى الأسواق ، يفتح العيون العُور والآذان الصُّمَّ والقلوب الغُلْف وما أُعطيه لا أُعطِى أحداً ، مُشَقَّح بحمد الله تعالى حمداً جديداً ، يأتى من أقصى الأرض يُفرح البَرِّيّة وسكانها يهللون الله

---

(١) سورة آل عمران ١٥٩ .

(٢) سورة الأنفال ٥٧ .

(٣) ط ت م : بعدك . وما أثبته من ص .

(٤) ط ت م : وقال : قال . وما أثبته من ص .

ويكبِّرونه على كل رابية ، لا يَضْعف ولا يُغْلب ولا يميل إلى الهوى ولا يُذل الصالحين الذين هم كالعَصَبَة الضعيفة بل يقوّى الصِّديقين ، وهو ركن المتواضعين ، وهو نور الله الذى لا يطفأ أثَر سلطانه على كتفه[1]

قلت : قد راجعت عدة نسخ من « خير البشَر » لابن ظفر فلم أره قد ضبط مشقّح بالفاء « إنما فيها نقطتان فوق الحرف . وذلك مما يؤيد ضبط الشُّمنِّى رحمه الله تعالى

« المشهود » : « د » اسم مفعول وهو الذى تُشْهد أوامره ونواهيه وتُحضَر .

قال تعالى : « وشاهدٍ ومَشْهودٍ[2] » حكى القرطبي أن الشاهِد : الأنبياء، والمشهود: النبى صلى الله عليه وسلم قال : وبيانه : « وإذْ أخذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّين[3] » إلى قوله : « وأنا معكم من الشاهدين » .

« المُشِيح » : بضم الميم وكسر الشين المعجمة وسكون المثناة التحتية آخره مهملة . أى مشيح الصدر أى باديه من غير تقعّس ولا تطامن ، بل بطنه وصدره سواء . قال القاضى :ولعله بفتح الميم بمعنى عريض الصدر ، كما وقع فى الرواية الأُخرى .

« المشِير » : اسم فاعل من أشار عليه إذا نصحه وبيَّن له الصواب . وسمى صلى الله عليه وسلم بذلك لأنه الناصح المخْلص فى نصحه .

« المصافِح» : « عا » اسم فاعل من المصافحة وهى الأخذ باليد . قال الإمام النووى رحمه الله تعالى : وهى عند التلاقى سُنَّة مُجْمع عليها ويستحب معها البشاشة بالوجه والدعاء بالمغفرة ولهذا مزيد بيان فى باب مصافحته صلى الله عليه وسلم .

« المصارِع»: « خا » « عا » الذى يَصْرع الناسَ لقوّته من الصَّرْع وهو الطَّرْح . روى البيهقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صارَع أبا الأَشَدّ الجُمَحىّ واسمه كلْدة فصرعه . وبلغ من شدة أبى الأشدّ أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة من تحت قدميه فيتمزّق الجلد من تحته ولا يتزَحْزح . ولهذا مزيد بيان فى باب شجاعته صلى الله عليه وسلم وقوّته .

«المصباح» : السِّراج، وأحد أعلام الكواكب، وسمى به صلى الله عليه وسلم لأنه أضاءت به الآفاق .

---

(١) الوفا ١/٦٤ .

(٢) سورة البروج ٣ .

(٣) سورة آل عمران ٨١ .

« مصحح الحسنات » : لأن شرط صحتها الإيمان به صلى الله عليه وسلم .

« المصدِّق » : « عا » بكسر الدال . اسم فاعل من صدَّق مضاعفاً إذا أذْعن وانقاد لما أمر به ، وسمى صلى الله عليه وسلم بذلك لأنه صدَّق جبريلَ فيما أخبر به عن الله تعالى من الوحى . قال تعالى : « والذى جاء بالصِّدْقِ وصَدَّق به[1] » قيل هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه جاء بالصدق وآمنَ به ، ولما كان المراد[2] هو وأمته ساغ الإتيان بضمير الجمع وإشارته فى الآية فقال تعالى : « أولئك هم المتَّقون » وقيل : الذى صفة لمحذوف بمعنى الجمع تقديره والفريق أو الفَوْج[3] « الذى جاء بالصِّدْق وصدَّق به أُولئك هم المتقون » أو لأنه صدَّق ما بين يديه من الكتاب كما قال تعالى : « ثم جاء كمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعكم[4] »

« المصدَّق » : بفتح الدال مبنياً للمفعول لأن أُمته صدَّقته فيما أخبرهم[5] به فهو بمعنى ما قرئَ به فى الآية وصُدِّق بضم الصاد .

« المصدوق » : تقدم فى الصادق .

« المصطَفى » : هو من أشهر أسمائه صلى الله عليه وسلم وأصله « مُصْتَفَوٌ » لأنه مأخوذ من الصفوة وهو الخلوص ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً وأُبدلت تاءُ الافتعال منه طاءً لوقوعها بعد الصاد التى هى أحد حروف الإطباق ، وتقدم فى باب « فَضْل العرب » وفى باب طهارة أصله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة فيها أن الله اصطفاه على خلقه .

« المُصْلِح » : اسم فاعل من أصلح إذا أزال الإفساد وأوضح سَبيل[6] الرشاد ، وتقدَّم وروده فى حرف التاء .

وهو صلى الله عليه وسلم مُصْلِح للدِّين بإزالة الشِّرْك والطغيان ، مُصْلح للخَلْق بالهداية .

« المصَلَّى » : بفتحها[7] مبنى للمفعول أى المصلَّى عليه

« المصُون » : الصيِّن . وتقدَّم .

« المِضْخَم » : بمعجمتين بوزن مِنْبَر : السيد الشريف العظيم المنيف .

---

(١) سورة الزمر ٣٣ .

(٢) ص : ولما كان الإيمان به صلى الله عليه وسلم وأمته مرادا .

(٣) ص ت م : تقديره : والذين أو الفوج . وما أثبته من ط .

(٤) سورة آل عمران ٨١ .

(٥) ص ت م : فيما أخبر به . وما أثبته من ط .

(٦) ط : سبل الرشاد .

(٧) كذا ولعلها بفتح الصاد واللام .

« المُضَرى » : « عا » بضاد معجمة نسبة إلى مُضَر أحد أجداده ، وتقدم الكلام عليه فى أبواب نسَبه صلى الله عليه وسلم .

فائدة :

العرب لا تقول إلا ربيعة ومضر ولا تنطق بالعكس أصلًا مع أن مُضَر أشرف من ربيعة طَلبًا للخِفَّة[1] إذ لو قدّمت مُضَر لَتوالت حركاتٌ كثيرة فأُخِّر ليوقف عليه بالسكون .

«المضىء »: « عا » بالمعجمة مهموز : اسم فاعل من أضاء إذا أنار، وسمى صلى الله عليه وسلم بذلك كما سمِّى بالضِّيَاء ، وقد مرَّ الفرق بينه وبين النور مع مزيد كلام .

قال كعب يمدحه صلى الله عليه وسلم :

نورٌ يُضىء له فضلٌ على الشُّهبِ

« المطاع » : المتَّبع الذى يُذْعَن ويُنْقاد له ، اسم مفعول من الطاعة . قال تعالى : (وأَطِيعوا الله وأَطيعُوا الرسولَ)[2] وأَحدُ القولين فى قوله تعالى: (مُطاعٍ ثَمَّ أَمين[3]) أنه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

« المطهَّر » : ونقله « د » عن كعب « ط » : ويحتمل ضبطه بكسر الهاء اسم فاعل لأنه صلى الله عليه وسلم طهر من دنَس الشِّرْكِ . وبفتحها اسم مفعول لأنه صلى الله عليه وسلم طهر ذاتًا ومعنى ظاهرا وباطنا .

« المطِيع » : ورد فى حديث ابن ماجه السابق فى الأوّاه أى المنقاد لربِّه ، اسم فاعل من الطَّوْع وهو الانقياد ومثله الطاعة . يقال طاع يَطُوع وأَطاع يُطيع فهو طائع ومُطيع وأَطَعْته فهو مُطَاع .

« المظفَّر » : « خا » المنصور على من عاداه .

«المعروف » : « عا » بالبر والخير والإحسان أى معروف لله تعالى أى بِبِرّه وإحسانه لعباده أو صاحب المعروف .

« المعزَّر» : الموقَّر . ذكرهما « د » قال تعالى :« وتُعَزِّرُوه وتُوَقِّرُوه[4] » وقال تبارك وتعالى :

---

(١) ص ت م : طلبا للفخر .
(٢) سورة النور ٥٤ .
(٣) سورة التكوير ٢١ .
(٤) سورة الفتح ٩ .

« فالذين آمَنُوا به وعَزَّرُوه ونَصَروه »[1] فأَوجب الله تعالى تعزيره وتوقيره وإكرامَه ، ومعنى يُعَزِّروه يُجِلّوه ، وقيل : يبالغوا فى تعظيمه ، وقيل يُعينوه، وقرئ بزاءين من العزّ، ومعنى يوقِّروه : يعظموه . ومن ذلك ما أَوجبه الله تعالى من خَفْض الصوت عنده بقوله : « لا تَرْفَعُوا أَصواتكم فوق صَوْت النبيِّ[2] » الآية . ولهذا مَزيد بيان فى باب وجوب تعظيمه وتوقيره صلى الله عليه وسلم

« المَعْصُوم » : قال تعالى : « والله يَعْصمك من الناس » ولهذا مزيد بيان فى باب عِصْمته صلى الله عليه وسلم .

« المُعْطِى » : « د » : الواهب المتفضِّل، اسم فاعل من العَطاء وهو الإنالة وهو من أَسمائه تعالى .

« المعظَّم » : بالبناء للمفعول أَى العظيم ومعناه الجليل الشأْن الكبير السلطان، أَو الذى كل شىء دونه أَو البالغ أَقصى مراتب العظمة فلا تتصوّره الأَفهام ولا تحيط بكنهه الأَوهام .

« المعقِّب » : « د » قال « ط » : وكأَنه بفتح العين وكسر القاف المشددة بمعنى العاقب لأَنه عقَّب الأَنبياء أَى جاء بعدهم « عا » هو الذى يَخْلُف غيره فهو بمعنى العاقب يقال : « نجمٌ معَقِّب » إذا طلع بعد آخر ، أَو من أَعْقَب إذا أَخْلَف عقِباً لأَن له صلى الله عليه وسلم عَقِباً باقياً إلى يوم القيامة وهم أَولاد السيدة فاطمة رضى الله تعالى عنهم .

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم : أَن أَولاد بناته يُنْسَبون إليه كما سيأْتى بسط ذلك هنالك .

« المعلِّم » : بكسر اللام المشددة : أَى المرشِد للخير والدالّ عليه ، روى الدارمىّ فى حديث « إنما بُعثت معلِّما[3] » وقال حسان رضى الله تعالى عنه :

معلِّم صِدْق إن يطيعوه يهتدوا[4]

« المعلَّم » : كمعَظَّم اسم مفعول من التعليم وهو تنبيه[5] النَّفس لتصوّر المعانى وتوقيفها

---

(١) سورة الأعراف ١٥٧ .

(٢) سورة الحجرات ٢ .

(٣) سنن الدارمى وسنن ابن ماجة حديث رقم ٢٢٩ (المقدمة) . قال فى مجمع الزوائد : إسناده ضعيف . داود وبكر وعبد الرحمن كلهم ضعفاء .

(٤) من قصيدته فى رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم فى ديوانه ص ٥٧ .

(٥) كذا فى ط . وفى ص ت م : وهو تشبيه النفس .

لتدبّر المبانى ، والتعلُّم تنبُّهها لذلك[1] يقال : علَّمْته تعليما وأعلَمْته إعلاماً بمعنى واحد فى الأصل ، ثم اختص الإعلام كما قال الراغب بما كان بإخبار سريع ، والتعليم بما كان[2] بتكرير وتكثير حتى يحصل[3] منه فى النفس أثر ، قال تعالى : « وعلَّمَك ما لم تكن تَعْلَم »[4] أى أرشدك وهداك ودلَّك على ما لم يكن لك به عِلْم ولا سبق[5] لك فيه معرفة من حوادث الأُمور وضمائر القلوب وأسرار الغُيوب وأَمْر الدِّين والأَحكام وشرائع الإسلام .

« مُعَلِّم أمته » صلى الله عليه وسلم .

« المعْلِن » : « د » المظهر بدعوته من العلانية ضد السر بالمهملة فى حديث[6] علىّ رضى الله تعالى عنه فى صفة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم : المعْلِن الحقَّ بالحق .

« المعلَّى » : الذى رفع على غيره ، اسم مفعول من التعلية وهى الرفعة .

« المعمَّم » : « عا » بالبناء للمفعول أى صاحب العمامة وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم فى الكتب السالفة .

« المُعِين » : « عا » الناصر ، أو الكثير المعونة وهى المعاضدة والمساعدة . قالت خديجة رضى الله تعالى عنها : « إنك تُعِين على نوائب الحق »[7] أى تُعِين[8] على خصال الخير وتساعِد عليها .

« المُغْرَم » : بضم الميم وسكون الغين المعجمة ــ أى المحب لله تعالى من الغرام وهو الولوع بالشىء[9] والاهتمام به .

« المَغْنَم » : بغين مُعْجمة ونون كجعفر ، مثل الغنيمة وهى الخِيَار من كل شىء

« المغنِى » : المحْسن المتفضل ، اسم فاعل من الإغناء وهو الإحسان والتفضل بما يدفع الحاجة قال تعالى : « وما نَقَموا إلا أن أَغْنَاهم اللهُ ورسوله من فَضْلِهِ[10] » وفى هذه الآية ما فيها

---

(١) كذا فى ط وفى ص ت م : تشبهها بذلك .

(٢) ط : بما يكون .

(٣) ت م : حتى يجعل .

(٤) سورة النساء ١١٣ .

(٥) ت م : ولا تسبق .

(٦) ص ت م : وحديث .

(٧) من حديث بدء الوحى ونصه : « إنك لتصل الرحم وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق » صحيح البخارى ٣/١ .

(٨) ط : أى تعاون .

(٩) ص ت م : فى الشىء .

(١٠) سورة التوبة ٧٤ .

من تشريف النبى صلى الله عليه وسلم وتعظيمه والتنبيه على علوّ مقامه وعِظَم شأْنه حيث ذكَره معه فى إيصال الصُّنْع إلى عباده وجعله مُغْنيًا لهم بما فتح على يديه وأفاءه[1] من المَغَانم.

«المِفتاح» : الذى يُفتح به المغلاق.

«مفتاح الجنة» : لأنه أول من يُفتح له صلى الله عليه وسلم.

«المفخَّم»: «عا» بالخاء المعجمة كمعظَّم: الموقَّر المعظَّم فى الصدور المهاب فى العيون، وليس المراد فخامة الجسم وهو عظم الجثَّة.

«المفضال» : « د » صِيغة مبالغة من الإفضال وهو الجود والكرم.

« المفضَّل »: «د» قال « ط » : يحتمل أن يكون بوزن المكرَّم من أفضل يَفْضُل فيكون بمعنى الذى قبله بوزن المقدَّس، أى المفضَّل على جميع العالمين « عا » : أى المشرَّف على غيره، اسم مفعول من التفضيل وهو التشريف والتكريم. وسمِّى صلى الله عليه وسلم بذلك لأن الله تعالى فضَّله على سائر البريّة وخصه بالرُّتب[2] السنيّة.

« المفلَّج » : بالجيم كمعظَّم أى مفلَّج الثنايا وهو المتباعِد ما بين الأسنان. وإن بنيت هذا الوصف من أفعل فلابد من ذكر الأَسنان فتقول كما فى القاموس أفلج الثنايا.

«المفْلح» : « عا » اسم فاعل من الفلاَح وهو الفوز والبقاء.

«المقتصِد» : بكسر الصاد المهملة اسم فاعل من الاقتصاد افتعال من القصد وهو استقامة الطريق أو هو العدل[3].

«المستقيم» :

« المقتفِي[4] » : بقاف ففاء بمعنى قَفى النبيين[5] ذكره شيخنا أبو الفضل بن الخطيب.

«المُقَدَّس» : «يا » « ع » « د » بفتح الدال ـ سماه الله تعالى بذلك فى كتب أنبيائه. ومعناه المطهَّر من الذنوب المبرَّأ من العيوب أو المطهَّر من الأَخلاق السيئة والأَوصاف الذميمة. وأصل التقديس التطهير أو البعد. يقال قدَّس فى الأَرض إذا ذهب فيها. ومن أسمائه تعالى : القُدُّوس وهو المطهَّر ممَّا لا يليق به من النقائص وسمات الحدوث.

---

(١) ص ت م : وأفاده.

(٢) ص ت م : بالرتبة. وما أثبته من ط.

(٣) ص : والعدل.

(٤) ت م : المقفى.

(٥) كذا فى ط وفى ص ت م : والتقفية : التبيين. محرفة.

« المقدِّس » : بكسر الدال أى المطهِّر من اتبعه من أرجاس الشرك .

« المقدَّم » : بفتح الدال ضد المؤخَّر ، اسم مفعول من قدَّم المتعدى . وسمِّى به صلى الله عليه وسلم بذلك لأن الله تعالى قدَّمه على غيره من الأنبياء خِلْقةً ورُتْبة وشرَفًا . وما أحسن قول الأَبُوصيرىّ فى سياق قصة الإسراء :

وقدَّمتْك جميعُ الأنبياءِ بهـــا والرُّسْل تقديمَ مَخْدُومٍ على خَدَمِ

« المقدِّم » : بكسر الدال اسم فاعل من المتعدى لأن أُمته قُدِّمت بسببه أى فُضِّلت على غيرها من الأُمم وشرِّفت من القِدَم .

«المقرئ» : «عا»[1] بالهمز الذى يُقْرِئُ غيره القرآن . روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأُبَىّ بن كعب رضى الله تعالى عنه : «إن الله تعالى أمرنى أن أقرأ عليك القرآن »[2] أى أُعلِّمك كما يقرأ الشيخُ على الطالب ليفيده لا ليستفيد منه وفيه مَنْقبة لأُبَىّ رضى الله تعالى عنه .

«المُقْسِط» : اسم فاعل من أقْسَط إذا عدَل وهو من أسمائه تعالى . ومعناه العادل فى حُكْمه المنصف المظلوم من الظالم .

« المقسِّم » .

«المقصوص » عليه : قال تعالى : « نحن نقصُّ عليك أحسنَ القصص »[3]

«المقَفِّى» : بضم الميم وفتح القاف وكسر الفاء المشددة . سبق فى حديث حذيفة فى الباب الثانى . ومعناه الذى ليس بعده نبىّ كالعاقب[4] ، وقيل المتَّبع آثار من قبله من الأنبياء .

«المقوَّم» : « عا » بالفتح – المستقيم اسم مفعول من التقويم وهو الاستقامة أو بمعنى المقيم[5] .

« مُقِيل العثَرات » .

« مُقِيم السُّنَّة » : هو اسمه صلى الله عليه وسلم فى التوراة والزَّبُور . فى حديث عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما : ولن يَقْبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العَوْجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، وفى رواية : « ولا يذهب حتى يقيم السُّنة العَوْجاء » وفى الزبور قال داود صلى الله عليه وسلم : « اللهم ابعث لنا محمداً صلى الله عليه وسلم يقيم لنا السُّنّة بعد الفترة .

---

(١) ص ت م : الذى يقرأ عليه .
(٢) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ١٢١ .
(٣) سورة يوسف ٣ .
(٤) ص ت م : كالقافى ١ .
(٥) ط : القيم .

والسُّنة : الطريقة ، والمِلَّة : الدين ، ومعناهما واحد . ومعنى إقامتها إظهار الإسلام . وسبق الكلام على ذلك فى الباب الثالث من أبواب فضائله السابقة على مولده صلى الله عليه وسلم

« المكتفِى بالله » : « عا » أى الذى سلَّم أُموره إليه وتوكَّل فى كل الأَحوال عليه .

« المكرَّم » : « عا » بتشديد[1] الراء مخففاً . قال « د » : لأَنه صلى الله عليه وسلم [كان] أَكْرَم الناس لجليسه .

« المكْفِىّ »

« المكلَّم » : بفتح اللام مشددة — اسم مفعول . بمعنى المخاطَب . فإن فى حديث المعراج أنه صلى الله عليه وسلم سمع خطاب الحق تبارك وتعالى كما سيأْتى بيان ذلك .

فإن قيل : فإذا ثبت أنه صلى الله عليه وسلم مكلَّم وقام به هذا الوصف فلمَ لا[2] يشتق له من الكلام اسم الكليم كما اشتُق لموسى صلى الله عليه وسلم ؟

أُجيب بأَن اعتبار المعنى قد يكون لتصحيح الاشتقاق كاسم الفاعل ، فيطَّرد بمعنى أن كل من قام به ذلك الوصف اشتق له منه اسمٌ وجوبا ، وقد يكون للترجيح فقط كالكليم والقارورة فلا يطَّرد ، وحينئذ فلا يلزم فى كل من قام به ذلك الوصف أن يُشْتق له منه كما حققه القاضى عَضُد الدين رحمه الله تعالى .

« المكِّى » : نسبة إلى مكة أشرف بلاد الله تعالى . وتقدم الكلام على ذلك فى باب أَسمائها .

« المكِين » : أَخذه جماعة من قوله تعالى : « ذى قُوّة عند ذى العَرْش مَكِين[3] » وهو فعيل من المكانة أى ذو مكانة عظيمة عند خالقه .

« الملاَحمىّ » : نسبة إلى الملاَحم وستأْتى .

« الملاَذ » : « عا » بالذال المعجمة : المجير . قال أَبو طالب يمدحه صلى الله عليه وسلم :

يَلُوذ به الهُلاَّكُ من آل هاشمٍ   فهم عِنْده فى نعمةٍ وفَواضلِ

« الملَبىّ » : بضم الميم وفتح اللام آخره موحَّدة وهو المطيع أَو المخْلص أَو المجيب أَو المحِب ، اسم فاعل من لبىَّ يلبىِّ تلبيةً أَى أَقام على طاعة ربه إلْبَاباً بعد إلباب ، أَو أَخلص فيها من قولهم : حَسَبٌ لُبَابٌ كغراب أَى خالص ، أَو إجابة بعد إجابة . أَو أَحبَّ ، من قولهم : امرأَة مُلبة أَى محِبة لزوجها . أَو جعل تجَاهَه وقَصْده إليه ، من قولهم : دارى تُلِبُّ دارَه أى تواجهها .

---

(١) كذا ولعلها : بكسر الراء .   (٢) ط : فلم لم .   (٣) سورة التكوير ٢٠ .

« الملجأ » : بالجيم مهموز : الملاذ .

«المَلْحمة» : بفتح الميم المعركة واحدة الملاحم ، مأْخوذة من لُحْمة الثوب لاشتباك الناس في الحرب واختلاطهم كاشتباك اللحمة بالسَّدى . وقيل : من اللحم لكثرة لحوم القتلى في المعركة . وسمى به صلى الله عليه وسلم بذلك لأَنه بُعث بالسيف والجهاد .

« مُلَقَّى القرآن » : أى الملَقَّى لما تلقَّاه على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام من القرآن وغيره من الوحى على أمته ، أى المبلِّغ ذلك إليهم ، أو بمعنى المتلقِّى أى المتصدِّى لسماعه حين ينزل

قال تعالى : « وإنك لَتُلَقَّى القرآنَ من لَدُنْ حكيمٍ عليم[1] » أى يلقى إليك وحياً .

« المَلِيك » : «د» فعيل من المُلْك بضم الميم أو بكسرها كما سيأْتى من أن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى ، وهو من أسمائه تعالى ، ومعناه فى حقه تعالى : القادر على الإيجاد والاختراع ، أو هو ضابط الأُمور المتصرِّف فى الجمهور .

«المَلِك» : بكسر اللام وهو الذى يَسُوس النَّاسَ ويدبِّر أمرهم . أو هو ذو العز والسلطان وهو من أسمائه تعالى ، ومعناه فى حقه تعالى : المستغنِى فى ذاته وصفاته عن الكَوْن وموجوداته وليس يستغنى عن جوده[2] أحدٌ من مخلوقاته ، وقيل : هو القادر على الاختراع والإبداع من العدم إلى الوجود .

« الملِىء » « عا » باللام مهموزا : الغنى بالله عما سواه أو الحسَن حُكْمه وقضاؤه[3] .

«المَمْنوح» : «عا» : [الذى مُنح من ربه كلَّ خير دنيوى وأُخْروى ، أو الذى منح أمته ذلك وساقه إليها من المنحة أى العطية ، لأَنه ، أى الله ، منَحه ذلك ، أو أنه صلى الله عليه وسلم منَح أُمته ذلك][4]

«الممنوع» : « عا » : الذى له مَنعة وقوة[5] تمنعه من الشيطان وتحميه من الأَعداء . أو الذى منعه الله تعالى من العِدَا وحمَاه من السوء والرَّدَى .

«المنادِى» : بكسر الدال المهملة : الداعِى إلى الله تعالى أو إلى توحيده . قال الله تعالى :

---

(١) سورة النمل ٦ .

(٢) هامش ص : عن وجوده .

(٣) ص : أو قضاؤه .

(٤) سقطت من ط .

(٥) ط : أى قوة .

(ربَّنا إِنَّنَا سَمِعْنا منادِيًا يُنَادِى للإِيمانِ)[1] قال ابن جُرَيْج رحمه الله : هو سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام .رواه ابن أبى حاتم .

« المنادَى » : « عا » بفتح الدال المهملة أى المدعوّ إلى الله تعالى ليلة الإسراء على لسان جبريل صلى الله عليهما وسلم .

« المنتجَب بالجيم » .

«المنتخَب» : بالخاء المعجمة ، كلاهما بمعنى المختار .

«المنتصِر» .

«المنْجِد» : المعين الناصر ، أو المرتفع القَدْر ، اسم فاعل من أنْجَد إذا ارتفع وأعان .

«المُنْحَمِنَّا» : قال ابن إسحاق : هو اسمه فى الإنجيل ومعناه بالسريانية : محمد . وضبطه الإمام الشُّمنِّى بضمّ الميم وسكون النون وفتح الحاء المهملة وكسر الميم بعدها نون مشددة مفتوحة وألف . وقال ابن دحية : إنه بفتح الميمين .

«المنذِر» : قال تعالى : «إنما أنت مُنْذِر»[2] وهو من الحَصْر الخاص ،أى لست بقادر على هداية الكفار ، وليس من الحصر العام ، لأنه عليه الصلاة والسلام له أوصاف أُخرى كالبشارة ، وهو وصفٌ من الإنذار وهو الإبلاغ ، ولا يكون إلا مع تخويف .

« المنزَّل عليه » .

«المنْصِف» : بضم الميم وسكون النون وكسر الصاد المهملة : العادل . وكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس إنصافا .

« المنصور » : المؤيَّد . اسم مفعول من النصر وهو التأْييد.

«المنقِذ» : بنون فقاف فذال معجمة : اسم فاعل من الإنقاذ وهو التخليص من ورطة الشدائد ، وسمى بذلك لأنه ينقذنا بالشفاعة يوم القيامة ، قال حسان رضى الله تعالى عنه يرثيه :

يدلُّ على الرحمن من يقتدى به ... وينقِذ مِنْ هَوْل الخزايا ويُرشِدُ[3]

---

(١) سورة آل عمران ١٩٣ . (٢) سورة الرعد ٧ .

(٣) سبق ذكر هذا البيت وتخريجه فى هذا الجزء .

وأما قوله تعالى : (أَفأَنت تنْقِذ مَنْ فى النارِ[1]) فالمراد : أنك لا تقدر على إنقاذ من يستحق العذابَ وإن اجتهدت فى دعائه إلى الإيمان .

«مِنَّة الله» : قال الله تعالى : (لقد منَّ اللهُ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنْفسهم[2]) وإنما خصَّهم بالذكر لأَنهم المنتفعون بمبعثه ، ووجْه المنة به عليهم . أنه لمّا بعث سَهُل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه .

«المنيب» : تقدم فى الأَوَّاه ، وهو اسم فاعل من الإنابة وهى الإقبال على الطاعة ، والفرق بينه وبين التائب والأَوَّاب : أن التائب من رجَع عن المخالَفات خوفاً من عذاب الله . والمنيب : من رجع عنها حياءً من الله .والأَوَّاب : من رجع تعظيما للأَوصاف المحمودة . ويقال الإنابة صفة الأَولياء والمقرَّبين . قال تعالى : (وجاء بقَلْب مُنِيبٍ[3]) والتوبة صفة المؤمنين قال تعالى : (وتوبوا إلى الله جميعًا أَيُّها المؤمنون[4]) والأَوْبة : صفة الأَنبياء والمرسَلين . قال تعالى : (نِعْم العَبْدُ إنه أَوَّاب[5]) .

«المُنِير» : اسم فاعل من أَنار إذا أَضاء . أَى المنوِّر قلوبَ المؤمنين بما جاء به .

«المُهاب» : بالضم : الذى يهابه الناس أَى تخافه لِعظِم بأْسه وسلطانه ، اسم مفعول من الهَيْبة وهى الخوف والرَّهْبة

قال فى الإحياء : الهَيْبة : خوف مصدره الإجلال والتعظيم ، فهى أَخص من الخوف لوجوده بدون التعظيم ، كالخوف من العقرب ونحوها من الأَشياء الخسيسة ، وعدم صدقها بدونه كالخوف من سلطانٍ معظم .

وسمى بذلك لأَنه كان من مهابته أنه كان أَعداؤه إذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر هابوه وفزعوا منه ، ولهذا مزيد بيان فى الخصائص .

«المهاجر» : « ع » « ح » : لأَنه صلى الله عليه وسلم هاجَر من مكة إلى المدينة ، ولهذا مزيد بيان فى أَبوابِ الهجرة[6] .

---

(١) سورة الزمر ١٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٦٤ .

(٣) سورة ق ٣٣ .

(٤) سورة النور ٣١ .

(٥) سورة ص ١٧ .

(٦) ط : فى أبواب هجرته .

«المُهْداة» : بضم الميم وفتح الدال : اسم مفعول من أَهْدَى الشئ يُهْديه فهو مُهْدًى . قال صلى الله عليه وسلم : « إنما أنا رَحْمة مُهْداة » .

« المُهْدِى » : بضم الميم وكسر الدال اسم فاعل من أَهْدَى بمعنى هدَى ، وهو المرشد والدالُّ على طريق الخير ، قال تعالى : (ويَهْديك صراطا مستقيما[1]) . قال حسان رضى الله تعالى عنه يرثيه :

جزَعاً على المهدِىِّ أصبح ثاويــاً   يا خير من وطئ الحصا لا تَبْعَدِ[2]

«المهذَّب» : بالمعجمة : المطهَّر الأَخلاق الخالص من الأَكدار اسم مفعول من التهذيب وهو الخلوص أيضا .

«المُهَيْمِن» : قال « يا » سمّاه به عمُّه العباس فى الأَبيات التى امتدحه بها ومنها :

حتى احتوى بيتَك المهيمن مــن   خِنْدف علياء تحتها النُّطق[3]

قال ابن قتيبة : قوله : « حتى احتوى بيتك المهيمن » أى يا أيها المهيمن « ط » : وقد ورد تسميته به فى قوله تعالىٰ : (وأنزلنا إليك الكتابَ بالحقِّ مُصدِّقا لما بين يَدَيْه من الكِتَاب ومُهَيْمِنًا عليه[4]) .

روى ابنُ جرير عن مجاهد رحمه الله تعالى قال : « ومُهَيْمِنًا عليه » محمد صلى الله عليه وسلم مؤتمن على القرآن .

قال ابن جرير : وتاويل الكلام على هذا وأنزلنا الكتابَ مصدِّقا الكتب قَبْله إليك مُهَيْمنًا عليه » فيكون « مصدِّقا » حال من الكتاب ومهيمنا حال من الكاف التى فى « إليك » وهى كناية عن النبىّ صلى الله عليه وسلم عائدة على الكاف « ط » .

وعلى هذا فى الآية لفٌّ ونَشْر غير مرتَّب ، فمصدِّقا الحال الأَول راجع إلى الكاف فى إليك ومُهيمنا الحال الثانى راجع إلى الكتاب المفعول الثانى « عا » .

ونوقش ابنُ جرير فى ذلك بأَنه معطوف على مصدِّقا الذى هو حال من الكتاب لا من الكاف ، وإلا لقيل مصدّقا لما بين يديك ، وحَمْل ذلك على أنه من قبيل الالتفات من

---

(١) سورة الفتح ٢ .   (٢) ديوانه ٥٧ (ط صادر) .

(٣) قد سبق ذكر هذا البيت مع أبيات أخرى فى هذا الجزء .

(٤) سورة المائدة ٤٨ .

الخطاب إلى الغَيْبة بعيدٌ من نَظْم القرآن كما قاله أبو حَيَّان ، لكن جوّز ابنُ عطية أن يكون مصدِّقا ومُهَيْمنا حالين من الكاف ولا يختص هذا بقراءة مجاهد لما مر عن ابن جرير بل يأتى على قراءة الجمهور .

ولفظ مهيمن عربىَ عند الأكثر وهو بكسر الميم الثانية اسم مفعول من هَيْمن يُهَيْمن فهو مُهَيْمن أى مراقب كما قرأ به الجمهور فى الآية . فهاؤه على هذا أصلية وقيل إنها مُبْدَلة من همزة وأصله مُؤَ أْمِنْ بهمزتين ، اسم فاعل من أمن فأُبدلت الثانية ياء لكراهة[1] اجتماع همزتين فى كلمة ، وقلبت الأُولى هاء لاتحاد مَخْرجهما ، وضعِّف بأنه تكلُّف لا حاجة إليه مع سماع أَبْنية تلحق بها .

قال ثعلب : وقول من قال : أصله مُوَيْمن تصغير مُؤْمن اسم فاعل من آمَن بمعنى صدَّق قُلبت همزته هاءً ، رأى باطل لأن أسماء الله تعالى وما فى معناها من الأسماء العظيمة لا يناسبها التصغير لأنه ينافى التعظيم .

أو بفتحها[2] مبنيًّا للمفعول كما قرأ به مجاهد وابن مُحَيْصِن فى الآية .

وهذا الاسم من أسمائه تعالى ، ومعناه : الشاهد والحافظ ، وقيل الرَّقِيب ، وقيل القائم على خَلْقه ، وقيل المؤمن ، وقيل الأمين .

والنبى صلى الله عليه وسلم مهيمن بالمعنى الأول والرابع والخامس .

«المَوْرُود حَوْضه» : اسم مفعول من الورود أى الذى يَرِدُ الناسُ حوضَه يومَ القيامة وسيأتى الكلام عليه فى الخصائِص ، وفى أبواب بَعْثه وحشره صلى الله عليه وسلم .

«الموصل» : قال « عا » هو اسمه صلى الله عليه وسلم فى التوراة ومعناه : مرحوم .

«المؤْتَىَ جوامع الكَلِم» : يأتى الكلام على ذلك فى الخصائص إن شاء الله تعالى .

«الموحَى إليه» : « خا » : سيأتى الكلام عليه[3] فى أبواب بعثته صلى الله عليه وسلم .

« المَوْلَى »: «يا» : قال الله تعالى : (النبىُّ أَوْلَى بالمؤمنين من أَنْفُسهم[4]) روى البخارى

---

(١) ط : كراهة .

(٢) أى بفتح الميم الثانية فى مهيمن . وهو معطوف على قوله قبل : وهو بكسر الميم الثانية .

(٣) ط : على الوحى .

(٤) سورة الأحزاب ٦ .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مُؤْمن إلا وأنا أَوْلَى به فى الدينا والآخرة فمن تَرك مالاً فلِعصَبته من كانوا ، فإن ترك دَيْنًا أو ضيَاعاً فليأْتنى فأنا مَوْلاه[1] » .

قال ابن الأثير : المولَى يقع على ستة عشر معنى : الأَقْرب ، والمالك ، والسيِّد ، والمعْتِق والمنْعِم [والناصر والمحبّ ، والتابع ، والخال ، وابن العم ، والحليف ، والعَقِيل ، والصّهْر والعبد ، والمنعم] عليه والمعتِق وكل من وَلِيَ أمراً أو قام[2] به فهو مَوْلاه ووليه . قال : وأكثر هذه المعانى جاءت فى الأَحاديث فيضاف كل معنى إلى ما يليق به . واللائِق بهذا « المحلّ » : السيِّد والمنعِم والناصر والمحِب .

وهذا الاسم من أسمائه تعالى ويزيد على هذه المعانى : المالك .

«موذ موذ»: قال «ع» : هو اسمه صلى الله عليه وسلم فى صُحف إبراهيم صلى الله عليهوسلم .

«الموْعِظة» : ما يُتَّعظ ويتذكَّر به من الوعظ وهو كما مر عن الخليل التذكير بالخير بما[3] ترقُّ له القلوب . وسمى صلى الله عليه وسلم بذلك لأَن الله تعالى وعَظ بَمبْعثه العِبَاد حيث جعله دليلاً على اقتراب يوم التَّناد .

«الموقَّر» : ذو الحِلْم والرزانة . وقد كان صلى الله عليه وسلم أوْقر الناس فى مجلسه لا يكاد يخرج شئٌ من أطرافه وتقدم فى « المعزَّر » .

«الموقِن» : اسم فاعل من أيقن الأَمرَ وتيقَّنه واستيقنه إذا فهمه وثبت فى ذهنه وارتفع عنه الشكُّ . قال الراغب : وهو أعْلَى من المعرفة والدراية ولأنه من صفات العلم قال تعالى (عِلْمَ اليقين[4]) بخلافهما ، فلا[5] يقال معرفة اليقين ولا دراية اليقين .

وسمى صلى الله عليه وسلم بذلك لأنه عقَد قلبه بتوحيد الله تعالى والعلم به وبصفاته والإيمان بذلك وبما أُوحى إليه على غاية المعرفة ووضوح المعرفة واليقين وانتفاء الشك والريب فى كل شئٌ من ذلك والعصمة من كل ما يضادّ المعرفة أو ينافيها . وهذا كما قال القاضى : ما وقع عليه إجماعُ المسلمين .

---

(١) صحيح البخارى ٤/١٣٥ (كتاب الفرائض) وهو فى باب الكفالة أيضا .

(٢) ص ت م : أو إنابة . وما أثبته من ط .

(٣) ص ت م : مما .

(٤) سورة التكاثر ٥ .

(٥) ص ت م : لا يقال .

«ميذميذ[1]» : قال « ع » : هو اسمه صلى الله عليه وسلم فى التوارة .

الميزان « ط » : قيل فى قوله تعالى : (اللهُ الذى أَنزَل الكتابَ بالحقِّ والميزانَ[2]) إنه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه الإمام محمود بن حمزة الكرمانى - رحمه الله تعالى - فى غريبه . فإن قيل : كيف يصح عطفه على الكتاب المنصوب بأَنزل ؟ فالجواب : هو كقوله تعالى « قد أَنزَل الله إليكم ذِكْرًا رسولاً » .

«الميسِّر» : «ع» « ط » : المسهِّل للدين اسم فاعل من اليُسْر ضد العُسْر وهو السهولة . روى مسلم عن جابر - رضى الله تعالى عنه - فى حديث تخييره نساءه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنَّ الله بَعَثنى ميسِّراً[3] » وقالت عائشة - رضى الله عنها : « ما خيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أَيْسَرهما[4] » .

«الميَمَّم» :بفتح التحتية كمعظَّم: المقصود اسم مفعول من التيمم وهو القصد ، وأصله التعمّد والتوخِّى من قولهم : يمَّمْتُك وأَمَمْتُك . وسمِّى بذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأَن الخَلْق تؤُمُّ حِمَاه يوم القيامة وتقصد جاهه لنَيْل السلامة . والله تعالى أعلم .

حرف النون

« النابِذ » : اسم فاعل[5] من النَّبْذ بسكون الباء وفتحها وهو إلقاء الشئ وطَرْحه لقلة الاعتداد به . قال الله تبارك وتعالى : « فانبِذْ إليهم على سَوَاءٍ[6] » اى اطرح عَهْدهم على طريق مُسْتوٍ بأَن تُظْهر لهم نَبْذ العهد بحيث يعلمون أنه قطْع ما بينك وبينهم ، ولاتناجزْهم بالحرب وهم يتوهَّمون بقاء العهد ، لأَن مثل ذلك خيانة[7] .

«الناجِز» : « خا » : المنْجز لما وعد ، اسم فاعل من نجز الوعدَ كأَنجزه إذا وفى به ولم يُخْلفه . وكان صلى الله عليه وسلم من ذلك بمكان .

«الناس» : قال الله تعالى : « أَمْ يَحْسُدون الناس على ما آتاهم الله مِن فَضْلِه[8] » روى

---

(١) ص ت م : ماذ ماذ . (٢) سورة الشورى من آية ١٧ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الطلاق حديث رقم ٢٩ ونصه : « إن الله لم يبعثنى معنتا ولا متعنتاً ، ولكن بعثنى معلما ميسراً » .

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الفضائل حديث رقم ٧٧ وبعده : « ما لم يكن إثما . . . » .

(٥) ص ت م : اسم مفعول . محرفة والتصويب من ط . (٦) سورة الأنفال ٥٨ .

(٧) لا يظهر اختصاص اسم النابذ به صلى الله عليه وسلم فهو يصدق على كل من ينبذ وليس فيه قصد إلى العلمية والوصفية .

(٨) سورة النساء ٥٤ .

عبْد بن حُمَيْد وابن جرير وابن أَبى حاتم ، عن عِكْرِمة ـ رضى الله تعالى عنه ـ فى الآية قال : الناس فى هذا الموضع النبىّ صلى الله عليه وسلم . وروى ابن جرير عن مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ نحوه ويسمى صلى الله عليه وسلم بذلك من تسمية الخاصّ باسم العامّ لأَنه صلى الله عليه وسلم أَعْظمهم وأَجَلُّهم أَو لجَمْعه صلى الله عليه وسلم ما فى الناس من الخِصَال الحميدة .

«الناسخ» : اسم فاعل من النَّسْخ وهو لغةً : إزالةُ شئ بشئ يَعْقبه . ومنه : نسخَ الظلُّ الشمسَ وعكسه . واصطلاحا : رَفْع الحكم الشرعى بخطاب .

سمِّى به صلى الله عليه وسلم لأَنه نسخ بشريعته كلَّ الشرائع « ط » . ومن ثم كان المختار فى الأَصول : أَن شَرْع من قَبْلنا ليس شرعًا لنا مطلقاً ولو لم يَرِدْ ناسخ له . وقيل : إذا لم يردْ ناسخ فى شَرْعنا له فهو شَرْع لنا . قال : وسمعت شيخنا شيخ الإسلام أبا زكريا المَناوِىّ ـ رحمه الله تعالى يقول فى تقرير هذا القول : القول الذى يجب اعتقاده أن شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم نسخَتْ كلَّ الشرائع مطلقاً ولا يُمْترَى فى ذلك . ومن قال شَرْع من قبلنا شرعٌ لنا إذا لم يرِد ناسخ فمعناه أنه شرع لنا بتقرير شرعنا له ، لا أَنَّا مُتعبِّدون بالشريعة الأُولى .

تنبيــه :

وصف الله تعالى نفسه بالنَّسْخ فى قوله تعالى « ما نَنْسَخْ من آيةٍ أَو نُنْسِها نَأْتِ بخير منها أَو مِثْلها[1] » .

«الناسِك» : العابد ، اسم فاعل من النُّسُك وهو العبادة .

«الناشر» : المظْهر للشئ بعد طَيِّه اسم فاعل من النشْر وهو البسط ومنه نشر الصحيفة والحديث والسحاب ، وسمِّى به صلى الله عليه وسلم لأَنه نشَر الإسلام وأَظهر شعائر الأَحكام[2] ، أَو بمعنى الحاشِر ، وقد تقدم .

«الناصب» : ذكره «د» . قال « ط » ويحتمل أَن يكون معناه المبيِّن لأَحكام الدِّين من النُّصَب بضم النون وفتح الصاد المهملة وهى العلامات التى فى الطريق يُهْتَدى بها ، أَو المقيم

(١) سورة البقرة ١٠٦ .

(٢) ص ت م : وأظهر شعائره .

لدين الإسلام من نصْبتُ الشئَ: إذا أقمته.ويحتمل أن يكون مأْخوذاً من قوله تعالى : (فإذَا فرَغْتَ فانصَبْ) أى اتعب فى الدعاءِ والتضرّع . « عا » ؛ الناصب المرتفع يقال : رجلٌ ناصب أى مرتفع الصَّدْر أو الناصب للحرب أى المقيم لها . والمجتهد المجدّ فى الطاعة قال تعالى : « فإذا فرغْت فانصب » أى إذا قضيت صلاتك فاجتهد فى الدعاءِ كما قاله ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – وعن الحسن – رحمه الله تعالى – : فإذا فرغت من جهادك فاجتهد فى العبادة . ولمّا عدَّد الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة ووعده رَفْع الآلام والمشقة[1] من انشراح الصَّدْر ووضع الوِزْر وإعقاب العُسْر باليسر إلى غير ذلك ، حثّه على الشكر وحضَّه على[2] الاجتهاد فى العبادة والنَّصَب أى كُدَّ النفس فيها وأعْقِبْها بأُخرى وهلم جرا .

«الناصح» : «د» مأْخوذ من قول الأَنبياءِ ليلة الإسراء مَرْحبا بالنبىّ الأُمّى الذى بلَّغ رسالة ربه ونصح لأُمته .

قال الإمام الخطَّابى – رحمه الله تعالى – : النصيحة كلمة يعبَّر بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح له ، وليس يمكن أن يعبَّر عنه بكلمة واحدة بخصوصها . ومعناها فى اللغة : الإخلاص .

وقال غيره : النصح فِعْل الشئ الذى به الصلاح والسلامة ، مأْخوذ من النِّصَاح وهو الخيط الذى يخاط به الثوب . وقال آخر : النُّصْح سَدُّ ثَلْم الرأى للمنصوح مأْخوذ من نصح الثوب إذا خاطه .

قال فى النهاية : أَصل النصح الخلوص : يقال نصحت العسلَ إذا خلَّصْتُه من شَمْعه ، فكأَنهم شبَّهوا فعل الناصح فيما يتحرَّاه من صلاح المنصوح له وخَلاصه من الغش بتخليص العسل من الخَلْط .

«ناصر الدِّين» :«عا» بالإضافة أى مانعه ومُنْقذه من طَعْن الكفَرة الجاحدين والفَجرة المعاندين وجمعه نُصَراء كعالم وعُلَماء . والدِّين مضاف إليه فى الأَصل : الطاعة والجزاء والمِلَّة والعَهْد والشريعة والمراد به هنا : دين الإسلام وهو أشْرف الأَديان . قال تعالى :

---

(١) ط : ووعده الآنفة . (٢) ص : وعلى الاجتهاد .

« إنَّ الدِّين عند الله الإسلامُ[1] » . وقال بعضهم هو تخصيص إلهى سائق لِذوى العقول باختيارهم المحمود إلى الخيرات بالذات .

«الناضر» « عا » بالضاد المعجمة الساقطة : الحسن ، من النضارة وهى الحسْن والرَّوْنق .

«الناطق بالحق» « خا » .

«الناظر مَنْ خَلْفه» : بفتح الميم على أنَّ مَن موصولة بمعنى الذى ونصْب خلفَه على الظرف أى ينظر الذى يكون وراءه . أو بكسرها فتكون مِنْ حرف جرّ للابتداء وخلفِه بالكسر متعلَّقها ، أى يُبْصر من ورائه كما يُبْصر من أمامه . ولهذا مزيد بيان فى باب صفة عينيه صلى الله عليه وسلم وفى الخصائص .

«الناهى» : اسم فاعل من النهى وهو الزجْر عن الشئ والأَمر به وتقدم فى الآمر .

«النبىّ» صلى الله عليه وسلم . يأْتى الكلام عليه فى أبواب البعثة .

«نبىّ الراحة» : بمهملتين رجوع النفس بعد[2] الإعياء والتعب وسكونها أو السهولة . سمِّى صلى الله عليه وسلم بذلك لأَنه أراح أُمته من نَصَب الشِّرْك أو لأَنه خفَّف بشريعته ما كان مشدَّدًا فى شريعة غيره من التكاليف الشاقة كقتل النفس فى التوبة وقَرْض مَوْضع النجاسة لطهارة المحل إلى غير ذلك .

«نبىّ الرحمة» : تقدم تفسير الرحمة .

«النبىّ الصالح» : فى حديث المعراج أن الأَنبياء والملائكة قالوا له ليلتئذ : « مرحباً بالنبىِّ الصالح » وتقدم الكلام على الصالح فى الصاد .

« نبى الأَحمر » .

« نبى الأَسود » : أى الإنس والجن أو العجَم والعرَب .

«نبىّ التوبة» : وهى الرجوع والإنابة . وقال سَهْل ــ رحمه الله تعالى ــ : هى ترك التسويف وقال إمام الحرَمين ــ رحمه الله تعالى ــ : « إذا أُضيفت إلى العبد أُريد بها الرجوع من الزلّات إلى الندم عليها ، وإذا أُضيفت إلى الرب تبارك وتعالى أُريد بها رجوعُ نِعَمه[3] . وآلائه عليهم » .

---

(١) سورة آل عمران ١٩ .
(٢) ص : عند النصب والتعب .
(٣) كذا فى ط . وفى ص ت م : رجوع نقمه . محرفة .

« نبيّ الحرَمَيْن » : أى مكة والمدينة .

« نبيّ زَمْزم » : تقدم الكلام على زمزم فى أبواب فضائل البيت الشريف .

« نبي المَرْحَمة » : تقدم فى الرحمة .

« نبيُّ المَلْحمة » : الحرب وموضع القتال مأْخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لُحْمة الثوب بالسَّدَى . وقيل : هو كثرة لحوم القتلى فيها ، ومعنى نبيّ الملحمة نبي القتال ، وهو كقوله الآخر : « بُعثت بالسيف » .

« نبيّ الملاحم » : جمع ملحمة وسبق بيانها .

« النبأ » : « عا » بنون فموحَّدة مهموز : الشأْن العظيم والخطب[1] الجسيم قال تعالى : (عم يتساءلون ، عن النبإِ العَظِيم) قيل المراد القرآن وقيل النبي صلى الله عليه وسلم .

« النَّجْم » : « خا » « عا » معروف ، وسمى به صلى الله عليه وسلم لأَنه يهتدى به السالك فى طريق الإِيمان كما يهتدى بالنجم ، قال الإِمام جعفر بن محمد – رضى الله تعالى عنهما وعن آبائهما – فى قوله تعالى : « والنَّجْم إذا هَوى » محمدٌ صلى الله عليه وسلم وهُوِيُّه : نزوله ليلة الإسراء .

« النجم الثاقب » : المضئ الذى يَثْقب بنوره وإضاءته ما يقع عليه . قال السُّلَمى – رحمه الله تعالى – فى تفسير قوله تعالى « النجْم الثاقِب[2] » : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

« النَّجيب » : الكريم الحسيب أو المنتخَب المختار .

« النَّجِيد » : بالجيم : الدليل الماهر ، أو الشجاع الماضى فيما يَعْجز غيره عنه ، فعيل بمعنى فاعل من نَجُد ككَرُم نَجادة ونَجْدة فهو نَجِيد ومُنْجد ونَجَد محركاً ونَجِد ككَتِف .

« نَجِيّ الله تعالى » : قال الراغب – رحمه الله تعالى – : النجيّ المناجِي . : ويقال للواحد والجمع . قال تعالى : (وقَرَّبْنَاه نَجِيًا[3]) و (خَلَصُوا نَجِيًّا[4]) وانتجيتُ فلانًا : استخلصته لسِرِّى . وناجَيْته : سارَرْته ، وأَصله أَن تخلو فى نَجْوة من الأَرض ، وقيل أَصله من النجاة وهو أَن يعاونه على ما فيه خلاصه وأَن تنجو بسرّك ممن يطَّلع عليه .

---

(١) ص ت م : والحظ الجسيم .

(٢) سورة الطارق ٣ .

(٣) سورة مريم ٥٢ .

(٤) سورة يوسف ٨٠ .

«النَّدْب»: « عا » بنون مفتوحة فدال مهملة ساكنة فموحدة . النَّجيب الظريف وجمعه نُدُوب ونُدَباء .

«النَّذِير» : فعيل بمعنى فاعل وهو التخويف من عواقب الأُمور ، وبَيْنه وبين الرسول عموم من وجه لاجتماعهما فى مخبر عن غيره بما يُخاف منه وانفراد الرسول فى مُخْبر عن غيره بغير تخويف: وانفراد النذير فى المنذِر عن نفسه بما يُخَاف منه ، وسمِّى صلى الله عليه وسلم بذلك لأَنه يخوِّف الناس العذابَ ويحذّرهم من سوءِ الحساب . وقد سمِّى بذلك كلُّ مبلِّغ لأَحكام شِرْعته[1] كما قال تعالى : (فلما قُضِىَ وَلَّوا إلى قَوْمِهم مُنْذِرين[2]) وقد يسمَّى[3] ذلك رسولاً أيضاً . قال تعالى : (ومبشِّراً ونَذِيراً[4]) أى مبشِّراً للطائعين ونذيراً للعاصين .

«النَّسِيب»: ذو النَّسَب العريق ، من النِّسْبة . وهى الاشتراك[5] من جهة أَحد الأَبوين . ونسَبه صلى الله عليه وسلم أشرف الأَنساب ، وتقدم بيان ذلك .

النَّصِيح فعيل بمعنى فاعل من النُّصْح .

«النعمة»:بكسر النون : الحالة الحسَنة ، وبِنَاءُ النِّعْمة بالكسر بناءُ الحالة التى يكون عليها الإِنسان كالجِلْسة ، والنَّعْمة بالفتح التنعّم ، وبناؤها بِنَاءُ المرّة من الفعل كالضَّرْبة والنِّعْمة للجنس يقال للقليل والكثير ، والإِنعام إيصال الإِحسان إلى الغير ولا يقال إلَّا إذا كان الموصَّل إليه من الناطقين فإِنه لا يقال : أَنعمَ فلان على فرسه .

« نعمة الله » .

روى البخارى عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – فى قوله تعالى : (الذين بَدَّلوا نعمة الله كُفْرا) قال : هم والله كفار قريش[6] . قال عمر : هم قريش ، ومحمد صلى الله عليه وسلم نعمة الله . وروى ابن جَرِير وابن أَبى حاتم عن السُّدِّىّ فى قوله تعالى : « يَعْرِفون نعمةَ الله ثم يُنْكرونها[7] » النعمة هنا : محمدٌ صلى الله عليه وسلم يعرفون أنه نبىّ مُرسَل .

«النَّقِىّ» الخالِص من الأَدناس المنزَّه عن الأَرْجاس ، من نَقِى بالكسر فهو نقىّ أى نظيف .

---

(١) ص : كل مبلغ أحكام الله تعالى .
(٢) سورة الأحقاف ٢٩ .
(٣) ص ت م : وقد سمى .
(٤) سورة الأحزاب ٤٥ .
(٥) ص ت م : وهى الاشتراط . وما أثبته من ط .
(٦) صحيح البخارى ٣/١٢٢ « كتاب التفسير » ونصه : هم كفار أهل مكة .
(٧) سورة النحل ٨٣ .

« النَّقِيب » : ذكره جماعة أخذًا من قوله صلى الله عليه وسلم لبنى النجّار لما مات نقيبهم أبو أُمَامة أسعد بن زُرَارة وقالوا له : يا رسول الله اجعل لنا رجلاً مكانه . فقال لهم : « أنتم أخوالى وأنا نقيبكم » « د » : وفيه أقوال : أحدها : الشهيد على قومه . والثانى : الأمين والثالث : الضمين وأصله فى اللغة النقب الواسع، فنقيب القوم هو الذى يُنَقِّب عن أحوالهم فيعلم ما خَفِى منها .

« النُّور » : قال الله تعالى : (قد جاءكم من اللهِ نُورٌ وكِتَابٌ مُبِينٌ[1]) قال جماعة : النور هنا محمد صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : (الله نورُ السموات والأرضِ مَثَل نُوره كمِشْكاة[2]) قال ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – فيما رواه ابن مَرْدَويه[3] : المراد بالنور هنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير وابن المنذر أن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – سأل كعباً عن تفسير هذه الآية فقال : « مَثَل نوره كمِشْكاة » هى الكُوّة ضربها الله تعالى مثلا لقلب محمد صلى الله عليه وسلم « فيها مصباح » المصباح قلبه « فى زجاجة » الزجاجة صَدْره « كأنها كوكبٌ دُرّى » يشبّه صدر النبى صلى الله عليه وسلم بالكوكب الدرى وهو المضئ (يكاد زَيْتها يُضِئُ) يكاد محمد صلى الله عليه وسلم يتبين للناس ولو لم يتكلم كما يكاد الزيت يضئ بلا نار .

وروى الطبرانى وابن عساكر عن ابن عمر – رضى الله تعالى عنهما – قال : المشكاة : جوف النبى صلى الله عليه وسلم . والزجاجة : قلبه . والمصباح : النور الذى فى قلبه (توقد من شجرة مباركة) الشجرة : إبراهيم « زَيْتونة لا شرقية ولا غَرْبية » لا يهودية ولا نصرانية . ثم قرأ (ما كان إبراهيمُ يهوديًّا ولا نَصْرانيًّا ولكنْ كان حَنِيفًا مُسْلمًا وما كان من المشركين[4]). رواه ابن أبى حاتم عن مقاتِل بن حيّان . وقال عبد الله بن رَوَاحة – رضى الله تعالى عنه :

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبَيَّنةٌ لكان مَنْظره يُنْبِيك بالخبر

قال القاضى : وسمِّى بالنور لوضوح أمره وبيان نبوّته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به .

---

(١) سورة المائدة ١٥ .
(٢) سورة النور ٣٥ .
(٣) ص ت م : فيما رواه ابن جرير .
(٤) سورة آل عمران ٦٧ .

وهو من أسمائه تعالى ومعناه ذو النور أى خالقه[1] ، ومنوِّر السموات والأرض بالأنوار ومنوِّر قلوب المؤمنين بالهداية . والنور فى الأصل : كيفية قائمة بالنفس لمقابلة المضئ لذاته . وفسَّره الجوهرى بالضياء وهو أشدّ منه . وقال : هو الضوء المنتشر الذى يُعين على الإبصار . وهو ضربان : مُدْرَك بعين البصيرة وهو ما انتشر من النور الإلهى كنور العقل والقرآن والنبى صلى الله عليه وسلم. ومُدْرَك بعين البصَر وهو ما كان منتشراً من الأجسام كالقمر والشمس ونحوهما. وقد ذكر الفرق بينه وبين الضوء فيما مرّ . وأما الفرق بينهما وبين الشعاع والبريق فهو كما فى شرح المواقف أنهما شئ يتلألأ على الأجسام المستنيرة حتى كأنه يفيض منها ويكاد يستر لونها بخلاف الضوء والنور فإن الأول كيفية قائمة بالجسم لذاته والثانى كيفية قائمة به لغيره كما مر . ثم هذا التلألؤ واللَّمَعان إن كان ذاتيًّا للجسم كالحاصل للشمس فهو الشعاع أو غير ذاتى للجسم بل مستفاداً من غيره كالحاصل للمرآة عند محاذاتها للشمس بالبريق[2] ؛ فعلم من ذلك أن الشعاع كالضوء ذاتى للجسم ، وأن[3] البريق كالنور ليس ذاتاً بل مستفاد من غيره .

فإن قيل : فإن كان الضياء أشدَّ من النور فلمَ شبه الله تعالى به فى قوله تبارك وتعالى : (الله نور السموات والأرض) ولم يشبهه بالضياء ؟ .

فالجواب : أنه لو شبهه به لم يضل أحد من العقلاء ، وقد سبق فى علمه تعالى أن منهم : شقّ وسعيد ألا ترى أن النهار لا يضل فيه أحد لضوء الشمس الحاصل به ، وربما ضل الطريقَ السائر ليلاً مع وجود القمر ومن هنا تؤخذ حكمة تسميته صلى الله عليه وسلم بالنور دون الضَّوْء ، وإنما مثّله بنور المصباح ولم يمثّله بنور الشمس مع أن نورها أتَمُّ وأكْمل وغير محتاج[4] إلى مَدَد بخلاف نور المصباح لأن المقصود كما قال الإمام الرازى : تمثيل النور فى القلب . والقلب فى الصدر والصدر فى البدن كالمصباح وهو الضوء فى الفتيلة وهى فى الزجاجة ، والزجاجة فى الكوّة التى لا مَنْفَذ لها . ولا يتمّ ذلك إلا بما ذكر ، أو لأن نور

---

(١) ط : أى خالق النور .

(٢) ط : فالبريق .

(٣) ص ت م : وإن كان البريق كالنور .

(٤) ص ت م : وغيرها يحتاج . وما أثبته من ط .

المعرفة له آلات يتوقف على اجتماعها كالفهم والعقل واليقظة ، كما أن نور المصباح يتوقف على اجتماع الزيت والزجاجة والفتيلة ، ولأن نور الشمس يُشْرق متوجهًا إلى العالم السفلىّ ونور المعرفة يُشْرق متوجهاً إلى العالم العُلْوى كنور المصباح ، ولأن نور الشمس يشرق نهاراً فقط ، ونور المعرفة يشرق ليلاً كنور المصباح فى وقت الحاجة إليه ولأن نور الشمس يعم جميع الخَلْق ونور المعرفة لا يصل إليه إلا بعضهم كنور المصباح .

« نور الأُمم » : « خا » : أى هاديها

« نور الله الذى لا يُطْفَأ » : « خا » .

« نون » : ذكر ابن عساكر فى مهماته أن بعضهم قال فى قوله تعالى : « نُون والقَلَمِ وَمَا يَسْطرون) أنه اسم من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم . وقيل : من أسماء الله ، والله تعالى أعلم .

حرف الهاء

« يا » « الهادى » : اسم فاعل من هدَى هداية وهى الدلالة إن تعدَّتْ بحرف الجر . والوصول إن تعدَّتْ بنفسها قال تعالى : (وإنك لتَهْدِى إلى صراطٍ مُسْتقيم[1]) وهو من أسمائه تعالى ، ومعناه الذى بصَّر عباده طريقَ معرفته حتى أقرُّوا بربوبيته ، أو هادى كل أحد من خليقته إلى ما لا بد له من معيشته . والهداية تطلق على خَلْق الاهتداء وذلك من وصفه تعالى خاصة وهو المنفىّ فى قوله تعالى : (إنك لا تَهْدِى من أحْبَبْت[2]) وعلى البيان والدلالة بلُطْف وهذه يتصف بها الله تعالى والنبى صلى الله عليه وسلم وتُطلَق أيضاً على الدعاء . ومنه : (ولكلِّ قَوْم هادٍ[3]) أى داعٍ .

« الهاشمى » : نسبة إلى جد أبيه هاشم بن عبد مناف ، وتقدم الكلام عليه فى النَّسَب .

«الهَجُود» : كصَبُور : الكثير التهجّد وهو مَجَانَبة الهُجود بضم الهاء وقيام الليل فى طاعة الملِك المعبود ؛ قال تعالى : (ومن الليلِ فتهجَّدْ به نافلةً لك[4]) أى زيادة على ما فرض الله تعالى عليك ، قاله البَغوىّ ـ رحمه الله تعالى ـ ولهذا مزيد بيان فى الخصائص .

---

(١) سورة الشورى ٥٢ .

(٢) سورة القصص ٥٦ .

(٣) سورة الرعد ٧ .

(٤) سورة الإسراء ٧٩ .

«الهُدَى» : الرشاد والدلالة ، قال تعالى : (ولقد جاءهم من ربهم الهُدَى[1]) وهو مصدر سمِّى به صلى الله عليه وسلم مُبَالَغة . وروى الإمام أحمد عن أبى أُمامة – رضى الله تعالى عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله بَعثنى رحمةً للعالمين وهُدًى للمؤمنين[2] » .

« هَدِيّة الله » .

« الهُمَام » : « عا » بضم الهاء : الملِك العظيم .

«الهمّة» : بالكسر وتفتح واحدة الهَمّ وهى ما هَمّ به الشخص من أمر يُفْعَل ، يقال : همَمْتُ بالشىءِ أَهُمُّ هَمًّا إذا أُردت فعله ، ولا هَمَّة لى بالفتح ، وهَمَام كقَطام[3] أى أفضله أو السيد الشجاع أو السخىّ .

« الهيِّن » : « عا » : بفتح الهاء وسكون التحتية مخفَّف هيِّن بوزن سيِّد : الساكن[4] المتَّئِد ، فَيْعِل[5] من الهَوْن وهو بالفتح : السَّكِينة والوقار ، أو بالضم وهو السهولة فعَيْنه واو .

قال ابن الأعرابى : العرب تَمْدح بالهَيْن اللَّيْن مخفَّفَيْن ، وتذم بهما مُثَقَّلين « عا » : ولعل ذلك لكون المثقَّلين يدلان على كثرة اللِّين والسهولة المُفْضِى ذلك إلى ارتكابهما فيما يطلب فيه الغِلْظة والشدة كما قال الله تعالى: (واغْلُظْ عليهم[6]) (أَشِدَّاءُ على الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهم[7]) بخلاف المخفَّفين فإنهما لا يقتضيان ذلك وإنما يدلان على حصول أصل الوصف وذلك يحصل بأن يأتى بهما فى محلهما ، كما قال تعالى : (واخْفِضْ جَناحَك للمؤمنين[8]) (رُحَماءُ بَيْنَهم[9]) أو لأن المخفَّف من الهَوْن بمعنى السهولة والمثقل من الهون وهو الذلة والمهانة والله تعالى أعلم .

حرف الواو

« الواجِد» : «عا» بالجيم : العالم أو الغنى ، اسم فاعل من الجِدَة وهو الاستغناء وهو من أسمائه تعالى ، ومعناه العالِم أو الغنىّ الذى لا يفتقر [إلى أحد] وكل أحد إلى معروفه ينتظر .

---

(١) سورة النجم ٢٣ .
(٢) ط : وهدى للعالمين .
(٣) ص ت م : كعظام .
(٤) ص ت م : الساكت أو المتعبد . وما أثبته من ط .
(٥) ط : فعيل .
(٦) سورة التوبة ٧٣ .
(٧) سورة الفتح ٢٩ .
(٨) سورة الحجر ٨٨ .
(٩) سورة الفتح ٢٩ .

«الواسِط» : « د » قال فى الصِّحاح : فلان وسيط فى قومه إذا كان أوسطهم نسَبًا وأرفعهم محلاً . والواسط : الجوهر الذى وسَط القِلادة . وتقدم بيان شرف نسبه صلى الله عليه وسلم .

«الواعد» : « د » اسم فاعل من الوعْد وهو إذا أُطلق كان فى الخير . والوعيد فى الشر إلّا بقرينة على حد البِشارة والنِّذارة .

«الواسِع» : الجواد الكثير العَطاء ، من الوُسْع ، مثلثة الواو ، كالسَّعة وهى الجِدة والطاقة . وهو من أسمائه تعالى ، ومعناه : المحيط بكل شىء . أو الذى وسِع رِزْقه جميعَ خَلْقه . أو الذى وسعت رحمتُه كلَّ شىء أو المعطِى عن غِنًى أو العالم أو الغَنِى .

«الواضِع» : « عا » المزيل والقاطع ، اسم فاعل من الوضْع وهو أعمّ من الحَطّ ، قال تعالى : (ويضَعُ عَنْهم إصْرَهم[1]) أى يزيله ويقطعه عنهم . والإِصْر : الثِّقل[2] الذى يَأْصِر صاحبَه أى يحبسه عن الحركة وهو مثل ثقل[3] تكليف بنى إسرائيل وصعوبته ، نحو اشتراط قَتْل النفس فى صحة التوبة وقطع الأعضاءِ الخاطئة كما سيأتى فى الخصائص .

«الواعظ» : « د » : قال تعالى : « إنما أَعِظكم بواحدة[4] » قال ابن فارس : والوعظ التخويف. وقال الخليل هو التذكير بالخيْر وما ترق[5] له القلوب . وقال الجوهرى : هو النُّصْح والتذكير بالعواقب .

« الوافى » : بمعنى الوَفِىّ من قولهم : درهم واف وكَيْل واف أى تامّ . وسمى صلى الله عليه وسلم بذلك لكماله خَلْقًا وخُلقًا ورجحانه على غيره عقلاً . قال حسان – رضى الله تعالى عنه – يمدحه صلى الله عليه وسلم :

واف وماضٍ شِهَابٌ يُسْتضَاء به   بَدْر أنارَ على كل الأناجيـــلِ[6]

«الوالى» : المالك أو الملِك أو الحاكم، اسم فاعل من الولاية وهى بالكسر فقط: الإمارة .

---

(١) سورة الأعراف ١٥٧ .
(٢) ص ت م : الفعل . وما أثبته من ط .
(٣) ت م : تثقيل .
(٤) سورة سبأ ٤٦ .
(٥) ط : وما يرق له القلب . وقد سبق للمؤلف أن أورد هذا النص فى هذا الجزء .
(٦) لم أجده فى ديوانه (ط صادر) .

أو الشريف القريب من معالي الأمور، من الولاء بمعنى القُرْب كالولاية بالكسر والفتح . وهو من أسمائه تعالى والمعنى ما مَرّ .

« الوجيه » : ذو الوجاهة والجاه عند الله تعالى .

«الوَرِع»:بكسر الراء : التقِيّ ، اسم فاعل من الورَع وهو اتّقاء الشبهات ، يقال : وَرِع الرجل يَرِعُ بالكسر فيهما ورَعًا ووَرَاعة فهو ورِع أى مُتّقٍ وقال ابن يونس - رحمه الله تعالى - : الورَع : الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس مع كل طَرْفة ولهذا مزيد بيان فى باب ورَعه صلى الله عليه وسلم .

« الوَسِيم » : بالمهملة والتحتية كأمير : الحسَن الوجه الجميل .

«الوَسِيلة» : ما يتقرب به ويتوسَّل إلى ذى قَدْر . وهو صلى الله عليه وسلم وسيلة الخَلْق إلى ربهم .

«الوَصِيّ»:«عا» بالمهملة : الخليفة القائم بالأمر من بعد غيره . سمِّى صلَّى الله عليه وسلم بذلك لأنه قام بأمر التبليغ والرسالة من بعد عيسى صلى الله عليهما وسلم الذى بشَّر به وأخبَر برسالته وحضَّ على اتباعه .

«الوَفِيّ» :«د» : الكامل الخُلق التام الخَلْق . وهو فَعِيل صيغة مبالغة من الوفاء . وكان صلى الله عليه وسلم أوْفَى الناس بالعهد وأوفاهم ذمةً . وتقدَّم قولُ القاضى فى « الأبَرّ » . وفى حديث هرقل قوله لأبى سفيان : فهل يَغْدر ؟ قال :[1] لا .

وهذا الاسم من أسمائه تعالى .

«ولِيّ الفضل» : « عا » أى مُولِيه وهو الإحسان والبِرّ .

« الوَلِيّ » : الناصر أو الوالى أو المتولِّى مصالح الأمة القائم بها ؛ قال تعالى : (إنما وليّكم اللهُ ورسولُه[2]) أو المحِب لله أو المتصف بالوِلاية وهى عبارة عن كَشْف الحقائق وقَطْع العلائق وتصرّف فى باطن الخلائق . قال القُشَيْرِى : الولىّ له معنيان أحدهما : فَعِيل بمعنى مفعول وهو من يتولى اللهُ تعالى أمورَه ولا يَكِله إلى نفسه لحظة .

---

(١) صحيح البخارى ١/٣ . (ط الأميرية) .

(٢) المائدة ٥٥ .

الثانى : فَعِيل بمعنى فاعِل ، وهو الذى يتولى عبادة الله تعالى وطاعته فيجرى بها على التوالى ولا يتخلل بينها عصيان .

وهو من أسمائه تعالى ، قال عز وجل : (وهو الولىّ الحميد[1]) وقال تعالى : (اللهُ ولىُّ الذين آمنوا[2]) أى يتولى نَصْرهم ومعونتهم وكفايتهم ومصالحهم .

«الوهّاب» : صيغة مبالغة من الهِبة وهى بَذْل المال بغير عِوَض يقال : وهَب يَهب هِبَةً ومَوْهِبًا . ولهذا مزيد بيان فى باب كرَمه وجُودِه صلى الله عليه وسلم .

وهو من أسمائه تعالى ، ومعناه : الذى يُعْطِى على قَدْر الاستحقاق ولا يَغِيض ما فى يمينه من كثرة الإنفاق . والله تعالى أعلم .

حرف اليـــاء

«اليتيم» : اسم مفعول من اليتم وهو انقطاع الولَد قبل بلوغه عن أبيه بموته وفى سائر الحيوانات الانقطاع من قِبَل الأُمّ . وكل[3] منفرِد يتيمٌ ، يقال دُرَّة يتيمةتنبيهاً على أنْ قد انقطعت مادتها التى خرجت منها . وقد قيل بذلك فى الآية . والمعنى عليه : ألم يجدْك واحدًا فى قريش عَدِيم النظير فيهم .

« يس » : ذكره جماعة فى أسمائه صلى الله عليه وسلم ، وورد فى حديث أبى الطُّفَيْل عن ابن مردويه ، ورواه البيهقى عن محمد بن الحَنَفِيّة - رحمه الله تعالى . قال السُّهَيْلى : لو كان اسما له صلى الله عليه وسلم لقال : يا يسُ بالضم كما قال : « يوسُفُ أيها الصِّديق » قال تلميذه ابن دِحْية : وهذا غير لازم فإن الكَلْبى قرأه بالضم ، أى على حذف حرف النداء .

«اليَثْرِبىّ» : نسبة إلى يثرب ، اسم المدينة الشريفة فى الجاهلية . وقد ورد النهى عن تسميتها بذلك كما سيأتى فى باب أسمائها فى أبواب فضلها .

تنبيه : قد عُلم مما تقدم أن الله سبحانه وتعالى سمّى النبىَّ صلى الله عليه وسلم بعدة أسماء من أسمائه عز وجل . وسيأتى سَرْدها فى الخصائص إن شاء الله تعالى . والله تعالى أعلم .

---

(١) سورة الشورى ٢٨ .
(٢) سورة البقرة ٢٥٧ .
(٣) ص ت م : وهو منفرد .

الباب الرابع

فى كُنَاه صلى الله عليه وسلم وزاده شَرفاً وفضلاً لديه

قال الإمام العلّامة أبو السعادات مجد الدين المبارك ابن الأثير – رحمه الله تعالى – فى كتابه « المرَصَّع » : أما الكُنْية فأَصلها من الكناية ، وهى أن يتكلم بالشىء ويريد غيره ، تقول كنَيْت وكنَوْت بكذا وعن كذا كِنْية وكُنْية والجمع الكُنَى ؛ واكْتَنَى فلانٌ بأَبى فلان وفلان يُكْنَى بأَبى الحسن ، وكنيْتُه أبا زيد وبأَبى زيد ، يخفَّف ويثقل والتخفيف أكْثَر . وفلان كَنِىّ فلان ، كما تقول: سَمِيُّه : إذا اشتركا فى الاسم والكُنية . وإنما جِىء بالكُنْية لاحترام المكْنِىّ بها وإكرامه وتعظيمه كيلا يصرّح فى الخطاب باسمه . ومنه قوله :

أكْنيه حين أنَاديه لأكْرمه ولا أُلَقِّبه والسّوأة اللَّقبُ

هذا مختص بالإنسان دون غيره وهو الأَصل .

ولقد بلغنى أن أصل سبب الكُنَى فى العرب أنه كان ملِك من ملوكهم الأُول ولد له ولد توسَّم فيه أمارة النَّجابة فشُغف به فلما نشأ وترعرع وصَلُح لأَن يؤدَّب أدبَ الملوك أحب أن يُفْرد له موضعاً بعيداً من العمارة يكون فيه مُقيِما يتخلَّق بأَخلاق مؤدِّبيه ولا يعاشِر من يضيع عليه بعضَ زمانه ، فبنَى له فى البرِّيَّة منزلاً ونقله إليه ورتب له من يؤدبه بأَنواع من الآداب العلمية والملَكية وأقام له ما يحتاج إليه من أمر دنياه ، ثم أضاف إليه من هو من أقرانه وأضرابه من أولاد بنى عمه وأمرائه ليُؤْنسوه ويتأَدبوا بآدابه ويحبِّبوا إليه الأَدب بموافقتهم له عليه . وكان الملِك فى رأْس كل سنة يَمْضى إلى ولَده ويستصحب معه من أصحابه من له عند ولده ولَد ليبصروا أولادهم ، فكانوا إذا وصلوا إليهم سأَل ابنُ الملِك عن أُولئك الذين جاءوا مع أَبيه ليَعْرفهم فيقال له : هذا أبو فلان وهذا أبو فلان ، يَعْنون آباءَ الصبيان الذين عنده فكان يعرفهم بإضافتهم إلى أبنائهم ، فمن هنالك ظهرت الكُنَى فى العرب .

ثم ذكر ابنُ الأثير - رحمه الله تعالى - فوائد تتعلق بالكُنَى ليس هذا الكتاب محلاً لها وقد ذكرتها مع زيادات أخرى فى كتابى « سفينة السلامة » .

* * *

إذا علمت ذلك : فللنبى صلى الله عليه وسلم عِدّة كُنَى وهى :

« أبو القاسم » صلى الله عليه وسلم . وهو أشهرها

روى الشيخان عن أنس بن مالك - رضى الله تعالى عنه - قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى بالبَقِيع فسَمِع قائلاً يقول : يا أبا القاسم فردَّ رأسه إليه فقال الرجل : يا رسول الله إنى لم أعْنِك إنما دعَوْتُ فلانًا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسمَّوْا باسمى ولا تكَنَّوا بكنيتى فإنى جُعلتُ قاسِمًا أقْسِم بينكم[1] » .

وظاهر هذا الحديث أنه إنما كُنى صلى الله عليه وسلم أبا القاسم لذلك .

وقال العَزَفىّ والوزير أبو الحسن سلام بن عبد الله الباهِلىّ رحمهما الله تعالى فى كتابه « الذخائر والأعْلاق فى آداب النفوس ومَكارم الأخلاق » : لأنة صلى الله عليه وسلم يَقْسم الجنة بَيْن أهلها يوم القيامة . قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : والذى جزم به الجماهير من أهل السِّيَر أنه إنما كُنى بابنه القاسم . وهو أول أولاده صلى الله عليه وسلم ولادةً ووفاةً وسيأتى الكلام على تكَنِّى غير النبى صلى الله عليه وسلم بأبى القاسم فى الخصائص .

« أبو إبراهيم » : روى البيهقى فى الدلائل عن أنس - رضى الله عنه - أنه لما ولِد إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم من مارية كاد يقع فى نفْس النبى صلى الله عليه وسلم منه حتى أتاه جبريل فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم .

« أبو الأرامل » : ذكره ابن دحية وقال : ذكره صاحب الذخائر والأعلاق .

« أبو المؤمنين » : قال الله تعالى : (النبىُّ أوْلَى بالمؤمنين من أنفُسهم وأزواجه أُمَّهاتهم[2] وقرأ أُبَىّ بن كعب - رضى الله تعالى عنه : « وهو أبٌ لهم » أى كأبيهم فى الشفقة والرأفة والحنوّ[3] والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخارى ٢/٢١٨ (ط الأميرية) . وصحيح مسلم كتاب الأدب حديث رقم ١

(٢) سورة الأحزاب ٦ . (٣) ص ت م : والخير .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب العاشر :

الباب الحادى عشر :

الباب الثانى عشر :

الباب الثالث عشر :

الباب الأول :

الباب الثانى :

الباب الثالث :

الباب الرابع :

الباب الأول :

الباب الثانى :

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث :

مطابع الأهرام بكورنيش النيل

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٢ / ٤٣١٥